

تيسير
القرآن الكريم
للقراءة والفهم المستقيم

من سورة يونس إلى سورة العنكبوت

الجزء الثاني

لفضيلة الأستاذ الشيخ

عبد الجليل عيسى

شيخ كلية اللغة العربية

بالأزهر الشريف (سابقاً)



- الكتاب: تيسير القرآن الكريم للقراءة والفهم المستقيم - الجزء الثاني.
- المؤلف: فضيلة الشيخ عبدالجليل عيسى - شيخ كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف سابقا.
- الطبعة الأولى: ١٩٥٨م.
- الطبعة الثانية: ١٩٨٠م.
- الطبعة الثالثة: ٢٠٠٩م.
- طبع في مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- اللآف والإخراج الفني: أميمة على أحمد.
- تصحيح: محمد صابر - أحمد حسن.
- مراجعة: سعيد عبدالفتاح - أميمة على.

وَلَقَدْ نَسَرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهِيَ مِنْكُمْ دَكِئَةٌ
سَعْدَ اللَّهُ الْعَالَمِينَ

سورة يونس

بسم الله الرحمن الرحيم

المفردات: «الر»: تقدم الكلام على مثل هذه الأحرف المقطعة أول سورة البقرة. «أكان للناس»: الهمزة تفيد الإنكار وتعجيب السامع من حيرة مشركى العرب وتعجبهم. «لنناس»: المراد بهم مشركو العرب خاصة. «أن أنذر»: أن حرف يدل على أن ما بعده تفسير لما قبله، والإنذار إعلام بشيء مع التخويف من مخالفته. «الناس»: المراد بهم هنا جميع المكلفين.

«قدم»: أصل القدم أسفل الرجل من الشخص، ثم أطلقت على السبق والتقدم فى كل شيء، يقال فلان له قدم فى العلم أى سابق غيره فيه.

«صدق»: أصل الصدق فى القول ضد الكذب، ثم استعمل فى صفات الفضائل المشرفة، انظر الآية (٨٠) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٥.

«ستة أيام»: هى أوقات لا يعلم مقدارها إلا الله عز وجل. ورد أن اليوم كالف سنة كما فى الآية (٤٧) من سورة الحج صفحة ٤٤٠، وورد أنه كخمسين ألف سنة كما فى الآية (٤) من سورة المعارج صفحة ٧٦٥.

(١٠) سُوْرَةُ يُوْنُسَ مَكِّيَّةٌ
وَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّيْنُكَ ءَابَتْ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ① أَكَانَ
لِنَاسٍ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ
النَّاسَ وَيُخَوِّفِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ قَدِمَ صِدْقٍ مِّنْ
رَّبِّهِمْ ② قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَشَرٌّ مِّنْ
إِنَّا وَرَبُّكَ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمُورَ مَا مِنْ شَيْءٍ
إِلَّا مِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِّنْهُ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَنْفُسُ إِلَىٰ رَبِّهَا فَتَعْبُدُهُ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ③ إِلَهٌ مَّرْجُومٌ جَعَلَهُ اللَّهُ حَمَإً

(١) الفَ لَامَ رَا.

(٢) آيَات.

(٣) الْكِتَابِ.

(٤) الْكَافِرُونَ.

(٥) لِسَاحِرٍ.

(٦) السَّمَوَاتِ.

﴿استوى﴾: تقدم في شرح الآية (٥٤) من سورة الأعراف صفحة ٢٠١، وهو استواء يليق به تعالى لا يعلمه غيره.

﴿العرش﴾: تقدم في آخر التوبة وأنه شيء عظيم لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى.

المعنى: . تلك الآيات الرفيعة المنزلة التي يتألف منها القرآن هي آيات الكتاب صاحب الحكمة في معانيه ومبانيه. وأعجب أيها السامع من استغراب كفار العرب أن يوحى الله إلى رجل منهم وحيًا هو الأمر بإنذار الناس جميعًا بما شرعه الله مع تخويفهم من عصيانه، انظر الآية (٩٤) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٧.

ويشر المؤمنون خاصة بأن لهم سبقًا في الفضل ومنزلة رفيعة عند ربهم، وكان من نتيجة تعجب هؤلاء الكفار أنهم لما رأوا عجزهم عن الإتيان بسورة من القرآن قالوا ليضلوا الناس: إن هذا الرجل لساحر مبين.

ثم أبطل الله تعالى تعجبهم وافترامهم بقوله: إن ربيكم أيها المنكرون هو الذي خلق العوالم العلوية التي فوقكم والأرض التي تعيشون عليها في ستة أوقات، في كل وقت منها طور من أطوارها، ثم استوى على عرشه الذي جعله مركزًا لتدبير هذا الملك العظيم، ومن كانت هذه قدرته وأحكامه فهو سبحانه قدير لا يستكثر عليه أن يختار من عباده من يشاء لتبليغ رسالته إلى خلقه، فاحذروا غضبه عليكم، ولا تعتمدوا على غيره من معبوداتكم التي زعمتم أنها تشفع لكم عنده كما في الآية (١٨) الآتية في هذه السورة صفحة ٢٦٨، فإنه لا يشفع عنده سبحانه أحد إلا بعد إذنه له بذلك إذنا مبنيا على الحكمة بأن يكون الشفيع من الأخيار، والمشفوع لهم ممن رضى سبحانه عنهم، انظر الآية (١٠٩) من سورة طه صفحة ٤١٦، والآية (٢٨) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٢، والآية (٢٦) من سورة النجم صفحات ٧٠١، ٧٠٢.

ذلكم العظيم الموصوف بما ذكر هو وحده الله ربيكم الذي يستحق العبادة، فاعبدوه وحده ولا تشركوا به غيره أتجهلون كل هذا فلا تتذكرون في خلقه لترجعوا إلى الحق، والحال أن رجوعكم جميعًا في الآخرة إليه وحده فيحاسبكم ويجازيكم، وقد وعد وعدًا حقًا لا يتخلف.

لَا تَرْيَدُوا أَنْتَاطَاقَ تَمَّ يَحْمِلُهُ لِيَجْزَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَيَطْلُبُ أَلِيمٌ مِّمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ① هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَّةَ النَّيِّينِ وَالْحِسَابِ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ② إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ③ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَابِنَاتِنَا غَافِلُونَ ④ أُولَئِكَ مَلَأْنَاهُمْ أَتَارُفًا كَانُوا يَكْسِبُونَ ⑤ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ⑥ دَعْوَاهُمْ

المفردات:- ﴿الخلق﴾: المراد بهم هنا المكافون، لأنهم هم الذين يبعثون ليحاسبوا. ﴿القسط﴾: العدل. ﴿حميم﴾: هو الماء الشديد الحرارة كما فى الآية (٤٤) من سورة الرحمن صفحة ٧١١. ﴿ضياء﴾: فى الأصل اسم مصدر وأريد به هنا اسم الفاعل، أى مضيئة، والضوء هو ما ينشأ من الشيء بلا واسطة كضوء الشمس والنار والسراج، انظر الآية (٦١) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٧. ﴿نورا﴾: هو ما ينشأ عن الشيء بواسطة غيره كنور القمر والمرآة. ﴿آيات﴾: أى أدلة وبراهين دالة على وجوده تعالى وقدرته.

﴿لا يرجون لقاءنا﴾: أى لا يتوقعونه لأنهم ينكرونه ﴿يهديهم ربهم بإيمانهم﴾: يقول أبو السمود فى شرح ذلك: يهديهم بسبب إيمانهم إلى الجنة، وإنما لم يصرح بها اعتماداً على ظهورها من سياق الكلام، ولا سيما بعد ملاحظة ما سبقها من بيان ماوى الكفار وما لحقها من قوله جنات النعيم.

المعنى:- بين سبحانه ما وعد به بأنه هو الذى أنشأ الخلق عند تكوينه أول مرة، ثم يعيده بعد موته للحساب والجزاء، فيجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بما بينه فى الآية (٩) هنا جزاء عادلاً لا ينقص من أجر أحدهم مثقال ذرة، ويجزى الذين كفروا بأن يسقيهم كلما استغاثوا من العطش ماء شديد الحرارة يقطع أمعائهم، ثم يفرقهم بعد ذلك فى عذاب شديد

(١) يبدأ.	(٢) الصالحات.	(٣) الآيات.	(٤) اختلاف.
(٥) الليل.	(٦) السموات.	(٧) آيات.	(٨) بالحياة.
(٩) آياتنا.	(١٠) غافلون.	(١١) ملأهم.	(١٢) الصالحات.
(١٣) بإيمانهم.	(١٤) الأنهار.	(١٥) جنات.	(١٦) دعواهم.

الألم، وذلك بسبب استمرارهم على الكفر انظر الآية (٢٩) من سورة الكهف صفحات ٢٨٤، ٢٨٥، والآية (١٥) من سورة محمد صفحة ٦٧٤. ومن بلاغة القرآن أنه لا يذكر المعلوم من السياق إلا لأغراض خاصة ولهذا لم يتعرض في مجازاة الكفار للقسط اكتفاء بذكره في مجازاة المؤمنين، ولم يذكر ما يجازى به المؤمنين اكتفاء بذكر مقابله في الكافرين.

ثم فصل سبحانه ما أجمعه في خلق السموات والأرض وتدبير الملك مما يدل على كمال القدرة على إرسال الرسل وبعث الخلق للحساب فقال: هو الذى جعل الشمس مضئية، والقمر منيرا، وقدر سهر القمر في منازل كل ليلة في واحدة لا يختلف في شهر عن شهر، ومن سهره هذا يتكون الشهر، ومنه تتكون السنون، فيعلم الناس عدد السنين وحساب العبادات كالصيام والحج والمعدة، والمعاملات كالإجارة والرهن، وغير ذلك، انظر الآية (١٨٩) من سورة البقرة صفحة ٢٧. ما خلق الله الشمس والقمر بهذا النظام إلا خلقا مقترنا بالحكمة والمصلحة، ولم يخلقه عبثا، انظر الآية (١٦) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢١، والآية (١١٥) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٦. يجعل سبحانه الآيات الدالة على الحكمة مفصلة واضحة ينتفع بها قوم يستعملون عقولهم ولم يهملوها فيكونوا كالأنعام كما في الآية (١٧٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٢، ثم أتبع هذه الآيات السماوية بالإشارة إلى جميع الآيات سماوية وأرضية، فقال ﴿إن في اختلاف الليل والنهار﴾ بما تقدم في الآية (١٦٤) من سورة البقرة صفحة ٣١، ﴿وما خلق الله في السموات والأرض﴾ من جمادات مختلفة، وحيوانات متنوعة، ونباتات لاتحصر، دلائل وبراهين على وجود صانع حكيم ينتفع بها قوم يتقون الله ويخافون عاقبة الإهمال، انظر آيتى (٢٧، ٢٨) من سورة فاطر صفحة ٥٧٥، ثم بين سبحانه حال من كفر بالبعث لغفلته عن النظر في الآيات فقال: إن الذين لا يرجون لقاءنا يوم القيامة للحساب، ورضوا بمتاع الحياة الدنيا، واطمأنوا بزخارفها، وارتاحت نفوسهم لشهواتها بسبب غفلتهم عن تدبر آياتنا، أولئك مسكنهم في الآخرة نار جهنم بسبب استمرارهم مدة حياتهم على اكتساب الخطايا. أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيهدى بهم ربهم بسبب إيمانهم الصادق وعملهم الصالح إلى دار السعادة حال كونهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم، ويكون دعاؤهم فيها

فِيهَا سُبْحَتِكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَتِهِمْ
 أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ وَلَوْ يَجْعَلُ اللَّهُ
 قَنَاسًا لَشَأْنُهُمْ لَيُخْفِرَنَّ لِقَايَ إِلَهُهِمْ أَجْلُهُمْ
 فَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٢﴾
 وَإِنَّا مِنَ الْإِنْسَانِ الْأَشْدُّوعَاتِ لَجَنِينٌ ۖ أَوْ قَائِمًا
 فَلَا كُنْفًا عَنْهُمْ وَهُمْ مُرْكَانُ لَدُنَّا ۖ إِنَّ شَرَّ
 مَسْمُومٍ كَذَلِكَ زَيْنَ الْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾
 وَلَقَدْ أَعْلَمْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكَ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ
 رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ۚ كَذَلِكَ نَجْزِي
 الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ
 مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ وَإِنَّا نُنْزِلُ عَلَيْهِمْ
 آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ ۚ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّتِ بِفِرْعَوْنَ

المفردات :- «لقضى إليهم أجلهم» : أى
 لقضى الله بوصول نهاية أجلهم إليهم، فالمراد
 لأهلكهم. «هتذر» أى هتترك . «يعمهمون» :
 أى يتحيرون ويرتبكون فلا يهتدون إلى صواب
 «القرون» : جمع قرن، تقدم بيانه فى الآية
 (٦) من سورة الأنعام صفحات ١٦٢، ١٦٣
 «خلائف» : أى خلفاء لمن قبلكم كما تقدم فى
 الآية (١٦٥) من سورة الأنعام صفحة ١٩٢،
 والآية (٧٤) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٤.
 المعنى :- يكون دعاؤهم هو قولهم :
 سبحانك اللهم، أى ننزهك عن كل نقص

بالله، وتحييتهم التى تحييتهم بها الملائكة هى قولهم : سلام عليكم من كل مكروه، انظر آيتى
 (٢٢، ٢٤) من سورة الرعد صفحة ٢٢٥، والآية (٢٦) من سورة الواقعة صفحة ٧١٤، وختام
 دعائهم : الحمد لله رب العالمين، انظر آخر سورة الزمر، ثم أراد سبحانه أن يبين حالاً من
 أحوال الإنسان التى جاءت الشرائع لتنظيمها بالصبر واستعمال العقل لأن تركها بدون تنظيم
 يجر إلى مخاطر كثيرة، وهو حب العجلة، وطلب الأشياء قبل أوانها، الذى يجر إلى التسرع
 فهما يضر تحت تأثير غضب أو عناد أو جهل أو استهزاء، انظر الآية (١١) من سورة الإسراء
 صفحة ٢٦٥ والآية (٣٧) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٤، ومن آثار هذه الحالة اندفاع المشركين
 إلى الاستهتار بتوعد الله لهم بالعذاب، وتخويفهم من يوم الحساب، انظر آيات (٧٠) من سورة
 الأعراف صفحة ٢٠٣ و (٢٢) من سورة الأنفال صفحة ٢٣١، و (٢٥) من سورة الملك صفحات

- | | | | |
|--------------|--------------|---------------|---------------|
| (١) سبحانك. | (٢) سلام. | (٣) دعواهم. | (٤) العالمين. |
| (٥) طغيانهم. | (٦) الإنسان. | (٧) بالبينات. | (٨) جعلناكم. |
| (٩) خلائف. | (١٠) آياتنا. | (١١) بينات. | (١٢) بقرآن. |

٧٥٦، ٧٥٧، فقال سبحانه في ذلك، ولو يعجل الله للناس، خصوصاً الذين لا يرجون لقاء ربهم، الشر الذي يستعملونه سفهاً كاستعمالهم للخير، وهذا الشر هو عذاب الإقناء، لأهلهم جميعاً، ولكنه سبحانه لم يعجل لأنه قدر لهذه الأمة البقاء إلى قيام الساعة؛ لذلك ترك هؤلاء الكفار في طغيانهم يتعبدون ولا يهتدون ليزدادوا إثماً فيزدادوا عذاباً.

ثم شرع سبحانه في بيان شأن آخر من شئون الإنسان هو أنه إذا اشتد به كرب لجأ إلى الله يدموه ليكشفه عنه، فإذا أنقذه نسي الله ولم يؤد حقه، انظر الآية (٦٧) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٢، فقال ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ﴾ كشدة مرض أو خوف من غرق مثلاً، دعا الله ليكشفه عنه من كل حال من أحواله، سواء كان مضطجعا لجنبه، أو قاعداً في داخل بيته، أو قائماً على قدميه، حائراً في أمره، فلما كشفنا عنه ضره مضى واستمر على ما كان عليه قبلاً من عصيان الله، ونسي حال البلاء كأنه لم يُصَبَّ ولم يدع إلى ضره منه.

كهذا النحو من معرفة الله في الشدة ونسيانه في الرخاء زين الشيطان للمسرفين في الكفر من طغاة مكة وغيرهم ما كانوا يعملون. ثم هدد كفار مكة بقوله: ولقد أهلكنا القرون الذين مضوا قبلكم كقوم نوح وعاد وثمود حين ارتكبوا الظلم، وأشدّه الشرك كما في الآية (١٢) من سورة لقمان صفحة ٥٤٠، والحال أن رسلكم جاءتهم بالبينات القاطعة على صدق ما جاءوا به، وما كانوا ليؤمنوا أبداً لو بقوا أحياء لتمكن الكفر من قلوبهم؛ كهذا الجزاء الشديد نجزي كل مجرم. ثم جعلناكم يا من أرسل إليكم محمد خلقاً لتلك الأمم التي عذبناها على عصيانها لننظر كيف تعملون بعد ما علمتم ما حل بهم، ونجازيكم على عملكم من خير أو شر، انظر الآية (٤١) من سورة الحج صفحة ٤٢٩. وعندما سفه المشركين على إنكارهم الوحي وأقام على ذلك الحجج، أراد أن يبين بعض جناياتهم المنافية لما أريد من استغلاظهم في الأرض فقال: ﴿وَإِذَا تَتَلَوْا﴾ إلخ؛ أي وإذا تلى على كفار مكة آياتنا المنزلة حال كونها واضحات في الدلالة على الحق، قال الذين لا يرجون لقاءنا المتقدم ذكرها قريباً للرسول الذي يتلو عليهم القرآن: إئت بقرآن إلخ ...

فَقَرَحْنَا لَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا بَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَقْدِيرِ
تَقْدِيرِ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنْ أَخَافُ إِنْ
عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٌ عَظِيمٌ ٥٠ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْهِمْ قُرْآنًا وَلَا أَدْرِيكُمْ بِهِ ٥١ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ
مُمِرًّا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٥٢ قُلْ أَكْبَرُ مِنْكُمْ
أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كُنْتُ بِبَيِّنَاتٍ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ
الْمُجْرِمُونَ ٥٣ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ
وَلَا يَضُرُّهُمْ وَيَقُولُونَ هَتَفَتُنَا بِعِصْيَانِ اللَّهِ قُلْ
أَتَعْبُدُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَنْفَعُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ٥٤ وَمَا كَانَ النَّاسُ
إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ
لَفُتِحَ بَيْنَهُمْ فِيهَا فَيَعْتَقُونَ ٥٥ وَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلْنَا

المفردات :- «تلقاء نفسى» : أصل تلقاء
اسم مصدر من لقى كرضى لقاء، وأريد به
ظرف مكان نحو جهة أو عند كما فى الآية
(٢٢) من سورة القصص صفحة ٥٠٩ . «لبثت
فيكم عمرا» : أى مكثت فى وسطكم عمرا
طويلا .

أمة واحدة فاختلّفوا تقدم بيانها فى الآية
(٢١٣) من سورة البقرة صفحات ٤١ ، ٤٢ .
«كلمة سبقت من ربك» : هى وعده سبحانه
وتعالى بتأخير جزائهم التام إلى يوم القيامة
و«لولا» حرف يدل على المبالغة فى طلب ما
بعده .

المعنى :- إئت يا محمد بقرآن غير هذا

ليس به ما لا نعقله من البعث، ولا ما نكرهه من ذم الهتاف، أو بدله بأن تجعل بدل الآية التى
فيها ما لا نريد آية أخرى فيها ما نحب، وكان سؤالهم هذا مكيدة وخدعة يطمعون أن يجيبهم
ﷺ إلى ما يطلبون، فيعلموا فى الناس أن محمداً كاذب فى قوله إن هذا القرآن من عند الله،
لأننا طلبنا منه قرآنا غيره فجاء به . فرد سبحانه طلبهم التبديل بقوله : قل لهم ما يصح لى
حتى لو فرض المحال وكنت أستطيع أن أبدله من عند نفسى ما أتبع فيه إلا ما يوحى به ربي إلى
بدون تصرف فيه، لأنى أخاف إن عصيت ربي بالتصرف فيه عذاب يوم عظيم الخطر . ثم لقنه
الجواب عن السؤال الأول، وفصله عن الثانى لأهميته، فقال : وقل لهم ردّا على الاتيان بغيره :
ليس هذا القرآن من عندى حتى أتاكم بغيره، بل هو من عند الله، ولو شاء عدم إنزاله على ما
تلوته عليكم، حتى لو شاء أن يذهب من قلبى لفعل كما فى الآيات من (٨٥ إلى ٨٨) من سورة
الإسراء صفحة ٣٧٦ وبذلك ما كنتم تدرون بشئ منه . ثم أرشدهم إلى الدليل القاطع بصدقه
وجعلهم فقال : «فقد لبثت» إلخ، أى كيف تطلبون هذا مع أنى أقمت فيكم وخالطتكم تمام
المخالطة أربعين سنة لم تعرفوا عنى فيها أنى خطيب كفعول خطبائكم، بل ماكنت أعلم شيئا

من علوم هذا القرآن حتى الإيمان الصحيح ماكنت أعرفه، انظر آيتي (٤٨) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٧، و (٥٢) من سورة الشورى صفحة ٦٤٦، فهل تجهلون كل هذا أهلاً تعقلون استحالة الإتيان بمثل هذا القرآن من مخلوق خصوصاً مثلي في الأمية، ثم أراد أن يبين لهم أن شر أنواع الظلم شيطان، الأول افتراء الكذب على الله كالذي كانوا يقترحونه على النبي ﷺ، والثاني التكذيب بآياته كما كذبوا، لأن كلا منهما جرم شنيع، والمقرر في سنة الله سبحانه الجارية في خلقه أن المجرم لا يفلح أبداً، انظر آيات (٢١، ١٤٤) من سورة الأنعام صفحات ١٦٥ - ١٨٧، و (٢٧) من سورة الأعراف صفحات ١٩٧، ١٩٨ ثم بين سبحانه ماجراهم على الكفر فقال ويمبدون من دون الله مخلوقات لاتصبرهم إذا لم يعبدوها، ولاتتمتعهم إن عبدوها ويقولون لتسير عبادتهم هؤلاء الذين نتقرب إليهم بالذبائح والذور والطواف حولهم والاستعانة بهم لأنهم مقربون إلى الله، فبواسطتهم يقربوا إليه بشماعتهم لما أنا عصاة والمعاصي لا يصح أن يحاطب ربه، هالمنكرون البعث بشفعون لهم في رفع بلاء الدنيا وكثرة الخير، انظر الآية (٢٨) من سورة النحل صفحة ٣٥٠، والشاككون فيه يحناطون بعملهم هذا خوف أن يكون البعث صحيحاً، انظر الآية (٢٦) من سورة الكهف صفحة ٢٨٦، و (٥٠) من سورة فصلت صفحة ٦٢٧، فرد سبحانه عليهم بقوله (قل اتبئنون) إلخ أي اتبئروا الله بما لا يعلم له أصلاً لا في السموات ولا في الأرض، وما لا يعلمه الله مستحيل أن يوجد، لأنه لو كان هناك شفعاء في السموات كالملائكة، أو في الأرض كمعبودات المشركين نُعَلِّمُهُ، سبحانه وتعالى عما يشركون ثم أراد سبحانه أن يسلي رسوله بأن اختلاف الناس طبع من طبيائهم فلا تحزن إذا لم يتبعوك جميعاً، فقال وما كان الناس في حال من الأحوال إلا أمة واحدة مميرة عن جميع أمم الحيوانات الأخرى المشار إليها في الآية (٢٨) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨، لها خصائص العقل والتفكير، وذلك يستدعي الاختلاف تبعاً لاختلاف الرغبات كما تقدم تحقيق ذلك في الآية (٢١٣) من سورة البقرة صفحات ٤١، ٤٢، ولولا كلمة مسقت من ربك بأن يؤخر جرائهم ليوم القيامة لمجله لهم في الدنيا وقصى بينهم فيما احتلمون فيه ياهلاك المبطل منهم وبجاة المصلح، انظر الآية (٩٢) الآتية صفحات ٢٨٠، ٢٨١، وبعدما أبطل سبحانه حديمتهم باقتراح تبديل القرآن شرع في بيان نوع آخر من تعنتهم وتبريرهم الكفر بنبونه ﷺ، وهو ادعائهم أنه لو كان رسولا حقاً لأمر الله تعالى عليه معجزة موسى وعيسى، أو معجزة مما يقترحونه عليه، انظر الآيات (٥) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٠، و (٧) من سورة الفرقان صفحة ٤٧١، و (٤٨) من سورة القصص صفحات ٥١٣، ٥١٤، و (٥٠، ٥١) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٨، وغير ذلك.

عَلَيْهِ نَايَةٌ مِنْ رَبِّهِ . قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ فَأَنِظُوا لِي آيَاتِي
مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ⑩ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ
بَعْدِ صَرَاءٍ مِنْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فَايَاتِنَا قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ
مَكْرًا إِذْ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ⑪ هُوَ الَّذِي
يُسَوِّدُ لَكَ فِي الْبَحْرِ سَحَابًا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِذَا هَمُوتُمْ فِي الْمَلِكِ
وَرَحِمَتِ يَوْمَ يَرْجِعُ طَيْفَهُمْ وَمِنْ رَحْمَتِنَا جَاءَتْهُمُ عَصَافٌ
وَجَاءَهُمُ الْغَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَلُّوا أُنْجُوتُ أَيُّهَا
دَعَا اللَّهُ تَحْلِيصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَمْ يُجِئْتُمْ مِنْ هَدْيِهِ
تَكُونُ مِنَ الشَّاكِرِينَ ⑫ قُلْنَا أَجْهَلْتُمْ إِذَا هُمْ يَنْجُرُونَ
فِي الْأَرْضِ وَفِي الْبَحْرِ بَنَاءِنَا لِلنَّاسِ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ أَنَّ
أَنْفُسَكُمْ تُتَعَمَّقُ الْخَيْزُورَةُ اللَّهُ تَعَالَى ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ⑬ إِنَّمَا مَثَلُ الْخَيْزُورَةِ الْذُنُوبُ كَمَا

المفردات: «مكر فى آياتنا»: المكر هو
التدبير الخفى شرا أو خيرا، والمراد مكر
بالظن فى آياتنا.

«أسرع مكرًا»: من أسرع سرعا بوزن
صفر إذا صار سريعا.

«رسلنا»: هم الحفظة المشار إليهم فى
الآيات (١٠، ١١، ١٢) من سورة الانفطار
صفحتى ٧٩٥، ٧٩٦.

«الملك»: يطلق على السفينة الواحدة
وعلى الجمع.

«ريح عاصف»: أى شديدة قوة تعصف كل ما يلاقها.

«أحيط بهم»: أى أحاط بهم الموج فلا خلاص لهم من الهلاك.

المعنى . قل لهم أيها النبى فى رد طلبهم الآيات: إنما الآيات من عند عالم الغيب سبحانه
وتمالى، فهو الذى يعلم الآيات وأوقات مرورها حسب حكمته، وأنا لا أعلم إلا ما يوحى به إلى،
فانتظروا ما يفعل الله بى وبكم إني معكم منتظر.

وفيه تهديد لهم بالمذاب، انظر آيتى (١٠١، ١٠٢) من هذه السورة صفحة ٢٨٢، والآية (٩)
من سورة الأحقاف صفحة ٦٦٧.

ثم أراد سبحانه أن يبين طبيعة عبادهم فى صورة أخرى فقال «وإذا أذقنا الناس» أى وإذا
أذقنا هؤلاء الكفار أثرا من آثار رحمتنا كصحة وغنى من بعد صراء مستهم كمرص وقحط ما

كان منهم إلا المبادرة إلى المكر بالطعن في آياتنا المنزلة للهداية. ويتشكك الضعفاء فيها والاحتتيال على إبطال أثرها في النفوس. قل أيها النبي لهؤلاء الذين يسرعون في المكر: الله أسرع مكرًا منكم، لأنه سبق أن قدر أنه سيقا قبكم على خبتكم في الدنيا قبل الآخرة.

ثم أكد ما سيحصل لهم بقوله: إن رسلنا يَكْتُبُونَ كل ما تمكرون به في ضعفكم فلا تظنوا أن مكركم خاف علينا، والله هو الذي سحر لكم البحر والرياح والملك والدواب وغيرها لتسيروا بها في البر والبحر حتى إذا كنتم في أشاء سيركم في البحر راكبين في السفن وجرت بهؤلاء الكفار، وإنما لم يقل «بكم» إعراسًا عن خطابهم احتقارًا لهم، بريح لينة موافقة لفرضهم، وفرحوا بسهولة الريح، بينما هم كذلك هبت على سفنهم ريح شديدة تحطم كل ما يلاقيها، واضطرب البحر، وأحاط بهم الموج حتى اعتقدوا أنهم هالكون، دعوا الله في تلك الحالة ليكشف عنهم، مخلصين له في الدعاء والطاعة، فأنزل يارب وعزتك لئن أنجيتنا من هذه الشدة لنكونن من الشاكرين لنعمتك بالتوحيد والطاعة؛ لأن الشدة بهت الفطرة، ورفضت عنها الفطاء الباطل الذي أهملوها به من اتباع الآباء وتقليد الشهوات.

قال الألوسي في تفسيره: ومن المحزن أن يكون حال المسلمين الآن أنعم من حال مشركي العرب؛ لأن كثيرًا منهم الآن إذا وقع في شدة يستجعد بغيره تعالى، مع أن المشركين سوا فيها كل ماعداء، فلا حول ولا قوة إلا بالله فلما استجاب الله دعائهم ونجاههم من الفرق إذا هم يماجنون الناس في الأرض التي وصلوا إليها بالبقي عليهم والظلم، يعيدون عن الحق الذي كان يجب أن يكون منهم شكرًا لله ثم هددهم سبحانه هم وأمثالهم بقوله: يا أيها الناس الضالون الماعلون إنما وياي بفيكم عائد على أنفسكم؛ لأنه إنما تتمتعون به متاع الدنيا العانية ثم إليا مرجعكم في الآخرة فتنبهكم بملككم الذي داومت عليه، ونجازيكم شر الجراء. ثم أراد سبحانه أن يصور حقارة المتاع الفاني بما يمنع الماقل من البقي لأجل الحصول عليه فقال سبحانه وتعالى: ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء﴾ إلخ.

أَنْزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ مَائِدَتًا مَائِدَةً تَبَاطَلَتْ بِهَا الْأَرْضُ بِمَا
يَاكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَغْبَتِ الْأَرْضُ
وَرُحُمَهَا وَأَرَبَّتْ وَعَلَى أَعْيُنِهِمْ فَتَدْرُونَ عَلَيْهَا نُجُومًا
أَمْثَرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ
وَالْأَنْبِيَاءُ كَذَلِكَ يُعْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾
وَأَنَّهُ يَدْعُهُمَا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي إِلَى بَيْتٍ مُّبِينٍ
مِصْرًا مُّصْفًى ﴿٢٢﴾ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ
وَلَا يَرَوْنَ دُجُوهَهُمْ قَتَرًا وَلَا ذِلَّةً أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
كُمُومٌ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ كُتِبُوا الشَّقِيَّةَ لَهُمْ
سَيِّئَةٌ يَمْنُنُهَا رَبُّهُمْ بِدَلَّةٍ مِّنْ أَمْرِ هُوَ لَمْ تَصْبِرْ
لِئَلَّا تُصِيبَهُمْ تَطْعَمًا مِّنَ النَّارِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَهُمْ فِيهَا نَجْمٌ دِيمَجٌ

المصدرات: ﴿أناها أمرنا﴾: أى نزل بها
أمرنا المقدر لإهلاكها.

﴿حصيدا﴾: أى محصورا، والمراد هالكًا
كما فى الآية (١٥) من سورة الأنبياء صفحة
٤٢١.

﴿لم تغن بالأمس﴾: أى كان لم يكن
موجودا نباتها بالأمس، انظر الآية (٦٨) من
سورة هود صفحة ٢٩٤.

﴿وزيادة﴾: هى النعيم الروحى بالنظر إلى
وجهه الكريم.

﴿لا يرهق وجوههم﴾: يقال رهقه الشيء

إذا ثعلب عليه حتى غطاء مع تصايقه منه، ويقال أرهقه، انظر الآية (٧٢) من سورة الكهف
صفحة ٣٩١.

﴿فتس﴾: هو الدخان الصاعد من اللحم المشوى، ويكون مشويا بشيء من الدهن، فإذا علق
غيره بالوجه قبح منظره وفيها إشارة إلى أنه صاعد من شئ جنوبهم بالنار

﴿أعشيت﴾: جعل لها غشاء وغطاء.

المعنى: إن مثل متاع الدنيا فى اقتتان الناس به مع سرعة زواله مع ظنهم أنهم تمكنوا منه.
كمثل الأرض التى نزل عليها الماء فأنبتت أنواعا شتى من النباتات تشابكت بسبب الماء أغصانه
وأوراقه واحتلط بعضها ببعض من قوة نموه وكثرة أغصانه، وكان فى هذا النبات ما يعذى
الإنسان والحيوان كما فى الآية (٥٤) من سورة طه صفحة ٤١٠، والآية (٢٤) وما بعدها من

سورة عيسى صفحة ٧٩٢، حتى إذا استوفت الأرض حسنها وبهنتها، وأريت بأشكال الناس والوانه، وظن أهلها أنهم قادرون على التمتع بها، أمرنا بإهلاك كل ما فيها في ليل أو نهار على عرة منهم، فلم يبق من رزقها شيء حتى كأنه لم يكن موجوداً بالأرض كهذا المثل في بيانه لحقيقة الدنيا وغرور الناس بها وسرعة روالها بمصل الآيات في حقيقة التوحيد وأحوال التشريع تفصيلاً ينتفع به المكرون دون الغافلين.

وبعد ما بين سبحانه عرور الغافلين اتبع ذلك بما يسعى أن يكون عليه المؤمن مع المقارنة بين حال كل منهما فقال ﴿والله يدعو﴾ إلج، أي إذا كان الإسراف في حب الدنيا والسعي للحصول عليها يدعو إليه الشيطان فيسوق منبهمه إلى دار الهلاك، فالله تعالى يدعو عباده إلى دار السلام وهي الجنة التي فيها السلامة من كل كدر وتحية أهلها السلام، ويهدي من يشاء ممن حسن استعداده إلى طريق الخير، ويجاري الدين أحسنوا أعمالهم بالثبوت الأكثر حسناً، لأنها مضاعفة إلى عشر، انظر الآية (١٦٠) من سورة الأنعام صفحة ١٩١.

ويزيدهم من فضله بسيم روحى عظيم ويصون وجوههم فلا يمشاها عبدة ولا ذل أولئك المحسنون هم أصحاب الجنة وحدهم خالدين فيها.

و الذين عموا السيئات من الكفر والمعاصي حراء كل سيئة منهم مقدرة بمثلها فقط، وترهقهم دلة، ولا يعصمهم أحد، ولا يمنع عنهم عذاب الله، وبلغ من سواد وجوههم أنها تصير كأن رجالاً غطاهما قطعاً بعضها فوق بعض من ليل شديد الظلمة ليس فيه نور قمر ولا لمعان نجم، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، انظر آخر سورة عيسى صفحة ٧٩٢.

واذكر أيها النبي لعريقى الناس المتقدم ذكرهم يوم نحشرهم جميعاً في موقف الحساب، انظر الآية (٢٢) من سورة الأنعام صفحة ١٦٥، والآية (١٧) من سورة المرقاں صفحة ٤٧٢، وغير ذلك كثير.

المفردات: ﴿مكانكم﴾ المراد ألزموا مكانكم أنتم وشركاؤكم لاتعاديروه حتى نمصل بينكم ﴿فزيلنا بينهم﴾ أصله من ربت الشيء عن مكانه أى باعدته عنه، فالمراد هرقنا بينهم

ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ هُمْ يَتَّبِعُونَ ۚ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَجِدُونَ ۚ فَكُنْ بِاللَّهِ شَهِيدًا يَتَّبِعُونَ ۚ وَتَبَيَّنَ ۚ هَذَا مِنْ مَدَائِكَرُ الْغَيْبِ ۚ هَذَا لِكَيْ تَبْلُغُوا كُلَّ نَفْسٍ مِمَّا أُنْفَخَتْ وَرَدُّوا إِلَى اللَّهِ مُوَلِّينَ ۚ وَصَلَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۚ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّحَابَ وَالْأَنْهَارَ ۚ مَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ ۚ فَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ قُلْ أَعَلَا تَتَّقُونَ ۚ قَدْ يَكُرُّ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَيُّ قَدْ دَا بَعْدَ الْحَيِّ إِلَّا أَفْكَلٌ ۚ فَأَنْتُمْ تُخَرَّمُونَ ۚ كَذَلِكَ حَقَّتْ لِكَلِّتِ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَتَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۚ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مِمَّنْ سَخَذَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ

فَتَحْصِمُوا وَتَقْطَعُ مَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنْ عِلَاقَاتٍ، انظر الآية (١٦٦) من سورة البقرة صفحة ٣٢، والآية (٩٤) من سورة الأنعام صفحة ١٧٨.

﴿هَذَا لِكَيْ تَبْلُغُوا﴾ أى فى مكان الحشر

تحتبر كل نفس

﴿مَا أُنْفَخَتْ﴾: أى قدمت من عمل.

﴿وَصَلَ عَنْهُمْ﴾ أى ذهب وعاب.

﴿يُفْتَرُونَ﴾: أى يعتلفون من الكذب.

﴿أَمْ مَنْ يَمْلِكُ﴾: أصلها أم من يملك، وأم حرف يدل على الانتقال كحرف بل.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ إلخ؛ تقدم فى

الآية (٩٥) من سورة الأنعام صفحة ١٧٨. ﴿فَأَنْتُمْ﴾ فكيف ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ أى حكمه.

المعنى . لما قيل فيما تقدم ما لهم من الله من عاصم، بيَّنه بذكر ما سيكون من عدم نفع شركائهم بقوله فنقول للمشركين منهم الرموا مكانكم أنتم وما جعلتموهم شركاء لله حتى نقضى فى أمركم، وقطعنا ما كان بينهم من علاقات حتى تحاصموا ونبرأ بعضهم من بعضهم ولما كان ما أشركوا به أنواعا كثيرة منها الشمس والقمر كما فى الآية (٢٤) من سورة النمل صفحة ٤٩٧ والسحوم كما فى شرح كلمة الصابئين فى الآية (٦٢) من سورة البقرة صفحتى ١٢، ١٣ والبقر عند مجوس الهند وقدماء المصريين، والأصنام والملائكة كما فى الآية (٤٠) من سورة سبأ صفحة ٥٦٨، والمسيح والمريير، والأخبار والرهبان كما فى الآية (٣١) من سورة التوبة صفحة ٢٤٥، ولما كان أكثر ما ذكر حمادات يبعد أن تحشر وتحاصم، وكان أساس كل الشرك هو إبليس وحيوده، صح هنا أن يكونوا هم المقصودين بقوله ﴿وشركاؤكم﴾ انظر نسبة الشرك إلى الشياطين فى الآيات (١٠٠، ١٢١، ١٢٨) من سورة الأنعام صفحات ١٧٩، ١٨٢،

١٨٤، والآية (٣٠) من سورة الأعراف صفحة ١٩٦، والآية (٢٢) من سورة إبراهيم صفحة ٢٣٢، والآية (٢٩) من سورة فصلت صفحة ٦٣٢، وهذا لا يمنع أن يسأل بعض معبوداتهم العاقلة في موقف آخر كما في الآية (١١٦) من سورة المائدة صمحتى ١٦٠، ١٦١، وقال شركاؤهم ما كنتم تعبدوننا، أى إنما كنتم تعبدون شهوراتكم التى أطعتموها باختياركم كما في الآية (٢٢) من سورة إبراهيم صفحة ٢٣٢، وإذا أنكرتم فأنله شهيد عليكم وشهادته تكفى وتفى عن كل شهادة، ثم بلغت بهم الحيرة والدهشة جدا جعلهم كالمجانين يكذبون الكذب المضجج، فقالوا إنا كنا عاقلين عن عبادتكم وطاعتكم لما، كما فعلت هذه الدهشة فعلها بالمشركون في آيات (٢٢، ٢٣، ٢٤) من سورة الأنعام صفحة ١٦٥.

فى هذا الموقف المصيب تعتبر كل نفس مؤمنة أو كاهنة ما قدمت من عمل، فتشاهد نعمه أو ضرره أتم مشاهدة، ورد هؤلاء المشركون إلى حراء الله مولاهم الحق لا ما اتخذوهم آلهة بالباطل، وغاب عنهم ما كانوا يفترونه من أن لهم شمعاء يشفعون لهم، قل أيها البنى لهؤلاء لمشركين لهم يتبهنون: مَنْ يرزقكم من السماء بسحب المطر والشمس والأرض بغيراتها، بل أسألكم عما ينصل بدواتكم وأقول: مَنْ يملك التصرف فى أسماعكم وأبصاركم بهذا الصنع المعجب ويحفظها مع كثرة تعرضها للتلطف وَمَنْ يخرج الحى من الميت وبالعكس، وَمَنْ يدبر أمر العالم كله؟

فسيقولون بلا تردد الذى يفعل كل ذلك هو الله وحده، إذ لا مجال للمكابرة لغاية وصوح عجز المعبودات عن شيء من ذلك، فقل لهم أبعد ذلك تشركون به فلا تتقون عذابه، ثم قرر نتيجة ما تقدم فقال: فذلكم المتصف بالصفات التى اعترهتم بها هو ربكم الحق فهل بعد الحق شيء يتبع إلا الصلال، فكيف تصرفون عن الحق؟ وكما ثبت أنه ليس بعد الحق إلا الصلال ثبتت كلمة ربك، أى حكمه على الذين هسقوا أنهم لا يؤمنون، ماداموا مصممين على المسق ثم احتج عليهم بشيء آخر فقال على سبيل التوبيخ وإلزام الحجة مع إهمال إنكار بعضهم البعث لأنه لا يصح أن يلتفت إليه، ولأنه كابتداء الخلق سواء بعواء، بل الإعادة أهون، انظر الآية (٢٧) من سورة الروم صفحة ٥٢٤، فقال: قل لهم هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيد المكلف منه للحساب، والمراد إذا كنتم مؤمنين بأن الله هو الذى خلقكم من العدم فيجب أن تؤمنوا بأنه هو الذى يحييكم.

(١) يبدأ (٢) أم من - (٣) القرآن (٤) الكتابي (٥) الماليين (٦) اقتراء (٧) صانعين

مستندا إلى حيالات، والظن مطلقا فصلا عن الضميف منه لا يفتى عن اعتقاد الحق شيئا من الإغناء ولو قليلا، لأن العقائد لابد فيها من العلم القاطع، وإنما قال أكثرهم لأن قليلا منهم كان يعلم الحق تمام العلم ولكن ينكرو حسدا واستكبارا كما هي الآية (١٤) من سورة النمل صفحة ٤٩٥، إن الله يعلم بفعلهم وسيحاربهم شر الجراء. ولما كان عمدة الدين هو القرآن اهتم سبحانه بإقامة الحجج على بطلان كل ما يعاولون به صرف الناس عنه، فبعدما أبطل مكرهم هي الآية (١٥) من هذه السورة صفحتي ٢٦٧، ٢٦٨، أراد هنا أن يعرّسهم بحجة أخرى لا تمكنهم المكابرة فيها فقال: ﴿وما كان﴾ إلح، أى لا يصح أن يكون هذا المعجر لجميع البشر هي أسلوبه ومضاه معتري من أحد على الله، ولكنه كان تصديق كل ما سبقه على لسان الرسل، كدعوة إبراهيم هي الآية (١٢٠) من سورة البقرة صفحة ٢٥، وبشارة موسى وعيسى به ﷺ كما هي الآية (١٥٧) من سورة الأعراف صفحتي ٢١٧، ٢١٨، وتقصيل ما أجمل في كتب موسى وعيسى، لأشياء فيه محل للشك، لأنه تنزّل من رب العالمين، ثم بعد ما بيّن سبحانه أن القرآن أصبى من أن يعتري، انتقل إلى حكاية عبادهم ووعدهم أن محمداً افتراء ليطلها فقال مكرراً عليهم أم يقولون أن محمداً افتراء؟ فإن قالوا ذلك فقل تكينا لهم ونمحيهم ما أتوا بسورة ولو قصيرة تكون مثله هي أسلوبه وتأثيره وعلمه بجميع أسرار الحلق ما وجد منها وما لم يوجد مما أثبتت الأيام صدقه فيه، وادعوا لمساعدتكم من استطعتم دعوته من الإس والجن إن كنتم صادقين في أن محمداً افتراء، لأنكم بشر مثل محمد، بل هيكم من اشتهر بالخطاة قبل محمد كما تقدم في الآية (١٦) من هذه السورة صفحة ٢٦٨. وكما سيأتى في الآية (٨٨) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٦، وبعد ما أقام عليهم الحجة انتقل إلى بيان بعض ما كذبوه من القرآن لظنهم أنه محال أو لكراهتهم لوقوعه، وهو ما أنذرهم به من عذاب.. يحل بهم في الدنيا والآخرة إذا لم يؤمنوا، فقال ﴿بل كذبوا﴾ إلح، كذبوا بما لم يعلموه من جميع وجوهه حتى يصح لهم الحكم الصحيح، والحال أن هذا العذاب الذي لم يقع لهم إلّا الآن سيقع قطعاً، انظر الآية (١٥٣) من سورة الأعراف صفحة ٢١٦، وهذه هي عادة الكفار مع رسلهم فكما كذب هؤلاء رسولنا محمداً لما توعدهم بالعذاب كذب الدين من قبلهم رسلهم، ولكنه وقع رغم تكذيبهم فانظر أيها السامع كيف كانت عاقبتهم، انظر الآية (١٠٥) وما بعدها إلى الآية (٢٠٩) من سورة الشعراء خصوصاً الآية (١٢٨)، والآية (١٨٧) صفحات من ٤٨٦ إلى ٤٩٢

صَكَدَ مَقْبَةُ الظَّالِمِينَ ⑤ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ
وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ⑥
وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٌ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ
مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بِرَبِّي أَقِيمٌ تَعْمَلُونَ ⑦ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا
لَا يَسْمَعُونَ ⑧ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي
الْأَعْمَى وَلَوْ كَانَ لَا يَبْصِرُونَ ⑨ إِنْ أَفْكَرَ لَا يُظْلِمُ الْإِنْسَانُ
شَيْئًا وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ أَنْفُسُهُمْ يُظْلِمُونَ ⑩ وَلَهُمْ يَحْسِرُهُمْ
مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ⑪ إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَذَكَّرُونَ فِيهَا
قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِآيَاتِنَا وَلَكِنَّ رَبَّنَا لَذِي نُفُوسٍ أَلْفٍ عَشْرٍ ⑫
مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ⑬ وَلِكُلِّ

المصدرات :- «لَمْ يَلْبَثُوا» :- أى لم يمكثوا .
«وَأَمَّا نَرِيكَ» - أصلها إن يكسر فسكون ما
بريك، وما حرف يدل على شدة ارتباط
الشرط «نَرِيكَ» بالحرء
«هَلِيتُمْ مَرْجِعَهُمْ» .

المعى - هتامل كى تعلم على أى حال من
الهلاك كانت عاقبة الظالمين ومن كمار
قومك أيها النبى من يؤمن فى الباطن بان
القرآن كلام الله حقا وإنما يكذبه فى الظاهر
حسداً وكبرا كما كان حال اهل الكتاب وقوم
فرعون، انظر الآية (١٤٦) من سورة البقرة
صفحة ٢٨، والآية (١٤) من سورة النمل
صفحة ٤٩٥ .

ومهم من لا يؤمن به جهلا وتقليدا لغيرهم، ومن هؤلاء من فى آيتى ٤٢، ٤٣ هنا، وربك
أعلم بمن يفسد فى الأرض بالشرك والظلم، وإن أصروا على تكذيبهم فقل لهم لى عملى لا
أحارى إلا عليه، ولكم عملكم لا تحارون إلا عليه، كما فى الآية (٥٢) الآية صفة ٢٧٤، والآية
(٥٤) من سورة النور صفة ٤٦٦، هانتهم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون فميه تهديد
لهم ليتنبهوا من غفلتهم، انظر الآية (٢٥) من سورة هود صفة ٢٨٩، والآية (٢١٦) من سورة
الشعراء ٤٩٣، ومن هؤلاء المشركين أناس يستمعون إليك إذا قرأت القرآن أو بيت ما فيه من
المبر، ولكن لا يفهمون ولا يستمعون، فهم كالصم، أفأنت تسمع الصم ولو جمعوا مع الصم عدم
العقل، انظر الآية (٢٥) من سورة الأنعام صفحتى ١٦٥، ١٦٦

ومنهم فريق ينظر إليك ولكن لا يبصرون ما آتاك الله من نور الإيمان وهيبة الخشوع وسكينة المؤمنين، فهم كالمعمى أهانت تهدى العمى ولو جمعوا مع البصر فقد البصيرة، انظر الآية (١٧٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٢.

وإنما جمع المستمعين وأعد الناظر للإشارة إلى كثرة السامعين، لأن السامع يسمع من كل جهة، أما الناظر فلا يرى إلا ما أمامه، إن الله لا يظلم الناس شيئاً من الظلم ولو قليلاً، فلا يعاقبهم قبل أن ينبههم إلى الحق ويرسل الرسل ويعطيهم العقول، فإذا فرطوا بعد ذلك فلم يظلموا إلا أنفسهم بعد استعمال ما وهبهم الله فيما خلق لأجله، ثم خوفهم بما سيلاقىهم يوم القيامة من الشدائد التى تسببهم كل ما مضى، وتجعل الساعة فيها كآلاف الأعوام، فقال «ويوم نحشرهم» إلخ أى واذكر لهم أيها النبى يوم يحشرهم الله فيتوهمون من شدة الهول أنهم لم يمشوا فى الدنيا رمزاً بما فيه مدة القبور إلا لحظة من نهار لا تتسع إلا لمقدار تعارفهم فقط ثم ترول، انظر الآية (٥٥) من سورة الروم صفحة ٥٢٨، والآية (٢٥) من سورة الأحقاف صفحتى ٦٧١، ٦٧٢، وآخر سورة البازعات صفحة ٧٩١.

قد حسر هؤلاء المكذبون باليوم الآخر كل خير، وما كانوا هيماً احتاروا لأنفسهم مهتدين لطريق التجارة الرباحة المشار إليها فى آيتى (١٠، ١١) من سورة الصف صفحة ٧٢٩، وبعدما وبهم على تكذيبهم بما لم يعلموه مما لم يأتهم إلى الآن فى الآية (٣٩) هنا، أراد أن يؤكد لهم وقوع ما وعدهم به من العذاب سواء فى زمن حياته ﷺ أو بعدها قطعاً لأطماعهم فى أنه لو مات ﷺ فإنهم يأمنون بزول العذاب، فقال: «وإما نريكم» إلخ، أى وإن نريك بعض الذى نمدهم به من عذاب الدنيا أو نتوفاك قبل نزوله فى الحالىين لا مرجع لهم إلا إلينا أى فلايد من عذابهم، شاهدت أنت أيها النبى أم لم تشاهده، لأن الله وحده هو الشهيد على العالم بكل ما يفعلون، فلا فائدة لهم فى انتظار موتك، لأن العذاب واقع ولايد، انظر آخر سورة طه صفحة ٤١٩، وآيتى (٤١، ٤٢) من سورة الزخرف صفحة ٦٥١، وأول سورة الطور صفحتى

أَمَّا رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ فَيَقُولُ بِهِنَّ بِالْقِسْطِ
وَهُنَّ لَا يَطْلُبُونَ ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا
نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ
فَلَا يَسْتَفِيدُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿١٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ
إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُمْ بَيِّنَاتٌ لَوْ تَرَاءَوْا مَاذَا يَسْتَعِجِلُ بِهِ
الْمُتَعَمِّرُونَ ﴿٢٠﴾ أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْسَمُ بِهِ ؕ أَلَمْ يَكُنْ وَقَدْ
كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا
عَذَابَ الْخُلُقِ هَلْ تَجْعَلُونَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٢﴾
وَيَسْتَفِيدُونَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّى وَإِنِّى لَخَشِى
وَمَا أُنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٢٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلْحَكَمِ نَفْسٍ مَلَكٌ
مَّا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرَأَ الدَّامَةُ تَعَارَاوًا

المعصيات: ﴿القسط﴾ - العدل.

﴿أرايتم﴾ - أى أخبروني كما تقدم فى الآية

(٤٠) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨.

﴿بيئات﴾: أى فى الليل كما فى الآية (٤)

من سورة الأعراف صفحة ١٩٢.

﴿أتم إذا ما وقع﴾ - الهمة للاستفهام

المراد به التوبيخ، وثم حرف عطف على

مقدر والأصل تستعجلون العذاب استهزاء ثم

إذا وقع أمتهم بصدق الوعد به ﴿الآن﴾

الهمة للاستفهام التوبيخى أيضاً.

﴿يستنبئونك﴾: يطلبون منك النبأ أى الخبر.

﴿أحق هو﴾ - أى العذاب الذى تتوعدا به

والاستفهام منهم على جهة الإنكار

والاستهزاء.

﴿إي وربي﴾ - إي حرف بمعنى نعم، أى نعم وحق ربي ﴿بمعجزين﴾ - لا تعجزون من يطلبكم

ليوقع بكم العذاب.

المعنى - لكل أمة يوم القيامة رسول تنتسب إليه، فإذا جاء رسولهم للموقف ليشهد عليهم

بما لا قوا به دعوته من إيمان وطاعة أو كفر ومعصية، قضى الله تعالى بينهم بالعدل، وحكم

سحابة المؤمنين وعقاب الكافرين، ولا يظلم منهم أحدا شيئاً، انظر الآية (٤١) من سورة النساء

صفحة ١٠٧، والآية (٧١) من سورة الإسراء، صفحة ٢٧٤ ويقول كهار قرش للنبي ﷺ ومن معه

من المؤمنين متى يتحقق هذا الوعد الذى وعدتمونا فيه العذاب كما فى آيتي (٣٩، ٤٦) من

هذه الصورة صفحتي ٢٧٢، ٢٧٣، وآيتي (٢٣، ٢٤) من سورة الحن صفحة ١٧٢، إن كنتم

صادقين هي قولكم ان الله تعالى سينتقم لكم ما. ولئن سبحانه نبيه الحواب بقوله ﴿قل لا املك﴾ إلخ، اى إنما أنا بشر مثلكم لا املك لنصى فضلاً عن غيرها شيئاً من لتصرف حتى ادفع عنها الضر او اجلب لها النفع، فكيف املك شئونكم حتى اتسبب في إتيان عذابكم الموعود حسبما تريدون، ولكن ماشاء الله لابد ان يكون، ولا شأن لى فيه لأنه حاص به تعالى، انظر الآية (١٨٨) من سورة الأعراف صمحتى ٢٢٣، ٢٢٤، ثم أحاب سبحانه على سؤالهم فقال ﴿لكل أمة أجل﴾ حدد الله تعالى لبقائها وهلاكهم لا يستأخرون عنه لحظة كما أنهم لا يتقدمون عليه لحظة، انظر الآية (٣٤) من سورة الأعراف. وقل لهم أيها النبي احبروني عن حالكم وما يمكنكم عمله إذا أناكم عذاب الله الذى تستعجلونه وقت مبيتكم هي الليل، أو وقت اشتغالكم بلهوكم ومعاشكم في النهار، انظر آيات (٤، ٩٧، ٩٨) من سورة الأعراف صمحتى ١٩٢، ٢٠٨، فأى شيء من العذاب تستعجلونه أيها المحرمون والعذاب كله مكروه لا يستعجله إلا سعيه أو مجنون؟ فهل تستعجلون بالعذاب أيها المجرمون ثم إذا وقع بالفعل أمتم بصدق الوعد به، وعند ذلك يقال لكم توبيحاً الآن أمتم به اضطراراً، وقد كنتم قبل ذلك تستعجلونه تكذيباً وبتكاذراً انظر الآية (١٥٨) من سورة الأنعام صمحتى ١٩٠، ١٩١، وما قيل لفرعون في الآية (٩١) من هذه السورة صفحة ٢٨٠، ثم قيل للنبي ظلموا أنفسهم بالكفر والمسوق لزيادة لتوبيخ فوقوا العذاب الخالد، لاتجروا اليوم إلا بما استمررتم على اكتسابه في الدنيا من الكفر والمعاصي . ويستعجرك أيها النبي هؤلاء المجرمون فيقولون على سبيل الاستهزاء والإنكار هل حق هذا العذاب الموعود؟ قل لهم نعم وعرة ربي إنه لحق حاصل رعم أنوفكم وما أنتم بمعجزين الله إذا أراد تعذيبكم، لأنه سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء. وقد بلغ من هول هذا العذاب الموعود به أن كل نفس ظلمت بالكفر ولو كانت تملك كل ما في الأرض لقدمته هداء لها من العذاب ولكنه لا يقبل منها كما في الآية (٩١) من سورة آل عمران صمحتى ٧٧، ٧٨. وأسر الظالمون حميرتهم وندمهم ولم يستطيعوا النطق بها لشدة مدهاهم العذاب، انظر الآية (٤٥) من سورة الشورى صفحة ٦٤٥. وعندما يسمعون قوله تعالى ﴿احسبوا﴾ فيها ولا تكلمون﴾ الآية (١٠٨) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٥، وانظر انتى (٣٦، ٣٥) من سورة الرسائل صفحة ٧٨٥.

الْعَذَابِ وَيُخَيِّبُهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُبْطِلُونَ ﴿١١﴾
 أَلَا إِنَّ فِيَّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ رَبَّكَ اللَّهُ
 حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ هُوَ يَجْمَعُ وَيُفْضِلُ
 وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٣﴾ يَأْتِيَا النَّاسَ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِدَةُ
 رَبِّكُمْ وَلَسْتُ بِأَعْلَمُ بِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً
 لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ فَصَلِّ اللَّهَ وَرَحْمَتَهُ قَدْ ذَكَرْتَ فَلْيَتَّقُوا
 هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَرْزَى اللَّهُ لَكُمْ
 مِنْ رِزْقٍ فَيَجْعَلُ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ لَكُمْ
 لَمْ يَلَمْ عَلَى اللَّهِ تَقَرُّوْنَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَخْتَرُونَ عَلَى
 اللَّهِ الْكُذْبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَمُفْضِلٌ عَلَى النَّاسِ
 وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١٧﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ
 وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا

المفردات: ﴿ألا﴾: حرف تنبيه لأهمية ما بعده كما تقدم. ﴿موعظة﴾: هي الوصية بالخير واليهد عن الشر بأسلوب مؤثر. ﴿الصدور﴾: المراد بها هنا القلوب. ﴿وهدى﴾ إلى طريق الحق المستقيم

﴿وما أنزل الله لكم من رزق﴾: الإنزال هنا معناه الحلق والإيجاد كما في الآية (٦) من سورة الزمر صفحة ٦٠٦، والآية (٢٥) من سورة الحديد صفحة ٧٢٢.

﴿في شأن﴾: الشأن هو الأمر المهم.

المعنى: وقصى الله تعالى بين جميع

الحلائق بما فيهم هؤلاء العدل، فلا يظلم أحدا مثقال ذرة، ثم أقام سبحانه الدليل على قدرته على إنجاز وعده وتنفيذ أحكامه فقال ﴿ألا إن لله﴾ إلخ أى أن جميع العالم حاصع لتصرفه، فليتببه الغافلون إلى أن كل ما وعد الله تعالى به على لسان رسله حق واضح، لأنه وعد المالك القادر، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك بإنكارهم البعث والجزاء، أو كأنهم لا يعلمونه لإهمالهم ما ينجيهم من هول هذا اليوم، والله وحده هو الذى يحيى ويميت، وإليه ترجعون جميعا يوم القيامة، فاحذروه، وبعدا أقام سبحانه البراهين على أصول العقائد وهى التوحيد والرسالة والبعث، أراد أن يبين فصله فى إرشاد الناس إلى أصول المصائل العملية فقال محاطباً جميع

(١) أرايتم

(٢) حلالات

(٣) الله

(٤) القيامة

(٥) تتلو

(٦) قرآن

المكلفين. يأبىها الناس قد جاءكم كتاب جامع لكل ما فيه سعادتكم من مواعظ حسنة لإصلاح الأخلاق والأعمال مع الترغيب فى فضل الله عز وجل والترهيب من عذابه، وشعاع لأمراض قلوبكم من الشرك والنفاق والحقد وحب الشر، ومبين لطرق الخير والشر، لتتجنبوا ما يصركم كما فى الآية (٣) من سورة الإنسان صفحة ٧٨١، وجالب الرحمة للمؤمنين لأنهم هم الدين ينتفمون به. ثم أمر نبيه ﷺ أن يبلغ المؤمنين أذ، يحق لهم الفرح بمصله عليهم فقال تعالى قل لهم ليفرحوا بفصل الله عليهم بهذا القرآن وبرحمته تعالى حيث جعلهم من أهله ووقعهم للعمل بما فيه، فبدلك فقط فليفرحوا؛ فالمراد إن كان فى الدنيا شيء يستحق أن يفرح به فهو فصل الله تعالى ورحمته، لأن ما ذكر من الفصل والرحمة أنفع من كل ما يجمعونه من الذهب والمصنة وصائرمتاع الدنيا. انظر من الآية (١٤ إلى ١٧) من سورة آل عمران صفحات ٦٤، ٦٥، ثم أراد سبحانه أن يوبخ المشركين على مقابلتهم بعمه عليهم بالكذب عليه سبحانه، فقال قل لهم أيها الذين: خبروني عن هذا الرزق الذى أفاضه الله تعالى عليكم من فضله الأسمى فجعلتم بعضه حراماً وبعضه حلالاً كما فى الآية (١٠٢) من سورة المائدة صفحة ١٥٧، ومن الآية (١٢٦) إلى (١٥٠) من سورة الأنعام صفحات ١٨٥ إلى ١٨٩. ثم شدد التوبيخ بتكرير الأمر فقال قل لهم هل الله أذن لكم فى هذا التقسيم بوحى من عنده؟ كلا بل أنتم على الله تعترون لأنه لم يوح إليكم بذلك. ثم بين سبحانه هول ما سيلقونه يوم القيامة بعد ثبوت افتراءهم فقال: ﴿وما ظنكم﴾ إلخ أى أى شيء يظن المستترون؟ هل يظنون أنهم يتركون بعير عقاب؟ كلا بل سيماقبون أشد العقاب. قاله إن الله لنوفى فصل على الناس فى كل ما خلقه لهم من رزق وكل ما شرعه لهم ليبين لهم طريق الخير ولكن أكثرهم لا يشكرون هذا المفضل بل يقابلونه بالكفر والمصيان، انظر الآية (١٢) من سورة سبأ صفحة ٥٦٤. وبعد ما ذكر سبحانه عباده بمصله وما يجب عليهم من شكره أتبع ذلك بتذكيرهم بإحاطة علمه بكل شئوهم وأعمالهم كبيرها وصغيرها، فحاطب أشراهم فقال: وما تكون أيها النبي فى أمر من أمورك المهمة التى تعالج بها شئون أمتك، وما تلو لأجل ذلك من قرآن، ثم عمم الخطاب لكل الأمة فقال: ولا تعملون من عمل من خير أو شر إلا كنا عليكم شهوداً...

عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُبْعَثُونَ فِيهِ وَمَا يُعْرَبُ عَنْ رَبِّكَ
مِنْ تَقَالٍ دَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْفَرُ
مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ١٠٧
أُولَئِكَ اللَّهُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١٠٨
الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا بَنُونَ ١٠٩ لَّهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ
الْعَزَّوَالْعَلِيمُ ١١٠ وَلَا يَحْزَنُ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ
جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ١١١ إِلَّا إِنْ يَشَأْ
فِي السَّعَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يُلْبِغُ الَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ ثَرْصَةً إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ
هُمْ إِلَّا يَحْزَنُونَ ١١٢ هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْفَلَكَ
لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارُ مُجْرًا إِذْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

المفردات: «تفيضون فيه»: الإفاضة
الاندفاع في الشيء بقوة. «يعزب»: أي
يميب. «درة»: هو الجزء الذي بلع من الصفر
أقل مقدار يتخيله البشر، وانظر ما تقدم عن
ابن عباس في الآية (٤٠) من سورة النساء
صفحة ١٠٧. «إلا»: حرف تنبيه كما تقدم
مرارًا. «أولياء الله»: جمع ولي وهو يطلق
على المتولي أمر غيره بالرعاية، والولاية كما
تكون بين المؤمنين بعضهم مع بعض تكون بين
المسلمين والكفار كذلك، انظر الآية (٥١) من
سورة المائدة صفحة ١٤٧، و الآية (٧١) من
سورة التوبة صفحة ٢٥٣، وكما تكون بين الله
وعباده الصالحين تكون بين الشيطان واتباعه

الاشقياء، انظر الآية (٢٥٧) من سورة البقرة. فأولياء الله هم الذين والوا ربه بالطاعة،
ووالاهم سبحانه بالموافاة والتوفيق، وقد بينهم سبحانه في الآية الآتية بأنهم هم المؤمنون
الأتقياء. وفي الآية (٣٤) من سورة الأنعام صفحة ٢٣١ بين سبحانه أنه لا ولي له غير الأتقياء،
فكل مؤمن تقى ولي، وتماوت ولايتهم بتماوت تقواهم وإن بض الحوف والحرى في القرآن ثبت
للمؤمنين الصالحين في كل مكان، انظر الآيات (٢٨، ١١٢، ٢٦٢، ٢٧٧) من سورة البقرة
صفحات ٩، ٢٢، ٥٥، ٥٦، ٥٩، والآية (١٧٠) من سورة آل عمران صفحة ٩١، والآية (٦٩)
من سورة المائدة صفحة ١٥١، والآية (٤٨) من سورة الأنعام صفحة ١٦٩، وآيتي (٢٥، ٤٩) من
سورة الأعراف صحتي ١٩٧، ٢٠٠، والآية (٦٨) من سورة الرحرف صفحة ٦٥٤، والآية (١٣)
من سورة الأحقاف صفحة ٦٦٧، ولا يحزنك قولهم أي بالطمع فيك بأبك ساحر أو كذاب أو
مجبون إلى غير ذلك مما اهتمروه عليه ﷺ. «العزة»: القوة والفهر. «بخرصون»: أي يقدر
بغير علم تقديرًا باطلا كما تقدم في الآية (١٤٨) من سورة الأنعام صفحة ١٨٨.

المعنى (لا كنا عليكم رقباء حين تعملونه، فنحسبكم ونحاسبكم عليه، ولا يعيب عن علم ربك أيها النبي أقل شيء يورس بذرة في الوجود علويه وسعليه، ولا شيء أصغر من الدرة مما لاتبصرونه من دقائق الكون، انظر الآية (٢٩) من سورة الحاقة صفحة ٧٦٢ تعلم إعجاز القرآن حين أحير بموجودات لم تكن تحظر على بال مخلوق في ذلك العصر، هم أي جاء بها محمد الأمي إذا لم تكن من العليم الحبير؟ هكل المخلوقات ماصغر منها وما عظم مسجل في كتاب تام البيان وهو اللوح المحفوظ.

ويعد ما ذكر سبحانه عباده بفصله وأنه يعصى عليهم أعمالهم، أراد أن يبين ما سيكون للمتقين من حسن الجزاء فقال ﴿إلا إن أولياء الله لا خوف عليهم﴾ مما يحاف منه أعداؤه سبحانه كالخدلان والإذلال، ولا يحزنون في الآخرة عند الفزع الأكبر، انظر الآية (١٠٣) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢١. ثم بين سبحانه أولياء بأنهم هم الذين آمنوا وداوموا على تقواه، ولهم البشرى في الحياة الدنيا بإخبار الله في كتابه كما هي الآية (١٥٥) من سورة البقرة صفحة ٣٠، وبما يريهم في المنام مما يطمئنهم على حسن مصيرهم، وعند الموت باطلاعهم على مكانهم في الجنة انظر الآية (٢٠) من سورة فصلت صفحات ٦٢٣، ٦٢٤، روى عبد الحى بن عماد المتوفى سنة ١٠٨٩ في كتابه شذرات الذهب في أخبار من ذهب بصفحة ٢١ أن بلال ابن رباح مؤذن رسول الله ﷺ لما حضرته الوفاة سمع امرأته تقول واحسرتاه فقال لا تقولى واحسرتاه بل قولى واهرجتاه غداً يلقي بلال الأجنة محمداً وصحبه، وكذلك في الآخرة بيهاض وجوههم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، لا تعبير لوعده الله، فليطمئن الأنقياء، ذلك المبشر به هو الفور العظيم، ولما كانت الكثرة في مكة مشركة وكانوا يؤدونه ﷺ بالباطل بما يحزنه كما هي الآية (٦) من سورة الحجر صفحة ٣٢٨، وما تقدمت الإشارة إليه في الآية (٢٣) من سورة الأنعام صفحة ١٦٧، أراد سبحانه أن يسلى رسوله ويطمئنه بالنصر فقال ولا يحزنك أيها النبي قولهم فيك لأن القوة والقهر كلها لله وحده وسينصرك عليهم، وهو السميع لما يمترون عليك، العليم بما يدبرون، وكيف لا ينصرك وكل من في السموات والأرض تحت تصرفه وحده وما يتبع هؤلاء الكفار شركاء لله حقيقة حتى يرجوا منهم نصراً، وما يسمعون إلا ظناً وهم لا حقيقة له، وما هم في اتباع هذا الوهم إلا يعبطون على غير هدى، وكيف يكون له سبحانه شركاء وهو وحده الذى جعل لكم الليل مظلماً لتستريحوا فيه من تعب النهار، وجعل النهار سبباً وممكناً من الإبصار أى مصيئاً لتطلبوا فيه الرزق، انظر آيتي (١٢، ٥٩) من سورة الإسراء صفحات ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٧٢، وآيات (٧١، ٧٢، ٧٣) من سورة الفصص صفحة ٥١٧. إن فيما ذكر لدلائل وبراهين على قدرة الله عز وجل لقوم يسمعون سماع قبول واعتبار.

يَسْمَعُونَ ﴿٥٦﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْعَلِيُّ
 لَمْ يَأْمُرْ بِالْمَنَونَةِ وَمَا يَرْثُ الْأَرْضَ إِنَّكُمْ مِنْ
 مُنْظَرِينَ ﴿٥٧﴾ اُنْقُلُوا عَلَى اللَّهِ مَالًا تَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ
 إِنَّ الَّذِينَ يَبْغَوْنَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلَحُونَ ﴿٥٩﴾
 مَنَعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ يُدِقُّهُمْ الْعَذَابَ
 الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٦٠﴾ * وَأَنْتَ عَلِيمٌ نَبَا
 رُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ، يَنْتَقِمُ إِنْ كَانَ كَبِيرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي
 وَتَذَكَّرِي بِمَا بَيَّنْتُ اللَّهُ عَلَى اللَّهِ نَوَكْتُ فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ
 وَشُرَكَاءَ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّ ثُمَّ أَنْصَرُوا
 إِلَيَّ وَلَا تُنْظَرُونَ ﴿٦١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ قَسَا لَكُمْ مِنْ
 أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمَرْتُ أَنْ أُصَوِّرَ مِنْ
 الْفُلَيْنِ ﴿٦٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلَيْنِ

المفردات - ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ - إِنْ
 حرف نفي، ومن مؤكدة لهذا النفي والسلطان:
 البرهان، (متاع في الدنيا) : متاع خبر لمبتدأ
 مقدر مفهوم من سياق الكلام، والأصل ذلك
 الذي هم فيه من البعيم هو متاع في الدنيا فقط.

﴿كَبِيرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي﴾ أي شق عليكم طول
 قيامي ومكثي بيهكم ألف عام إلا خمسين
 أحذرکم عقاب الله كما في الآية (٢٥) وما
 بعدها من سورة هود صفحة ٢٨٧ وما بعدها
 والآية (١٤) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٢
 ﴿فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ﴾ : يقال أجمع الرحيل

مثلاً إذا عزم عليه عزماً قوياً، انظر الآية (٦٤) من سورة طه صفحة ٤١١

﴿غُمَّ﴾ : أي خفياً يقتضی الحيرة والتردد.

﴿قَصُوا إِلَيَّ﴾ أي بعدوا ما تريدون إيصاله إلي من البشر، انظر الآية (١١) من هذه السورة

صفحة ٢٦٧.

﴿وَلَا تُنْظَرُونَ﴾ أي ولا تمهلوني انظر الآية (٥٥) من سورة هود صفحة ٢٩٢.

﴿الْمَلِكِ﴾ : انظر شرح الآية (١٦٤) من سورة البقرة صفحة ٣١.

المعنى - بين سبحانه هنا نوعاً آخر من كفر المشركين غير اتخاذهم أصناماً هو زعمهم أن
 الملائكة بنات الله كما تقدم بيانه عند الآية (١١٦) من سورة البقرة صفحة ٢٣، واتفق معهم
 اليهود فقال بعضهم - العزيز ابن الله، والنصارى فقالوا المسيح ابن الله، فأبطل سبحانه هذا

الرغم بقوله ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ أى تنزيها له عن هذا الباطل لأنه وحده هو العسى عن كل ما عدا، وكل ما فى العالم علوه وسفليه مملوك له تعالى يفعل به ما يشاء، وإنما يكون الولد لمن يحتاج إليه، وتعالى الله عن الحاجة لمخلوق. وليس عندكم برهان على هذا الذى تمثرون.

فالعجب منكم أن تقولوا على الله ما لا تعلمون، بل ما قام الدليل على بطلانه. هقل لهم أيها النبى محمدا: إن الذين يمترون على الله الكذب لا يفوزون بما يرغبون من النجاة من عذاب الله، ولا يمتز أحد بما هم فيه فى الدنيا من نعيم زائل، فإنه تمتع قليل، وفى لحظات قليلة بالنسبة لنعيم الجنة الكثير الخالد ثم إلينا مرجعهم بالبعث، ثم ندينهم شديد العذاب بسبب استمرارهم على الكفر.

ولما سبق فى الآيات (١٢، ١٤، ٣٩، ٤٧) من هذه السورة صفحات ٢٦٧، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤ أنه حذرهم من أن يحل بهم ما حل بمن كفرُوا برسولهم من قبل، أراد أن يوصل بعض هذا الإجمال فقال ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ إلخ؛ أى اقرأ أيها النبى على هؤلاء المكذبين قصة نوح مع قومه وما حصل بينهم حين قال لقومه يا قوم إن كان شق عليكم طول قيامى فيكم ناصحا ومذكرا لكم بآيات الله فى خلقه لترجعوا عن الشرك فإن أردتم التخلص منى فإنى لا أعبأ بكم، لأنى لا أعول إلا على الله، فاعزموا على ما تريدون ومحكم شركاؤكم الذين اتخذتموهم من دون الله يساعدونكم، ثم لا تترددوا فيما عزمتم عليه، ثم نفذوا ما ترون إيصاله إلى من الشر ولا تمهلونى لحظة إن استطعتم.

وهذا منه عليه الصلاة والسلام تحد لهم وتمحيز يدل على قوة إيمانه برية فإن توليتم بعد ذلك عن نصحتى فلى يضرنى ذلك شيئا لأنى ما سألتكم أجرا على نصحتى ولن أطلب أجرا إلا من الله الذى أمرى أن أكون من المنقادين لكل ما يأمر به. فلما استمروا على تكذيبه ولم تنصهم كثرة مواعظه التى جاء بعضها معصلا فى سورة نوح بحاء الله ومن آمن معه فى السفينة من العرق.

وَجَعَلْنَاهُمْ حُلُوفَ وَأَعْرَاقًا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَلَنُظَرَّ
كَيْفَ كَانَ حَقُّهُ الْمُتَوَرِّينَ ﴿٧٦﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا
إِلَى قَوْمِهِمْ لَعَنَهُمُ الْبَيْتُ لَمَّا كَانُوا لِيُؤْمِرُوا بِمَا كَذَبُوا
بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْعُ عَنْ قُلُوبِ الْمُتَعَبِينَ ﴿٧٧﴾
ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ
وَمَلَائِكَةٍ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمَ عُجْرِينَ ﴿٧٨﴾
فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ
مُبِينٌ ﴿٧٩﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ مَا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ
هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَجَبْتَ بَنَاتِنَا مِمَّا
رَجَعْنَ عَلَيْهُنَّ أَبَاؤَهُنَّ وَكَانُوا لَهَا الْكَاذِبِينَ فِي الْأَرْضِ
وَمَا نَحْنُ لَهَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَدْعُونِي إِعْجَالًا
مِنْكُمْ عَلَيْهِ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى

المفردات: «خلائف». جمع خليفة كما
تقدم في الآية (١٤) من هذه السورة صيغة
٢٦٧.

﴿طبع﴾ انظر شرحها في صفحة ٢٠٨.

﴿وملئه﴾: هم وجهاء قومه كما تقدم في الآية (٨٨) من سورة الأعراف صفحتي ٢٠٦، ٢٠٧.

﴿لَتُحْمَتَا﴾ ای تصرفنا۔

الممنى: وجعلنا الدين نجيتهم مع روح
يخلصون المكذبين في عمارة الأرض، وأعرقتنا

الذين كذبوا بآياتنا، فانظر أيها المخاطب العاقل بعين بصيرتك كيف كانت عاقبة الدين حذرهم رسولهم فلم يسمعوا. ثم بعثنا من بعد نوح رسلاً مثله إلى أقوامهم كهود إلى عاد وصالح إلى ثمود وشعيب إلى قومه أهل مدين وحيرانهم أصحاب المؤنكة كما تقدم في الآية (٧٠) من سورة التوبة صفحة ٢٥٢، وجاء كل رسول قومه بالبراهين الدالة على صدقه، مما كان المتأخر منهم ليؤمن بما كذب به آبائهم، لرسوخ عادة التقليد الأعمى فيهم، حتى طمست على قلوبهم، ومثل هذا الطبع على اتباع الرسل الماضين فطبع على قلوب المعتدين المتجاوزين حدود الحق رصوحاً لشهواتهم كما تقدم في الآية (٧) من سورة البقرة صفحة ٤.

ثم ذكر سبحانه قصة موسى وهارون مع فرعون وقومه في الآية (١٩) ليعلم أن علة الكفر بالأنبياء ترجع في الأكثر إلى سببين: الأول التقليد الأعمى باتباع الآباء، والثاني الخوف على

- | | | |
|--------------|----------------|------------|
| (١) حملناهم. | (٢) حللنا. | (٣) بايعنا |
| (٤) عاقبة. | (٥) بالهميات. | (٦) وعلته |
| (٧) يا أيها. | (٨) المساحرون. | (٩) ساحر. |

الرياسة من أن تذهب من الرعماء إذا اتبعوا الرسول وصاروا كغيرهم من أفراد الأمة تأمل آية (٧٨) الآية هنا، فقال ﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ إلخ، أي من بعد أولئك الرسل موسى وهارون إلى فرعون ومثله أي وقومه كما هي الآيات (١٠، ١١، ١٢) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٠، والآية (١٢) من سورة النمل صفحة ٤٩٥، والآية (٥٤) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٢، مؤيدين بآياتنا المصلة في الآية (١٠٧) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٩، والآية (١٢٣) من نفس السورة صفحة ٢١٢، فأعرضوا عن الإيمان كبرا لرسوخهم في الإجرام كما هي الآية (١٤) من سورة النمل صفحة ٤٩٥.

ثم حصل هذا الإجمال فقال ﴿فلما جاءهم الحق﴾ أي الآيات الدالة على أن ما جاء به موسى حق من عند الله أقسموا أن هذا الذي جاء به موسى سحر واضح، انظر الآية (١٠٩) من سورة الأعراف صفحة ٢١٠، والآية (٣٤) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٢، والآية (٣٦) من سورة القصص صفحة ٥١٢.

عند ذلك قال موسى مندهشاً من جرأتهم على الكذب، أتقولون هذا القول الباطل للحق لما جاءكم وعرفتموه كما هي الآية (١٤) من سورة النمل صفحة ٤٩٥ ثم أنكر قولهم متمجبا فقال أسحر هذا؟ أي هل هذا الذي ارتجفت من عظمتته قلوبكم سحر والحال المعروف أن الساحر لا يفلح ولا يصور بقهر خصمه، وقد رأيتم قوتي عليكم فلما غلبتهم الحجة لجأوا إلى التمسويه على بسطاء الشعب فقالوا، ﴿أحسبنا﴾ إلخ، أي هل جئت يا موسى أنت وأحوك إلا لتصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا وأجدادنا وتكون لك ولأحبيك كبرياء الرياسة الدينية وما يتبعها من رئاسة الملك في أرض مصر كلها، وما نحن لكما مهما فعلتم بمصدقين ولا متبعين. وقال فرعون لجنوده أحصروا لي كل ساحر راسخ العلم بالسحر، فلما جاء السحرة المطلوبون قال لهم موسى بعد أن حيروهم فيمن يلقي أولاً كما هي الآية (١١٥) من سورة الأعراف صفحة

الْقُرْآنَ مَا أَنْتُمْ مُنْقَرُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْنَا أَلْقُوا قَالُوا تَوْسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَاطِطٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤٧﴾ وَجِئْنَا اللَّهَ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا هَؤُلَاءِ لَيُؤْمِنُونَ إِلَّا دُرُوءُ بْنُ قَومِهِ عَلَى خَرَفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ مُوسَى يُنْقَرُونَ إِنْ كُنْتُمْ هَؤُلَاءِ بِآيَةِ رَبِّكُمْ تُؤْكَلُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٥٠﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّقَوْمٍ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ وَبَنِيَّاءَ بِرَحْمَتِكَ مِنَّا نَقْرَمُ الْكَافِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ يَوتَرًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَزَيِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ

المصرات . ﴿على خوف من فرعون وملئهم﴾ . قال السيد رشيد رضا هي تفسير المار جزء (١١) صفحة ٤٦٩ ﴿على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم﴾ أى أمن هؤلاء الذرية على خوف من فرعون وملئهم أى كبار قومهم الجبناء المرائين فإن الملوك يستذلون الشعوب ويستعبدونهم بواسطة هؤلاء الذين يختارونهم للثأر على من دونهم . وقال الألوسى : والمعنى أن هؤلاء الذرية من قوم موسى آمنوا بموسى مع خوفهم من بطش فرعون ، ومن وشاية كبار قومهم الذين استعبدتهم المال فأعلنوا كفرهم بموسى

ليحفظوا عند فرعون بالرضى ويعصموا تبعاً لذلك أموالاً طائلة كقارون ومن تبعه انظر الآيات من (٧٦ إلى ٨٢) صفحات ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ . ﴿أن يفتنهم﴾ الفتنة هى الابتلاء الشديد بالتعذيب والقتل وغيره كما تقدم فى الآية (٤٩) من سورة البقرة صفحة ١٠ ، والآية (١٩١) من نفس السورة صفحة ٢٧ ﴿لعلهم فى الأرض﴾ : أى مستعمل بالقهر والاستبداد انظر الآية (١٢٧) من سورة الأعراف صفحة ٢١١ . ﴿لأنجعلنا فتنة﴾ أى لا تعذبنا وتعذبنا حتى لا يظن الكافرون أنهم على حق فيزدادوا كبراً . ﴿أن تبوءا لقومكما﴾ التبوء : اتخاذ الميابة أى المسكن الذى يبوء إليه صاحبه أى يرجع ، كما أن التوطن اتخاذ الوطن .

﴿قِبْلَةً﴾ : قِبْلَةُ الشَّيْءِ ما يقابله ! قال سعيد بن جبير : أى اجعلوا بيوتكم متقابلة أى قريباً بعضها من بعض ، وقال مجاهد والضحاك وغيرهما المراد اجعلوا بيوتكم مساجد وصلوا فيها قال ابن كثير وكان هذا والله أعلم عندما اشتد بهم البلاء من فرعون وقومه وصيقوا عليهم

فأمروا بكثرة الصلاة فى البيوت بعيداً عن عيون قوم فرعون لتساعدهم الصلاة على الصبر كما أمر بها المسلمون فى الآية (٤٥) من سورة النقرة صفحة ١٠، وانظر ما حل بهم من فرعون فى الآيات (١٢٧، ١٢٨، ١٢٩) من سورة الأعراف صفحات ٢١١، ٢١٢.

المسى . فلما ألقوا حبائلهم وعصبيهم كما فى الآية (٦٦) من سورة طه صفحة ٤١١ قال لهم موسى ما جئتم به هو السحر. لا ما جئتم به أنا، وإن الله سيظهر بطلانه للناس ويذهب أثره بما أعطاني من المعجزة! لأنه سبحانه لا يد أن يعسد عمل المسدين بمحقه وإزالة أثره، ويثبت الحق ويقويه بقوله «كر». وبحججه التى يؤيد بها رسله ولو كره الطغاة المسدون، انظر آيتي (٧، ٨) من سورة الأنعام صفحة ٢٢٧. ثم ألقى موسى عصاه فابتلعت حبائلهم وعصبيهم إلى آخر ما فى الآية (١١٧) من سورة الأعراف صفحة ٢١٠، فلما فشل سحرة فرعون أراد أن يعطى هذه الهزيمة أمام العامة فأمر بقتل من آمن بموسى وقال درونى أقتل موسى أيضاً كما فى آيتي (٢٥، ٢٦) من سورة طه صفحات ٦٢٠، ٦٢١. عند ذلك دب الدعر فى قوم موسى فلم يصدقوه أى يؤمن به ويتبعه إلا ذرية قليلة من بنى إسرائيل مع جوفهم من فرعون وملئه أن يعذبهم ليرددوهم عن إيمانهم، ولهم شبه عذر فى الخوف! لأن فرعون كان عاتياً مستبداً فى أرض مصر، وكان مسرهما فى تحاور حدود العدل إلى الظلم الشديد. وقال موسى لمن آمن من قومه بعد ما رأى خوفهم: يا قوم إن كنتم بالله فعليه وحده اعتمدوا فإنه يكفيكم شر أعدائكم إن كنتم فى إيمانكم مستسلمين خاضعين بصميم قلوبكم، فإن شرط نفع الإيمان الرضا القلبي بالمؤمن به، أما إذا حالطه كره وحسد فهو الكفر بعينه، انظر الآية (١٤) من سورة النمل صفحة ٤٩٥. قالوا. على الله وحده توكلنا ياربنا لا تحدثنا فتجعلنا بذلك سبباً فى زيادة كفر وعصيان الظالمين حيث يظنون أنهم هم المحقون ونحن المبتلون، ونجنا برحمتك من ظلم الكافرين وقلنا لموسى اتخذ أنت وأخوك لقومكما بيوتاً فى مصر يلجئون إليها عند الخوف، واحملوها أنتما وقومكما متجاورة ومتقابلة ليسهل تبليغهم ما به نجاتهم، وأقيموا الصلاة فى بيوتكم لتستمعوا بها على الشدائد. ولم يصح عن النبى حديث فى الجهة التى كانوا يصلون إليها. ويشر باموسى المؤمنين من قومك بحفظ الله لهم من فرعون وملئه. وقال موسى بعد أن أعد بنى إسرائيل للخروج من مصر إعداداً دينياً بكثرة الصلاة، ودينياً بالتجاور والتعاون ياربنا إنك أتيت إلخ...

مِرْعُونَ وَمَلَأَهُ رِبَةً وَأَمَّا لِأَيِّ الْحِزْبِ الَّذِي رُبَّتَا
لِيُصَلُّوا عَنْ سَيِّئِكَ رَسَا أَلْطَمَسَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشَدَّدَ
عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِرُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٨﴾
قَالَ قَدْ أُحِيتَ دُعَاؤُكُمْ مَا سَتَجِيئًا وَلَا تَنْجِيَانِ سَبِيلَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ * وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ
فَاتَّخَذَهُمْ مِرْعُونَ وَجُودَهُمْ بَعِيًا وَعَدَّوْا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ
الْفَرَقَ قَالَ هَلْ تُؤْتَى أَهْلًا إِلَّا الَّذِينَ هَامَتْ بِهِمُ بَرَا
إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٠﴾ هَ أَتَقْنَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ
قَبْلَ ذَلِكَ مِمَّنَ الْقَبِيلِ ﴿٣١﴾ قَالِ يَوْمَ تَحِثُّ يَتِيئُكَ
لِيُكْفِرَ لِمَن خَلَقَكَ هَاهُنَا * وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ أَتْسَاسٍ
مِّنْ هَ أَتَيْتُمَا لَتَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
مَبُورًا صَدَقَ يَدْرُسُهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَمَّا أَخَذَتْهُمُ الْحَنَاقَةُ حَتَّى

الممرجات: ﴿أطمس على أموالهم﴾: اصل

الطمس إزالة أثر الشيء، والمراد هنا محققها.

﴿وأشدد على قلوبهم﴾: أى قو رباط

القسوة على قلوبهم حتى يزدادوا طغيانا.

﴿وجاوزنا ببني اسرائيل﴾: أصله تخطينا

البحر بمصاحبتهم، والمراد جعلناهم

يتجاوزونه بمقدرتنا. ﴿بغيا﴾: طغيانا

﴿عدوا﴾: تعديا.

﴿تنجيك﴾: أى نجيتك على نجوة من

الأرض وهى المكان المرتفع.

﴿ببديك﴾: أى بمجرد جسمك الذى لا روح فيه ويقول الشيخ عبد الوهاب ليجار بن آخر

بحث يثبت أن فرعون موسى هو ممتاح بن رعمسيس من الأسرة ١٩. ﴿بوانا﴾: أى أرسلناهم

﴿مبوراً صديق﴾: أى مكاناً صالحاً مرضياً.

المعنى: . إنك أعطيت فرعون وملاؤه ما يثريون به من حلى وثياب وأثاث ومقادير كثيرة من

أنواع الأموال، فلم يشكروا عليها بل حملوها فى إضلال الناس وقتلتهم عن أسباب الهدى انظر

شيئاً من ذلك فى شرح الآية (٨) من سورة القصص صفحة ٥٠٧، فكانت عاقبة هذا العطاء

(١) أموالاً.

(٢) الحياة.

(٣) أموالهم.

(٤) وجاوزنا.

(٥) الآى.

(٦) لعائلون.

(٧) ورزقناهم.

(٨) الطيبات.

الواسع أنهم استعانوا به على إصلاال الناس عن سبيل الحق، انظر آيتى (٦، ٧) من سورة العلق
صفحة ٨١٤.

ربنا أهلك أموالهم وشدد قسوة قلوبهم حتى لاينفهم الإيمان إذا حصل منهم بعد
مشاهدتهم العذاب، وإنما قال موسى هذا عند يأسه من إيمانهم النافع، كما طلب نوح ذلك فى
الآيات من (٢١ إلى ٢٨) من سورة نوح صفحات ٧٦٩، ٧٧٠. ولما كان موسى يدعو وهارون
يؤمن، قال سبحانه: قد أجيببت دعوتكما، وسلط على قوم فرعون ماجاء فى الآية (١٢٢) من
سورة الأعراف، فاستقيما على ما أنتما عليه من الدعوة إلى الله ولا تتبعان طريق الجهلة
الذين لا يثقون فى صدق وعد الله. ولما كان من دعاء موسى طلب النجاة وإهلاك فرعون قال
سبحانه فى إجابة ذلك وجاورنا ببى إسرائيل البحر، فلحقهم فرعون وجنوده ليلعى عليهم
والفتك بهم، فخاصوا البحر وراءهم حتى إذا شاهد فرعون الفرق قال أمنت بأنه لا إله إلا
الرب الذى أمنت به بنو إسرائيل وأنا من المنقادين الخاصعين له، فقليل له على سبيل الإنكار
والتوبيخ أئسلم الآن بعد فوات الوقت الذى يصح فيه الإيمان وهو الوقت الذى تكون فيه
مختاراً تأمل الحياة، فهل تؤمن الآن وقت الفرغرة والحال أنك قد عصيت الله من قبل بالكفر
به وكنت من المفسدين فى الأرض بالظلم، انظر الآية (١٨) من سورة النساء صفحة ١٠١، اليوم
بعد موتك تلقى جسدك على رهوة من الأرض لتكون لمن يأتى بعدك عبرة ينزجر بها عن
عصيان الله

ثم عرص سبحانه بكهار قريش وغيرهم ممن لم يعتبروا فقال: وإن كثيرا من الناس لغافلون
عن آياتنا الدالة على انتقامنا ممن يحارب ربنا، انظر الآية (١٠٥) من سورة يوسف صفحة ٣١٩.

ثم أراد سبحانه أن يبشر المؤمنين بالنصر ويذر المشركين فقال: ﴿ولقد بؤنا﴾ إلح، أى
أسكناهم مكانا فاضلا فى جنوب بلاد السلام هو فلسطين، وورقناهم من الطيبات مما
اختلفوا فى أمور دينهم إلا من بعد علمهم بأحكام التوراة. وهذا توبيخ حيث جعلوا ما جاء
ليحقق الوفاق سببا للحلاف، انظر ما تقدم فى الآية (٢١٢) من سورة البقرة صفحات ٤١، ٤٢،
والآية (٤) من سورة البينة صفحة ٨١٦.

جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا
كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣١﴾ فَلَمَّا كُنَتْ فِي شَكِّكَ مِمَّا أَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ فَسَلِّ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ
جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٣٢﴾
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا نَزَّلَتْ اللَّهُ تَحْكُمُونَ مِنْ
أَنْتَقِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ خَوْفًا وَرَوَا الْطَّبَابِ
الْأَلِيمِ ﴿٣٥﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ هَامَتْ فَسَمِعَهَا مِنْ بَعْثِهَا
إِلَّا قَوْمٌ يَمُوتُونَ لَمَّا هَامُوا كُفُّوا عَنْهُمْ حَتَّى حُلَّ الْعِلْزُ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنُصِّبُوهُمْ بِآيٍ مِنْ آيِنَا ﴿٣٦﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ
لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَعَلْنَا نُفُوسَ النَّاسِ
حَتَّى يَكُونُوا مُّؤْمِنِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَقُولَ

المفردات: ﴿الكتاب﴾: المراد جنسه،
فيشمل التوراة والإنجيل.

﴿الممتريين﴾: الشاكين.

﴿حققت عليهم كلمة ربك﴾: أى قضاه
عليهم بالعذاب.

﴿فلولا﴾: حرف أصل معناه الحث على
ما بعده وهو هنا مشرب بالتوبيخ لأن الحث
هنا لا يفيد لأنهم ماتوا.

المعنى: إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة
فيما اختلفوا فيه، فيميز الحق بالثواب،
ويجزى المبطل بالعقاب.

أراد سبحانه أن يعرض بكمار مكة على عدم إيمانهم مع وصوح الحجة فقال موجهها
الخطاب للنبي ﷺ: فإن كنت على سبيل الضمير فى شك مما أنزلنا إليك فى قصة نوح
وموسى وما حصل لقومهما فاسأل علماء اليهود والنصارى، لقد جاءك الحق الواضح الذى
لا شك فيه من ربك، فلا تكونن من المترددى، بل استمر على ما آلت عليه من اليقين. ثم أكد

(١) القيامة

(٢) فاسأل.

(٣) الكتاب.

(٤) بآيات.

(٥) الحاسرين.

(٦) إيمانها.

(٧) الحياة

(٨) ومتعاهم.

(٩) لآمن.

التعريض بالمشركين بقوله. ﴿ولا تكون من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين﴾ في الدنيا والآخرة.

ولما كان ﷺ رحيم القلب يؤله بقاء قومه على الكفر ويطمع في هدايتهم، أراد سبحانه وهو العليم بما في قلوبهم أن يعلمه حقيقتهم فقال. ﴿إن الذين حقت عليهم﴾ إلخ، أي أعلم أيها النبي أن الدين ثبت عليهم الحكم من ربك بالعذاب لا يؤمنون أبدا ولو جاءتهم كل معجزة مما اقترحوه وعبره حتى يروا العذاب الأليم بأعينهم. وعند ذلك لا ينضمهم إيمانهم لأنه اضطراري لا اختيار لهم فيه، فهو كإيمان فرعون عند العرق المتقدم.

وسبب ذلك رسوخهم في الكفر والظلمات، فحتم على قلوبهم كما في الآية (٧) من سورة البقرة صفحة ٤.

فلولا كان أهل قرية من أقوام الرسل السابقين الذين أهلكهم الله بالعذاب أمنت بمجرد دعوتهم وإقامة الحجّة وقبل معاينة العذاب فكان ينضمها إيمانهم ولا تعذب، أي لم يؤمن قوم منهم في حال الاختيار فهلكوا؛ لكن قوم يونس لما آمنوا قبل وقوع العذاب عندما شعروا بمقدماته وأماراته وإن كانوا غير قاطعين به كشتمنا عنهم عذاب الذل والهوان في الدنيا، ومتعماهم بالحياة ومناهمها إلى حين انقضاء أعمارهم الطبيعية، وفيه تحذير لأهل مكة وتبويه لهم ليختاروا لأنفسهم إهلاك كقوم نوح وهرعون، أو النجاة كقوم يونس.

ولو شاء ربك أيها النبي أن يجعل الناس كلهم مؤمنين جبرا عنهم يجعلهم كالملائكة، وبهذا يتميز نظام هذا العالم ونظام الآخرة ولا يكون هناك نار ولا عذاب، ولكنه سبحانه أراد أن يكون المكلف محسرا كما تقدم بيان ذلك في الآية (١٠٧) من سورة الأنعام صفحة ١٨٠، والآية (١٧٨) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٢، وإذا كان الأمر كذلك فهل تريد أنت أيها النبي أن تكره الناس على الإيمان حتى يكونوا كلهم مؤمنين؟ هذا مستحيل لأنه ليس في قدرتك.

وَالَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ زَكَاةً وَيَسْتَكْبِرُونَ ۖ
قُلِ اطَّهَّرُوا مَا فِي الصُّلُوبِ وَالْأَرْضِ وَمَا نُفِىَ
الْآيَاتِ وَالنَّذْرِ مَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ قَهْلٌ يَنْظُرُونَ
إِلَّا يَنْتَظِرُ أَيَّامَ اللَّهِ حَتَّىٰ قُلُوبُهُمْ قُلُوبٌ فَاسْتَرْوَا إِلَىٰ
مَعَكُمْ مِنَ الْمُنَظِّرِينَ ۖ ثُمَّ سَجَىٰ رُسُلًا وَالَّذِينَ أَمْرُوا
كَذَلِكَ حَقًّا عَلَىٰ أُنْحَىٰ الْمُؤْمِنِينَ ۖ قُلِ بَنَاتُهَا النَّاسُ
إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأَمِرْتُ أَنْ
أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ
اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ
الظَّالِمِينَ ۖ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ فَضْرًا فَلَا يَكُونَنَّ

المفردات: ﴿الرجس﴾: أصل الرجس
الشيء المستقذر حسا كالميتة، انظر الآية
(١٤٥) من سورة الأنعام صفحات ١٨٧، ١٨٨؛
أو معنى كالميسر، انظر الآية (٩٠) من سورة
المائدة صفحة ١٥٥، ويطلق على الكسر كما
فى الآية (١٢٥) من سورة التوبة صفحة ٢٦٤؛
وعلى الكافر كما فى الآية (٩٥) من سورة
التوبة أيضا صفحات ٢٥٨، ٢٥٩ وعلى
العذاب المترتب على الكفر كما فى الآية (٧١)
من سورة الأعراف صفحات ٢٠٣، ٢٠٤؛ ومنه
ما هنا، ﴿النذر﴾: جمع إندار، وهو التحذير
من الوقوع فى شر.

﴿أيام﴾: يطلق على الوقائع فيقال أيام الحرب، والمراد ما وقع بينهم من حروب، فالمراد هنا
ما حل بالذين مضوا، انظر الآية (٥) من سورة إبراهيم صفحة ٢٢٠
﴿حلوا﴾: أى: مضوا.

﴿أقم وجهك للدين﴾: أصله حول وجهك للدين فقط؛ والمراد وجه نفسك بالكلية إلى عبادة
الله تعالى وحده.

﴿حنيفا﴾ أى مائلا عن الباطل إلى الحق.

المعنى: - وما كان لنفس أن تؤمن إلا بالنظام الذى وضعه الله تعالى للنفس من حرية
الاختيار، وتبسيهر لها ما تغتار فى الآيات من (١٨ إلى ٢٠) من سورة الإسراء صفحات ٣٦٦،
٣٦٧ أى قلو أراد جبرها على غير الإيمان لما أمكن أن تؤمن، وإذا كان المكلمون لا يحرجون عن

هذا النظام فإنه سبحانه جعل الفوز الناتج عن الإيمان للذين يتدبرون فى أسرار كونه، ويجعل الخزي والخذلان على الذين يهملون عقولهم فلا يعتبرون، وإذا كان الأمر كذلك فقل أيها النبي لقومك الذين تحرم على هداهم: انظروا يعميون أبصاركم وبصائركم ماذا فى السموات والأرض من الآيات والعبر كما هى آيتى (٢٠، ٢١) من سورة الذاريات صفحة ٦٩٢، وما تنفع الآيات والنذر فى دفع العذاب عن قوم صمموا على عدم الإيمان وتمكن منهم الحقد والحسد حتى طمس على قلوبهم، فهؤلاء لا ينتظرون من الله إلا مثل ما وقع لمن كفر بأنبيائه من الأمم الماضية من الخزي والعذاب، فقل لهم أيها السبي منبرا ومهددا: انتظروا ما سيجعل بكم إنى معكم من المنتظرين الواثقين بصدق وعد الله، وسنتنا فى رسلنا مع أقوامهم أنهم إذا بلغوهم وأقاموا الحجة وآمن بعض وكفر بعض أنا نهلك الكافرين ونتجى رسلنا والذين آمنوا، وهكذا الإنجاء بنجى المؤمنين معك أيها الرسول ونهلك المكذبين، نعدك بهذا وعدا حقا علينا لا نخلفه.

قل أيها الرسول لقومك إن كنتم فى شك من ثباتى على دينى وترجون بكل مكائيدكم تحويلى عنه فاعلموا أنى لا أعبد أحداً معن تعبدونهم من دون الله، ولكن أعبد الله الذى يقبض أرواحكم بالموت، ثم يبعثكم ويجاريكم، ولا يقدر أحد مما تعبدون على أن يفعل ذلك، وأمرنى ربي أن أكون من المؤمنين الذين وعدهم بالنجاة من عذابه، وأمرت بأن أقيم وجهى للدين: أى أجعل قلبى لا يلتفت لفهمه حال كونه بعيدا عن الباطل، وأمرت أن لا أكون من المشركين العرب الذين يرعمون أنهم حماء على ملة إبراهيم، والحنيفية الصحيحة لا تحتج مع الشرك بالله، وقال لى ربي أيضا: لا تدع من دون الله مخلوقا لا يضعك إذا لجأت إليه ولا يضرك إذا تركته، فإن دعوت غيره تعالى فقد دخلت فى مرة الظالمين لأنفسهم الظلم الأكبر المبين فى الآية (١٣) من سورة لقمان صفحة ٥٤٠.

ثم أكد أن معبوداتهم لا تضر ولا تنفع، وأن ذلك لله وحده، فقال تعالى ﴿وإن يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو﴾...

سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم

المفردات : «الر» : تقدم الحديث عن هذه الحروف المقطعة في أول سورة البقرة.

«أحكمت آياته» : أصل الإحكام إتقان البناء، والمراد أن آياته لا يمتريها حلل من مخالفة الواقع أو البعد عن الحكمة أو تناقضها أو نسخها بغير آخر. «ثم فصلت» : في النزول إلى سور وآيات وإلى مباحث شرائع وعقائد ومواضع، وقسم نزولها على ٢٢ عاماً للحكمة المبينة في الآية (٢٢) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٤.

«إلا تعبدوا .. إلخ» : بيان لأعظم حكمة

لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِيدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ قُلْ يَكَايِفُ الْإِنْسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ قُلْ أَهْتَدَى قَلَامًا يَهْتَدَى لِقَائِهِ وَمَنْ ضَلَّ قَلَامًا يَصِلْ عَلَيْهِ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَنِصِرْ حَتَّىٰ يَخْرُجَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٩﴾

(١٨) سُورَةُ هُودٍ مَكِّيَّةٌ وَأَيَّانَهَا ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ وَمِائَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الر كَتَبْنَا عَلَيْكَ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَنُفِصِّلُ
حَكِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١﴾ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ بِهِ

في إحكام آيات القرآن وتفصيلها وهي عبادة الله وحده أي أحكما آياته وفصلها لتركوا عبادة غيره تعالى. «إني لكم منه نذير» : على تقدير قول مفهوم من سياق الكلام قل أيها النبي إني لكم منه نذير وبشير... إلخ وهذا الأسلوب كثير في القرآن؛ انظر الآية (١٠٦) من سورة الأعراف صفحة ٨٠، والآية (٤٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٠، والآية (٢١) من سورة الجاثية صفحة ٦٦٤، والآية (٢٠) من سورة الأحقاف صفحة ٦٦٩.

المعنى : - وإن يرد لك خيرا فلا أحد يستطيع رد فضله عنك، فهو وحده الذي يصيب بكل من الخير والضر من يشاء من عباده، ولولا مغفرته الواسعة وفضله ورحمته العامة لهلك جميع الناس بذنوبهم، ولكنه سبحانه ينفو لهم عن كثير، انظر الآية (٥٨) من سورة الكهف صفحة ٢٨٩، والآية (٤٥) من سورة فاطر صفحة ٥٧٨، والآية (٢٠) من سورة الشورى صفحة ٦٤٢. قل أيها النبي لكفار مكة : قد جاءكم الحق وهو القرآن وما اشتمل عليه، من ربكم لإنقاذكم من الضلال، فمن اهتدى واتبع الحق فما نفع إلا نفسه، ومن اختار الضلال فما ضر إلا نفسه، وما أنا بمهيمن عليكم فأكرهكم على الإيمان وأسمعكم بقوتى من الكفر والعصيان وإنما أنا بشير ونذير. فإن سمعوا فقد نجوا، وإلا فلا تسأل عنهم، واتبع ما يوحى إليك.

نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ① وَإِنْ أَسْتَعِرُوا زِينَتَكُمْ لَمَّا تُرِيدُوا إِلَىٰ
بَيْتِكُمْ مِنْكُمْ حَسَآ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَتُؤْتِ كُلَّ ذِي
فَضْلٍ قِسْطَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَمِنْ أَخَافَ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ
يُؤْرَثُ كَبِيرٌ ② إِلَى اللَّهِ تَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ③ أَلَا إِنَّهُمْ يَكُونُ صُدُورُهُمْ لَيَسْخَرُونَ أَلَا
يَعْلَمُونَ نَبَاهَهُمْ يَتْلَمَ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُخْلُونَ إِنَّهُمْ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ④ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ
إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعُهَا كُلُّ
فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ⑤ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيُشْهَدَ
أَنْتُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَقَدْ قُلْتُمْ إِنَّا لَمُتُّوا مِنْ قَبْلِ
الْمَوْتِ يَهْتَوُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ قَدَمًا إِلَّا حَرْمِينَ ⑥

واصبر على إيدائهم وتكذيبهم حتى يحكم الله
تعالى لك بالنصر عليهم، وهو خير الحاكمين،
لأنه مطلع على السرائر فلا يخطئ أبداً.

هذا القرآن كتاب قدر إحكام آياته، ثم
فصلت عند نزولها حسب المصلحة والحكمة
وكل ما اشتملت عليه، من عند حكيم يعالج
كل شيء بما يصلح له، حبيب لا يفعل إلا
الصواب عقل لهم أي النبي لا تعبدوا أيها
الناس إلا الله إني لكم من قبله سبحانه نذير.

المفردات . «إلى أجل مسمى» : هو
انتهاء أعمارهم . «تولوا» : أصلها تتولوا
حدفت إحدى التامين تحميما . «ألا» : حرف
يدل على تنبيه السامع لما بعدها لأهميته .
«يشنون صدورهم» : أي يطوونها على

بطونهم من شدة الكمد . «يستنفشون ثيابهم» : أي يجعلون ثيابهم غشاء وغطاء لوجوههم . «وما
من دابة في الأرض إلا على الله رزقها» : الدب والدبيب الانتقال الحميم البطر كدبيب
الطفل والشيخ المسن، والمقرب، ويطلق مجازاً على سريان المنكر والتم في الجسم،
والفساد في الأمة.

والدابة اسم عام يشمل كل نفس حية تدب على الأرض رحفاً أو على قوائم، قال تعالى
«والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم
من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير» الآية (٤٥) من سورة النور
صفحة ٤٦٥ وقوله تعالى «يخلق ما يشاء» أي مما تعلمون ومما لا تعلمون، مما يكون على
الأرض، أو يطير في الهواء، أو يسبح في الماء، وإطلاق دابة على ما يركب من الحيل، والبغال،
والحمير؛ عُرف طارئ لا من أصل اللغة.

ورق الدابة هو غذاؤها الذي تعيش به، ومعنى كونه على الله أنه سبحانه أوجب على نفسه

خلق هذا الرزق على الوجه الذي اقتضته حكمته كما أوجب على نفسه الرحمة. كما في الآية (٥٤) من سورة الأنعام صفحة ١٧٠، فالمعنى أن عليه سبحانه أن يخلق لها ما تنمى به، وسخره لها، وهداها إلى طلبه وتحصيله. كما قال ﴿أعطيني كل شيء خلقه ثم هدي﴾ الآية (٥٠) من سورة طه صفحات ٤٠٩، ٤١٠ وقال ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ الآية (٢٠) من سورة الحجر صفحة ٢٢٩، وليس معنى الآية أن الله سبحانه وتعالى يوصل رزقها إلى جوفها من غير سعي منها، ولا يفرك ما وقع فيه كثير من المفسرين من خطأ واضح حيث قالوا إن الرزق يصل إلى صاحبه ولو بدون سعي. وقال بمصهم لو هربت من الرزق لسعي وراءك، وعمل هؤلاء عن أن الله سبحانه قد وضع الأسباب والمسببات وقال ﴿هو الذي جعل لكم الأرض دلوًا فسامشوا في مآكبها وكلوا من رزقه﴾ الآية (١٥) من سورة الملك صفحة ٧٥٥، وقال ﴿لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو حمائمًا وتروح بطانًا﴾ فبظن إلى إشارته ﷺ إلى سعي الطير في طلب الرزق بقوله تغدو حمائمًا أي تذهب في أول النهار حالية البطون وتروح بطانًا أي تعود شباعًا ولم يقل إن الله يصنع لها رزقها في سمها وهي نائمة. فالحديث أمر بالسعي في طلب الرزق مع التوكل على الله ليسهل للطالب ما طلب، ولأن السعي لا يناهى التوكل قال ﷺ للأعرابي الذي قال عندما برز عن ناقته هل أعقلها يا رسول الله أم أتوكل؟ قال له النبي صلوات الله عليه (اعقلها وتوكل) وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه اعملوا فبان السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة فالله سبحانه وتعالى خلق الرزق وألهم الحيوان السعي لتحصيله وألهم الطمّل والحيوان الصغير التقام الثدي مثلاً، والكبير تناول طعامه بما هياه له من يد أو منقار مثلاً، وقد يعاقب الله المرد أو الأمة بالجوع حتى تموت إذا حرطت في الأخذ بالأسباب المشروعة ومنها عدم السعي أو عدم الانتقال من المكان القفر إلى المكان الذي فيه الرزق، فتكون عصمت ربها مدخل في عموم قوله تعالى ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ الآية (٩٧) من سورة النساء صفحات ١١٨، ١١٩، لأن ظلم النفس هو تعريضها لما فيه آلام التعذيب أو الهلاك. حتى أن يقال وما الحكم في الشيخ الهرم أو الطمّل الصغير، أو النساء المسنات، من كل مَنْ لا يستطيع تحصيل الرزق؟ والجواب أن كل هؤلاء مكلف

بتحصيل اوراقهم إما الدولة أو الأقارب الأقوياء، أو المسلمون المقيمون بينهم، أما من أحد محيطته، وأعد قوته الذي به حياته ثم أصابته مصيبة أهلكت قوته ولم يجد ما يعيش به كما إذا كان في سمر مثلا ولم يجد قوتا ولا ماء حتى مات، فإن هذا وأمثاله مضمّن سبق قصاء الله عليهم بموتهم على هذه الصورة، بل إنه سبحانه إذا قصى على حي بالموت فإنه يحول بينه وبين طعامه ولو كان بين يديه، بل ولو وصل إلى خلقه، بل قد يكون الطعام نعمة هو سبب هلاكه وهي هذا الحال لا ديب عليه. ﴿مستقرها﴾ . مكان استقرارها من الأرض. ﴿ومستودعها﴾ المكان الذي كانت مودعة فيه قبل الاستقرار من أصلاب أو أرحام أو بُيُوت أو بيضة أو غير ذلك، وقد تقدم بعض معناها في الآية (٩٨) من سورة الأنعام صمحتي ١٧٨، ١٧٩. ﴿كتاب مبين﴾ . هو اللوح المحفوظ.

﴿سنة أيام﴾ لا يعلم مقدارها إلا الله تعالى كما بينا ذلك في الآية (٥٤) من سورة الأعراف صفحة ٢٠١ وانظر الآية (٥) من سورة السجدة صفحة ٥٤٥، والآية (٤) من سورة المآثر صفحة ٧٦٥.

﴿عرشه على الماء﴾ . لا نعلم عن العرش إلا أنه مركز تدبير الملك كما تقدم في الآية (٥٤) من سورة الأعراف صفحة ٢٠١، والآية (٣) من سورة يونس صفحة ٢٦٥، و ﴿الماء﴾ هنا هو الماء الذي جاء في حديث عمران بن حصين الذي رواه البخاري في كتاب (بدء الخلق)، وهو قوله (قال ﷺ كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وخلق السموات والأرض إلخ الحديث) وطاهر هذا الحديث يدل على أن الماء خلق قبل العرش وأنها معا خلقا قبل كل شيء فهو ليس الماء المعروف لنا الآن قطعاً ويؤيده ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة (قلب يا رسول الله أحبرني عن أصل كل شيء فقال كل شيء خلق من الماء) ولعل هذا الماء هو ما يعبر عنه علماء زماننا بالسديم ويقولون إن كل شيء يتحلل فإنه في النهاية يرجع إلى هذه المادة السائلة. والله أعلم بأسرار خلقه.

﴿ليبلوكم﴾ : أي يمتحبركم.

المعنى إني تدبر لكم من جهته تعالى إن لم ترجعوا عن الشر، وشير لكم بثوابه إن امتعتم، ولأن تسعصعوا ربحكم مما حصل منكم من شرك ومعصية ثم تتوبوا إليه من كل ما يعرض لكم في المستقبل من ديون إن فعلوا ذلك بمتعمك في الدنيا متاعا طيبا كما في

الآيات (١٠، ١١، ١٢) من سورة نوح ٧٦٨، إلى أجل مسمى ومقدر عبده تعالى وهو انتهاء العمر المقدر لكم في علمه، ويعطى كل دى فصل من علم وعمل جراء فصله في الآخرة كاملاً، وإن تتولوا عما دعوتكم إليه فإبى أتوقع لكم عذاب يوم كبير هو له وشدة، وهو يوم القيامة، وذلك لأنكم جميعاً لابد راحمون إليه سبحانه بالموت والبعث، وهو قدير على كل شيء ومنه بعثكم وحشركم وتمديكم فأحذروا محالته ثم بيّن سبحانه ما كان منهم بعد كل هذه الإدارات فقال تنبه لحالهم عند سماع القرآن ترى هؤلاء الكافرين والمنافقين يعنون ظهورهم ويكسبون ربوسهم كأنهم يحاولون طي صدورهم على بطونهم ليستخفوا منه ﷺ لئلا يرى آثار الحسرة والمهبط من سطوة القرآن على وجوههم وهذا هو شأن الكفار المنافقين مع رسل الله سبحانه انظر الآية (٧) من سورة نوح صفحة ٧٦٨.

(ألا) أى تنبه أيها السامع واعلم أن الله يستوى في علمه سرهم وعلايتهم حين يجعلون ثيابهم عطاء على وجوههم كراهة الاستماع لكلام الله كما فعل قوم نوح في الآية (٧) من سورة نوح صفحة ٧٦٨ لأنه سبحانه عليم بأسرار الصدور وخواطر القلوب

وبعد ما بيّن سبحانه قدرته على كل شيء وأحاطة علمه، أراد أن يبين ما بهم الناس من آثار قدرته وعلمه وحكمة خلقه هذه الأجرام العظيمة فقال وما من دابة من الدواب المشار إليها في الآية (٤٥) من سورة النور صفحة ٤٦٥ إلا تكمل سبحانه برزقها وهداها لاكتسابه بفريرتها أو ما يهديها إليه العلم إن كانت من العقلاء بعد الأحد في أسبابه انظر الآية (١٥) من سورة الملك صفحة ٧٥٥، ويعلم مستقرها في الأرض وقبل ذلك المكان الذي كانت مودعة فيه من أصلاب الرجال وأرحام النساء وغير ذلك كل واحد من الدواب وأوراقها وأحوالها ثابت في كتاب واضح ما فيه، انظر الآية (٢٨) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨، والله سبحانه هو وحده الذى خلق السموات والأرض وما بينهما كما في الآية (٥٩) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٧، والآية (٤) من سورة المجدة صفحة ٥٤٥، في «ستة أيام» وكان عرشه قبل خلقهما على الماء وكيفية ذلك لا نعلمها كما قال سبحانه: «ما أشهدتهم خلق السموات والأرض» الآية (٥١) من سورة الكهف صفحة ٢٨٨ ثم بيّن سبحانه بعض حكمته في خلق ما ذكر مما يحسن المكلمين المحاطين بالقرآن فقال «ليبلوكم» إلخ أى يحمل ذلك ابتلاء وامتحاناً لكم فيظهر أيكم أحسن إتقاناً لعمله كما في آخر الأنعام، صفحة ١٩٢، وتالله لئن قلت للناس أيها النبي إنكم مبعوثون من بعد الموت للعصاة والجرار كما في الآية (٢١) من سورة النجم صفحة ٧٠٢ لسارع الكافرون منهم لتكنييك مؤكدين أن هذا القرآن الذى يقول بالبعث ما هو إلا كالسحر في الخديعة والبطلان واللعب بالمقول.

وَلَنُؤَخِّرَنَّهُمْ أَجَلَ آخِرٍ لِّأُمَّةٍ مُّعَذِّبَةٍ لَّيَقُولُنَّ
مَا يَجْعَلُهُ إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَفْرُوعًا عَنْهُمْ وَحَاقَ
بِهِمْ مَا كَانُوا يَوتُونَ بِتَنْهِيَانَهُ ① وَلَنُؤَذِّقَنَّ الْإِنْسَانَ
مِثْرَاحًا ثُمَّ رَجْعَيْنَاهُ فَأَتَى لَيْفُوسَ حَكُورَ ②
وَلَنُؤَذِّقَنَّهُ بُعْثًا بَعْدَ بَؤْسَاءَ مَتَّ لَيَقُولُنَّ دَعَبَ
الْبَشَاطَةِ عَمَى إِنَّمَا تَفْرَحُ حَوْرَ ③ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا
وَحَمِلُوا الصَّلِيبَ أُولَئِكَ هُم مُّصَفَّرَةٌ وَأَبْرَكِي ④
فَلَمَّا تَرَكَ بَعْضَ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَمَتَّ يَدَ صَفَرِكَ
أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَرْسَلْ عَلَيْنَا نَارَ آوْجَاءَ مَعَرَّ مَكَّ إِنَّمَا
أَنْتَ بِدِينٍ وَآفَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ⑤ أَمْ يَقُولُونَ
أَفَرَّرَهُ قُلُوبُنَا وَأَنْشَرْنَا سُرُورَيْنَا مَقَرَّرْنَا وَادْعُوا
مَنْ أَنْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ⑥

المفردات : «أمة» : اصل الأمة الجماعة
المتجانسة كما تقدم في الآية (٢٨٨) من
سورة الأنعام صفحة ١٦٨، والمراد هنا فترة؛
من الزمن، أي مدة كما في الآية (٤٥) من
سورة يوسف صفحة ٢١٠.

«الآ» : حرف تنبيه كما تقدم.

«حاق» : أي نزل واحاط بهم.

«لعلك» : المراد من لعل هنا الاستفهام
المقصود به النهي.

«لولا» : حرف يدل على طلب حصول ما
يهدم، انظر معانيها في شرح الآية (٤٦) من
سورة النمل صفحة ٥٠٠.

«أم يقولون» : «أم» حرف يفيد الانتقال من كلام إلى كلام كحرف «بل».

المعنى : بعد ما بين سبحانه إنكارهم للبعث شرع في بيان إنكارهم لما توعدهم به في
الآية (٢) من هذه السورة صفحة ٢٨٤ فقال:

ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى مدة قليلة في حسابنا، وغرهم أنهم يرونه بعيداً، انظر آيتي
(٦، ٧) من سورة الماعج صفحة ٧٦٥، يقول المكرون استهزاء وإنكاراً: أي شيء يمنع هذا
العذاب لو كان ما يقول محمد حقاً؟ ألا إن لهذا العذاب يوماً محددًا في علمنا يأتيهم فيه،
وحينئذ لا يستطيع مخلوق صرفه عنهم، وسيحيط بهم قطعا هذا العذاب إذا استمروا على
الاستهزاء به رغم التحذير منه مرارا كما في الآية (٢٩) من سورة يونس صفحات ٢٧٢، ٢٧٣.
ثم بين سبحانه بعض أنواع أخبار الإنسان المتقدم في الآية (٧) السابقة فقال «ولئن أذقنا

الإسنان﴾ إنَّخ: أى ولئن أعطيتناه بعض النعم رحمة منا كالصحة وسعة الرزق والولد، ثم لحكمه بزعمائها منه بمرض وفقر وموت، يصرع إليه اليأس الشديد من الرحمة والسخط على قضاء ربه، ويتقلب عليه كمران نعم الله السابقة عليه والتي لايزال يتمتع بها، فيجمع بين الحرمان من الصبر والشكر. ولئن أعطيتناه نعمة بعد صر كشمناه عنه ليقولن ذهب ما كان يسوءنى ولن يعود، ويصير شديد المرح الذى يربط قلبه بحب الدنيا، ومبالغا فى المحر والتعالى على الناس هيشفته ذلك عن شكر الله، ويفعل عن أنه ربما يعود إليه ما كان فيه من المصائب فكان يجب أن يكون على حذر مراقبا ربه ليحفظه مما يسوء، ولذلك طلب سبحانه من عباده أن يشكروه ليدوم عليهم نعمه، انظر الآية (١٥٢) من سورة البقرة صفحة ٢٩.

هذا هو المالب فى طبع الإنسان كما فى سورة العصر، ولا ينجو منه إلا الصابرون على الشدائد إيمانا بالله وتسليما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لله تعالى. وهؤلاء لهم مغفرة لما قد يكون لهم من ذنوب، وهى الآخرة أجر كبير من الجنة ورصوان الله تعالى ولما كان ﷺ شديد الحرص على إيمان قومه، شديد الحرص على كسرهم إلى حد كان يصيق فيه صدره الشريف غما عليهم كما تقدم فى آيتى (٢٣، ٢٥) من سورة الأنعام صفحة ١٦٧، والآية (٢) من سورة الأعراف صفحة ١٩٢، والآية (١٢٧) من سورة النحل صفحة ٣٦٢، والآية (٦) من سورة الكهف صفحة ٢٨٠، وكان مما يحزنه ثمنتهم فى اقتراح معجزات لمجرد العناد، قال سبحانه: ﴿فلعلك تارك﴾ إنَّخ، أى هل يحول بحاطرك أيها النبي تأخير تبليغ بعض ما يوحى إليك مما يشق سماعه على المشركين كتوبيخهم على الشرك واحتقار آلهتهم خوفا من قبح ردهم واستهزائهم؟ وهل يصيق صدرك أحيانا خوفا من أن يقولوا لولا جاء من الله كثر من غير تعب فينعم كالمولوك وتتعم معه أو يجىء معه ملك يخبرنا بصدقه؟ لا، لا تحزن أيها الرسول فليس عليك إلا الإبدار والتبليغ لما يوحى إليك، ولماذا يضيق صدرك وأنت تعلم أن الله على كل شيء رقيب ومهيمن، وسيفعل بهم ما يستحقون، انظر مثل هذه الحالة فى آيتى (٧٣، ٧٤) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٤ بل يقول هؤلاء الكفار إن محمدا اخترى هذا القرآن من عند نفسه ونسبه لله قل لهم إن كان الأمر كما ترعمون فاهتروا وأنتم أرباب المصاححة والبلاغة عشر سور مثله فى الإتقان وعدم الاختلاف مع كثرة تكرار القصة الواحدة والإخبار بالغيب وحكمة التشريع، واستعينوا بما يمكنكم الاستعانة به من الإنس والجن، كما هى الآية (٨٨) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٦ إن كنتم صادقين فى دعواكم إنه كلام بشر.

فَمَا لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَوْا أَعْمَاءُ أُرِيدَ يُعْلِمُ أَفْوَ وَأَنْ
لَا يَكُنْ إِلَّا مَرَّةً فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْجِبُونَ ① مَرَّكَانَ يُرِيدُ
الْحَبْرَةَ الدُّنْيَا وَرَبِّهَا تُؤَدِّفُ إِلَيْهِمْ أَعْمَلْتُمْ مِثْلَ دَمِيضٍ
لَا يَحْصُرُونَ ② أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
النَّارُ وَحِطَّ مُصْعَرًا مِثْلَ مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ ③
أَفَسَ كَانَ عَلَى نَبِيٍّ مِنْ رَبِّهِمْ وَبَيْنَهُمْ شَهِادَةٌ مِنْ
قَبْلِهِ يَكْتُبُ مِثْلَ مَوْسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ
وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُنْ
فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يُؤْمِنُونَ ④ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
أُولَئِكَ يَمْشُونَ عَلَى رِجْلَيْهِمْ وَيَقُولُ الْإِنشَاءُ مَنُزَّلًا
الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى رَبِّهِمْ آلَاءَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ⑤

المفردات :- «حبط» : أى ذهب نفعه.
«بينه من ربه» : أى حجة ونور بمسيرة وهبها
له ربه كما فى الآية (٢٢) من سورة الزمر
صفحة ٦٠٩.

«شاهد منه» : هو القرآن.

«كتاب موسى» : هو التوراة.

«إماما» : أى متبعا. «الأحزاب» : هم
قبائل مكة وما جاورها الذين تعزبوا وتعاونوا
على مقاومة دعوته ﷺ «مريية» : شك
«الأشهاد» : جمع شاهد كاصحاب وصاحب،
أو شهيد كاشراف وشريف، والمراد بهم

الملائكة الحفظة والأنبياء كما فى الآية (٤١) من سورة النساء صفحة ١٠٧. «الا» : حرف
تنبيه كما تقدم مرارا.

المعنى :- فإن لم يستجب - لكم أيها المشركون - مَنْ تدعونهم لمساعدتكم لمجزهم
فيجب أن تعلموا أنه ما أنزل إلا مقترنا بعلم غيره فلا يقدر عليه سواه. وإذا ثبت هذا فاشهدوا
أنه لا إله إلا هو سبحانه.

وبعد انقطاع كل شبهة فيجب أن تدخلوا فى الإسلام. ثم أراد أن يبين سبب انصرافهم عن
الحق وهو أنهم حصروا مهم من الدنيا فى شهوات أنفسهم، لا يلتفتون لما وراءها، فقال:

(١) الحياة

(٢) أصالهم

(٣) ويأمل

(٤) كتاب

(٥) الأشهاد

(٦) الظالمين

﴿مَنْ كَانَ يَرْيِدُ﴾ إلخ، أى بجميع أعماله فى الدنيا حتى ما كان منها فى صورة الإحسان التمتع بزينه الدنيا من زيادة النفع أو الثناء عليه يعطيهم الله ثمرات أعمالهم فى الدنيا من صحة وسعة رزق ورئاسة وأولاد، لا ينقصون شيئاً من ثمرات أعمالهم فى الدنيا مع ما يحيط بها من منفصات لابد منها كما فى الآية (١٢٥) من سورة الأنعام صفحة ١٨٢، والآية (١٢٤) من سورة طه صفحة ٤١٨، وفى الآخرة ليس لهم فيها إلا النار لذهاب فائدة ما صنعوا لأنه فى نفسه باطل لغلوه من نية التقرب إلى الله، كما فى آيتي ١٧، ١٨ من سورة الإسراء صفحات ٣٦٦، ٣٦٧. ثم نفى سبحانه المساواة بين أصحاب النار وأصحاب الجنة فقال أفمن كان يسير على نور بصيرة من ربه، ويقوى هذا النور شاهد عظيم من الله يشهد بصحة وصدق تلك البينة وهو القرآن، ومن قبل القرآن شاهد آخر هو كتاب موسى حال كونه إماماً متبعاً فى الهدى ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه، أى أفمن كان عنده هذه الحجج الثلاث كمن ليس له من الدنيا إلا المتعة المانية؟ الحق أنهما لا يستويان أولئك الجامعون بين البينة وبين شهادة الكتب السماوية يؤمنون بصحة كل ما جاء به محمد. ومن يكفر به ممن تحريوا على رسولنا فليس له مكان إلا النار التى وعدناه بدحولها فى الآية السابقة، فلا تكن أبها السامع فى شك من هذا الوعد لأنه حق من ربك، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون لعلة الشر عليهم، انظر الآية (١٠٣) من سورة يونس صفحة ٢٨٢. ثم أراد سبحانه أن يبين فى السبع الآتية حال كل فريق من الفريقين المذكورين فقال سبحانه : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ إلخ أى لا أحد أشد ظلماً لنفسه ولغيره من الفريق الذى يفترى على الله شيئاً من الكذب بأن ينسب إليه ما لا يليق كالولد والشريك، وأنه لم يجعل من البشر رسولاً إلى غير ذلك، هؤلاء يعرضون يوم القيامة على ربهم لمعاسبتهم، ويقر الشهداء عليهم بأنهم هم الذين كذبوا على ربهم فيفضحونهم بهذه الشهادة المقرونة باللعنة، أى طلب حرمانهم من الرحمة، لأنهم استمروا على الظلم والشرك طول حياتهم.

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَمْنُنُونَ بِمَتَاعِهِمْ
وَالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١١﴾ أُولَئِكَ لَا يَكُونُوا مُعْجِزِينَ
فِي الْأَرْضِ وَمَا حَوْلَ هُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أُولَئِكَ
يَضَعُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَتَطَلَّعُونَ أَلَسَ وَمَا
كَانُوا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
وَصَلََّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
هُمْ الْأَغْرُورُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ هَمُّوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿١٥﴾ • مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَصْحَابِ الْأَيْمَنِ
وَالْيَمِينِ وَالسَّيِّئِ كُلٌّ بِسَوْرَتَيْنِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٦﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِلَىٰ لَكَ بَدْرٌ مُبِينٌ ﴿١٧﴾
إِنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَِّّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ

المفردات : «يبيضونها عوجا» : أصل
المعنى يريدونها عوجاء لتوافق شهواتهم.
«ممعجزين في الأرض» : أي مفلتين من
عقابه لمعجزه.

«يضاعف لهم العذاب» : أي يعذبون
عذابا على ضلالهم وعذابا على إضلالهم
غيرهم بصددهم عن سبيل الله قال تعالى
«الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم
عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون» الآية
(٨٨) من سورة النحل صفحة ٢٥٧، وكذلك

الآية (٦٩) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٨.

«وضل» : أي ضاب.

«لا جرم» : قال الخليل وسيبويه والفرأء وغيرهم أن «لا» و «جرم» يستعملها العرب
كلمة واحدة ومعناها حق بفتح الحاء والقاف المشددة فعل ماض بمعنى ثبت وجملة «أنهم في
الآخرة» فاعل لهذا العمل وهو حق. ونقل عن الخليل أيضا أنه قال «لا» حرف نفى وإن معنى
التركيب «لا جرم» لا بد ولا معاملة من أنهم... إلخ «أخبتوا إلى ربهم» : خضعوا له واطمأننت
قلوبهم بالإيمان، انظر الآية (٥٤) من سورة الحج صفحة ٤٤١.

(١) كاضرون

(٢) يضاعف

(٣) الصالعات

(٤) اصعباب

(٥) خالدين.

المعنى :- لعنة الله على الظالمين الذين يصرفون الناس عن الطريق الموصل إلى رضا الله، ويقصدون بصددهم عنها جعلها معوجة في نظر الناس ليضروهم منها، والحال أنهم هم وحدهم الكافرون بالآخرة كفرا فظيما، جعل كفر غيرهم كأنه عدم، أولئك الموصوفون بما ذكر لم يكونوا مفلتين من عقاب الله إذا أراد عقابهم في أرض هذه الدنيا على سمعتها، ولو تعصنوا في بروج مشيدة، ولكن اقتضت حكمته أن يؤخر عقابهم للأجل الذي حدده، فإذا جاء فلن يكون لهم من دون الله مَنْ يتولاهم فيجمع عنهم عذابه، وحينئذ يضاعف لهم العذاب بجمع ما كانوا يستحقونه في الدنيا على ما استحقوه في الآخرة، وعلى جرائمهم المتعددة، لأنهم لشدة كفرهم صاروا يكرهون سماع القرآن كما في الآية (٢٦) من سورة فصلت صمعة ٦٢٢، وما كانوا يبصرون آيات الله في الكون الدالة على الحق وقدرته وتمرده بالملك وعلى عدله في تصرفه في الخلق؛ أولئك هم الذين حسروا أنفسهم حيث باعوها للشيطان بثمن بحس هو مناع الدنيا الرائل، فحللوا في الآخرة في جهنم، وغاب عنهم ما افترروه من شفعاء يدفعون عنهم العذاب ثبت حقا أنهم في الآخرة أشد أهل النار حسرانا، ويقابل هؤلاء المشركين، ندين أموا وعملوا الصالحات، وحششت قلوبهم واطمأنت إلى قصاء ربهم، أولئك وحدهم هم مستحقون للجنة الحالدون فيها مثل الكافر والمؤمن كالأعمى الذي يسير على غير هدى، و لأصم الذي لا يسمع ما يدل على السلامة، وقوى البصر الذي يعرف طريق النجاة، وشديد السمع الذي يسمع كل نافع، هل يستوى المريقان في الصمة والحال؟ أتجهلون أيها المحاطبون مد الفارق الواضح فلا تتذكرون ما بينهما من التباين؟ والمراد يجب أن تتعكروا لتعتبروا وتهتدوا،

ثم أراد سبحانه أن يملئ رسوله على ما يمايه من قومه، ويحذر المشركين بما حصل لقوم نوح لما حالصوه من هلاكهم ونجاة المؤمنين، فقال: «ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه» قائلا لهم إني لكم نذير واضح الإنذار، بأن لا تعبدوا إلا الله؛ لأنى أخاف عليكم إذا أشركتم عذاب يوم شديد ما فيه من الألم.

اليس (١٦) فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما ريتك
إلا بشرا مثنا وما ريتك أسعك إلا الذين هم آرادك
بإدري الرأي وما ريت لك علينا من فصيل بل نطرك
كذابين (١٧) قال ينقم رؤيتهم إن كنت على بينة من
ربك وآتينا من عند ربك عليهم علينا أن لا يكونوا
وأنتم ما كارهون (١٨) وينقم لا أسطرك عليه مالا
إن أخرجي إلا على الله وما أنا بظهير الذين أسوأ إليهم
مكتفوا ربهم ولكني أنذركم قومًا يجهلون (١٩) وينقم
من ينصرون من الله إن طردتهم أفلا تذكرون (٢٠)
ولا أقول نكر هيدي حرائي الله ولا أعلم الغيب ولا
أقول إني ملك ولا أقول للذين تردى أعنكم أن
يؤمنوا بالله خيرا الله أعلم بما في أنفسهم إني إن شاء

﴿رحمة﴾. المراد بها هما النبوة.

﴿فعميت عليكم﴾ : أي خفيت.

المعنى . قال رعماء الكفر من قوم نوح في ردهم على نوح عليه السلام لا مزية لك علينا حتى
يكون تابعين لك والحال أنه لم يتبعك إلا رعاع الناس من أول وهلة بلا فكر ولا روية، ولو فكروا

(١) يراد

(٢) كاذبين

(٣) يا قوم

(٤) رأيتم

(٥) وآتينا

(٦) كارهون

(٧) ويا قوم

(٨) أسالك

(٩) ملاقو

(١٠) أراكم

(١١) ويا قوم

المفردات :- ﴿الملأ﴾ - هم الرعماء.

﴿آرادك﴾ : جمع اردل وهو الأشد ردالة

كما هي الآية (١١١) من سورة الشعراء

صفحة ٤٨٦، يقال ردل المرء بصم الدال

كصم وهو الخصيم الدون.

﴿بإدري الرأي﴾ : أي في الرأي أول ظهوره

قبل البحث عن صحته.

﴿أرايتهم﴾ : أي أخبروني.

﴿على بينة﴾ : أي نور بصيرة وحجة كما تقدم

في الآية (١٧) من هذه السورة صفحة ٢٨٦.

ما تبعوك، وما يرى لك أنت ومنّ اتبعك أقل فضل تمتازون به علينا مع أنا أرباب المال والجاه. بل فضلا عن ذلك نظّمكم كاديين، أنت هي دعوى الرسالة، ومنّ اتبعك هي دعوى أنهم صدقوك.

قال نوح يا قوم أحبروني إن كنت على بصيرة من ربي أهلتني لأن يعطيني ربي رحمة من فضله فحجب البينة عنكم جهلكم وغروركُم بالمال والجاه فلم تدركوا أنها هي السبب في اختياري ربي لي رسولا لكم، هل نلزمكم اعتقادها جبرا وال الحال أنكم كارهون لها جحودا واستكبارا؟ انظر الآية (٧) من سورة نوح صفحة ٧٦٨.

أي هذا ما لا يمكن أن فعله لأن العقائد لا تكون بالإكراه أبدا ويا قوم لا أسألكم على تبليغ رسالة ربي مالا، فما أطلب أجرا على ذلك إلا من الله الذي أرسلني.

ولما كان يؤحد من كلامهم أنهم يستحسنون طرد العوام الذين اتبعوه، وأن العبي والجاه هو المعمول عليه في كون الرجل عظيما. وأن الدين اتبعوه كادبون في تصديقهم له، وأن الرسول لا يكون إلا من الملائكة لا بشرًا، قال في الرد على كل هذا «وما أنا بطارد الدين أموا» عن معاشرتي لأجل احتقاركم لهم، لأنهم سيلاقون ربهم يوم القيامة فيشكونني إليه إن طردتهم، فلا يكون لي جواب أجوبه من عقاب الله، ولكني أراكم قوما تجهلون ما يصح أن يمتار به الناس بمعصهم عن بعض من اتباع الحق وعمل الخير، ونظنوا أن الامتياز لا يكون إلا بالمال والجاه.

ويا قوم منّ يمنع عني عقاب الله إن تركتهم وهم أولياؤه؟ أتصرون على جهلكم فلا تتذكرون أن لهم ربا ينتقم لهم. ولا أقول لكم بادعاء الرسالة: إن عدي حرائر رزق الله أتصرف فيها كما أشاء، فأجعل منّ اتعنى غيبا مثلكم، ولا أقول لكم إنني أعلم الغيب حتى أكشف عن قلوب منّ اتبعني، ولم ادع أبى ملك من السماء حتى تردوا على بما براك إلا بشرًا، ولا أحكم على المقرء من أتباعي بأن الله لن يؤتيهم خيرا في الدنيا والآخرة إرصاء لشهواتكم، لأن الله هو الذي يعلم ما في أنفسهم من إحلاص وغيره، إني إذا قلت فيهم ما تحبون أكون من الظالمين لنفسي للقول بغير علم، وللمؤمنين بإنكار حقهم عند الله.

الظالمين ﴿٢٨٨﴾ قَالُوا يَسُوحُ قَدْ جَدَلْنَا فُلَاكُم مَّا كُنْتُمْ
 جَدَلْنَا قَانِيًا يَمَّا تَعْلَمُونَ إِن كُنتُمْ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٢٨٩﴾
 قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِٱللَّهِ إِذْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٢٩٠﴾
 وَلَا يَمْنَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ
 ٱللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ ذَاكُمْ وَأِلَٰهِي تَرْجِعُونَ ﴿٢٩١﴾
 أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ ٱلْبَرَاءِ وَأَمَّا
 بَرِيءٌ مِّمَّا تُكْرِمُونَ ﴿٢٩٢﴾ وَأَوْحِ إِلَيَّ نُوحٌ ٱلَّذِي يَرْمِي مِن
 قَوْمِكَ ٱلْأَمْنَ قَدْ هَمَمْتُ فَلَا تُبَشِّرْ بِمَا كَانُوا يُعْلَمُونَ ﴿٢٩٣﴾
 وَأَنْصَحُ ٱلْمَلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا وَلَا تُلَاحِظُنِي إِلَٰهِيْنَ
 ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٩٤﴾ وَنَصَحُ ٱلْمَلَكَ وَكُنَّا
 مَرَّةً مَّوَدِّعِينَ قَوْمِهِ خَيَّرُوا مَن قَالِ إِنْ أَنْزَلْنَاهُ
 فَمَا نَسْفَعُكُمْ مَّا تَسْخَرُونَ ﴿٢٩٥﴾ قَوَّيْتُ لَكَ ٱلْقُوَّةَ

المفردات : : ﴿بما تعدوا﴾ : أى ما هي

الآية (٢٨٦) السابقة صفحات ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

﴿معجزين﴾ : أى لا تعجزون الله إذا أراد عذابكم .

﴿يفويكم﴾ : أى يهلككم بالعذاب ، انظر

الآية (٥٩) من سورة مريم صفحة ٤٠٢ .

﴿أم يقولون اختراهم﴾ : أم حرف بمعنى

﴿بل﴾ الذى تفيد الانتقال من جانب من الكلام

إلى جانب آخر منه . قال ابن عباس المعنى بل

يقول قوم نوح عنه أنه هو الذى افتري على الله

سبعائه وتعالى كل ما يأمرنا به ويهاينا عنه .

﴿إجرامى﴾ : الجرم الذنب العظيم .

﴿لا تبشئ﴾ : أى لا يستول عليك البؤس أى الحزن .

﴿الملك﴾ السمية والملك يطلق على الواحد والجمع . ﴿بأعيننا﴾ المراد بمنايتنا ، انظر

الآية (٢٩) من سورة طه صفحة ٤٠٨ ، والآية (٤٨) من سورة الطور صفحة ٧٠٠ ، والآية (١٤)

من سورة القمر ٧٠٥ . ﴿وكلمنا مراً عليه ملاً﴾ إلح ﴿كل﴾ منصوب على الظرفية و ﴿ما﴾

مصدرية وقتية أى كل وقت مرورهم والمامل هى الظرف ﴿كل﴾ سغروا وهو يشبه الجواب لها ،

انظر الألويس والمعنى . ومثلها كلما رزقوا من ثمرة رزقا ، وهو تركيب كثير فى القرآن .

المعنى : لما عجزوا عن مقاومة الحجة بالحجة لجأوا لمجرد العناد وقالوا يا نوح قد

شرعت فى جدالنا وأطلت حتى مللنا ولم تعد نتحمل ذلك ؛ فإن كنت صادقاً فيما تقول فأت

بهذا العذاب الذى تنوعدا به . فقال . إن هذا بيد الله وحده لا قدرة لى عليه ، فهو سبعائه

الذى يأتىكم به إن شاء حسب حكمته، ولستم بمعلتين من عذابه إذا جاء، لأنه لا يعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء. ولا ينفعكم نصيحى مهما أحببت الخير لكم إن كان الله قدر هلاككم بالعذاب لعلمه بتصميمكم على الكفر والفساد، وانطماس قلوبكم حتى صارت لا تقبل حقا، والحيلة على أسلوب (إن أحسنت إلى أحسنت إليك إن قدرت) فالشرط الثانى قيد فى الجراء الأول، وجراء الثانى معلوم من المقام، هو سبحانه ربكم الذى يعلم ما فى قلوبكم، وسترجعون إليه فى الآخرة فيجازيكم بما تستحقون.

ولما كان العرس من ذكر قصة نوح مع قومه هو تسليته ﷺ بما حصل لإخوانه القبيس قبله، وتهديد المشركين بما حصل لقوم نوح كما تقدم، أراد سبحانه أن يبه السامع لسفاهة كمار مكة وسط قصة نوح تمجيلا لبعض المائدة فقال ﴿أَمْ يَقُولُونَ اهْتِرَاءٌ﴾ أى إن هذا القصص الحق الذى قصه الله تعالى عن نوح وقومه ما كان يعلمه أحد منهم كما سيأتى فى الآية (١٩) الآتية من هذه السورة صفحة ٢٩١، فهل يصح أن يقول مشركو مكة قد اهترى هذا الذى يحكيه عن نوح؟ قل لهم أيها النبى: إن كنت اهتريته على الله فرصا فهو إحرام عظيم على نفسه، وبما أن هذا محال فمن يعلم فظاعة الكذب على الله فأنتم المجرمون وأنا برىء من إجرامكم ونظير هذا تقدم فى الآية (١١) من سورة يونس صفحة ٢٧٢، ثم رجع سبحانه لقصة نوح فقال ﴿وَأَوْحَى﴾ إلخ، أى أوحى الله إلى نوح ما يصرفه عن الطمع فى إيمانهم، فأعلمه بأنه لن يؤمن منهم بعد الآن إلا من سبق منه الإيمان قبل ذلك، فلا تعزى يا نوح بسبب ما فعلوه من تكديبك وإيذائك، لأننا سنستقم منهم قريبا، واصنع السعوية التى أوحينا إليك بصنعها سسجيك عليها حال كوكب ملحوظا بمنابيتنا معلما بوحينا لك كيف تصنعها، ولا تحاطبى فى شأن هؤلاء الظالمين بعد الآن بطلب رحمة أو تأخير عذاب، لأنه قصى عليهم بالهلاك غرقا، وشرع نوح يصنع الملك وكلما مر عليه مالا من قومه وسألوهم عما يصنع ويقول لهم أمرنى ربى أن أصنع بيتا يجرى على الماء ولم يكن هذا معروفا قبل ذلك استهزؤا به وصحكوا ورموه بالحنون، انظر الآية (٩) من سورة القمر صفحة ٧٠٥. ولما كان واثقا من وعد ربه قال إن تسخروا ما بجهلكم، أنا أيضا بسحر منكم، لكن بحق، فسوف تعلمون إلخ...

مَنْ يَأْتِهِ عَذَابٌ مُخِرٌ وَيَحُلْ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٢٨﴾
 حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التُّورُ قُلْنَا أُخِذْ بِهَا مِنْ كُلِّ
 رَوْحٍ أَنثَرْنَا وَأَفْلَكَ الْآمِرُ سَبَّحْ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ
 وَمَا أَمْرٌ مَعَهُ إِلَّا قَبِيلٌ ﴿٢٩﴾ • وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا
 بِسْمِ اللَّهِ نَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْهَبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ
 فِي مَقَرٍّ يَتَنَزَّلُ أَرْكَبْ مَعَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٠﴾
 قَالَ سَاعِدَنِي إِنَّكَ حَكِيمٌ عَصِمِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا غِنَىٰ
 الْمَهْمُ مِنَ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَخَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ
 فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٣١﴾ وَقِيلَ يٰنُوحُ اأْتِنِي مَائِكَ
 وَبَنَاتَكَ أَقْلِي رِمَيمُ الْمَاءِ وَقِيلَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ
 عَلَى الْمُرْدِي وَفِيهِ نَعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣٢﴾

المفردات :- «مقيم» : دائم خالد .
 «هان» : ارتقع بقوة . «التور» : هو ما يصنع
 فيه الخبز . «زوجين» : أى ذكر وأنثى .
 والعرب تسمى كل فرد لا يستغنى عن زميله
 زوجا، فيقال للمرأة زوج، ولزوجها زوج، انظر
 الآية (١٤٣) من سورة الأنعام صفحة ١٨٧ ،
 والآية (١٥) من سورة النجم صفحة ٧٠٢ .
 «مجرها» : جريانها . «مرساها» :
 إرساؤها عند وقوعها عن سيرها .
 «فى معزل» : أى مكان منعزل عما فيه
 نوح والمؤمنون معه .

«ساوى» : سألجا «أقلمى» : كفى عن الأمطار . «غيض الماء» يقال غاص الماء ذهب،
 وغاصه الله أذهبه، فهو غل لارم ومتعد، وما هى الآية من الثانى كأعاص . «استوت»
 استقرت «الحدوى» حبل بالموصل «بعدا» يقال بعد الشيء بكسر الميم بعدا بضم
 فسكون إذا صار بعيدا لا يرجى عوده، ثم استعمل فى الهلاك وهو المراد هنا .

المعنى . فسوف تعلمون من هو الذى يأتبه عذاب فى الدنيا يذله ويحل عليه فى الآخرة
 عذاب دائم، حتى إذا جاء وقت أمرنا بهلاكهم، ونبع الماء بقوة من جوف تنور إعلاما له
 بالاستعداد لركوب السميكة، ثم تتابع تفجر الماء من الأرض ونزوله من السماء كما هى آيتى

- (١) مجريها
- (٢) ومرساها
- (٣) يابى
- (٤) الكافرين
- (٥) ساوى
- (٦) ويا سماء
- (٧) الظالمين

(١١، ١٢) من سورة القمر صفحة ٧٠٥، عند ذلك قلنا لنوح احمل هي السفينة من كل نوع من الحيوانات ذكراً وأنثى، لتتناسل وتبقى أنواعها بعد الطوفان، واحمل فيها أيضاً أهل بيتك جميعاً إلا من سبق عليه حكماً بهلاكه لكفره كأمراته وابنه، واحمل فيها أيضاً من آمن من قومك ولم يكونوا إلا عدداً قليلاً. لم يصح في تحديد عددهم حديث عن النبي ﷺ. وقال نوح لأهله وللمؤمنين اركبوا في السفينة حاة كونها بعناية الله وقدرته جريها ووقوفها، إن ربي واسع المغفرة لعباده، فلم يهلكهم جميعاً بما وقع من معصيتهم، رحيم بالمؤمنين سحر لهم ما به نجاتهم، هركبوا، وبينما هي تجرى بهم من موج عظيم الارتفاع، وقبل تماقم الحطر ونقطاع علاقة السفينة بالبر، رأى نوح ابنه في معزل لم يركب معهم، فقال له يا بني اركب معنا ولا تبقى مع الكافرين معيذاً عن السفينة، وإما قال نوح هذا بعد ما نهى الله تعالى عن طلب النجاة للكافرين كما في الآية (٢٧) السابقة صفحة ٢٨٩ طما منه أن ابنه مؤمن، ولكنه هي الحقيقة كان منافقاً يظهر لأبيه الإيمان ويحصى الكفر كامه زوجة نوح كما في الآية (١٠) من سورة التحريم صفحة ٧٥٢، فكان جوابه لأبيه إني سألجأ إلى جبل يحفظني من خطر الماء. قال نوح لا شيء في هذا اليوم المصيب يحفظ أحداً من أمر الله الذي قصي به هلاك الكافرين، لكن من رحمته الله من عباده يحفظه من العرق. وبعد هذا مباشرة لجأ نوح إلى ربه بما سيأتي في الآيات (٤٥، ٤٦، ٤٧) من هذه السورة صفحة ٢٩١. وبعد هذه الصراعة من نوح إلى ربه كان الماء قد ارتفع وكثر الموج حتى حال بينهما فكان ابنه من المفرقين وبعد هلاك الجميع قال سبحانه للأرض أي أمرها أمر تكوين بأن تحمي ما عليها من الماء في خوفها بقوة، وأمر السماء أن تكف عن الأمطار، فكان ما أراد، وعاض الماء، وبمذ أمر الله سبحانه بنجاة المؤمنين وهلاك الكافرين، واستقرت السفينة على الجودي، وقيل هلاكاً وسحقاً للقوم الظالمين أنفسهم بالكفر. وهل القاتل هو الله عز وجل، أو ملائكته أو الحميع كما في الآية (١٦١) من سورة البقرة صفحة ٩٢١ الله سبحانه وتعالى أعلم. وإما قلنا إن طلب نوح نجاة ابنه مقدم على العرق لأنه بعد غرقه ثبين قطعاً أنه ليس بمؤمن، لأن الله تعالى وعد نوحاً بنجاة المؤمنين معه، وبالفارق لابد أن يعلم أنه ليس مؤمناً. فلا يصح أن يحاطب ربه فيه بعد أن نهى عن ذلك في الآية (٢٧) السابقة صفحة ٢٨٩.

وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنِّي وَأَنَا وَكَفَّكَ
الْحَسَنُ وَأَنْتَ أَخَذَهُ الْخَاسِرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ يَبْنَوحُ إِنَّهُ
لَيْسَ مِنِّي أَطْعَمْتُهُ قُلْ عَمَلٌ صَالِحٌ فَلَا تَسْأَلُنِي مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّي أَخْشَاكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنَّي أَخُوذُكَ أَنْ أَنْفُكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ
وَلَا تَغَيِّرْ لِي وَزَعْمِي أَكُنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٧﴾ قِيلَ
يَبْنَوحُ أَهَبْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ
مَعَكَ وَأَنْتُمْ سَخِرْتُمْ بِهِمْ ثُمَّ إِلَيْهِمْ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾
يُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ الْغَيِّبَ فَرُوحًا إِلَيْكَ فَكَتَفَتْهُمَا
أَنْتَ وَلَا تَقُولُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الصَّفِيَّةَ
لِلْعَاقِبِينَ ﴿١٩﴾ وَإِلَٰك مَا أَعْطَاهُمُ عَزُودًا قَالَ يَقْرَأُ أَهْبَدُوا
أَقْرَأَ مَا لَكُمْ مِن إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِذْ أُنْزِلَ الْأَمْثَرُونَ ﴿٢٠﴾

المفردات : ١. ﴿عمل غير صالح﴾ : الأصل
أنه عامل عملا غير صالح، ولشدة كفره جعله
نفس العمل الطالح مبالغة، كما يقال في
الرجل الشرير إنه شر أي صاحب شر شديد.
المعنى : : أن نوحا لما رأى ابنه في خطر،
وكان يظن أنه مؤمن كما تقدم، وكان الموح لم
يجل بينهما نادى نوح ربه بما يأتي، وإنما قدم
سبعانه حيلولة الموح وعرقه على هذا لنداء
لحكمة بلاغية هي تكميم القصة المبينة لوجه
المبرة التي سيقى لها، وهي تسليته ﷺ،
وتحذير المشركين من أن يحصل لهم مثل ما

حصل لمن كفر قبلهم. وبعد ما أتمها سبحانه أراد أن ينبه المسلمين لأمر مهمة وقعت في
حادث نوح وابنه منها أن الأنبياء إذا أخطأوا في اجتهدهم يلامون لعظم منزلتهم، ومنها أن
الإيمان والصلاح لا علاقة له بالوراثة والنسب، إذ لو كان أحدهما لما كفر ابن نوح، ومنها أن
الله تعالى يجري الناس في الدنيا والآخرة بأعمالهم لا بأسمائهم ولا يحابي أحداً لأجل أبيه
مهما كانت منزلة الأب، ومنها أنه لا يجوز أن يطلب العبد من الله شيئاً إلا إذا كان عالماً
بجوازه، أما إذا جهل حكم الله فيه فإنه لا يجوز أن يطلبه من الله، ومن باب أولى إذا علم
بحرمته، فقال سبحانه في ذلك ﴿ونادى نوح ربه﴾ إلخ، المراد وقد كان نداء نوح ربه عقب
امتناع ابنه من الركوب معه وتعرضه للخطر طالبا من الله أن ينقذه فقال - يارب إنك وعدتني

(١) الحاكمين	(٢) يا نوح	(٣) صالح
(٤) تسألن	(٥) الجاهلين	(٦) أسالك
(٧) الخاسرين	(٨) يا نوح	(٩) بسلام
(١٠) ويركات	(١١) العاقبة	(١٢) يا قوم

بنحاة أهلى واسى منهم موفقه للركوب معاً لأن وعدك هو الحق الذى لا يتخلف وأنت أحسن الحاكمين حكماً كما فى الآية (٥٠) من سورة المائدة صفحة ١٤٧، أى لا تعد حراً، عمل إلا بالعدل. ومراد نوح بهذا الثناء على الله استحلاب رحمته تعالى لينقذ له والده. قال سبحانه يا نوح إن أبك هذا ليس من أهلك الذين أمرتك بأن تجعلهم فى اسمعية ليبحوا لأنه شرٌ صرّف، حيث كان يعمى كمره، هولاءة الإيمان ببيك وببيه منقطعة، فكأنه ليس بيه وببيك سب أصلاً، انظر آيتي (٦٧، ٧١) من سورة التوبة صحتي ٢٥٢، ٢٥٣، والآية (٢٨) من سورة يونس صحتي ٢٧٠، ٢٧١. فلا تسألني أن أجيبك فى قضاء شيء، ليس لك بجوار طلبه علم، بى اعطك أى أنهلك نهياً يصل إلى شفاء قلبك حتى لا تكون من الذين يسألون بعير علم، قال نوح يارب إني أحتسى وأتخص بك من أن أسألك بعد الآن ما ليس لى به علم صحيح وإن لم تغفر لى ما فرط منى وترحمى بقبول توبتى أكن من العاسرين وبعد ذلك حال الموح بيه وبين ابنه همرق مع الكافرين قال محمد أبو السمود فى تفسير (إرشاد العقل السليم) فى قوله تعالى ﴿فقال رب إن ابني من أهلى وإن وعدك الحق﴾ إلى قوله تعالى ﴿فقال يا نوح إنه ليس من أهلك﴾.. قال أبو السمود لما كان دعاء نوح عليه السلام بتذكير وعده سبحانه مبيناً على كون ابنه من أهله، نفى سبحانه أولاً كونه منهم بقوله ﴿إنه ليس من أهلك﴾ أى ليس منهم أصلاً لأن مدار الأهلية القرابة الدببية، ولا علاقة بين المؤمن والكافر أو ليس من أهلك الذين أمرتك بعملهم فى العلك لخروجه عنهم بالاستثناء ﴿إلا من سبق عليه القول﴾ وعلى التقديرين فليس ابنه من الذين وعد الله بإبجانهم، ثم علل عدم كونه منهم على طريقة الاستثاف التحقيقى بقوله تعالى ﴿إنه عمل غير صالح﴾ أصله أنه ذو عمل غير صالح فجعله نفس العمل مبالغة. ويثار عمل غير صالح على فاسد إما لأن الفاسد بما يطلق على ما فسد ومن شأنه أن يكون صالحاً فلا يكون بصاً فيما هو من قبيل الفاسد المحض كالقتل و لطم

وإما للتطويح بأن نجاة من نجا إنما هو لصالحه. وفرا الكسائى ويعقوب إنه عمل غير صالح، أى عمل عملاً غير صالح، ثم قرع سبحانه على كل ما تقدم بهى نوح عن سؤال إبعاء

ابنه لكنه جاء به عامًا ليندرج فيه ذلك ومثله فقال ﴿فلا تسألني﴾ أي إذا وقفت على حقيقة الأمر فلا تطلب مني ﴿ماليس لك به علم﴾ أي مطلب لا تعلم يقينا أن حصوله صواب وموافق للحكمة والمصلحة، ويجوز أن يكون المعنى ماليس لك علم بأنه صواب أو غير صواب فيكون النهي واردةً على مشتبه الحال، ويعلم منه حال معلوم الفساد بالأولى ثم قال أبو السعود: وهذا صريح في أن نداء نوح عليه السلام ربه ليس استفسارًا عن سبب عدم إنجاء ابنه مع مسبق الوعد بإنجاء أهله، وابنه معهم كما قيل، بقول ليس استفسارًا لأن النهي عن استفسار مالم يعلم غير موافق للحكمة، لأن عدم العلم بالشيء داع إلى الاستفسار عنه، لا إلى تركه، وهذا في القرآن كثيرًا ﴿يسألونك عن الحمر والميسر﴾ و ﴿يسألونك عن الأهل﴾ و ﴿يسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير﴾ إلى غير ذلك كثير.

وحينئذ يكون نداء نوح هذا دعاء منه لإبغاء ابنه حين حال الموج بينهما وكان يظن أنه لازال حيا لأن حيلولة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلا عن العلم به، فطلب من الله تقريب الملك إلى المكان الذي فيه ابنه، أو يحمل الموج بطرحه في السفينة مثلاً، ولم يكن ابنه مجاهرًا بالكمر كما تقدم وقصده الالتجاء إلى الجبل ليس بصًا في الإصرار على الكمر لجواز أن يكون ذلك لعمله بانحصار النجاة في الملك وزعمه أن الجبل مثل الفلك، وإنما أحر سبحانه هذا الجزء من القصة لأن من سنه سبحانه أنه قد يأتي بهاية القصة للتعجيل بالمبرة المقصودة منها ثم يأتي بباقيها بعد ذلك كما هنا.

وقال الزمخشري في توجيه نوم نوح عليه السلام: إن الله سبحانه قدم لنوح الوعد بنجاة أهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان على نوح أن يتبته إلى أن في جملة أهله مَنْ هو مستوجب للعذاب وأن كلهم ليسوا ناجين.

وما كان لنوح عليه السلام أن تحالطه شبهة عندما أشرف ابنه على العرق في أنه مَرَّ استثناءهم الله عز وجل، فعوتب على أنه اشتبه عليه ما يجب أن لا يشتبه فيه خصوصاً وهو الذي سأل إهلاك الكافرين جميعاً في الآية (٢٦) من سورة نوح صفحة ٧٦٩. فكان يبيح له

أن يتبته إلى أن الله سبحانه جعل المعنى المعتبر في النجاة هو الإيمان لا القرابة، فكان المطلوب منه أن يحصن أفراد أهله ويتحرى أعمالهم، ولو فحص لأدرك أمارات نفاق أبيه من أنه لم يركب مع المؤمنين مع أنه سمع من أبيه أنه لا عاصم اليوم من أمر الله. إلخ، وهي هذه الحالة كان قد علم أنه ليس من المؤمنين. ولأنه عليه السلام لم يتحرر يكون قد قصر وأولو العرم مؤاحدون على التقير والقطمير لأن حسبات الأبرار سيئات المقربين كما يقولون.

وذهب الطوهم ورمت السفينة على الجودي وقال سبحانه: يا نوح اهبط من السفينة أو الجودي إلى الأرض ممثما بسلام منا فلا يؤدبك كافر بعد اليوم لأننا قصينا أن لا يبقى حالداً في الدنيا نسل لغيرك، اقرأ قوله تعالى ﴿وجعلنا دريته هم الباقين﴾ الآية (٧٧) من سورة الصافات صفحة ٥٩١، وبركات في الرزق والنسل ممدقة عليك وعلى أمم سيتناسلون منكم معك، وممن معك أمم سمعتهم في الدنيا بمتعها دون سلام منا، ثم يمسهم منا في الآخرة عذاب شديد الألم.

ثم أراد سبحانه أن يبين الكمار إلى دليل صدق رسوله فقال، تلك القصة التي قصصناها عليك أيها النبي عن نوح وقومه هي من أخبار العيب العاصية من رمن بعيد، نوحها إليك، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا الوحي على هذا الوجه من التمهيل الدقيق، فاصبر على أدى قومك كما صبر نوح، فإن الماقبة لك كما كانت لنوح، لأنكما تتقيان الله فلا تمعلان ما يفضبه.

ثم شرع سبحانه في ذكر قصة هود مع قومه للعرض الذي قصد من قصة نوح وقومه فقال ﴿والى عاد﴾ إلخ: أي وأرسلنا إلى عاد الأولى أحاهم في النسب والقومية هوداً، انظر الآية (٥٠) من سورة النجم صفحة ٧٠٢، قال لهم وكانوا يتخذون من دون الله آلهة يا قوم اعبدوا الله وحده لأنه ليس لكم إله حق غيره، وما أنتم إلا كاذبون عليه سبحانه في جعلكم له شركاء يقربونكم إليه.

يَنْقُومَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ
فَقَرَنَ اللَّهُ تَعْقُلُونَ ﴿٢٦﴾ وَيَنْقُومَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ
تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً
إِنْ قُوَّتَكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا عُجْرِينَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا
بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِشَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوْرٍ
قَالَ إِنْ أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَرَوْنَهُ ثُمَّ تَسْرِكُونَهُ ﴿٢٩﴾
مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ ﴿٣٠﴾ إِنْ
تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذٌ
بِمِصْبَتِهَا إِنْ رَفَعْنِي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣١﴾ قَالَتْ
تَوَلَّوْا فَقَدْ آتَيْنَاكُمْ مَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَنُوحًا وَعِيسَى
رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُمْ شَيْعًا إِنْ رَفَعْنِي عَلَى كُلِّ

المفردات .. «مطرني» : أي خلقتني على
المطرة السليمة. «السماء» : المراد بها هنا
المطر. «مدرارا» : كثيرا. «عن قولك»
«عن» هنا حرف يفيد أن ما بعده علة وسبب
في حصول لما قبله كما تقدم في الآية
(١١٤) من سورة التوبة صفحات ٢٦١، ٢٦٢.

«لك بمؤمنين» : أي مصدقين كما في
الآية (١٧) من سورة يوسف صفحات ٢٠٤،
٢٠٥. «إن نقول» : «إن» حرف نفى بمعنى
لا. «اعتراك» : أي أصابك بعض آلهتنا بشر
لسبك لهم ولمنعك الناس عن عبادتهم.

«لا تنظرون» : أي لا تهملوني. «من
دابة» : «من» لإفادة النص على عموم ما

بعده، و «دابه» هي كل ما ذبَّ على وجه الأرض.

«أخذ بمصبتها» أصل الناصية مقدم شعر الرأس، والأخذ به كناية عن القهر والإحصاع
الذي لا مفر منه. «إن ربي على صراط مستقيم» أي أفعاله لا تجري إلا على الحق والعدل.
«تولوا» : أصلها تولوا حذفت إحدى التامين تعميما.

المعنى . قال هود يا قوم لا أسألكم على تلخيص الرسالة أجرا، فما أجرى إلا على ربي الذي
خلقني، هل تعملون عن ذلك فلا تعقلون أن مَنْ لا يطلب منكم أجرا لا يكون متهما في قوله.
«ويا قوم استمعوا، ربكم» إلخ تقدم بيانها في الآية (٣) من هذه السورة صفحة ٢٨٤، فإن
فهمتم ذلك وأنتم هي أشد الحاجة للمطر لعدم وجود أنهار في أرضكم فإنه تعالى يرسل المطر
عليكم كثيرا. ومما يدل على شدة حاجتهم إلى المطر مرحهم بما ظنوه سحابا، وإذا هو
العذاب، انظر الآية (٢٤) من سورة الأحقاف صفحات ٦٦٩، ٦٧٠، ويزدكم قوة إلى قوتكم التي

تصحرون بها، انظر الآية (١٥) من سورة فصلت صفحة ٦٢١. وهذه القوة التي حملتهم جبارين، انظر الآية (١٣٠) من سورة الشعراء صفحات ٤٨٧، ٤٨٨. فاسمعوا نصيحى، ولا تمروا عما اطلبه منكم حال كونكم مصرين على إجرامكم وكمركم، فما كان لهم رد إلا العناد والمكابرة بإسكار ما قدم لهم من الآيات الدالة على صدقه. فقالوا نبجعا فى الكذب يا هود ما جئنا ببينة، وهذا هو شأن الكفار مع كل نبي.

يتعامون عن الأدلة القاطعة ليوهموا صعاب العقول أنهم على حق. انظر الآية ٥٩ الآتية فى هذه السورة صفحة ٢٩٣، وما قاله كمار مكة لنبييا ﷺ الذى حاكمهم بأكبر المعجزات فى الآية (٢٧) من سورة الأنعام صفحة ١٦٧، والآية (٢٠) من سورة يونس صفحات ٢٦٨، ٢٦٩، وقد روى البخارى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال (ما من نبي إلا أوتى من المعجزات ما يصح أن يؤمن به البشر) انظر الحديث وشرحه فى كتابنا صموة البخارى وقال ابن تيمية فى مجموعة تفسيره لِسورة من قصار المفصل أولها ﴿الأعلى﴾ وآخرها سورة ﴿الكافرون﴾ قال فى صفحة ١٧٥ إن بيعة صالح كانت منصرة ﴿أى ظاهرة مُحَصَّنة﴾ وهى الباقية، أما بيعة هود فكانت عقلية غير مُنصرة بالعيون وهى التى أشار إليها بقوله ﴿إنى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون﴾ إلى قوله ﴿مستقيم﴾ ومن أعظم الآيات أن يحاطب رجل واحد أمة كبيرة تصعر بقونها وشدة بطشها كما تقدمت الإشارة إلى ذلك فى الآية (١٣٠) من سورة الشعراء صفحات ٤٨٧، ٤٨٨. والآية (١٥) من سورة فصلت صفحة ٦٢١ وقالوا وما نحن بالدين يتركون عبادة آلهتهم لمجرد قولك مع أنك بشر مثلى، وما نحن لك بمصدقين، وما نجد من قول بقوله إلا أن بعض آلهتنا غصب عليك فأصابك بعينون وحيل فصرت تقول ما لا يعقل قال هود إنى أشهد الله أنى برىء مما تشركون، واشهدوا أنتم أيضا بذلك، فإنى لا أبالى بكم ولا بألهنكم، فكيدونى أنتم وألهنكم إن استطعتم ولا تمهلونى لحظة واحدة وهذا منه عليه السلام توبيخ وتمجيز لآلهتهم لو كانوا يعقلون، وإنما لا أبالى بكم لأنى وكلت حفظى وحدلا بكم إلى الله مالك أمرى وأمركم والمتصرف فى كل حى يتحرك فى الأرض أو فى السماء، انظر الآية (٢٩) من سورة الشورى صفحة ٦٤٢، إن ربى فى كل أفعاله على الحق والعدل، فينصر المخلصين ويخذل المفسدين فإن تتولوا ولا تطيعوا أمرى فقد ثبتت الحجة عليكم، وحق عليكم المذاب، لأنى بلمتكم ما أمرى ربى تبليعه لكم، فإذا هلكتم فسيستحلف ربى فى الأرض قوما غيركم، ولا تضربوه شيئا ولو قليلا بعدم إيمانكم فإنه غنى عنكم، وهو على كل شيء حفيظ

(١) وسجياهم	(٢) بآيات	(٣) القيامة	(٤) صلحا	(٥) يا قوم
(٦) يا صالح	(٧) أيتها	(٨) يا قوم	(٩) أرايتم	

صفحة ٤٤٩، و (١٥) من سورة نس صفحة ٥٨٠. ﴿جبار﴾ هو القاهر الذي يجبر غيره على ما لا يريد.

﴿عبد﴾ هو الطاعة الذي لا يعصم للحق مهما قوى دليله

﴿واتبعوا في هذه الدنيا لعنة﴾ أي حمل الله اللعنة تابعة لهم في الدنيا من كل من علم بجرمهم، وتلحقهم يوم القيامة من الأشهاد المتقدم ذكرهم في الآية (١٨) من هذه السورة صفحة ٢٨٦. ﴿الا﴾ : حرف تنبيه كما تقدم.

﴿مريب﴾ : أي موقع في سوء الظن وقلق النفس.

المعنى . إن ربي محيط بتصرهاتكم وسيجازيكم عليها. ولما برل عد بنا بساكنهم بعيننا منه هودا والمؤمنين معه بسبب رحمتنا لهم بالتوفيق للإيمان، والذي يجيبهم منه هو عذاب بالغ النهاية في الشدة في الدنيا بريح صرصر عاتية كما في الآية (٦) من سورة الحاقة صفحة ٧٦١، وهي الأحرة بار حامية. وتلك الأحسام الصرعى هي عاد الناعية التي كان بعينها أنهم كفروا بآيات ربهم وجحدوها وقالوا ما حثتنا ببينة كما تقدم، وعصوا رسل الله في شخص رسولهم، لأنهم بنوا إنكار رسالته على أنه بشر مثلهم، وهذا يستلزم إنكار جميع الرسل. واتبع عوامهم في هذا أمر كل جبار عبيد من رؤسائهم، فلحقهم لعنة الله والناس اجمعين في الدنيا والآخرة. إلا إن عاد جعدوا بعمدة ربهم ولم يشكروها بالإيمان

إلا بعدا لعاد وطردا لهم عن رحمتنا، أي عاد قوم هود، وهي عاد الأولى، بنظر الآية (٥٠) من سورة النجم صفحة ٧٠٣ لا عاد إرم ذات العماد الآتي ذكرها في الآية (٧) من سورة المعجزة صفحة ٨٦. وأرسلنا إلى ثمود أحاهم صالحا، وقد تقدم شيء عنهم في آيات من سورة الأعراف، انظر الآية (٧٣) وما بعدها صفحة ٢٠٤ قال لهم يا قوم اعبدوا الله وحده لأنه ليس لكم إله حق غيره، وهو وحده الذي خلقكم من الأرض، ومكنكم من استعمارها والانتماع بخيراتها، واستمعروا من شرككم، ثم ارجعوا إليه كلما وقع منكم دس، إن ربي قريبة رحمة منكم، انظر الآية (٥٦) من سورة الأعراف صفحة ٢٠١، محيب دعاء المخلصين، انظر الآية (١٨٦) من سورة البقرة صفحة ٣٦، قالوا يا صالح قد كنت فيما بيننا مريحا للسادة قبل هذا الذي ندعونا إليه من تدبيل دينا، فهل يصح أن تنهاها عن أن نعبد ما كان يعبد آبؤنا من قبل، وإنا لفي شك مما تدعونا إليه من ترك التوسل بشمعائنا الذين بقريوتنا إلى الله وتعتظيم تماثيلهم، فنحن لا ندري ماذا نريد، فإن قولك موحب للريب، أي سوء الظن وقلق النفس.

قال يا قوم أخبروني إن كنت على بصيرة وبقين من ربي وأتاني من فضله السوة و لرسالة فمن نصرني من الله إن خالسته؟...

مِنْ أَفْهٍ إِنْ عَصَيْتُمْ قَاتِلُ دُونِي غَيْرَ تَحْسِرٍ ⑤
وَيَقُومُ مَعَهُ بَلَقَةُ أَفْهٍ لَكُرْهَاتٍ فَلَدُّوْهَا نَاكِلٌ فِي أَرْضِ
أَفْهٍ وَلَا تَحْسِرْهَا سُوءٌ فَيَأْخُذُكَ عَنْ لَبِّ قَرِيبٍ ⑥
فَعَقُّوْهَا فَتَالِ تَمْتَعُوا فِي دَارِكُرْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ
غَيْرُ مَكْذُوبٍ ⑦ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ
آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ بَرِيٍّ يُؤْمِنُ بِرَبِّكَ
هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ⑧ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْئَةَ
فَانصَبُّوا فِي دِينَرِهِمْ حَنِينٍ ⑨ كَذَلِكَ يَفْضَحُونَ فِيهَا
أَلَا إِنَّ لَكُمْ لِمُتَدًّا كَفَرْتُمْ رَبِّكُمْ أَلَا بُعِدْنَا أَلَسْمُودَ ⑩ وَلَقَدْ
جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشَرِ فَأَلَّا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ
قَالَتْ أَلَيْسَ أَلِ جَاءَ بِصَبِيٍّ حَنِيدٍ ⑪ فَلَمَّا رَأَوْا أَيْدِيَهُمْ
لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرُوهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَمْنَحُوا

الرجمة والمصاعقة.

﴿جاثمين﴾ : أي ساقطين على وجوههم.

﴿كان لم يفضوا فيها﴾ : كان لم يكونوا موحودين قبل ذلك، انظر الآية (٢٤) من سورة يونس

صمحتي ٢٦٩، ٢٧٠.

﴿ألا﴾ : حرف للتنبيه للعناية بما بعده.

﴿بعدا لنمود﴾ : طردا لهم عن رحمة الله كما تقدم قريبا. ﴿حنيد﴾ : الحنيد هو المشوى

على الحجارة المحمأة بالنار وهو أنظف المشويات من اللحوم. ﴿أيديهم لا تصل إليه﴾ : لا تمتد إليه للأكل منه.

(٢) صالما

(٦) نمود

(٩) سلام

(٢) ثلاثة

(٥) جاثمين

(٨) سلاما

(١) ويا قوم

(٤) ديارهم

(٧) إبراهيم

(١٠) رأى

﴿بكرهم﴾ - يقال نكر الرجل غيره بوزن تعب، وأبكره إذا رأى منه شيئاً لم يعهده، وهذا الإنكار هنا لعدم الأكل غير الإنكار عند أول مقابلتهم لأنهم كانوا على صورة غير ما يعهدها من الناس، انظر الآية (٢٥) من سورة الداريات صفحة ٦٩٢. ﴿أوحس﴾: شعر في نصه خوفاً منهم.

المعنى . فمنْ ينعَمُ من عذاب الله تعالى إن عصيته بعدم تبليغ رسالته، فما تريدونني بعرضكم على ترك التبليغ إلا الوقوع في العصران بتقديم رضاكم على رضا الله سبحانه. ويا قوم هذه باقة شرفها الله بسببها إليه لامتيارها دون الإبل بما تشاهدونه في أكلها وشربها كما تقدم في الآية (٧٢) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٤. وسيأتى في الآية (١٥٥) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٩، جعلها الله لكم آية دالة على صدق ما أقول، هاتركوها تاكل وتشرب مما في أرض الله، ولا يمسها أحد منكم بسوء لئلا يعصمكم عذاب قريب، فبلغ من تحيرهم أنهم لم يكتفوا بمنعها من الأكل والشرب بل أقدموا على ما هو أفظح فقتلوا غير مباليين بالوعيد، فضرب لهم صالِح ثلاثة أيام فقط، يتمتمون فيها بالحياة في بلادهم ثم بعدها يرسل بهم الهلاك وقال لهم: ذلك وعد من الله غير مكنوب فيه.

فلما جاء أمرنا كما تقدم في الآية (٥٨) من هذه السورة صفحة ٢٩٢، نجينا صالحا والمؤمنين معه من هذا الهلاك برحمة خاصة منا، ونجيناهم أيضاً من حذى هذا اليوم وفضائحه التي ستبقى مدى الحياة إن ريك أيها النبي هو القوى الغالب مسيحيك ويعذب قومك إذا أصروا على الكفر.

ثم أراد سبحانه أن يبين كيفية إهلاكهم فقال ﴿واخذ الدين ظلموا﴾ إلخ أي أهلكهم بالضيعة لظلمهم فأصبحوا في ديارهم ميتين لا حراك بهم كأنهم في سرعة رواهم لم يكونوا موجودين قبل ذلك إلا إن ثمود كفروا نعمة ربهم. إلا بعدا لثمود، تقدم شرحها في الآية (٦٠) من هذه السورة صفحة ٢٩٢. ولما كان المقصود من القصص في هذه السورة هو ذكر أعمال الأمم مع رسلهم وما حل بهم كما تقدم عند الآية (٢٥) من هذه السورة صفحة ٢٨٧، وكان لوط ابن أخى إبراهيم عليهما السلام وآمن برسالة عمه لما كانا موحدين في العراق، وبعدما نحي

الله تعالى إبراهيم من النار هاجر هو وابن أخيه لوط إلى الشام، فنزل إبراهيم بأعلى البلاد وهو الجزء المسمى الآن سوريا ولبنان وقلمطين، ونزل لوط في قرى الجنوب، وهو المسمى الآن بشرق الأردن، وكانت عاصمتها سدوم القرية التي كانت تعمل الخبائث المشار إليها في الآية (٧٤) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٨، وانظر الآية (٧١) من سورة الأنبياء أيضا صفحة ٤٢٧، والآية (٢٦) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٤، والآية (٩٩) من سورة الصافات صفحة ٥٩٢، وأرسل الله تعالى لوطا إلى أهل هذه القرى لما كان كل ذلك كان المقصود الأصلي في هذا المقام هو قصة لوط وقومه، وإنما مرت الملائكة على إبراهيم في الطريق ليمجلوا ببيشارته بإيجاء ابن أخيه، وبولده بعد الكبر؛ لكل هذا غير سبحانه أسلوب القصص السابق وقال: ﴿ولقد جاءت رسلا﴾ أي من الملائكة إلى إبراهيم تحمل إليه البشرى بنجاة ابن أخيه وهلاك الكافرين وبالولد بعد الكبر، قالوا نسلم عليك سلاما، قال عليكم سلام.

ولم يمكث رمحا طويلا حتى قدم إليهم عجلا مشويا سميا كما في الآية (٢٧) من سورة الذاريات صفحة ٦٩٤، فلما رأهم لا يأكلون خاف وقال لهم إنا منكم وجلون كما في الآية (٥٢) من سورة الحجر صفحة ٢٤١. قالوا لا تخف .. إلخ وهذا يجب أن نقف على قوله تعالى ﴿ولقد جاءت رسلا إبراهيم بالبشرى﴾ .. كرر القرآن هذه الحادثة في ثلاث سور، هنا، وهي سورة الحجر صفحة ٢٤١، وهي الذاريات صفحة ٦٩٢، وبما أنها في حادث واحد يجب أن تعلم أولاً أن القرآن ليس كتاب تاريخ يورد الحوادث مرتبة حسب وقوعها، بل يذكر من الحوادث الجزء الذي فيه العبرة التي هي المقصد الأول من مقاصد القرآن، وإذا كرر القصة عدة مرات فإنه قد يذكر في كل مرة ما لم يذكره في الأخرى، وقد يقدم بعض أجزاء الحادثة الواحدة على البعض الآخر لحكمة أرادها سبحانه في المقام الذي ذكرت فيه القصة، ومما جاء فيه بعض حوادث القصة دون بعض، اعتماداً على أن هذا البعض المتروك قد ذكر في موضع آخر،

قصة مناجاة الله سبحانه وتعالى لموسى في الطور أول إبلاغه أنه رسول الله إلى قريون وقومه، فذكر سبحانه في بعضها أنه قال لموسى ﴿وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء﴾ الآية (١٢) من سورة النمل صفحة ٤٩٥، وفي موضع آخر قال ﴿واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء﴾ الآية (٢٢) من سورة طه صفحة ٤٠٧ وبما أن العادة واحدة كما هنا فيجب أن يكون أصل الكلام أدخل يدك في جيبك ﴿أى فتحة ثوبك العليا﴾ ثم أَمِلَ يدك إلى جيبك حتى تصل إلى تحت ساعدك ثم أخرجها تخرج بيضاء وعلى هذا يقال هنا أصل ترتيب القصة هو ما جاء في سورة الحجر صفحة ٢٤١ وسورة الذاريات صفحة ٦٩٢ وحاصله أن الملائكة أول ما دخلوا على إبراهيم سلّموا، فرد السلام، وقدم إليهم الطعام، ولما رأهم لا يأكلون خاف منهم فأدركوا ذلك منه فأحبروه بحقيقتهم وأنهم ملائكة لا بشر وبشروه بسلام عليم.

فتمجّب من أن يولد له ولد وقد منه الكبر، وكانت امرأته في مكان قريب منه، فلما سمعت ذلك صحت سروراً بسرور زوجها، فبشروها هي أيضاً بأن هذا الغلام المبشر به إبراهيم سيكون منها هي، لا من روجة أخرى، وأنه سيعيش إلى أن يولد له ولد، فأقبلت عليهم تصيح كيف ألد وأنا امرأة عجوز؟ وإلى هنا لم يأت لقوم لوط ذكراً، ولما اطمأن إبراهيم وسرّ بهذه البشرى، وأدرك أن لهؤلاء الملائكة مهمة أخرى غير ذلك، لأن الغالب في مجرد البشرى أنه يكفى فيها ملك واحد كما حصل لنبي الله زكريا ولمريم عليهما السلام، انظر صفحتي ٣٩٦، ٣٩٧ لذلك قال هما خطبكم أيها المرسلون؟ قالوا إن الله سبحانه أرسلنا لإيقاد لوط وإهلاك المجرمين من قومه.. إلخ بقي أن يقال ولمّ قدم سبحانه الكلام على قوم لوط قبل البشرى في سورة هود؟

الجواب أن هذا التقديم هو في الذكر فقط، لا حكاية للترتيب الأصلي، وإنما فعل ذلك سبحانه لأن المقام في سورة هود يقتضى أن يذكر المهمة الأصلية أولاً، لأنها مكان العبارة الكبرى، والدرس الدائم لكل من تحدّثه نفسه بعصيان ربه وتكذيب رسوله.

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ⑤ وَأَمْرًا ثُمَّ قَامَ ثُمَّ صَحِيحَتْ
فَبَشَّرْنَاهَا بِإِمْحَاقٍ مِمَّنْ وَوَرَاءَ الْإِمْحَاقِ يَعْذُوبُ ⑥ قَالَتْ
يَبْنَوتُنَاقِي ⑦ وَاللَّهُ وَآمَنَّا بِحُجُورِ هَذِهِ ابْنِ شَيْخًا ⑧ إِنَّا هُنَا
لَنَشْقَى ⑨ عَجَبٌ ⑩ قَالُوا اتَّعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَحْنُ
أَلْفٌ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكَ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَيِّدٌ عَجَبٌ ⑪
فَلَمَّا دَعَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرُّوحَ وَجَاءَهُ الْمُرْسِيُّ يُجَاهِلُنَا
فِي قَوْمِ لُوطٍ ⑫ إِنَّا إِبْرَاهِيمَ حَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ⑬
يُنَادِيهِمْ أَغْرَضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ
وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ عَذَابٌ عَمِيزٌ ⑭ وَلَمَّا جَاءَتْ
رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَ بِهِمْ وَصَلَّى بِهِمْ وَرَأَى هَذَا يَوْمَ
عَصِيبٍ ⑮ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ
كَانُوا يَعْمَلُونَ الشَّقِيقَاتِ قَالِ بِنَقُومِ هَذَا بَسَاسٍ مِنْ

المفردات :- «يا ويلتى» : أصلها يا
ويلتى بكسر التاء، وهي كلمة تقال عند
المعاجاة بشيء غريب.

«عجوز» : بلغت فوق التسعين سنة.

«شيخا» : كانت سنة في ذلك الوقت
مائة عام لذلك تعجب بخلاف حاله عندما
بشروه بإسماعيل انظر الآية (١٠١) من سورة
الصافات صفحة ٥٩٢ فإنه لم يتعجب لأنه
كان في سن يولد فيها للإنسان عادة.

«حميد» : محمود كثيرا من الحمد
بمعنى المفعول، أى يستحق جميع أنواع

الحمد والثناء الجميل.

«مجيد» من المجد وهو صفة تدل على كمال صاحبها في الشرف وسعة الفصل
والجود. «الروح» : الخوف.

«يجادلنا في قوم لوط» : أى يناقش رسلنا في شأن قوم لوط.

«حليم» : لا يعجل بالانتقام من المصائب فتجلى طبيعته هذه في الآية (٣٦) من سورة
إبراهيم صفحة ٢٢٥. «أواه» كثير التأوه حوها من الله، وحوها على الناس من كل سوء.
«منيب» : راجع إلى الله في كل أمور. «سقى بهم» وقع فيما يسوءه ويغمره بمجيئهم.

(١) فيشربها	(٢) بإسحاق	(٣) إسحاق
(٤) يا ويلتى	(٥) رحمة	(٦) وبركاته
(٧) إبراهيم	(٨) يجادلنا	(٩) إبراهيم
(١٠) أواه	(١١) يا إبراهيم	(١٢) أنهم
(١٣) السينات	(١٤) يا قوم	

﴿وصاق بهم درعا﴾ . درع الإنسان غاية ملاقاته التي يحملها بمشقة، مصيقه كناية عن العجز، أي عجز عن احتمالهم.

﴿عصيب﴾ شديد الأذى. ﴿بهرعون﴾ يقال هرع الشخص بصم فكسر إذا أسرع كأن غيره يدفعه

﴿السيئات﴾ : بيئت بمفصها الآية (٢٩) من سورة المكيات صفحة ٥٢٤

المعنى . قالوا لا نعف، وبشروه بعلام عليم، وكانت امرأته قائمة في مكان قريب منهم، فسمعت البشارة فصحكت سرورا، وبشرناها هي أيضا بإسحاق وبولده يعقوب، عند ذلك أقبلت على مجلسه وهي تمسح وتضرب جبهتها بيدها من شدة التعجب، وقالت هي صيحتها، يا ويلتي! كيف ألد وأنا عجور عشت طول حياتي عقيما، وهذا زوجي كما ترويه شيحا كبيرا لا يولد ثمثله من مثلي! قالت الملائكة ردا عليها ﴿أتعجبين﴾ إلخ، أي لا ينبغي أن تعجبي من شيء هو من أمر الله الذي لا يعجزه شيء، إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، ثم دعوا لها ولزوجها فقالوا رحمة الله العارضة بالمؤمنين وبركاته أي حيراته الكثيرة عليكم يا أهل بيت النبوة والرسالة، إنه سبحانه صاحب كل فصل يستحق عليه الشاء، واسع الفصل والإحسان.

بعد ذلك قال لهم إبراهيم ما حظكم، أي ما شأنكم الذي جاء بكم على هذه الصورة؟ قالوا إن الله أرسلنا إلى قوم لوط المجرمين لنهلكهم لم يقولوا ذلك بعدما تقدم مباشرة بل قالوه لما سألهم عن مهمتهم، انظر الآية (٢١) من سورة الذاريات صفحة ٦٩٤.

وقد أوجز الكلام هنا اكتماء بأنه مفصل هناك كما تقدم في الصفحة السابقة

﴿وامراته قائمة﴾ أي وراء ستر تسمع المحاورة فصحكت بعد أن علمت مما سبق أنهم بشروا إبراهيم بالولد قبل الكلام على قوم لوط، وبهذا تعلم أن صحكها هنا كان سرورا بذلك ﴿وبشرباها بإسحاق﴾ المراد بشرباها بشري خاصة بها، وهي أن هذا الولد الذي بشر به إبراهيم سيكون منها هي.

﴿ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ أي إنه سيعيش حتى يولد له ولد و ﴿يعقوب﴾ منصوب بفعل مفهوم من سياق الكلام، أي بشرباها واهبين لها من إسحاق يعقوب، وقد جاء هذا الفعل

صريحاً في اية أخرى فقال سبحانه ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ الآية (٧٢) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٧

﴿إن هذا شيء عجيب﴾ أي في نظر البشر وفيما جرت به سنة الله سبحانه في البشر. فلما ذهب عن إبراهيم الخوف وحاجته البشرية أحد يجادل رسلاً فيما أرسلناهم به من عقاب قوم لوط، لأنه كان شديد الحلم رقيقاً رجاعاً إلى ربه، وكل هذه صفات تورث تعذيب الرحمة على العصب قالت الملائكة يا إبراهيم أعرض عن هذا الجدل لأن الحال والواقع أنه قد جاء أمر ربك بهلاكهم، وأنهم عما قريب سيرسل بهم عذاب غير مردود بجدل ولا بغيره ولما وصلت رسلاً لوطاً ورأى هيئاتهم وجمالهم استولى عليه الغم حوها عليهم من حُبّاء قومه وشعر بالمعجز عن حمايتهم، وقال هذا يوم شديد الكرب.

ولما علم بهم قومه جاءوا مسرعين. وسبب تمسرعهم أنهم كانوا من قبل ذلك متعمدين الجراءة على المواجهات بلا حياء.

قال لوط يا قوم هؤلاء نساء أمتي جميعاً هن بناتي، لأن النبي في أمته كالأولاد في عشيرته فليستمنح بهن المتزوج منكم، وليتزوج غيره منهن. فإيهن أظهر...

وقد اعترض على هذا الرأي محمد الأمين الشنقيطي في كتابه (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) جزء (٢) صفحة ٢٥ وقال إن النبي أب لكل بنات أمته المؤمنات فقط ولا أبوة له على الكافرات وذكر هذا الاعتراض الألويسي. ورجح رأيي الأول هؤلاء بناتي من صلبى تزوجوهن وكان رواج الكافر للمؤمنة جائزاً حتى في أول عهد سيدنا محمد خاتم الرسل ﷺ فقد تزوجت سته رقية رضوان الله عليها العاص بن الربيع

والثاني وقد سببه لبعض حجة المصنفين أن لوطاً لم يكن يقصد هذا القول على ظاهره بل يريد استجلابهم إليه، فيؤمنوا ويتزوجوا بناته، وهذا أنصب لقولهم ﴿لقد علمت ما لنا في بناتك من حق﴾ .. إلخ.

أَطْهَرُ لَكُمْ مَا نَفَرُوا اللَّهَ وَلَا تُخْرِدُوا فِي صَبِيحِ الْبَيْتِ
مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ٥٨ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَتَىٰ سَأَتُكُ
مِنْ حَيٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ٥٩ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً
أَوْ بَلَاءٌ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ٦٠ قَالُوا يَنْطُوقُ إِنْ رُسُلُ
رَبِّكَ لَمْ يَسْلُوا إِلَيْكَ فَأَنذِرْ بِأَمْرِكَ يُفْطِحُ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا
يَلْبِثُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا تَكُنْ لَهُ مُصِيبًا مَا أَصَابَهُمْ
إِنْ مَرَعَهُمْ أَصْبَحَ الْبَيْتُ أَصْبَحَ قَرِيبٌ ٦١ فَلَمَّا
جَاءَ أَمْرًا حَقًّا عَلَيْنَا سَاهِبًا وَانْطَرَا عَلَىٰ جِهَارَةٍ
مِنْ حَيْلٍ مُنْصَوْدٍ ٦٢ مَسُومَةٌ عَذْرَاءٌ وَهِيَ مِنْ
أَنْطَلِيسَ بَعِيدٍ ٦٣ وَإِنَّ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا
قَالَ يَنْفِرُوا بَأْسَ اللَّهِ مَالَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُمْ وَلَا تَنْقُصُوا
الْجِبَالَ وَالْأَنْدَادَ إِنَّ أَرْضَكُمْ بِحَيْرٍ وَإِنَّ أَخْفَافًا عَلَيْكُمْ

المعمرات : «أطهر» : بالفات هي الطهر
عائنه، فالتمصيل غير مقصود، لأنه لا طهر
في غيرهن.

«من حق» : المراد من حاجة.

«قوة» : أي قدرة على دفعكم بنفسي، أي
لديفتمكم.

«أوي» : أي الجأ.

«ركن شديد» : أي قوم من عصبتي
يساعدونني على طردكم، أي لطردتكم
ودفعتكم عن ضيضي. وقال ذلك لأنه كان
عربيا عنهم جاء مهاجرا من العراق كما سبق.

«فأسر» : أصل الإسراء السهر في الليل،

والمراد هنا مطلق السير، وذكر الليل ليحدد الجراء الذي يسيرون فيه.

«يقطع من الليل» : أي بحذاء من الليل يكفى للخروج من حدود القرية قبل طلوع المجر.

«عاليها ساهلها» : صغير عاليها يعود على القرية التي كانت تعمل العباث وهو مفهوم من
سياق الكلام كما هي الآية (٦١) من سورة النحل صفحة ٢٥٣. وانظر الآية (٦٧) من سورة
الحجر صفحة ٢٤٢.

«سجيل» : طين متعجر. انظر الآية (٢٣) من سورة الداريات صفحة ٦٩٤.

«منصود» : متراكب متتابع بعضه في أثر بعض ليس بين نزولها فاصل.

«مسومة» : أي معلمة بعلامة خاصة معلومة عند ربك بحفلها خاصة بهم لا تصيب غيرهم.

(١) أوي	(٢) يا لوط	(٣) الليل
(٤) عاليها	(٥) الظالمين	(٦) يا قوم
(٧) أراكم		

﴿الظالمين﴾ - المراد بهم مشركو مكة الذين ظلموا أنفسهم بتكذيب رسولهم. ﴿مَدِينٍ﴾

تقدم هي الآية (٨٥) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٦.

المعنى : إن تمتعكم ببناء أمتي يكفيكم، لأنهم بالعات النهاية في الطهر، فخافوا الله واجتنبوا الساحشة التي تخزني في انتهاك كرامة صيمي، أليس منكم رجل ذو رشد وعقل يرشدكم للصواب؟

قالوا لقد علمت ما لنا في النساء من حاجة، وإني لتعلم ما نريد، فلا تحاول منعنا منه. فلما رأى تصميمهم قال لو أن لي قوة أو عصية لطردتكم عند ذلك أسرعت الملائكة لنجدة وتعلمينه فقالوا: يا لوط لا تحف، إنا ملائكة أرسلنا ريك لتبجيك من شرهم بهلاكهم، ولن يصلوا إليك بما يسوءك، ورموهم بما طمسوا أعينهم فصاروا لا يبصرون لوطا ولا من معه. انظر الآية (٢٧) من سورة القمر صفحة ٧٠٧، فسر يا لوط هي جزء من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلى وراءك فلا يري العذاب فيصاب بشر، إلا امرأتك فلا تمكثها من السير معكم لأنه سيصيبها ما قدر لهم، لأنها كانت كافرة حائنة، وإن موعد هلاكهم الصبح، ولما رأوا أنه مستعجلا قالوا أليس الصبح بقريب؟ أي أنه موعد قريب جدا فلا تحف، فلما جاء موعد أمرها بعدابهم قلبنا هذه لقرية وما حولها على من فيها بعدابهم، وأرسلنا أو قدعنا عليهم في أثناء القلب حجارة من طين متعجر لريادة التعذيب، وتصيب من كان منهم متفرقا بعيدا عن مكان الحطب، فكانت الحجارة عذابا فوق عذاب، انظر الآية (٢٤) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٥، وكانت تتزل متتابعة لا فاصل بينها محصنة لهم لا تصيب غيرهم من الأبرياء ثم حتم سبحانه لقصة ببيان الحكمة من ذكرها فقال: ﴿وما هي﴾ إلخ أي ليست هذه القرى بمكان بعيد عن الكافرين من أهل مكة، بل هي طريقهم إلى الشام كما في الآية (٧٦) من سورة الحجر صفحة ٣٤٣ وآيتي (١٣٧، ١٣٨) من سورة الصافات صفحة ٥٩٥. والمشهور أن تلك القرى تحت الماء المعروف الآن ببحيرة لوط. وأرسلنا إلى قبيلة مدين أحاهم في النسب شعيبا، قال لهم يا قوم عبدوا الله وحده فمالككم من إله غيره، ولا تنقصوا الناس ما تكيلون لهم وما تزبون، إني أراكم في سعة من الرزق حقها أن تقابل بالشكر لا بالكفر وإيذاء الناس، وإنما نصحتكم لأنني أخاف عليكم عذاب الله في يوم إلخ، انظر القصة وشرحها في الآيات من (٨٥ إلى ٩٢) من سورة الأعراف صفحات ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨.

عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٌ ﴿٥٦﴾ وَيَقُومُ أَوْفُوا الصَّكَّالَ وَالْمِيرَانَ
بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا
فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٥٧﴾ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ وَمَا آتَاكُمْ بِمَحْظُوظٍ ﴿٥٨﴾ قَالُوا يَنْشُئُ
لَكُمْ تَامِرُكَ أَنْ تَرْكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤَنَا أَوْ أَنْ تَفْعَلَ
فِي أَمْوَالِنَا مَا نَكْتُمُ إِنَّكَ لَآتٍ الْحَكِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٥٩﴾
قَالَ يَنْفَرُ آرَافَتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَدَّ الْقَوْمُ
مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أَرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِنْ مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ
إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٦٠﴾ وَيَنْفَرُ لَا يَجْرُمُكُمْ
شِقَاقُ الَّذِينَ يُبْغِضُونَكُمْ يَحْلُلْ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ
هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِنْكُمْ بِشَيْءٍ ﴿٦١﴾

المفردات . «محيط» . أى شامل
«القسط» العدل.

«تبخسوا الناس» : يقال يخس من باب
نفع إذا أضر غيره بنقص أو غش . «تعنوا في
الأرض» : يقال عثى يعثى كرضى يرضى
عثيا بكسر ثين مع تشديد الياء وعثا يعثو كثرا
يفزو عثوا بضم ثين مع تشديد الواو، وهو
شدة الإفساد.

«مفسدين» : المراد متعمدين الاستمرار
في الإفساد في كل شيء.

«بقية الله خير» . أى ما بقى لكم من

الأموال الحلال . «بمحيط» أى رقيب . «أصلاتك تامررك» الاستمهام صدر منهم للإكرار
عليه والاستهزاء به.

«إنك لآت الحليم» وهذا منهم استهزاء ثان، والحليم العاقل المتأنس.

«الرشيد» : الراسخ في الرشd وهو الهداية.

«أرايتكم» أى احبروني «على بينة» أى بصيرة وحجة.

«رزقا حسنا» : مالا حلالا لا شبهة فيه . «أن أحالكم إلى ما أنهاكم عنه» أى ما أريد

مجرد محالمتكم لتصرفوا عما أنهاكم عنه لأسبقكم إليه وأسعد به دونكم.

(١) ويا قوم	(٢) بقية	(٣) يا شعيب
(٤) أصلاتك	(٥) أموالنا	(٦) بشاء
(٧) يا قوم	(٨) أرايتكم	(٩) أنهاكم
(١٠) الإصلاح	(١١) ويا قوم	(١٢) صالح

﴿ما استطعت﴾ ﴿ما﴾ مصدرية زمانية أي مدة استطاعتي.

﴿أييب﴾ : أرجع في كل أموري.

﴿لا يجرمكم شقاقى أن يصبىكم﴾ جرم الذنب أو المال الحرام يجرمه بفتح الياء وكسر الراء حرما بفتح فسكون كسبه، ويتمدى لاثني بمعنى جعل غيره يكسبه كما هنا، وانظر الآية (٢) من سورة المائدة صمحتى ١٢٤، ١٢٥، والآية (٨) من نفس السورة صفحة ١٢٧، وفي المختار قال الحرّم الحرمة والدب تقول منه جرم وأجرم واجترم وجرم أيضا كسب من باب صرب، وقوله تعالى ﴿لا يجرمكم شنان قوم﴾ أي لا يحمضكم ويقال لا يكسبكم.

وفي الرابع أصل الحرم قطع الثمرة عن الشجرة وأجرم صار ذا حرم نحو أثمر واستثمر لكل اكتساب مكروه.

وهي المنار : يجرمكم بفتح الياء وكسر الراء من جرم الذنب، أو المال بمعنى اكتسبه وفي قراءة من كثير بضم الياء مأخوذ من أجرمته الدب إذا جعلته جارما له أي كاسبا له، فجرمه وأجرمه ككسبه هو وكسب إياه غيره أي جعله يكسبه؛ يتمدى الثلاثي في كل منهما بنفسه إلى مفعول واحد، وإلى مفعولين وحيد إذ يكون كالرباعي وقوله تعالى ﴿لا يجرمكم شقاقى أن يصبىكم﴾ إلخ أي لا تعملكم وتكسبكم مشاقتكم وعداوتكم إلى أن تقضى بالإصرار عليها إلى إصابتكم بمثل ما أصاب مكذبى الرسل قبلكم.

وهي السبى ماوى لا يكسبكم ﴿شقاقى﴾ أي معاداتى أن يصبىكم مثل إلخ و ﴿جرم﴾ يتمدى لمفعول ولمفعولين ككسب؛ وما قوم لوط منكم بعيد أي زمانا أو مكانا فإن لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم انظر الآية (٨٣) من هذه السورة صفحة ٢٩٦ والآية (٧٦) من سورة الحجر صفحة ٢٤٣، والآية (١٢٧) من سورة الصافات صفحة ٥٩٥.

وهي المعرى لا يجرمكم أي لا يكسبكم. شقاقى أي معاداتى وهو فاعل يجرمكم. والكاف مفعوله الأول، وأن يصبىكم مفعوله الثانى، وجرم مثل ﴿كسب﴾ تتمدى لواحد واثنين أي لا يكسبكم شقاقى أن يصبىكم إلخ.

المعنى . أخاف عليكم من عذاب الله في يوم محيط ما يقع فيه من العذاب بكم فيهلككم جميعاً ثم بعد ما رغب سبحانه في الكف عن نقص الكيل بالميران، رعب ثانياً هي الإيحاء ليقترن عادة شر تمكنت منهم، فقال ﴿ويا قوم أوفوا﴾ إلخ، أي أتموا المكيل والمورون للناس بالعدل، لا تظلمون ولا تظلمون. ثم عمم النهي عن كل ما يصير المعير فقال ولا تبغضوا الناس في الأشياء التي تعطونها لهم بأن تكون رديئة أو مفشوشة، ولا تقصدوا في الأرض حال كوابكم منعمدين الإفساد في كل شيء غير ما تقدم، كقطع الطريق وسلب أموال الناس الصعاف إلى غير ذلك، فما يبقى لكم بعد البعد عن الحرام من الربح الحلال حير مما تجمعونه من حرام فإنه وبال عليكم إن كنتم مؤمنين بالله الذي تلجئون إليه عند الصراء فيجب أن تفصلوا الحلال عن الحرام وهذا ترعيب في الإيمان الصحيح، وما أنا عليكم برفيق أحصى هذه المعاصي وأجازيكم عليها، وإنما أنا منيع فقط، والحفيظ هو الله وحده، قالوا معنهم الذين به لكثرة صلاته يا شعيب هل صلاتك التي تداوم عليها هي التي تأمرك أن تحملنا على ترك ما كان يعبده آبائنا من هذه الأصنام، وإن نمتع عن التصرف بما ينمي أموالنا كما نشاء مما براء هي مصلحتنا؟ إنك إن حاولت أنت ذلك العاقل الرشيد، يريدون، قبحهم الله، الحاحل السميح حيث تحاول المستحيل ويظهر استهراء قوم شعيب به استهراء كمار مكة بحاتم الرسل ﷺ، انظر الآية (٦) من سورة الحجر صفحة ٢٢٨، قال شعيب يا قوم أحضروني إن كنت أسير في عملى على بصيرة تفضل بها على ربي وورقتى مالا حلالاً فهل أستطيع كتمان ما أمرني ربي أن أبلغه لكم، والحال أني لا أريد أن أسرد بالتمتع بما في أيديكم من الحرام الذي يهتكم عنه، بل أنا متمسك بالنهي قبلكم، وما أريد بنصحي لكم إلا إصلاحكم مادمت أستطيعه، لأنه أمر بمعروف ونهي عن منكر، وما توفيقى وبجاحى فيما أريد إلا بمعونة الله، عليه اعتمدت، وإليه أرجع في كل أموري، ويا قوم لا توقصكم معاداتكم لى في أن يصيبكم من العذاب مثل ما أصاب قوم نوح من العرق أو قوم هود بالريح العاتية أو قوم صالح بالصيحة وهو صوت شديد مرعج مصحوباً برزلة شديدة مهلكة، أو قوم لوط بالخسف وما هلاك قوم لوط ببعيد عنكم في الرمن فاعتبروا به.

وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ
وَدُودٌ ﴿١﴾ قُلُوا يَسْعَى مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا إِنَّمَا نَقُولُ وَإِنَّا
لَنُرَاكَ مِن سِدْرٍ مَّيَمًا وُلُولا رَفَعُكَ لَنَفَعَنَّاكَ وَمَا أَتَى
عَبْدًا بِغَيْرِ ﴿٢﴾ قَالَ يَقُومُ الْأَعْمَى عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ اللَّهِ
وَأَنفَعُ نَفْسَهُ وَرَأَى كُرْ ظَهْرِيَا إِنِّي رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
مُحِيطٌ ﴿٣﴾ وَيَقُومُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَسِلٌ
سَوْفَ نَعْتَدُكَ مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ مُّهِينٌ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ
وَأَرْسَلْنَا إِلَى مَعَكُ رَمِيمٌ ﴿٤﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا لَنَجْهُنَا
شُعْبًا وَالَّذِينَ هَامُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخْلَتِ الْفَيَافِي
طَبَاؤُا الْمَصِيبَةِ فَتَسْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَثِيمِينَ ﴿٥﴾ كُلُّ
لَمْ يَفْقَهُوا فِيهَا إِلَّا بَعْدَ الْمَدِينِ كَمَا بَعَثْتَ نَحْنُ ﴿٦﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٧﴾

المصدرات . «ودود» أصل الود العطف
والإحسان، ويراد لازمه وهو المحبة.

«رهطك» رهط الرجل هم عشيرته
الأقربون وهو لا يتجاوز العشرة.

«لرجمناك» : أي لقتلماك رجما
بالعجارة.

«طهريا» : أصله المنسوب إلى الظهر
وكسرت الظاء عند النسب، والمراد مهملا.

«على مكانكم» : غاية إمكانكم كما تقدم
في الآية (١٢٥) من سورة الأنعام صفحة

١٨٥.

«لصيحة» هي المعصرة عنها بالرجمة. انظر الآية (٩١) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٧.
والآية (١٧) من سورة فصلت صفحة ٦٢٢.

«جاثمين» أي ميتين كما تقدم في الآية (٦٧) صفحة ٢٩٤.

المعنى . واستعصروا ربكم من الشر ومما أنتم فيه من الأمور المتقدمة وتوبوا إليه كلما وقع
ممنكم ذنب، إن ربى رحيم بمن يطلب معصيته، كثير المحبة للتوابين، انظر الآية (٢٢٢) من سورة
البقرة صفحة ٤٤. ولما عجزوا عن معارضته بالحجة لحثوا للمكابرة وجعلوا كلامه من قبيل

(١) يا شعيب	(٢) لئراك	(٣) لرجمناك
(٤) يا قوم	(٥) ويا قوم	(٦) عامل
(٧) كذب	(٨) ديارهم	(٩) جاثمين
(١٠) بآياتنا	(١١) وسلطان.	

تخليط المجانين الذي لا يهم مقالوا استهزاء به^١ يا شعيب ما يهم كثير مما تقول، وإيا
لئراك فيما بيننا ضعيفا لا تقدر على نفع ولا ضرر، ولولا مراعاة خاطر عشيرتك لقتلاك شر
قتلة، وما أنت عنديا بعزيز محترم حتى تمتنع عن رحمتك لشخصك، وإنما نكف عنك مراعاة
لحرمة عشيرتك، لأنهم ثبتوا على ديننا ولم يتبعوك ولا يتصور أنهم خافوا من قوة رهطه وهو
قلة مع أنهم هم الوف مؤلفة هم يريدون أن المانع من قتلك احترامنا لقومك فقط.

قال يا قوم هل يصح أن يكون رهطى أعر عليكم من الله حتى تراعوا حرمتهم ولا تراعوا
حرمته تعالى، وتتخذونه بسبب إعراصكم عن رسوله منسيا مهملًا وراء ظهوركم؟ إن ربي الذي
أعلمتم أوامره محيط علما بكل أعمالكم، وسيجازيكم.

وهذا تهديد لعلمهم يتنبهون، ويا قوم إن لم تسمعوا نصحي فاعلموا بأحر ماosمكنكم، إني
عامل كذلك يؤيدنى ربي، سوف تعلمون من يأتيه عذاب يذله هل أنا أم أنتم، وتعلمون أيضا
من الكاذب هي قوله هل أنا أم أنتم. وكانوا أندروه بالإخراج كما هي الآية (٨٨) من سورة
الأعراف صمحتى ٢٠٦، ٢٠٧. وانتظروا مراقبين لما سيحصل، إني أراقبه معكم.

ولما جاء أمرنا بعدايهم الذي أنذرناهم به نحينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة خاصة منا،
وأخذتهم صيحة الصاعقة، فأصبحوا فى ديارهم جثثا هامة بسبب ظلمهم لأنفسهم بالكفر،
كان لم يكونوا موجودين فى تلك الديار بالأمس، إلا طردا لهم عن رحمة الله كما طردت عنها
قبلهم ثمود، انظر آيتى (٦٧، ٦٨) من هذه السورة صفحة ٢٩٤.

ونقد أرسلنا موسى بآياتنا التسمع المشار إليها إجمالا هي الآية (١٠١) من سورة الإسراء
صفحة ٢٧٨، والمذكورة تفصيلا فى الآيات (١٠٧، ١٠٨، ١٢٣) من سورة الأعراف صفحات
٢٠٩، ٢١٠، ٢١٢، وسلطان مبين، أى حجة ظاهرة وهى العصا، وخصها بالذكر مع دخولها فيما
قبلها لأنها أكبرها وأولها وجودًا.

إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِيهِمْ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ
بِرَشِيدٍ ﴿٧٧﴾ يَتَقَدَّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ
وَرِئْسَ الْيُورْدُ الْمُرُودُ ﴿٧٨﴾ وَاتَّبِعُوا فِي قَتْلِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ يَكُونُ رِئْسَ الرَّفْدِ الْمَرْفُودِ ﴿٧٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَسَاءِ الْفُرَى
نَقَصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿٨٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ
وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ فَا أَتَتْهُمْ مِنْهُمْ أَلِيمٌ
الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَىْءٍ لَمْ يَأْتِ بِدَلِيلٍ
وَمَا رَأَوْهُمْ فِي شَيْءٍ تَنْبِيٍّ ﴿٨١﴾ وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا
أَخَذَ الْفُرَى وَهِيَ خَالِئَةٌ مِنْ أَهْلِهَا أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿٨٢﴾
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ
مُجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَنُودٌ ﴿٨٣﴾ وَمَا نُزِّلُ إِلَّا
لِأَجَلٍ مُّعَدَّدٍ ﴿٨٤﴾ يَوْمَ يَكُنْ لَكُمْ نَفْسٌ إِلَّا رِيْدُهُ

المعردات :- ﴿وملأته﴾ : هم أشراى قومه.

﴿برشيد﴾ : أصل الرشيد صمد العى
فالرشيد هو ابيعيد عن الصلال، والمراد أنه
ليس بذى رشد لمواء عاقبته.

﴿يتقدم قومه﴾ : يتقدمهم.

﴿الورد﴾ : أصل الورد بكسر الواو اسم
مصدر من ورد على الماء، وأريد به الماء
نفسه الذى يرد عليه العطاش، فجعل جهنم
وردهم نهكما بهم وإنذارا بأنه لا مغيث لهم إلا
هى. ﴿المورود﴾ : الذى يرد عليه العطشى
ليطمئنا ظمأهم.

﴿واتبعوا فى هذه لعة﴾ : أى جعلت اللعة تابعة لهم ﴿الرفد﴾ : أصل الرفد بكسر الراء
العطاء أى الشيء الذى يعطى، يقال رفده من باب صرب أى أعطاه. ﴿المرفود﴾ : أى الممطى،
وسميت اللعة عطاء تهكما.

﴿فائهم﴾ : أى باق إلى اليوم بعضه منحوت فى الصحر بين الحجار والشام.

﴿حصيد﴾ : هالك كالزراع المحصول الرائل من مكانه.

﴿فما أعت عنهم﴾ : أى ما دفعت عنهم عذاب الله. ﴿من شىء﴾ : من رائدة لتأكيد
المعوم، أى شيئاً ولو صغيراً. ﴿تنبيء﴾ : هو من التنبأ وهو الهلاك، يقال، تبب تنبيها أى
أهلك. ﴿مجموع له الناس﴾ : أى مجموع له الناس للعصاة والجرأ. ﴿إلا لأجل معدود﴾
﴿لام لأجل﴾ : تسمى لام التعليل والمعنى إلا لانقضاء أجل وهو مدة الدنيا. و ﴿معدود﴾ : المراد
قليل انظر الآية (٨) من سورة هود صفحة ٢٨٥، والآية (٢٠) من سورة يوسف صفحة ٣٠٥.
﴿يوم يات﴾ : أصلها يأتى بالياء وحذفت تخميها كما تحذف الواو فى ﴿يدع﴾ انظر الآية (١١)

من سورة الإسراء صفحة ٢٦٥، والآية (١٨) من سورة العلق صفحة ٨١٥ وفاعل يأت صميم يعود على اليوم المشهود باعتبار هوله وكربه انظر ما قيل في أيام في الآية (١٠٢) من سورة يونس صفحة ٢٨٢.

المعنى : . أرسلنا موسى إلى فرعون وقومه جميعا خصوصا الملأ منهم لقوة تأثيرهم في غيرهم من الأتباع، فكفر به فرعون وأمر قومه بالكفر به، فاتبع الجميع أمر فرعون، مع أن أمره سيء العاقبة، لأن عاقبته أنه سيتقدمهم جميعا إلى الهلاك يوم القيامة فيوردهم النار وردًا محققا لاشك فيه، وقبح الورد المورد النار. واتبعهم الله جميعا في هذه الدنيا لعنة شديدة لأنها منه تعالى ومن ملائكته والناس أجمعين كما تقدم في الآية (٦) من هذه السورة صفحة ٢٩٢، ويوم القيامة أيضا يلعبهم أهل الموقف جميعا، فاللعنة تابعة لهم حيث كانوا كما اتبعوا أمر فرعون، وقبح العطاء المعطى هذه اللعنة التي اتبعتم في كل مكان ورماس.

ذلك القصص الذي قصصناه عليك أيها النبي هو بعض أخبار القرى المهلكة بجناية أهلها، نقصه عليك حال كون تلك القرى منها ما هو باق شاهد بما حصل كقرى قوم صالح، ومنها رائل لا أثر له كقرى قوم لوط، وما ظلمناهم بإهلاكهم، ولكنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بشركهم وإفسادهم، مما بفعتهم آلهتهم التي كانوا يدعونها ويطلبون منها أن تشفع لهم في دفع الضر، وتركوا إفراد الله بالدعاء والعبادة لما جاء أمر ربك بعذابهم، وما رادهم آلهتهم غير تحسير وهلاك، انظر ثبت بدا أبي لهب صفحة ٨٢٥. وكهذا الأحذ الذي أحد به ربك قرى قوم نوح وعاد وثمود يأخذ جميع القرى الظالمة بالكفر وغيره، إن أحده سبحانه قوى الألم شديد لا يرجى منه أي خلاص. إن في ذلك القصص لعبرة لمن حاف الآخرة لأنه إذا رأى ما حصل لهم انزجر عما يوجب ذلك، أي يوم القيامة المفهوم من كلمة «الآخرة» يوم يجمع الله تعالى فيه الناس للحساب والجزاء. وذلك يوم حاضره فيه الناس جميعا مشاهدون لما يجري فيه، وما تؤخر ذلك اليوم إلا لانتها مدة قليلة حددناها له ليأتي في نهايتها. «يوم يأت» المراد باليوم هنا الوقت غير المحدد، وأصل يأت «يأتي» حذفت الياء تخفيما اكتفاء عنها بالكسرة، والمعنى في الزمن الذي يأتي فيه هذا اليوم الخاص لا تتكلم نفس بما ينفع أو يشفاعة إلا بعد إدنه تعالى، انظر الآية (٢٨) من سورة النبأ صفحة ٧٨٨. ولا مانع من جعل الرمن المطلق ظرفا لرمن معين كما قالوا: «يوم يأتي العيد أهل كذا» انظر الآية (٢٨) من سورة الحجر صفحة ٣٤٠.

لَيْسَ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۚ خَلِيلِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ فَاعِلٌ ۚ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْآخِرَةِ خَلِيلِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْدُودٍ ۚ قُلْ نَارُكَ أَمْرٌ تَمَّا يَخْلُقُ فَرَزَلاً مَا يَفْعَلُونَ إِلَّا هَكَذَا يَقُولُ آيَاتُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنْ لَأَعْلَمُكُمْ بِصِيغِهِمْ عَمَّا صَوَّرَ ۚ وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْكُتُبَ فَأَتَيْنَا فِيهِ زُكُوفًا وَمَا كَانَ مِنْ رَبِّكَ لَفُتًى ۚ وَهُمْ فِيهَا يَأْتُونَ مِنْ ثَمَرِهِمْ مِنْ شَرِّهِمْ مِنْهُ مُزِيلٌ ۚ وَإِنْ كُنَّا لَنَظُنُّهُمْ فِي رِجْلِكَ أَمْثَلُهمْ إِنَّهُمْ بِمَا يَفْعَلُونَ خَبِيرٌ ۚ فَلَنَسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّعُوا إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ

المصردات : «شقي وسعيد» : يصح أن يراد بالشقي الكافر، وبالسعيد المؤمن الذي رجعت حسناته على سيئاته فلا يدخل النار أبداً، وعلى هذا يكون هناك قسم وسط مسكوت عنه وهم عصاة المؤمنين الذين غلبت سيئاتهم على حسناتهم فإنهم يدخلون النار ثم يخرجون، ويصح أن يراد بالشقي من يدخل النار مطلقاً كافراً وعاصياً، وبالسعيد من لا يدخل النار أصلاً. «زفير» : هو إخراج النفس بشدة. «شهيق» : صوت دخول الهواء في الرئة بشدة. «مادامت السموات والأرض» : المراد بهما ما يكون فوقهما

وتحتهما في الآخرة وهذا تركيب يراد به الكناية عن تأييد الخلود في دار العذاب أو دار النعيم على ما يأتي في الآية التالية، ويصح أن يراد بالسماء والأرض سماء دار العذاب وأرضها، وسماء دار النعيم وأرضها، وذلك أن النار دركات، أي طبقات بعضها فوق بعض كما في قوله تعالى، «إِنَّ الْمَاهِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ» الآية (١٤٥) من سورة النساء صفحة ١٢٨، والجنة كذلك طبقات قال تعالى «عَرَفَ مَنْ فَوْقَهَا عَرَفَ مِثْنَةَ» .. الآية (٢٠) من سورة الزمر صفحة ٦٠٨، ٦٠٩، والعرب تطلق على كل ماهو فوق رأس الإنسان سماء وكل ماهو تحته أرض بالنسبة إليه. فالسقف سماء كما هي الآية (١٥) من سورة الحج صفحة ٤٢٥، والسحاب سماء في قوله «وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» الآية (٢٢) من سورة البقرة صفحة ٦.

(١، ٢) خالدين

(٣) الكتاب

(٤) أعمالهم

ويكون المراد من التركيب مآدات سموات النار وأرضها أو سموات الجنة وأرضها
﴿عطاء﴾ : الأصل يعطهم الله عز وجل من الجنة عطاء.

﴿مجنود﴾ : من حده يحده إذا قطعه، أي دائماً غير مقطوع انظر الآية (٢٣) من سورة
الواقعة صفحة ٧١٤.

﴿مرية﴾ : أي شك.

﴿الكتب﴾ : هو التوراة ﴿كلمة سبقت من ربك﴾ بتأخير الانتقام الشديد منهم إلى يوم
القيامة.

﴿لقصى بينهم﴾ : بإهلاك النفاة منهم في الدنيا كما فعل بقوم نوح وعاد

﴿مريب﴾ : أي موقع هي الريبة والحيرة، انظر الآية (٦٢) السابقة من هذه السورة صفحة
٢٩٢.

﴿وإن كلا لما.. إلح﴾ : ﴿لما﴾ هذه بمعنى ﴿إلا﴾ كما في الآية (٤) من سورة الطارق
صفحة ٨٠٢ والمعنى وإن كل طرف من هؤلاء المخلفين إلا والله ليوفيهم جزاء أعمالهم وقد
تستعمل ﴿إلا﴾ بدون أن يسبقها نفي. كقولهم سألتك بالله إلا فعلت كذا، فإن قالوا هذه معها
نفي مقدر مفهوم من سياق الكلام والأصل سألتك أن لا تفعل إلا كذا يقال لهم فليقدر هنا
نمياً كذلك ويكون الأصل وإن كل فريق لا يترك إلا بعد أن يحاسب ليوفيهم ربك جزاء أعمالهم
ويجب أن يلاحظ أن كلام الله هو أصح الأصول المربية.

فيجب أن يكون الأصل المعول عليه، يرجع غيره إليه. لا أن يجزه وراء كلام حلف من
أجلاف العرب فتبه ولا تكن أسير التقليد والله الموفق للصواب.

هذا وقال ابن هشام : الأولى أن لما هنا هي التي تحرم العمل المصارع، والعمل بعدها هنا
مقدر. والأصل وإن كلا لما يوفوا أعمالهم، أي إنهم إلى الآن لم يوفوا جزاءهم وسيوفونها
قطعا، والدليل على هذا الفعل المقدر هو قوله بعد ﴿ليوفيهم﴾ فهذا دليل على أن التوفية لم

تم ولكنها ستحصل. ومثل ﴿لَمَّا﴾ ما في قوله تعالى ﴿بَلْ لَمَّا يذوقوا عذاب﴾ الآية ٨ من سورة من صفحة ٥٩٨ أى وسيدوقوه؛ فاختار لنفسك ما تعلمن إليه. ﴿فاستقم كما أمرت﴾: المراد داوم على الاستقامة انظر الآية (١٥) من سورة الشورى صفحة ٦٤٠.

المعنى .. إن أهل الموقف شقي وسعيد؛ فأما الذين شقوا فمصيرهم إلى النار خالدين فيها إلا ما شاء ربك؛ إن جَرِيماً على الراى الأول يكون المعنى إلا الوقت الذى يشاء الله إخراجهم فيه من النار إلى الزمهرير أو العميم، انظر الآية (٦٨) من سورة الصافات صفحة ٥٩١، والآية (٤٤) من سورة الرحمن صفحة ٧١١. وعلى الراى الثانى يكون المعنى إلا النوع الذى يشاء سبحانه إخراجهم منها وهم عصاة المؤمنين بعد استيفاء ما قدر عليهم من العذاب. إن ربك فعال لما يريد لا يقدر أحد على منعه.

وأما الذين رزقوا السعادة ففى الجنة خالدين فيها إلا ما شاء ربك؛ على الراى الأول يكون المعنى خالدين فى نعيم الجنة الجسمانى إلا فى الوقت الذى يشاء الله تعالى نقلهم منه إلى النعيم الروحانى ورضوانه الأكبر، والنظر إلى وجهه الكريم.

وعلى الراى الثانى يكون المعنى إلا النوع الذى يشاء الله تعالى إبعاده عن الجنة أول الأمر وهم عصاة المؤمنين، وتكون مدة التخليد مبتدأة من انصراف أهل الموقف إلى ما لا نهاية، والتأبيد ينتقص فى أول وقته المعين كما ينتقص فى آخره؛ تقول مكثت فى البيت يوم الخميس إلا ساعة، فهصح أن تكون هذه الساعة أول النهار أو آخره؛ فالمراد أن أهل الموقف لا يخرجون عن القسمين، وأن حالهم لا يخرج عن السعادة أو الشقاء، وهذا لا يمنع أن يجمع بعضهم بين الصفتين باعتبارين؛ فالموحدون العصاة شقوا بمصيبتهم، وسعدوا بتوحيدهم. يعطى سبحانه هؤلاء السعداء فى الجنة عطاء غير مقطوع انظر الآية (٢٢) من سورة الواقعة صفحة ٧١٤. وإذا كان أمر الأمم المشتركة ما قصصناه عليك فلا تكن فى أدنى شك من عاقبة شرك هؤلاء الكفار بمكة؛ لأنهم اتفقوا معهم فى أن كلا لا يعبد إلا كعبادة آبائهم، هم مقلدون لا يتبعون حجة، وإنا لموقفون الجميع نصيبهم من العذاب كاملاً.

ثم أراد سبحانه أن يحذر المؤمنين من الوقوع فيما وقع فيه أهل الكتب قبلهم من التفرق الذي سبب لهم الشقاء فقال ولقد أتينا موسى الكتاب ما احتلف قومه من بعده بعبادتنا بينهم وتنازعنا على الرئاسة، انظر ما تقدم عند (٢١٢) من سورة البقرة صفحات ٤١، ٤٢، ولولا أن الله سبحانه قصى بتأخير عذابهم الشديد ليوم القيامة لأهلك المبطل من أهل الكتاب في الدنيا وإن هؤلاء الذين احتلموا في كتاب موسى لفي شك وحيرة في كتابهم، بعد أن حرقه أسلافهم، فأصبحت معرفة الحقيقة منه متعسرة، انظر الآية (٤٥) من سورة فصلت صفحة ٦٣٦، وآيتي (١٢، ١٤) من سورة الشورى صفحات ٦٣٩، ٦٤٠.

﴿وإن كلا لما ليوهينهم﴾ إلح، لما هنا بمعنى إلا كما في الآية ٤ من سورة الطارق صفحة ٨٠٢. والمعنى وإن كل طرف من هؤلاء المختلفين إلا والله ليوهينهم ربك أحرقهم. وقد تستعمل ﴿إلا﴾ بدون نفي في الكلام كقولهم :

(سألتك بالله إلا فعلت كذا) فإن قالوا هذه مقدر معها نفي مفهوم من المقام، والمعنى سألتك ألا تفعل كذا، يقال لهم فلنقدر هنا نفي كذلك ويكون المعنى وإن كل فريق لا يترك إلا بعد أن يحاسب ليوهني أجره.

ويجب أن نلاحظ أن كلام الله هو كما ذكرنا أصح الأصول العربية.

﴿إن الله بما تعملون خبير﴾ لا يحض عليه منه شيء فيوفي كل ذي حق حقه.

ورداً كان هذا هو حال الأمم التي أوتيت كتاباً ما احتلمت فيه بسبب احتلالها لها شقاء، فداومت أبت أيها النبي على الاستقامة كما أمرك ربك بالتزام الصراط المستقيم أبت ومن تاب من الشرك من المؤمنين معك، ولا تطفوا أي تتجاوزوا حد الاعتدال بالتفريط فيما أمرتم به أو العلو والمبالغة فيه بتكليف أنفسكم ما لا تطيقون فتعجروا حينئذ بكم طريق الوصول، انظر ما حدث لأهل الكتاب في الآية (٢٧) من سورة الحديد صفحة ٧٢٢.

بَصِيرٌ ﴿١١٦﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَعِمَّكَ الْأَرْضُ
وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٧﴾
وَأَنذِرِ السُّلُوكَ مَرْكَبَ النَّهْلِ وَرَلْعَا مِنْ أَلْيِ بْنِ الْحَسَنِ
بُدْعِينَ السُّقَاتِ ذَلِكَ ذِكْرٌ لِلَّذِينَ ﴿١١٨﴾ وَأَصِيرَ فَإِنْ
أَلَّ لَا يُصِيعُ أَمْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٩﴾ عَمَلًا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ
مِنْ قَبْلِكَ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْتَوْنَ مِنَ الْمَلِكِ فِي الْأَرْضِ
إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَحْبَبْنَا مِنْهُمْ وَأَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا
فِيهِ وَكَانُوا مُخْرِمِينَ ﴿١٢٠﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُفْلِكَ الْقُرَى
بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١٢١﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَفَعَلَ
النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَوْا مَخْلَفِينَ ﴿١٢٢﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ
رَبُّكَ وَلِلَّهِ خَلْقُهم وَنَحْنُ كَلِمَةٌ وَرَبُّكَ لَآمَنَ جَهَنَّمَ
مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٣﴾ وَكَلا نَقُصُّ عَلَيْكَ

المفردات : «ولا تركبوا» : لا تميلوا

إليهم أقل ميل.

«الذين ظلموا» : انفسهم والناس بالكفر

او غيره.

«طرفى النهار» : أى فى طرفى النهار.

والمراد صلاة الصبح وصلاة العصر وهى

الصلاة الوسطى المذكورة فى الآية (٢٢٨)

من سورة البقرة صفحة ٤٩.

«رلعا من الليل» : جمع زلفة بضم أوله

بوزن غرقة وهى الساعة من الليل مطلقا.

«ذكرى» : تذكير بالله تعالى وعظة.

«لذاكرين» : أى تنفع المستعدين لها، انظر الآية (٥٥) من سورة الداريات صفحة ٦٩٦.

«فلولا» . «لولا» هنا حرف يدل على أن المتكلم يريد من السامع أن يتحسر على هؤلاء

الأقوام الذين أوقعوا انفسهم فى الهلاك.

انظر معانى لولا فى الآية (٤٣) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨ «كان» : أى وُجدَ

«القرى» : جمع قرن وهو الحبل من الناس، والمراد الأمم. «أولوا بقية» : أى أصحاب بقية،

والبقية هى المصل والحبر، سمى بذلك لأن الإنسان يستبقى عادة أهمل ما عبده ولا يفرض

فيه أى خيار عقلاء لهم كلمة مسموعة.

(١) الصلاة

(٢) الليل

(٣) العساة

(٤) للذاكرين

(٥) واحدة

﴿إلا قليلا﴾:

﴿إلا﴾ حرف معناه هنا لكن.

﴿ممن أنجينا﴾ : ﴿من﴾ هي ممن بيانية تدل على أن ما بعدها بيان للقليل المذكور قبلها.

﴿ما أترهاوا فيه﴾ : أي ما جعلهم الله تعالى مترفين فيه، والترف هو التسعميم بمنع الحياة عن سعة، انظر الآية (٢٣) من سورة المؤمنون صفحتي ٤٤٨، ٤٤٩، وتقول العرب ترف فلان بفتح فكسر بوزن فرح أي توسع في التمتع، وقد يترفه الله سبحانه وتعالى عقابا له، أي يوسع عليه في الرزق حتى يستغرق في ملاذء وشهواته وينسى شكر ربه سبحانه، انظر الآية (٤٤) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨، وأيضى (٥٦، ٥٥) من سورة المؤمنون صفحتي ٤٥٠، ٤٥١.

﴿بظلم﴾ : الباء للمصاحبة، أي مصاحبا لظلم والمراد حال كونه ظالما.

﴿ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة﴾ - تقدم شرحها في الآية (٤٨) من سورة المائدة صفحة ١٤٦. ﴿وتمت كلمة ربك﴾ : أي تمت كلمته وهي قوله ﴿لأملأن جهنم﴾ إلخ وبلاحظ ﴿ال﴾ في الجنة والناس للمهد، والمعهود هم الجن والإنس الذين اتبعوا الشيطان، انظر الآية (١٨) من سورة الأعراف صفحة ١٩٤ ﴿من الجنة﴾ : أي الجن.

المعنى : - ولا تميلوا إلى الظالمين فتصيبكم بسبب ذلك نار جهنم، فمالككم في حال ميلكم صديق يدفع عنكم عذاب الله، ثم تكون عاقبتكم أنكم لا ينصركم الله تعالى أبدا، لأنه لا يركن إلى الظالم إلا من يماثله في حب الظلم، وقد حكم الله أنه ما للظالمين من أنصار.

وبعدما أمر سبحانه المؤمنين بالاستقامة وتجنب الطغيان والميل للظالم، أراد سبحانه أن يرشدهم إلى أعظم العبادات والأخلاق التي تصيهم وهي الصلاة فرصا أو فضلا، والصبر، والنهي عن المنكر، فقال: وأقم الصلاة في طرفي النهار، وفي زلف من الليل، لأن الأعمال الصالحة تظهر النفوس فتذهب السيئات؛ إن فيما ذكر من الأوامر لموعظة للمستعدين لقبولها. واصبر أيها النبي على احتمال المشقة في سبيل تنفيذ ما أمرت به يعطيك الله أجرا

عظيما لأنه لا يصيغ أجر من أحسن عملا، فهلا وجد من الأمم الذين سبقوكم وأهلكناهم بظلمهم جماعة أصحاب فصل وعقل ينهون غيرهم عن الفساد في الأرض؟ المراد كان يجب أن يكون فيهم ذلك ليمنعوا عنهم المذاب، ولكن الذي حصل أنه لم يكن من أصحاب الكلمة المسموعة من فعل ذلك، لكن كان هناك قليل من المؤمنين المستضعفين غير مسموعى الكلمة وبجاهم الله مع رسلهم بعد أن كانوا مصطليدين لاحق بهم الأذى، واتبع الظالمون الأكثرين أسباب الترف والنعيم الذي رزقهم الله، فافسدهم البطر والكبر على رسلنا، وصاروا راسخين في الإجرام لا يمكن رجوعهم عنه، فاستحقوا الهلاك والظلم والإجرام يظهران أولاً في الكبراء والرؤساء ثم يسريان بالتقليد هي العامة، فيكونان سببا للهلاك وإذا كان هذا حال الميل القليل إلى من وجد منه ظلم أى ظلم كان ولو قليلا فكيف يكون حال من يميل إلى الراسخين في الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهاونك على مصاحبتهم ومعاشرتهم، وينهج بمؤانستهم ماذا عينيه إلى ما هم فيه من زهرة الحياة المانية، وفي الحكمة الماثورة (من دعا لظالم بالبقاء أحب أن يعضى الله سبحانه في أرضه)، وما كان يصح أن يهلكهم الله تعالى ظالما لهم وهم مصلحون؛ لأن الله تعالى حرم الظلم على نفسه، فلو كانوا مصلحين لما عذبهم.

ولو شاء ربك أنها النبي الحريص على إيمان قومه لجعل الناس على دين واحد جبرا عنهم كالملائكة، ولكان العالم غير هذا العالم، ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك، بل تركهم مختارين، فلا يزالون مختلفين في كل شيء تبعا لميولهم وشهواتهم وتفكيرهم يتعصب كل منهم لرايه وما تعود إلا الذين رحمهم ربك لسلامة قلوبهم، فإنهم اتفقوا على حكم كتاب الله فيهم وسمع كلمة رسوله، وهذه المشيئة التي اقتضتها حكمة نظام عالم الدنيا خلق الله تعالى الناس مختلفين ليرتب على ذلك العقاب والثواب واستحقاق الجنة والنار.

وتحقت كلمة ربك على أتم وجه، وهي قوله لا ملأن جهنم من عالم الحن والإنس الذين لم يهتدوا، يكتبه ولا بصائح رسله، انظر آيات (١٢، ١٤، ١٥) من سورة السجدة صفحة ٥٤٦. ثم حتم سبحانه السورة بأربع آيات تلفت النظر إلى ما سبق من العبر، وترشد إلى طريق السجادة، فقال تعالى: ﴿وكلا نقص عليك﴾ أيها الرسول...

مِنَ آيَاتِهِ الرُّسُلُ مَا نَشِئْتُمْ بِهِ مُفَادِكُمْ وَجَاءَكُمْ فِي هَذِهِ
الْحَقُّ وَتَرْجِعُهُ وَدَّ كَرِيهُ الْمُؤْمِنِينَ ① وَلِلَّهِ الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ أَفَعَمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا نَسْتَعِلُونَ ② وَأَنْتُمْ لَا
إِنَّا نَسْتَعِلُونَ ③ وَفِي قُبُورِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالْأَنْبِيَاءِ سَجِّ الْأَمْرِ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ
بِغَنِيْلٍ مَّا تَعْمَلُونَ ④

(١٣) سُبْحَانَكَ يَا مَنْ لَا يَمُوتُ
وَلَا يَنَامُ وَلَا يَنُوحُ وَلَا يَبْكُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ① إِنَّا أَرْسَلْنَا
قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ② تَحَرُّ نَفْسُ عَلَيْكَ

المفردات - «وموعظة» اعتبار.

«وذكرى» - أى تذكير بما حل بالعير
ليجتنب ما يضر.

«اعملوا على مكانتكم» : تقدم بيانها فى
الآية (٩٣) من هذه السورة صفحة ٢٩٨ .

المعنى :- وكل نوع من أخبار الرسل نقص
عليك أيها النبی منه ما تقوى به قلبك على
القيام بمشايق الرسالة.

وحاءك هى هذه السورة بيان الحق الذى
دعا إليه الرسل، وهو توحيد الله، وانقاء ما
بعضبه، والرجوع إليه إلخ.

وحاءك أيضاً فيها ما به العظة والاعتبار والتذكير بمواقبة الظلم والفساد يتفجع
بها المؤمنون بالفعل والمستعدون للإيمان، هؤلاء بشرهم بالسجاة.

وقل لعنّ لم يؤمن منذراً ومهدداً :

اعملوا على آخر ما فى قدرتكم فى محاربة الدعوة وإبداء المؤمنين. إنا نحن ثابتون على
ما نعمل.

- (١) عاملون
- (٢) يفاضل
- (٣) انب لام را
- (٤) آيات
- (٥) الكتاب
- (٦) أمرناه

وانتظروا بما ما تتموه من يطلان دعوتنا بالموت أو بغيره كما في الآية (٣٠) من سورة الطور صفحة ٦٩٨، إنا أيها منتظرون ما وعدنا ربنا من البصر عليكم.

وهذا من المواضع التي حققت الأيام صدقها، وأثبت أن القرآن من كلام العليم بالمستقبل القدير على فعل ما يريد.

ولله وحده علم كل عيب في السموات والأرض فيعلم ما سيعمل بكم وما سيكون لنا، وإليه يرجع كل أمر، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وإذا كان الأمر كذلك فاعبدوه وحده، وتوكل عليه ولا تحش غيره. وما الله بمعاقل عما تعملون جميعاً أنتم والمشركون، وسيحاري كلاً بما يستحق في الدنيا والآخرة.

والله تعالى أعلم.

﴿سورة يوسف﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

المعربات: . ﴿الر﴾ : تقدم الكلام عليها أول البقرة.

المعنى - تلك الآيات المذكورة في هذه السورة هي من آيات الكتاب الموضح لعقائد الدين ومصالح الدنيا والآخرة.

إنا أنزلنا هذا الكتاب على رسولنا العربي حال كونه قرأنا عربياً بلسانكم يا مَنْ تحملتم الرسالة أول برولها لتعلموها لميركم لعلكم تعقلون أي مهمون ما فيه

ولوجهلناه أعجمياً لاعبدتم عن اتباعه بجهلكم بلسانه، انظر الآية (٤٤) من سورة فصلت صفحة ٦٣٦، والآية (٤) من سورة إبراهيم صفحة ٣٢٩ نحن نقص عليك أنها

الرسول....

أَتَمَنَ الْفَصِيصَ بِمَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن
كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ
لِأَخِي بَنَاتِ إِلَىٰ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كُفْرًا وَكُفْرًا
وَالْقُرْآنَ رَأَيْتُمُ لِي سَبْعِينَ ﴿٢﴾ قَالَ يَبْنَؤُ لَا تَقْصُصْ
رُبَّكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ
فِي نَفْسِكَ ضَلُوفٌ ﴿٣﴾ وَكَذَٰكَ بِحَبْلِكَ رَبُّكَ وَبِحَبْلِكَ
مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيَسْأَلُ عَنْ طَوْلِكَ وَمَنْ هِيَ
بَطْنُكَ كَمَا أَتَمَّاعَىٰ أَهْلُكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَاسْتَقْرَأَ
إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ
وَالْعَزِيزَةِ نَبَاتٌ لِّمَا يُلْقُونَ ﴿٥﴾ إِذْ قَالُوا الْيُوسُفُ
وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْهُمَا وَلَمْحَنَّ حُصْبًا إِذْ أَبَاهَا لِي
مَنْكَلٌ مِنْهُمْ ﴿٦﴾ أَتَقُولُوا يُوسُفُ لَوْ أَنَّا رَأَيْنَاهُ أَهْلًا

المفردات: ﴿يا أيت﴾: أصلها يا أي،
والعرب تبدل الياء على فداء الأب والأم تاء.

«يحبتيك ربك» - اي مصطفىك ويختارك
دون اخوتك.

«تاویل»: ای بهمان مال الرؤیا وهو تفسیرها.

﴿الاحاديث﴾: سميت الرويا حديثاً لأنها
تعكس ويتحدث بها.

﴿آل یعقوب﴾: ای اهلہ، ولا یستعمل آل
الا فیمن لہم مقام مال کمال ابراہیم وآل
النبی، ولا یقال آل الزیال مثلاً. ﴿آیات﴾ ای دلا

﴿الصائِلِينَ﴾: للمستغفرين عن قصتهم الحليّة بالمعبر.

﴿عصبة﴾: جماعة من عشرة فما فوق.

- (١) الغافلين،
(٢) ساجدين،
(٣) يا هى
(٤) الشيطان
(٥) للإنسان،
(٦) إبراهيم
(٧) إسحاق
(٨) آيات
(٩) للمعائين
(١٠) صلاتي

﴿صَلال﴾: خطأ في الرأي ويُعد عن المساواة في المحبة مع أبنا أبغع له من يوسف.

﴿أطرحوه أرضاً﴾: أي ارموه في أرض مجهولة بعيدة عن الممار حتى لا يستطيع العودة إلى أبيه.

المعنى: . نقر عليك أحسن القصص صدقاً ووضوحاً وهائدة بإيجائنا إليك هذا القرآن، وإن الحال أنك كنت من قبل هذا الإيحاء من حملة القافلين عنه من قومك لا تعلمون منه شيئاً، انظر الآية (٥٢) من سورة الشورى صفحة ٦٤٦ .

ثم شرع سبحانه يبين أحسن القصص فقال ﴿إذ قال يوسف﴾ وكانت سنة حينئذ اثني عشر عاماً يا أبت إنني رأيت في المنام أحد عشر كوكبا والشمس والقمر، ثم بين كيف رآهم فقال رأيتهم ساجدين لي كسجود العقلاء. عند ذلك أدرك يعقوب من الرؤيا أن الله تعالى سيختار يوسف لأمر مهم، فخاف عليه من حسد إخوته فقال مشمقاً عليه: يا بني لا تذكر رؤياك هذه على إخوانك، يريد إخوانه من أبيه، وكانوا عشرة، فبالك إن قصصتها عليهم يحسدوك فيعتالوا لإهلاكك بإغراء الشيطان لأنه عدو ظاهر العداوة لبني الإنسان. وكما اجتباك ربك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف المترتبة يجتبيك للنبوة والأمور العظيمة، ويعلمك من علمه الإلهي تعبیر الرؤيا وتفسيرها على الوجه الصواب، ويتم نعمته عليك بالنبوة والرسالة والرياسة وعلى آل يعقوب بالمقام الكريم وتسلسل النبوة فيهم إلى زمن معين كما أتمها على أبويك إبراهيم وإسحاق من قبل هذا العهد، إن ربك عليم بمن يستحق الاصطفاء، حكيم يضع الشيء في محله.

ثم شرع في القصة فقال: لقد كان في قصة يوسف وإخوانه لأبيه العشرة حين قالوا: والله ليوسف وأخوه بنيامين، ولم يذكروه باسمه للإشعار بأن محبة يعقوب له كانت بالتبع لمحبة يوسف، ولذا لم يتمرضوا له بأذى، أحب إلى أبينا منا، وكانت محبة يعقوب ظهرت بعد رؤيا يوسف، والحال إننا عصبية قوية فاندرون على حذمته، إن أبانا في ترجيحهما في المحبة مع أبنا أبغع له لفي خطأ في الرأي ظاهر، ولا حل لذلك إلا بأحد أمرين إما قتله، أو نفيه إلى أرض بعيدة يستحيل عليه الرجوع منها. إن فعلتم ذلك كان كل إقبال أيكم عليكم وحدكم.

لَكَ وَجْهٌ أُنَبِّئُكَ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ①
 قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ
 الْخَبْثِ بَلْ نَقْطِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ②
 قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ
 لَنَصْحُونَ ③ أَرْسَلَهُ مَعَا عَدَا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ
 لَنَخْشَوْنَ ④ قَالَ إِنْ لَيْتَنِي أَنْتُمْ تَدْعُونِي بِهِ وَأَخَافُ
 أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غٰفِلُونَ ⑤ قَالُوا لَيْسَ
 الذِّئْبُ وَتَحَرُّ عَصَبُ إِنَّا إِذًا لَنُصِرُّونَ ⑥ فَلَمَّا دَعَوْا
 بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْخَبْثِ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ
 لَتُنَبِّئَهُنَّ بِمُرِيمٍ هَٰذَا وَهَمٌّ لَا يَمُرُّونَ ⑦ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ
 عِثًّا يَسْأَلُونَ ⑧ قَالُوا يَا أَبَانَا هَبْنَا هَبْنَا لَنُنَبِّئَكَ
 بِيُوسُفَ عَدَدَ مَنَاحٍ فَأَكْلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا

المفردات: . «يجل لكم وجه أبيكم»: أصل الوجه الجزء المصروف من البدن، والممس لا يكون أمام وجهه غيركم، والكلام كناية عن تحليلص محبته لهم لعدم اشتغاله بهميرهم.

«صالحين» صلاحاً دينياً بالتوبة والعمل الصالح وديونياً بالتمتع أبيكم إليكم.

«غيبابة الجب» الجب هو البئر غير لمبية، وغيبابته ما يغيب عن رؤية البصر من قعره أو حجرة بجانبه تكون فوق سطح الماء ينزل فيها من أراد إحراج شيء وقع في البئر.

«السَّيَّارَةِ»: المسافرون الذين يسفرون لمسافات بعيدة

«لنأصحوه»: بالبعد عما يضره فلا يخاف عليه.

«يرتفع»: الرتفع هو أكل ما طاب من المأكلة وغيرها من خيرات الررع.

«ويلعب»: بالسباق والصراع والرمي بالسهم.

«واجمعوا»: عزموا عزمًا أكيدًا، انظر الآية (٧١) من سورة يوسف صفحة ٢٧٧

«واوحينا إليه»: عندما ألقوه في البئر وحيا إلهامياً ليطلعن قلبه كما أوحى إلى آدم موسى

في الآية ٧ من سورة القصص صفحات ٥٠٦، ٥٠٧ .

(٣) فاعلين

(٦) عاقلون

(٩) وجعلوا

(٢) غيبابة

(٥) لحافطون

(٨) قبيلة

(١١) متلعنا

(١) صالحين

(٤) لنأصحوه

(٧) لنأصحوه

(١٠) يا أبانا

﴿نستبق﴾: أي نجرى بمسابق كل منا صاحبه تسلياً.

﴿بمؤمن﴾: أي بمصدق.

المعنى . إن قتلتموه أو تضيموه يحلص حب أبيكم لكم، وبعد ذلك تتوبون من هذا الذنب وتكوبون أهلاً لحياة سعيدة قال واحد منهم لا ترتكبوا جريمة القتل لأنها عظيمة لا تؤمن المفجرة معها، واستعصوا عن ذلك بإلقائه في حمرة من الجب الممرور في طريق المساهرين يأخذه بمصهم إلى مكان بعيد، فيتم لكم إيماده عن أبيه، إن كنتم فاعلين الصواب فاعملوا هذا ثم توجهوا إلى أبيهم وكانوا قد شعروا أن آياهم يعرض على بعد يوسف عنهم خوفاً من أن يذكر لهم شيئاً عن الرؤيا فقالوا يا أبانا أي شيء عرض لك جعلك لا تأمن على يوسف مع أننا نحصه بالنصح دائماً أرسله معنا عدداً حين نخرج كعادتنا إلى مراعيها وراء أنعامنا يتمتع بالأكل ويلعب كما نلعب، وأنا له لحاظون من كل سوء. قال:

إني أخشى لبعده عني، وأيضاً أخاف أن يأكله الذئب لصفره وأنتم عنه غافلون باشتغالكم بأعمالكم أو بلمبكم. قالوا: والله لئن احتطمه الذئب من بيئنا ونحن جماعة قوية إنا إذا وقع هذا لحاسرون لكل شيء حتى مواشينا. أي وهذا لن يكون، عند هذا التأكيد منهم سمح يعقوب بما طلبوا.

فلما ذهبوا به في المنى اتفقوا على جعله في غيابة الجب، ففتوا ما عزموا عليه.

بعد ذلك ألقى الله تعالى في قلبه أنه سيجزو ويرى إخوته ثانياً ويحبرهم بما صنعوه معه وهم لا يشعرون أن الذي أحبرهم بما حل بيوسف هو يوسف نفسه، وقد تحقق هذا الإلهام، انظر آيتي (٨٨، ٨٩) من هذه السورة صفحة ٢١٦. وبعد ما اطمأنوا إلى أنهم تحلصوا منه جاءوا آياهم في وقت المشاء وهو ما بعد الغروب حال كونهم سيكون لهمعوه بما يدعون وهو قولهم يا أبانا إنا ذهبنا من مكان اجتماعنا إلى مكان بعيد فتسابق فيه بالجري أو السهام وتركنا يوسف عند متاعنا من ثياب أو آنية طعام فأكله الذئب، وما أنت بمصدق لنا في قولنا هذا لشدة محبتك ليوسف وسوء ظنك بنا.

وَلَوْ كَا صَنِيعَيْنِ ① وَجَاءَ عَلَى لَيْبِهِ بِمِرْ كَذِبٍ
قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَأَنَّ الْمُسْتَعَانَ عَلَى مَا تَصِفُونَ ② وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ
فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَتَاهُمُ فَاتِلٌ دَلُومٌ ③ قَالَ يَبْشُرُ بِنَارِكُمْ فَلَمَّا
وَأَسْرَوْهُ بَشُوعٌ ④ وَأَنَّ عِلْمٌ يَمَّا يَمْشُونَ ⑤ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ
يَمِينٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ⑥
وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَى مِنْ يَمِينٍ لَأَمْرَأَتِي أَكْرَمُ مَتْرُوكٌ
صَاحِبٌ لَمْ يَنْقُصْ لَوْ كُنْتُ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنَّكَ مَكَا يَهُوسُفَ
فِي الْأَرْضِ وَلَيُعْطِيَنَّ مِنْ ثَلَاثِ الْأَحَادِيثِ وَأَنَّ قَلْبُ
عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ⑦ وَلَمَّا
بَلَغَ أَشُدَّهُ ⑧ أَتَتْهُ حُسْنًا وَيَطْمَأَنَّ وَكَذَلِكَ تَجْرِي
الْحَيَاتُ ⑨ وَرَوَدَتْهُ الْيُونَنُ يَتَبَّ عَنْ نَفْسِهِ

المفردات: . «بدم كذب»: الكذب مصدر وصف به الدم للمبالغة هي دلالة على الكذب حتى كأنه هو الكذب نفسه، كما تقول فلان شر أي صاحب شر. «نصفون»: أي تكذبون، انظر آيتي (١٠٠، ١٢٩) من سورة الأنعام صفحتي ١٧٩، ١٨٦، والآية (٦٢) من سورة النحل صفحة ٣٥٢، والآية (١٨) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٢ «سولت» أي رينت وسهلت. «سيارة»: أي جماعة تبالغ في السير من مدين إلى مصر. «واردهم»: هي الذي يرد على الماء ليحمل منه لرفقته. «دلوه» هو وعاء من جلد مؤث فيقال الدلو نزعتها. «يا بشري»: هذه كلمة تستعمل عند

السرور من غير قصد إلى نداء كما يقال عند الجذع يا حمرتا. «واسرؤه بضاعة»: أي أحماء السيارة حال كونهم جاعلين له متاعاً من التجارة. «وشروه»: أي باعوه، فشري تستعمل في معنى باع واشتري. «بخس»: أي مبخوس ناقص عن ثمن مثله، من بخس الشيء نقصه. «معدودة» المراد قليلة لأن العرب كانت تعد القليل وقرن الكثير. «مشواه»: إقامته. «مكا ليوسف في الأرض»: أي جعلنا له مكاناً ومسرلة. «عالب على أمره»: أي قادر على تنفيذ كل أمر يريده ولا يعطيه أحد على منعه. «أشده»: أي بلغ غاية نمو جسمه واشتداد قوته. وذلك يكون عادة ببلوغ الإنسان خمسة وعشرين عاماً، وهو دون الاستواء الذي بعده تكون النبوة، وهو أربعون عاماً، انظر الآية (١٤) من سورة القصص صفحة ٥٠٨.

«حكماً، أي حكمة وهي معرفة أسرار الأشياء. «راودته»: المرادة المطالبة في رفق ولين مع شيء من المعاداة. «عن نفسه»: المراد خادعته لتصرفه عن رغبة نفسه الشريفة في العفاف.

(٤) علام

(٨) لشراء

(٢) يا بشري

(٧) الراحمين

(١١) ورودته

(٢) وجاءوا

(٦) دراهم

(١٠) آتيتها

(١) صانعين

(٥) بضاعة

(٩) مشواه

المعنى . لست يا أبانا مصدقاً لنا ولو كنا في الحقيقة صادقين، وحاءوا على قميص يوسف بدم يدل على كذبهم لكوبه على ظاهر القميص، ولم يحتلظ بحيوطه، وأيضاً فقد وجد يعقوب أن القميص سليم لم يمزق، حتى روى أنه قال (ما أحلم هذا الدثب الذي يأكل ابني ولا يمزق قميصه)، كل هذا مع ما علم يعقوب من رؤيا يوسف أنه سيعيش حتى يكون نبياً جعله يحكم بكذبهم ويقول: (لم يأكل ابني ذئب بل سولت لكم أنفسكم الأمانة بالصوء أمراً منكراً، فصبري صبر جميل، لا أشكو لأحد، وأطلب العون من الله على إظهار كذبكم، وعلى تحمل هذه المصيبة، وجاءت من جهة الشام إلى مصر سيارة فأرسلوا من يأتي لهم بماء من الجب، فأدلى دلو، فتعلق به يوسف، فقال أبشروا وجدت علامة جميلة، وأحموه لئلا يراه أحد ويأخذه منهم، وقصدوا جملة بصاعة يبيعونه في مصر على أنه رقيق، والله عليهم بما يعمل الجميع من إخوة يوسف والسيارة، فلى يترك يوسف أبداً، ولما وصلوا مصر باعوا يوسف بثمن ناقص هو دراهم قليلة، وكانوا غير راعبين فيه لئلا يظهر من يطالبهم به، وقال الذي اشتراه من مصر وهو كبير وزراء الملك، وينقب بالعزیز كما سيأتى. قال لامراته. أكرمي إقامته بهنأ بحسن المعاملة ولا تعامله كالعدم، وبئس سبب ذلك بقوله: عسى أن ينمنا في القيام بشئوننا، أو نتخذ ولدنا نسر به، وكان عقيماً، قال تعالى وكما جعلنا ليوسف إقامة كريمة جعلنا له في أرض مصر منزلة ممتازة، وفعلنا له ما ذكر لستم عليه النعمة، ولعلمه من تأويل الأحاديث كتعبير الرؤيا الذي كان سبباً في نجاته، ووصله إلى الممرلة العليا هي الدولة، كما سيأتى في الآيات (٣٦، ٣٧، ٤٧) من هذه السورة صفحتي ٣٠٨، ٣١٠، والله قوي قادر على تنفيذ كل أمر يريده ومنه رفعة قدر يوسف، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك ومنهم إخوة يوسف عندما طلبوا أنهم قادرون على التفريق بين يوسف وأبيه ليحلوا لهم الحو، فمشلوا وتم ما أراد الله، ولما بلغ يوسف غاية قوته آتياه من لدنا حكمة وعلماً نافعاً في كل شيء من تأويل الرؤيا وتدبير الأمور، وقد ظهر ذلك في تنظيم أقوات مصر، ومنع المجاعة وحياته في إحصار أخيه إليه، وعدم مسارعته في الخروج من السجن عندما طلبه الملك، إلى غير ذلك، ومثل هذا الجراء الحسن الذي جارينا به يوسف نجري كل محسن لعمله بما هو الأصلح له في دينه ودنياء، ثم شرع سبحانه في بيان ما جرى ليوسف في منزل العزيز فقال وراودته إلخ . أي وحادثته لتصره عن عفافه إلى ما تريد .

وَعَلَقَتِ الْأَنْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ
إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنُ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُعْصِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٧٦﴾
وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَىٰ بِرَحْمَتِ رَبِّهِ
كَذَلِكَ لَصَيَّرَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُخْلِصِينَ ﴿٧٧﴾ وَأَسْتَقْنَا النَّارَ وَقَدَّتْ قَيْصَهُ مِنْ دُبُرٍ
وَالْعَبَا سَيْدَهَا لَدَا الْبَابِ فَأَنَّىٰ دَاخِرَةٌ مَنَ أَرَادَ بِأَعْيُنِكَ
سُوءًا إِلَّا أَنْ يَنْجُوَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٨﴾ قَالَ هِيَ رَأَوْدَتِي
عَنْ نَفْسِي وَشَيْدَ شَامِدٍ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَبِيضُهُ قَدْ
مِن قَبْلِ صَدَقَتِ وَهُوَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٩﴾ وَإِنْ كَانَ
قَبِيضُهُ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَّبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٨٠﴾
فَلَمَّا رَأَىٰ قَبِيضَهُ قَدْ مِّنْ دُبُرٍ قَانَ إِنَّهُ مِّنْ كَبِيرِ كُنُ
إِنْ كَبِيرُكَ عَظِيمٌ ﴿٨١﴾ يُوسُفُ أَمْرٌ مِّنْ قَدَرٍ

المفردات:- «هيت»: اسم فعل بمعنى أقبل، «لك»: أي ان الخطاب لك أنت، «معاذ الله»: الأصل اعوذ به معاذًا، أي انحصن به تحصينًا قويًا، «إنه ربي أحسن مثواي»: أي إنه سبحانه ربي أحسن إقامتي في بلد العرية.

«همت به وهم بها»: قال شارح معجم الثبوت محمد بن نظام الدين الأنصاري في كتابه (الأصل الثاني السنة) أنها همت بقتله وهم هو بقتلها دفاعًا عن نفسه، وذلك لأن الهم لا يكون إلا بفعل والمرأة قابلة لا فاعلة.

انظر مادة الهم كلها في القرآن فإنها لا تدل إلا على ذلك، ومنها ما هي الآية (٧٤) من سورة التوبة صفحة ٢٥٤ فافهم واحترس مما افتراء أعداء الدين على أنبياء الله حتى وقع فيه كثير من المفسرين عن عفة، وتأمل ما سيأتي من قولها: «فاستعصم»، «برهان ربه» أي طريقًا للحلاص بإلهام من ربه، «السوء» القتل بدون سبب لإمكان الحلاص بدونه.

«والفحشاء» الربا، «المخلصين» هم الذين أحلصهم ربهم من النقائص «واستبقا الباب» أراد كل منهما أن يسبق صاحبه إلى جهة الباب، هو ليخرج، وهي لتمنعه، «وقدت قبيضه» قطعته، «من دبر» من خلف فوق كتفيه، «وأنفيا» وجدا «سيداها» زوجها وهو العزيز كما سيأتي. وتأمل إضافة السيد إليها دونه تعلم أن هذا يبعد أن يكون يوسف يقصد العزيز في قوله «ربي أحسن مثواي»، «لدى الباب» أي عند الباب الخارجي الذي بعده

(٣) رأى
(٦) راودتني
(٩) رأى

(٢) الظالمون
(٥) لذي
(٨) الصالحين

(١) الأبواب
(٤) برهان
(٧) الكاديين

الحلاص «بأهلك» أي بروحك «سوءاً» أي شيئاً يسوءك. «شاهد من أهلها» هو رجل عاقل جيد التفكير واستجلاء الحقائق، وسمى قوله شهادة لأنه أدى مؤداها في براءة يوسف. «من قبل» أي من أمام من جهة الصدر. «أعرض عن هذا» أي أكتمه ولا نحدث به أحداً.

المعنى - وراودته امرأة العزيز هامتة، بدليل اعترافها الآتي في الآية (٢٢) من هذه السورة صفحة ٢٠٧، وعظمها استعصم بالماء على المراودة عند ذلك علق الأوباب وقالت تعال أنت، فقال: معاذ الله أن أقابل نعمة ربي بعصيانته فأكون من الظالمين، فلما رأت منه هذا الاحتقار لها امتلأ صدرها ببار العبط، وصممت على الانتقام من حادم اشتريته ويهينها، فهتت بالبطش به، وهم هو أيضاً بقتلها، ولكنه سرعان ما أدركته العناية فأدرك أن للحلاص طريقاً غير القتل وهو الفرار، كهذا التثبيت تثبت يوسف دائماً في المستقبل لنصرف عنه السوء والمحشاء لأنه من عبادة المخلصين.. وأسرع يوسف للباب الذي يوصله للخارج وأسرعت وراءه وصارت تمسكه بجذبه من قميصه من الخلف حتى قطعت، وعند الباب وجدا زوجها يريد الدخول، فمن شدة دهانها أنها لم تتلعث عند المماجاة، وأنها جعلت مراودته لها أمراً لاشك فيه، فقصرت كلامها على نوع العذاب الذي يحارى به، فقالت لأجراً له إلا أن يسجن أو عذاب أليم ولعنها كانت تمضل السجن مدة قصيرة حتى لا يبعد عنها فإذا استمر على عباده يعذب العذاب الدائم، قال يوسف دهاعاً عن نفسه. هي التي راودتني عن نفسي فلما اختلف قولهما تقدم رجل عاقل من أهلها ليس في شهادته تهمة وقال إن كان قميصه قطع من الأمام فتكون هي الصادقة وهو كاذب لأنه مهاجم وهي مدافعة، وإن كان قطع من الخلف فهي الكاذبة وهو الصادق. ولو كان هذا الشاهد طملاً كما يقولون لكان مجرد نطقه بأن يوسف بريء كافياً ولا حاجة لهذا الاستدلال، فتأمل. فلما رأى العزيز أن قميص يوسف قد قطع من الخلف علم براءته. قال إن هذا العمل ومحاولة التوصل منه بانهام السرى هو من كيد النساء المعروف عنهن، إن كيدكن معشر النساء عظيم لا يطمس الرجال لحيلكن فيه. ثم التفت إلى يوسف وقال يا يوسف أعرض عن حكاية ما حصل....

وَأَسْتَفِيرُ قَدْرِيكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْغَالِبِينَ ﴿١٤﴾
 وَقَالَ يَسُوءُ فِي الْمَيْمَنَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرِيدُ فَتْنًا مِنْ
 نَفْسِي ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًا إِنَّا لَنَرُهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٥﴾
 فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِ مِنْ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ
 مُتَّكِنًا وَهَاتَتْ كُلَّ وَجْهٍ لِهِنَّ يَسْكُنًا وَقَالَتْ أُعْرِجْ
 طِينًا فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْتَهُ فَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ
 حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿١٦﴾
 قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودَّتُهُ عَنْ
 نَفْسِي فَاسْتَعْصَمْتُ وَلَيْنَ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لَآتَيْنَ
 وَلَكِنْ مَنِ السَّاقِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً
 إِنِّي مِمَّنْ يَتُوبُ إِلَىٰ رَبِّهِ وَالْأَلْهَامُ عَلَىٰ كَيْدِهِمْ أَصْبُ
 إِلَيْهِمْ وَأَكُنْ مِنَ الْغَالِبِينَ ﴿١٨﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ

المفردات: - «نسوة»: اسم جمع للمرأة لا واحد له من لفظه.

«فتاها»: حادها.

«شغفها حبا»: مأخوذ من شغاف القلب وهو غلافه المحيط به، فشغفها أى اخترق حبه شفاف قلبها وغاص في داخله حتى صارت لا تبالي.

«بمكرهن»: لعلها سمعت قولهن مكرًا لشبهه به في الخفاء، ولأنهن يردن طرده ليهتمتن به.

«اعتدت»: أى أعدت وهيات.

«متكأ»: قال ابن عباس هو الأترج، وهو نوع من العاكهة.

«أكبرته»: أى عظمه ودهش من جماله. «وقطعن أيديهن»: أى جرحها جرحًا شديدًا.

«حاش لله»: أصل المراد بها إعلان تنزيهه تعالى عن كل نقص وأردن بها التعجب وتنزيهه تعالى عن أن يخلق هذا الشاب من نوع البشر.

«فاستعصم»: أى أسرع في المبالغة في العصمة والامتناع. «من الصاعرين»: هو من صعر بكسر الفين كصرح إذا ذل واحتقر، أى من الأذلاء المهابين. انظر الآية (٢٩) من سورة

(١) امرأة	(٧) تولود
(٢) فتاها	(٤) لئراها
(٥) صلال	(٦) وآنت
(٧) واحدة	(٨) حاش
(٩) راوئته	(١٠) أمره
(١١) الصاعرين	(١٢) الجاهلين

التوبة صفحتي ٢٤٤، ٢٤٥ . ﴿أصيب إليهن﴾ . أي أمل . ﴿من الجاهليين﴾ : السفهاء . ﴿هاستجاب له ربه﴾ : أي أجاب دعاءه على أحسن وجه .

المعنى . والتفت إلى رليخا بفتح الزاي وقال وانتِ استغفري لدبلك إلك كنت من جنس مرتكبي الخطايا عمداً من رجال وساء . وقال سوسة هي عاصمة مصر : امرأة العرير تراود فتاها عن نفسه لأن حبه قد ملأ قلبها ، وهذا أمر عجيب منها ، إنا نعتقد أنها هي بعد عن الصواب واصبح ، فلما سمعت رليخا بمكرهم مكرت بهن كما مكرن بها ، فدعتهم إلى حفل في دارها ، وأعدت لهن فيما قدمته من الطعام أترجا يحتاج أكله إلى تقشيره وتقطيعه بالسكين . ولذا وضعت لكل واحدة منهن سكيناً ، ويبدو أنها أجادت سها حتى يحصل ما تريد من إقامة الحجة عليهن فيعذرنها ، وكانت حجزت يوسف في غرفة داخل الغرفة التي كان فيها الطعام ، ولذا قالت ﴿أخرج عليهن﴾ لتماجنهن به وهو على أحسن صورة ، وكن لم يرينه قبل ذلك ، وببما كن مشغولات بتقطيع المأكلة وقعت عليه أعينهن ، فاستولت عليهن الدهشة ، وتحركت السكاكين في أيديهن من غير شعور ، هجرت أيديهن جروحاً كثيرة ، وقلن متعجبات : معاد الله أن يكون هذا من البشر ، إنما هو ملك كثير المحاسن ، وهذا صدر منهن بناء على تصور الإنسان أن الملك أحسن الأحياء صورة كما يتصور أن الشيطان أفبحهم صورة ، مع أن الإنسان لم ير ملكاً ولا شيطاناً ، وبعد أن أقامت عليهن المعجة على عدرها باحت بما في نفسها فقالت لقد راودته عن نفسه فأسرع في مقابلة طلبى بالرفص الشديد ، وتمسك بالمصمة وعصاني ، وإنني أقسم لئن لم يعمل ما أمرته به لأجمر له بين السجن والإهابة ، بعد أن كنت قد اقترحت على زوجي واحداً منهما كما تقدم في الآية ٢٥ من هذه السورة صفحة ٢٠٦ فلما رأى يوسف تصميمها ومواقفة النساء لها فزع إلى الجباب الأعلى وقال . يارب إني أحب السجن وأكره ما يدعونني إليه ، وإن لم تصرف عني شر كيدهن لئ لا يقعن في المعصية فلا منحة لي من الميل إليهن ، وعند ذلك أكون من السفهاء الذين لا يعملون بما يعلمون ، هاستجاب له ربه تصرفه ...

فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٦﴾
 ثُمَّ مَدَّ لَهُمُ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِنَا لِيَنْجَعَهُ حَتَّى
 يَجِيزَ ﴿١٧﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ الْجَنَّةَ فَتَيَّارٌ قَالَ أَتَذْكُرُ
 إِنِّي أُرْسِي أَغَصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي رُسِّي أَجْمَلُ
 فَوَقَّ رَأْسِي خَيْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ بَنِينَا يُنَالُ بِهِ ؕ
 إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْضِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ لَا يَأْتِيَنَّكَ طَعَامٌ
 تُرَدِّقُهُ ؕ إِلَّا نَبَاتُكَ يُنَالُ بِهِ ؕ قُلْ أَنْ يَأْتِيَكُمُ
 ذَلِكَ مَا عَلَيَّ دَرِيءٌ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
 وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي
 لِإِسْرَائِيلَ وَإِخْتِ وَبَعَثْتُ مَا كَانَ نَسًا أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ
 مِنْ شَيْءٍ ؕ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيَّ وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ
 أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٠﴾ يَصْحَبُكَ الْيَتِيمَ أَزْهَبَ

المفردات: ﴿بدالهم﴾: أى ظهر رأى آخر
 هو سبجه المفهوم مما بعده.

﴿الآيات﴾: هى الشواهد على برامته:
 من حال القميص، وشهادة الشاهد،
 ومبالفته فى العفة حتى امام جمع السوة،
 واحتقاره الشهوات المضرية فى مثل بيت
 العزيز إلى غير ذلك مما لم يذكره
 سبحانه لنا.

﴿حتى حين﴾ إلى زمن غير محدد.

﴿اغصر خمرًا﴾: أى عنبا يصير خمرًا.

﴿إلا نباتكما ينأويله﴾: أى أخبارة التى
 يؤول إليها، والحالة التى سيكون عليها.

﴿تركت ملة﴾: تركت دحولها واتباع أهلها.

﴿قوم لا يؤمنون﴾ هم المشركون فى مصر وغيرها.

﴿يا صاحبي السمعي﴾: أى يا ساكنين فى السجن كقوله أصحاب الجنة مثلاً.

المعنى . فصرف عنه كيدهن وعصمه أن يكون من الجاهلين، إنه سبحانه هو السميع
 لدعاء مَنْ لجأ إليه، العليم بنيات المحاصنين.

- (١) الآيات
- (٢، ٣) أرانى
- (٤) براك
- (٥) كاهرون
- (٦) أبائى
- (٧) يا صاحبي

لُدعاء مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ، العليم بنيات المحلصين.

ثم ظهر للمزير ورجاله رأى بسجنه فقالوا والله لسجنه إلى أجل غير معين ليكون تحت تصرفها. وهذا يدل على أن زليخا كانت مالكة لمرام زوجها تقوده كما نشاء، فسجنوه ودخل معه السجن بطريق المصادفة فتيان من حدام ملك مصر، أحدهما حارس الطعام، والآخر ساقى الملك.

فراى كل منهما رؤيا منامية، فقصاها على يوسف، وقال أحدهما إني رأيت في المنام أني أعصر عبًا ليصير خمرًا، وقال الآخر إني رأيت أني أحمل حبرًا فوق رأسي تأكل منه الطير، أحبرنا يا يوسف بتفسير هذه الرؤيا لأننا نراك من المحمسين للناس ولتفسير الرؤيا فاستهر يوسف الفرصة التي مكنته من الدعاية لما يمتدده الحق من توحيد الله سبحانه، فقال لهما ما يمهّد به لقبول دعوته: لا يأتیکما طعام غدًا مثلاً من غير کسب منكما إلا کنت عالماً به قبل وصوله فأنخبركما بما سيكون عليه قبل أن يأتیکما: ذلك العلم الغيبي مما علمني ربي بوحيه إني به لكون فيه دليل على صدقي، أي كما كان دليلاً على صدق عيسى عليه السلام في الآية (٤٩) من سورة آل عمران صفحتي ٧٠، ٧١.

ثم بين سبب هذه النعمة فقال: إني ابتعدت عن اتباع ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة على الوجه الصحيح كافرين، لأنهم كانوا يعتقدون أن الملوك سيمودون في الآخرة ملوكاً، ولذا كانوا يحفظون معهم خيهم وأموالهم.

ولعل هذا هو السبب في التأكيد بذكر ضمير (هم). واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ما كان لنا أن نشرك بالله شيئاً مطلقاً، ذلك المفضل العظيم بالنبوة والهداية من فصل الله علينا وعلى الناس بإرسلنا إليهم، لنشر فيهم الحق، وتدعوهم لطريق النجاة، ولكن أكثر الناس لا يشكرون نعم الله عليهم، فهم يشركون معه غيره، يأسأكنين

مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ⑩ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ
دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ تَتَّبِعُوهَا أَنْتُمْ وَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
بِهَاسٍ سُلْطَانٌ إِلَّا الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا
إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ أَنَاسُ الْأَرْضِ نَاكِرٌ لِكُلِّ بِلَدٍ لَا يَعْلَمُونَ ⑪
يَتَّبِعُوهَا الْيَنْحَرُونَ ⑫ أَمَّا أَحْصَاكُمْ فَتَبَنَّى رَبُّهُ يَعْلَمُ
وَلَمَّا الْآخِرُ مَضَىٰ فَتَرَىٰ تَارَةً أُخْرَىٰ ⑬ فَاذْكُرْ رَبَّكَ الْوَحِيدَ
الَّذِي فِيهِ تَسْتَكِينُ ⑭ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِمَّنِ
أَذْكُرْ فِي عِنْدِ رَبِّكَ فَإِنَّهُ الشَّيْطَانُ يَكْذِبُ ⑮ فَلَمَّا
فِي الْيَنْحَرِ بَضْعَ سَبْعِ ⑯ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ
بَقَرَاتٍ يَأْكُلْنَ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ سَبِيلَاتٍ حُفِرَ
وَأُخْرَىٰ بَابُهَا أَلَمَلَا أَفْتَرَىٰ فِي رَأْيِي إِنْ كُنْتُمْ
لِرَأْيَا تَعْبُدُونَ ⑰ قَالُوا أَصْنَعُ أَصْنِ ⑱ وَمَا نَحْنُ

المفردات: «متفرقون»: في ذاتهم
وصفاتهم وأنواعهم. «إلا أسماء»: أي مجرد
أسماء لا حقيقة لها «أنزل»: المراد أوجد
كما هي الآية (٢٥) من سورة الحديد صمحة
٧٢٣. «سلطان»: برهان. «القييم»
المستقيم. «يا صاحبي السجن»: أي
المقيم فيه كما يقال أصحاب الجنة
وأصحاب النار. «ظن أنه ناج»: عبّر بذلك
تأدياً مع الله عز وجل، وإلا فهو يعلم بجاته
بدليل قوله «قضى الأمر» إلخ. «ربه»
سيده وهو الملك، وكان من ملوك العرب
الرعاة.

«اذكري عند ربك»: أي اذكر صماتي التي شاهدتها عند الملك. «ذكر ربه»: أي ذكر
يوسف عند ربه، فالإضافة لأدنى ملازمة كما يقولون. «فلتب في السجن»: أي مكث «بضع
سنين»: البضع من ثلاثة إلى عشرة، والمشهور أن كل مدة مكثه كانت سبعة. «عجاف»: جمع
عجفاء وهي الصفيحة الهريضة. «الملا»: هم أشراف القوم ورعاؤهم. «أفتوني»: الاستفتاء
هو السؤال عن الأمر المشكل المجهول، سواء أكان حكماً شرعياً أم حبراً عن شيء، وما هنا

- | | |
|--------------|-------------|
| (١) الواحد | (٢) سلطان |
| (٣) يا صاحبي | (٤) فأنساه |
| (٥) الشيطان | (٦) بقرات |
| (٧) سبيلات | (٨) يابسات |
| (٩) رؤيا | (١٠) للرؤيا |
| (١١) أصمات | (١٢) أحلام. |

من الثاني، «تعبرون» أصله من عبر النهر، أى تنتقلون من معناها الخيالى إلى المعنى الحقيقى، والمراد تعرفون تفسير الرؤيا، «أصفاث»: جمع ضفت يكسر أوله كما فى الآية (١٤) من سورة ص صفحة ٦٠٢، وهى الحرمة من العبدان والعشائش المختلفة، والمراد حواطر وخیالات مختلفة لا ترمى إلى معنى.

المعنى- هل عبادة أرباب متعددين خير لكم أم عبادة الله الإله الحق المفرد بالالوهية القهار الذى لا يغلبه أحد.

وإذا كانت عبادة الواحد خيراً هما تعبدون أنتم من دون هذا الإله الحق شيئاً إلا مجرد أسماء فارغة لا معنى لها فى الخارج، جعلتموها أسماء بمحض الجهل والضلال أنتم وأباؤكم ما أقام سبحانه عليها حجة، ولهم الحكم الصريح فيما يصح أن يعبد وما لا يصح إلا لله وحده.

ثم بين هذا الحكم فقال أمر سبحانه بأن لا تعبدوا أحداً غيره، ذلك التخصيص بالعبادة هو الدين المستقيم ولكن أكثر الناس يجهلون ذلك لتقليدهم آباءهم وتركهم النظر فى الدليل، انظر الآية (١٠٣) الأنبياء من هذه السورة صفحة ٢١٨ ويمد ما أدى واجبه فى بيان الحق شرع فى جواب سؤالهما فقال يا صاحبي السجن تفسير مناميكما أن عاصر الحمر سيفرج ويكون فى حاشية الملك ويكون هو ساقى الحمر، وأما صاحب الخبز فيصلب ويترك مصلوباً حتى تأكل الطير من رأسه، وقد تم الأمر ونفذ الحكم على الوجه الذى بينته لكما بما تستفتيان وقال يوسف للساقى، اذكرنى عند الملك بما رأيت عسى أن ينصبنى ممن ظلمونى، وهذا من قبيل الأحاد بالأسباب لا عيب فيه، فشغل الشيطان ذلك الساقى بأمور أخرى حتى نسى ذكر يوسف عند ربه، همكت يوسف فى السجن بضع سنين وقال الملك لى رأيت فى المنام سبع بقرات سمان يأكلهن سبع ضعاف، وفى ليلة أخرى رأيت سبع سنبلات خضر وآخر يابسات ولعل الرؤيا الثانية كانت لتوجيه الذهن إلى معنى الرؤيا الأولى كما فهم يوسف عليه السلام، وقد جاءت فى التوراة على هذا الوجه.

وقال الملك أهتوسى أيها الزعماء إن كنتم تعرفون تفسير الرؤيا، قالوا هذه الرؤيا تخاليط أحلام ووسوسة شيطان لا نعرف لها تأويلاً.

المفردات. «وادكر». أى تذكر.

«أمة» أى مدة من الزمن طويلة.

انظر الآية (٨) من سورة هود صفحة

٢٨٥.

«الصدیق» أى بالغ النهاية فى صدق

الأقوال والأعمال.

«تزرعون»: خبر بمعنى الأمر، أى ازرعوا.

وهو مقدمة لتفسير الرؤيا.

«دابها»: أصله مصدر داب فى العمل إذا

واظب عليه، وأريد به هنا اسم الفاعل، أى

دائبين مداومين. «نزوه»: اتركوه.

«هى سنبله»: أى فى عيدانه حتى ينتفضوا بالحب وينتفع الحيوان بالتهن فهو من قبيل

إطلاق الجرة على الكل. «شداد» أى فى الحذب والقحط.

«ياكلن ما قدمت لهن»: إسماع الأكل للمسكين للمبالغة، والمراد يأكل الناس هيهن كل ما

قدموه للإدحار.

وَيَا وَيْلَى الْأَحْلَامِ بِعَلِيِّينَ ۝ وَقَالَ الَّذِي لَهَا مِنْهَا
وَأَدَّكَ بَعْدَ أَمَةٍ أَنَا أَنْتُمْ خَلَوِيهِمْ فَارْتَحِلُوا ۝
يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَتَيْنَاكَ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمْلًا يَا كُلُّهُمْ
سَبْعَ حَبَافٍ وَسَبْعَ سَبَلَاتٍ خُضِرَ وَأَخْرَجَ يَابَسَاتٍ لَعَلَّكَ
أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ قَالَ تَزْرَعُونَ
سَبْعَ سِنِينَ دَابًا قَدْ أَصَدَّمْتُ فَذُرُوهُ فِي سُبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا
مِمَّا تَأْكُلُونَ ۝ ثُمَّ بَأْسَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ
يَأْكُلُنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ ۝ لَمْ يَأْنِ
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ظَمُّ فِيهِ يَخْتَلُ النَّاسُ وَلَهُمْ يَنْصُرُونَ ۝
وَقَالَ السِّبْكَ الْاِثْنَيْنِ يَوْمَ قَلْبًا جَاءَهُ الرُّسُلُ قَالَ أَرْجِعْ
إِلَى رَبِّكَ فَهَلْ مَابَالُ الْيُسْرَةِ الَّتِي قَطَعْتَ أَيْدِيَّ
إِنِّي رُبِّي يَكْفِي عَنِّي عِلْمٌ ۝ قَالَ مَا ضَلُّكُنَّ إِذْ رُودْتُنَّ

(١) الأحلام.

(٢) بمالعين.

(٣) بقرات.

(٤) سبلات.

(٥) يابسات.

(٦) فاسأله.

(٧) الثلاثي.

(٨) راودتن.

﴿تحصنوں﴾. ای تحفظون وتدخرون فلبدر. ﴿يعاث الناس﴾ يأتيهم الله بالعوث من مطر

وخصب.

﴿يعصرون﴾: كل ما يعصر لاستخراج شرابه أو ريوته كالعنب والريثون والسمن.

﴿ما بال النسوة﴾: أي ما حقيقة حالهن.

﴿ما حظيكن﴾ أصل الخطب هو الشار العظيم الذي يتحاطب بخصوصه الناس، انظر

الآية (٥٧) من سورة الحجر صفحة ٣٤٢، والآية (٩٥) من سورة طه صفحة ٤١٥، والمراد هنا

ما حالكن وشأكن.

المعنى . وقال الذي نجا من صاحبي السجن والعمال أنه قد تذكر بعد مدة طويلة وصية

يوسف أنا أخبركم بتفسيره بعد تلقيه عن يمينه، فأرسلوني إلى السجن الذي هو فيه.

فأرسلوه فجاء وقال يا يوسف، يا شديد الحرص على الصدق، أعتما في رؤيا سبع بقرات

سماں رخ، لعلی أرجع إلى أولى الأمر بما تقوله لعلهم يعلمون معناها ويعرفون فصلك وعلمك.

فأراد يوسف أن يبينهم إلى ما يجب عمله قبل أن يفسر الرؤيا ليتلافوا ما سيكون من الحظر

فقال اررعوا القمح والشعير سبع سنين مداومين على ذلك، وما تحصنوه منه اتركوه

محموظا في سميله بطريقة تبعد عنه السوس، إلا قليلاً مما تأكلونه في هذه السنين العصبية

مع الاقتصاد، وسيأتيكم بعد ذلك سبع سنين شديدة الجذب يأكل الناس فيها كل ما قدمتم لهم

من هذه الحبوب المدخرة، واحفظوا قليلاً من تلك الحبوب ليكون بدرا لما يزرع في المستقبل.

ثم يأتي بعد تلك السنين المجدية عام يعاث الناس فيه ويعصرون كل ما يعصر للشرب ولأدام.

فذهب الرسول إلى الملك ورجاله وأخبرهم فقال الملك أحصروا لي يوسف

فلما جاء رسول الملك ليوسف يطلبه للمقابلة قال له أرجع إلى سيدك واسأله قبل ذهابي

إليه ما حقيقة مسألة النسوة اللاتي قطعن أيديهن؟ وما سبب ذلك؟ واعلموا أن هناك كيدا دبر

للأبرياء، وربي هو وحده العليم بكيد النساء فبلغ الرسول كلام يوسف للملك، فلمت نظره هذا

الموقف المحيب من يوسف، فساءل، فأخبروه بما شاع من مراودة امرأة العزيز، فجمع النساء

المجروحات أيديهن وقال ما شأنكن عندما راودتن يوسف؟

يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ خَنَّ حَشَّ لَهُ مَا عَلِمَ عَلَيْهِ مِنْ مَوَدَّةٍ
فَكَتَبَتْ أَمْرًا لِلْعَزِيزِ الْفَرِّقِ خَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدَهُ
عَنْ نَفْسِهِ وَأَمَّا لِمَنِ الصَّدِيقِينَ ⑤ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ
أَنِّي لَمْ أَخْلُصْ بِالْعَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ⑥
• وَمَا أَرَى نَفْسِي إِلَّا الْغَاسِقَ لَأَمَارَةٍ بِالسُّوءِ إِلَّا
مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ⑦ وَقَالَ إِلَيْكَ
أَتُورَى ⑧ فَاسْتَخْلَفَهُ لِيَقْبِضَ عَلَيْهِمَا فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ
فَلَمَّا مَكَبْنِ لَيْسَ ⑨ قَالَ أَجْمَلْنِي عَلَى تَرَائِي الْأَرْضِ
إِنِّي خَشِيتُ عَذَابَ رَبِّي ⑩ وَكَذَلِكَ مَكَبْنُ يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ
يَتَّبِعُوا بِهَا حَيْثُ بَنَاءٌ يُصِيبُ بِرَحْمَتٍ مِّنْ رَبِّهِمْ
وَلَا يُضِلُّهُمْ أَتَى الشَّعْبِينَ ⑪ وَلَا يَجْرُ الْأَيْتَةُ خَيْرٌ
لِّقَوْمٍ فَاسْمُرُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ⑫ وَجَاءَ إِخْوَتُ يُونُسَ

المفردات: ﴿حَصَّصَ الْحَقُّ﴾: ظهر

واتضح

﴿لَمْ أَخْلُصْ بِالْعَيْبِ﴾: المراد هي غيبته

﴿فَاسْتَخْلَفَهُ لِيَقْبِضَ﴾: أجعله خالصاً

لنفسه.

﴿مَكَبْنِ﴾ دو مكانة ومبرلة رهيبة

﴿أَجْمَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾: أي

ولسني أصر خزائن أموال وحبوب أرض

مصر لاتصرف فيها بما فيه

المصلحة

﴿مَكَبْنُ لِيُوسُفَ﴾ أي جعلناه متمكناً من التصرف في أرض مصر.

﴿يَتَّبِعُوا بِهَا﴾ أصلها يتحد مباحة أي مبرلاً، فالمراد يبرل هي أي مكان هيها، انظر الآية

(١٢١) من سورة آل عمران صفحة ٨٢، والآية (٧٤) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٤.

المعنى: هل وجدتم من يوسف مبرلاً؟ وما سبب منجته؟ قلن جميعاً حماء الله ما علمنا

عليه أدنى شيء يسوء شرفه.

وقالت امرأة العزيز الآن ظهر الحق، أما التي راودته عن نفسه وهو لم يراودني، بل أسرع

(١) حاش

(٢) امرأة

(٣) الآن

(٤) راودته

(٥) الصادقين

بالعصمة والإعراض عني، وإنه لمن الصادقين هي قوله هي راودتني. ذلك الإقرار بالحق له ليعلم يوسف الآن حين يبلغه قولي هذا أنني لم أخنه هي غيبته من يوم سجن إلى وقتنا هذا، فلم أمس شره وعصته، وليزداد علما بأن الله لا يهدي كيد الخائنين، بل تكون عاقبة كيدهم وبالأعلى عليهم.

وما أبرئ نفسي من الخطأ لأن طبيعة النفس أنها كثيرة الأمر بالسوء في كل وقت، إلا وقت رحمة ربك لصاحبها فإنه يحفظها، إن ربي عظيم المغفرة لما يفتري النورس بمقصي طباعها إذا تاب العبد منها، واسع الرحمة فلا يجعل بالمقوبة.

فلما تحقق للملك بزمته قال اثوني به من السجن اجعله حاصناً بي ومن أهل مشورتني، فأتوا به، فلما كلمه الملك ورأى حسن إجابته ورجاحة عقله قال إنك من الآن ذو مكانة ومنزلة رفيعة عندي مؤتمن على كل شيء.

قال يوسف «جعلني رئيساً على إدارة خرائن المال والأقوات في أرض مصر، لأسي شديد، المحافظة على ما في عهدي، عليم بأحسن وجوه التصرف فيه، وأنتم مقببون على شدة، فيجب الاحتراس من خطرهما.

وكهذا التمكين البديع الذي تصورتموه الآن مكانا ليوسف في أرض مصر يمرل في بلادها حيث شاء، نعتصم برحمتنا في الدنيا بالملك والعبي من شاء حسب حكمتنا، ولا نصيب أجر المحسنين كما هي الآية (٣٠) من سورة الكهف صفحة ٣٨٥ .

وعزتي لأجر الآخرة من النعيم الدائم خير للذين آمنوا واستمروا على التقوى بالبعد عن المعاصي.

ولما كان القحط في هذه السنين الشداد قد عم مصر وما جاورها من الشام واشتهر فيما حول مصر أن بها حبوباً تباع، أرسل يعقوب أولاده جميعاً ما عدا أصغرهم وهو بنيامين شقيق يوسف، ولما وصلوا مصر دخلوا على يوسف....

فَخَلَوْا عَلَيْهِمْ صَرْفَهُمْ لَهُمْ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا ۖ وَلَئِنْ جَاهَلْتُمْ
بِمَعْنَاهُمْ فَلَا تَعْلَمُوا بِأَنَّهُمْ لَكُمْ مِنْ أَيْمَنِ الْأَتْرُونَ أَنْ
أُولَئِكَ الْكَلَّ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ۝ فَإِنْ لَمْ تَأْتُوا بِهِ
فَلَا تَكِلْ لَكُمْ بَعِذِي وَلَا تَقْرُؤُوا ۝ فَلَوْ أَنَّ سُرُودَ عَنَّا
أَبْلَهُ وَإِنَّا لَنَظُنُّونَ ۝ وَقَالَ لِفَتْنِهِ أَتَعْلَمُونَ بِصُنْعِهِمْ
فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّكُمْ يَهْرَعُونَ وَإِذَا أَنْقَسُوا إِلَيْنَا أَهْلِهِمْ لَعَلَّكُمْ
يَرْجِعُونَ ۝ طَارَ رَجَعُوا إِلَيْنَا أَيْبِهِمْ قَالُوا يَا نَارَ مِسْحَ يَا
الْكَلَّ فَأَرْسَلْنَا مَعَهُ آخَانَ سَكَنَ وَإِنَّا لَنَرَاهُمْ لَخَمِطُونَ ۝
قَالَ هَلْ أَسْكُرُ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا لَبِئْتُكُمْ عَنْ أَخِي مِنْ قَبْلُ
فَلَقَدْ خَبَّرْتُكُمْ وَأَمَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝ وَلَئِنْ فَتَحْنَا
مَعَهُمْ وَجَدُوا بِصُنْعِهِمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا نَارَ مَلَكِنِي
هَئِنْدِهِ بِصُنْعِهِمْ رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلًا وَنَحْمَطُ آخَانَ

المفردات: ﴿مسكرون﴾: أي جاهلون به ولا يعرفونه.

﴿بجهازهم﴾: أصل الجهاز ما يعد من الأمتعة للثقل والمراد هنا ما يحتاجونه من الحبوب.

﴿المنزلين﴾: هو من أنزلت الضيف عندي أي أحسنت ضيافته.

﴿لفتيانه﴾: جمع فتى والمراد عماله الكيالون.

﴿بصاعتهم﴾: المراد ما جاءوا به من

الشام ليشتروا به عملاً وكانت عمالا وحلودا وقضه.

﴿رحائبهم﴾: جمع رحل وهو وعاء المتاع.

﴿انقلبوا﴾: أي رجعوا.

﴿نكتل﴾ يقال اكتال أي أحد ما يكال كما هي الآية (٧) من سورة المطففين صفحة ٧٩٦.

والمراد نكتال من الطعام ما نحتاجه.

﴿خير حافظاً﴾: حافظاً أي خير من جهة الحفظ.

﴿ما نبئ﴾: أي ما الذي نطلبه بعد هذا الإكرام:

(١) سترلود	(٢) لعاقلون	(٣) لفتينه	(٤) بصاعتهم	(٥) لحافظون
(٦) آسكم	(٧) حافظا	(٨) الراحمين	(٩) متاعهم	(١٠) بصاعتنا

﴿بمير أهلكا﴾ أي نجلب لهم من الميرة وهي الطعام الذي يتقل من بلد إلى آخر.

المعنى . فلما دخلوا على يوسف يطلبون غللاً، عرفهم على الفور وهم لم يعرفوه، يقال إنه عليه السلام لما أراد الحيلة لحضور أخيه بنيامين من حيث لا يشعرون أظهر لهم أنه يشك في أنهم جواسيس لدولة أخرى، وإلا فما هو السبب في مجيئهم مجتمعين بهذا العدد، فدافعوا بأنهم جميعاً إخوة لرجل واحد، بل إن لهم إخوة آخرين من روجة أخرى.

فلما جهرهم بما يطلبون من حبوب وأعطى كل واحد حمل بمير وطعاماً يأكلونه في الطريق، قال لهم إن كنتم صادقين فأحضرُوا لي في المرة الثانية أحاً من أبيكم حتى اتحقق من صدقكم، ألا ترون أسي وهيت لكم الكيل وأحسنّت ضيافتكم مدة إقامتكم بمصر، فإن لم تأتونني به فلا تنتظروا مني في المرة الثانية شيئاً، بل لا تقربوا بلادى فأصعبكم من دخولها

ومن إتمام الحيلة أنه لم يقل بأحيتكم من أبيكم، خوف أن يبتهبوا إلى أنه يعرفه، قالوا سنراود عنه أباء، أي نستعمله بلطف وحيلة، وإنا نواصلون لفرضنا لشدة حاجتنا إلى الطعام وقال لفتيانہ اجعلوا بضاعتهم التي جاءوا ليشتروا بها الطعام في رجالهم من حيث لا يشعرون لعلهم يعرفون فصل إرجاعها لهم وإعطائهم العلة بلا ثمن، لعلهم بعد معرفة ذلك يرجعون إليها ثانياً بعد علمهم كرمنا.

فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا إن عزيز مصر أمر ببيع الكيل لنا في المستقبل إذ، لم نحضر معنا أحاداً بنيامين، فأرسله معنا مكل ما نطلبه بقدر عددنا، وإنا سنجاهدك عليه في الذهاب والإياب، قال. هل يصح أن أحطى ثانياً وأمنكم عليه كما أحطأت عندما أمنتكم على أخيه يوسف من قبل فأصعتموه قاله خير من يحفظه لي وهو أرحم الراحمين، فأرجو أن يرحمني بحفظه، ولا يبتليني بمقدّه كما فقد أخوه.

ولما فتحوا أوعية طعامهم وجدوا فيها مع العلة ما كانوا دفعوه من بصاعة ثمناً للعلال. عند ذلك قالوا يا أبانا أي شيء تريده بعد هذا الإكرام الذي أكرمنا به العزيز؟ وهذه أيضاً بضاعتنا ردت إلينا تمصلاً منه، فأرسل معنا أحاداً بمير أهلكا وتحفظ أحاداً من كل مكروه.

وَرَدَّاهُ كَيْلَ بَيْعِهِ ذَلِكَ كَيْلَ يَسِيرٍ ۝ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ
مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَنَا تُنْفِي بِهِ إِلَّا لِي بِحَبْلِ
يَدِّي فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۝
وَقَالَ يَبْنَئْ لَنَا دُخْلًا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ
مُتَّصِفَةٍ ۚ وَمَا أَفْنَى عَمَّكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُ لَمُسَكِّرٌ
إِلَّا بِإِذْنِهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ۝
وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُفِيهِمْ
مِنْ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا
وَأَنَّهُمْ لَدْءُ عَلَيْهِمْ نِسَاءُ عُلَّتْهُ وَلَيْكُنْ أُسْكُرَ النَّاسَ
لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ
قَالَ إِنَّ أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَمَتِّسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝
فَلَمَّا بَهِرَهُمْ بِجَهَنَّمَ جَمَلِ السَّقَاةِ فِي رَحْلِ أَبِيهِ

المفردات: «نزداد كيل بعير»: بزيادة
عندهم بأخيهم بنيامين.

«كيل يسير»: المراد من الكيل المكيل.

«موثقاً»: عهداً مؤكداً بالقسم بالله عليه.

«أن يعاط بكم»: أن يعطي بكم عدو
فیهلکم، انظر الآية (٢٢) من سورة يونس
صفحة ٢٦٩.

«آوى إليه أخاه»: أى ضمه إليه.

«تمتس»: أى يلحقك بؤس وحزن.

«السقاية»: وعاء يسقى به ويكال به الطعام، وهو المعبر عنه فيما سيأتى بالصواع.

المعنى - ونزيد ما نأتى به مقدار حمل حمل من المكيل؛ ذلك المكيل يسير حصوله بوحود
أخيها معنا.

قال يعقوب: لن أرسله معكم إلا إذا أعطيت موسى عهداً تقسمون عليه بالله لترحمن بنيامين
في كل حال إلا في حال فتلكم جميعاً.

- (١) آتوه
- (٢) يأسى
- (٣) واحد
- (٤) أبواب
- (٥) قصباتها
- (٦) علمناه
- (٧) آوى

فلما أعطوه العهد قال: اعلّموا أن الله رقيب وشهيد على ما قلته وما قلتم، فاحذروا ما ينصبه.

وقال: يا بني لا تدخلوا عاصمة العزيز من باب واحد حتى لا تعزّم حولكم الشبهة كالمرة الأولى، أو يكيد لكم الكاندور، وما أدفع عنكم تدبيرى هذا من قضاء الله تعالى شيئاً إن أراد بكم مكروهاً، فليس القضاء فى تدبير العالم إلا له سبحانه وحده، له دون غيره فرضت أمرى، وعليه يجب أن يعمل كل متوكل بعد أخذ الأسباب العادية.

ولما دخلوا من أبواب متفرقة كما أمرهم أبوه، ما كان دخولهم هذا يدفع عنهم من قضاء الله شيئاً كما اعتقد يعقوب، فقد أصابهم ما أحزنهم باتهام أخيهم بالسرقة، وحجزه بمصر، وشدة المصيبة عليهم وعلى أبيهم.

لكن تلك الوصية من يعقوب كانت لحاجة تدور بخلده وهى الاحتياط لسلامة بنيامين والعودة به.

وقد حققت الوصية، ولكن قضاء الله تعالى فوق كل تدبير، وإن يعقوب لصاحب علم خاص به وبأمثاله الأنبياء لما علمناهم بالوحي.

ولذا مع كونه احتياط قال لا أعسى عنكم من الله شيئاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الواجب الجمع بين الاحتياط والتوكل عليه تعالى.

ولما دخلوا على يوسف فى مجلسه الخاص انتهر فرصة صم فيها أخاء إليه، وقال له سرّاً أنا أخوك يوسف فلا تعزّن بما كانوا يعملون بما فىما مضى، لأن الله قد أوجانا وجمعنا على أحسن وجه.

ولما جهز لهم طلباتهم دس هو بيده السقاية فى متاع أخيه بدون أن يشعر به أحد اتقانا للسرية...

ثُمَّ أَذِنَ مُؤَذِّنٌ ابْنُ الْعَمْرِ لَسِرْفُونَ ﴿٦٠﴾ قَلُّوا وَأَقْبَلُوا
عَلَيْهِمْ مُدَا تَعْفُونَ ﴿٦١﴾ قَلُّوا تَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلَمِنْ
جَاءَ بِهِ بِحُلٍّ بَسِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٦٢﴾ قَلُّوا تَقْدُ لَقَدْ عَلِمْتُمْ
مَا جَاءَ لِبُعْدِي فِي الْأَرْضِ وَمَا لَنَا سِرْفِينَ ﴿٦٣﴾ قَالُوا لَقَدْ
بَرَأْنَاهُ إِذْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٦٤﴾ قَالُوا جَرَّأُونَهُ مِنْ وَجَدٍ
فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَرَّأُونَهُ كَذَلِكَ تَجْرَى الظَّالِمِينَ ﴿٦٥﴾
فَسَدَّ أَوْرَاقَهُمْ قَبْلَ رِغَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخَرَهَا مِنْ رِغَاءِ
أَخِيهِ كَذَلِكَ كَذَبَ الْيُوسُفُ مَا كَانَ بِأَحَدٍ عَظِيمًا ﴿٦٦﴾
الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَنْشَأَ اللَّهُ رَمْعَ دَرَجَاتٍ مِنْ لُتَّى وَفَوْقَ
كُلِّ دَرَجَةٍ عِلْمٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ
أَخٌ لَنَا مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَحَاهُ يُوَفُّ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يَبْدَحْهَا
لَهُمْ قَالِ أَنْتُمْ تُرْمَكُنَّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٦٨﴾

المعردات: ﴿أذن مؤذن﴾: أى نادى مناد.

﴿العمر﴾: هى الإبل التى عليها أحمالهم،
والمراد أصحابها.

﴿صواع الملك﴾: الصواع هو الصاع الذى
يكال به، وهو المعبر عنه فيما تقدم بالسقاية.
فيما عدا الصمير عليه مذكرا ومؤنثا وكاست من
فضة.

﴿وأنا به زعيم﴾: أى كفيل وضامن، وهذا
من كلام المؤذن.

﴿رحله﴾: هو وعاء المتاع كما تقدم فى
الآية (٦٢) من هذه السورة صفحة ٢١٢.

﴿وعيتهم﴾: أى رحالهم التى فيها متاعهم.

﴿كدنا ليوسف﴾: أى دبرنا لصالحه تدبيرا خفيا.

﴿فى دين الملك﴾: أى شريعته وقانونه.

﴿مكائا﴾: أى منزلة.

﴿نصمون﴾: تكذبون كما تقدم فى الآية (١٨) من هذه السورة صفحة ٢٠٥.

(١) لمارقون

(٢) مارقون

(٣) جراؤه

(٤) كاذبين

(٥) جراؤه

(٦) الظالمين

(٨) درجات

المفسر: . وبعدهما شرعوا في الانصراف افتقد المتيان العساية التي يكيلون بها، ولما لم يكن في المكان سوى إخوة يوسف، بادى أحد الفتيان عليهم مكرراً نداءً قائلاً فيه: يا أصحاب الإبل إنكم لسارقون. قالوا وهم راجعون إلى الفتيان، ما الذي فقدتموه؟ ولم يقولوا، ما الذي سرق، مبالغة في إبعاد شبهة السرقة عنهم، ولفنا لنظر المتيان إلى حسن الخطاب؛ ولذا تنبه المتيان وعدلوا عن الاتهام وقالوا: فقدنا صواع الملك الذي عليه شارة الدولة، ولمن أوجده أو أرشد إلى مكانه حمل جمل من العلال مكافأة. وقال المؤذن وأنا صامن تسليم هذا الحمل.

قال إخوة يوسف: والله لقد علمتم من سيرتنا أثناء إقامتنا ببيكم أننا ما جئنا لنفسد في أرض مصر بالسرقة؛ لأن السرقة ليست من عادتنا.

قال المتيان بأمر يوسف فما جزاء سارقه إن كنتم كاديبين في دعوى النراهة؟ قالوا جزاء سرقة أخذ من وجد في رحله وجعله رقيقاً، هذا هو جزاؤه عندما في شريعة يعقوب، وكذلك هو جزاء كل ظالم. وكانت شريعة ملك مصر أن السارق يصرب ويغرم صيف قيمة المسروق. عند ذلك بدأ يوسف عليه السلام بمعاونة غلمانه بتفتيش أوعيتهم جميعاً مبتدئاً بأوعيتهم قبل وعاء أخيه لنفي تهمة أنهم هم الذين وضعوه فيها، فلما فتشوا وعاء أخيه أخرجها منه، فنفذ الجراء وحجزوه. وبهذا كدنا ليوسف كيداً مثل كيدنا الممهود عنا دائماً بالإلتقان والإحكام، فحققنا له غرضه بهذا التدهير الحفي، ومنه أنه ألهم أن يستميتهم قيمتوا بما يحقق طلبه، ونولا ذلك ما استطاع أن يأخذ أخاه؛ لأن شريعة ملك مصر تغالف ذلك كما تقدم، ولكن يوسف أخذ أخاه بمشيئة ربه وتيسيره. والله يرفع درجات من يشاء بالعلم والفضل كما رفع درجات يوسف وفوق كل عالم من أصحاب هذه الدرجات عليم لا يدايه أحد من خلقه وهو المولى سبحانه وتعالى. وعندما ظهرت هذه الضبيعة حاول بعضهم وهم أشدهم كراهة ليوسف وأخيه أن يبعدوها عنهم بالكذب والرور فقالوا: إن يسرق اليوم بنيامين فقد سرق أخ له من قبل، يريدون يوسف، لأنهما من أم غير آمنة ورثوا العنقة عنها، هذا عيب قاصر عليهما لا يمسنا بسوء. فأضمر يوسف هذه التهمة في نفسه ولم يظهر أثرها لهم في قول أو فعل، وقال في نفسه أنتم شر منيرة عند الله وعند من يعرف حقيقتكم، والله وحده هو العليم بكذبتكم.

قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدًا
مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٨﴾ قَالَ مَا مَتَّعْتُكُمْ
تَأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدًا مِّنْهُمْ أَتَى إِذَا الْكَافِرُونَ ﴿١٩﴾
فَلَمَّا أَتَتْهُنَّ وَأَسْفَلْنَ مِنْهُ خَضَعْنَ لَهُنَّ كُلًّا قَالِ كَيْفَ تَأْمُرُ
لَن أَبَاكَ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكَ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ رِيسَ قَبْلِ مَا قُضِيتُمْ
فِي يُوسُفَ فَلَمَّا بَرَحَ الْأَرْضَ سَأَلَ بِأَدْنَىٰ إِيَّاهُ أَوْ
يَحْكُمُ اللَّهُ فِيَّ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٢٠﴾ أَرْجُوا إِلَاهَ
أَيْسَّرَ لَكُمْ بَنَاءَ بَنَانٍ إِنَّ أَيْتَانَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا
كُنَّا وَمَا كُنَّا لَنُغَيِّبَ عَنْكُم مِّنْهُنَّ ﴿٢١﴾ وَسُئِلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي
كُنَّا فِيهَا وَالْعِمْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٢٢﴾
قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى
أَنَّ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢٣﴾

المفردات: ﴿استئثموا﴾: أى يثتموا يأمنوا
شديداً.

﴿خلصوا﴾: أى صاروا خالصين من
غيرهم وانفردوا بأنفسهم بعيداً عن الناس.

﴿نجياً﴾: أصله مصدر كالتجاضى وهو
التخاطب سرا وأطلقوه على المعتاضى مبالغة،
هالنجى هو الذى يخاطب غيره سرا، يقال
للوأحد والجمع، انظر مع ما هنا الآية (٥٢)
من سورة مريم صفحة ٤٠١.

﴿موثقاً﴾: أى عهداً مؤكداً بالعلف بالله.

﴿ما فرطتم فى يوسف﴾: أى تضربتكم

فيه.

﴿لن أبرح الأرض﴾: أى لن أفارق أرض مصر.

﴿وما كنا للغيب حافظين﴾: وما كنا عالمين بما سيكون مما غاب عنا.

﴿واسأل القرية﴾: أى اسأل أهل القرية وهى مصر.

﴿سولت لكم أنفسكم﴾: أى زينت وسمهلت.

(١) براك

(٢) متاع

(٣) نظالمون

(٤) استياسو

(٥) الحاكمين

(٦) حافظين

(٧) واسئل

(٨) لصادقون

المعنى . فلما ثبت لديهم أن نيامين مدين، قالوا يأيها العزيز إن له أبا شيخاً كبيراً هي السر يحربه فراقه، فحد أحداً بدله حتى ترحم بإحسانك هذا الشيخ الكبير، إنا نراك من المحسنين.

قال يوسف نمود بالله أن نأخذ بريئاً، فلا نأخذ إلا من وجدنا صواعنا عنده لأننا إذا أخذنا البريء نكون من الظالمين.

فلما استحكم بأسهم من تعليصه اعترلوا الناس متناجين بالنشاور فيما يقولون لأبيهم: قال كبيرهم عقلاً ورأيًا ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم عهداً مؤكداً لتردن بنيامين إليه؟ ألم تعلموا أيضاً تمريطكم هي يوسف قبل ذلك بعد تأكيد المحافظة عليه؟ فلن أهارق أرض مصر حتى يأذن لي أبي بالرجوع إليه، أو يحكم الله لي بأمر من عنده مما هو عائب عني ولو بالموت وهو سبحانه خير الحاكمين. لا يحكم إلا بالعدل، فارجعوا أتم إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن أباك سرق صواع الملك فأحذه رفيقاً وريزه العزيز.

وما شهدنا عليه بالسرقه إلا بعلما ذلك، وما كنا عندما أعطيناك العهد بحافظين للمعيب حتى نعلم أنه سيسرق فلا نعطي عهداً. واسأل أهل مصر الذين كنا عندهم، وأهل الجمال الذين كانوا هناك وأقبلوا معنا، وإنا لصادقون بما نقول لك.

هرجع الإخوة وقالوا ما وصاهم به كبيرهم فقال يعقوب لستم صادقين فيما تقولون، بل ريت لكم أنفسكم كيداً، أحر قمصتكم كما سولت هي أحيه من قبل، وما فعلوه هي يوسف من دعوى أكل الدئب هو الذي حملة على سوء الظن بهم، وإن كانوا هي الواقع صادقين هنا كاديين هناك.

لكن من له سابقة كذب يسهل لغيره اتهامه. فصبر جميل أليق بي كما تقدم، عسى الله أن يأتي بي يوسف وأخيه، أنه هو العلیم بحالي وضعف، الحكيم فيما يبتلى به عباده وفيما يدفع به الملاء. وإنا حملة على ترحي رجوعهما علمه بصدق رؤيا يوسف، ولأن الشدة إذا بلغت عايتها يفتها المرج.

وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاسَافِي عَلَى يَوْسَفَ وَيَا حَسْبَ عَذَابِ
مَنِ الْحَزَنُ قَهْرٌ كَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ قَالُوا نَأْتِيهِ نَحْنُ أَكْثَرُ
حَقٍّ تَكُونُ حَرَمًا أَوْ تَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ
لَا تَأْسَوا بَعْدَ الْيَوْمِ بِشَيْءٍ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَكُمْ رُزُقٌ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٦﴾ يٰبَنِي إِسْرَءِيلَ فَتَحَسَّبُوا مِنْ يَوْسَفَ
وَأَخِيهِ وَلَا تَأْسُوا مِنْ رُزُقِ اللَّهِ إِنَّهُ كَانَ يَافِقُ الْإِتْقَانِ ﴿١١٧﴾
رُزُقِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴿١١٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ
قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَاوَاهُكَ الْأَصْرَ وَجِئْنَا بِبِضْءٍ
مُرْجَةٍ فَأَوْبَ لَنَا الْكَيْدُ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ
يَهْدِي الْفَضْلِينَ ﴿١١٩﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا قُلْتُمْ يَوْسَفَ
وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَكُنْ لَكَ يَوْسَفَ
قَالَ إِنَّا يَوْسَفَ وَعِندَ آسِئْتُمْ مَنِ اللَّهُ طَبَاسًا لَهُمْ مَنْ

المصدرات . ﴿يا أسف﴾ : الأسف شدة
الحزن على ما فات، وقد تقدم أن مثل هذا
التركيب يراد به إظهار التعسر.

﴿كظيم﴾ : شديد كظم غيظه لا يشكو
لمخلوق.

﴿تفتأ﴾ : معناه تزال، وحذف حرف النفي
معهما قياساً، والأصل لا تزال.

﴿حرمًا﴾ : أصله مصدر حرم بكسر
الراء كطرب أى قرب من الهلاك، وأريد به
اسم الماعل، أى الضرب من الهلاك.

﴿بش﴾ : البش فى الأصل تفريق الشيء، ومنه بثت الريح الشراب، ويطلق على الشيء
المبثوث المنتشر، وأريد به هنا العم.

﴿وحزنى﴾ : الحزن ألم فى النفس ينشأ من شدة الغم.

﴿فتحسبوا﴾ : أى ابحثوا واطلبوا معرفة خبر . ن أخبار يوسف.

﴿روح الله﴾ : فرجه ورحمته.

﴿الصر﴾ : الصعف من شدة الجوع.

(١) تفتأ	(٢) الهالكين
(٣) أشكو	(٤) يافى
(٥) تيسوا	(٦) بيتس
(٧) الكافرون	(٨) بيضاء
(٩) مرجاة	(١٠) جاهلون.

﴿مرحاة﴾ رديئة يدفعها كل واحد عن نفسه لرداعها. انظر الآية (٤٢) من سورة النور
صفحة ٤٦٥ .

المعنى . وبصرف يعقوب عنهم، وتذكر يوسف عند هذه المصيبة، وأعلن حسرته من عدم وجوده في هذه الساعة ليسارع إلى خلاص أخيه وإرجاعه إليه، واشتد عليه الحزن و ليكاء حتى اضطربت أعصابه وعطت عييه عشاوة جعلته لا يكاد يبصر، وقد ساعد ذلك أنه كظيم لميظه، ولم يعرج عن نفسه بالشكاية منه.

قالوا والله لا نزال تذكر يوسف وتتجمع عليه حتى يديك الحزن ويضعفك أو تهلك بهائياً
قال لا أشكو عني المبعثر حولي من كل جانب وحري إلا إلى الله؛ لاني أعلم من لطفه
ورحمته ما لا تعلمون هارجو أن يرحمني ويلطف بي.

يا بني ذهبوا فتعرفوا شيئاً من أخبار يوسف وأخيه، ولا تبنسوا من رحمة الله لأنه لا ينس منها إلا الكاهن لجعلهم بسمة رحمته سبحانه، فلما سمعوا وصية أبيهم سافر بعضهم إلى مصر ليبحث ويحلب قوتاً، فلما دخلوا على يوسف قالوا بأبيها المريز أهلقنا الجوع وحشاً يطلب غلة بثمر رديء، فأوف لنا الكيل تمصلاً منك ولا تنقصه لرداءة الثمر، وتصديق علينا بقبول بضاعتنا الرديئة.

قال يوسف منيها لهم لحملتهم هل علمتم الآن فتح ما فعلتم بيوسف وأخيه حين كنتم في جهالة وطمش، أم مارال الجهل محيماً عليكم؟ وما فعلوه بأخيه هو سوء معاملته، وجمائهم له، وشعاره بأنه مكروه منهم، حتى كان يشمر أنه دليل بينهم، وهذا تحقيق لما وعده الله به في الآية (١٥) من هذه السورة صفحة ٢٠٤ .

فلما سمعوا ذلك وكان ما فعلوه بيوسف تقادم عليه العهد لا يعلمه أحد تفرسوا في القائل فعرفوه، فقالوا بقسم بك أنت يوسف. قال حقاً أنا يوسف، وهذا أخي الذي فرقتم بيني وبينه، قد من الله علينا بما ترون.

يَتَّبِعِي وَصِيْرَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُصِيعُ أَثَرُ الْمُحْسِنِينَ ①
قَالُوا نَأْتِيهِ نَفْعًا فَنُرِيكَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ②
قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ③ أَنْصَرُوا يُغْفِرْ لَكُمْ هَذَا نَقُوءُ عَنْ
وَجْهِ أَبِي بَلَكٍ وَصِرًا وَآتُونِي بِقَبْضِكُمْ أَجْمَعِينَ ④
وَلَمَّا فَصَلَ الْعَمِيرُ قَالَ أَيُّهُمْ إِلَىٰ لَأَجِدُ رَيْحَ يُوسُفَ
لَوْلَا أَن تَقْبِذُونَ ⑤ قَالُوا نَأْتِيهِ بِكُلِّ شَيْءٍ
الْقَدِيمِ ⑥ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْفَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ
فَكَرِهَ بِصِرًا قَالُوا أَأَقْلَ لَكُمْ لِكُمْ إِنْ أَهْلُمُ مِنْ اللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ⑦ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْنَا ذُنُوبَنَا
كُنَّا خَاطِئِينَ ⑧ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُكُمْ رَبِّي إِنَّهُ
هُوَ الْعَظِيمُ الرَّحِيمُ ⑨ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ

المفردات:- ﴿اثرك الله﴾ أي اختارك
وفصلك.

﴿لا تثريب﴾ يقال ثرب فلان على فلان
بتشديد الراء إذا عدد عليه ذنوبه، والمراد
هنا لا لوم ولا تأنيب.

﴿فصلت العير﴾: يقال فصل عن البلد إذا
انفصل عن حيطانه مفارقاً له. والعير تقدم
بيانها.

﴿تقندون﴾. تسمبونني إلى الفند بفتححتين
وهو الكذب وهساد الرأي وضعف العقل.

﴿في ضلالتك القديم﴾ هي خطئك الذي قلناه سابقاً عندك، انظر الآية (٨) من هذه السورة

صفحة ٣٠٣.

﴿آوى﴾. أي ضمهما وعانقهما.

المعنى . قد تفصل سبحانه عليهما بكرمه لأن من اتقاء بالبعد عن معاصيه، وصبر على
الشدائد ثقة بعمده، لا يضيع له أجر؛ لأنه سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عمله بالإحلاس
فيه.

- (١) اثرك
- (٢) لخطئين
- (٣) الراحمين
- (٤) ضلالتك
- (٥) الماء
- (٦) خاطئين
- (٧) آوى

قالوا والله لقد فصلك الله علينا بالحلم والتقوى، وما كنا عيما فعلمنا إلا متمعدين الحظيئة.
فلما أعلنوا خطاهم قال لى أوبحكم أبدا، ولكن لكم عدى صمخ وعمو، وأرحو أن يعمر الله
لكم، لأنه أرحم الراحمين لمن تاب من خطيئته

وكان قد علم أن شدة الحر أنثرت فى بظر أبيه، وأن المرور يعيده كما كان، قال لإخوته
خذوا قميصى هذا الذى كنت ألبسه على يدى وأذهبوا به إلى الشام وأطرحوه على وجه أبى
فإنه يرجع بصيرا وبعد ذلك اثتوني بأهلكم كلهم من الرجال والنساء والدرارى

وقد روى أنهم عند دخولهم مصر كانوا سبعين رجلاً وامرأة وخرجوا مع موسى فى نحو
سبعمائة ألف فلما انصلت الجمال التى كان يركبها إخوة يوسف عن بياض مصر قال
يعقوب لمن بقى معى من أولاده وأحماده إنى لأشم ريح يوسف لولا أن تتسبوى إلى صمخ
العقل لصدقتموسى، وهذا سر من أسرار الأرواح الطاهرة لا يعرفه إلا من الله عليه بنور
البصيرة.

قالوا تالله إنك لعمى حطتك القديم من إهراطك فى حب يوسف فلما وصل البشير بحمل
ثوب يوسف والقاء على وجه يعقوب رجع بصيرا كما كان.

قال لمن عنده ألم أقل لكم إنى أعلم من علم الله ورحمته مالا تعلمون، انظر الآية (٨٦) من
هذه السورة صفحة ٣١٦ .

قالوا، جميعاً يا أبانا اطلب من الله أن يعمر لنا ديوبنا التى ارتكبناها فى حقك وحق إخوتنا،
إننا كنا فيما مضى خاطئين، ولأننا تبنا إلى الله.

فلم يسرع يعقوب إلى الاستقار، ليشرهم أن حرمهم كان عظيماً، وليزداد جوفهم من الله
حتى تظهر قلوبهم تماماً. لذا قال: سوف استعمر لكم ربي فى المستقبل، إنه واسع المعصرة
والرحمة لمن يحسن التوبة

ثم بعد ذلك تجهروا جميعاً للسفر إلى مصر حسب طلب يوسف، فلما دخلوا على يوسف...

إِلَيْهِ أَبُوهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
وَرَفَعَ أَبَوَيْهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِي
هَذَا تِلْكَ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ
أَتَيْتَنِي إِذْ أَتْرَجَنِي مِنَ الْبَحْرِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ
الْبَحْرِ مِائِينَ بُحَيْرٍ وَرَغَّ الشَّوْطِلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ إِذْ
رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
• رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَطَلَيْتَنِي مِنَ تِلْكَ
الْأَحَادِيثِ فَطَرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيُّ الْإِنسَانِ
وَالْآخِرَةِ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَالْحَقُّ بِالصَّالِحِينَ • ذَلِكَ
مِنَ أَمْرِ الْقَبْرِ بَرَحَهُ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ تَتَذَكَّرُ
أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ • وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ
بِغُورِي • وَمَا تَسْلُمُ لَهُمْ خَلْقٌ مِنْ آتَمٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

المفردات: «العرش»: المكان الذي
يجلس عليه لإدارة شئون الدولة.

«خروا له سجدا»: أي هبطوا برؤسهم
نحو الأرض تعظيماً له لا عبادة وكان ذلك هو
تحية الملوك والعظماء في عهدهم؛ ولكن
الإسلام حرّمه وجعله كفراً إذا قصد به
التقرب.

«البدو»: البادية التي يعيش أهلها على
الترحال وراء المرعى.

«سرع الشيطان»: أصل السرع يحس
الفرس بالحديد لتجرى، ثم استعمل في
وسوسة الشيطان.

«لطيف لما يشاء»: يقال لطيف بصم الطاء لطافة أي دق وصغر حتى حصى عن الأنظار،
فهو لطيف، صمد كثير، ثم استعمل في التدبير الحصى السهل البفاد، فاللطيف هو المدير
للأمور بدقة المسهل لصعابها.

«الملك»: المراد التصرف في أمور مصر بلا منازع «فاطر السموات والأرض»
موجدهما لا على مثال سابق. «أجمعوا أمرهم» جمعوا كلمتهم على إلقاء يوسف في الحب

- (١) أمير
- (٢) يا أبت
- (٣) رؤياي
- (٤) الشيطان
- (٥) تيتي
- (٦) السموات
- (٧) وليي
- (٨) بالصلحين
- (٩) تسألهم

المعنى.. فلما دخلوا على يوسف في المكان الذي أعده لاستقبالهم خارج مصر، ضم إليه أبويه وعانقهما، وقال لهما ولإخوته ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين على أنفسكم وأنعامكم من الجوع والهلاك وبعدما وصل مصر جلس على العرش ورفع أبويه عليه تكريماً لهما، وسجدوا جميعاً الأحد عشر بما فيهم بنيامين، تحية له، وكانت بدل المصافحة، وقال يوسف يا أبت هذا السجود منكم هو تفسير رؤياي التي أخبرتك بها من قبل، وهي في الآية (٤) من هذه السورة صفحة ٢٠٢، قد جعلها ربي حقيقة واقعة وقد شملني ربي بإحسانه حين أخرجني من السجن الذي ترتب عليه وصولي أعلى المراتب، وتفصل عليّ لما جاء بك من البادية القاحلة إلى الحضر الخصيب؛ هل ربي كل هذا بعد أن أفسد الشيطان بيني وبين إخوتي، إن ربي محكم التدبير لما يشاء إنفاذه، إنه هو العليم بمصالح عباده وطرق تحقيقها، الحكيم الذي يضع كل شيء في محله.

ومن حسن أدبه عليه السلام أنه لم يتعرض لخروجه من الحب لثلا يؤلم إخوته، وجعل أثر الشيطان مشتركاً بينه وبين إخوته مع أنه حاص بهم، تلطماً بهم، فما أروع هذا الأدب النبوي، وبعد ذلك اتجه يوسف إلى ربه معبداً بعمه عليه طائلاً حسن الخاتمة، فقال: يا رب قد أعطيتني لتصرف في ملك مصر، وعلمتني بعض العلوم التي أعرف بها مآل الأمور وتفسير الرؤيا على الوجه الصواب، يا مبدع السموات والأرض، أنت متولى أموري في الدنيا والآخرة، قبضني إليك على الإسلام تحقيقاً لوصية جدي إبراهيم في الآية (١٢٢) من سورة البقرة صفحة ٢٥، وأنحني برمرة الصالحين من عبادك، وبعدما فرغ سبحانه من قصة يوسف أراد أن ينبه الكفار إلى وجه دلالتها على صدق رسوله، فقال سبحانه مخاطباً نبيه ﷺ: ذلك القصص الذي قصصناه عليك بالحق من أخبار الغيب التي ما كنت تعلمها، أوحيناها إليك لأنك ما كنت يا محمد حاضراً عندهم حين عزموا أمرهم على رمي يوسف في الحب، وهم في عملهم هذا يعمرون بيوسف، ويطلبون له الهلاك، ومع هذه الأدلة فإن الذي يؤمن بك من قومك قليل لأن أكثر الناس مهما حرصت على إيمانهم لا يؤمنون لقلبة العباد عليهم، وقومك لا يؤمنون بك مع أنك لا تسألهم أجراً على تبليغك رسالة ربك بما في هذا القرآن، ففائدته عائدة عليهم لأنه تذكير لكل الناس وإرشاد.....

لَقَمْعَلَيْنَ ۝ وَكَانَ مِنَ الْآيَةِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
يَمْرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۝ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ
بِآيَةِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ۝ أَفَلَسُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ
عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝
قُلْ خَلِّعْ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَنِ بَيْعَةِ أَنَا وَمَنْ
اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُرِيتُ الْآيَاتِ مِنْ أَمَلٍ
الْفَرَقِ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَهَظُّوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَقَدْ آتَيْنَا نُوحًا كُلِّيًا أَنْتَقُوا
أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ حَتَّى إِذَا اسْتَفْهَسَ الرُّسُلُ وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ ضُرٌّ مِمَّا فُتِنُوا مِنْ لَدُنَّا وَلَا يَرْجُوا نَجَاةً
عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ۝ لَقَدْ سَخَّرْنَا فِي قُلُوبِهِمْ

المفردات: ﴿كافرين﴾: أي كثير ﴿من﴾
آية: أي دليل على وجود صانع عليم قادر.
﴿غاشية﴾: أي عقوبة تغشاهم وتممهم.
﴿على بصيرة﴾: أي على يقين ناتج عن
برهان.

﴿استيفس الرسل﴾: اشتد بأسهم.

﴿ظنوا﴾: توهموا.

﴿كذبوا﴾: أي كذبت عليهم أنفسهم حين
أوهمتهم أن نصرهم سريع الوقوع، أو توهموا
أن أممهم يكذبون عليهم في إظهار الإيمان

بهم، لأن تأخير ما وعدوهم به من هلاك الكافرين لم يحصل، فأورثهم ذلك شكاً في إيمان
قومهم، وقد يكون كل ذلك كناية عن المبالغة في تراخي النصر حتى تبدلت النصوص، انظر
الآية (٢١٤) من سورة البقرة صفحة ٤٢.

﴿بأسنا﴾: أي عقابنا وعذابنا.

المعنى: وما القرآن وما فيه من القصص إلا تذكير وعظة لجميع العالم بعدما ذكر
سبحانه أن أكثر الناس لا يؤمنون مهما حرص ﷺ على إيمانهم، أراد أن يبين سبب ذلك، وأنه

(١) للعالمين

(٢) السموات

(٣) غاشية

(٤) أدعو

(٥) وسبحان

(٦) عاقبة

(٧) امتيأس

العملية عن التفكير في آيات الله في الكون، فقال - وكثير من أدلة وجوده سبحانه وصدق رسله يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ مَعَرَضُونَ لَّا يَمْكُرُونَ فِيهَا وَلَا يَتَذَكَّرُونَ، وَلَا يَفْرِكُ رَعْمَهُمْ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ كَمَا فِي الْآيَةِ (٨٢) مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ صَفْحَةَ ١٧٥، وَالْآيَةِ (٦١) وَمَا بَعْدَهَا مِنْ سُورَةِ الْمَكِّيَّاتِ صَفْحَةَ ٥٢٩. لَأَنَّهُمْ أَفْسَدُوا إِيمَانَهُمْ هَذَا بِإِشْرَاكِ مَعْبُودَاتِهِمْ وَأَحْبَابِهِمْ وَرَهْبَانِهِمْ مَعَ اللَّهِ فِي الْحَصُوعِ لَهُمْ وَالتَّوَسُّلِ بِهِمْ إِلَى اللَّهِ كَمَا فِي الْآيَةِ (٢) مِنْ سُورَةِ الرَّمْرِ صَفْحَتَيْ ٦٠٥، ٦٠٦. فَكَيْفَ يَطْمَئِنُّ ضَمِيرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ؟ هَلْ آمَنُوا مِنْ أَنَّ ثَأْنِيهِمْ عَقُوبَةُ تَعْمَهُمْ، أَوْ تَأْتِيهِمْ السَّاعَةُ فَجَاءَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ الرَّجُوعَ مِنَ الشَّرِكِ فَيَعْلِدُوا فِي النَّارِ. قُلْ أَيُّهَا النَّبِيُّ لِلنَّاسِ هَذِهِ الشَّرِيعَةُ هِيَ طَرِيقِي إِلَى الْمَجَاةِ، أَدْعُو إِلَيْهَا عَنْ بَيْتِ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَصَدَّقَ بِي، وَأَنَا وَهُمْ يَرِيتُونَ مِنْ شَرِكِ الْمُشْرِكِينَ. وَلَمَّا كَانَ مِمَّا مَعَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْإِيمَانِ رَعْمَهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَرْسِلُ بَشَرًا كَمَا تَقْدِمُ فِي الْآيَةِ (٩١) مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ صَفْحَةَ ١٧٧، وَالْآيَةِ (١٤) مِنْ سُورَةِ فَصَّلَتْ صَفْحَةَ ٦٣١، رَدَّ سَبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَحَالًا» لَا مَلَائِكَةً كَمَا يَرَعْمُونَ، يُوحَى إِلَيْهِمْ مَا سَرِيدَ تَلْيِيسِهِ لِلْعَلَقِ، وَاحْتِرَابِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ أَيْ الْأَمْصَارِ دُونَ الْبَوَادِي لِتَتَبِعَهُمْ سَائِرُ الْبُلْدَانِ، وَلَأَنَّ أَهْلَ الْقَرْيَةِ أَحْلَمُ وَأَعْلَمُ وَأَحْسَنُ سِيَاسَةً، وَأَنْتَ أَيُّهَا النَّبِيُّ مِثْلُهُمْ كَمَا فِي الْآيَةِ (٩) مِنْ سُورَةِ الْأَحْقَافِ صَفْحَةَ ٦٦٧، أَهْلُهَا يَسِرُّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ فِي الْأَرْضِ فَيُظْهِرُونَ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمَكْدِيِّينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَقَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَغَيْرِهِمْ فَيَرْجِعُوا إِلَى الْحَقِّ فَيُفُورُوا بِالنَّعِيمِ الدَّائِمِ بِدَلِّ هَذَا الزَّائِلِ.

وَوَلَّيْهِ لِنَعِيمِ الدَّرِّ الْأَحْمَرَةِ حَيْرٌ لِلدِّينِ اتَّقُوا الشَّرِكَ وَالْمَعَاصِي. أَجْهَلْتُمْ كُلَّ هَذَا فَلَا تَعْقِلُونَ أَنَّ النَّعِيمَ الدَّائِمَ حَيْرٌ، هَتَبُهُوْا، وَلَا يَفْرِكُكُمْ مَا أَتَمَّ فِيهِ مِنَ الرِّجَاءِ وَتَأْخِيرِ الْعُقَابِ، فَإِنَّ مَنْ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ كَذَبُوا رُسُلَهُمْ أَهْلُوا أَكْثَرُ مِمَّا أَهْلْتُمْ كَقَوْمِ نُوحٍ مِثْلًا حَتَّى إِذَا بَشَّرَ الرِّسْلَ مِنْ نَصْرِهِمْ عَلَيْهِمْ وَتَوَهَّمُوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَبُوا حَاجَهُمْ بِصُرْبٍ فَجَاءَ بِأَهْلَاكِ أَعْدَائِهِمْ وَنَجَاةٌ مَنْ شَاءَ اللَّهُ نَجَاتِهِمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُمْ.

وهذه سنتنا، فلا يستطيع مخلوق رد عقابنا عن المجرمين لقد كان هي قصص الأنبياء مع

أممهم ومنها قصة يوسف عبرة ...

عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ
تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾

(١٣) سُبْحَانَ الرَّبِّكَ رَبِّكَ
وَأَسْمَاءُ ثَلَاثٌ وَارْتَبَعَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ
مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾
اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى
عَلَى الْعَرْشِ وَغَمَرَ الْأَشْفَافَ وَالْقَصْرَ كُلَّ يَوْمٍ يَجْرِي لِأَجَلٍ
مُسَمًّى يُذِيرُ الْأُمَمَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَلْقَوْنَ

المفردات: ﴿بين يديه﴾: أي تقدم عليه
من الكتب.

سورة الرعد

المفردات: ﴿العرس﴾: تقدم الكلام على مثل
هذه الحروف أول سورة البقرة.

﴿رفع السموات﴾: أي خلقها مرفوعة كما تقول
سبعان من كبر الميل وصفر البعوض أي خلقه كذلك.

﴿عمد﴾: هو ما يعتمد عليه، اسم جمع أو
جمع واحد عماد بكسر أوله، انظر الآية (٧)
من سورة الفجر صفحة ٨٠٦.

﴿استوى على العرش﴾: تقدم بهانه في
الآية (٥٤) من سورة الأعراف صفحة ٢٠١.

﴿أجل مسمى﴾: هو قيام الساعة.

المعنى: في سيرة هؤلاء الأنبياء مع أممهم عبرة يتعظ بها أصحاب العقول العالصة من
ظلمة الشرك. ما كان هذا القرآن وما فيه من القصص حديثاً مكنوياً على الله على ما يزعم
الكافرون. ولكنه كان تصديقاً لما تقدمه من الكتب السماوية، أي لما فيها من الحق لا ما رادوه
فيها من الخرافات والأباطيل ومعضلاً لكل شيء يحتاج إليه المؤمن في عقيدته وفي أعماله
وهادياً من الضلال، وسبب رحمة في الدارين لمن اتبعه من المؤمنين. والله أعلم

المعنى: تلك الآيات من هذه السورة هي بعض آيات الكتاب المعجز للإنس والجن، وكل
القرآن الذي أنزل إليك من ربك هو الحق الذي لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا ينتفعون به فلا
يؤمنون لإغفالهم النظر والتأمل فيما حواه من العلوم والمعارف التي ما كان يعلمها أحد قبل
نزوله. ثم أراد سبحانه أن يقيم الدليل على وجوده وقدرته تنبيهاً للعافلين فقال ﴿الله الذي
رفع السموات﴾ إلخ، الله هو الذي خلق السموات مرفوعة بلا عماد تعتمد عليه وأنتم ترونها
كذلك فلا يمسكها أن تقع على الأرض إلا هو، انظر الآية (٦٥) من سورة الحج صفحات ٤٤٢.

(٤٤٢)، ثم استوى على عرش ملكه استواء يليق به تعالى، وذلل الشمس والقمر وجعلهما طائعين لما أريد منهما، كل منهما يحرى في مازله بنظام محكم إلى قيام الساعة، يدبر أمر ملكه على أحكم وجه، ويعلق دلائل وجوده معصلة واصحة لكي تتعكروا فيها لعلمكم تعلمون أن من قدر على هذا الصنع الدقيق قادر على إعادة الموتى للحساب والعزاء.

المفردات: ﴿مد الأرض﴾: أي جعلها ممتدة طولا وعرضا ليتمكن زرعها والانتفاع بها. انظر الآية (١٥) من سورة الملك صفحة ٧٥٥.

وَيَكْمُرُ ثَوْبُونَ ① وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوْنًا وَنَهْرًا ② وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوْنَيْنِ ③ أَتَيْنِ بِمَعْنَى اللَّيْلِ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ④ وَفِي الْأَرْضِ قَطْعٌ مِّنْجَبُورَاتٍ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْلَابٍ ⑤ وَرِيعٌ وَجَبَلٌ صَوَانٌ وَعِيدٌ صَوَانٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَيَنْبَعِلُ بِعَصَبٍ ⑥ عَلَى بَقْعٍ فِي الْأَرْضِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ⑦ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَؤَدَّا كُتْرًا أَمْ لَيْسَ خَلْقُ جَدِيدٍ ⑧ أَوَلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَعْلَىٰ ⑨ إِنْ أَعْيَاهُمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ⑩ وَيَسْتَمِطُونَكَ ⑪ بِالنِّتَةِ قَبْلَ الْحَسَةِ وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قُلُوبِهِمُ النَّسْلَةُ ⑫ وَإِنْ رَبُّكَ لَذُو مَعْرَفَةٍ فَلَيَأْسَ عَلَىٰ ظَنِّيهِمْ وَإِنْ رَبُّكَ

﴿رواسي﴾: جمع راسية والناء للمبالغة هي الثبوت كما يقال فلا طاعة

﴿روحين اثنين﴾ أي ذكرنا وأشئ، والروح يطلق على الواحد الذي له مقارن كما تقدم في الآية (١٤٣) من سورة الأنعام صفحة ١٨٧ ﴿يمشي الليل النهار﴾ أي يجعل الليل عشاء للنهار فيصير مظلمًا. ﴿صوان﴾. الصوان هو بحلات أصلها واحد. ﴿الأكل﴾ هو ما يؤكل كما هي الآية (٢٦٥) من سورة النقرة صفحة ٥٦، والآية (١٤١) من سورة الأنعام صفحة ١٨٦.

﴿الأعلال﴾ جمع عل بصم أوله وهو طوق من حديد طرفاه في اليدين ويلتص حول لعق ﴿خلت﴾ مضت ﴿لعملات﴾ جمع مثلة بفتح فصح، وهي العقوبة التي تماثل لدن كم هي الآية (٤٠) من سورة الشورى صفحة ٦٤٤.

(١) رواسي	(٢) وانهارا	(٣) الثمرات	(٤) الليل	(٥) لآيات
(٦) متجاوزات.	(٧) وجبت.	(٨) أعصاب.	(٩) واحد..	(١٠) لآيات
(١١) ثراها.	(١٢) الأعلال.	(١٣) أصحاب.	(١٤) خالدون.	(١٥) المثلات.

المعنى نصيبا لهم البراهين لعلمهم يوقنون أى يعلمون علما قاطعا بقاء ربهم فى الآخرة فيحافظون ولا يفسدون فى الأرض، وبعد ما بين سبحانه الدلائل السماوية أراد أن يبين الدلائل الأرضية فقال وهو الذى مد الأرض ليعم الاستقرار عليها وحمل فيها جبالا ثاشة لا تترجح لتحمط الأرض من التصدع والاضطراب كما فى الآية (١٥) من سورة النحل صفحة ٢٤٧، والآية (٧) من سورة النبا صفحة ٧٨٧، وجعل فيها أنهارا لمناخ الإنسان والحيوان، وجعل فيها من كل أصناف الثمرات روجين اثنين ذكرًا وأنثى، وهذا من إعجاز القرآن الذى جاء به نبى أمى فى وقت لم يكن فى العالم كله من يعلم ذلك ومن قدرته تعالى أنه يذهب صوء النهار بظلمة الليل والمكس كما فى الآية (٥) من سورة الرمز صفحة ٦٠٦، وإما اقتصر هنا على ما ذكر لأن المقام للتحوير بقيام الساعة وهى تكون بتكوين الشمس وذهاب صوئها بن هيم ذكر من بديع خلق الله لأدلة وبراهين لقوم يتمكرون فيمرفهون الحق، ومن أدلة قدرة الله سبحانه تلك الأرض التى ترونها أمامكم وفيها قطع متجاوزة مختلفة، فبعضها سبخ لا يثبت، ولآخر حصب يثبت كل شىء وبعضها رحو وبعضها صلب أو متحجر، ولولا تخصيص قادر حكيم لكانت على صفة واحدة، وهى الأرض حنات من اشجار الكرم وورع من كل نوع، وفيها نخيل بعضه جدعه واحد له عدة حلقات، وبعضه منفرد فى أصله وفرعه، يسقى جميع ما تقدم بماء واحد لا يختلف طعمه، ومع ذلك بمصل بمحض القدرة بعضها على بعض فى ثمراتها شكلا وقدرًا ورحة وطعما، إن فى ذلك الصنع العجيب لأدلة قاطعة على وجود صانع لقومك يستعملون عقولهم، وبعد ما ثبت الحق بكل هذه الأدلة أراد سبحانه أن يوبخ من أعرض عنها واستمر على حجوده للحق فقال ﴿واى تعجب﴾ إلخ، أى وإن تعجب أيها السامع من إنكارهم الحق فأحذر بالمعجب قولهم منكربين البحث بتكرار التعجب منه هل إذا صرنا نراها هل نرجع إلى خلق جديد، لأن من قدر على الإنشاء من العدم قادر على الإعادة بل هى أسهل كما فى الآية (٢٧) من سورة الروم صفحة ٥٣٤. هؤلاء هم الذين كمروا بربهم مع وضوح أدلة وجوده ووحدانيته وهم الذين سيسحبون إلى جهنم والأغلال فى أعناقهم، أنظر الآية (٧١) من سورة عاقر صفحة ٦٢٧، وآيات (٢٠، ٢١، ٢٢) من سورة العاقر صفحة ٧٦٣، وهم الملامون للنار حالدين فيها وبعد ما ذكر إنكارهم لعذاب الآخرة أراد أن يبين جرأتهم على إنكار عذاب الدنيا أيضا الذى هددهم به الرسول ﷺ فقال ويستعجلونك بالعقوبة السيئة التى هددوا بها إذا

﴿من أمر الله﴾: من بمعنى الباء أى بأمر الله.

﴿وال﴾ أى متولى أمورهم يجلب لهم الحير ويدفع الشر.

﴿يسبح الرعد بحمده﴾ المراد أن صوت الرعد يدل على حصوعه وتربيه له سبحانه وعلى استحقاقه لكل حمد، انظر الآية (٤٤) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٠

﴿الصواعق﴾ تقدمت في الآية (١٩) من سورة البقرة صفحة ٥.

المعنى بعد ما ذكر سبحانه طعنهم فيه ﷻ لأنه يقول بالبعث، ولأنه توعدهم بعذاب، أراد أن يذكر طعنا آخر لأنه لم يأتهم بمعجزة كمعجرات الأنبياء قبله، فقال ويقول الذين كفروا تمنا، هذا يأتينا بمعجزة كفصا موسى، انظر الآية (١٢٤) من سورة الأنعام صفحة ١٨٣ والآية (٤٨) من القصص صفحات ٥١٢، ٥١٤، أو كمعجرات عيسى، أو مثل ما طلبناه منه في الآيات (٩٠) وما بعدها من سورة الإسراء صفحة ٢٧٦ وما بعدها، ورد سبحانه عليهم في مواضع أخرى بما نراه في الآية (٥٩) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٢، والآية (٥١) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٨، فلما كان ﷻ لشدة رعبته في هدايتهم يحدث نفسه بالميل إلى إجابة طلباتهم، قال له ربه عز وجل العليم ببياتهم إنما أنت سدر، أى أن مهمتك التي بعثت لها هي تخويف الناس من عاقبة عصيان ربهم، وليس في قدرتك الإتيان بالمعجرات، ومن حكمته تعالى أنه جعل لكل أمة من الأمم السابقة نبيا يهديهم مؤيدا بمعجزة تليق بزمانهم، وأنت بإعطائك القرآن وهو المعجزة العالدة بحلول الدنيا تتحدى كل عالم على وجه الأرض، انظر الآية (٥١) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٨. ثم أراد سبحانه أن يقيم لهم أدلة أخرى على كمال علمه بأحوال خلقه وقدرته على كل شيء تنبئها على أنه قادر على إنزال ما يقترحون لو علم صدقهم في قولهم ولكنه يعلم أنهم مكابرون، فلم يجيبهم إلى تلاعبهم، انظر آيات (٧، ٢٣، ٢٨) من سورة الأنعام صفحات ١٦٣، ١٦٧، ١٦٨، فقال: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾ من إنسان أو حيوان، أى يعلم أحواله وهو في رحم أمه من ذكر أو أنثى، واحد أو متعدد، شقى أو سعيد،

أبيض أو أسود، إلى غير ذلك مما لا يحصى من أحواله، ويعلم ما ينقص من الجنين في الأرحام من حسده أو مدة حمل، وما يريد من ذلك، وكل شيء في الوجود خلقه بمقدار محدد لا يتعداه، أنظر الآية (٤٩) من سورة القمر. الله سبحانه هو الذي يستوى عنده علم ما غاب عما وما حصر، وهو العظيم الشأن المستعلى على كل شيء. ثم دلت على ذلك بقوله ﴿سواء منكم﴾ إلح، أي يستوى في علمه إسراركم القول والجهر به، ويستوى في علمه عمل من هو مبالغ في الاحتماء في ظلام الليل ومن هو طاهر ماش في بياض النهار، لكل واحد من هؤلاء ملائكة تتعاقب على حفظه من أمامه ومن خلفه، يحفظونه من كل ما قدر سبحانه عدم إصابته به، وهذا التحفظ صادر بأمر الله سبحانه، ثم أراد سبحانه أن يؤيد ما سبق ببيان حكم عام هو أنه سبحانه لا يغير حال أمة من عز إلى شقاء وبالعكس إلا إذا غيروا ما هم عليه، أي فلا مطمع في هداية كمار مكة إلا إذا أصلحوا أنفسهم وتركوا العناد وتقليد الآباء، وإذا أراد الله بقوم سوءاً لإصرارهم على المعاصي فلا راد لما أراد، وليس لهم من يواليهم وينصرهم بإبعاد المذاب عنهم.. والله هو الذي يريكم البرق الذي يتقدم المطر عادة ليخيف من يضره المطر ويطمع في الخير من ينفعه، وينشئ السحاب الثقال بالماء الكثير، يسبح الرعد أي ينزه ربه تنزيهاً مقارباً لحمدته سبحانه. وفي الآية (٤٤) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٠ ما يفيد أن السموات والأرض ومن فيهن كلها تسبح ولكننا لا نعلمه كيف تسبح، والذي نعلمه أنها حاصصة لسلطانه، مسخرة فيما خلقت له، مادية بوحود صانع حكيم، وتسبح الملائكة من هيئته تعالى إحلالاً له، ويرسل سبحانه الصواعق ليصيب ببارها من يشاء إصابته بها فيهلكه.

الممردات ﴿يجادلون في الله﴾. أي يجادلون في صفات الله كالتفرد على البعث والحساب فيكفرون ذلك.

﴿المحال﴾ أي المماحلة والمكايمة، يقال محل فلان بفلان إذا كاده ومكر به، فالمراد شديد الكيد لأعدائه.

مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يَخْتَلِفُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾
لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ
لَهُمْ دُعَاؤُهُ إِلَّا كَغَيْظٍ كَثِيرٍ إِلَى السَّمَاءِ يُرْسِلُ فِيهِ رُسُلَهُ
وَمَا يُنَالُهُمْ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٨﴾
وَلَهُ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا
وَظِلَالُهُمُ وَالسُّجُودُ وَالْأَصْدِلُ ﴿١٩﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَأَتُخَذُكُمْ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً
لَا يَخْلُقُونَ إِلَّا نُفُوسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي
الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسَوَّى الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ
أَمْ جَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ خَلَقُوا تَحْقِيقَهُ فَتَنَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ
قُلْ اللَّهُ خَلَقَ قُلُوبَنَا وَهُوَ الرَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٢٠﴾ أَرْسَلَ مِنْ
السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّهْلُ زَبَدًا

﴿وما دعاء الكافرين إلخ﴾ المراد هنا دعاؤهم لأصنامهم فإنه هو الذي لا يجاب لأنها لا تستطيعه كما في الآية (١٩٤) إلى الآية (١٩٨) من سورة الأعراف صمحتي ٢٢٤، ٢٢٥، أما دعاؤهم له سبحانه وتعالى فإنه قد يستجيبه لهم أنظر الآية (٢٢) وما بعدها من سورة يونس صمحة ٢٦٩، ويصح أيضا أن يقال أن دعاء الكافر صانع غير باهع في دفع الخلود في النار، وهذا لا يمنع أنه قد يسمع في غير ذلك.

﴿العدو﴾: واحدتها غداة وهي أول النهار.

﴿الأصبال﴾: واحدتها أصيل وهو ما بين المصير والمغرب ﴿أودية﴾: واحدتها واد وهو الموضع الذي يسيل فيه الماء. ﴿بقدرها﴾: أي بمقدارها. ﴿أحتمل﴾: أي حمل. ﴿زبدا﴾: هو ما يعلو وجه الماء عند زيادته كالرغوة وغيرها.

المعنى قدمنا كل هذه البراهين، ومع ذلك يجادل الكافرون في صمحاته تعالى، ويكفرون وحدته وقدرته على البعث يوم القيامة، والله سبحانه لا يعلبه مخلوق لأنه شديد الكيد لأعدائه، له سبحانه وحده الدعوة الصحيحة الثابتة الواقعة هي محلها لأنه لا يحجب لدعاء

- | | |
|---------------|---------------|
| (١) يجادلون. | (٢) كجاسط. |
| (٣) بهالته. | (٤) الكافرين. |
| (٥) صلال. | (٦) وظلالهم. |
| (٧) والأصبال. | (٨) الظلمات. |
| (٩) فتشابه. | (١٠) خلق. |
| (١١) الواحد. | (١٢) القهار. |

غيره، أما الذين يدعوه المشركون غيره فإن دعاءهم لهم ذاهب في الهواء لأنهم لا يستحيون بشيء من طلبات الداعين إلا كاستجابة الماء لمن يمسك كفيه له من بعيد، ويطلب منه أن يصل إلى فمه، وليس الماء بواصل فمه أبداً. لأنه جماد لا يشعر بعطش الطالب ولا يسمع دعاءه.

وإذا كان الأمر كذلك فما دعاء الكافرين لمعبوداتهم إلا في صلال وصياح وانحراف عن طريق الصواب وكيف يكون لغيره سبحانه قدرة على إجابة دعاء مع أن كل شيء في السموات والأرض خاضع لمظلمته متفاد لإرادته حتى طلال من له ظل منها فإبها خاضعة أيضا تبعا لحضوع صاحبها في أوقات الغدو والأصال؛ فإن الجميع خاضع طائما أو كارهها . والكلام كناية عن أنه لا مناص من هذا الخضوع، فإن استمروا على عبادهم فقل لهم أيها النبي من رب هذه الأجرام العلوية والسفلية التي تعبر العقول في بديع صنعها وإتقان نظامها؟ فليس هناك إلا جواب واحد لا ينكرونه كما هي الآية (٦١) وما بعدها من سورة العنكبوت صمحة ٥٢٩. وإذا كان الحال كذلك فبادر أنت به وقل لهم هو الله وحده، ثم قل لهم بعد ذلك: أجهتم هذا فاتحدثتم من دونه سبحانه من لا يملكون لأنفسهم فضلا عن غيرهم نعماء يعجبونه ولا صرا يدفعونه؟ ثم قل لهم أيضا منبها لخطئهم: هل يستوى الأعشى الذي إذا سار لا يأمس الخطر والبصير الذي يعرف طريق الأم؟ وإذا كانا لا يستويان فكذلك لا يستوى الكافر لصال والمؤمن المهتدي وهل تستوى الظلمات التي لا يرى فيها الطريق والنور الذي يحلو كل شيء؟ وإذا كان لا يستويان فكذلك لا يستوى الكفر والإيمان. وإذا كان هذا هو الواقع فما سبب حيرتكم؟ هل خلق ما جعلتموهم شركاء لله خلقا كخلق الله فاشتبه عليكم أمر خلقها مع خلق الله فجعلتموهم شركاء له؟ وإذا كان هذا مستحيلا فقل لهم إن الله وحده هو الخالق لكل شيء سواء وبعد ما بين سبحانه الفرق الواضح بين المؤمن والكافر والإيمان والكفر، وأبطل وجود صانع غيره أراد أن يصرب لهم مثلا للحق في ثباته وللباطل في اضمحلاله وزواله ليحيطهم بالدليل من كل جانب ويقطع معاديرهم يوم القيامة فقال: ﴿أنزل من السماء ماء﴾ إلخ، أنزل سبحانه من السحاب مطرا فسالت مياه الأودية على حسب مقدارها في الصعر

رَأْيًا وَمَا يُوقِنُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ وَهُمْ
يَتْلُو كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزُّبَدُ
فَلَيَحْبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يُلْعِقُ النَّاسَ فَيَمُوتُ فِي الْأَرْضِ
كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا
لِرَبِّهِمُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْجِعُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ
مَا فِي الْأَرْضِ خَيْرًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ
لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَمَأْوَهُمُ جَهَنَّمُ وَبُئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾
• الْقَسْرُ بِعَمِّ الْأَمْرِ لَوْلَا الْبَكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ لَمْ يَكُنْ هُوَ
أَتَمُّنَّ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابُ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَتَّقُونَ الْمُنْتَقِنَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِفُونَ
مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْفَوْنَ رَيْبَهُمْ وَيَخْتَفُونَ سُوءَ
الْجَنَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقْلَمُوا

والكبر، فحمل السيل الذي تكون من ذلك
الماء زبدا.

المفردات: ﴿رأيا﴾: عاليا مرتفعا.

﴿ابتغاء حلية﴾: أي طلبا لما يتحلى به
كالذهب والفضة.

﴿أو متاع﴾: هو ما يتمتع به الناس
كالقدور والمعاريث وآلات المصانع من
الحديد والنحاس مثلا.

﴿زبد مثله﴾: زبد المعادن هو ما يخالطها
من الأشياء الغريبة المضممة لقيمتها وتعلو
على سطحها عند غليانها.

﴿جفاء﴾: مصدر جنات الشيء أي طرحته

ورميته، وأريد بالمصدر اسم المفعول أي رميها ضائعا.

﴿استجابوا لربهم﴾: أجابوا دعوة ربهم بالقبول. ﴿الحصى﴾: المثوبة العسسى وهي الجنة.

﴿بئس المهاد﴾: قبح المكان الممهّد لمرولهم فيه. ﴿بعهد الله﴾: هو ما أحده عليهم من
الإقرار به حيث ركب فيه العقول وأقام لهم الأدلة كما قال في الآية (١٧٢) من سورة الأعراف
صفحة ٢٢١ وكذا ما أحده عليهم على لسان رسلهم كما هي الآية (٨١) من سورة آل عمران
صفحة ٧٦. ﴿الميثاق﴾: العهد المؤكد. ﴿إلا ابتغاء وجه الله﴾ تقدم هي الآية (٢٧٢) من سورة
البقرة صفحة ٥٨.

المعنى: فحمل السيل في أثناء جريانه زبدا طافيا فوق سطحه، وبعد المعادن التي
يوقدون عليها حالة كونها هي النار، وهذا القيد للتأكيد كقولته (ولا طائر يطير بجناحيه) هي

الآية (٢٨) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨، يوفدون عليها استعاء حلية، أى طالبين عمل حلية من ذهب أو فضة أو اتحاد متاع من نحو الحديد والنحاس والرصاص ريد مثل ريد الماء، كهذا المثل يضرب الله مثل الحق والباطل؛ فكما أن الريد يذهب مهملاً صائماً فكذلك الباطل يروى، وكما أن الماء والمعدن الصاهى يبقى فى الأرض لنفع الناس كذلك الماء يبقى فى بطن الأرض فى العيون والآبار، ويمد الحبوب والثمار، والمعدن بمكث مدداً طويلاً، وكذلك الحق يبقى ويعلو كهدى المثلين فى الحلاء والوصوح يضرب الله الأمثال دائماً للناس ليبصرهم بالصرع الشديد بين الشر وأنصاره والخير وأنصاره يتنازعان البقاء والبقاء دائماً للأصلح. وإنما نوع التمثيل بالماء والمعادن ليعلم جميع الطوائف من زراع لا يرون إلا الماء وصناع لا يرون السيول وإنما يعيشون بين المعادن وصهرها. وبعد هذا البيان الرائع هالدين يجيبون دعوة ربهم بقوة إحلاص، لهم عند المثوبة الحسنات فى الآخرة وهى الجنة والدين لم يستجيبوا له فلم عذاب شديد بلغ من شدته أن الواحد منهم لو كان يمتلك كل ما فى الأرض ومثله معه لدفعه ليقدر نفسه منه ولكنه لا يقبل منه إذا فرض وملك كما فى الآية (٢٦) من سورة المائدة صفحة ١٤٢ أولئك الذين لم يستجيبوا لله لهم أسوأ حساب وأشد كما فى الآية (٨) من سورة الطلاق صفحة ٧٥٠، ومكانهم الذى يأوون إليه هو جهنم، وقبح المهاد والمستقر جهنم. أهم يعلم أما أنزل إليك أيها النبى هو الحق المبين فى المثل السابق كمن لا يعلم لأنه أعمى القلب، والمعنى هل بعد بيان حال كل من الفريقين ومصيرهما يتوهم عاقل مساواتهما؟ كلا، فلا يقول ذلك إلا مجنون لأنه لا يتذكر ويدرك ما بينهما من فرق إلا أصحاب العقول الخالصة من تقليد الآباء على الباطل وحب الجاه الكاذب، ثم وصف سبحانه أصحاب العقول بتسع صفات فقال الذين يوفون بعهد الله الذى أخذ عليهم فى كتابه من طاعة رسوله ولا يقتصرون العهود المؤكدة التى بينهم وبين الله وبينهم وبين العباد، فالكلام تميم بعد تحصيص، والذين يصلون ما أمر الله بوصله كالرحم والمؤمنين وكل ما فى وصله ومودته تقرب لله سبحانه، ويخشون ربهم، والخشية خوف مقرون بتعظيم من يخشى منه، ولذا خصها الله تعالى بالعلماء الذين يعرفون ربهم حق المعرفة كما فى الآية (٢٨) من سورة هاطر صفحة ٥٧٥، فالمراد أنهم يحافظون خوف مهابة وإجلال، فلا يفعلون ما يفضيه خوفاً من عقابه لأن نتيجة فعل ما يعصيه وقوعهم فى سوء الحساب يوم القيامة، وفضيحتهم على رعون الأشهاد

لِلصَّلَاةِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ يَا رُقُتَهُمْ مِثْرًا وَعَلَّيْكُمْ وَيَذَرُونَ
بِالْحَسَةِ إِلَهَكُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْعُقَابُ ١٢ جَاءَتْ عَذَابٌ
بِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَرْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ
وَأَمَّا لَكُمْ يَذُودُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ١٣ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ
بِمَا صَبَرْتُمْ فَعِمَّ عَقَبَى الدَّارِ ١٤ وَالَّذِينَ يَقْصُونَ
عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ
يُوصَلَ وَيُفِيدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاعِلُونَ ١٥
سُورَةُ الرِّقْقِ ١٦ اللَّهُ يَتَّخِذُ الرِّقْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ
وَلَا حُرَّ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ
إِلَّا مَتَاعٌ ١٧ وَبَقُولِ الَّذِينَ كَفَرُوا تَوَلَّى أَوَّلَ طَلَبِهِ ١٨
مِنْ دِينِهِ قُلْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِنَفْسٍ أَنْ يَهْدِيَهُ فَلَا
قُوَّةَ لِمَنْ يَدْعُو اللَّهَ

والذين صبروا على مشاق التكليف وقسوة
المصائب طالبين بذلك رضا ربهم لا رياء ولا
سمعة، وأقاموا الصلاة...

المفردات: «يدرمون»: أي يدفعون.

«عقبى الدار»: العقبى هي العاقبة

المذكورة في الآية (١٢٨) من سورة الأعراف
صفحة ٢١١ والآية (٤٩) من سورة هود
صفحة ٢٩١، والآية (١٢٢) من سورة طه
صفحة ٤١٩. «عدس»: أي إقامة وخلود.

«صلح»: أي كان مؤمنا صالحا.

«ميثاقه»: أي توكيده. «ويقدر»: يضيق.

«متاع»: أي شيء قليل كمتاع الراعى والمصاهر سفرا قصيرا.

«تولى أول طلبه»: أي هلا، فهي كلمة تدل على طلب ما بعدها.

- (١) الصلاة
- (٢) رقتهم
- (٣) جاءت
- (٤) آياتهم
- (٥) وأرواحهم
- (٦) وذرياتهم
- (٧) والملائكة
- (٨) سلام
- (٩) ميثاقه
- (١٠) بالحياة
- (١١) وما الحياة
- (١٢) متاع

﴿آية﴾: أي معجزة.

﴿من أناب﴾: أي رجع.

المعنى: وأدوا الصلاة كاملة حسا ومعنى، وأمعقوا في وجوه الحير بعض ما رزقهم الله تعالى سرا عيما بينهم وبين ربهم وعلاوية أمام الناس، وقد تقدم بيان محلها في الآية (٢٧١) من سورة البقرة صفحتي ٥٧، ٥٨ ويدعون الشر بالخير، انظر الآية (٣٤) من سورة فصلت صفحة ٦٢٤، أولئك الموصوفون بما ذكر لهم المأقبة الحسنة التي تغيب دار الدنيا التي أحسوا عملهم فيها، وفسر هذه المأقبة بأنها حنات عدن يدخلونها حالدين فيها هم ومن عمل صالحا من آبائهم وأرواحهم وذرياتهم ليتم أنسهم بأهلهم.

وهي الكلام دليل على أنه في ذلك اليوم لا تتمع الأنساب إذا لم يكن معها عمل صالح ويؤيده ما في الآية ٤٦ من سورة هود صفحة ٢٩١، والآية (١٠١) من سورة المؤمنون صفحتي ٤٥٤، ٤٥٥، والآية (٨٨) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٩، والآية (٤١) من سورة الدخان صفحة ٦٥٩ ومثل ما هنا في الآية (٣١) من سورة الطور صفحة ٦٩٧، ٦٩٨، وكيفية اجتماع أهل الجنة وانتاس بعضهم ببعض لا تعلم كيفيته لأنه من أحوال الآخرة التي لا نعلم كيفيتها، وإذا كان أهل الجنة وهم في الجنة يرون أهل النار وبالعكس ويتحاطبون مع بعد المسافة بينهما، فأيسر من ذلك رؤية أهل الجنة بعضهم لبعض، انظر آيتي (٤٤، ٥٠) من سورة الأعراف صفحتي ١٩٩، ٢٠٠، والآيات من (٥١ إلى ٥٩) من سورة الصافات صفحة ٥٩٠، وانظر بقية ذلك في تفسير صفحة ٦٩٨.

ثم ذكر سبحانه ما لأهل الجنة من الكرامة بتسليم الملائكة عليهم فقال ﴿والملائكة يدخلون عليهم﴾ إلخ، أي وتدخل عليهم الملائكة من كل باب قائلين أمان من الله عليكم بسبب صبركم على مشاق العبادة والجهاد والمصائب احتمايا لوجه الله فلا خوف عليكم أبدا، فبهم عاقبة الدنيا هذه الجنة. وبعد ما بين سبحانه ما أعد للمتقين بين حال الأشقياء وما أعد لهم

من العذاب فقال: والذين ينقضون عهد الله الذي أخذهم عليهم بالإقرار به حيث ركب فيهم العقول التي بها الوصول للحق من بعد توثيقه وتأكيد بنصب الأدلة على وجوده في الكون وفي أنفسهم كما تقدم في الآية (١٧٢) من سورة الأعراف صفحة ٢٢١، ويقطعون ما أمر الله بوصله مما تقدم في الآية (٢١) من هذه السورة صفحة ٢٢٤، ويفسدون في الأرض بالظلم والظفیان وإثارة الفتن، هؤلاء لهم الطرد من رحمة الله، ولهم سوء العاقبة وهي جهنم. ثم لما كان بعض الكفار أغنياء وتسبب غناهم في عنادهم وشدة كفرهم، أراد سبحانه أن يبين حكمة تقسيمه الأرزاق على المؤمن والكافر، فقال: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ أي يوسع له لمن يشاء من خلقه ممن كان له مهارة في جمع المال، ولا علاقة لهذا بكفر أو إيمان ولا بصلاح أو معصية، ويضيق على من يشاء ممن هو ضيق الحيلة في الكسب، ولا علاقة له أيضا بكفر أو إيمان، بل قد يوسع على الكافر استدراجا ويضيق على المؤمن لزيادة أجره وإدخارا لنعيم دائم، ولذا قال: ﴿وَفَرَحُوا﴾ أي فرح الكفار ببسط الرزق في الحياة الدنيا واعتبروه أكبر متاع، وهم في هذا مخطئون، إذ ليس نعيم الدنيا كله إذا قيس بنعيم الآخرة إلا شيئا يسيرا جدا سريع الزوال كمتاع الراعى الذي لا يكفى إلا مدة يسيرة.

وقد غر المال كفار مكة حتى تعنتوا وتغافلوا عن المعجزة الخالدة وهي القرآن، وقالوا عنادا: هلا أنزل على محمد معجزة من ربه كما تقدم في الآية (٧) من هذه السورة صفحة ٢٢٢ ولما كانوا كثيرا ما ردوا قولهم هذا كررها القرآن لذلك. قل لهم ما أعظم عنادكم بعد علمكم بالمعجزة التي عجزتم جميعا عن الإتيان بمثله؟ فلا جواب لكم عندي إلا أن أقول لكم إن الله تعالى يضل من يشاء لعناده بعد ظهور الحق، ويهدي من رجع عن العناد وأقبل على الحق، فإذا أردتم الهداية فارجعوا إليه تتالوها، والراجعون إلى الله تعالى هم الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم دائما بتذكر الله عند كل شدة، فلا يبالون بشيء ولا يحزنون على فوات مرغوب، ثقة بما عند الله...

أَلَا يَذْكُرُ أَنَّ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ① الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنَ مَقَابٍ ② كَذَلِكَ
أَرْسَلْنَا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمَا ثُمَّ لَتَتْلُوا عَلَى
الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ ③ وَلَوْ أَنَّ
قُرْءَانًا سُورَتُ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ نُفِطَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ نُكِمَ بِهِ
الْمَوْتُ بَلِّغِ اللَّهُ الْأَمْرَ حَيْثُمَا أَمَرَ يَبْلُغِ الَّذِينَ آمَنُوا
أَنْ لَوْ رِئَاءَ اللَّهِ لَفَدَى النَّاسَ حَيْثُمَا وَلَا يَرَى الَّذِينَ
كَفَرُوا نَصِيحَتَهُمْ بِمَا صَنَعُوا قُرْءَانًا أَوْ نَحْلًا قَرِيبًا مِنْ قَارِعٍ
مَنْ يَأْتِ وَعْدُ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ الْمِعَادَ ④
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَتْ الْيَدِينَ كَفَرُوا
ثُمَّ أَخَذْنَاهُمْ فَنُكِبَ كَانَ عِقَابٍ ⑤ أَلَمْ يَكُنْ هَؤُلَاءِ

المفردات. «ألا»: كلمة تنبيه للعناية بما

بعدها.

«طوبى لهم»: مأخوذة من الطيب وهي

كلمة تدل على الحياة الطيبة والسرور.

«وحسن مآب»: (مآب) أى مرجع، هنا

من إضافة الصفة للموصوف.

«خلت»: مضت

«متاب»: أصلها متابى أى مرجعى من

الأخرة

«يبش»: أى يعلم.

«قارعة»: أى داهية تفرغ قلوبهم وتقلقهم. انظر سورة القارعة، صفحة ٨١٩

«وعد الله»: بموتهم أو بقيام الساعة.

«ماملت»: أى أمهلت.

«قائم»: أى رقيب.

المعنى لا يطمئن القلوب ويطلد عنها العرج والاضطراب إلا تذكرهم لله سبحانه ثم يشر
سبحانه جراء ثواب المعلمتين فقال الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم المرح وقررة العين
والمرجع الحسن يوم القيامة. وبعد ما ذكر سبحانه نعمت الكفار في طلباتهم من رسوله وبين
أنهم لن يهتدوا لأنهم غير محصلين، أراد أن يعلى نبيه بأن هذه عادة الأمم مع أنبيائهم، وأن
عاقبة المعاندين وخيمة، فقال: «وكذلك» إلخ أى أرسلنا لك ولأمتك كإرسالنا للرسول قبلك

إلى أمم مصت، لتتلو على أمتك الكتاب الذي أوحىء إليك، كما هي الآية (١٠٦) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٩، والحال أن كفار قومك يكفرون بربهم عظيم الرحمة ومن رحمته إرسالك لإرشادهم إلى ما فيه نجاتهم ومنها أنه أرسلك لهم رحمة قل لهم هو، أي الرحمن الذي كفرتم به ربى، لا أقر بآله غيره، ولا أتوكل إلا عليه، وإليه وحده مرجى في الآخرة، أما أنتم فمبتوس منكم ما دمت على حالكم، لأن حالكم لو أن قرأنا سيرت به الحال عن أماكنها، أو شققت به أرض مكة وجعلت أنهارا وعيوناً أو إحياء رجل بقراءته الموتى وكلمهم، ولو أن قرأنا جاءكم يا كفار مكة وشاهدتم منه ما ذكر لما أمتكم، لنمكن الكفر والعباد من قلوبكم، انظر الآية (١١١) من سورة الأنعام صفحة ١٨١، فلا تطمعوا أيها المؤمنون في هدايتهم، لأن الله لو علم فيهم خيراً لأجابهم إلى طلبهم، ولا يعجز عنه، لأن الأمر جميعه بيده وإذا كان الأمر كذلك فهل عمل المؤمنون فلم يعلموا أن الله لو شاء لهدى الناس جميعاً فهدى، فيكونون كالملائكة كما تقدم شرح ذلك في الآية (٤٨) من سورة المائدة صفحة ١٤٦ والآية (٩٩) من سورة يونس صفحة ٢٨١، ولكنه سبحانه شاء أن يكونوا مختارين، ولا بد أن يحتلوا كما هي الآية (١١٨) من سورة هود صفحة ٢٠١، ويبقى كفار مكة تصيبهم بسبب عملهم السيئ وإصرارهم على الكفر مصائب شديدة من قتل وأسر، أو تحل تلك المصائب في مكان قريب منهم يسكنه أناس على صلة بهم تجمعهم صفات مشتركة من الكفر والمعاصي فيحربهم ذلك ويرعبهم خوف أن يصيبهم شررها ولا يرالون في هذا القلق حتى يأنى أمر الله بموتهم أو بقيام الساعة، وهذا وعد صادق لأبد من حقيقته، لأن الله لا يحلف الميماد، وإذا اشتد إيدؤهم لك أيها النبي واستهزأؤهم بك فلا تحزن لأن أمم إخوانك الرسل قبلك استهزأوا بهم، فأمهلت هؤلاء الكافرين ليزدادوا كفراً، ثم أحدثهم بالمعقاب أحد عزيز مقتدر، ارجع إلى الآية (١٧٨) صفحة ٩٢، فانظر وتأمل على أي حال كان عقابي لهم، ألم أنكل بهم وأجعلهم عرة لغيرهم، ثم رجع سبحانه إلى تسفيه المشركين في العبادة والدعاء بين الله وحلقه فقال ﴿أفمن هو قائم﴾ إلخ...

عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ مَن مَّوَدَّ
أُمَّةً تَهْتَفُونَ بِهَا لَا يَفْعَلْ فِي الْأَرْضِ أَمَّ يَهْدِي مِنَ الْغَوْلِ
بَلْ رُبُّهُ يُلْدِنُ كَمَا رُءُوسَ السَّمَكِمْ وَصَدَّاعًا عَنِ السَّبِيلِ
وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ لَمْ يَكُنْ لَكَ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَثَقٌ وَمَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ
بِشَيْءٍ ﴿٣٧﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي رُفِعَ عَنْهَا الْأَنْفُسُ الَّتِي
فِيهَا الْأَنْهَارُ أَكْثَرٌ مِنْهَا وَظِلٌّ يَبْقَى فِيهَا الْخَيْرُ
أَثَقَرُ وَخُفْيَ الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُهُمُ
الْكَتَبُ يَقْرَءُونَ مِمَّا أُرِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ
يَسْكُرُ تَصِفُ قُلُوبُهُمْ بِمَا أُمرُوا أَنْ يُعَذِّبَ اللَّهُ وَلَا تُفِيكُ بِهِ
إِلَهِهُ أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ مَقْبُوحٌ ﴿٣٩﴾ وَكَذَلِكَ أَرْسَلْنَاهُ حُكْمًا
عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَسْبَغْتُ أَمْرَكُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكُم مِّنَ الْبَيِّنَاتِ

المفردات: ﴿مموهم﴾: أي اذكروا
أسماءهم، وهو كناية عن أنه لا حقيقة لهم،
انظر الآية (٧١) من سورة الأعراف سمعني
٢٠٢، ٢٠٤ والآية (٧٤) من سورة غافر
سمعة ٦٢٧.

﴿بظاهر من القول﴾: أي بقول له ظاهر
ولهم له حقيقة فهو كالحيال.

﴿واق﴾: أي حافظ يقيهم.

﴿مثل الجنة﴾: أي صفتها العجيبة.

﴿أكلها﴾: أي ما يؤكل فيها كما تقدم في

الآية (٤) من هذه السورة سمعة ٣٢١. ﴿الدين أتياهم الكتاب﴾ المراد بهم من أسلم من
اليهود والنصارى. ﴿الأحزاب﴾ الدين تعربوا من الكتابيين عليه يَتَّبِعُوا وساعدوا المشركين

﴿مأب﴾ أصلها مأبى أي مرجعى. ﴿حكماً﴾ أصل الحكم مصدر أريد به الحاكم مبالغة
في الفصل بين الحق والباطل. ﴿عربياً﴾ أي بلسان العرب لأنهم قومك أيها النبي ولم يرسل
إلا رسولاً إلا بلسان قومه، انظر الآية (٤) من سورة إبراهيم سمعة ٣٢٩.

(١) بظاهر

(٢) الحياة

(٣) الأنهار

(٤) الكافرين

(٥) أتياهم

(٦) الكتاب

(٧) مأب

(٨) أمزقاه

المعنى - أومن هو رقيب على كل نفس صالحة أو طالحة عليم بما كسبته من خير أو شر، كمن ليس كذلك ممن جعلتموهم شركاء لله؟ ولذا قال ﴿وجعلوا لله﴾ إلخ، وبعد هذا المارق العظيم جعلوا لله شركاء عبودهم وطلبوا منهم قضاء مصالحهم ثم وبجهم توبيخا آخر فقال قل أيها النبي لهم سموا لنا هؤلاء الشركاء فمن هم؟ بل أنتم تحيرون الله سبحانه بشركاء لا يعلم لهم وجودا في الأرض مع أنه يعلم كل شيء فيها، بل أنتم تسموهم شركاء بمجرد ظاهري القول دون أن يكون لهم حقيقة، مدعوا كل هذا الباطل. بل الحقيقة أن الشيطان زين وحسن لكم أيها الكافرون مكركم وكيدكم للإسلام، وصدكم بوسوسته عن سبيل الله المستقيم المبين في سورة المائدة، ومن يصله الله لمصاد قلبه كما في الآية (٢٩) من سورة الأنعام صمحة ١٦٨ فليس له من أحد يقدر على هدايته. لهؤلاء النبي أصلهم الله عذاب في الدنيا بالقتل والأسر وأنوع المحن، والله لعذاب الآخرة أشق لشدة ودوامه، وليس لهم واق مطلقا بقيهم من عذاب الله. هذا جراء من كسر، أما حراء المؤمنين فاعلم أن صمة الجنة التي وعدهم الله بها هي أنها تجري من تحت قصورها الأنهار، وماكولاتها دائمة لا تنقطع وظلها كذلك، كما هي الآية (١٢) من سورة الإنسان صمحة ٧٨٢ تلك الجنة هي عاقبة المتقين، وعاقبة الكافرين النار، ثم أراد سبحانه أن يطمئن نبيه بأن العلماء بالكتب السابقة المخلصين يرحلون بالقرآن الذي أرسل إليك لأنه موافق للحق الذي هي كتبهم ولهذا صارعوا إلى الإيمان بك كمعبد الله بن سلام وأصحابه من اليهود ونصارى نجران واليمن والعيشة، ومنهم قوم تحزبوا صدك حسدا وعبادا فأنكروا بعض ما في القرآن وهو ما يحالف ما حرهوه، قل للمكربين إنما أمر ربي أن أعبد الله وحده ولا أشرك في ربوبيته أحدا، وإلى توحيد وطاعته أدعو جميع الخلق، وإليه وحده مرجعي للجاء يوم القيامة. ومثل إنزالنا للكتب لمصالح الناس أنزلنا هذا القرآن حال كونه حاكما بين الحق والباطل، بلسان عربي، ليسهل على أول من كلموا به فهمه للقيام بنشر دعوته، والله لنر اتبعتم أيها المخاطب شهوات الكمار بعدم مخالفتهم أو السكوت عن تجهيلهم بعدما حاءك من العلم القاطع بأنهم على باطل، وأن ما في القرآن هو الحق...

مَا لَكَ مِنْ آلِهٍ مِنْ دُونِي وَلَا رَاقٍ ۖ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا
مِنْ قَبْلِكَ وَيَعْلَمُ أَرْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۖ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ
أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِيُعْطِيَ أَجَلٌ لِكِتَابٍ ۖ
يَتَّبِعُوا اللَّهَ مَا نَشَاءُ وَيَتَّقُوا اللَّهَ وَصِفَاءُ الْكِتَابِ ۖ
وَإِنْ مَا تُرِيدُكَ بَعْضُ الْهَيْئَةِ تَدْعُهُمْ أَوْ تَقُولُكَ فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْهَا الْحِسَابُ ۖ أَوَلَمْ يَدْرُوا أَنَّا نَلْقَى
الْأَرْضَ نَقُصُّهَا مِنْ أَكْوَافِهَا ۖ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا يُحِيطُ
بِالْحُكْمِ ۖ وَهُوَ مَرِيعٌ الْحِسَابِ ۖ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَئِنْ لَمْ يَنْتَهِمْ مَا تَكِيدُ كُلَّ فَرَسٍ
وَسَمِعُوا الْكُفْرَ لِمَنْ عَنَى الدَّارِ ۖ وَيَقُولُ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كُنْ يَاقَهُ فَبِهَذَا يَنْهَى وَيَكْزُرُ
وَمَنْ يَدْعُهُمْ يَلْمُ الْكِتَابَ ۖ

المفردات: ﴿ولى﴾: أى صديق ينصرك،
انظر آيتى (١٠٧، ١٢٠) من سورة البقرة
صفحتى ٢١، ٢٢.

﴿واق﴾: أى واقى يقيك المذاب.

﴿آية﴾: المراد معجزة.

﴿أجل﴾: المراد وقت معين.

﴿كتاب﴾: المراد بالكتاب المكتوب المحتم
أى الحدث المكتوب فى الأزل وجوب
حصوله، انظر آيتى (٢٤، ١٢٧) من سورة
النساء صفحتى ١٠٣، ١٢٤، فالمراد معجزة

محتم وجودها فى هذا الأجل.

﴿أم الكتاب﴾: أى كل شيء أصله؛ فالمراد أصل كل مكتوب ومقدر وهو اللوح المحفوظ.
﴿وإن ما نريك﴾: أصله وإن نريك وحى بما لتأكيد الربط بين الشرط والجزاء تقدمت فى
الآية (٥٧) من سورة الأنعام صفحة ٢٢٥، وانظر آيتى (٤١، ٤٢) من سورة الزحرف صفحة
٦٥١.

- (١) أرواجا
- (٢) بآية.
- (٣) يمحو
- (٤) الكتاب
- (٥) وما
- (٦) نبلاغ.
- (٧) الكفار
- (٨) الكتاب

﴿بمصر الذي نعدهم﴾ هو عذاب الدنيا لأنه وعدهم به.

﴿الأرض﴾ إذا أطلقت الأرض هي القرآن فسياق الكلام يبين المراد منها كما هي الآية (٧٦) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٥، والآية (٤) من سورة القصص صفحة ٥٠٦ والسياق هنا يدل على أن المراد بها الأرض التي ظلم أهلها من الأمم السابقة كما تقدم في الآيات (٦) من سورة الأنعام صفحتي ١٦٢، ١٦٣ و(٩) من سورة الروم صفحة ٥٢١، و(٨٢) من سورة عاشر صفحتي ٦٢٨، ٦٢٩.

﴿تقصصها من أطرافها﴾: الطرف الناحية والطائفة من الشيء كما هي الآية (١٢٧) من سورة آل عمران صفحتي ٨٢، ٨٤ قال عكرمة وتقصصها بتعريب قراها وإهلاك أهلها انظر الآية (٢٧) من سورة الأحقاف صفحة ٦٧٠.

﴿معتب﴾ المعتب هو الذي يأتي في عقب الشيء والمراد هنا من يأتي ليبتل.

﴿مكر الدين من قبلهم﴾ أصل المكر التدبير الحفي لإيصال الضرر بالغير وهو لا يشعر

﴿ومن عبده علم الكتاب﴾ المراد بهم علماء اليهود والنصارى الذين أسلموا فإبهم يعلمون من كتبهم صدقه ﷺ، انظر الآية (١٩٧) من سورة الشمراء صفحة ٤٩٢.

المعنى إن اتبعت أهواءهم بعد علمك ببطلانها فما لك ولي ولا واق يحميئك من عذاب الله، والمراد من هذا التهديد قطع أطماع الكفرة في إرجاع مسلم عن دينه وحث المؤمنين على الثبات.

ولما كان المعاندون يحاولون وضع المراقيل في سبيل دعوته ﷺ بتشكيكات كثيرة، فتارة يقولون لو كان محمد رسولا لما شغل نفسه بالرواح والأولاد وتفرغ للعبادة كيحيى وعيسى، وبعضهم يقول لن تؤمن به حتى يأتيك بمعجزات مثل معجزات الرسل قبله كما تقدم عند الآية (٧) من هذه السورة صفحة ٢٢٢، وبظيهر في الآية (٤٨) من سورة القصص صفحتي ٥١٣، (٥١٤)، وبعضهم يقول لو كان محمد صادقا لجاءنا بالعذاب الذي توعدنا به، لما كان كل هذا

أبطله سبحانه بقوله ولقد أرسلنا رسلا من قبلك كثيرين وجعلنا لهم أرواحا ودرية، حتى روى أنه كان لداود وسليمان نعو مائة زوجة، وما منع ذلك رسالتهم أما المعجزات فما كان في قدرة رسول أن يأتي قومه بمعجزة لكن بتفسير الله المبني على الحكمة تأتي المعجزة المناسبة لزمن الرسول، ولكل وقت من أوقات الرسل وأمرهم معجزة معينة تناسب زمنها محتم وجودها فيه لا يصلح غيرها. يحو الله ويذهب من المعجزات ما يشاء ويثبت بدلها ما يشاء حسب حكمته، وعنده أصل كل مكتوب مقدر، وإن ما يريدك أيها البير، بعض ما توعدناهم به وهو عذاب الدنيا بأن نرله بهم في حياتك أو تتوفاك قبل إنزاله فإنه ليس من شأنك لأنه ليس عليك إلا تنليخ ما كلماك تبليغه لهم، ومنه وعيدهم بالعذاب إن لم يؤمنوا، أما محاسبتهم على أعمالهم وتعديهم فعليا وحدا في حياتك أو بعد موتك، فهل شك هؤلاء في العذاب ولم يروا أنا أهلكنا الظالمين في الأرض بالكفر والمعاصي وخربنا ديارهم، انظر آيتي (٦٩، ٧٠) من سورة التوبة صفحتي ٢٥٢، ٢٥٣ والآيات من (٩ إلى ١٤) من سورة إبراهيم صفحات ٢٣٠، ٢٣١، والآية (٧٨) من سورة القصص صفحة ٥١٨، وسيأتى مثل هذه الآية في الآية (٤٤) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٥، فكان الواجب عليهم أن يستبهاوا لأن الله إذا حكم فلاند من تنفيذ حكمه، لأنه ليس في الوجود من يبطله وهو سبحانه سريع الحساب فيحاسبهم قريبا في الآخرة بعد عذابهم في الدنيا.

ثم أراد سبحانه أن يطمئن نبيه بأن العاقبة له فقال وقد مكر الذين كرموا قبل كمر مكة بأبييائهم ودبروا لهم المكاييد كما فعل قومك أيها النبي فأحبط الله مكرهم وبصر عباده المخلصين؛ لأن المكر والتدبير الذي لا يخيب هو لله وحده، أما مكر غيره فلا بصر إلا صاحبه، لأنه سبحانه يعلم ما تكسب كل نفس من خير أو شر فيجاري كلا بما يستحق وسيعلم الكمار قريبا لمن العاقبة الممودة.

ويقول الذين كفروا برسالتك لست مرسلنا من عند الله، قل لهم حسبي الله شهيدا، بصدق، وحسبي يشهد بيني وبينكم أيضا علماء أهل الكتاب الذين لم يقدموا الدنيا على الدين.

سورة إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المفردات: ﴿الر﴾: تقدم مثل هذه الحروف المقطعة أول سورة البقرة.

﴿تخرج الناس... إلخ﴾: اللام هي (لتخرج) لام الحكمة وتقدم مثلها هي الآية (٦٤) من سورة النساء صفحة ١١١.

﴿إلى صراط العزيز﴾ هو بيان للصور، وتظيره في إعادة حرف الجر على المبين هي

الآية (٧٥) من سورة الأعراف صفحات ٢٠٤، ٢٠٥. والعريز العال القادر على كل شيء

﴿الحميد﴾. المستحق لكثرة الحمد لكثرة نعمه وإن لم يحمده العاقلون.

﴿ويل﴾ أي هلاك ﴿يستعيبون﴾ أي يحبون حباً شديداً.

﴿يقبونها عوجاً﴾: تقدم هي الآية (٩٩) من سورة آل عمران صفحة ٧٩.

(١٤) سُوْرَةُ اِبْرٰهِيْمَ كَتَبَتْ
وَاٰيٰتُهَا ثَنٰثِيْنَ وَخَمْسُوْنَ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

اَلَمْ يَكْتُبْ اَرْسَلْنَاكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمٰتِ
اِلَى النُّوْرِ بِاِذْنِ رَبِّهِمْ اِلَّا صِرَاطَ الْعَصِيْدِ ①
اَلَمْ يَكُنِ الَّذِي لَمْ يَمُنْ بِالْاَسْحٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ وَوَيْلٌ
لِّلْمُكْفِرِيْنَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيْدٍ ② الَّذِي يَسْتَعْبِدُوْنَ
الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا عَلَى الْاٰخِرَةِ وَيَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ
وَيَخْرُجُوْنَ اَوْكٰتِكَ فِى سَبِيْلِ بَعِيْدٍ ③ وَمَا اَرْسَلْنَا
مِنْ رَّسُوْلٍ اِلَّا بِاٰيٰتٍ قُوِيٍّ لِّيُبَيِّنَ لِّنَّاسٍ قُوٰصِلُ اللّٰهِ
مَنْ بَشَرًا وَيَهْدِيْ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ④

- (١) الف لام را
- (٢) كتاب.
- (٣) أبولناه
- (٤) الظلمات.
- (٥) صراط
- (٦) السموات
- (٧) للكافرين.
- (٨) الحياة.
- (٩) صلال

المعنى: هذا القرآن كتاب أمزلاء إليك أيها النبي لحكمة هي إخراج الناس كافة بما فيه من التعاليم من ظلمات الشرك والجهل إلى نور الإيمان والعلم بتيسير ربهم، هذا النور هو طريق الخير الذي شرعه العزيز الحميد، ثم بين العزيز بأنه هو الله الذي له كل ما في السموات وما في الأرض خلقا وملكا يتصرف فيه كما يشاء، وإذا كان هذا هو حال الإله الحق فانهلاك للكافرين بعذاب شديد، الذين يحبون الحياة الدنيا ويمصلونها على الأجرة، ويمنعون الناس عن الدخول في دين الله الحق، ويرغبون أن يرى الدين معوجا في نظر الناس لينصروهم منه، هؤلاء في ضلال بعيد عن الحق لا يمكن رجوعهم إلى الصواب.

ثم أراد سبحانه أن يسلي رسوله على عناد قومه بأن هذه عادة الأمم مع كل أنبيائهم مع أنه سبحانه سهل عليهم ما جاءتهم به رسلكم حيث جاءهم بلعنهم التي يسهل عليهم فهمها، فقال: ﴿وما أرسلنا من رسول﴾ أي من الرسل السابقة إلا متكلما بلغة قومه الذين بعث فيهم ليفهموا عنه ما يبين لهم من شرعه تعالى، ومع ذلك عاند كثير واستكبروا، فأصلهم الله حسب سنته التي وضعها من إضلال الفاسقين وهداية من رجع إليه وأناب، انظر الآية (٢٩) من سورة الأنعام صفحة ١٦٦. والله سبحانه هو الغالب الذي لا يظلم، الحكيم الذي يضع كل شيء في محله؛ فالمراد بالقوم هنا هم الذين أرسل الرسول فيهم وإن كان مرسلنا لغيرهم، لأنهم إذا فهموا الشرع وآمنوا به أمكن نقله لغيرهم بكل الطرق، ولهذا قال سبحانه لنبييننا ﷺ ﴿وأبدر عشيرتك الأقربين﴾ الآية (٢١٤) من سورة الشعراء صفحة ٤٩٢، وذلك لأن إرسال رسول لجميع العالم بكل لغة أمر عسير لا يكاد يتحقق، بل قد يكون مستحيلا إذا كانت اللغات تتوالد ويتجدد منها ما لم يكن موجودا، انظر الآية (١٩٥) وما بعدها من سورة الشعراء صفحات ٤٩١، ٤٩٢.

المفردات، ﴿أيام الله﴾ تطلق العرب الأيام على الحوادث الحميمات التي حصلت في الماضي، فيقال أيام العرب في الجاهلية أي حروبها،

﴿يسومونكم﴾ أي يطلبون لكم، انظر ما تقدم في الآية (٤٩) من سورة البقرة صفحة ١٠.

﴿بلاء﴾: امتحان وفتنة.

﴿تأدى﴾: أحبر خبراً مؤكداً كما تقدم في

الآية (١٦٧) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٠.

﴿مردوا أيديهم في أهواءهم﴾: المراد

بأيدي هنا النعم أي الأيادي التي جاء بها

الأنبياء من الشرائع والعقائد التي تتقدم من

الهلاك، وهذا كناية عن رفضها وعدم قبولها

كما يقول الرجل لآخر إذا لم يعجبه كلامه

أحفظ كلامك لنفسك هائي لن أسمع. هذا

هو أنسب المعاني لكلمة (ردوا).

المعنى: بعدما أجمل سبحانه القول في

إرسال الرسل بلسان قومهم، أراد تفصيل الاحمال بعض تفصيل فقال: ولقد أرسلنا موسى

مؤيداً بمعجرتنا من العصا واليد وبقية التسع المشار إليها في الآية (١٠١) من سورة الإسراء

صفحة ٣٧٨، وتقدم بعضها في الآية (١٢٢) من سورة الأعراف صفحة ٢١٢، وقلنا له أخرج

قومك بني إسرائيل من ظلمات الجهل والصلال إلى نور الهدى والإيمان، وأبدرهم بالوقائع

التي أوقفها الله بالأمم قبلهم كنوم نوح وعاد وثمود كما تقدم في الآية (١٠٢) من سورة يونس

(١) بآياتنا.

(٢) الظلمات.

(٣) بآيات.

(٤) لآيات.

(٥) أجاكم.

(٦) آل فرعون.

(٧) مبأ.

(٨) بالبيئات.

(٩) أهواءهم..

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ① وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِذْ كُنُوا بَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ أَفَلَا يُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ إِذْ أَخْرَجْنَا مِنَ الْهَرَمِ ۚ إِنَّ فِرْعَوْنَ يَسُوءُ سَوَاءَ الْقَدَابِ وَيُخْرِجُونَ أَبْنَاءَ كُرٍ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ ۚ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَةٌ لِّمَن رَّبَّيْكُمْ عَظِيمٌ ② وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ③ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تُكْفَرُونَ أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ خِيفَا هَٰذَا ۖ إِنَّهُ يَأْتِيكُمْ سُرًّا مِنَ الْبَرِّ ۖ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادُ وَثَمُودُ ۚ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْقِلُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۚ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ وَالْحَقِّبْنِي مَرَدُوا أَيْدِيَهُمْ ۖ إِنَّ أَهْوَاءَهُمْ وَقَاتُوا ۖ إِنَّ كُفْرًا بِمَا

صفحة ٢٨٢، إن هي تذكر أيام الله دلائل تبه للخوف من عصيان الله كل قوى الصبر على المشاق والبعد عن الشهوات كثير الشكر لنعم ربه بالبعد عما يفضيه.

ثم حصل سبحانه ما قاله موسى فقال وإد قال موسى لقومه تنفیدا لأمر ربه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم حين أنجاكم من آل فرعون عندما كانوا يكلفونكم بالأعمال الشاقة مع القهر والإدلال، ويذبحون أبناءكم الذكور ويقتلون البنات المستضعفات، وهذا من أشد المصائب على النفس الحرة، وفي كل مما ذكر من التعذيب والإنجاء منه احتيار وامتحان من الله لكم عظيم ليظهر للناس مقدار صبركم وشكركم بالرجوع إلى الله سبحانه، انظر الآية (١٦٨) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٠، واذكروا يا بني إسرائيل وعد ربكم المؤكد حين أعلمكم بأنكم إن شكرتم نعمه بامتثال أوامره لأزيدنكم من نعمي عليكم، ولئن كفرتم بسعي حل بكم عذابي المؤلم، لأن عذابي لمن كفر وعزتي لشديد. ثم بيّن موسى لهم أن شكرهم لا يعود نعمه إلا عليهم، وعدمه لا يعود ضرره إلا عليهم، فقال إن تكفروا أنتم وجميع من في الأرض من يصبر الله شيئاً، لأنه هو العني عن جميع خلقه، المستحق لجميع الحمد، لأنه مصدر كل النعم، سواء أشكرتم أم كفرتم. ولما أحس موسى من قومه المصي في العصيان، شرع بمصل لهم ما أمره الله بتذكيرهم إياه، وهو أيام من قبلهم، فقال موسى: يا قوم ألم يأتكم حبر الذين مصوا قبلكم من قوم نوح وعاد وثمود والأمم الذين جاءوا بعدهم بلفت حداً من الكثرة لا يعلمه إلا الله، انظر الآية (٧٨) من سورة غافر صفحة ٦٢٨، ثم بيّن هذا الحبر فقال: جاءتهم رسلهم بالأدلة القاطعة بصدقهم، مبينين لهم محاسن ما شرعه الله تعالى لسماعتهم، فردوا الحديث عن تلك الشرائع إلى أهواء أنبيائهم أي رفضوها وظلموا عدم الحديث بها، وبالعوا هي الرد فأعلنوا كفرهم بتلك الشرائع.

المفردات، «مريب» أي موقع في الريبة والحيرة. «أجل مسمى» هو انتهاء آجالهم

«إن أتم». (إن) حرف نفى بمعنى (ما). «سلطان مبين» أي معجزة واضحة مما

نقترحه نحن.

المعنى إنا كفرتنا بما رعمتم أن الله أرسلكم به مما تدعون أنه بينات، بل هو سحر، وإنا لمى شك محير مما تدعوننا إليه من العقائد والشرائع، قالت لهم رسلهم. أهي وجود الله شك؟

أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا إِلَى شَعْبٍ مِمَّنْ تَدْعُوا إِلَى اللَّهِ مُبِينِينَ ۖ
 قَالَتْ رُسُلُهُمْ أِنَّا إِلَهُكُمْ فَلْيُخَاطَبُوا بِالْأَرْضِ
 بِذَعْرُوكُمْ لِيُخَفِّرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُزَيِّدَ لَكُمْ أَجْلًا
 مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ تُبَدِّلُونَ ۚ أَنْ تَصُدُّوهُمْ
 مِمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۚ آيَاتُنَا فَأَنْتُمْ تُسْتَكْبِرُونَ ۚ قَالَتْ
 لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنَّا نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَبِكُنَّا آلَهُ بَشَرٌ
 مِنْ بَشَرٍ مِمَّنْ بَدَّلَ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ
 إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۚ وَمَا
 لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلًا وَلَنْصَبِرَ
 عَلَىٰ مَا نَدْبَعُونَ ۚ وَمَا نَدْبَعُونَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۚ
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَرْسَلَهُمْ لِتُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
 وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ۚ قَالُوا نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ۚ قَالُوا نَحْنُ
 الْمُسْلِمُونَ ۚ قَالُوا نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ۚ قَالُوا نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ ۚ

وكيف ذلك وهو وحده خالق السموات
 والأرض، يدعوكم إلى الحق ليعصم لكم بعض
 ديوبيكم إذا اطعتم، وهي الذنوب التي بيهكم
 وبينه تعالى، لا الذنوب المتعلقة بحقوق
 العباد، ويؤخركم أي لا يماجلكم بعداب الإفاء
 الكلى، بل يمتنعكم بخيرات الدنيا ويكثر لكم
 من أسباب كثرة الثواب في الآخرة، ولا تكونوا
 ممن قضى عليهم بالهلاك عند جمودهم على
 المعاصي، قالوا في ردهم على الرسل ما أنتم
 إلا بشر مثلبا، لا فضل لكم علينا، فلم خصمكم
 بالنبوة؟ تريدون أن تمنعونا من عبادة
 الأصنام التي كان يعبدونها آباؤنا؟ هاتونا بحجة
 واضحة مما نقتضيه عليكم. ولما كان هذا

منهم عنادا يعلم الله أنه لو جاءهم بما اقترحوا لا يؤمنون كما هو حال أمثالهم في آيتي (٧)،
 (١١١) من سورة الأنعام صفحتي ١٦٢، ١٨١، والآية (٧٦) من سورة يونس صفحة ٢٧٨، والآية
 (١٢) من سورة النمل صفحة ٤٩٥، قالت لهم رسلهم نعم، ما نحن إلا بشر مثلكم، ولم ندع أننا
 ملائكة، ولكن لا نسلم لكم أن كل البشر عند الله سواء، بل إن الله يمين على من يشاء من عباده
 بالنبوة والرسالة لما يعلمه فيه من صفاء الطبع وإخلاص النية، كما في الآية (١٢٤) من سورة
 الأنعام صفحة ١٨٣، وما كان في قدرتنا أن نأتيكم بما تقترحون إلا بإذن الله ومشيئته، وعلى
 الله وحده فليتوكل كل مؤمن، ونحن أيها الأنبياء في المقدمة فليتوكل عليه في الصبر على
 عبادكم، وأي عذر لنا في أن لا نتوكل على الله والحال أنه قد هدانا سبيلنا التي توصلنا إلى
 معرفته ومعرفته كل حير، بإرشادنا إلى طريق النجاة، وتوهيقنا لسلوكها، ولصبر على إبدائكم
 لنا بالعناد واقتراح الآيات والاستهزاء، وعلى الله وحده فليثبت المتوكلون على توكلهم، محتملين
 كل أذى في سبيل الله. ولما عجز هؤلاء الكفار عن مقاومة الدليل عمدوا إلى القوة وحلصوا

الطَّالِبِينَ ⑤ وَلَنَسِيكَرُ الْأَرْضِ مِنْ تَعْلِيمِهِ ذَٰلِكَ
لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ⑥ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ
كُلُّ جَبَّارٍ عَبِيدٍ ⑦ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَسَوَّىٰ مِنْ مَّاءٍ
صَدِيدٍ ⑧ يَخْرُجُ وَلَا يَكَادُ بِسِحْرِهِ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ
كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَحِيطٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ⑨
مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَزَمَدٍ اشْتُتِ فِي الرِّيحِ
فِي يَوْمٍ عَصِيبٍ لَا يَفْقِدُونَهُ يَمْ كَسَبُوا عَلَىٰ نَفْسٍ وَ ذَٰلِكَ
هُوَ الصَّلْوُ الْيَمِينُ ⑩ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِذْ بَنَىٰ بُعْبُكْرَ وَيَاتٍ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ⑪
وَمَا ذَٰلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ بِعَزِيزٍ ⑫ وَبَرُّوْا اللَّهَ جَمِيعًا ⑬
الضَّعْفُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَبِئْسَ مَا قُلْنَا أَنَّمُ
مُقْرُونًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ

على أن يفعلوا أحد أمرين: إما إخراجكم
أيها الرسل من أرضنا أنتم ومن آمن بكم، أو
يمود من آمن بكم في ملتنا كما كانوا، أنظر
ما تقدم في الآية (٨٨) من سورة الأعراف
صفحتي ٢٠٦، ٢٧٧. وعندما اشتد عنادهم
وانقطع الأمل في إيمانهم أوحى الله إلى
رسله هائلا وعزتي لنهلكهم لأبهم ظالمون...

المفردات: ﴿مقامي﴾: أصل المقام مكان
القيام كالحضرة مكان العصور، ويكنى به عن
الدات العاصرة فيه على مبيد التعظيم، أنظر
الآية (٤٦) من سورة الرحمن صفحة ٧١١.

﴿واستفتحوا﴾: أي استنصروا الله على

اعدائهم كقوله تعالى إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح. وكانهم لما قوى تكذيبهم وأذاهم
للمؤمنين، ولم يماجلهم الله عز وجل بالمقوية ظنوا أن ما قيل لهم باطل، فاستفتحوا على سبيل
التهكم والاستهزاء كقول قوم نوح ﴿هاتنا بما نعدنا﴾، وقوم شعيب ﴿فأسقط علينا كسفا من
السماء﴾ وقولهم هم أنفسهم ﴿ربنا عجل لنا قطعا قبل يوم الحساب﴾ الآية (١٦) من سورة ص
صفحة ٥٩٩: وقيل النصير للرسل ومكذبهم، لأنهم كانوا كلهم سألوا الله أن ينصر المحق
ويهلك المبطل. وقتلنا في ﴿عجل لنا قطنا... إلخ﴾ الآية (١٦) من سورة ص صفحة ٥٩٩ لما
سمع الكفار تهديدهم بمذاب الآخرة قالوا على سبيل الاستهزاء والسخرية يا ربنا عجل لنا
نصيبنا من هذا العذاب ولا تؤخره ليوم الحساب كما يزعم محمد، وهذا منتهى الحماقة كما
في الآية (٢٢) من سورة الأنعام صفحة ٢٣١، وأنظر الآية (٨٩) من سورة البقرة صفحة ١٧،
والآية (١٩) من سورة الأنعام صفحة ٢٢٩.

﴿صديد﴾: هو ما يسيل من جلود أهل النار من قيح مخلوط بدم.

﴿بتجرعه﴾: بتكلف شربه جرعة بعد جرعة.

﴿ولا يكاد يسمعه﴾. يكاد أى يقرب، والسوغ مرور الشراب في الحلق بسهولة، أى لا يقرب من سوغه.

﴿أعمالهم﴾ بدل من (مثل) على حذف مصاف أى مثل أعمالهم

﴿عاصف﴾. أى شديد الرياح

المعنى نال الله لرسله وعزتي لسكنيتكم أرض هؤلاء الكفرة من بعد هلاكهم، ذلك النصر وإهلاك العدو حاصل لمن خاف داتي العلية، وحاف وعيدى بالعذاب لمن عصى فهو مؤمن صادق الإيمان وعلى نصره.

وبعد هذا الوعد من الله طلب كل من الرسل والكمار النصر على خصمه، فحاء نصر الله لأهل الحق، وحاب كل جبار شديد الفساد، فحل به الهلاك في الدنيا، ومن ورائه في الآخرة عذاب جهنم، ويسقى فيها من ماء صديد منتن، يضطر لشدة عطشه أن يشربه جرعة جرعة لقبحه ولا يقرب من استساعته لأنه لا يمكن أن يستساع، ويحيط به أسباب الموت من كل جهة، وكل واحد منها كاف في موته لو كان في الدنيا، وما هو في جهنم بميت فيستريح ولا يعيا حياة طيبة، انظر الآية (٣٦) من سورة فاطر صفحة ٥٧٦، ومن ورائه بعد كل هذا عذاب آخر أشد، انظر الآية (٥٥) وما بعدها من سورة من صفحة ٦٠٣، وآيات (٤٢، ٤٣، ٤٤، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥) من سورة الواقعة صفحات ٧١٥، ٧١٦.

ثم بين سبحانه حال الكفار التي استحقوا بها هذا الشقاء فقال: ﴿مثل الذين كذبوا﴾ إلخ أى حال أعمال الكافرين التي كانوا يعملونها في الدنيا كصلة الأرحام، وإعانة الملهوف، وهاء الأسرى وخدمة البيت، كحال رماد اشتدت بتفريقه الريح في يوم عاصف، وهو تأكيد لما قبله، لا يقدرين يوم القيامة مما كسبوا منها في الدنيا على الانتفاع بشيء منها، فلا يرون له أثرا

من الثواب، كما لا يقدر صاحب الرماد المتطاير في الريح على إمساك شيء منه، وذلك لأن شرط نفع الأعمال في الآخرة هو الإيمان، انظر الآية ٢٦٤ من سورة البقرة صفحة ٥٦، والآية ١١٧ من سورة آل عمران صفحة ٨٢؛ ذلك العمل على غير أساس هو الصلال البعيد عن الصواب.

ثم ذكر سبحانه بعض أدلة وحدانيته لبيان غفلتهم فقال ألم تر أيها السامع وتعلم أن الله هو الذي خلق السموات والأرض مقترنين بالوحه الحق الذي اقتضته الحكمة، ومن قدر على ذلك قادر على إهلاككم أيها الكاهرون والإتيان بعلق جديد غيركم، وما ذلك عليه بعزيز، أي ممتنع ومتمدر، ثم أراد سبحانه أن يصور ما سيكون يوم القيامة من الحصام والحوار بين الشيطان وابصاره ومن صلوا بهم من الجهلاء، فقال وسيمررون لله يوم القيامة بروراً لا شك فيه كأنه واقع فعلاً فيقول صمماء المكر والرأي من الأتباع للقادة المستكبرين إنا كنا في الدنيا مبالغين في اتباعكم في تكذيب الرسل ومحاربتهم، فهل أنتم اليوم مقتنون عما من عذاب الله من شيء ولو قليلاً، أي تدفعونه عما؟ قال المستكبرون معذرين لو كنا أهلاً لهداية، لله وهدايا إلى الصواب.

المفردات: ﴿محيص﴾: أي منجى ومهرب.

﴿لما قصي الأمر﴾: أي نقد أمر الله بإدخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار

﴿من سلطان﴾: أي تسلط وقدرة على إرغامكم على الكفر والمعصية

﴿بمصرخكم﴾: الصراح رفع الصوت طلباً للإغاثة، يقال استصرخته أي استعنت به

فأصرحني، أي أزال سبب صراخي بأن أغاثني، كما يقال مرضته أي أرلت سبب مرضه.

﴿ضرب الله مثلاً﴾: أي وضعه الموضع اللائق به.

﴿كلمة طيبة﴾: هي كل ما يدل على الحق ككلمة التوحيد والدعوة إلى الإسلام والقرآن.

﴿أكلها﴾: ما يؤكل من ثمرها.

لَهَيْتُكُمْ سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ سَوَاءً مَا نَلَامِن
مُجْرِمِينَ ١١ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ
وَعْدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ
مِنْ مُلْطٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي
وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ
كُنْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمْ مِنْ قَبْلُ إِنْ أَنْظِيْتُمْ لَهُمْ عَذَابَ
أَلِيمٍ ١٢ وَأَدْعِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ حَسْبُ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِأَذْنِ رَبِّهِمْ يُحْبَبُونَ
فِيهَا سَلَامٌ ١٣ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَوِيلَةً
كُنْجَرَةً طَوِيلَةً أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ١٤ تُولَقُونَ
أَكْلَهَا كُلَّ حَبْنٍ بِأَذْنِ رَبِّهَا وَيَصْرُبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِقَائِ
لَعَلَّهُمْ يَنْذَرُونَ ١٥ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَيْرٌ مِنْ كُنْجَرَةٍ خَيْرَةً

﴿كلمة خبيثة﴾: هي كل كلمة ضارة
كالإقرار بالشرك، والدعوة إليه، وتكذيب
الرسول.

المعنى قال المستكبرون للضعفاء لو
وهبنا الله لأرشدناكم، فبحن وأنتم الآن
بمستوى علينا الجزع والصبر هلا خلاص لنا
من العذاب..

وقال الشيطان زعيمهم الأكبر لما قصى
الله الأمر بتعذيب الطائمين وتعذيب العاصين.
إن الله وعدهم وعداً حقاً بالبعث والجزاء،
ووعدهم وعداً باطلاً بأنه لا بعث ولا جزاء.

وحتى إن كان هناك بعث على سبيل القرض فإن الأصنام ستشفع لكم، وما كان لي عليكم من
قدرة أرغمكم بها على اتباعي، لكن كل ما فعلته أنني دعوتكم بوسوستي إلى الكفر والممضية
فأسرعتن إلى إجابتي لأنها واهت شهواتكم، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم، لأنكم سمعتم قولي
وأهملت قول ربكم، فما أنا اليوم بمفيعكم من العذاب، ولا أنتم بقادرين على إعائتي، إنني اليوم
كفرت بإشراككم إياي مع الله هي الدنيا بأن أطعتموني كما يطيع العبد خالفه.

(١) لهيبتكم

(٢) الشيطان.

(٣) ملط.

(٤) الظالمين.

(٥) الصالحات.

(٦) جنات

(٧) الأنهار

(٨) حالدين.

(٩) سلام

وقال هذا طبا أنه يبرئه من تبعة إصلالهم، ولكنه لا يصعه ثم علل تبرأه بأن الظالمين لهم عذاب أليم، انظر موقعا للشيطان مثل هذا في الآية (٤٨) الأنصال. هذا ما كان من شأن العصاة والكافرين وزعيمهم إبليس.

أما المؤمنون الذين عملوا الصالحات فتدخلهم الملائكة جنات تجري من تحت قصورها الأنهار حائدين فيها بأمر ربهم تعيبتهم التي تعيبتهم بها الملائكة هو قولهم السلام عليكم انظر الآية (٢٤) من سورة الرعد صفحة ٢٢٥.

وبعد ما ذكر سبحانه أحوال الأشقياء والسعداء ليحذر ويبشر، أراد أن يصرب لعمل كل من الفريقين مثالا بالمشاهد المحسوسة لتقرير ما تقدم من ثبات أمر المؤمنين وبطلان أعمال الكافرين فقال ﴿ألم تر﴾ إلخ، أي ألم تعلم أيها السامع علم بقيس كيف وصع الله للحير والشر مثلاً، ثم فسر ذلك فقال ﴿كلمة﴾ إلخ، أي جمل كلمة طيبة كشجرة طيبة كل شيء فيها رافع وهي النعلة أصلها صارب بمروقه في الأرض فهو ثابت لا تؤثر فيه الرياح، وأعلاها مرتفع إلى السماء من شدة بمرها تعطى ثمرها كل وقت عيّه الله لإثمارها بإرادة خالقها وتسحيه ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون بما فيها من تصوير المعنويات بصور المحسوسات لفنا لأدهان العاقلين.

ومثل الكلمة العبيثة كالشجرة الخبيثة، وهي كل شجرة كريهة الطعم أو الرائحة، تثبت بجذور صعيمة فوق سطح الأرض كالحيطة مثلاً..

الممردات ﴿اجتثت﴾ أي اقتلعت جثتها بالكلية فلم يبق منها شيء..

﴿دار البوار﴾: أي الهلاك.

﴿يصلونها﴾. أي يقاسون حرها بدخولهم فيها..

﴿انداد﴾: جمع ند يكسر أوله وهو النظير في استحقاق العبادة.

﴿ولا خلال﴾: هو المخالة بتشديد اللام والصدافة.

﴿الفلك﴾ هو السمينة، ويطلق على الواحد والجمع.

﴿دائبين﴾، أى دائمين.

المعنى: إن مثل الكلمة الحبيثة كالشجرة الحبيثة التى اقتلعت من جذورها حتى صارت ليس لها استقرار بل ذهب مع الريح، فهذا المثل كالمثل السابق فى الآية (١٧) من سورة الرعد صفحتى ٢٢٣، ٢٢٤، والمراد كل قول باطل لا ثبات له. يثبت الله الذين آمنوا بالقول المؤيد بالحجة المتمكن من قلوبهم فى الحياة الدنيا فلا يتزحزون عن دينهم

مهما اشتدت عليهم المتى والتعذيب كما حصل لركريا ويحيى وأصحاب الأحود. انظر الآية (٤) وما بعدها من سورة البروج صفحة ٨٠١، وفى الآخرة هى كل مواقفها الشديدة وأهمها يوم الصرخ الأكبر، فلا يحربهم شيء لثبات يقينهم برحمة ربهم، انظر ما تقدم فى الآية (٢٦) من سورة يونس صفحة ٢٧٠، والآية (١٠٣) من سورة الأنبياء صفحة ٤٣١. ويصل الله الظالمين لأنفسهم بمحاربة الحق، ويعمل الله ما يشاء من هدايته وإصلاح حسب ما اقتضته حكمته وعمله.

(١) الحياة

(٢) الظالمين

(٣) الصلاة

(٤) رزقناهم

(٥) خلال

(٦) السموات

(٧) الثعرات

(٨) الأنهار

(٩) دائبين

أَجْنُتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَمْ يَنْ قَرَّارٌ ① يَثْبُتُ
اللَّهُ الَّذِينَ هَامُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ وَيُجِزُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ②
• أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِسَاءَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قُلُوبَهُمْ
ذَارَ الْبَوَارِ ③ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَرِشَ الْقَرَارِ ④
وَجَعَلُوا لَهُ أَمَانًا يُبْصَلُونَ عَنْ سَيْبِهِ قُلْ تَمَتُّعُوا فَإِنَّ
مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ⑤ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ هَامُوا يَقْبِضُوا
الصَّلَاةَ وَاسْمِعُوا رِزْقَهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ
يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا يَشْتَرُ ⑥ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ
رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ
وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّاهُتَ ⑦ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتٍ

ثم ذكر سبحانه بعض أسباب سوء عاقبة الظالمين فقال ألم تر أيها السامع وتمحب من هؤلاء الذين بدلوا نعمة الله كمرا، أي وضعوا مكان شكرها الذي وجب عليهم كمرا به تعالى، وهذا عاية الجحود لفصله، ومنهم كبار مشركي قريش الذين أسكنهم الله حرما أما يجبي إليه ثمرات كل شيء وشرههم بإرسال رسول منهم، فكلموا بكل ذلك، فأبرلوا أنفسهم وقومهم دار الهلاك، وهي جهنم التي يقاسون حر نارها، وقبعت المستقر، ومن أفضح جرائمهم أنهم جعلوا لله الواحد الصمد نظراء، واتحدوهم من الأصنام شركاء له تعالى في العبادة لتكون عاقبة عملهم إضلال الناس عن سبيل الله، ثم أمر سبحانه نبيه أن يهددهم بقوله تمشعوا بشهواتكم قليلا، فإن نهايتكم النار حالدين فيها.

ثم أمر نبيه ﷺ أن يعرض عنهم ويرشد صالحى أمته بما فيه سعادتهم فقال، قل يا أيها لبيى لعبادى الذين آمنوا أقيموا الصلاة وانفقوا، فيقيموا الصلاة على أصولها، ويقيموا بعض ما رزقناهم من الحلال سرا هي التطوع وعلنا هي الواجب من قبل أن يأتى يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بصعوبة وصدافة، انظر الآية (٢٥٤) من سورة البقرة صمعة ٥٢

ثم ذكر سبحانه الأدلة الواضحة على وجوده واستحقاقه العبادة وحده، ومع ذلك أعرض عنها الكافرون فاستحقوا الجزاء المناسب، فقال الله وحده هو الذى خلق السموات والأرض، وأنزل من السحاب ماء فأخرج بسببه رزقا لكم من ثمرات الررع والشجر ما بين مطعوم وملبوس وغير ذلك، وسحر لكم السمن لتجرى في البحر تعمل أرواقكم وأمتعتكم بإدبه ومشيتته فخلق الماء والهواء صالحا لحملها وتسييرها حسب ما تشاءون، انظر الآية (٤٦) من سورة الروم صمحتى ٥٣٦، ٥٣٧، والآية (١٢) من سورة فاطر صمعة ٥٧٣، وسخر لكم الأنهار العذبة فجعلها معدة لانتفاعكم، وعلمكم كيف تتشعون بها، وسخر لكم الشمس والقمر دائمين للإضاءة وإصلاح ما تحتاجون إليه من زرع وثمر.

المصردات: ﴿هذا البلد﴾ هو مكة.

﴿واحننى ونى﴾: أى باعدنى وأبناى.

وَحَرَّ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۖ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ
وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۚ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ
كَفَّارٌ ۝ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا
وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۝ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَفْلَاسٌ
كَثِيرَاتٌ مِنَ النَّاسِ فَسَخِّبْنِي لَهُنَّ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَمْصٍ
فَإِنَّكَ خَفِيفٌ رَجِيمٌ ۝ رَبَّنَا إِنِّي أَكْتُ مِنْ قُرْبَىٰ بِرِوَادٍ
غَيْرِي ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ
فَاجْعَلْ أَوْبَقَهُ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمُ أَرْزُقُهُمْ مِنْ
أَثْمَرِهِمْ لَا تُكْرِهُهُمْ يُحْسِرُونَ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ
مَا نَحْنُ بِمَا نَعْمَلُ وَمَا يُخْفَىٰ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ
وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّىٰ عَنَّا عَلَى
الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝

﴿بيتك المحرم﴾: هي الكعبة التي حرم

الله التعرض لها بسوء أو التهاون بها.

﴿افئدة﴾: أي قلوبا.

﴿تهوى﴾: المراد تميل إليهم شوقا

وودادا.

المعنى: وسخر سبحانه لكم أيها الناس

الليل للراحة، والنهار للسعي، كما في الآيات

(٧١، ٧٢، ٧٣) من سورة القصص صفحة

٥١٧. ﴿وأتاكم من كل﴾ إلخ، أي هيا لكم كل

ما تحتاجون إليه في دنياكم مما شأنه أن

يطلب، سواء أطلبتموه أم لا.

وإن تعدوا ما انعم الله به عليكم ٧ يمكنكم حصر أنواعه فصلا عن إمراده؛ إن الإنسان

الذي قابل نعم الله بكفره أو عدم شكرها لشديد الظلم لنفسه حيث تعيب لها في لهلاك

و لعمران، كثير الكفر بمقدار النعم ثم أراد سبحانه أن يوبخ مشركي العرب على زعمهم أنهم

على ملة إبراهيم وإبراهيم منهم يرى فقال ﴿وإذ قال إبراهيم﴾ إلخ، أي واذكر أيها النبي

(١) الليل

(٢) وأتاكم

(٣) الإنسان

(٤) إبراهيم

(٥) أصنام

(٦) الصلاة

(٧) الثمرات

(٨) إسماعيل

(٩) إسحاق

لقومك قول أئبيهم إبراهيم بعد بناء الكعبة يأرب أجمل هذا البلد الذى فيه الكعبة دا أمن لكل من سكنه فلا طغيان ظالم، وأبعدنى وأبائى من أن يعبد الأصنام.

ثم بيّن سبب طلبه الحفظ من هذا الشر فقال- إن الأصنام تتسبب فى إصلال كثير من الناس بواسطة وسوسة الشيطان، فمن تبعنى من ذرىتى وأبتعد عنها فإنه منى أرجوك شموله برحمتك، ومن عصانى فإنه قادر على توبيخه للثوبة فيدخل فى مفترتك؛ وقال ابن كثير ذكر إبراهيم أنه افترى بالأصنام حلائق من الناس وأنه تبرا ممن عبدها، ورد أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم كقول عيسى عليه السلام إن تعذبهم فإنهم عبادك أنظر الآية (١١٨) من سورة المائدة صفحة ١٦١ ربنا إني أسكنت بعض ذرىتى بواد لا يبيت زرعاً يعيش عليه الإنسان عند بيتك الذى حرمت إهابته بمفلك دم بجواره أو إيذاء لاجئ إليه حتى من الحيوانات البرية كما تقدم أول سورة المائدة صفحات ١٢٤، ١٢٥. ياربنا أسكنت ذرىتى هنا ليقيموا الصلاة عند بيتك هيدوم ذكرك، هاجمل قلوبا خيرة تميل إليهم ميل محبة وشوق، واررقهم من الثمرات بأن تسخر من عبادك من يجعلها إليهم من كل ناحية، رجاء أن يشكروك.

ثم بيّن إبراهيم عليه السلام أن دعاءه هذا إنما هو إظهار للعبودية فقال ربنا إنك يستوى عندك علم سرا وعلا نيتنا، هأنذا أعلم بمصالحنا وأرحم بنا من أنفسنا، وما يخفى عليك يا الله شيء مطلقاً ولو صغيراً فى الأرض ولا فى السماء ولما كان الشكر يريد النعم ويجلب الرحمة، قال الحمد لله الذى وهب لى مع كبرى فى السن إسماعيل أولاً وإسحاق ثانياً إن ربى والله لمجيب دعاء المخلصين.

وقد وُجد له إسماعيل وكانت سنة ٩٩ سنة، وإسحاق وكانت سنة ١١٢ سنة.

المفردات: ﴿يقوم الحساب﴾ أى يقع ويتحقق كقولهم قامت الحرب.

﴿تشخص﴾: يرتفع جفنها وتبقى مفتوحة.

رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ
دُعَاءَنَا ① رَّبَّنَا اهْبِثْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ
الْحِسَابُ ② وَلَا تَحْزَنْ أَلَّهُ غَفُورٌ غَفِيلٌ ③ يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ
إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ④
مُهْطِعِينَ مُقْبِعِينَ رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ
هَوَاءٌ ⑤ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ
الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ لِنُجِبَ دَعْوَتَكَ
وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ ⑥ أُولَئِكَ تَكُونُوا آفَئِمَّةً مِّن قَبْلُ مَا لَكُمْ
مِّن رَّوَالٍ ⑦ وَمَنْ كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّنَ الَّذِي ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَصَرَبْنَا لَكُمْ
الْأَسْبَابَ ⑧ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِدَ اللَّهُ مَكْرَهُمْ
وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لَيُرَوَّلُ مِنْهُ الْجَبَلُ ⑨ فَلَا تَحْزَنْ أَلَّهُ

﴿مهطعين﴾: أى مسرعين فى ذل وانكسار، وهى حال من أصحاب الأبصار المفهومين من السياق.

﴿مقبعى رؤوسهم﴾: أى راععياها من غير التفات إلى شىء كانها مشدودة من الخلف فهى كالمقمع فى الآية (٨) من سورة يس صفحة ٥٧٩.

﴿لا يرتد إليهم طرفهم﴾: أصل طرف العين هو تحريك جفنها إلى أسفل، ويطلق على الجفن نفسه، وهو المراد هنا، والمعنى أن شعورهم أبصارهم دائم لا يزول من شدة الهول.

﴿وأفشدتهم هوا﴾ أى قلوبهم حالية من المم وورن الأمور كالهواء والحلاء الذى ليس به شىء، انظر الآية (١٠) من سورة القصص صفحة ٥٠٧.

﴿مالككم من روال﴾ أى لا يصيرون من الدنيا إلى البعث كما هى الآية (٢٨) من سورة النحل صفحة ٢٥٠

﴿مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ بالكسر والمعاصى كعاد وثمود.

(١) الصلاة.

(٢) ولوالدى

(٣) غافلا

(٤) الظالمون.

(٥) الأبصار.

(٦) مساكن

﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْمَذَابُ﴾. أى خوف الناس هول يوم يأتيهم فيه المذاب.

﴿مَكْرُوا مَكْرَهُمْ﴾. أى دبروا فى حفة كيدهم المظليع لإبطال الحق.

﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرَهُمْ﴾: أى علمه عنده، وهو قادر على إحباطه.

﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لَتَرُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ أى وأنه كان مكرًا شديدًا بلغ شدته أنه يكاد يربل الجبال. (إن) حرف شرط، وجواب الشرط مقدر مفهوم من سياق الكلام كما سيأتى، واللام فى (لترول) لتفعيل، ويسمى علماء العربية لام (كى) والمضى: وعند الله جزاء مكرهم. وإن كان مكرهم معدا لروال الجبال، أى الأمور العظيمة، فلن يبلغ مكر الله بهم.

كما يقال أنا أعلم من فلان وإن كان فلان معدا لحل عويصات المسائل، انظر الآيات (٥٤) من سورة البقرة صفحة ٧١، و(١٢٢، ١٢٤) من سورة الأنعام صفحة ٨٢، و(٢١) من سورة يونس صفحة ٢٦٩، و(٥٠، ٥١) من سورة النمل صفحة ٥٠٠.

المعنى قال إبراهيم عليه السلام فى دعائه يارب اجعلنى ووفقى لأن أؤدى الصلاة على أصولها ووفق من ذريتى لذلك من صلحت قلوبهم، ربنا استجب دعائى، ربنا أعمر لى ونوالدى، قال ذلك قبل أن يهواه ربه عن الاستغفار لأبيه كما تقدم فى الآية (١١٤) من سورة التوبة صمحتى ٢٦١، ٢٦٢ وأعمر يا رب للمؤمنين جميعا يوم يقوم الحساب بعدما فرغ سبحانه من تذكيرهم بما كان عليه أبوه إبراهيم، أراد أن يسلى من تعدى عليهم طغاة قريش ويهدد الكفار فقال ولا تحسبن أنها المحاطب ربك غافلا عما يعمل الظالمون من محاربة الإسلام وإيذاء المؤمنين، بل هو سبحانه عالم بكل صغيرة وكبيرة من أعمالهم، ولم يحل بعقوبتهم الشديدة لأنه قدر تأخيرها ليوم عبوس عمير عليهم غير يسير ثم صور حالهم فى هذا اليوم بما تتخلع له القلوب لو كانوا يعقلون فقال ليوم تشخص فيه أبصارهم، فلا تفر من هول ما ترى، حال كونهم مسرعين إلى الداعى كما فى الآية (٨) من سورة القمر صفحة (٧٠٥)، رافعين رؤوسهم لا يلتفتون إلى شيء، مثبتة أجمانهم فى أماكنها لا تطرف من الدهول، وقلوبهم كالهواء ليس فيها تمكير ولا تدبير من شدة الحيرة. وأنذر الناس أيها النبى وخوفهم من يوم يأتيهم فيه

العذاب الذى سمعتم بعض آثاره؛ فيقول الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصى ياربنا أحرنا أى أمهلنا وأخر عنا العذاب إلى أجل قريب نجيب دعوتك إلى التوحيد وتنسج الرسل فيما أمروا به، وهذا الكلام يحصل منهم فى موقفين عند الموت ومشاهدة مقدمات العذاب كما فى آيتي (٩٩، ١٠٠) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٤، والآية (١٠) من سورة الماعقون صفحة ٧٤٤ وعند مشاهدة عذاب جهنم فى الآخرة كما فى الآية (٢٧) من سورة الأنعام صفحة ١٦٦، والآية (٢٧) من سورة فاطر صفحات ٥٧٦، ٥٧٧. ويقال ردا عليهم: أتقولون هذا الآن وسيتم انكم اقسستم من قبل هذا الموقف أنكم إذا متم تبقون ميتين ولا تبعثون للحساب، فالمراد كمرتم بالبعث، وسكنتم فى الدنيا فى مساكن الظالمين من الأمم قبلكم، وعلمتم ما كانوا عليه من الكفر مثلكم يا كمار قريش، وتبين لكم كيف نكلنا بهم وعذبناهم على عملهم، وضررنا لكم الأمثال، أى بينا لكم صفات ما فعلوا وما حل بهم بصور بديعة كالأمثال السائرة لعلكم تعتبرون، فلم ينفع كل هذا فيكم ثم بين سبحانه فظاعة كيد مشركى العرب وكيف أحبطه فقال وقد مكر هؤلاء المشركون مكرهم المظليع لإبطال الدعوة، وعند الله علم كل شيء عن مكرهم هذا الذى بلغ من قوته أنه تكاد تزول منه الجبال عن أماكنها، أى أنه فى غاية لشدة فإن الله تعالى أقوى منهم مكرًا، فأبطل كيدهم وردّه إلى نحورهم ثم أراد سبحانه تثبيت المؤمنين على الثقة بوعده ربهم فقال ولا تحسبن أيها المحاطب لما رأيتم من إمهالنا لهؤلاء أن الله يحلف ما وعد به من عذابهم..

المفردات: ﴿مخلف وعده رسله﴾: أصل التركيب مخلف رسله وعده الذى وعدهم به.
 ﴿عزير﴾: غالب لا يقهر. ﴿مقربين﴾ أى مقرون كل واحد منهم مع شيطانه كما فى الآية (٩٤) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٥. ﴿فى الأصفاد﴾: جمع صنف بفتحتين وهو القيد من الحديد يوضع فى الأيدي والأرجل ﴿سرايلهم﴾: جمع سريال بكسر أوله وهو القميص
 ﴿قطران﴾: مادة سوداء تصل من نوع من شجر البادية تشبه الرقت المذاب، سريعة الالتهاب منتنة الرائحة.

﴿بلاغ﴾: كفاية. ﴿ربما﴾ كلمة تدل على قلة حصول ما بعدها وأريد بها هنا التهكم.

﴿ال﴾ تقدم الكلام على مثل هذه الحروف فى أول سورة البقرة

المعنى: فلا تحسبن الله معلفاً رسله ما وعدهم به من نصرهم، انظر الآية (٥١) من سورة غافر، والآية (٢١) من سورة المعادلة لأنه سبحانه غالب لا يسهه أحد عما يريد شديد الانتقام ممن كسر به وعصى رسله، فينتقم منهم يوم القيامة، يوم تبدل لأرض غير الأرض الموجودة الآن، وتبدل السموات كذلك، وبرز الإبس والجن جميعاً من قبورهم لعكم الله الواحد القهار لا يشاركه أحد في تصرفه وترى أيها الناظر المجرمين من الكافرين يوم القيامة معلولين في القيود مع شياطينهم، مدلية جلودهم بقطران كالسرابيل

لتسرع النار إلى جلودهم مع سواد اللون ونس الرائحة، وقطران الآخرة كنار الآخرة ليس له هي الدنيا نظير، والعياد بالله، وتمشى وجوه المجرمين النار.

يعمل الله بهم ذلك ليجزى كل نفس منهم جزاء ما كسبت هي الدنيا، إن الله سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب هذا القران كاف للناس لمصحبهم ولإبدارهم وتحويضهم من عذاب الله وليعلموا إد، حاهوا وتأملوا أنه لا إله إلا إله واحد، وليتذكر أصحاب المقول، أي يتذكروا عظمة ربهم فيتعبدوا عما فيه هلاكهم.

سورة الحجر

﴿تلك﴾ أي ما هي الصورة من الآيات هي آيات الكتاب المنزل من الله، الجامع بين كونه

كتبا كاملا ومقروءا، يبين الرشد من العي.

عَلِفَ وَعَدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٥١﴾
يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَدُّوا
فِي الرَّجَدِ الْقَهَّارِ ﴿٥٢﴾ وَتَرَى الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّبِينَ
فِي الْأَمْعَادِ ﴿٥٣﴾ سَرَّابِلُهُمْ مِنْ طَرْدٍ وَتَشَى وَجُوهُهُمْ
النَّارُ ﴿٥٤﴾ لَيَجْزِي اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿٥٥﴾ هَذَا بَلَدٌ قَالِسٍ وَيُذَرُّوْا بِهِ وَيُغْلَقُوا
أَنفُسُهُمْ وَرَحَدٌ وَلَيْلٌ كَرُّ أَوَّلُوا الْأَلْبَابِ ﴿٥٦﴾

(١٥) سورة الحجر مكية
وَأَيُّهَا تَشَى وَتَشَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَتَى نَفْسُكَ هَاتُ الْكِتَابِ وَتَرَى نَفْسُكَ رُبَّمَا

يُودُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ① ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا
وَيَسْتَحْمُوا وَيُلْهِيمُ الْأَمَلُ فَتًى يَنْتَوُونَ ② وَمَا
أَعْلَمُكَ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَمَّا كَانَتْ مُعْتَمِدِينَ ③ مَا تَسْبِقُ
مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَعِجِرُونَ ④ وَظَلُّوا يَأْتِيَهَا الَّذِي
رَزَقَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ إِنَّكَ تَعْجِرُونَ ⑤ لَوْ مَا تَأْتِيَا بِالْمَلِكَةِ
إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ⑥ مَا نَزَّلَ الْمَلَكُ إِلَّا
بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا سَفَرِينَ ⑦ إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الذِّكْرِ
وَأَنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ⑧ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ
الْأَوَّلِينَ ⑨ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ⑩ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ⑪
لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ⑫ وَلَوْ فَهَّمْنَا
عَلَيْهِمْ بَايَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا بِهِ بِمُرْجُوتٍ ⑬

المصردات.. «درهم»: أى اتركهم فى
شهواتهم. «ألا ولها كتاب معلوم»: هذه
الجملة صفة لقريه وقبرت بالواو لتأكيد
ربطها بالموصوف.

«يايها الذى نزل عليه الذكر» - قال
الكافرون ذلك على سبيل الاستهزاء، فبجهم
الله، انظر ما قيل من أمثالهم لئله ﷻ فى
الآية (٨٧) من سورة هود صفحة ٢٩٧.
«الذكر»: هو القرآن.

«لو ما» كلمة تدل على الحدث على فعل

ما بعدها.

«مضطرين» أى مؤخرين. «شيع» جمع شيعة وهى الجماعة المنتمية على مذهب واحد.
«نسلكه» أى يدخله كما يدخل الخيط فى الإبرة. «خلت»، أى مضت.

«سنة الأولين» أى طريقتهم فى الكفر بأبيائهم. وطريقة الله سبحانه معهم بحرمانهم
من الخير أو سرعة إهلاكهم. «هظلوا» أى صاروا مستمرين. «يمرحون» أى يصعدون إلى
السمااء.

المعنى . يمر بالكافرين أوقات عصبية يتمنون فيها كثيرا أن يكونوا أسلموا. وإنما أورده هى
صورة القليل للإرشاد إلى أنه كان يكفى فى حصول المراد، فالعرب تقول ربما تقدم على

(١) يمسحرون

(٢) باللائكة

(٣) الصادقين

(٤) الملائكة

(٥) لحافظون

ما فعلت، يريدون حتى لو كان المدم قليلا لوجب عليك أن لا تفعل ما يوجب، كيف وهو كثير، فاتركهم أيها النبي في غرورهم ولا تطمع في إيمانهم، يأكلون كما تأكل الأنعام ويتمتمون بدنياهم الفانية، ويشغلهم عن تدبر المواقب أمهم في طول الحياة، فسوف يعلمون سوء عملهم عند معاناة العذاب. وبعد ذلك أراد سبحانه أن يبين سبب تأخير العذاب في الدنيا عنهم فقال: ﴿وما أهلكنا﴾ إلخ؛ أي وما أهلكنا قرية من قرى الأمم السابقة بنفسها وأهلها مثلا إلا ولها أجل مقدر مكتوب في اللوح المحفوظ، لا يجيء هلاكها قبله، ولا يتأخر عنها إذا جاء أجل وبعد ما هدد سبحانه الكافرين شرع في بيان بعض جرائمهم التي فعلوها معه ﷺ ثم سلاه بأنه قد حصل ما حصل منهم من أمم سابقة مع رسالهم وكانت العاقبة للمتقين فقال: وقالوا أي كفار مكة تهكما واستهزاء: بأيها الذي يزعم أنه نزل عليه من الله القرآن، الواقع إنك مجنون، لأنك تدعي ما يخالف آياتنا وفعلنا رجائنا، وإلا فلم لم تأتنا بالملائكة لتشهد لك إن كنت من الصادقين. فرد سبحانه عليهم بقوله: ما نزل الملائكة إلا تنريلا مقتربا بالوجه الذي اقتضته الحكمة، فلو علمنا أنهم يؤمنون حقا إذا نزلناهم لفضلنا ولكنهم كادبون، وقد جرت سنتنا أننا إذا أنزلنا ما يطلب الكافرون ولم يؤمنوا أهلكناهم قورا وما كانوا مسطرين لحظة واحدة، انظر الآية (٥٩) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٢. ثم رد سبحانه على إنكارهم نزول القرآن على نبيه ﷺ فقال: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر﴾ الذي ينكروبه ﴿وإنا له لحافظون﴾ من كل ما يمس به سوء كدهاب أو تحريف أو زيادة أو نقص. ثم شرع في تسليته ﷺ فقال: ولقد أرسلنا من قبلك أيها النبي رسلا في جماعات الأمم السابقة وكانوا مثل أمتك ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون كذلك تدخل القرآن في قلوب متعدي الإجرام مستهزا به غير مقبول لعقد نفوسهم الاستعداد للحق، انظر الآية (٢٦) من سورة البقرة صفحات ٦، ٧ والآية (٥٣) من سورة الحج صفحة ٤٤١: فهم لا يؤمنون به أبدا، شأنهم في ذلك شأن الأمم السابقة فعاند وتحارب الرسل فيحرمهم الله من الهداية. ثم بين سبحانه سبب عدم هدايتهم وهو شدة عنادهم وعدم استعدادهم لقبول الحق فقال: ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فصاروا يصعدون فيه وينظرون إلى عجائب الملائكة الأعلى...

المفردات . «سكرت أبصارنا»: السكر حالة تمنع الشخص من الإدراك بسبب حمم أو غصب مثلا، والمراد هنا تمتعت أبصارنا عن الرؤية بسبب السحر. «في السماء»: المراد السماء

لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾
وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاطِلِينَ ﴿١٦﴾
وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيعٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ
السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا
وَالْقِيَامَةَ رَدَدْنَاهَا وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾
وَجَعَلْنَا لَكَ فِيهَا مَعَاشٍ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرُزْقِينَ ﴿٢٠﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا بَعْضُهُمْ أَرَاهُ وَمَا نَزَّلَهُ إِلَّا بَقْدِيرٍ
مُعَلَّمٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيْحَ لَتَوَفِّعَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَنبَتْنَا كُنُوزَهُ وَمَا أَنَّمْ لَهُ بِخَيْرٍ مِنْ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ
الْمُحْسِنُونَ ﴿٢٣﴾ وَثُمَّ نَزَّلْنَاهُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ
مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْرِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِن رِبَّكَ هُوَ
بِخَبْرِهِمْ إِنَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ

الدنيا. «بروجا». جمع برج وهو واحد من اثني عشر برجاً قسموا إليها الملك وهي منازل الكواكب أو هي النجوم الكبيرة، انظر الآية (١) من سورة البروج صفحة ٨٠٠. «استرق السمع»: استمع مستغفياً، مأخوذ من السرقة وهي أخذ الشيء خفية. «شهاب»: هو شعلة من نار.

«مبين»: أي ظاهر واضح لكل مبصر.

«رواسي»: أي جبالا ثابتة كما تقدم في الآية (٢) من سورة الرعد صفحة ٢٢١.

«موزون»: أي مقدر بمقدار معين اقتضته الحكمة. «معاش»: المعيش الحياة، يقال عاش فلان عيشاً، ومعاشاً ومعيشة أي حياً وصار حياً، ومنه قوله ﷺ اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، أي لا حياة دائمة إلا حياة الآخرة انظر الآية (٦٤) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٩. وتجمع المعيشة على معاش كما هنا وكما في الآية (١٠) من سورة الأعراف صفحة ١٩٢. والمعيشة هي حالة الإنسان التي يكون عليها في حياته من رخاء أو ضيق، وسعادة أو شقاء.

«ومن لستم له برارقيين»: أراد بهم العمال والخدم والدواب. «حزائنه»: أصل الخراة هي ما يحفظ فيها الشيء النقيس، والمراد بها هنا كناية عن كل ما يستغ به. «بقدر»: أي بمقدار. «لواقح»: جمع لاقحة بمعنى حامل. «ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين»: قال ابن عباس، المستقدمون هم كل من هلك من قبل آدم إلى الآن. والمستأخرون هم الأحياء الآن، ومن سيأتي إلى يوم القيامة، وراء عكرمة ومجاهد والصنعك وقتادة وغيرهم واحتاره ابن جرير. وقال الحسن المستقدمون في الطاعة والخبرات والمستأخرون المبطلون فيها.

(١) أبصارنا.	(٢) وزيناها.	(٣) للناظرين.	(٤) وحفظناها.	(٥) شيطان.	(٦) مددناها.
(٧) رواسي.	(٨) معاش.	(٩) برارقيين.	(١٠) الرياح.	(١١) لواقح.	(١٢) عاشقيناكموه.
(١٣) بخاريين.	(١٤) الوارثون.	(١٥) المستأخرين.	(١٦) الإنسان.		

المعى . لو أريناهم المعجرات الحسية رأى العين على أوضاع صورة لقالوا لشدة عبادهم إنما مبعث أبصارنا فقط عن نظر الواقع، ثم انتقلوا إلى التعميم فقالوا بل سحر محمد أبصارنا وعقولنا فصرنا لا نرى ولا نعقل حقائق بل خيالات، انظر مثله فى الآية (٧) من سورة الأبعاد صفحة ١٦٣، أى عمثل هؤلاء لا يسمع فيهم شيء وبعد أن بين سبحانه أنهم معاندون لا طلاب حق، أراد أن يبين أن أمامهم من الأدلة على وجود الصانع الحكيم وقدرته ووحدانيته ما كان يكفيهم لو أحصلوا فقال «ولقد جعلنا فى السماء بروجاً» أى جعلنا السماء وكواكبها وبحجومها رتبة للناظرين المتأملين، انظر الآية (٦) وما بعدها من سورة الصافات صفحة ٥٨٧، والآية (٥) من سورة الملك صفحة ٧٥٤ وحفظنا السماء من كل شيطان مرجوم باللعنة فلا يقربها، لكن من أراد احتطاف شيء من عالم الغيب مما يلقيه الملائكة بعضهم لبعض تبعه كوكب مشتمل ظاهر للعيان، انظر الآية (١٠) من سورة الصافات صفحة ٥٨٧، والآية (٥) من سورة الملك صفحة ٧٥٤، والآية (٨) وما بعدها من سورة الجن صفحة ٧٧١. ومن أراد تحقيق ذلك مع آية سورة الجن فليرجع إلى حديث رقم ٤٢٦ من كتابنا صفوة البحارى وقد بسطنا الأرض ومددناها طولاً وعرضاً ليتمكن الانتفاع بها كما تقدم فى الآية (٣) من سورة الرعد صفحة ٣٢١، وجعلنا فيها جبالاً ثوابت تحفظها من أن تميل وتتشتق كما تقدم فى سورة الرعد أيضاً، وأبناها فيها من كل شيء ورنن عناصره وقدرت تقديرها دقيقاً حسب حكمتنا، وجعلنا لكم فيها ما تعيشون به أنتم وأولادكم وخدمكم وحيواناتكم أى فرركم ورزقهم علينا لا عليكم، وذلك أن كل شيء ملكنا وتحت تصرفنا كما يملك صاحب الحرائر ما فيها، وما نزل مما عندنا على خلقنا إلا بمقدار محدود معين قضائنا الأزلى. ومن قدرتنا ورحمتنا بكم أيا يرسل الرياح حاملاً للمطر وكل ما فيه نعمكم، انظر الآية (٥٧) من سورة الأعراف صفحات ٢٠١، ٢٠٢ ولذا قال ما نزلنا من السماء أى من جهتها وهو السحاب فأسقيناكموه، ولستم بخازنى الماء العذب الذى رزقناكم به، بل حمظه فى باطن الأرض والأنهار بقدرتنا نحن، فهو منا إيجادا وحفظا، وبنا وحدنا لقادرون على إحياء من أردنا إحياءه، وإماتة من أردنا موته، ونرث الأرض ومن عليها فى النهاية. ولقد علمنا كل المتقدمين منكم فى الأزمان الأولى وأحصينا ما كانوا يفعلون، كما علمنا المتأخرين عنهم من كان حياً منهم أو سيوجد، وأن ربك أيها النبى هو الذى سيحشرهم يوم القيامة للحساب، إنه حكيم لا يخلق الخلق عبثاً كما فى الآية (١١٥) من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٦، عليم بعمل كل الخلق وسيجازى عليه...

مِنْ مَّصْلُصٍ مِّنْ حَمِيمٍ مُّسَوِّمٍ ۖ وَالْجَمَادُ خَلْقُهُ
مِنْ قَبْلِ مِّنْ نَّارِ السَّمُومِ ۖ وَإِذَا قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ
إِنِّي خَلِّقُ بَشَرًا مِّنْ مَّصْلُوسٍ مِّنْ حَمِيمٍ مُّسَوِّمٍ ۖ فَمَاذَا
سَوِّمَتْ وَتَفَعَّلَتْ فِيهِ مِنْ رُّوسٍ فَقَوَاهُ سَجِيدِينَ ۖ
فَجَدَّ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۖ إِلَّا إِبْلِيسَ ابْنِ
أَدَمَ يَسْكُونُ مَعَ السَّجِيدِينَ ۖ قَالَ بِكْرِيئِيسَ مَا لَكَ
أَلَّا تَكُونُ مَعَ السَّجِيدِينَ ۖ قَالَ لَأَنْ لِّي لَا أَتَجَدُّ لِشَيْءٍ
خَلَقْتُهُ مِنْ مَّصْلُوسٍ مِّنْ حَمِيمٍ مُّسَوِّمٍ ۖ قَالَ فَاتْرُجْ نَبَا
فَمَا نَكَ رَجِيمٌ ۖ وَإِنْ طَلَبَكَ أَلَمَةُ لَكَ يَوْمَ الدِّينِ ۖ
قَالَ رَبِّ فَطَيَّرْنِي لَكَ يَوْمَ يُعْتَوْنَ ۖ قَالَ فَمَا نَكَ مِنْ
السُّطْرِينَ ۖ إِنَّكَ يَوْمَ الرُّؤْيَى الْمَطْرُومُ ۖ قَالَ
رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَا أَزِيَنُ لَكَ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَهْوِيَنُ لَكَ

المفردات: «مصْلُص»: طين يابس
يصلصل أى يظهر له صوت إذا نقر عليه،
وإذا طبع في النار صار فخارًا، فهو قبل النار
كالفخار، انظر الآية (١٤) من سورة الرحمن
صفحة ٧٠٩.

«حما»: هو الطين الذي اسود من طول
مجاورته للماء. «مسوون»: هو المتغير ريحه،
انظر الآية (٢٥٩) من سورة البقرة صفحتي
٥١، ٥٥.

«السموم»: هو لهب النار الخالص
فإضافة النار إليه من إضافة العام إلى

الخاص ويسمونها الإضافة التي تكون للتبيين، أى تفيد أن المضاف إليه وهو هنا «السموم»
جاء يبين المراد مما قبله وهو «نار» كما في قولهم شجر كاهور، وماء مطر.

«خلقته من صلصال»: ذكر إبليس الصلصال، والحما ليشير إلى أنه خير من آدم وذريته،
وقد جاء ذلك صريحاً في الآية (١٢) من سورة الأعراف صفحة ١٩٢

«رجيم»: أى مرجوم باللعن من الله وجميع خلقه، فما بعده تفسير له.

«إلى يوم الدين»: إلى يوم القيامة، وفيه إشعار بتأخير عقابه الشديد غير اللعن إلى هذا
اليوم وأن اللعنة مع شدتها ليست وحدها جزاء فعله، وأن الجزاء الأوفى يعطيه به يوم القيامة،
ومنه الخلود في جهنم، وليس معنى ذلك أن اللعنة تنقطع عنه إذا جاء يوم القيامة، بل المراد أنه

(١) صلصال.	(٢) حما.	(٣) خلقه.	(٤) للملائكة.	(٥) خالق.
(٦) صلصال.	(٧) حما.	(٨) ساجدين.	(٩) للملائكة.	(١٠) الساجدين.
(١١) إبليس.	(١٢) الساجدين.	(١٣) صلصال.	(١٤) حما.	

عند ذلك اليوم يرى من الهول ما تصير معه اللعنة كأنها لاشيء؛ وبهذا نعلم أن اللعنة باقية تتبعه في جهنم، فيلعنه كل مَنْ فيها، ويلعنه المؤمنون، انظر آيات (٢٨، ٤٤) من سورة الأعراف صفحتي ١٩٨، ١٩٩ و (٢٥) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٤ و (٦٨) من سورة الأحزاب صفحة ٥٦١.

﴿انظرنى﴾ : أى امهلنى أى بدون موت.

﴿إلى يوم يبعثون﴾ : أى يبعث آدم وذريته للحساب والجزاء أراد بذلك أن يجد فسحة من الوقت تمكنه من إفساد أولاد آدم فيتأخر بذلك من آدم وذريته، وأراد أيضاً أن ينجو من الموت الذى يعم كل حى عند النسخة الأولى فى الآية (٦٨) من سورة الزمر صفحة ٦١٥، لأنه إذا أخر اليوم البعث الذى يكون عند النسخة الثانية التى عندها يحيى الأموات جميعاً وبذلك تتصل حياته بهذه الحياة، فلا يذوق الموت أبداً.

ولكن الله سبحانه لم يجب طلبه كاملاً، بل أخر موته ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ فقط وهو وقت النسخة الأولى التى بها فناء كل حى.

وإذا كان اليوم زمناً، والوقت زمناً، فما معنى إضافة الرمن للزمن؟ لمعرفة ذلك يجب أن تعلم أولاً أن المراد هنا من كل من ﴿اليوم، الوقت﴾ فالوقت هنا هو زمن وقت وغير لوقوع حدث فيه، والحدث هنا هو النسخة الأولى.

وإنما قلنا ذلك لأن هذه المادة تدل على التوقيت والتحديد، انظر ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ الآية (١٠٣) من سورة النساء صفحة ١٢٠، و ﴿إن يوم المصل كان ميقاتاً﴾ الآية (١٧) من سورة البأ صفحة ٧٨٧ إلى غير ذلك. واليوم المراد به الرمن الذى يبدأ بالنسخة الأولى وينتهى بالنسخة الثانية، فإضافة يوم إلى الوقت من إضافة الكل إلى الجزء من أجزائه كما تقول هذا بلد البيت العتيق، والبيت العتيق جزء من أجزاء البلد. فالمعنى إلى يوم فى اللحظة الأولى منه المعلومة عند الله وحده يحدث حدثاً عظيماً وهو النسخة الأولى التى بها تمسى الحلائق.

المعنى . . . ومن دلائل قدرتنا أيضا أنا خلقنا أول إنسان من تراب كما في آيات (٥٩) من سورة آل عمران صفحة ٧٢، و ٢٧ من سورة الكهف صفحة ٢٨٦، و (٧) من سورة السجدة صفحة ٥٤٥، فمجن بالماء فصار طينا كما في آية سورة السجدة المتقدمة، فمكت كثيرا حتى صار حمأ مسبونا، ثم يمس فصار صلصالا فالمراد من صلصال مأخوذ من حمأ مسبور، وخلقنا أول الجان من قبل خلق آدم من نار لا دخان فيها .

وأذكر أيها الرسول لقومك حين عظم ربكم أباكم آدم فقال للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فإذا تمت خلقه وجعلت فيه الروح التي هي سر من أسرارى فقعوا على الأرض ساجدين له، وقد تقدم في الآية (٢٤) من سورة البقرة صفحة ٨ معنى ذلك ﴿مسجد الملائكة كلهم﴾ أى لم يتخلف منهم أحد .

﴿أجمعون﴾ أى فى وقت واحد، لأن مادة الجمع تفيد ذلك خصوصا إذا فهم العموم من غيرها؛ لكن إبليس امتنع أن يكون معهم فى تعظيم آدم حسداً وكبراً كما فى آية سورة البقرة المتقدمة.

بعد ذلك أراد سبحانه أن يظهر ما انحطت عليه نفسه من الكبر فقال تعالى: يا إبليس أى غرض لك فى أن لا تكون مع الساجدين؟ قال إبليس لا يصح لى أن أسجد لمن هو أقل منى منزلة كما فى الآية (١٢) من سورة الأعراف صفحة ١٩٢، وقد تقدم فى سورة البقرة شرح القصة على الوجه الخالى من المناقشة.

قال سبحانه فاخرج من الجنة الرهيبة التى كنت فيها، والجنة التى كان فيها آدم كما تقدم فى سورة البقرة، فإبك مرجوم باللعة والبعد عن الرحمة، وإن ذلك الطرد دائم إلى يوم القيامة. قال : يارب حيث جعلتني رجيماً فأمهلى ولا تمتنى إلى يوم البعث. قال سبحانه فإبك من المنظرين إلى يوم البعث المحدد فى علمنا. قال : يارب بحق إغوائك لى لأزيتن لأولاد آدم المعاصى فى دار الدنيا، ولأحملتهم جميعاً على الغواية وهى الصلال والبعد عن الحق، انظر الآية (٨٢) من سورة من صفحة ٦٠٥.

أَتَقِيمُونَ ١٨ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ١٩ قَالَ مَتَى
 صِرَاطُكَ عَلَىٰ مُنْجِيٍّ ٢٠ إِذْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
 سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ أَمَرَكَ مِنَ الْعَالَمِينَ ٢١ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ
 لَتَوَعَّدْنَهُمْ أُجْمَعِينَ ٢٢ لَمَّا سَبَّحُوا بِحَمْدِكَ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ
 جُزْءٌ مَقْشُورٌ ٢٣ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ٢٤
 آدْنُوا مِنْ رَحْمَتِ رَبِّهِمْ ٢٥ وَرَحْمَتِي عَلَىٰ عَبْدِي مِنْ
 غُلٍّ أَوْ تَوَنَّا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ٢٦ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ
 وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ٢٧ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنَا أَنَا
 الْغُورُ الرَّحِيمُ ٢٨ وَأَنْ عَذَابِي مُرَالْعَذَابِ الْأَلِيمُ ٢٩
 وَتَبَيَّنَ عَنْ حَبِيبِ إِبْرَاهِيمَ ٣٠ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا
 سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ٣١ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا
 نَحْنُ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ٣٢ قَالِ ابْتَزِمْتَنِي عَنَّا إِنَّ مِثْلِي

المفردات : ﴿المخلصين﴾: تقدم في الآية (٢٤) من سورة يوسف صفحة ٣٠٦. ﴿صراط على﴾: أي طريق حق على أن أراعيه. ﴿ليس لك عليهم سلطان﴾: سلطان أي تسلط وقدرة على إغوائهم بجبرهم على الخضوع لك، وهذا لا يمنع من أن يحاول إغرائهم، انظر آيتي (٢٠٠، ٢٠١) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٥ أما التسلط بمعنى القهر وجبر العبد على المعاصي والكفر فليس في طائفة إبليس كما في آيات (٢٢) من سورة إبراهيم صفحة ٣٣٢، و (٩٩، ١٠٠) من سورة النحل صفحة ٣٥٩، و (٢٠) من سورة الصافات صفحة

٥٨٩. ﴿في جنات وعيون﴾. المراد هي مكان تحيط به الجنات والعيون، لا أنهم في العيون نفسها، انظر الآية (٥٤) من سورة القمر صفحة ٧٠٨ ﴿غل﴾: حقد ﴿نصب﴾: تعب انظر الآية (٣) من سورة العنكبوت صفحة ٨٠٥. ﴿صيف إبراهيم﴾: الملائكة المرسلون لقوم لوط كما تقدم في الآية (٦١) من سورة هود وما بعدها صفحة ٢٩٤. ﴿وجلون﴾: خائفون. ﴿بعلام﴾ وهو إسحاق كما تقدم في سورة هود الآية (٧١) صفحة ٢٩٥.

- (١) صراط
- (٢) سلطان
- (٣) أبواب
- (٤) جنات
- (٥) سلام
- (٦) آمين
- (٧) إخوانا
- (٨) متقابلين
- (٩) إبراهيم
- (١٠) سلاما
- (١١) بعلام

المعى: لأصلبهم أجمعين إلا عبادك المخلصين فإبى لا أستطيع إغواءهم. قال سبحانه. حفظ عبادى المخلصين من تصلبك حق على، فاحفظهم من إغوائك، فليس لك سلطان على أحد منهم، لكن مَنْ اتبعك من القابلين للإغواء، فإنك تستطيع إغواءه انظر آيات من (٩١ إلى ٩٩) من سورة الشعراء صفحات ٤٨٥، ٤٨٦ وأن جهنم هى المكان الذى وعدت بجمع العاوين فيه أجمعين لها سبعة أبواب بعدد دركاتها لكل درك باب، فالمنافقون فى الأسفل كما فى الآية (١٤٥) من سورة النساء لكل باب جرة منهم مقسام معين لا يتعداه. أما عباد الله الذين اتقوا معاصيه فهم فى جنات وعيون تجري منها الأنهار، تقول لهم الملائكة ادخلوها مصاحبين للسلامة من كل عيب آمنين من كل خوف، ولم تبق فى قلوبهم حقدا ولا حسدا كحال أهل الدنيا فتكون حالهم كحال الإحوة المتقابلين وهم جلوس على سرر بعالة من النعيم الفائق لا يعلمها إلا المتفصل بها، لا يمسهم فى الجنة تعب فى تحصيل رزق ولا غيره، ولا يخرجون منها، فهم فى نعيمها خالدون. وبمدا بين سبحانه جزاء مَنْ عصاه وَمَنْ أخلص وأطاع، ولما كان فى العصاة من هذه الخوف، أراد أن يفتح له باب الأمل فى الرجوع إلى الحق ليبعد عنه اليأس الذى يوقعه فى شرك الشيطان فقال تعالى: نبيأ أيها الرسول عبادى إني أنا الغفور لدوب مَنْ يتوب منهم، الرحيم بهم. فلا أمجل بمقوبتهم، وأخبرهم أيضا أن هذاى لمن أصر على معاصيه ولم يتب هو العذاب المؤلم.

ثم شرع سبحانه فى تذكيرهم بقصص مَنْ قبلهم وماحل بهم لما خالفوا رسلهم ليحملهم على التوبة فقال. ونبئهم عن ضيف إبراهيم من الملائكة الذين جاءوا فى صورة شبان لإهلاك قوم لوط حين دخلوا على إبراهيم فى طريقهم إلى قري قوم لوط، فقالوا سلم عليك سلاما، فقال سلام وقدم إليهم طعاما فلم يأكلوا، فقال إنا منكم خائفون أنا وأهلى من أن تكونوا رسل هلاك يشمل المؤمنين مع الكافرين، انظر آيات من (٧٠ إلى ٧٦) من سورة هود صفحات ٢٩٤، ٢٩٥. قالوا لا تعف إنا ملائكة ربك مررتا عليك لننشرك بفلام سيكون عالما كبيرا. فاستغرب من أن يأتيه ولد بعد هذه السن الكبيرة كما تقدم تفصيل القصة كاملة من كل وجه فى الآية (٦٩) وما بعدها من سورة هود صفحات ٢٩٤، ٢٩٥.

الْكِبَرُ قَمَّ تَبْشُرُونَ ① قَالُوا بَشَرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ
مِنَ الْفَاطِي ② قَالَ وَمَنْ يَنْقُصُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا
الْعَاسُونَ ③ قَالَ لَمَّا حَاطَبُكَ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ④
قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِيَّاكَ قَوْمَ تَجْرِينَ ⑤ إِلَّا آلَ لُوطَ
إِن لَّمْ جُوهْمُ أَجْمَعِينَ ⑥ إِلَّا أَمْرًا تَمَرُّ قَدَرًا إِنَّمَا لَيْتَنَ
الْعَبْرِينَ ⑦ مَتَى جَاءَ آلَ لُوطَ الْمُرْسَلُونَ ⑧ قَالَ
إِنَّمَا قَوْمٌ مُّكْرُونَ ⑨ قَالُوا بَلْ يَخْتَلِكُ يَمَّا كَانُوا مِنْ
يَمْتَرُونَ ⑩ وَأَتَيْتَكَ بِالْحَقِّ وَإِن لَّصَادِقُونَ ⑪ فَأَسْرِ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْقَاكَ
بِسُكْرٍ أَحَدٌ وَآمِنُوا حَيْثُ تَوَزَّمُونَ ⑫ وَتَصَبَّأْ إِلَيْهِ
ذَلِكَ الْأَمْرُ لَنْ دَارَ مَقُولَاهُ مَقْطُوعٌ مُّصِيبُونَ ⑬
وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ⑭ قَالَ إِنَّ مَقُولَاهُ

المفردات: . «الفاطين» : اليائسين.
«حطابكم» : امرؤكم الخطير الذي جاء بكم
على هذه الحالة.

«قدّرنا» : المراد قدر الله، والمرب تفهم
إذا قال رجال الملك قولاً إنه بأمر الملك.

«من العابرين» : أي الباقيين مع الهالكين.

وقد ورد هذا اللفظ سبع مرات في القرآن
هنا وفي الآية (٨٢) من سورة الأعراف
صفحتي ٢٠٥، ٢٠٦، والآية (١٧١) من سورة
الشعراء صفحة ٤٩٠، والآية (٥٧) من سورة
النمل صفحة ٥٠١، وآيتي (٣٢، ٣٣) من سورة
العنكبوت صفحة ٥٢٥، والآية (١٢٥) من سورة الصافات صفحة ٥٩٤، وكلها في هذه المراجعة فقط.

«مكروون» أي غير معروفين لنا.

«يمتروون» : يشكرون. «يقطع من الليل» : يجره من الليل.

«أدبارهم» أي خلفهم. «وقضينا إليه» : أي وأوحينا إليه أمراً مقضياً فيه.

(١) بشرياك

(٢) الفاطي

(٣) آل

(٤) العبرين

(٥) آل

(٦) جشاك

(٧) وأتيناك

(٨) لصادقون

(٩) الليل

(١٠) أدبارهم

﴿أَنْ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ﴾: هذا بيان للأمر الموحى به، والمعنى هالكون جميعاً.

﴿مُصْبِحِينَ﴾: أى داخلين فى وقت الصبح.

المعنى: قال إبراهيم هل تبشرونى مع كبرى، فبأى أمر عجيب تبشرون؟ قالوا: بشرنالك بالأمر المحقق فلا تكن من اليائسين، قال: أنا لا أعجب من ذلك فموطاً من رحمة ربى لأنه لا يقنط من رحمته إلا الهميدون عن معرفة قدرته تعالى، ولكن لأنه بعيد فى العادة التى أجراها سبحانه فى خلقه. وبعد ما أطمأن قال: وإذا كان الأمر ما ذكرتم فما هو الأمر الخطير الذى جاء بكم على هذه الصورة غير المعتادة فى هيئتكم وجمعكم؟ قالوا: إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين هم قوم لوط، لكن أهل لوط ستنجيهم أجمعين ماعدا امراته فإننا ننفذ فيها أمر الله بإهلاكها مع الهالكين.

فلما وصل الملائكة المرسلون من الله تعالى إلى جماعة لوط ورأهم لوط على الحالة التى رأهم بها إبراهيم قال أنتم قوم مجهولون لنا فماذا تريدون بنا؟ قالوا: ما جئناك بشر، بل بتحقيق ما كان قومك يكذبونك فيه وهو العذاب الذى توعدتهم به، وأتيناك بالأمر المحقق وإنا لصادقون فيما ننبئك. وإنما أكدوا له ذلك لأنه كان مضرباً خائفاً أن يعم الشر الجميع كما كان ذلك حال إبراهيم من العوف عليهم، انظر الآية ٣٢ من سورة المنكوت صفحة ﴿٥٢٥﴾.

ثم بدموا يرتبون كيفية نجاته فقالوا: فأسر بأهلك فى جزء من الليل ولا تنتظر النهار، وسر وراء أهلك حاثاً لهم على السرعة، ولا يلتفت منكم أحد إلى الخلف لئلا يصيبه أذى، واذهبوا إلى المكان الذى أمركم الله بالذهاب إليه وهو الشام. ثم قال سبحانه مخبراً نبينا ﷺ وأمته: وأوحينا إلى لوط ذلك الأمر، وهو أن هؤلاء مهلكون جميعاً فى وقت الصبح. وبعد ما أطمأن لوط كان خبر هؤلاء الشبان الحسنان الذين جاء الملائكة فى صورتهم، انتشر فى المدينة، وهى سدوم عاصمة الأردن فى ذلك الوقت، فجاء أهلها مستبشرين فرحين بأضياف لوط طعمة سائغة لهم، فقال لهم لوط أن هؤلاء الشبان ضيوفى..

شَقِيًّا فَلَا تَقْصُرْنَ ٥٥ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْرُونَ ٥٦
 قَالُوا أَوَلَمْ يَكُنْ مِنْ الْعَالِينَ ٥٧ قَالَ هَذَا لَآءِ بَنِي إِدْرِيسَ
 كُنْتُمْ قَبْلَهُ ٥٨ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ بِمَكْنُونٍ ٥٩
 فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّبِيحَةَ مُشْرِقِينَ ٦٠ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا
 وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مِحَالَةً مِنْ جَبَلٍ ٦١ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
 لِّلْمُتَذَكِّرِينَ ٦٢ وَإِنَّا لَنَسْبِلُ مَقِيمٍ ٦٣ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ
 لِّلْمُؤْمِنِينَ ٦٤ وَإِنْ كَانَ اتَّخَذُ الْإِنْسُ لُطْفَيْنِ ٦٥
 فَأَتَّخَصَّ مِنْهُمْ وَإِنَّمَا لِيَإْتِيَهُمْ ٦٦ وَلَقَدْ جَعَلْنَا
 اتَّخَذُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ٦٧ وَآتَيْنَاهُمُ آيَاتِنَا
 فَكَارُوا بِهَا مُتْرَضِينَ ٦٨ وَكَارُوا بِجَحْنُونَ مِنَ الْجَبَلِ
 يُورَثُ آيَاتِنَا ٦٩ فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّبِيحَةَ مُصْبِحِينَ ٧٠
 لَمَّا أَفْتَنَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْبُرُونَ ٧١ وَمَا خَلَقْنَا

المفردات: «لعمرك»: العمر بفتح العين
 أو ضمها هو الحياة، وإذا حلفوا به التزموا
 الفتح: هالمعى وحياتك.

«يعمرون»: يتحيزون
 ويتخبطون: «الصبيحة»: تقدمت في الآية
 (٦٧) من سورة هود صفحة ٢٩٤.

«مشرقين»: داخلين في وقت شروق
 الشمس.

«عاليها سافلها»: تقدم بيانهما في الآية
 (٨٢) من سورة هود صفحة ٢٩٦.

«سجبل»: تقدم بيانها كذلك في الموضع
 المشار إليه سابقا.

«المتوسمين»: المتفرسين الذين يعرفون الأشياء بسماتها أي علاماتها.

«لنيسبيل مقيم»: أي طريق لهم ثابت يمرون عليه كل حين، انظر آيتي (١٢٧، ١٢٨) من
 سورة الصافات صفحة ٥٩٥ «الأيكة»: أصلها الشجرة كثرة الأغصان، والمراد هنا بقعة كثيرة
 الأشجار بين ساحل البحر الأحمر ومدين.

«وإنهما»: أي من أرسل إليهما شعيب وهما «مدين» وأصحاب الأيكة». «إمام ميبين»
 أصل الإمام ما يؤتم به، وقد سمي به الطريق لأنه يرشد المسافرين، أي طريق واضح.

«أصحاب الحجر»: هم ثمود، والحجر مكانهم، وكان بين المدينة والشام «المرسلين»
 المراد نبينهم صالح ومن سبقه من الرسل لأن تكذيبهم لنبينهم تكذيب لكل من سبقه، انظر الآية
 (١٥٠) من سورة النمل صفحة ١٢٨، والآية (٥٩) من سورة هود صفحة ٢٩٢.

(١) العالمين.	(٢) فاعلين.	(٣) عاليها.	(٤) لآيات.
(٥) لآية.	(٦) اصحاب.	(٧) لطالين.	(٨) اصحاب.
(٩) وآتياهم.	(١٠) آياتها.	(١١) آمنين.	

المعنى: هؤلاء ضيوفي فلا تصمحوني بالإساءة إليهم، واتقوا الله ولا تذلوهم بإدلالهم. قالوا أو لم يسبق أنا نهيباك عن الدفاع عن أحد من الناس كافة، انظر الآية (١٦٧) من سورة الشعراء صفحة ٤٩٠. قال ﴿هؤلاء بناتى إن كنتم فاعلين﴾ تقدم شرحها في صفحة ٢٩٥. فقالت الملائكة للوط تعلمينا له: وحياتك إنهم لم يضلّوا المثلث منكم حتى جعلهم كالسكارى لا يعقلون، فهم يتخبطون على غير هدى، أى فلا تنتظر منهم خيرا وسنريحك منهم، انظر الآية (٨١) من سورة هود صفحة ٢٩٦. هاد بنهم الصبيحة في وقت الشروق، فجعلنا على قريتهم التى كانت تعمل الخبائث سافلها، وأنزلنا عليهم حجارة محمأة بالنار لسرعة القضاء عليهم وإن في هلاك هؤلاء وتدمير قريتهم آيات وعبرا لمن يتفكر ويتأمل وإنها لم يطرقت ثابت يملكه أهل مكة كل حين إذا سافروا إلى الشام للتجارة. فكان يجب أن يصكروا أو يمشوا، ولكنهم لا ينتفعون، لأن الآيات والعبر لا تنفع إلا المؤمن والمستعد للإيمان. وكان نبي الله شعيب أرسل إلى مدين التى كان منها، وأرسل أيضاً إلى أصحاب الأيكة وكان أجنبها عنهم ولذا وصف سبحانه هودا وصالحا ونوحا ولوطا كلا منهم بأنه أحو المرسل إليهم، انظر آيات (٧٣، ٦٥) من سورة الأعراف صفحات ٢٠٣، ٢٠٤، و (٦١، ٥٠) من سورة هود صفحات ٢٩١، ٢٩٢، و (١٠٦، ١٢٤، ١٦١) من سورة الشعراء صفحات ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٩، و وصف بذلك شعيبا في إرساله لمدين، انظر آيات ٨٥ من سورة الأعراف صفحة ٢٠٦، و (٨٤) من سورة هود صفحات ٢٩٦، ٢٩٧، و (٢٦) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٥، ولم يصفه بذلك في إرساله لأصحاب الأيكة كالأية التى معنا وآيتى (١٧٦، ١٧٧) من سورة الشعراء ٤٩٠ صفحة فقال: ﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين﴾ إلخ أى وإنه كان أصحاب الأيكة الذين أرسل إليهم شعيب ظالمين بتكديسهم نبيهم، فاستقمنا منهم بالظلة المبيبة في الآية (١٨٩) من سورة الشعراء صفحة ٤٩١.

وأما أهل مدين فأخذتهم الصبيحة كما تقدم في سورة هود، وإن مكان مدين وأصحاب الأيكة المرسل إليهم شعيب لفي طريق واضح يملكه أهل مكة في ذهابهم للشام. ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ وآيتياهم آياتنا الدالة على صدق نبيهم صالح كما تقدم في سورة هود، فاستمروا في الإعراس عنها وكانوا يتعذرون بيوتهم في جوف الجبال ليكونوا آمنين من هدمها ومن اللصوص وغير ذلك، فأخذتهم الصبيحة وقت السبيح فما أغنى عنهم ما عملوه من تحصين البيوت واستكثار الأموال، انظر الآية (١٤١) وما بعدها من سورة الشعراء صفحة

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَبِإِثْمِ
 السَّاعَةِ لَا يَبُذُّ فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٦٠﴾ إِذْ رَبَّكَ
 هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَكَ مَبَآئِينَ
 الثَّنَائِي وَالْقُرْآنَ الْكَرِيمَ ﴿٦٢﴾ لَا تَعْنُدْ صَعِيدَكَ الْكِبَرِ
 مَا مَنَعَهُمْ إِذْ رُوحًا بِهِمْ وَلَا تَحْرَنَ عَلَيْهِمْ وَأَخِضْ
 جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٣﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا الْبَشِيرُ الْنَذِيرُ ﴿٦٤﴾
 كَمَا أَرْسَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٦٥﴾ الَّذِينَ جَاءُوا الْقُرْآنَ
 عِصِينَ ﴿٦٦﴾ فَوَرَّبُّكَ لَتَقْلِبُنَّ أَجْمِينَ ﴿٦٧﴾ عَمَّا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ
 الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٩﴾ إِنَّا كَتَبْنَاكَ الْكَتَّابَ السُّرُورَ ﴿٧٠﴾ الَّذِينَ
 يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقُفُّ قُلُوبُهُمْ لِمَا يَكْفُرُونَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ
 نَعْلَمُ أَنَّكَ يَصِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٧٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ

انظر الآية (٧٢) من سورة الزمر صفحة ٦٠٩.

﴿والقرآن العظيم﴾: عطفه على ما قبله من قبيل عطف الكل على الجزء كما يقال: (رأيت وجه فلان وجسده كله).

﴿لا تمدن عينيك﴾: أي لا تنظر إليه نظرة راضية فيه.

﴿أرواها منهم﴾: أي أصابها من الكفرة كاليهود والنصارى والمشركين. ﴿واخضع جناحك﴾: كناية عن التواضع لهم والرفق بهم.

﴿المقتسمين﴾: هم اليهود والنصارى الذين قسموا القرآن إلى حق وباطل، فما وافق أهواءهم فهو حق وإلا فباطل.

﴿عصين﴾: مفرداها عصاة بكسر ففتح من عصيت الشيء بالتحديد أي فرقته فكل فرقة تسمى عصاة، وهو تسمير للتعظيم قبله.

(١) لآنية. (٢) الخلاق. (٣) أنيباك. (٤) القرآن. (٥) أرواها. (٦) القرآن.
 (٧) لنبالهم. (٨) كنيالك. (٩) المستهزئين. (١٠) إله.

المردات: . ﴿الساعة﴾: يوم القيامة.
 ﴿الصفح الجميل﴾: هو ما لا عتاب معه، قال ابن كثير: وكان هذا قبل أن يؤذن بفتحهم لأن السورة مكية والقتال إنما شرع في المدينة انظر الآية (١٠٩) من سورة البقرة صفحة ٢١.

﴿سبعا من المثاني﴾: هي سورة الفاتحة لأنها سبع آيات تنشئ أي تكرر قراءتها في كل صلاة، فالمثاني جمع مثني بضم أوله وفتح ثانيه وتشديد النون مفتوحة، والمثني هو المردد، المكرر، لتكرر قراءته دون ساءم أو ملل بل بإقبال نفس وشوق، وأيضا لتكرر براهينه ومواظبه وقصصه بصور مختلفة لقطع سبل المذر على من يحاول الاعتذار يوم القيامة

﴿فاصدع﴾: أى اجهر.

﴿كفيالك﴾: أى كميناك شرهم، وحفظناك منهم.

المعنى: . بعد ما ذكر من قصص الأولين ما فيه عبرة للمعتبر، أراد أن ينبه إلى عبرة أخرى هي أن خلق السموات والأرض وما بينهما على هذا النظام لا بد أن يكون لحكمة هي عبادة خالقها والإصلاح فيها والبعد عن الإفساد فقال سبحانه وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا خلقا مفتونا بالحق لا باطلا ولا عبثا. انظر الآية (١٦) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢١، والآية (٢٧) من سورة ص صفحة ٦٠٠.

وإن الساعة لأتية قطعا فيستقم الله لك ممن كذبك، فلا تحرص على سرعة الانتقام منهم بل عاملهم معاملة الصفوح الحكيم حتى يأذنبك بتأديبهم، إن ربك هو الذي خلقك وخلقهم، وهو العليم بعالك وحالهم، وسيعامل كلا منكما بما يستحق. ولقد أكرمناك بإعطائك فاتحة الكتاب والقرآن العظيم، ومن يعطى هذه النعمة العظمى لا يصح منه أن يرى أن هناك نعمة أعلى منها يرغب فيها.

وعلى هذا فلا يصح لمؤمن أن يمد عينيه وينظر إلى ما امتع الله به أصناف الكافرين من زخارف الدنيا الرائلة، فلا تحزن أيها النبي أى لا تحزن عليهم إذا لم يؤمنوا، وتواضع لمن معك من المؤمنين وعاملهم برفق فإنهم هم الذين ينصرك الله بهم.

وقل لهؤلاء المشركين إني نذير لكم وأصح الحجة بمذاب إذا لم تؤمنوا

ولما كان إيتاء القرآن هو إزاله قال سبحانه: ﴿كما أنزلنا﴾ إلخ، أى أنزلنا عليك الفاتحة والقرآن كما أنزلنا على من قبلك من اليهود والنصارى التوراة والإنجيل فافقتسموا القرآن وحملوه أجزاء آمنوا ببعضها وكفروا بالآخر تسعا لأهوائهم لا للحق في ذاته والمراد أن هذا سيحصل من اليهود والنصارى قطعا حتى كأنه حاصل الآن وإن كان لم يحصل فعلا إلا بعد هجرته إلى المدينة واحتلاله بهم، وإنما سارع سبحانه بإخبار رسوله بما سيكون لئلا يفاجأ بما يزعجه، انظر نظير ذلك في الآية (١٤٨) من سورة الأنعام صفحة ١٨٨.

رَبِّكَ وَسَكُنْ مِنَ الْجُنُودِ ۝ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ
يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ۝

(١١) سُوْرَةُ النَّحْلِ ثَمَانِيَّةٌ
وَأَرْبَعُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنِّي أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْبِيحُهُ سُبْحَةً وَتَعْلَىٰ عَنْ
يُسْرِكُونَ ۝ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ
مَنْ يَشَاءُ مِنْ مَخَابِيهٖ أَنْ يُدْرُوا أَمْرَ اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَاقْبَلُونَ ۝ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعْلَىٰ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْقَةٍ مَّا ذَا هُوَ
غَصْبٌ مِّنْهُنَّ ۝ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ

فوريك أيها النبي لنفسك أنتهم جميعا عن
هذا التقسيم الباطل وتجازيهم عليه. فاجهر
بتبليغ ما أمرك ربك بتبليغه، ولا تلتفت لما
يقول الكافرون، ولا تخف لأننا كمينناك شر
هؤلاء الطفلة الذين يستهزئون بك ويمنون
آمن معك وبما أنزل عليك، انظر الآية
(١٤٠) من سورة النساء صفحات ١٢٦، ١٢٧
وآيتي (٥٢، ٥٣) من سورة الأنعام صفحة
١٧٠.

هؤلاء المستهزئون هم الذين يجعلون مع
الله إلها آخر هموف يعلمون عاقبة إجرامهم
وأنها وبال عليهم في الدنيا والآخرة. ولقد
نعلم إنك أيها النبي يصيق صدرك بما

يقولون في القرآن من أنه سحر، وفيك بامك كاهن ومجنون. انظر الآية (٢٣) من سورة الأنعام
صفحة ١٦٧، والآية (٤٢) من سورة الحاقة صفحة ٧٦٤، فلا تحزن والجا إلى ربك، وستمن
بتسبيحه عليهم ..

«البقيين»: هو الموت لأنه متمين حصوله لكل حي حتى صار كأنه هو البقيين نفسه.

سورة النحل

المعردات.. «أتى أمر الله»: أي أن الأمر الذي وعدكم بركم به آت ولا بد حتى كأنه أتى فعلا.
«بالروح»: الروح هنا هو الوحي الذي يشمل القرآن وغيره من كتب الأنبياء وكل ما يلقى به
الله سبحانه لهم مما فيه منفعة للخلق، انظر تفصيل ذلك في شرح الآية (٨٥) من سورة
الإسراء صفحة ٢٧٦.

«أمره»: أي أن هذا القرآن من أمر الله وسر من أسرار.

﴿نطفة﴾: انظر شرحها في الآية (١٣) من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٦.

﴿خصيم﴾: شديد الخصومة والجدل.

﴿مبين﴾: ظاهر الخصومة.

﴿الأنعام﴾: هي الإبل والبقر والغنم.

﴿دهء﴾: ما يستدفأ به لدفع البرد من وبرها وصفوها وشمرها كما في الآية (٨٠) الآية في

هذه السورة صفحة ٣٥٦.

المعنى - فاستمن بتمسيح ربك وكن من المحافظين على الصلاة، فإنها تعين على كل شدة كما

في الآية (٤٥) من سورة البقرة صفحة ١٠، واعبد ربك حتى يأتيك الموت.

ولما كان كمار مكة يستعجلون العذاب الذي وعدهم به القرآن ويقولون باستهزاء متى هذا

الوعد، انظر آيات (٤٨، ٥١، ٥٢) من سورة يونس صفحة ٢٧٤، رد سبحانه بقوله: ﴿أتى أمر

الله﴾ أي قرب قريبا شديدا حتى كأنه وقع فأريعوا أنفسكم من استعجاله، تنزه الله تنزيها

عظيما وترفع عما يشركون به من أصنام لا تقدر على خلق أضعف شيء وهو الذباب كما في

الآية (٧٣) من سورة الحج صفحة ٤٤٤. ينزل الملائكة بالوحي من قرآن وغيره على من يشاء

اتخاذهم رسولا من عباده قائلًا لهم أنذروا الخلق بأنه لا إله إلا أنا الواحد القادر فاتقوا

ما يفضيكن.

بعد ما ذكر سبحانه أنه لا إله إلا هو أراد أن يبين بعض أدلة ذلك لعل الكفار يتبهنون لها

فيرجعوا عن ضلالهم. وكل ما في السورة يدور حول هذا الموضوع، فقال خلق السموات والأرض

مقترة بالحق لا للهو واللعب كما تقدم في صفحة ٢٤٤. تنزه وترفع سبحانه وتعالى عما

يشركون به، وخلق الإنيمان من نطفة سائلة لاتماسك فيها ولا تحفظ شكلا، فتسى هذا الإنسان

أنه مخلوق من ماء مهين، وتبجح على خالفه، وأكر قدرته بأسلوب محاصمة ظاهرة، فقال

منكرا البعث ﴿مَنْ يَحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ الآية (٧٨) من سورة يس.

﴿والأنعام خلقها لكم﴾ يا بني آدم تأخذون منها ما تستدثنون به...

وَمَنْعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ① وَتَكْرِمُهَا جَعَلِ حَيْثُ تُرْمُونَ
وَحِينَ تَسْرَحُونَ ② وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّا تُسْكُرُونَ
بَنِيَّ إِلَّا رِجْجَ الْأُفْسِ ③ إِذْ رُنْكَرْتُمْ وَقَ رَحِمَ ④
وَالْحَيْلُ وَالْأَعْلَىٰ وَالْحَمِيرُ لِيَرْكَبُهَا وَرِيَّةٌ وَبِحُلُقٍ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ⑤ وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَاذِبٌ وَلَوْ شَاءَ
لَهَدَمْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ⑥ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
لَّكُمْ مِثْرَ شَرَابٍ وَمِنْهُ تُخْرِجُ بُيُوتَكُمْ ⑦ بَيْتُ لَكُمْ فِي
الزَّرْعِ وَالزَّيْتُونِ وَالنَّحِيلِ وَالْأَنْهَابِ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ⑧ وَتَحَرَّكَ الْبَلَدُ
وَالنَّهَارَ وَاللَّيْلَ وَالنَّجْمُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُتَحَرِّكٌ بِقُرْبِهِ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ⑨ وَمَا ذَرَأْنَاكُمْ
فِي الْأَرْضِ مُتَعَلِّقًا أَلْوَانَهُ ⑩ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ

المصدرات: جمال زينة وحسن منظر.

«تريحون»: أي تردونها في المساء من المرعى إلى مراحيها معتلة البطون والصروع ولدا قدمه.

«وحين تسرحون»: أي تخرجونها في الصباح إلى معارحها ومراعيها تقول العرب سرح فلان ماشيته بوزن نفع إذا أخرجها صباحا للمرعى ويقولون سرحت الماشية إذا خرجت للمرعى، فعل «سرح» عتمد ولارم والمراد هنا تخرجونها.

«أثقالكم»: أحمالكم الثقيلة.

«رغوف رحيم»: رغوف يرفع كل بلاء ومشقة «رحيم»: يصم إلى رفع البلاء الإحسان إلى عباده.

«قصد السبيل»: السبيل هو الطريق مطلقا، والقصد في الأصل مصدر أريد به القاصد أي المستقيم، أي على الله بيانها، انظر الآية (١٠) من سورة البلد مع الآية (١٢) من سورة الليل صمحتي ٨٠٨، ٨١١ «ومنها حاش» أي ماثل وبعيد عن الاستقامة انظر الآية (١٥٣) من سورة الأنعام صفحة ١٨٩. «تسيمون»: أي تجعلون أفعالكم ترمي فيه.

«درا لكم»: أصل معنى الدرا بث الأشياء وتكثيرها والمراد خلق بتقدير ونظام.

المعنى: وخلق لكم سبعا هي الأنعام منافع كتسلها ولبنها وركوبها، ومن لحومها وشحومها تاكلون، ولكم فيها بهجة حين تريحونها مساء، وحين تسرحون بها صباحا، ومن فائدة بعضها وهي الإبل أنه تحمل منافع الثقل إلى بلد بعيد لم تكونوا واصلين إليه لولاها إلا بعشقة

(١) ومنافع. (٢) بالعمية. (٣) لهداكم. (٤) والأعصاب. (٥) الثمرات. (٦) لآية (٧) الليل. (٨) مصغرات. (٩) لأيت. (١٠) ألوانه. (١١) لآية

شديدة على أنفسكم، إن ربيكم رموف بكم في كل ما يثيق عليكم رحيم بعموم إحسانه إليكم في كل شيء من دفع مشقة وجلب أسباب التعميم والمصرة. وحلق لكم الخيل والبغال والحمير لتركبوها، وجعل لكم من منظرها زينة وبهجة لمن يركبها، وسيخلق لكم في المستقبل غير هذه مالا تعلمونه الآن، وقد صدق وعده وحلق القطارات والسيارات والطائرات وماراثت قدرته تخلق للإنسان ما لا يعلم، ومما تقدم نعلم أن أهم ما يقصد من الإبل هو حمل الأثقال، المسافات البعيدة وأهم ما يقصد من الخيل ورميلتيها «اليعال والحمير» هو الركوب، وهذا لا يمنع أنه قد يستعمل كل مما ذكر في أغراض أخرى كالحمل على البغال مثلاً والركوب على الإبل. ولما كانت حكمة خلق الإنسان هي عبادة الله وعمارة الأرض كما هي الآية (٣٠) من سورة البقرة صمحتي ٨، ٧ والآية (٥٦) من سورة الداريات صفحة ٦٩٦ أراد سبحانه أن ينيه إلى أنه سبحانه أرسل رسله لبيان طريق الخير المحقق للحكمة فقتل وعلى الله بيان الطريق المستقيم كما هي الآية (١٥٣) من سورة الأنعام صفحة ١٨٩، ومن الطرق ما هو معروف بعهد عن الخير، ولو شاء لجبر الناس على الهداية كالملائكة ولكن لا تكون الدنيا على هذا النظام، انظر بيان ذلك في الآية (٣٩) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨ والآية (٩٩) من سورة يونس صفحة ٢٨١، وهو سبحانه الذي أنزل من جهة السماء ماء بمضه شراب لكم ويعصه يبيت منه الشجر، والمراد الروع الذي ترعاه الأنعام التي منها اللبن واللحوم والكساء، ويبت به الروع الذي يخرج لما حبوباً، والزيتون والمحيل والأعصاب وغير ذلك من كل الثمرات.

إن هذه الأعمال الجليلة لأدلة واضحة على وجود صانع حكيم يستفح بها أرباب العقول المفكرة، انظر الآية (٢٤) وما بعدها من سورة عبس صفحة ٧٩٢، وسفر لكم الليل لتستريحوا، فيه والتها للسمي على الرزق، والشمس وعليها حياة الحيوان وبقاء النبات، والقمر لمعرفة عدد السنين والحساب، والنجوم مسخرات لكم بأمره لتتهتدوا بها في ظلمات الليل، إن في كل ذلك لآيات وبراهين لقوم يعقلون، ومن دلائل قدرته تعالى ودقة صنعه ما أوحده بكثرة في الأرض من عجائب خلقه مثل المعادن والجبال والحيوان والنبات بألوان مختلفة يستدل باختلافها على وجود صانع حكيم كل متذكر متعظ متببه لما حوله، انظر آيتي (٢٧، ٢٨) من سورة فاطر

الْكِبَرُ لَمْ يَنْشُرُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَشْرُوكُ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ
مِنَ الْقَاطِعِينَ ﴿٥٢﴾ قَالَ وَمَنْ يَفْقَهُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا
السَّائِرُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَمَّا حَاطَبُكَ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٤﴾
قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ قَوْمَ تَجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ
إِنَّا نَحْمِيهِمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٦﴾ إِلَّا أَمْرًا قَدَرْنَا لَهَا لَتَيْنِ
الْعَاقِبِينَ ﴿٥٧﴾ فَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٨﴾ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ يَجْعَلُكَ بِمَا كَانُوا بِهِ
يَعْتَبِرُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦١﴾ فَأَسِرْ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أذُنَهُمْ وَلَا يَلْقَئِكَ
مَكْرَ أَحَدٍ وَأَنْصُوا حَتَّى تُزْمَرُونَ ﴿٦٢﴾ وَتَصْبَا إِلَيْهِ
ذَلِكَ الْأَمْرُ لَنْ دَارَ عَتُلَاءَ مَقْطُوعٍ مُصْبِحِينَ ﴿٦٣﴾
وَجَاءَ أَهْلَ السِّبْيَةِ يَنْشُرُونَ ﴿٦٤﴾ قَالَ إِنَّ عَتُلَاءَ

المفردات: ﴿القائطين﴾. اليائسين.
﴿حطبك﴾: امركم الخطير الذي جاء بكم
على هذه الحالة.

﴿قدرنا﴾: المراد قدر الله، والمرب تفهم
إذا قال رجال الملك قولاً إنه بأمر الملك.

﴿من الغابرين﴾: أى الباقين مع الهالكين.

وقد ورد هذا اللفظ سبع مرات في القرآن
هنا وفي الآية (٨٢) من سورة الأعراف
صفحتي ٢٠٥، ٢٠٦، والآية (١٧١) من سورة
الشعراء صفحة ٤٩٠، والآية (٥٧) من سورة
العمل صفحة ٥٠١، وآيتي (٢٢، ٢٢) من سورة
المعنوت صفحة ٥٢٥، والآية (١٢٥) من سورة الصافات صفحة ٥٩٤، وكلها في هذه المرات فقط.

﴿منكرو﴾ أى غير معروفين لنا.

﴿يعتبرون﴾، يشكون. ﴿يقطع من الليل﴾: يجرء من الليل.

﴿أدبارهم﴾ أى حلمهم. ﴿وقضينا إليه﴾: أى وأوحينا إليه أمراً مقضياً فيه.

(١) بشرناك

(٢) القاططين

(٣) آل

(٤) العاقبين

(٥) آل

(٦) جثثك

(٧) وأنتهاك

(٨) لصادقون

(٩) الليل

(١٠) أدبارهم

المعنى: . والله هو الذى سخر البحر بقسميه المالح والمذب كما هي الآية (١٢) من سورة طاهر صفحة ٥٧٢ لتأكلوا منه سمكا طارحا وتستخرجوا منهما ثلثا وكل مايتحلى به الإنسان خصوصا النساء، ومن فضله أنه سخر لكم البحر لتجرى السفن فيه لحمل أمتعتكم وأقواتكم، ولتطلبوا فصل الله بالتجارة هتقل بصائمكم الثقال لعلكم تعرفون فضله فشكروه بطاعته والبعد عن معصيته، وجعل فى الأرض جبلا ثابتة تحفظ الأرض أن تميل وتتمتد، وجعل فيها أنهارا للشرب والزرع وطرقا لعلكم تهتدون فى السير إلى مقاصدكم، وجعل فى الطرق علامات تدل السائر إلى اتجاهه، وجعل البحوم لموائد، منها الاهتداء بمواقعها على السير فى البر والبحر.

وبعد ما عدد هذه النعم الدالة على عظيم قدرته سبحانه، أراد أن يذكر على المشركين عملتهم فقال «أمن يخلق» إلخ، أى هل يصح أن تجهلوا فتنسوا من يخلق هذه العجايب بأصنامكم التى لاتخلق شيئا؟ أهلا تتأملون فتعلموا فساد عملكم، وماذا لكم بعض يسير من نعم الله تعالى عليكم التى إن حاولتم عدها استحال عليكم حصرها، ومع هذا جحدتموها وكفرتكم به، فكان حقكم الهلاك، ولكنه سبحانه غفور لما فرط منكم من التقصير فى شكرها (إدا رجعتن عن غيكن، رحيم لايجهل بعتوبكن ليضح المجال للثوبة).

ثم أراد سبحانه أن يبين خواص الإله الحق وهى علم السر والجهل والخلق لكل شيء، ليقارنوا فيعلموا أن ليس فى الأصنام شيء منها فقال والله يعلم كل شيء ويستوى عبده السر والجهل، والذين يعبدهم المشركون لايخلقون شيئا بل هم أنصمهم مخلوقون له تعالى، وهم أموات الآن وغير قابلين للحياة فى المستقبل أبدا، ولا يعلمون متى يبعث عبادهم من القبور، والإله الذى يجهل وقت يبعث عبادهم أعجز من ذبابه وأجهل من فراشة.

وإذا كان الأمر كذلك فيجب أن تعلموا أن إلهكم الحق هو إله واحد، أما الذين لا يؤمنون بالبعث فقلوبهم متحجرة منكرة للوحدانية لأنهم عارضون فى الكبر وهو أساس كل مصيبة، انظر الآية (٢٤) من سورة البقرة صفحة ٨، ثم توعدهم بالعقاب فقال لاشك أن الله يعلم سرهم وعلايتهم، وسيجزيهم بأشد العقاب.

إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٣٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَعَا أَرْتَلْ
رُسُكًا قَالُوا أَسْمِعُوا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ
كَمَلَّةٍ يَوْمَ الْفِتْنَةِ وَمَنْ أَوْزَارَ الَّذِينَ يُصَلُّوهُمْ بِغَيْرِ
عِلْمٍ أَلَمَاءٌ مَا يَرُدُّونَ ﴿٣٩﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَاتَى اللَّهُ نَجِيَّتَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ
قَوَاعِهِمْ وَأَنْهَارُهُمْ أَنْعَادٌ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٠﴾
ثُمَّ يَوْمَ الْفِتْنَةِ يُخْرِجُهُمْ وَيَقُولُ اتَّبِعُوا الَّذِينَ كُنْتُمْ
تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخُرَى الْيَوْمَ
وَالسُّرَةُ عَلَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ
طَالِينَ أُنْفُسِهِمْ فَانْقَرَأَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابُ نَعْتَلُ مِنْ سُورَةِ
مَنْ إِنْ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ فَأَدْحَلُوا أَبْوَابَ
جَهَنَّمَ خَنِيذِينَ فِيهَا عَنَسٌ مَنُورٌ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٤٣﴾

المفردات: - «أساطير»: جمع أسطورة
وهي الأكذوبة كما في الآية (٢٥) من سورة
الأنعام صفحتي ١٦٥، ١٦٦.

«أوزارهم»: ذنوبهم «ومن أوزار»: «من»
هنا تبعيضية، والمراد ومثل بعض أوزار الذين
تبعوهم، وهذا البعض من الذنوب هو الذنوب
التي ارتكبوها هؤلاء المفسدون بهم بسبب إغراء
زعماء الكفر، أما ذنوب الأتباع التي ارتكبوها
من غير إغراء فلا يتحمل المفسدون مثلها.
«الآ»: حرف يدل على أن قصد المتكلم تنبيه
السامع لما يذكر بعد لحظورته. «يزرون»:
يعملون من الوزر. «مكر الذين من قبلهم»:

وهم الأمم الكافرة بأسلافها. انظر الآية (٤٢) من سورة الرعد صفحة ٢٢٨. «فاتى الله»
بنيانهم من القواعد» القواعد هي الأسس التي يقوم عليها البناء، والكلام كناية عن إبطال
مكرهم من أساسه وإهلاكهم. «فخر عليهم السقف» خر السقف أي سقط «تشاقون»
تخاصمون وتنازعون الأنبياء هي شأنهم وترعمون أنهم شركاء لله حقاً. «الذين أوتوا العلم»

(١) أساطير

(٢) القيامة

(٣) بنيانهم

(٤) وأنهم

(٥) القيامة

(٦) شركائهم

(٧) تشاقون

(٨) الكافرين

(٩) تتوهم

(١٠) ملائكة

(١١) أبواب

(١٢) حالين

من أهل الموقف يوم القيامة وهم الأسياء انظر الآية (٤١) من سورة النساء صفحة ١٠٧ و آية (٨٩) من هذه السورة صمحتي ٢٥٨، ٢٥٧ ﴿الحرى﴾ الدل والهوان. ﴿السوء﴾ العذاب ﴿هأنقوا السلم﴾ السلم الاستسلام والحصوع. ﴿بلى﴾ حرف يدل على إبطال النفي قبله وإثبات نقيضه، انظر الآية (١٧٢) من سورة الأعراف صفحة ٢٢١. ﴿مئوى﴾ مكان إقامة.

المعى . إن الله لا يحب من استكبر عن قبول الحق. ومن كرهه الله هلك. وإذا قيل لهؤلاء المستكبرين لعلنا نظركم إلى ما في القرآن من البراهين ما الذي أمركم على محمداً؟ قالوا هذا الذي ترعمون نروله من الله ما هو إلا ترهات وأباطيل منقولة عن الأولين. انظر ما هي آيات (١، ٥، ٦) من سورة العنكبوت صمحتي ٤٧٠، ٤٧١. وإنما أوقعهم الشيطان في هذا القول الباطل لتكون عاقبة أمرهم أنهم يجمعون يوم القيامة بين عقاب دنوبهم كاملة وعقاب مثل دنوب الذين غرروا بهم وأصلوهم وهم لا يعلمون أنهم مصللون، أي هم جهلاء في هذا، وحطر الجهل هي العقائد مما لا يحصى. وبين ذلك ﴿بلى﴾ بقوله من سئ سئ سيئة فعلية وررها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة الا قبح ما يحملون من الأوزار المضاعفة، انظر الآية (١٣) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٢ ثم هددهم سبحانه بأنه سيحل بهم مثل ما حل بمن عمل فعلهم مع أسيائهم فقال قد مكر. أي دبر الكيد في حماة الكافرون من قبلهم لأببيائهم فأبطل الله تعالى كيدهم من أساسه وجعل وباله عليهم. وفي الكلام تمثيل حال مشركي مكة بحال مشركي الأمم السابقة في إبطال مكرهم وتعميدهم وبجاء الرسل ثم يوم القيامة يحريهم ويقول توبيحاً لهم أين ما حملتموهم شركاء لي وكنتم تداهمون عنهم وتنازعون رسلي برعكمم أنهم شركاء حقاً؟ وعندما يجرون عن الجواب يقول الأنبياء الشهداء عليهم إن الحرى والهوان اليوم والمذاب واقع على الكافرين الذين استمروا على كفرهم حتى توفيتهم رسل الموت والحال أنهم ظالمون أنفسهم بالشرك. عند ذلك يستسلمون ويخضعون قائلين كدبا من شدة الدهشة. ما كنا في الدنيا بعمل شيئاً من المعاصي. فيقول لهم الملائكة والأنبياء كلا فقد كدبتم لأنكم عملتم أظلم المعاصي. والله سبحانه عليم بكل ما كنتم تعملون، فإذا كدبتم فهو سبحانه صادق، انظر آيتي (٢٢، ٢٤) من سورة الأنعام صفحة ١٦٤ مآل هؤلاء أنهم يدخلون أبواب جهنم، لكل باب منهم جزء مقسوم كما في الآية (٤٤) من سورة الحجر صفحة ٢٤١، وقبحت جهنم مئوى المتكبرين.

• وَيَقِيلُ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَبَرٌ
لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَنذَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ
وَلَسِمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٦﴾ جَنَّاتٌ عِدْنُ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ
الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّيهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ
سَلَامٌ عَلَيْكُمُ أَهْلُوا الْجَنَّةِ بِنَاكُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٨﴾ هَلْ
يَسْطُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ
كَذَلِكَ نَمَلُّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَنَّهُمْ أَنَّهُ وَلَكِنْ
كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظُنُّونَ ﴿٥٩﴾ فَلَمَّا يَمِثُّ سَوَاءٌ مَّا عَمِلُوا
وَحَقَّقَ رَيْبُ مَا كَانُوا بِرِءٍ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
أُفْرِكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا بَدَلْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ
وَلَا تَأْتِيَانَا وَلَا تَحْمِلَانِ مِنْهُ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ نَقُصُّ

المردات: «ينتظرون» ينتظرون.

«حاق بهم» أي احاط بهم حتى صاروا
لا خلاص لهم منه.

المعنى: - وقسيل للذين اتقوا ربهم فلم
يشركوا به غيره: ما الذي أنزله ربكم على
رسوله؟ قالوا: أنزل خيرا للعالمين. فكان
جراؤهم أن لهم في الدنيا مثوبة حسنة من
عز ونصر وطمأنينة قلب، ووالله لثواب دار
الآخرة الذي أعد لهم خير مما أوتوا في
الدنيا كما في الآية (١٤٨) من سورة آل
عمران صفحات ٨٦، ٨٧. ولنعم الدار للمتقين
دار الآخرة هي جنات عدن يدخلونها تجري
من تحت قصورها الأنهار، لهم فيها

ما يشاءون من السميع كهذا الجراء العظيم بحرى الله كل المتقين الذين تتوفاهم الملائكة حال
كونهم طاهرين من دس الشرك، تقول الملائكة لهم عند الموت تطمينا لهم أمان من الله عليكم
فلا يصيبكم مكروه بعد اليوم، ادخلوا الجنة التي أعدها الله لكم جزاء ثباتكم على أعمالكم
الصالحة. هذا هو جزاء المتقين.

أما كفار مكة فلا ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة لتقبض أرواحهم بالموت العاوى، أو يأتى أمر
ربك بإهلاك كفار الأمم السابقة كما في الآية (٤٠) من سورة المائدة صفحة ٥٢٦.

ثم أورد سبحانه أن يبين أن عادته مع الأمم واحدة، فكل مجرم يلقي جزاءه، فقال كهذا
الشرك والتكذيب لرسولهم الذى وقع منهم فعل الدين مضوا قبلهم كعاد وثمود وغيرهم،
فما قبلهم الله سبحانه وما ظلمهم ولكن هم الذين ظلموا أنفسهم، فأصابهم جزاء سيئات
أعمالهم، وأحاط بهم العذاب الذى كانوا يكرهونه ويستهزئون به كما في الآية (٤٨) من سورة
يونس صفحة ٢٧٤ والآية (٣٢) من سورة هود صفحة ٢٨٩ ثم بين سبحانه نوعا من عناد أهل
مكة بلجأوا إليه إذا قهرتهم الحجة وهو قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه شيئا نحن ولا

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٦﴾
 وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
 الصُّلُوحَ قَبْلَهُمْ مِنْ هَدَىٰ اللَّهُ دِينَهُمْ مِنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ
 الصُّلُوحُ فَبَيِّنُوا فِي الْأَرْضِ فَأَنظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ
 عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٥٧﴾ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَىٰ هُدًىٰ لَّهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ
 لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ ﴿٥٨﴾ وَأَقْسَمُوا
 بِآفَةِ حَتَّىٰ أُيْمِنُوا لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعَلَىٰ
 عَلَيْهِ حَتَّىٰ وَلَئِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ لَيْسَ
 لَهُمُ الَّذِي يُخَيَّلُونَ فِيهِ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا
 كَذِبِينَ ﴿٦٠﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ
 كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦١﴾ وَالَّذِينَ هَارَوْا بِاللهِ مِنْ بَعْدِ مَا طَلَبُوا
 لِقَائِهِمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ وَلَا جُرْأِيَّةَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا

أبأؤنا ولا حرمنا ما حرمنا مما هو مبين في
 الآية (١٠٣) من سورة المائدة صفحة ١٥٧
 وآيتي (١٣٨، ١٣٩) من سورة الأنعام صفحة
 ١٨٦، وقد تقدم في شرح الآية (١٤٨) من
 سورة الأنعام صفحة ١٨٨ إبطال كلامهم.

ثم بين سبحانه أن هذا منهم تقليد
 موروث عن سبقهم، ولم يمنهم من عذاب
 الله فقال تعالى: ﴿كذلك فعل الذين من
 قبلهم﴾.

المفردات: . «الطاعوت»: كل ما يصرف
 عن الله عز وجل، انظر الآية (٢٥٦) من
 سورة البقرة صفحات ٥٣، ٥٤.

﴿حقت﴾: وجبت وثبتت، «الضلالة»: المرة الظاهرة من الضلال.

﴿جهد إيمانهم﴾: أى غاية اجتهدهم في الحلف أى مؤكدين بكل تأكيد

﴿بلى﴾: حرف يبطل النصب قبله ويثبت نقيضه.

﴿لنبوئنهم﴾: لنسكنهم.

المعنى: كهذا العباد الماثل فعل الكافرون بأنبيائهم ممن سبقهم، فاشركوا، وحرموا
 الحلال، وردوا على رسلكم بهذا الكذب، ولما كان قولهم هذا يتضمن تكذيب الرسل في أن الله
 تعالى هو الذى حرم الشرك وغيره، ويشعر بأنهم يوهمون الحيلة بأنه لو كان الرسل صادقين

(١) البلاغ.	(٢) الطاعوت.	(٣) الضلالة.	(٤) عاقبة.	(٥) هداهم
(٦) ناصرين.	(٧) إيمانهم.	(٨) كلابين.	(٩) أردناهم.	(١٠) لنبوئنهم

لطلبوا من الله معصا من الشرك وعيره، رد سبحانه بقوله ليس على الرسل إلا التبليغ الواضح لكل ما أريد الله تبليغه للناس، وليس هي قدرتهم هداية أحد، ولا يصح أن يطلبوا من الله ما لم يأذن لهم بطلبه ثم فصل بمص ما أجمل فقال: ولقد بعثنا في كل أمة رسولا يقول لهم اعبدوا الله وحده وابتعدوا عن كل طاعية يصرفكم عن طاعة ربكم من شيطان أو كاهن أو جبار، فمن الناس من أحلص نيته هدهاء الله تعالى، ومنهم من عاند واستكبر فحققت عليه الضلالة، فسيروا في الأرض يا كفار مكة فانظروا كيف كانت نهاية المكذبين لرسولهم من عاد وثمود وعيرهم وما هم منكم ببعيد.

ولما كان نبيا ﷺ رحيمًا يصعب عليه شفاء قومه كما في الآية (١٢٨) من سورة التوبة صمحة ٢٦٤ قال سبحانه: إن تحرص أيها النبي على هداية قومك كفار مكة فلن يصعبك حرصك شيئًا لأنهم ممن حقت عليهم الضلالة، والله لا يهدي من اختار الضلال، ومالهم يوم القيامة من ينصرهم بمنع العذاب عنهم ثم بيّن أنهم كما أنكروا التوحيد أنكروا البعث أيضًا، فقال: ﴿واقسموا بالله﴾ أي حلف كفار قريش غاية طاقتهم على أن الله لا يبعث من يموت أي على إنكار البعث، فرد عليهم سبحانه أبلغ رد بقوله ﴿بلى﴾ أي سيعثهم حتما لأنه كتب على نفسه بذلك وعدا حقا لا يتحلف، ولكن أكثر الناس يجهلون حكمته في خلق هذا العالم، وأنه ما خلقه عبثًا، فهم لا يعلمون صدق هذا الوعد انظر الآية (١١٥) من سورة المؤمنون صمحة ٤٥٦، يبعثهم سبحانه ليبين لهم الذي احتلموا فيه وهو الحق، فيعرفون في أي جانب هو، فيعلم المؤمنون أنهم صادقون فيما قالوه عن الله تعالى وعن البعث وعيره من كل حق، ويعلم الذين كفروا أنهم كاذبين في إنكار ذلك.

ثم بيّن سبحانه أن إيجاد كل ما يريد به غاية السهولة فكيف يصعب عليه البعث الذي هو في قدرته فقال سبحانه ﴿إنما قولنا لشيء﴾ إلح أي لا يحتاج الشيء الذي نريد إيجاداه إلا أن نقول له كن فهو يكون.

والذين هاجروا من ديارهم لوجه الله تعالى من بعد ما ظلمهم الكفار في مكة لمسكنهم في الدنيا مساكن حمسة وهي المدينة، يحيون فيها حياة طيبة والله لأجر الآخرة وهو الجنة ونعيمها أكثر، لو كانوا يعلمون

يَعْلَمُونَ ① الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ②
وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَتَعْلَمُوا
أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ③ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ
وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ④ أَفَلَيْسَ الَّذِينَ مَكَّوُوا السَّبْتِ أَنْ
يَخِفَ أَفْهُ يَوْمَ الْأَرْضِ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَتَّى
لَا يَشْعُرُونَ ⑤ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِيدِهِمْ لَمَّا هُمْ
يُمْتَحَرُونَ ⑥ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَحُوفٍ مِّمَّنْ رَّكَزَ
كَذَّبُوا رَبَّهُمْ ⑦ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا مَخْلَقُ أَفْهُ مِنْ شَيْءٍ
يَتَعَبُوا ظُلْمَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَأَشْمَالِهِمْ مُجَادِقَهُ وَهُمْ
ذَائِرُونَ ⑧ وَلَهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ⑨

المفردات: ﴿أهل الذكر﴾: أهل الكتب
السابقة كالنوراة. ﴿بالبينات﴾: مرتبط بقوله
﴿أرسلنا﴾ والبينات هي المعجزات الدالة على
صدق الرسل.

﴿والزبور﴾: جمع زبور والمراد به هنا الكتب
التي جاء بها الرسل.

﴿الذكر﴾: المراد به هنا القرآن.

﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾: أي لتوضح
للناس ما جاء في القرآن مجملًا، تبينه لهم
بالقول أو بالعمل باجتهاد منك أيها النبي
نترك عليه، أو بإلهام منا، أو بوحى، انظر
الآية (٩) من سورة الصف صفحة ٧٢٩.

﴿مكروا﴾: سعوا في الشر خفية.

﴿السيئات﴾: هي الأعمال السيئات.

﴿في قلبهم﴾: أي في سفرهم للتجارة ونحوها، انظر الآية (١٩٦) من سورة آل عمران
صفحة ٩٦.

﴿بمعجزين﴾: أي بقالبين الله ومفليين من عقابه.

(١) فاسألوا

(٢) بالبينات

(٣) بتبينا

(٤) ظلاله

(٥) داخرون

(٦) والملائكة.

﴿على تحوف﴾ أي مع تحوف، وهو ظهور الخوف قبل وقوع المخوف منه وهو أشد ألمًا، انظر الآية (٥٥) من سورة البقرة صفحة ١١ والآية (٤٧) من سورة الأنعام صفحة ١٦٩.

﴿رموف رحيم﴾ ﴿رموف﴾ يرفع كل بلاء ومشقة، ﴿رحيم﴾ يصم إلى رفع البلاء الإحسان إلى عبده.

﴿يتفيا ظلاله﴾ أي يرجع، مأخوذ من المي، وأصل معناه الرجوع كما هي الآية (٩) من سورة الحجرات صمحتي ٦٨٥، ٦٨٦، والمراد به هنا ظل الشيء آخر النهار، لأنه يرجع من جهة إلى جهة، والظل المقابل للفرج هو ما كان أول النهار.

﴿من اليمين والشمال﴾ أصل اليمين والشمال للإنسان والمراد هنا جانب الشيء. وأمرد اليمين وجمع الشمال لأن اليمين يشار بها للحير، والظلمة للشر، مثل الظلمات والنور هي الآية (١) من سورة الأنعام صفحة ١٦٢. والظل قريب من الظلمة.

﴿سجد﴾: أي منقادات خاضعات لما أراد الله منها.

﴿داخرون﴾ تقول العرب: دخر الرجل يدخر بفتح الخاء هي المعلن أي حصص وعمل ما يؤمر به رغم أنه في ذل وانكسار. فالداخر هو الذي لا يمتنع عما أريد منه، وذلك المعنى هو المراد هنا وهي الآية (٨٧) من سورة النمل صمحتي ٥٠٤، ٥٠٥. وقد يراد به خاضع دليل مهان كما هي الآية (١٨) من سورة الصافات صفحة ٥٨٨ والآية (٦٠) من سورة غافر صمحتي ٦٢٥، ٦٢٦.

المعنى.. نحري المهاجرين هارًا بدينهم أحسن الأجر، وهم الذين صبروا على معارضة وطنهم، وأدى المشركين، ولم يتركوا دينهم، ولا يموصون أمرهم إلا إلى ربهم.

ولما كانت قريش تقول إن الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا ولا يليق به أن يرسل إلا ملكا، انظر الآية (٩٤) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٧، رد سبحانه عليهم بقوله - وما أرسلنا من قبلك أيها النبي إلا رجالا نوحى إليهم يشرائنا فاسألوا ياهل مكة أهل الكتب السماوية السابقة ليعلموكم بالحقيقة إن كنتم لاتعلمون أن رسلنا هؤلاء الرجال مؤيدين بالمعجزات حاملين شرعا الذي فيه مصلحة أممهم.

وأمرنا إليك أيها النبي القرآن لتبين للناس كيف يعملون بما نزل إليهم، وإرادة أن يتمكروا فيهدتوا للحق، فكيف بعد هذا يصبح أن يتعاضى المشركون؟ فهل آمن هؤلاء الذين دبروا للرسول التدايير السيئة أن يحسف الله بهم الأرض كما فعل بقارون؟ انظر الآية (٨١) من سورة القصص صمحتى ٥١٨، ٥١٩، أو يأتيهم العذاب بفتة من جهة السماء بالصاعقة كما فعل بشمود، أو يأخذهم في أثناء سمرهم بعيدين عن أهلهم، وهذا أشد ألماً لموسمهم، وما هم بمعجزين الله إذا أراد ذلك، أو يأخذهم العذاب جهرة وهم ينظرون حائمين، فهل أمنتكم كل هذا ونسيتم أن إمهاله تعالى ما هو إلا لأنه رءوف رحيم بكم، فلا يجعل العقوبة لعلكم ترجعوا.

وقد تقدم في الآية (٧) من هذه السورة صفحة ٢٤٦.

ثم سيهم إلى عبر أخرى فقال ﴿أو لم يروا﴾ إلخ أى أعفل هؤلاء ولم ينظروا إلى ما خلق الله من الأجسام القائمة تنتقل ظلالها من موضع إلى موضع هي وأصحابها وهم مقادون في دل وانكسار لأمر الله القاهر حاصصة لله، ومادلك إلا لإحكام تدبيرها ونظام سير الكوكب هيملوا أن القادر على ذلك قادر على إهلاكهم.

ثم ذكر ما هو كالدنيل لما سبق بحكم عام فقال: ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض﴾ من كل دابة تتحرك فيهما، أى أن كل ما فيهما حاصص لما خلق له على النظام الذي وضعه سبحانه، وكذا الملائكة خاضعة له تعالى وهم لا يستكبرون.

وخصهم مع دخولهم فيما سبق لأن حصوعهم ممتاز بنوع خاص، انظر الآية (٦) من سورة التحريم صفحة ٧٥٢، ولأن فيه رد على قريش حيث زعموا أن الملائكة بنات الله وعبدوهم، انظر الآية (٥٧) وما بعدها في هذه السورة صفحة ٢٥٢، والآية (٤٠) وما بعدها من سورة سبأ صمحة ٥٦٨، والآية (١٤٩) من سورة الصافات صمحة ٥٩٥، والآية (١٦) من سورة الرحرف صمحة ٦٤٨، وأيضاً لتوبيخ الكفار على استكبارهم على السجود لله وحده مع أن الملائكة لا يستكبرون عنه، انظر الآية (٢٨) من سورة فصلت صفحة ٦٢٥.

يُحْلِقُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قُوَّتِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾
 • وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّبِعُوا إِلَهِيْنَ أَتَيْنَ إِلَّا مَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ
 قَدَرْنِي فَأَرْهَبُونَ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَلَهُ الَّذِينَ وَاصِبًا أَصْحَابُ أَفْقٍ تَنْقُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُنْ مِنْ
 تَعْمُورٍ لِنَ اللَّهِ كُمْ إِذَا مَسَّكَ الضُّرُّ فَمَا لِيَّةٌ تَجْعُرُونَ ﴿٥٣﴾
 ثُمَّ إِذَا كُفَّتِ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِحْتُمْ بِكُمْ بِرَبِّكُمْ
 بُشِّرْكُمْ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا بِسَوْفَ
 تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ بَنَاتٍ لَا يَعْلَمُونَ بَعْضًا بِمَا
 رَزَقْنَهُمْ فَلِلَّهِ لَتُنَطَّلَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ
 لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّا بِشَرِّ
 أَفْعَالِهِمْ بِأَلْسِنِي عَلَلَّ وَحَهُمْ مُسَوِّدًا وَهُمْ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾
 يَتَرَوْنَ مِنَ الْقَمَرِ مِنْ سُورَةٍ مَا يَتَرَوْنَ أَيْمُنُكُمْ عَلَى

المفردات: «يُحْلِقُونَ رَبَّهُمْ» أى يحاؤون
 عدايه.

«فَارْهَبُونَ» الرهبة الخوف أى حافوا
 عداي.

«الديس» المراد به هذا الطباع
 «واصباً»: أى دائماً انظر الآية (٩) من سورة
 الصافات صفحة ٥٨٧.

«تَجَارُونَ» تتصرفون رافعين أصواتكم
 بالاستغاثة به تعالى.

«لما لا يعلمون» أى لأصنام لا يعلمون لها
 وجوداً حقيقياً بدليل أنها لا تنصر ولا تنفع.
 انظر الآية (٧١) من سورة الأعراف صفحتي

٢٠٣، ٢٠٤، والآية (٦٦) من سورة يونس صفحة ٢٧٦.

«تَفْتَرُونَ»: أى تكذبوا عمداً.

«طل»: صار.

«كظيم» ممتلئ عيظاً، انظر الآية (١٣٤) من سورة آل عمران صفحة ٨٤

المعنى: لا تستكبر الملائكة عن السجود لله لأنهم يحاؤون عذاب ربهم القادر القاهر الذى
 لا يرد قضاؤه، ويفعلون ما يؤمرون (هنا سجدة).

وبعد ما بين سبحانه أن كل شيء خاضع لمشيئته، أتبع ذلك بالنهي عن أن يشرك به غيره،
 لأنه سبحانه مصدر المفعول، ولا مرجع للإنسان عند الشدائد غيره، وقال الله تعالى لعباده
 لا تتحدوا إلهاً غير الله.

وإنما ذكر اثنين للإشعار بأن محل النهي هو الإلحائية، وأكد قوله ﴿إنما هو إله واحد﴾ لبيان أن المقصود هو الوحدانية، وإذا كان الأمر كذلك فلا تحاهوا غيره لأن كل ما في السموات والأرض له ملكا وعبيدا، ويجب أن تكون الطاعة له وحده دائمة في كل وقت إلى يوم القيامة، فهل يصح بعد هذا أن تتقوا غير الله وهو لا يملك لكم شيئا مع أنه لائمه حصت لكم إلا وهي من الله وإذا مسكم ضرر من سقم أو مرض أو كرب فلا تستغيثون إلا به، ثم إذا كشف الضر عنكم إذا جماعة منكم يجعلون له تعالى شريكا يتقربون إليه بالدور والذبايح، وجماعة اعتبروا واهتدوا كما هي الآية (٣٢) من سورة لقمان صفحتي ٥٤٤، ٥٤٥.

وإنما رجع البعض إلى الشرك لتكون عاقبتهم أن يجحدوا نعم الله عليهم.

ثم توعدهم بقوله فتمتموا بزرف الدنيا الرائل فسوف تعلمون عند لقاء ربكم وبال عملكم ثم عدد بعض جرائم المشركين فقال ويجعلون لمعبودات لا يعلمون لها وجود، حقيقيا لأنها عديمة النفع نصيبا مما أنعموا عليهم به من الحرث والأنعام كما هي الآية (١٣٦) من سورة الأنعام صفحة ١٨٥.

ثم هددهم بقوله: ﴿تالله لتسألن﴾ إلخ؛ أي أقسم لأسألكم عما اخترتموه من الباطل وأجازيكم عليه. ولقد بلغ من جهل هؤلاء المشركين أن جعلوا لله بنات وهم الملائكة وعبدوها لأنها بنات الله، وجعلوا هم لأنفسهم ما يشتهون ويحبون وهم الذكور أي أنه ليس لله تعالى إلا بنات، أما هم فلهم معها ذكور، انظر الآية (١٠٠) من سورة الأنعام صفحة ١٧٩، والآية (١٩) من سورة الزخرف صفحتي ٦٤٨، ٦٤٩، والآية (٢٧) من سورة النجم صفحة ١٧٠٢ يجعلون لله البنات التي يكرهونها بدليل أن أحدهم إذا أخبر بأنه ولد له أنثى صار وجهه مسودا، كئيبا ممتلئا غيظا من الحرث، يتوارى من الناس خجلا من أن يروه حريشا، ويتردد في نفسه أحد أمرين: إما أن يمسك ما بشر به ويقيه حيا مع الهوان والمدة...

هُوَ أَمْ يُدْسُهُ فِي التُّرَابِ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٠﴾
 لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ۚ وَفِي الْمَثَلِ الْأَعْلَى
 وَهُوَ الْعَرِيرُ الْحَكِيمُ ﴿١١﴾ وَلَوْ يُزَادُ أَنَّ النَّاسَ يُظْلِمُونَ
 مَا تَرَكَ عَلَيَّ مِنْ دَأْبَةٍ وَلَكِنْ يُوَحِّدُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى
 فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْضِرُونَ سَاعَةً ۚ وَلَا يَسْتَقْبِلُونَ ﴿١٢﴾
 وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنْ
 هُمْ الْحَسَنُ ۚ لَا يَحْرَمُ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ ﴿١٣﴾
 تَأْتِيهِمْ لَقْدَ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ آمُرِينَ مِنْ قَبْلِكَ قُرْآنَ هُمْ الشَّيْطَانُ
 أَفَعَمَلُهُمْ ظَهَرَ وَلَهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا
 عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِيُتَيَقَّنَ لَهُمُ الْبَيِّنَاتُ أَنْ يُظَاهَرُوا بِهِنَّ وَهَلَّى
 وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥﴾ وَأَلَّا تَرَىٰ أَنَّ السَّمَاءَ مَاءً
 فَاتَّخَذُوا مِنَ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِنَا إِذَا فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ

المصدرات. . «يدسه في التراب»: أى
 يخفيه تحت التراب حيا حتى يموت. «الأ»
 كلمة تنبه لما بعدها.

«سواء»: قبح «مثل السوء»: المثل هنا
 الصفة، والسوء مايسوء والمراد لهم صفة
 السوء وهى احتياجهم للولد الذكر وكراهتهم
 للبنات خوف الفقر والعار.

«ولله المثل الأعلى»: أى الصفة العليا
 وهى أنه الفنى عن كل ماعداء.
 «وتصف ألسنتهم الكذب»: أى تبرزه على
 أظهر وجه، كما تقول وصفت عينه السحر

وخذه الجمال. «لاجرم»: أى حقا.

«مفراطون» أى مقدمون إلى النار قبل غيرهم من أفرطته إلى كذا إذا قدمته إليه.

المعنى . هل يبقى المولود الأنثى مع الدل الذى يرعاه أم يقتله بدهنه فى التراب حيا

الا قبح حكمهم الذى جعل لله البنات التى لايرصونها لأنفسهم، وابتاروا لأنفسهم الذكور
 لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالبعث والجزاء صفات النقص وهى حاجتهم إلى الذكور لمعاونتهم
 وقتلهم البنات ظلما، ولله سبحانه صفات الكمال العليا وهى أنه إله واحد عنى عن الولد واسع
 القدرة إلخ، وهو العرير الذى لايعليه غالب، الحكيم الذى لا يضيع الشيء إلا فى موضعه.

(١) يستأخرون

(٢) الشيطان

(٣) أعمالهم

(٤) الكتاب

(٥) آية

وهؤلاء المشركون يقولهم هذا على الله ظلموا أنفسهم واستحقوا الهلاك، ولكن حلم الله تعالى واسع فيمهل ليغسح الفرصة للتوبة لأنه لو أخذ الناس بمعاصيهم بسرعة لما ترك على ظهر الأرض دابة مطلقاً حتى من الحيوانات بسبب شؤم الإنسان، ولكن بعضله سبحانه يؤخر الظلمة إلى الوقت الذي حدده لمعاصيهم، فإذا جاء هذا الوقت لا يتأخرون عنه لحظة، كما أنهم لا يتقدمون عليه لحظة، وينسب هؤلاء المشركون إلى الله ما يكرهونه لأنفسهم من السات والشركاء هي الرئاسة، وتنطق أسنتهم بالكذب وهو قولهم إن لنا عند الله إن فرض ورحمنا إليه المنزلة الحسنى وهي الجنة، انظر الآية (٢٦) من سورة الكهف صفحة ٢٨٦ والآية (٥٠) من سورة فصلت صفحة ٦٢٧.

لا شك أن هؤلاء البار فقط، وأنهم مسوقون إليها قبل سواهم.

ثم أراد سبحانه أن يسلي رسوله على تبجحهم بأن ما هم عليه من الجهل وقبح المعاملة معه ﷺ كان في أمم سبقتهم مع رسوله فقال سبحانه تالله لقد أرسلنا رسلاً من قبلك إلى أممهم بمثل ما أرسلناك به من أصول الدين، فحسب لهم الشيطان الكمر والمعاصي، فكذبوا رسوله، فهو متولى أمرهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب شديد الأليم.

وما أرسلنا عليك أيها النبي القرآن إلا لتبين للناس الحق فيما احتلموا فيه فيتركوا الباطل ويقتصروا على الحق، وليكون هادياً للقلوب الصالحة، وسبب رحمة للمؤمنين به.

وبعد ماتوعد المشركين بالعذاب رجع إلى ذكر دلائل التوحيد لأنه المقصود من كل الشرائع فقال والله وحده هو الذي أرسل من جهة السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، أي أبى فيها أنواع النبات بعد يبسها.

إن في هذا العمل لأدلة على وجود صانع حكيم، ينتفع بها الذين يسمعون سماعهم وتدبر.

يَسْمَعُونَ ﴿١٥﴾ وَإِنْ لَكَ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّتُذَكَّرَ
بِهَا فِي بَطْنِهِ مِنْ بَيْنِ قَرْنَيْهِ وَدَرِ لَهَا خِلَاطًا بِمَا
لِلشَّارِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمِنْ قَرْنَيْهِ الْخَيْلُ وَالْأَعْنَابُ يَعْقِدُونَ
مِنْهُ سَكْرًا وَرَرًا حَسًّا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اجْعَلِي مِنْ
أَشْجَالِ بَيْوتِكُمْ مِنَ الشَّجَرِ مِمَّا يَفْرِشُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ
كُلِّ الشَّجَرِ فَاسْكُرِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطْنِهَا
شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ بِهِ شِفَاءٌ لِّبَاسٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٩﴾ وَأَلَّهُ خَلْقَكَ ثُمَّ يُنَوِّعُكَ
وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعَمَلِ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ
عِلْمِهِ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ وَأَلَّهُ قَضَىٰ بَعَثَكَ
مَنْ يَقْضَىٰ فِي أَرْزَاقِهِ قَسَا الَّذِينَ يُضِلُّوا يَأْتِيهِمْ

المفردات: - «الأنعام»: هي الإبل والبقر
والغنم. «يسقيكم»: من أسقيته بمعنى
سقيته. «في بطونه»: شاع في القرآن تذكير
اللفظ وتأنثه باعتبارين كالأنعام، فإنه ذكر
هنا باعتبار إرادة الجنس، وأذك في الآية (٥)
من هذه السورة صفحتي ٢٤٥، ٢٤٦ باعتبار
أنه جمع؛ ونظيره عن الشمس وتأنث صمتها
وتذكير اسم الإشارة الراجع إليها في الآية
(٧٨) من سورة الأنعام صفحتي ١٧٤، ١٧٥.
وآيتي (١٢، ١١) من سورة عبس صفحة ٧٩٢
«عبرة»: أي اعتبار وعظة.

«قرن»: فصلات طعام الحيوان مادام في الكرش، فإذا خرج فهو مرجين.

«خالصا»: من لون الدم ورائحة العرق.

«سائعا»: أي سهل المرور في الحلق لذيذا. «سكرا»: أي خمرا مسكرا.

«رررا حسنا»: هو التمر والربيب ونحوهما.

«أوحى ربك إلى النحل»: أي ألهمها ووصح في فطرتها.

«ومما يفرشون»: أي ما يجعلونه عريضة لسقف البيت أو تحت شجر الكرم.

«سبل ربك»: واحدها سبل أي طريق.

«ذللا»: واحدها ذلول أي مثالة مسهلة.

﴿أردل العمر﴾ أي أحسه وأرداه وهو الذي يضعف معه العقل ولا يكاد صاحبه يشعر بما يحصل منه.

المعنى... إن كل ما تقدم أدلة لقوم يسمعون سماع فهم واعتبار، وإن هي خلق الله تعالى للإنعام لعبارة لكم، ثم بيّنها فقال ﴿سقيكم﴾ أي يخرج لكم من بعض ما هي بطونها من بين مادتين هما الصرث والدم لبنا سائعا للشاربين، وإن لكم عبرة أيضاً تدل على قدرتنا وعجيب صيغها هي ثمرات النحل والأعصاب حيث جمعنا فيها بين سم قاتل وأطيب ما يطعم، ولو تركتموه ولم تتدخلوا هي تحويله إلى حمر لبقى رزقنا حسناً فقط. إن في هذا الصنع البديع لأدلة لقوم يفكرون أن القادر على ذلك هو وحده الإله الحق.

ومن عجيب صيغها أيضاً أننا ألهمنا النحل أن تعمل لها مساكن من كهوف الجبال، ومن هجوات جذوع الشجر وهروعه، ومن عرائش البيوت والكروم، ثم ألهمها أن تأكل من رهور كل ثمرات النبات وأن تسلك الطرق التي ألهمها ربها سلوكها حال كونها سهلة مذنلة لا صعوبة فيها، ثم وجه الكلام للخلق لبيان محل الإنعام عليهم فقال سبحانه: يخرج من بطونها من جهة فمها شراب هو العسل مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، إن في هذا الخلق لأدلة على وجود صانع حكيم يستمتع بها المتفكرون الذين لا يعملون عقولهم.

وبعد ما فرغ سبحانه من عجائب صيغته في الحيوان شرع في عجائب صنعه في الإنسان فقال والله خلقكم وقدر لكم آجالاً مختلفة، منكم من يتوفاه مبكراً، ومنكم من يرجعه إلى حال الطمولة، لتكون عاقبته أنه يفقد كل ما علمه، إن الله عليم بأسرار خلقه، قدير على عمل ما يريد.

وهذا دليل على أن تفاوت أحوال الناس ليس إلا بتقدير قادر حكيم مختار وإلا لاستوا في أعمارهم.

وبعد ما فرغ من بيان اختلاف الإنسان في العمر أتبعه ببيان اختلافه في الرزق وغيره فقال ﴿والله فصل بفضلكم على بعض في الرزق﴾ فجعل رزق السعيد أفضل من رزق مملوكه، فما الذين فصلوا في الرزق وهم الملاك برأى أي بمعطى رزقهم لعبيدهم.

مَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفِيضَةً اللَّهُ
يَجْعَلُونَ (١) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ
لَكُمْ مِنْ أَنْزَلِكُمْ بَيْنًا وَبَيْنًا وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
أَقْبَالَ الْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَيَسْمَعُونَ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ (٢)
وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَظْهِرُونَ (٣) فَلَا تَضْرِبُوا لَهُ
الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤) • ضَرَبَ
اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مُتْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمِنْ رِزْقِهِ مَنًا
رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يَمِينٌ بَيْنَ يَدَيْهِمَا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ
لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْسَرُ
يُؤْتِيهِ لَآ يَأْتِي بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَالَّذِي يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

المفردات: . «حفدة»: هم أولاد البين.

«بالباطل يؤمنون» هذا الباطل هو أن

الأصنام تتفع عابدها

«شيئًا». هو بدل من رزقا للدلالة على

القلة.

«فلا تضربوا لله الأمثال»: الأمثال جمع

مثل بكسر فسكون بمعنى بد أى مثل انظر

الآية (٢٢) من سورة البقرة صفحة ٦.

«ضرب الله مثلا» ضرب المثل هذا معناه

تشبيه شيء بشيء.

«كل على مولاه» حالة ثقيل على من يموله.

«أينما يوجهه»: فى أى جهة ما يوجهه فيها.

المعنى: . فلا يرد المصلون نصف رزقهم على عبيدهم فيشتركون فيه شركة متساوية.

والمراد توبيخ الذين يشركون به تعالى بعض مخلوقاته، لأن المعنى أنكم لا ترصون بشركة عبيدكم

لكم فى شيء من الرزق الذى يعمكم ويعمهم وهم أمثالكم بشر، هما بأنكم تشركون معه سبحانه

بعض مخلوقاته فيما لا يليق إلا به وهو الألوهية انظر الآية (٢٨) من سورة الروم صفحة ٥٣٤.

فهل بعد هذا يشركون به تعالى هيوجدون كافرين بنعمته عليهم، لأن «لأنعام بقتضى أن

لا يعبدوا غيره».

(١) أيماهم (٢) أزواجه. (٣) أزواجكم.

(٤) الطيبات. (٥) أقبالهاطل (٦) ويسمة

(٧) السموات. (٨) رزقاه. (٩) مولاه

ثم ذكر نعمة من نعمه على خلقه فقال: والله جعل لكم من حسن أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وتأنسوا بها، وجعل لكم من أزواجكم النعم بها عليكم نعمة أخرى هي النور وأولاد البين وورقكم رزقا أحله لكم تستلذ به موسمكم، هل بعد ذلك يشرك به بعض خلقه فيؤمنون بآلهة باطلة ويكفرون نعم الله عليهم فلا يشكرونها عليها بإحلاص العبادة له وحده.

ثم بين كيمية هذا الباطل فقال: ويعبدون من دون الله أصناما لاتملك لهم الآن رزقا قليلا، لا من السموات كالمطر، ولا من الأرض كالنبات، ولا يستطيعون في المستقبل أن يملكوا شيئا من ذلك.

ثم وجه الخطاب للكفار للاهتمام فقال: ﴿فلا تجعلوا﴾ أى إذا ثبت عدم نفع الأصنام فلا تجعلوا لله مثيلا، لأن الله يعلم حقيقة ماتعملون فيجاريكم، وأنتم لاتعلمون مايجب له فتجاسرتم عليه وجعلتم له مثيلا.

ثم أراد سبحانه أن يذكر لهم تشبيها يبرز لهم جهلهم فقال ضرب الله مثلا.

ثم بين هذا المثل المضروب فقال عبدا مملوكا للفير ورجلا آخر حرا رزقناه وملكناه رزقا حلالا طيبا؛ هل يستوى أهراد النوعين العبيد والأسياء؟ كلا.

وإذا كان لا يستوى العبيد والأحرار فكيف تصور بين رب العالمين وماهو أقل من العبيد وهم الأصنام؟ وإذا ثبت أن الله وحده هو صاحب العصل في كل شيء فقل أيها النبي أنت ومن اتبعك؛ الحمد كله لله، لا يستحقه غيره، ولا يعمل هؤلاء مايفعلون عن علم، بل أكثرهم لايعلمون، فيصعوا العبادة في غير موضعها تقليدا لغيرهم، وقليل منهم يعلم ويعاند، انظر الآية (٨٣) الآتية صفحة ٢٥٧، أو المراد ولكن أكثر الخلق لايعلمون وأقلهم مؤمنون.

وصرب الله مثلا آخر يؤيد السابق على وجه واضح، وبينه بقوله: رجلين أحدهما ولد أحرس، ويلزم ذلك الصمم أى عدم السمع، فهو لايعلم غيره، وهو لذلك عالة على من يتولى أمره، هي أى جهة يرسله مولاه لقضاء مصلحة لايتأتى بمائدة؛ هل يستوى هذا مع رجل فصيح قوى السمع ينفع الناس بالحث على العدل وغيره.

وَعَوَّنَ صِرَاطَ مُتَقِيهِ ۝ وَفِي عِثَابِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَنَفْخِ بَصِيرَةٍ أَوْ نَفْثٍ
إِنْ أَفَافَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّهُ أَرْجَحُكُمْ مِنْ طُلُوقِ
أَمْنِيَّتِكُمْ لَا تَحْسَبُونَّ شَيْعًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ
وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ
مُخْرَجٍ مِنْ جُوفِ السَّمَاءِ مَا يَتَّبِعُنَّ إِلَّا اللَّهَ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ
لَا يَأْتِيَنَّ الْقَوْمَ بِزُفَرٍ ۝ وَأَنَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْيَمِينَ
سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْيَمِينَ الْأَنْعَامَ يَوْمًا تَسْتَجِيرُهَا
يَوْمَ ظَلَمْنَكُمْ يَوْمَ أَتَيْنَكُم بِمِنْ أَمْوَاجٍ وَأَوْبَارِهَا
وَأَشْعِيرِهَا أَتَيْنَا مَتَنًا ۝ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْيَمِينِ
يَوْمَ خَلَقَ ظُلُمًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْيَمِينَ الْيَمِينَ وَجَعَلَ
لَكُمُ السَّرِيرَ تَفِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرِيرَ تَفِيكُمْ تَفِيكُمْ كَذَلِكَ

المصدرات: «أمر الساعة»: أي أمر
قيامها في السرعة والسهولة.

«أو هو أقرب»: «أو» هنا بمعنى بل.

«السمع والأبصار»: أمر السمع لأن
مدرجاته نوع واحد وهو الصوت بخلاف
البصر فإنه يدرك الألوان والأشكال.

«الأفئدة»: هي القلوب.

«الطيور»: يطلق على الواحد والجمع.

«مخبرات»: أي مهيئات للطيور بها
خلق لها من الأجنحة وغيرها

«جو السماء»: هو ما بين السماء والارض

وأصيف للسماء لأن الطائر يكون في جانبها في نظر العين.

«يوم ظلمكم»: أي سخركم.

«أثان»: فرش البيوت.

«متاعا»: للبس والتجارة.

«إلى حين»: أي إلى مدة من الزمان تبلى بعدها.

«أكتانا»: جمع كن بكسر أوله وهو ما يسكن فيه من كهف أو مكان منحوت فيها.

«سرايل»: جمع سرايل بكسر هـ يكون وهو كل ما ليس

«تفيعكم الحر»: حصن الحر بالذكر لأنه هو مثار الشكوى في بلاد العرب.

(١) صراط.	(٢) السموات	(٣) أمهاتكم	(٤) والأبصار	(٥) مخبرات	(٦) آيات
(٧) الأنعام	(٨) أثان	(٩) ومتاعا	(١٠) ظلالا	(١١) أكتانا	(١٢، ١٣) سرايل

وقد تعرضت الآية (٥) المقدمة أول السورة صفحتي ٣٤٥، ٣٤٦ للوقاية من البرد ﴿يأيسكم﴾: أي شدتكم وقت الحرب، وسرايلها هي الدروع.

المعنى: - يأمر غيره بالعدل وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يريد شيئاً إلا بلغه في أقرب وقت، وهذا مثل ضربه سبحانه لتفعله وللأصنام لإبطال الماثلة بينهما، ولله علم ما عاب عن الخلق في السموات والأرض، وما أمر قيام الساعة إلا كرد طرف العين من أعلى إلى أسفل بل هو أقرب من ذلك، وهذا صادق بقربها جداً، ويسرعة قيامها عند حلول أجلها.

ثم بين نعمة من نعمه سبحانه دالة على قدرته فقال - والله أخرجكم من بطون أمهاتكم حال كونكم جهالاً، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة أدوات تعلمون بها، رجاء أن تشكروا من أنعم بها عليكم.

الم ير هؤلاء الذين يعبدون من دون الله مالا يملك لهم رقاً، إلى الطيور مدلات للطيران في الفراغ المتصاعد إلى السماء، ما يمكنهم عن الوقوع لثقل أجسامها ورقة الهواء إلا الله، لما نظم لها من أجنحة أوسع من جسمها وأحف، إن في ذلك لدلائل على قدرة صانعها ينتفع بها المهيئون للإيمان.

والله جعل لكم من بيوتكم ما تسكنون فيه وقت إقامتكم من الحجر وغيره، وجعل لكم أيضاً من جلود الأنعام نفسها ومما عليها من صوف ووبر وشعر بيوتاً تجدونها خفيفة في حملها ونقلها وقت ترحالكم ونزولكم في أثناء السفر، وجعل لكم من أصواف العنم وأوبار الإبل وأشعار الحمز أثاثاً ومتاعاً تتنعمون به مدة من الزمن.

ولما كان من الناس من قد يكون مسافراً ولا قدرة له على بيوت الجلد وغيرها، قال - والله جعل لمن كان هذا شأنه ما يقوم مقام البيت من ظلال ما خلق من الشجر والجبل تتقون به حر الشمس المعروف شدتها عليهم، وجعل لهذا النوع من الخلق أيضاً كهوفاً ومعارات في الجبال تقوم مقام البيوت، وجعل لكم ثياباً تقيكم الحر والبرد، وجعل لكم ما تلبسونه في الحرب من الحديد كالدرع تقيكم شرها.

كذلك الإتيان للنعمة عليكم فيما مضى.....

يَوْمَ نَبْعَثُ عَلَيْكَ عَذَابَكَ لَيْلُونَ ﴿٢٥﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا مِمَّا
 طَعْنَكَ الْبَلْعُ الْمَيِّنُ ﴿٢٦﴾ يَغْرِقُونَ بَحْثَ اللَّهِ ثُمَّ يُكْرَهُهَا
 وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا
 ثُمَّ لَا يُؤْذِنُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِنَّا
 وَكَا الْإِنِّ عَلَيْنَا الْعَذَابُ فَلَا يُخَفُّ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ
 يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِنَّا وَكَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا
 رَبَّنَا خُذْ لَنَا شُرَكَاءَنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ
 فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٣٠﴾ وَالْقَوْلُ إِلَى
 اللَّهِ بِرُؤُوسِ السَّلَامِ وَصَلَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَفْعَرُونَ ﴿٣١﴾
 الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا
 فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٣٢﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي
 كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَرِجْلُكَ شَهِيدًا

المفردات: - «ثم ينكرونها»: حرف «ثم» يدل على استبعاد الإنكار بعد المعرفة، لأن الواجب على مَنْ يعرف النعمة أن يعترف بها، ويشكر عليها، لا أن ينكرها، «واكثرهم الكافرون»: هذا التركيب يفيد الحصر، أي أنهم لشدة كفرهم انحصر فيهم الكفر. «ثم لا يؤذن للذين كفروا»: أي لا يؤذن لهم في الاعتذار، انظر آيتي (٢٥، ٢٦) من سورة المرسلات صفحة ٧٨٥ وحرف «ثم» يدل على أن مصيبتهم بمنع الاعتذار الذي أوقفهم في القنوط أشد من مصيبتهم بشهادة الأنبياء عليهم، لأنهم بعد الشهادة كانوا يأملون أن يعتذروا، ويقبل عذرهم. «شهيذا»: هو نبيها، انظر الآية (٤١) من سورة النساء صفحة ١٠٧.

«يستعْتَبُونَ»: أصله مأخوذ من العُتْب بفتح فسكون، وهو المحادثة في أسباب الغضب، يقال استعْتَبَ الحادم سيده، أي طلب منه أن يريل من نعمه سبب عثابه، وهو الغضب عليه، يقول العريس: استعْتَبْتُ هَلَالًا فَأَعْتَبَنِي، أي استرضيته فرفضني، فمعنى «ولا هم يستعْتَبُونَ» أنه لا يطلب منهم أحد من الضملاء الرجوع عما أوجب العتب، «ينظرون»: يمهلون. «للسلم»: الاستسلام والخصوع. «ضل عنهم»: أي عاب وضاع. «ردناهم عذابًا»: على منعمهم غيرهم من الإيمان «فوق العذاب» الذي استحقوه بكفرهم. «ويوم نبعث في كل أمة شهيدًا»: أعاد هذه العبارة ثانيًا بعد ذكرها في الآية (٨٤) من هذه السورة لتهديد كفار قريش بحاصة، لأن الشهادة ستكون عليهم لا لهم، وليوضحهم على محاربة رسول هو من أنفسهم، كان يجب عليهم أن يكونوا أسرع الناس إلى اتباعه.

المعنى: - كما أنما عليكم فيما مضى ينمها عليكم في المستقبل لعنكم تستسلمون وتصدقون لما شرعه لكم.

قل لهم أيها النبي ذلك، فإن استمعوا على إعراضهم فلا يضررك إعراضهم شيئاً، لأنه ليس عليك إلا البلاغ وقد بلغت.

ثم بين سبحانه أن إعراض المشركين ليس لعدم معرفة نعم الله عليهم بل لاستيلاء لعملة على قلوبهم، فلم يلتفتوا إلى مصدر النعم التي تعرقهم، ولا إلى أدلة ذلك المحيطة بهم. ينظر الآية (١٠٥) من سورة يوسف صفحة ٢١٩. فقال يعرفون إلح أي يعرفون أنه تعالى وحده هو المنعم عليهم بكل النعم، انظر آيات (٦١) وما بعدها من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٩، ولكيهم يعملون عمل مَنْ ينكرها حيث كفروا به ولم يشكروه عليها، وأكثرهم حمدوا على تقليد آبائهم، والقادة، وتمصبوا لذلك حتى صاروا كأنهم لا كافر سواهم. وأندرههم أيها النبي يوم يحشر من كل أمة ببيها يشهد لها أو عليها، فإذا ثبت إجرامهم وأراد الكافر منهم الاعتذار لا يؤذن له، ولا يطلب منهم سبب رضا الله عنهم. لأن الكفر يحول دون ذلك. ثم راد هي تحويمهم فقال وإذا رأى الدين ظلموا أنفسهم بالكفر عذاب جهنم وطلبوا التخميف لا يحصف عنهم ولا يمهلون لحظة، انظر الآية (٤٩) من سورة غافر صفحة ٦٢٤. وإذا رأى الدين أشركو مع الله غيره المعبودات التي أشركوها معه سبحانه معشورة معهم، أرادوا أن يعتدروا ويورعوا من العذاب عليهم ليحصف عنهم، فقالوا ياربنا هؤلاء هم الدين جعلناهم شركاء لك وكنا نعبدهم ونستعين بهم من دونك فرد الشركاء القول على المشركين قائلين لهم إنكم لكادبون فيما تصنع كلامكم من أننا طئبنا منكم أن تعبدوا، انظر نظيره هي آيتي (٨١، ٨٢) من سورة مريم صفحة ٤٠٤ وآيتي (٦، ٥) من سورة الأحقاف صفحة ٦٦٦ والذي يحصل منه هذا التذويب هو ما يصح أن يقع منه من المعبودات كالملائكة وعيسى مثلاً، والمقام هو الذي يدل على هذا كما دل على الآية (٢٥) وما بعدها من سورة الحاقة صفحة ٧٦٢ التي تميد أن كل كافر يؤتى كتابه بشماله مع أنه ليس كل مَنْ يؤتى كتابه كذلك كان ذا سلطان أو مال، وقد سبق شيء من هذا في الآية (٢٨) من سورة يونس صمحتي ٢٧٠، ٢٧١. ﴿والقوا إلى الله﴾ إلح أي استسلموا وخصعوا لقضاء الله وعاب عنهم ما كانوا يمتدونه من أن آلهتهم تشفع لهم وتدفع العذاب عنهم. الدين كفرو هي أنفسهم ومنعوا غيرهم من الإيمان زدناهم عذاباً بصددهم ومنعهم فوق العذاب الذي استحقوه بالكفر بسبب استمرارهم على إفساد عقولهم وعقول الناس. ثم أراد سبحانه تأكيد تهديد كفار قريش على الخصوص بعد أن هدد كل كافر على العموم في الآية (٨١) السابقة، زيادة في تحذيرهم في غفلتهم عن هذا الخطر، لما علم أن التخصيص والتفصيل يعمل في النصوص ما لا

عَلَى هَؤُلَاءِ وَرَبَّنَا عَلَيْكَ الْكِتَابُ تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ
وَهْدًى وَرَحْمَةً وَنُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠﴾ إِنْ أَفْهَمَ يَأْمُرُ
بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَسْتَأْذِنَ
الْفُحْشَاءَ وَالْمُنْكَرَ وَالْعَمَى يَعْطُرُ لَكُمْ تَذَكُّرُونَ ﴿١١﴾
وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَفْضَحُوا أَلْسِنَتَكُمْ
بِعَهْدِكُمْ وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنْ اللَّهُ يَعْلَمُ
مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَصَتْ عُرْسُهُمْ
بَعْدَ قُرْبَةٍ اسْتَفْضَلُوا أَيْمَنُكُمْ دَحَلًا يَنْكُرُونَ
تَكُونَ أُمَّةٌ مِنْ أُمَّةٍ إِنْهَا يَتْلُو حُكْمُ اللَّهِ يَوْمَ
الْقِيَامِ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ بِهِ تَحْتَلِمُونَ ﴿١٣﴾
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَجْعَلُ مَرَبِّئًا
وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

يعمله التماميم والإجمال؛ والنص على أن
الرسول سيشهد عليهم لعلمهم يزدجرون فقال
﴿ويوم نبعث﴾ إلخ؛ أي وذكرهم أيها النبي بما
سيحصل يوم نبعث في الأمة شهيدا عليهم
من أنفسهم ليكون أقطع للمعذر، ونجيت بك
أيها النبي شهيدا لهم أو عليهم...

المفردات:- «على هؤلاء»: أي على امتك
وهي مقدمتهم كفار قريش.

«الكتاب»: القرآن. «تبيانا»: بيانا تاما.
«وهدي»: هاديا أقوى هداية إلى الصواب.
«ورحمة»: وسبب رحمة لجميع الخلق.

«وبشرى»: أي مبشرا لمن أتبعه بالجنة.

«والعدل»: هو المساواة في كل شيء.

والاعتدال فيه من غير تمريط ولا إفراط «والإحسان» هو مقابلة الخير بأحسن منه، والشر
بالعفو عنه.

«الفحشاء»: الذنوب المفردة في القبح كالزنا.

«والمكر»: هو كل ما تنكره وتكرهه العقول السليمة

«والبغي»: هو التعدى على الناس تجرؤا وظلما.

«كفيلة»: أي رقيب وشهيد.

«نقصت»: أي حلت ما غرلته. «غزلها»: أصله مصدر وأريد به المغرول.

«أنكاثا»: جمع نكث بكسر فسكون وهو الشيء الذي نقض بعد غزله.

«دحلا بينكم»: الدحل هو الأصل ما يدحل في الشيء ولم يكن منه، ثم أرادوا به المكر والخديعة

﴿أرى﴾ أى أكثر وأريد مالا وعدداً. ﴿يبلوكم الله به﴾: أى يماثلكم معاملة المختبر ليظهر للناس ما فى نفوسكم.

﴿لجعلكم أمة واحدة﴾: انظر شرح الآية (١١٨) من سورة هود صمعة ٢٠١.

المعنى . ويوم القيامة تجيء بك شاهداً على أمتك بعالمها وما عليها، بعد ما نزلنا عليك الكتاب لتقرأ عليهم مبيناً لأصول كل ما يحتاجون إليه فى أمور دينهم ودنياهم، وهادياً وسبب رحمة، ومبشراً للمسلمين بالجنة، فتشهد أنت بما لاقاه الناس به هل آمنوا به أو كفروا؟ وبعد ما ذكر أن القرآن تبيان لكل شىء، دلت على ذلك بآية جامعة لأصول التكليف كلها وهى قوله: ﴿إن الله يأمركم بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى﴾ أى إعطاء القرابة ما يحتاجون إليه، وهو تخصيص بعد تعميم لأهميته، لأنه صلة رحم ﴿وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى﴾ بمظكم) أى ينهاكم برفيق القول لعلكم تتذكرون فصله عليكم بهذا النصح فتطيعونه ولا تعصونه فى شىء. قال ابن مسعود: هذه أجمع آية فى القرآن للحير والشر.

﴿واقوا بعهد الله﴾ وهو كل ما يلتزمه الإنسان باختياره، ويدخل فيه الوعد، واضيف لله لأنه فى العائب يشهد الله عليه أو يحلف به على احترامه ومحل ذلك إذا كان ما التزم به لا يعارض ما شرعه الله ولا تنقضوا الأيمان بالحث فيها بعد تأكدها، أى التشديد فيها بذكر الله وشره من صفاته وغير ذلك من المؤكدات، والحال أنكم اعترفتكم بأن الله رقيب عليكم، وهو سبحانه يعلم ما يكون منكم من وعاء وحسب عيباركم عليه. ثم أكد سبحانه وحبوب الوفاء وحرمة النقص بعمل من لم يحافظ على عهده ويمينه كالمرأة المجنونة التى تغفل الصوف أو القطن وتقوى عزله ثم تنقضه وتتركه معلولاً كما كان، وكان غزل الصوف من عادة نساء العرب: لا تكونوا كهذه المجنونة حال كونكم متعدين أيمانكم التى حلفتتموها على أنكم توفون العهد حديعة وتفريرا لغيركم ليطمئثوا إليكم وأنتم مصمرون لهم القدر والابضام لغيرهم لأنهم أكثر عدداً وأوفر مالا، وإنما يأمركم ربكم بالوفاء ويوقمكم بين جماعتين إحداهما قليلة عاهدتموها والأخرى كبيرة أغنى منها ليظهر للناس هل تحافظون أم تجرون وراء المادة ولا تقيمون للمهود والأيمان وربما، وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم تحتلمون فيه فى الدنيا من معاهدة المؤمنين وعصيان الكافر والعاصي، ويجاريكم حسب أعمالكم. ولو شاء الله ل جعلكم أمة واحدة مؤمنة جبراً عنها كالملائكة لا اختيار لها، ولكن شاء أن يجعل لكم اختياراً، فيضل من يشاء من خلقه وهم الذين احتاروا متعة الدنيا وأهملوا النظر إلى الآخرة، انظر آيات (١٨، ١٩، ٢٠) من سورة

المعنى . لما كان النهي عن اتعاذ الأيمان دحلا إنما فهم صمما مما سبق في سياق خاص، أراد سبحانه أن يصرح بالنهي عنه وعلى وجه العموم لشدة قبحه فقال ﴿ولا تتحدوا أيمانكم دخلا بينكم﴾ فنزل قدمكم عن صراط الحق بعد ثبوتها عليه، والمراد تضلوا وتيمدوا عن الصواب ويكون من نتيجة ذلك أنكم تدفون العذاب الذي يسوء في الدنيا بالقتل و الأسر وصياع المال بسبب صدودكم وإعراضكم عن شرع الله الذي من ضمنه الأمر بالمحافظة على العهد، ولكم في الآخرة عذاب عظيم ولا تستبدلوا بالوهاء بالعهدة متاع الدنيا العاني لأن ما عند الله من الأجر العظيم الخالد خير لكم من متاع زائل، إن كنتم من أهل العلم والتميز بين الصالح وغيره، ثم بيّن وجه ذلك فقال ما عندكم من نعيم الدنيا يسمى مهمل طال زمنه، وما عند الله من نعيم الآخرة خالد لا ينفذ. ولما كان الصبر نصب الإيمان وعليه المفعول في نجاح المؤمن، حص أصحابه بالذكر فقال ووالله لنجرين الذين صبروا على مشاق التكليف وأدى المشركين أحرهم على كل أعمالهم على حسب أحسنها، وهو الصبر الذي يعجز صاحبه أحره بميز حساب، انظر الآية (١٠) من سورة الزمر صفحة ٦٠٧، ثم بعد ما بيّن فصل الصبر من بين الأعمال الصالحة أراد أن يبين فصل المثابرة على الأعمال الصالحة من كل مكلف ذكراً أو أنثى في المستقبل فقال ﴿من عمل صالحاً﴾ إلخ، أي عملاً صالحاً من ذكر أو أنثى بشرط أن يكون مؤمناً لأن العمل بدون إيمان يكون هباء كما في الآية (٢٣) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٢، فلنعيبه في الدنيا حياة طيبة لا تنفص فيها لما رزق من القناعة والرضا والصبر على مصائب الدنيا لعلمه أنها دار ممر لا دار خلود، وانتظاره النعيم الدائم في الآخرة، بحلاف الكافر بالله فإنه في هم وشقاء لشدة حوجه على ما في يده، انظر الآية (٥٥) من سورة التوبة صفحة ٢٥٠، ولنجريهم في الآخرة أحرهم بأحسن ما كانوا يعملون كما فعلنا مع الصابرين.

ثم أراد سبحانه أن يشير إلى ما به يكون العمل الصالح مقبولا حالصاً من وساوس الشيطان فقال ﴿فإذا قرأت القرآن﴾ أي إذا أردت القراءة فاسأل الله أن يعيدك من برعات الشيطان الرجيم باللمن في كل حين، ثم بيّن شروط إعادة الاستعانة فقال إنه أي الشيطان ليس له سلطان وتأثير خطير بوسوسته على المؤمنين حقاً الذين لا يتوكلون إلا على الله، إنما

إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ زَلَّ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لَبِثْتَ الْبَيْنَ أَمْسُوا وَهْدَىٰ وَبَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ شَرٌّْ لِّسَانٍ الَّذِي يَنْحَدُونَ إِلَهُ أَعْمَىٰ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِمَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ أَفَلَا يَهْتَدُونَ اللَّهُ لَا يَهْدِيهِمْ اللَّهُ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٣﴾ إِنَّمَا يَنْفَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مِنْ أَجْرِهِ وَقَلْبُهُ مَطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَنْ تُنْجِيَهُ مِنَ الْعَذَابِ بِأَلْكَافِرٍ صَدْرًا قَلْبُهُمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٦﴾

تأثيره على الدين يجعلونه وليا لهم فيطيعونه، والدين هم بسبب إغوائه مشركون بالله غيره، ثم انتقل سبحانه لبيان بعض مكابرة الكفار فقال: وإذا جئنا بأية في القرآن فيها حكم يناسب زمنها بدل آية من التوراة أصبح حكمها لا يناسب زمن نزول القرآن والله أعلم بما ينزل فلا ينزل إلا بحكمة..

المفردات: - «منذر»: أي محذر الكذب على الله. «روح القدس»: معناه روح الطهر، وأريد بهذا المركب جبريل، وهو من إضافة الموصوف لصفته، كقولهم هذا حاتم الجود، «بشر»: يريدون به غلاماً رومياً نصرانياً

كان يقرأ التوراة والإنجيل وكان بمكة يصنع السيوف «لسان»: يطلق اللسان على اللغة التي يتكلم بها الشعب.

«يلحدون إليه»: الإلحاد الميل، يقال ألحد إذا مال عن الاعتدال، والمراد بسببون التعليم إليه، فهم أمالوا ما يفترونه إليه.

«أعجمي»: أي غير واضح حضي الدلالة نسبة إلى أعجم وهو الذي لا يفهم العربي كلامه انظر الآية (١٩٨) من سورة الشعراء صفحة ٤٩٢.

«من كفر بالله»: أي تلفظ بكلمة الكفر أو عمل عملاً فيه كفر «من»: موصول مبتدأ خبره مقدر مفهوم من خبر «لكن» الآتي، والأصل من كفر بالله فعليهم غضب إلى آخره. «من بعد إيمانه»: أي بعد إظهار الإيمان، ولم يثبت أن مؤمناً حقاً كفر، إنما كان يحصل ذلك من المنافقين، انظر الآية (٧٢) من سورة آل عمران صفحة ٧٤ «إلا من أكره» مستثنى من حكم الغضب والعذاب. «وقلبه مطمئن بالإيمان»: الجملة حال من فاعل الكفر المفهوم ضمناً من

الإكراه، لأن معناه أكره على الكفر فكفر. والحال أن قلبه مطمئن ولما كان يحتمل أن يسبق الدهن إلى حمل الحال من نائب فاعل ﴿أكروه﴾ والمعنى عليه لا يستقيم، لأنه قد يطمئن قلبه حال الإكراه، ولكن بكسر بعده محتاراً، ومع ذلك يدخل في حكم النجاة من العذاب لما كان كل ذلك أراد سبحانه قطع هذا الاحتمال فقال ﴿ولكن من شرح بالكفر صدراً﴾ إلح لتكون نصاً في أن الحال من فاعل الكفر.

﴿شرح بالكفر صدراً﴾ أصله شرح صدره بالكفر، أي اعتقده وطابت به نفسه ﴿استحيوا الدنيا على الآخرة﴾ أي أحيوها حياً قوياً مقدمين لها على حب مايجي في الآخرة، والمراد فعلوا فعل المستحب، وإلا فكفار مكة لا يؤمنون بالآخرة، انظر الآية (٢٨) من هذه السورة صفحة ٢٥٠.

المعنى... إن الدين يحاربون الرسول يحاولون تصليل الناس وصرفهم عنه، فإذا راوه جاء بآية في القرآن تصلح للحلود محالمة لما سبق في التوراة قال المشركون بإيعاز من نبيهم إن محمداً يكذب على الله لأنه أحل ما حرم كالتصيد يوم السبت ولحوم الإبل وغيرها مما جاء في الآية (١٤٦) من سورة الأنعام صفحة ١٨٨، وكان كفار مكة يرجعون إلى أهل الكتاب عند إردة محاربته ﷺ، انظر الآية (٥١) من سورة النساء صفحة ١٠٩، والآية (١٥٧) من سورة الأنعام صفحة ١٩٠. ولتمام الرد عليهم وتسميهم حامت بعد ذلك آيات (١١٤ إلى ١٢٤) من هذه السورة، وما أنت كما يقول المبطلون أيها النبي بل هم المبطلون لأن أكثرهم وهم الأتباع لا يعلمون الحق، ورعاؤهم يعلمون أن محمداً رسول ولكتهم يكابرون، ثم رد عليهم بقوله قل أيها النبي الذي نزل القرآن هو الروح الطاهر نزل به من ربك مقترباً بالحق، ليثبت به قلوب المؤمنين وليكون هادياً للصواب، ومشيراً بالنعيم للمسلمين. ولقد نعلم أن كفار مكة يقولون إن الذي يعلم محمداً هذا القرآن هو بشر معروف وليس من عند الله، وقولهم هذا باطل لأن لغة الذي يسمعون إليه ذلك أعجمية لا يفهمها العربي، والقرآن لسان عربي واضح المصاححة حتى أعجزكم، فكيف يستطيعه أعجمي وإذا رأيت هؤلاء المشركين في صلال فلا تعجب لأن ندين لا يؤمنون بآيات الله المعجزة ويتعامون عنها لا يهديهم الله ولهم في الآخرة عذاب شديد الأليم. ثم رد الافتراء عليهم فقال إنما يفترى الكذب على الله الذين لا يؤمنون بآيات الله لا الرسول المؤمن بها، وأولئك هم وحدهم الكاذبون البالغون في الكذب غاية، وكان كفار مكة يعدبون من يظهر الإسلام من المساكين الذين لا عصبية لهم، ولا يبقنهم من ذلك إلا إذا أعلوا الكفر بمحمد، وكان من هؤلاء الصنفاء عمار بن ياسر وأبوه وأمه سمية وغيرهم، فلما رفض ياسر

أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْعَمِلُونَ ﴿١٢٨﴾ لَاهَرَمَ النَّاسُ فِي الْآخِرَةِ
هُمُ الْخَيْرُوتُ ﴿١٢٩﴾ ثُمَّ إِذْ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا
مِنْ بَعْدِ مَا ضَرَوْا ثُمَّ جَنَّهُوا وَاَصْبَحُوا إِذْ رَبَّكَ مِنْ
بَعْدِهَا لَعَنُوا رِجْشَ ﴿١٣٠﴾ • يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ
بِحَبْلٍ مِنْ نَفْسِهَا وَتَوَلَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَهَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ تَأْتِي
مُطْبَعَةً يَاتِيَا رِزْقَهَا رَعَا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكُفِّرَتْ
بِإِنْعَمِ اللَّهِ فَاذْنَقَهَا اللَّهُ لَيْسَ الْجُوعُ وَالْخَوْفُ بِمَا
كَانُوا يَصْغُرُونَ ﴿١٣٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ
فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٣٣﴾ فَكَلَّمَا
بِمَا رَزَقُوا اللَّهَ حَتْلًا طَبِيخًا وَاشْكُرُوا بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ

﴿كُفِرَتْ بِإِنْعَمِ اللَّهِ﴾ أنعم جمع نعمة، أى بعممة. ﴿فَادَّاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْجُوعِ﴾ فى الكلام تشبيهان، المراد رماهم بعصائب أحاطت بهم كما يحيط اللباس بصاحبه، واشتد المهم منها حتى كأنهم يأكلون حطلا بشع المראה.

المعنى . بئس سببانه سبب عدم هدايتهم بانه طبع على قلوبهم فصارت لاتقبل الحق وسمعهم فلا يسمع القرآن سماع فهم وتدبر، وأبصارهم فلا ترى ما هى الكون من عبر. وسبب ذلك أنهم عارقون فى العملة الشديدة حتى كأنهم لا عاقل غيرهم. وهؤلاء لاشك أنهم وحدهم هم الخاسرون كل خير فى الآخرة.

ثم أراد سبحانه أن يبين حكم عمار المتقدم ومن عمل مثله فقال ثم إن ربك للدين هاجروا من مكة فرارا بدينهم بعد الإذن فى الهجرة إلى الحبشة وغيرها من بعد ما عذبوا ثم جاهدوا المشركين بالسنتهم ببيان ما هم عليه من الضلال إلى أن يحين وقت مجاهدتهم بالسيف فيعملوه. وبظير ذلك فى المجاهدة باللسان فى الآية (٧٢) من سورة التوبة صمحتى ٢٥٣، ٢٥٤. أما إن كانت هذه الآية مدنية فالجهاد يكون بالسيف أيضا، وصبروا على مشاق التكليف، إن ربك من بعد الهجرة والجهاد رابصبر لعمور لما حصل منهم تحت التهديد بالقتل رحيم فلا يماقهم عليه.

تتحقق هذه المعمرة والرحمة يوم تأتى كل نفس تدافع عن ذاتها بالاعتذار تارة والإنكار أخرى، لا يهملها شأن غيرها لهول موقف يوم القيامة، وهى هذا اليوم يوفى الله كل نفس حواء عملها خيرا أو شرا، ولا يظلم أحدا منهم بنقص آخره أو عقابه بلا موجب

ثم بعد ما هدد سبحانه الكافرين بالعذاب فى الآخرة أراد تهديدهم أيضا بعصائب الدنيا من جوع وخوف من بعد أمن وسعة رزق فقال وصرب الله مثلا قرية كان أهلها فى أمن من العدو مطمئنة يأتيها رزقها واسعا من كل جهة فجحدت نعم الله فلم تشكره عليها وسيت فصله ولجأت لعيره، فعاقبها الله بالعصائب التى أحاطت بها، وعمها الجوع والخوف حتى ذاق مرارتها؛ كل ذلك بسبب ما استقمروا عليه من التماذى فى الكفر والعصيان.

ولقد جاء أهل هذه القرية رسول منهم يعرفونه بأصله ونسبه، فطلب منهم الإقلاع عن الكفر، وطلب منهم الاعتراف له بالفصل وهدرهم من التماذى فى العصيان، فكان يجب عليهم شكر الله على ذلك ولكنهم كذبوه عنادا وحسدا، فأخذهم العذاب يوم بدر بالقتل والأسر وبعد

ذلك بالجوع الشديد حتى أكلوا الجيف،
والحال أنهم عارقون في ظلم أنفسهم بالكفر،
وإذا تبين لكم ما حل بمن يحارب الله ورسوله
فاستقيموا ولا تحرموا الحلال، وكلوا مما
رزقكم الله حلالا طيبا، واشكروا نعمة الله
عليكم به فلا تعالوا أمره.

المفردات: «وما أهل لغير الله به»: أهل
الرجل - رفع صوته، فالمراد ما ذكر اسم غير
الله عليه، انظر بيان ذلك في الآية (١٧٢) من
سورة البقرة صفحة ٢٢. «غير باغ ولا
عاد»: تقدم بهانها في الآية المشار إليها من
سورة البقرة. «تصف السنتكم الكذب»: أي

إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٥﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ
وَالَّذِمَّ وَلَقِمَ الْخَوَّيرَ وَمِمَّا أَهْلٌ لِيُغَيَّرَ اللَّهُ بِهِ قَسْرَ
غَيْرِ بَاطِلٍ وَلَا عَادٍ مِنَ اللَّهِ عَمُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٦﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا
يَصِفُ أَلْسِنَتُكَ الْكُذِبَ فَتَبْدُلُوا بِهِ حَلَلًَا وَهَذَا حَرَامٌ لِيَتَذَكَّرُوا
أَنَّ اللَّهَ الْكَذِبَ إِنْ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
لَا يُقْبَلُونَ ﴿١١٧﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٨﴾
وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ
وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ
إِنْ رَأَيْتَ لِلَّذِينَ خَلَوْا الرَّسْمَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٠﴾
إِنْ أَطْرَقَ غَمٌّ مِنْكُمْ فَابْتِغُوا الْخَيْرَ مِنْهُ حَيْثُ كَانَ مِنْكُمْ
الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢١﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ آخِذِينَ بِوَعْدِهِ لِكُلِّ

تبرزه على أظهر صوره، انظر الآية (٦٢) من هذه السورة صفحة ٢٥٢.

«الذين هادوا»: هم اليهود وأصله «هاد» أي رجع، لأنهم رجعوا وتابوا من عبادة العجل،
انظر الآية (١٥٦) من سورة الأعراف صفحة ٢١٧ «ماقصصنا عليك من قبل»: أي
ماقصصنا عليك في الآية (١٤٦) من سورة الأنعام صفحة ١٨٨. «للمن عملوا الصواب»: يصح
أن يقدر إن ربك يقدم فضله للمؤمنين.. إلخ. «بجهالة»: أي مع جهلهم لعاقبته لغلبة الشهوة
عليهم حتى حملتهم على ارتكاب أفطع المعاصي، انظر الآية (١٧) من سورة النساء صفحة
١٠١، وتقييد المعصية لمن تاب يكون ذنبه كان عن جهل ملاحظ فيه أن ذلك هو الغالب، وإلا
فالتوبة المصوح تمحو الذنب سواء أكان عن جهالة أو عن غيرها. «أمة»: أي جماعة كثيرة،
والمراد أنه جمع من الفضائل ما لو تعرق لكفى أمة بآجمعها. «قائنا لله»: أي مطيعا لله قائما
بأمره. «حنيفا»: أي مائلا عن الباطل إلى الحق. «ولم يك من المشركين»: أي لا كما يرغم

كمار قرش أنهم حماء على ملة إبراهيم لأن الحبيصة تنافى الشرك الذي هم عليه، انظر الآية (٦٧) من سورة آل عمران صفحة ٧٢ ﴿احتباه﴾ اصطفاؤه واختاره لرسائله وحنثه، والحنثه حال على تقدير ﴿قد﴾ أي حال كونه قد اجتناه.

المعنى: - اشكروا نعم الله إن كنتم لاتطعمون غيره ولا تقصدون إلا التقرب إليه. ومن نعمه عليكم أنه رفع عنكم كثيرا مما كان محرما في التوراه، ولم يحرم إلا الميتة والدم ولحم الخنزير وما دبح لعير الله، ولايجوز شيء من ذلك إلا للمصطر غير الساعي على ماله، وغير متجاوز حد الضرورة فإن الله لا يؤاخذك بذلك لأنه سبحانه عمور رحيم، وقد تقدم شرح الآية في سورة البقرة الآية (١٧٣) صفحة ٣٣ وإذا كان الله لم يحرم من الطعام إلا ما ذكر فلا تجربوا وتحللوا وتحرموا لمجرد وصف السيئكم لكذب، لأن عاقبة أمركم تكون هي اهتداؤكم على الله الكذب، حيث سبتم إليه أنه حل كذا مع أنه حرام، أو حرم كذا مع أنه حلال، راعمين أنكم بهذا تنالون حظوظا وحيرا كثيرا، مع أن الدين يمترون على الله الكذب لابلحون أبد، لأن الذي يكسبون لأجله متاع قليل رائل ينقطع عن قرب، وهي الآخرة لهم عذاب شديد الألم

ولما فرغ من تجهيل المشركين أراد أن يبين ما حرمه على اليهود خاصة في التوراة عقاب لهم ولكنه أحبه لهم إذا أسلموا فقال وعلى الدين هادوا دون غيرهم من الأولين والآخرين حرما ما قصصناه عليك من قبل في سورة الأنعام، وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا هم الذين ظلموا أنفسهم بتسبيهم فيه كما هو مبين في الآيات من (١٥٥ إلى ١٦١) من سورة النساء صفحات ١٢٩، ١٣٠، ثم فتح سبحانه باب التوبة فقال ثم إن ربك للدين عملوا السوء بجهالة وطيش ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا أعمالهم لتمحو سيئاتهم فينصر الله ذنوبهم لأنه سبحانه بعد هذه التوبة لعمور لهذا السوء، رحيم يمحو السيئات بالحسنات، انظر الآية (١١٤) من سورة هود صفحة ٢٠١. ثم أراد سبحانه أن يسمه كلام مشركي العرب واليهود في رعمهم أنهم على ملة إبراهيم فقال إن إبراهيم الذي تتعصبون به كان جامعا لكل العصائل مبرها عما أنتم عليه لأنه كان مطيعا لأوامر ربه، قائما على حدوده، بعيدا عن كل باطل، ولم يك مثلكم مشركا بربه بل كان كثير الشكر لنعم ربه، ولكل هذا اصطفاؤه لرسائله ومحالته، ووقفه لسلوك طريق الحق الموصل للنعيم الدائم.

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦١﴾ وَكَانَتْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ
فِي الْآخِرَةِ لَيْرَ الصَّالِحِينَ ﴿١٦٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ
اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦٣﴾
إِنَّمَا جُعِلَ الْبَيْتُ عَلَى الَّذِينَ احْتَفَضُوا بِهِ وَإِنْ رَبُّكَ
لَيَخْرُجَهُنَّ يَوْمَ أَتَيْنَهُ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾
أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَأَنْتَ عَظَمَةُ الْحَسَةِ
وَجَعَدْتُمْ بِالَّذِي هِيَ أَحْسَنُ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ
صَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَهِينَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ
فَقَاصُوا بِمِثْلِ مَا عُرِيْتُمْ بِهِ وَلَهُمْ صَرِيحٌ مِمَّا وَخَّيْتُ
لِلصَّابِرِينَ ﴿١٦٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا يَأْفِكُ وَلَا تَحْزَنْ
عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي سَبِيلِ يَمُوتُ يَمُوتُونَ ﴿١٦٧﴾ إِنْ أَفْتَحَ
الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ ﴿١٦٨﴾

المفردات: «هي الدنيا حسنة»: هي
معبة جميع أهل الأديان له، وكثرة الأنبياء من
أولاده، وذكره الحمن على كل لسان إلى قيام
الساعة استجابة لدعوته حين قال «واجعل
لى لسان صدق في الآخرين» الآية (٨٤) من
سورة الشعراء صفحة ٤٨٥. «جعل السبت»:
تقدم بيان ذلك في صفحة ٢١٩ والمراد فرض
تعظيمه وترك العمل فيه للتفرغ للعبادة.
«بالحكمة»: الحكمة هي وضع الشيء في
محلّه، والمراد هنا الطريقة الثلاثية بحال
المدعو فإذا كان ممن يظن أنه يريد بيان
الحق فقدم له الدليل الموضح للحق المزيل
للشبهة، وأكثر ما يكون ذلك في مخاطبة
الخواص، انظر شيئاً من ذلك في معاصرة

إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه هي الآيات من (٤٢ إلى ٤٨) من سورة مريم صفحات ٤٠٠،
٤٠١، وإذا كان مكابراً معانداً ويعشى من تركه على حاله في محاربة الدعوة أن يؤثر على
غيره فلا بأس بكشف جهله وبيان سوء مستقبله ومقابلته بشيء من الشدة المروجة بالتحدير،
انظر شيئاً من ذلك في الآية (١٧٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٢، والآية (٥٥) من سورة
الأنفال صفحة ٢٢٥، والآية ٧٢ من سورة التوبة صفحات ٢٥٢، ٢٥٤، والآية (٤٦) من سورة
المكيات صفحة ٥٢٧ «الموعظة الحسنة»: الموعظة هي الكلام المرفق للقلوب، المرفق
للشعور، الذي تحلط فيه الرعية بالرغبة، والإنذار بالبشارة. «جادلهم»: الجدل الحوار
والمناظرة بالدليل، وحسنه أن يكون برفق من غير حفاظة. «صديق»: بالفتح لغة هي الضيق
بالكسر.

المعنى: وأتينا إبراهيم في الدنيا ذكراً حسناً، وسيكون في الآخرة من زمرة الصالحين في
الدرجات العليا. ثم أوحينا إليك «ثم» هنا للدلالة على الانتقال من رتبة خليل الله إبراهيم
إلى رتبة أعلى. قال الزمخشري جاء بـ «ثم» إيذاناً بأن أشرف ما أوتي خليل الله إبراهيم من
الكرامة اتباع حاتم الرسل ﷺ ملته. والمعنى ثم أوحينا إليك أيها الرسول وقتلنا لك اتباع ملة

إبراهيم العظيم المبرلة عند ربه حال كونه حبيماً مسلماً، ولم يكن من المشركين أبداً كما يرعم قومك، ولشدة نصحهم بحب إبراهيم كرر بعده عن الشرك ليتبهاوا فيرجعوا إلى الصواب. ولما كان يوم السبت معظماً عند اليهود طلبوا أن هي تعظيم الإسلام للجمعة محالمة لملة إبراهيم فدفع ذلك سبحانه بقوله ﴿إِنَّمَا خُلِّ السَّبْتُ﴾ أي تعظيم يوم السبت وتحريم الصيد والعمل فيه على اليهود فقط، ومع ذلك احتلموا هي احترامه، فسيهم من حافظ، ومنهم من تعدى كما هو مبين هي صفحة ٢١٩ وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما احتلموا فيه فيحاري كلا بما يستحق. ولما أمره بانناغ إبراهيم بيّن له طريق إبراهيم هي دعوة قومه لنتحقق المتابعة هي كل شيء، فقال ادع أيها النبي قومك إلى طريق الصواب الموصل لرصا ربك، فادع حوامن قومك بالقول الحكيم المشتمل على الدليل الواضح، وعوامهم بالمواعظ التي تهز مشاعرهم، وتستولي على قلوبهم فتربطهم بحالقمهم، وجادل من يجادلك بالطريقة التي هي أحسن من غيرها، أي برهق وبُعد عن الحشونة وطول تحمل وعدم إسائة مهما بدر منهم، ذكر العرالي هي كتاب تهافت العلاسفة (تخريج لأستاذ سليمان دينا طبعة الحلبي سنة ١٩٤٧ صفحة ١٧) قال الناس ثلاثة أصناف، ١. عوام، وهم أهل السلامة البله. ٢. حوامن، وهم أهل الدكاء والبصيرة، ٣. أهل الجدل، أما الحوامن فادعوهم بالحكمة وأما العوام وهم الذين ليس لهم فطنة لهم الحقائق فادعوهم إلى الله بالموعظة، ويناسب ذلك نهى مالك رضى الله عنه وعن ابن أبي طالب رضى الله عنه أن يحدث لناس بما لا يهمون من صفات الله تعالى.

وأما أهل الشغب والجدل فادعوهم بالمجادلة، وقد جمع سبحانه ذلك في قوله ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وحادلهم بالتي هي أحسن﴾، ثم بيّن أن الهداية بعد ذلك لله وحده، وإنما على الرسول البلاغ، فقال إنه وحده هو الذي يعلم بمن رسخ هي الصلال ومن سلم طبعه فيستمع بدعوتك، ولما كانت الدعوة تستلزم عالياً معاربية أعدائها لها وتعديهم على القائمين بها، به المسلمين إلى ما هو الأحسن في معاملة من يتعدى عليهم فقال وإن عاقبتهم أي أردتم عذاب المتعدى فلا تتجاوزوا المثل، ولئن صبرتم ولم تقابلوا بالمثل فصبركم والله خير لكم هي الدنيا والآخرة، واصبر أنت أيها النبي، عبارة الألوسى إنه تعالى أمر نبيه صريحاً، بما ندب إليه غيره تعريضاً، بالصبر لأنه ﷺ أولى الناس بعزائم الأمور أي وليكون قدوة صالحة، انظر الآية (٢٥) من سورة الأحقاف صفحات ٦٧١، ٦٧٢، واستشعر أنه لا صبر لك إلا بتوهيق الله عز وجل ومعوته فيسهل عليك مشقة الصبر. ويؤخذ من الكلام شدة الترغيب في الصبر حيث عبر عن المجازاة بالعقاب المفيد (بان) الدالة على استبعاد حصول الشرط المذكور بعدها، ثم حيب فيه بقوله ولئن صبرتم لهو خير، ثم صرح بالأمر به فقال ﴿واصبر﴾ إلخ، ولا تحزن أيها النبي على عدم إيمان قومك، ولا يصيق صدرك، لأن الله مع الذين اتقوا بالنصر والتأييد، والذين هم محسنون لأعمالهم، أي يبتعدون عن المعاصي، وعملوا الصالحات والله الموفق..

سورة الإسراء

بسم الله الرحمن الرحيم

المفردات: «سبحان» أي تنزيها لله تعالى عما لا يليق به من نقص وعجز.

«أسرى»: أي جعله ساريا. والإسراء السير في الليل خاصة.

«نعبد»: معصية. من يقول إن الإسراء كان معاصيا كما سيأتي في شرح آية (٦٠) من هذه السورة صفحة ٣٧٢ يقول إن العبد كما يطلق على الجسم الكثيف يطلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْأَيْمَانِ
وَإِنَّا لَنَرَاهُ فِي الْكِتَابِ وَصَحَّفَنَاهُ فَنَدَىٰ نَجْيَ إِسْرَءِيلَ لَا أَطِيعُوا مِن دُونِي
وَحِكْمًا ۖ ذُرِّيَّةً مِّن مَّحَلَّا مَعَ نَوْجٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا
شَكُورًا ۖ وَصَبَّأْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ
تَتَّقُونِ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۖ
فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِهِمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّأُولِ الْأَيْمَانِ

أيضا على الأرواح

ومن ذلك إطلاقه على الملائكة، وهي ليست أجساما كثيفة كأجسام الحيوانات وذلك في قوله تعالى عن جبريل عليه السلام «يرسل به الروح الأمين» الآية (١٩٣) من سورة الشعراء صفحة ٤٩١. وكذلك قوله عن الملائكة «عباد مكرمون» الآية (٢٦) من سورة الأنبياء

«لَيْلًا» صرح به للتأكيد ولدفع توهم المجاز. «المسجد الحرام» كان يطلق حينئذ على ما حول الكعبة من المراع، وكان بقدر المطاف الآن، ثم وسمه العلماء والملوك بعده.

- | | |
|--------------|----------------|
| (١) سبحان | (٢) الأقصى |
| (٣) باركنا | (٤) أيماننا |
| (٥) وأيماننا | (٦) الكتاب |
| (٧) وجعلناه | (٨، ٩) إسرائيل |
| (١٠) الكتاب | (١١) أولائهم |

﴿المسجد الأقصى﴾ هو بيت المقدس، ولم يكن بعدد مساجد في ذلك الوقت.

﴿آياتنا﴾ المراد ما فيه العبر من عجائب خلقه تعالى، وما فيه أدلة القدرة الباهرة.

﴿الكتاب﴾ التوراة.

﴿ذرية من حملنا﴾ رأى بعض العلماء أن ذرية... إلخ منادى، والمعنى لا تتحدوا من دوى وكهلاً ذرية، . إلخ ورأى آخرون أنه منصوب بفعل مقدر في الكلام يهيم من سياق الكلام.

والأصل وجعلنا التوراة هدى لبني إسرائيل، وأريد ببني إسرائيل ذرية من حملنا... إلخ.

والمعنى على كل أنهم ذرية بعض من حملهم الله في السمينة مع نوح لأنهم آمنوا به فأنجاهم من الفرق، وليموا أصولاً لبني إسرائيل.

وقد جاء التعبير بهذا المعنى في الآية (٥٨) من سورة مريم صفحات ٤٠١، ٤٠٢، والمراد من ذكر هو حملهم على توحيد الله وطاعة أوامره بتذكيرهم بعمه سبحانه عليهم في صمن إسجاء أصلهم من الفرق.

﴿وقصينا إلى بني إسرائيل﴾ أي أوحينا إليهم وحياً مقصياً مقطوعاً به.

﴿في الأرض﴾. أي أرض فلسطين التي حول بيت المقدس.

﴿مرتين﴾: وكان بين كل منهما خمسمائة سنة.

﴿لنعلن﴾: أي تجرون في الأرض وتمسدون انظر الآية (١٩) من سورة الدخان صفحة ٦٥٧.

﴿عباداً﴾: وثنيين من بابل بالعراق ويقال إنه جيش يختصر بصم فسكور فصم ففتحتين مع تشديد الصاد.

﴿بأس﴾ المراد به هنا القوة والبطش.

المعنى - يعلمنا الله تعالى أن نقول سبحانه الذي... إلخ أي تتره الله تترها كاملاً عن صفات النقص، الذي أسرى عبده محمد في جزء من الليل، من المسجد الحرام إلى بيت المقدس الذي جعلنا البركة تحوطه في معاش أهله وبنينهم حيث كان هيهم أنبياء كثيرين.

أسربا نعبدا لربه من ععبات الملكوت ما يريد إيمانا، ويرشده إلى أسرار الكون، إنه سبحانه هو وحده السميع لأقوال سوله، النصير بأفعاله، فيكرمه حسب ما يعلمه فيه، واعلم أن العلماء احتلموا قدما وحديثا في الاسراء هل كان بالروح والجسد أم بالروح فقط، نقطة أو مائما.

وبهد الاحتلاف جرح كونه نقطة من باب العقائد الواجبة إلى باب العلم الذي يرى فيه كل واحد ما يطمئن إليه قلبه ومن أراد تفصيل الكلام في هذا الموضوع بما لم يسبق له مثيل في كتاب آخر فليرجع إلى شرح حديث رقم ٤٧٤ من كتابا صعوبة صحيح البخاري.

وبعدما بين سبحانه إكرامه لعبد محمد ﷺ ذكر ما أكرم به عبده وبهيه موسى قبله بالتوراة ليخرج بها بني إسرائيل من الظلمات إلى النور.

ثم بين أن قوم موسى لم يعملوا بها بل أفسدوا فسلط عليهم البابليين فقتلوهم وشردهم، ولما تابوا رفع عنهم هذه المحنة وأعاد لهم الدولة، وجعلهم أكثر عددا مما كانوا.

ثم عادوا إلى عصيانه وقتلوا زكريا ويحيى، فسلط عليهم الذين أهلكوهم أول مرة، وهي هذا تذكير لأهل مكة بأن يحصل لهم ما حصل لبني إسرائيل إذا خالفوا ببيهم فقال وأتينا موسى الكتاب الهادي نبي إسرائيل، وقتلنا لهم فيه لا تتخذوا من دون الله كميلا فكلون إليه أموركم، يا ذرية بعض من حملناهم مع روح في السمينة فأنحيانهم من العرق، لأن بوخا كان عبدا كثيرا، الشكر نعم ربه.

وهي هذا تنبيه لهم إلى نعمته عليهم وأنهم من سلالة نبي يجب أن يشكروا الله تعالى كثيرا كما كان هو يشكر كذلك.

وأوحينا إلى بني إسرائيل فيما أوحيناه إلى موسى وأعلمهم به إنكم ستحالمون ربكم مرتين أولاهما التلاعب بتغيير التوراة وقتل ببيهم شعيبا عليه السلام، والثانية قتل زكريا ويحيى، ولتستكبرن عن طاعة الله ولتظلمن ظلما كبيرا، فأنذركم سبحانه أنه إذا جاء موعد المعصية الأولى فسبعث عليكم عبادا لنا أصحاب بطش لينزجر منكم من فيه بقية خير عن مشاركة الكثرة في المعصية.

شَدِيدٍ قَالُوا خِلَالِ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ۝
ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَيْنَ
وَحِطَّتْ لَكُمْ تَبَعًا ۝^(١) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ
وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْهِرُوا
وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَلِيُتَبَرَّأَ مَا عَمَلُوا قَبْلَ ۝^(٢) هُنَّ رِبَكَ أَنْ يَرْجِعَكُمُ
وَإِنْ عُدْتُمْ عَدَاً وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۝^(٣)
إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَوْفَىٰ وَيُذِيرُ الْمُذْثِمِينَ
الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ إِنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝^(٤) وَالَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَفْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝^(٥)
وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ
مُجْرِمًا ۝^(٦) وَجَعَلْنَا الْبَيْتَ وَالنَّهْرَ الْيَمِينَ قَحْرًا ۝^(٧)

المفردات: ﴿هَجَّاسُوا﴾: أي دخلوا وترددوا باحثين. ﴿خِلَالِ الدِّيَارِ﴾: أي وسطها. ﴿الْكُرَّةَ﴾: أي الغلبة والقوة. ﴿تَبَعًا﴾: هو مَنْ ينفرد مع الرجل من قومه لدفع العدو. ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾: اللام هي ﴿فَلَهَا﴾ بمعنى على، انظر الآية (٤٦) من سورة فصلت صفحة ٦٣٦. ﴿يَسْهُرُوا وَجُوهَكُمْ﴾: أي يجعلوا آثار الإساءة ظاهرة فيها، والمراد يلحقوا بكم الأذى والشر. ﴿الْمَسْجِدَ﴾ هو المسجد الأقصى. ﴿يَتَبَرَّأَ﴾: أي يهلكوا. ﴿مَا عَمَلُوا﴾ أي ما غلبوا الناس وقهروهم بالاستهلاء عليه. ﴿حَصِيرًا﴾: يقال حصره بوزن نصره إذا

صيق عليه وأحاط به، والحصير المكان الذي فيه التضييق والحبس، فالمعنى جعلناها محبسًا وسجنا، انظر الآية (٥) من سورة التوبة صفحة ٢٤٠، والآية (٢٩) من سورة الكهف صفحة ٣٨٤، ٣٨٥.

وقال الحسن الحصري هنا معناه الفراش أي وجعلناها مهادًا لهم كما هي الآية (١٨) من سورة الرعد صفحة ٣٢٤ ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ﴾ - أصل يدع (يدعو) حدثت الواو تحفيماً كما حدثت في (يمح) هي الآية (٢٤) من سورة الشورى صفحة ٦٤٢.

المعنى: أرسلنا للانتقام منكم عباداً أولى بطش شديد، فحاصروا وسط دياركم للإفساد والتدمير، فقتلوا ونهبوا، وأحرقوا التوراة، وخرّبوا بيت المقدس، وكان ذلك الوعد من الله نافذاً لا بد من حصوله ثم لما تبتم ردينا لكم العلبة على أعدائكم، فغزوتهم النابليين، وحلصتم أسراكم، واسترحمتهم أموالكم، ورزقناكم أموالاً وسين وصيرتم أكثر مما كنتم عدداً، وقلنا لكم إن أحسنتم

(٤) وحملناكم
(٩.٨) الإنسان

(٣) بأموال
(٧) الصالحات
(١٢) آية.

(١) حلال
(٥) يسوموا
(١٠) الليل
(٢) وأمددناكم
(٦) للكاثرين
(١١) آيتين

فأطعتم ربكم كان إحسانكم لمصلحتكم في الدنيا والآخرة، وإن أسأتم بالمعصيات وإلى أنفسكم تسيئون ولا تنصرون إلا سامة غيركم، فإذا جاء وقت المرة الآخرة من مرتي إحصادكم في الأرض سلطت عليكم أعداءكم ليلحقوا بكم أشد أنواع الإساءة، وليدخلوا المسجد قاهرين لكم كما دخلوه أول مرة، وليهلكوا ما استولوا عليه من أموالكم وأولادكم إهلاكاً شديداً، عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الآخرة إن تبتم عن المعاصي، ثم هددهم سبحانه بقوله، وإن عدتم بمعصية ربكم عدنا عليكم بالقتل والسبي، وقد عادوا وكذبوا خاتم الرسل ﷺ وهموا بقتله وأعانوا عليه المشركين فسخط الله المؤمنين عليهم، فقتلوا منهم بني قريظة، وطردوا بني النضير من ديارهم، وصربت الجبرية على من بغي، ثم تتابعت النكبات عليهم من سائر الأمم إلى يومنا هذا، وهي الآخرة جعل جهنم سجناً لهم، وبعدها بين ما حل ببني إسرائيل لما حالوا التوراة، أراد أن يهبه أمة محمد إلى عدم العمل مثلهم، فبين لهم ميرة القرآن، وحذرهم من مخالفة ما فيه، فقال إن هذا القرآن يهدي للطريق التي هي أقوم الطرق وأسلمها، ويشرح المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً، ويُنذر الذين لا يؤمنون بالآخرة بأنهم أعداء لهم في جهنم عداً شديداً الأليم، وبعدها بين سبحانه أن هذا القرآن يدعو الإنسان إلى الخير العظيم ويحذره من الشر الكبير بين سبحانه أن بعض أنواع الإنسان يدعو نفسه بالشر كما يطلب الخير، ويستعمل العذاب كما لو كان يستعمل النعيم انظر الآية (٧٧) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٥، وكان الإنسان عجولاً متسرعاً لا يقدر المواقف، وقال بعض العلماء المراد بالإنسان مطلق الإنسان لا الكافر بحاصة، والمعنى عليه أن القرآن يدعو لإنسان إلى ما هو خير في الواقع وهو في بعض أحواله يطمش تحت تأثير الغضب مثلاً فيدعو على نفسه أو أهله بما هو شر بقوة كما لو كان يدعو بما هو خير، واستدل هؤلاء بما رواه أبو داود والبرار عن جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال (لا تدعو على أنفسكم، ولا على أولادكم، لئلا توافقوا من الله سبحانه ساعة إجابة فيستحب لكم) أي فتقدموا وقت لا يرفع الدم وبعدها ذكر سبحانه نعمته على عباده بهداية القرآن أراد أن يذكر نعمته بهداية حسية وهيها برهان على قدرته وحكمته فقال ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ أي دليلين على القدرة والحكمة بتعاقبهما على نظام واحد مع إمكان غيره، ﴿فمحوها آية الليل﴾ المراد آية هي الليل ومعنى محوها أي حلقناها ممحوة أي مظلمة لا ضوء فيها كما تقول سود إليه الفحيم وبيض الحصن أي حلقهما كذلك، وليس المراد أنها خلقت مصيئة ثم طمعت.

الْبَلِّ وَجَعَلْنَا آيَةَ الْفَلَاحِ مُبْصِرَةً يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ
وَلَتَعْلَمُوا أَنَّ الْبَلَّ لَيْسَ بِالْجَبَابِ وَكُلُّ شَيْءٍ فَضْلٌ
تَقْصِيلاً ١٢) وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْفُ مِائَةٍ مَرْغَبٌ مِنْ عِلْمِهِ
وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ١٣) أَقْرَأَ
كِتَابَكَ كُنْ يَوْمَ الْيَوْمِ عَيْنٌ حَاشِيًا ١٤) مَنْ أَهْتَدَى
فَأَمَّا يَهْتَدِ لِيَقِيهِ وَمَنْ ضَلَّ فَأَمَّا يُضِلَّ وَلَهُمْ عَذَابٌ
وَلَا تَرُدُّ وَارِدَةً يُدْرَأُونَ فِيهَا وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى يَبْعَثَ
رَسُولًا ١٥) وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا
فَتَقَفُوا فِيهَا فَمَنْ عَلَيْهَا الْقَوَدُ فَقَدَّمْنَاهَا تَذْمِيرًا ١٦)
وَكُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ الْقُرُونَ مِنْ بَعْدِ نُوْحٍ وَكُنَّا بِرَبِّكَ بِذُؤُوبِ
يَمِينِهِ خَبِيرًا بِصِيرًا ١٧) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ قُلْنَا
لَهُ لَيْسَ بِشَأْنِ مَنْ يُرِيدُ لَمْ يَجْعَلْنَا لَكَ جَهَنَّمَ مَكِينًا

الممرداب . «مبصرة» أى مبصرا
صاحبها والمراد مصينة.

«تتبعوا»: أى لتطلبوا بالمعنى من
الأرض.

«فصلاً» رزقا من فضل الله.

«طائره» يطلق الطائر على الحط، وعلى
المصيب المترتب على العمل وعلى العمل
نفسه كانه يطير إلى صاحبه من عش العيب،
انظر الآية (١٣١) من سورة الأعراف صفحة
٢١٢، والآية (١٩) من سورة يس صفحة
٥٨١. «لأنذر وازرة ورر أخرى». تقدم بيانها
في صفحة ١٩١.

«أمرنا» بفتح الميم المحمصة أى أمرناهم بالطاعة على لسان الرسول المبعوث إلى أهلها
محالوا وقال بعضهم إن «أمرنا» بتشديد الميم الممتوحة أى كثرنا من الكثرة، والمعنى
كثرتنا المتزهين ففسقوا.

«مترفيها» جمع مترف وهو المسمى المسمم الذى يطعمه العسى، انظر صفحة ٨١٤

«فحق عليها المول» أى وحب عليها وقوع الوعيد بالعذاب

«وكم» تدل على كثرة ما بعدها.

«القرون» جمع قرن والمراد به الأمة.

«العاجلة» أى متاع الحياة الدنيا الساقطة على الآخرة، انظر الآية (٢٠) من سورة الشورى

صفحة ٦٤١

(١) اللين	(٢) آية	(٣) فصلناه	(٤) إنسان
(٥) الرماء	(٦) طائره	(٧) القيامة	(٨) كتابها
(٩) يلغاه	(١٠) كتابك	(١١) فممردابها	(١٢) يصلاها

﴿يصلها﴾: أي يدخلها ويقاسى حرها.

المعنى - وجعلنا الآية التي هي النهار مصيئة يبصر الموجود فيها ما حوله، جعلنا ذلك لتطلبوا فيه رزقا من ريكم بالسعى، إذ ذلك يتعسر في الظلمة غالبًا، وتعلموا باختلاف الليل والنهار عدد السنين، وتعلموا حساب مواعيد عقود إيجاركم وبيعكم ومواسم الأعمال دنیا ودينا، وكل شيء لكم فيه مصلحة فصلناه لكم، أي بيناه بيانًا واضحًا لتقوم عليكم الحجة بعد تمام النعمة، ثم ذكرهم بما سيكون لهم يعتبرون فقال: وكل إنسان ألزمناه عمله لروم القلادة للعنق لا تعارقه، وتخرج له يوم القيامة كتابًا يشتمل على كل ما عمل من خير وشر، يلقاه مفتوحًا ليسرع في قراءته، ويقال له اقرأ بقدره الله حتى لو لم يكن في الدنيا قارئًا، كفى بنفسك حاسبة ومحاسبة عليك عملك، انظر الآية (٤٩) من سورة الكهف صمحتي ٢٨٨، ٢٨٧ مَنْ اهْتَدَى هَدَيْنَا سَبِيلًا وَمَنْ ضَلَّاهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَا تَحْمِلْ نَفْسٌ مَدِينَةً هُوَ ذَنْبُهَا ذَنْبُ نَفْسٍ أُخْرَى، وما كنا معدين أحدًا على ترك الأعمال أو الاعتقادات التي لا سبيل إلى معرفتها إلا بالشرع حتى نبعث رسولًا يبينها للناس ويحذرهم من محالمتها، كأحوال الجنة والنار، والملائكة، والعبادات.

أما معرفة الله فلا عذر لأحد في الجهل بها ولو لم يبعث الله رسولًا، بل كفى في وجوبها بث الأدلة في الكون على وجود صانع حكيم، انظر تحقيق ذلك في الآية (١٧٢) من سورة الأعراف صمحة ٢٢١ وإذا قرب وقت تعلق إرادتنا بتعجيل إهلاك أهل القرية لتسرب الفساد إليهم كثرت المترفين فأطعمهم النسي وأنساهم ربهم، فوجب عليها تحقق التوعيد بالهلاك فأهلكناهم إهلاكًا شديدًا، وكما ذكرنا للعلماء في تفسير ﴿أمرنا﴾ من الآية رايان.

الأول أن أمرنا من الأمر ضد النهي، أي أمرناهم بالطاعة فمستقوا.. إلخ ونقل هذا الرأي عن ابن عباس وسعيد بن جبهر وآخرين.

والثاني: أمرنا بمعنى كثرتنا.. قال بكل من الرايين رجال من الملف والخلف، ومعنى الآية على الرأي الأول هو: وإذا أردنا أن نهلك قرية بسبب ظهور المعاصي من أهلها لا نعالجهم بالعقوبة في أول ظهور المعاصي منهم بل بأمر مترهينها بالرجوع عن المعاصي والإقلاع عن الاستمرار فيها لئلا يتعمق الباقون فإن أصروا على الصنق عبادًا ولم ينههم أحد ممن يعيشون

معهم أهلكتناهم، لما في ترك إهلاكهم من استشرء الفساد في المحيط الذي يعيشون فيه بل وفيمن يأتي بعدهم ﴿والله لا يحب المفساد﴾ انظر ما قيل في شرح الآية (١٦٥) من سورة الأعراف صفحة ٢١٩ . وحاصل هذا الرأي أن الله سبحانه أجبر عباده بأنه لا يعاجل بالعقوبة أمة طالمة إلا بعد أن يعذر لهم عاية الإعداء الذي يتجلى بعده لكل أحد اليأس من إيمانهم. عند ذلك يهلكهم. ولعلك تلمح هذا المعنى من ذكر نوح بالخصوص عقب هذه الآية مباشرة ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح﴾. لأنه هو الذي قال ﴿قال رب إن دعوت قومي ليلاً وبهاراً فلم يردهم دعائي إلا فراراً﴾ الآيات (٥) وما بعدها من سورة نوح صفحة ٧٦٨. وبعد كل هذا الإعذار قال نوح عليه السلام ﴿رب لا تدرك علي الأرض من الكافرين دياراً﴾. آيتي (٢٦)، (٢٧) من سورة نوح صفحة ٧٦٩. ولعلك لاحظت أيضاً قول الله سبحانه قبلها ﴿وما كنا بمعدين حتى يبعث رسولا﴾. ويتجلى هذا المعنى المراد فيما قصه علينا من تاريخ الأمم العاصية هي قوم عاد هي صفحة ٢٠٢، وقوم صالح هي صفحة ٢٠٤، وقوم لوط هي صفحة ٢٠٥، وقوم شمعيب هي صفحة ٢٠٦. فكل هذه الآيات توضح أن هؤلاء الناس كانوا محرمين قبل أن تعذرهم رسلهم من الهلاك كما يلاحظ أيضاً أن رموس المنة هم الكبراء المترهون ﴿لملاً﴾ ومن هذا يتبين أن الله سبحانه وتعالى لا يهلك قرية إلا إذا ظلم أهلها أنفسهم ظلماً واضحاً تقوم به عليهم الحجة، وقد سجل سبحانه ذلك في كثير من آيات القرآن انظر آيات (١٣١) من سورة الأنعام صفحة ١٨٤، و(١٠٢) من سورة هود صفحة ٢٩٩، و(١١٧) من سورة هود صفحة ٣٠١، و ٥٩ من سورة الكهف صفحة ٢٨٩، و ٤٨ من سورة الحج صفحة ٤٤٠. ويؤكد هذا ما جاء في القرآن صريحاً من أنه لا حاجة لله تعالى في تعذيب خلقه متى كانوا صالحين فقال سبحانه ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وامنتم وكان الله شاكراً عليماً﴾ الآية (١٤٧) من سورة النساء صفحة ١٢٨ .

والرأي الثاني أن أمرباً بمعنى كثرة، واستدلوا بقراءة ﴿أمرنا﴾ بعد الهمزة، وهي منقولة عن علي رضي الله عنه وعيسى بن عمرو وابن عباس والحسن وقتادة وعاصم وابن كثير ونافع، فكل هؤلاء قرؤوها بعد الهمزة، أي بمعنى كثرة، واستدلوا أيضاً بالقراءة الثالثة ﴿أمرنا﴾ بتشديد الميم الممتوحة وهي منقولة أيضاً عن علي والحسن والباقر وابن عثمان النهدى والسدي وزين بن علي. والمعنى عند هؤلاء أننا إذا أردنا أن نهلك قرية اختار أهلها طريق

الصلال وصمموا عليه نمدهم بما يحقق اختيارهم فنكروا فيهم المترفين المعتمدين من الرؤساء والكبراء والحكام بإعناق النعم والحير عليهم، وتوسيع الدنيا عليهم، فتعسدهم النعم ويتبعهم غيرهم، فيخرج الجميع عن الطاعات عبادة واستكباراً، عند ذلك تنزل بهم عذاب الاستئصال الذي لا يبقى منهم أحداً حتى لا يكونوا جرثومة عدوى لإفساد من بعدهم، انظر آيتي (٢٤، ٣٥) من سورة سبأ صفحات ٥٦٧، ٥٦٨، وانظر كذلك الآية (١١٢) من سورة النحل صفحة ٢٦١.

وهذه ستة الله في خلقه، يُسهل لكل منهم ما يريد لنفسه من خير أو شر، قال سبحانه بعد هذه الآية ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَطَيْنَا لَهُ فِيهَا مَا يَشَاءُ لِمَنْ يَرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَدْمُومًا مَدْحُورًا﴾، ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَمِعْنَا لَهَا سَمْعَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأَلْنَاكَ كَانَ سَمْعُهَا مَشْكُورًا﴾، ﴿كَلَّا بَعْدَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ فانظر كيف سمي سبحانه ما يمد به الكافر ليرداد كصرا عطاء، يشير سبحانه بهذا إلى أن هذه هي رعية العبد استعطائها من الله باختياره فأجاب سبحانه طَلَبَتَهُ، ولا يدري هذا المسكين أنه عطاء فيه هلاكه، فهو من قبيل قوله تعالى في آيات أخرى، انظر الآية (١٧٨) من سورة آل عمران صفحة ٩٢، والآية (٤٣) وما بعدها من سورة الأنعام صفحات ١٦٨، ١٦٩، هنري أن الله سبحانه قد لقينا حمده على إهلاك الظالمين، لا لشيء إلا لأنه فيه إنقاذ من يأتي بعدهم من الفساد وانظر كذلك آيتي (٥٥، ٥٦) من سورة المؤمنون صفحات ٤٥٠، ٤٥١، وآيات (٧٦ - ٨١) من سورة القصص صفحات ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، والآية (١٥) من سورة هود صفحة ٢٨٦ والآية (٢٠) من سورة الشورى صفحة ٦٤١، وآيات (٥ - ١٠) من سورة الليل صفحات ٨١٠، ٨١١.

ثم يقول سبحانه بعد ذلك ليوضح كثرة الأمم التي أهلكك وكثيراً من الأمم أهلكناها من بعد نوح كعاد وثمود وغيرهم حسب هذه القاعدة. وفيه إنذار لأهل مكة، ويكفيك أيها النبي ربك حبيباً بذنوب عباده وإن أحصوها في الصدور، بصيراً بها وإن حاولوا إخفاءها بالستور، فلا يحمي عليه شيء من أعمال شركي قومك، وسيجازيهم بما يستحقون. ومن كانت العاجلة ومتاعها كل همه ولم يرد غيرها عخلنا لمن يريد منهم ما يشاء من متاعها في الدنيا، ثم جعلنا له في الآخرة جهنم يدخلها ويقاسى شدائدها.

مَقْمُومًا مَذْهُورًا ⑮ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَمِعَ مَا
 سَحِيحًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ قَادِرٌ عَلَيْكَ كَانَ مَقْبُومًا مَشْكُورًا ⑯
 كَلَّا لِمُدَّ هَذَا وَمَتَزَلَّا مِن عِطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَتْ
 عِطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ⑰ أَنْظِرْ كَيْفَ قَضَلْنَا بَعْضَهُمْ
 عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْصِيلًا ⑱
 لَا تَحْمِلْ مَعَ اللَّهِ إِنِّهَا هِيَ تَقْعُدُ مَذْمُومًا مَحْذُورًا ⑲
 • وَتَحْمِلُ رُبَّكَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَإِلَّا تُولَدُوا بِإِحْسَنًا
 إِنَّمَا يَتْلُو مِن فَكِّهِ أَعْلَمَ أَحَدُمَا وَلَّا تَقُلْ
 لَمَّا آفَ وَلَا تَنْهَرْنَا وَقُلْ لَمَّا قَوْلًا حَكِيمًا ⑳
 وَأَخْفِصْ لَمَّا جَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرِّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا
 كَمَا رَأَيْتَنِي صَعِيدًا ㉑ رُبُّكَ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكَ
 إِن نُّكُورًا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأُولَئِينَ عُثُورًا ㉒

المفردات . «مذمومًا» معقوتًا من الله
 وملائكته والناس.

«مذخورًا» : مطرودًا من رحمة الله.
 «بعد» : أي نساعد ونيسر.

«محظورًا» : ممنوعًا

«تقعد» : فتصير . «محذورًا» : مغلوبًا
 حائبا.

«وقضى» : أي حكم وأمر.

«أما يبلن» أصلها «إن» الشرطية
 وزيدت عليها «ما» لتأكيد ربط الجزاء
 بالشرط.

«آف» : كلمة تدل على التضجر.

«تنهرهما» : تزجرهما بقسوة.

«وأخفص لهما جناح الذل» إلح، أي جناحك الدليل كقولهم حاتم الجود والكلام كناية عن

التواضع، انظر الآية (٨٨) من سورة الحجر صفحة ٢٤٤

يقول في هذا علماء البلاغة شبه الذل بطائر (محفص الجناح) لأن ذلك علامة التسليم
 بجامع لروم التسليم التام في كل . أو أن الكل مظهر للتسليم التام، وقيد من الرحمة احترازًا من
 الذل الناشئ من الإدلال والإرهاق الصادر من القوى للضعيف.

«لأوليين» جمع أولاد وهو كثير الرجوع إلى الله بالتوبة.

المعنى . أعدونا النار لمن حصر همه في متاع الدنيا يدخلها حال كونه ممقوتاً مطروداً، ومن أراد بعمله ثواب الآخرة وعمل لذلك العمل الذي شرعه الله موصلاً لها بشرط أن يكون مع ذلك مؤمناً، لأن العمل بدون الإيمان هباء، انظر الآية (٢٣) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٢ من يعملون العمل بهذه الشروط الثلاثة كان عملهم مقبولاً عند الله مثاباً عليه . كلا أي كل واحد من الفريقين فريق طلاب الدنيا وفريق طلاب الآخرة المعبر عنهم - «هؤلاء وهؤلاء» - ليسر له من عطاء ربك أيها النبي أي من رزق وصحة وكثرة أولاد يستعين بها على ما احتار لنفسه . فهو من قبيل قوله ﷺ (كل مهسر لما خلق له) أي ييسر الله له ما تميل إليه نفسه . وبهذا يكون الرزق نعمة لقوم بقمة لأخرين . انظر أيها السامع بعين الاعتبار تمصيلنا بعض عبداً على بعض بأحوال مختلفة، فمنهم الفقير والعسى والصحيح والمريض إلى غير ذلك لحكمة يعلمها، انظر الآية (١٦٥) من سورة الأنعام صفحة ١٩٢ . والآية (٢٠) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٢، والآية (٢٢) من سورة الرحمن صفحة ٦٥٠ ووالله لتفاوتهم في الدار الآخرة لأكبر درجات لأن التفاوت فيها بالجنة والنار، وأكبر فصلاً، لأن الفصل الصحيح ما كان بالدائم الباقي لا بالرائل في أقل زمن وبعدما أحمل سبحانه أعمال البر في قوله «وسمى له سبعها» أراد أن يفصلها مبتدئاً بأشرفها فقال لا تجعل أيها المكلف مع الله لها حر فتصير جامعاً على نفسك الدم والعدلان . وأمر ربك ألا تميدوا إلا إياه، وبأن تحسبوا للوالدين إحساناً تاماً ولو كانا كافرين، انظر الآية (١٥) من سورة لقمان صفحة ٥٤١ . وإذا وصل الوالدان عندك أو أحدهما حال الصعب والعجز كما كنت عندهما في أول أمرك، وجد عليك أن تعاملهما بمعاملة الشاكر، وذلك بأنه إذا صدر منهما قول لا لا يرصيت لا تظهر لهما تأفهما أو صدر منهما عمل يفسد عليك شيئاً فلا تقس عليهما في القول بل تصرفهما عنه بلطف، وقل لهما بدل التأفف والنهر قولاً كريماً يشعر بالعطف والحنان والأدب واحفظ لهما جناح التدلل لنأشئ من الرحمة لا من خوف العار مثلاً، وادع الله أن يعاملهما برحمته كما رحماك بتربيتهما إياك في صغرك تحقيقاً لوعده برحمة الراحمين

وطلب الرحمة مطلوب للوالدين ولو كافرين بأن يهديهما للإيمان . ثم هدد سبحانه من يعمل ذلك نفاقاً مع إصهار كراهتهما فقال «ربكم أعلم بما في نفوسكم» من قصد البر إليهما، إن تكونوا قاصدين العمل الصالح يفقر لكم الله ما سبق منكم من تقصير، لأنه دائم المعصرة للأوابين.

وَأَمَّا دَا الْقُرْبَى حَقُّهُ وَالْيَسِيرَ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ
تَبَذُّرًا ① إِنَّ الْمُسِيرِينَ كَانُوا بِأَعْيُنِ النَّبِيِّينَ وَكَانَ
النَّبِيُّ رَئِيًّا كَمَا ② وَهِيَ تَعْرِضُ عَنْهُمْ أَيْتَاءَ
رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهُمْ فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَبْسُورًا ③
وَلَا تَجْعَلْ بَيْنَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا جُكُلًا
الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ④ إِنَّ رَبَّكَ بِبَسِطِ الرِّزْقِ
لَيْسَ بِشَاءَ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ⑤
وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَنْتُمْ لَكُمْ رَرْهَمٌ وَإِنَّا نَكْرَهُ
إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خَطَاً كَبِيرًا ⑥ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّمَا
كَانَ فَتْحَةً وَمَاءً سَبِيلًا ⑦ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ
مُلْكُنَا فَلَا يَكْفُرْ فِي الْقَتْلِ إِنَّمَا كَانَ مَحْسُورًا ⑧

المفردات: ﴿دا القربى﴾: هو ما بينه وبين
الشخص قرابة رحم.

﴿حقه﴾: من صلة رحم ومودة ونفقة إذا
كان محتاجاً. ﴿ابن السبيل﴾: هو الغريب
المنقطع عن بلده. ﴿تبذراً﴾: تبذيراً. ﴿أيتاء﴾: أي
قرنائهم الذين يجمعهم وإياهم الشر
والفساد. ﴿كموراً﴾: كثير الكمران والجمود
لعمدة ربه.

﴿وما تعرضن﴾: أصلها ﴿إن﴾ ﴿ما﴾ كما
تقدم في ﴿إما يبلغن﴾.

﴿ابتغاء رحمة﴾: أي طلب رحمة وهو الرزق. ﴿مبسوراً﴾: أي سهلاً لنا مع وعدهم بالخير
يقال يُسِر الأمر بصم ككسر أي سهل. وفي اللسان قيل إنه مصدر كمجلود بمعنى جلد
﴿مغلولة إلى عنقك﴾: أي مقيدة بالمل بصم الفير وهو القيد الذي يوضع في اليدين والعنق،
والمراد لا تكن بحيلاً. ﴿تبسطها﴾: بسطها كناية عن التوسع في الإنفاق إلى حد الإسراف.
﴿فتقعد﴾: فتصير. ﴿محسوراً﴾: أي نادماً معمولاً. ﴿يقدر﴾: أي يقتدر ويضيق. ﴿إملاق﴾
أي فقر ﴿حطناً﴾: هو الخطأ التام وهو أن يفعل الرجل الجريمة عمداً أما الخطأ بفتح الحاء

- (١) وآت
- (٢) إخوان
- (٣) الشياطين
- (٤) الشيطان
- (٥) أولادكم
- (٦) إملاق
- (٧) فاحشه
- (٨) سطاناً

والطء فهو أن يريد شيئاً فيقع حلافه كما في قوله تعالى ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خطأً فحريه رقبة مؤمنة﴾ الآية (٩٢) من سورة النساء صفحة ١١٧ .

﴿فاحشة﴾: أى فعلة ظاهرة القبح. «ساء سبيلاً». أى قبح طريقاً موصلاً للشر.

﴿سلطاناً﴾: أى تسلطاً واستيلاء على القاتل.

المعنى . أعط أيها المؤمن أقبائك حقهم عليك، خصوصاً بمعقهم إذا كانوا فقراء، وأعط المسكين وابن السبيل حقهم من الزكاة أو الصدقة. ولا تبذر مالك في غير المصلحة، لأنه لا يصلح ذلك إلا من استولى عليهم الشياطين فسعروهم للمساد. ودأب الشيطان أنه دائماً يكمر بعمه ربه، فلا يشكره عليها، فصاحبه مثله. وإن أرعمتك الظروف للإعراض عن إعطائهم لعدم وجود رزق حال كوك ترحو أن يمنح الله عليك به فقل لهم قولاً حسناً يبين عدرك ويؤملهم عليك.

وكن دائماً في جميع نسرقاتك المائية وسطاً بين الإسراف واليحل، لأنك إن لم تعمل نصر ملوما عند الله والناس إن بحتت، محسوراً على صياح مالك أن أسرعت ولمناسبة الأمر ببر المحتاجين أراد سبحانه أن يبين أنه جعل الناس متعاونين في المقر والمعنى لحكمة تقدم بعضها في الصفحة السابقة فقال إن ربك أيها النبي يبسط أى يوسع الرزق لمن يشاء من عباده ويضيقه على من يشاء لحكمة، لأنه خبير بطبائعهم بصير بحوائجهم فيعطى كلاماً يتمق مع الحكمة وإذا كان الأمر كذلك فلا يجوز أن تقتلوا أولادكم خوف فقر يقع، لأننا نحن صامنون رزقهم كما صمنا رزقكم وبذلك يكون قتلهم إثماً عظيماً. ولما كان قتل الأولاد يمضى إلى قطع التناسل أتبعه بما يماثله فقال «ولا تقريرا الزنا» أى لا تفعلوا ما يقرب منه كاللمس والقبلة فهو بهى عن مقدماته، ولذا لم يقل ولا تزنوا لأن الزنا ثبت أنه ممضية فاصحة لقبح، وأنه شس الطريق الموصل إلى النار ولا تقتلوا النفس التى حرم الله قتلها إلا قتلاً مفترناً بالحق ولا يكون ذلك إلا بإحدى ثلاث. كمر بعد إيمان، ورتا بعد إحصاء، وقتل عمد. ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لولى أمره سلطاناً على القاتل بمؤاحدته بأحد أمرين إما القصاص، وإما لدية. فلا يسرى في القتل بأن يقتل بدل الواحد اثنين، لأنه بعدما نصره الله وأوجب على لحاكم القصاص له لا يصح له أن يتجاوز العدد.

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ
أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣١﴾
وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَرِثُوا يَاقِطًا الْمُسْتَغْنَى ذَلِكَ
خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ
عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ
مَسْئُولًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنَ تَخْرِقَ
الْأَرْضَ وَلَنَ تَنبُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٤﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ
سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٥﴾ ذَلِكَ بِمَا أَوَّحَى إِلَيْكَ
رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنْفَلِتَ
فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٣٦﴾ أَفَأَصْحَابُكُمْ بِالَّذِينَ
وَالَّحَدِيثَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَّهُمْ إِذَا لَنُقُولُونَ قَوْلًا وَاسْمًا ﴿٣٧﴾
وَنَقَدُ صَرْفًا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ

المفردات: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾
مبالغة في النهي عن أكله. ﴿التي هي أحسن﴾
أي الطريقة الأحسن. ﴿أشده﴾ المراد به هنا
تمام عقله وحسن تصرفه. ﴿بالعهد﴾ الذي
ربطتم أنفسكم به مع الله بالعمل بكتابه، أو مع
الناس في الخير. ﴿مسئولاً﴾: عنه هل وهبت
به أم لا. ﴿ياقِطًا﴾: المميزان.
﴿المستغنى﴾: الممتد. ﴿تأويلًا﴾ هو ما
يؤول الشيء إليه ويكون عاقبته. ﴿لا تقف﴾
أي لا تتبع. ﴿لغواد﴾ القلب. ﴿مسئولاً﴾ عنه
يوم القيامة.

﴿مرحاً﴾ المرح هو الاختيال والتفاحر
والمراد به مغتالاً متفاخرًا.

﴿كل ذلك﴾ المتقدم من الحصال الأربع والعشرين المبتدئة بقوله

﴿لا تجعل مع الله﴾ وهي مشتملة على مأمورات ومحظورات

﴿سئته﴾: هو المعنى عنه منها.

﴿الحكمة﴾ هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به.

﴿مدحورًا﴾: مطرودًا عن رحمة الله.

﴿أفأصحاكم﴾. أي حصصكم والهمزة للإكثار عليهم والأصل هل فصبكم سبحانه على نفسه
فحصصكم... إلخ

﴿صرفنا في هذا القرآن﴾ أصل التصريف كثرة صرف الشيء من حال إلى حال، ومفعوله
مقدر مفهوم من المقام وهو ما نسبوه لله سبحانه بالباطل وما رد به عليهم.

المعنى . ولا تنصرفوا في مال اليتيم إلا على الوجه الأحسن له وهو حفظه وتسميته، واستمروا على ذلك حتى يبلغ رشده وسلموه له، وحافظوا على كل عهد لأن صاحب العهد سيسأل يوم القيامة عما عمل فيه. وأوهوا الكيل إذا كنتم للمشتري، وربوا له بالميراث المعتدل، ذلك المأمور به حير لكم في الدنيا لحصول البركة في أموالكم. وأحسن في الآخرة لحصول لثواب العظيم.

ولا تدخل أيها المؤمن في شيء ليس لك به علم، فلا تقل سمعت وأنت لم تسمع، أو رأيت وأنت لم تر، أو علمت وأنت لم تعلم. لأنك ستسأل يوم القيامة هل سمعت حقاً أو نظرت صحيحاً أو علمت حقاً وتجاوزي على ذلك.

ولا تمش أيها المؤمن في الأرض حال كوكب محتالاً على الناس، لأنك مهما هملت فلن تحرق الأرض بشدة وطاقتك، ولن تبلغ مهما تطاولت أن تحادي الحبال، أي فابتعد عن هذه العمالة، وامش على الأرض هونا، وقل لمن يسئ إليك سلاماً كما هي الآية (٦٢) من سورة المرقا صفة ٤٧٧ كل ما تقدم كان القبيح منه مكروهاً ومبغوضاً عند الله، وكل مبغوض يعاقب صاحبه. ذلك المتقدم من الوصايا المبتدئة بقوله ﴿لا تجعل مع الله﴾ إلى قوله ﴿مكروهاً﴾ شيء عظيم، لأنه من الحكمة التي أوحاها ربك إليك.

ولما كان توحيد الله هو مبدأ الأمر ومنتهاه، إذ بدونه يبطل كل عمل، فهو رأس الحكمة، حتم الوصايا به كما بدأها به وأيضاً رتب عليه أولاً نتيجته هي الدنيا ﴿فتقعد ملوماً﴾ إلخ، ورتب عليه آخرها نتيجته هي الآخرة وهي الرمي مع الاحتقار في جهنم.

ثم أنكر سبحانه على من قالوا الملائكة بيات الله فقال: ﴿أعاصفاكم﴾ إلخ أي هل فضلكم ربكم فحصبكم بأفصل الأولاد وهم البنون واتحد هو لنفسه من الملائكة بيات؟ إنكم في قولكم هذا تقولون بهتاناً عظيماً ولقد قررنا هذا المعنى في مواضع من القرآن بوجوه شتى لعلمهم يتذكرون ويتعظون، ولكن لتحجر قلوبهم لايزيدهم هذا التصريف إلا بغوراً من الحق، انظر الآية (١٠٠) من سورة الأنعام صفحة ١٧٩ والآيات (٥٧ - ٥٩) من سورة النحل صفحات ٣٥٢، ٣٥٣، والآيات (١٥ - ١٩) من سورة الرخرف صفحات ٦٤٨، ٦٤٩، والآيتين (٢١، ٢٧) من سورة النجم صفحات ٧٠١، ٧٠٢.

إِلَّا نَعُورًا ⑪ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ دَاهِيَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا
لَا تُعُورُونَ بِأَيِّ لَعْنَةٍ سَبِيلًا ⑫ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
عَمَّا يُشْرِكُونَ عَلُّوا كَيْدًا ⑬ تَمْسِجُ لَهُ أَسْمَانُوتُ انْتَبِجُ
وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا بِسَبْحٍ مُحْمَدٍ
وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ⑭ كَذَلِكَ كَانَ حِجَابًا عَمُورًا ⑮
وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاصْغَبْ نَفْسَكَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَنُورًا ⑯ وَجَعَلَ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً
أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي قُلُوبِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ
فِي الْقُرْآنِ وَحَدَّثَ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ نَعُورًا ⑰ تَحْسُ الظُّمُ
يَمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى
إِذْ يَقُولُ الطَّيْشُونَ إِنْ يَنْبَغُونَ إِلَّا رَجُلًا مُنْجَرًا ⑱
أَنْظُرْ كَيْفَ مَرَّبُّوْا لَكَ الْآثَانُ فَصَلُّوا فَلَا يَسْتَلْهِمُونَ

المصدرات: . «ابتغوا»: طلبوا. «دى
العرش»: صاحب الملك الصحيح وهو الله
سبحانه. «سبيلًا»: طريقًا للمغالبة كما هي
العادة بين الملوك كما في الآية (٢٢) من
سورة الأنبياء صفحة ٤٢٢، والآية (٩١) من
سورة المؤمنين صفحة ٤٥٤، أو طريقًا للقرب
إليه، ويساعده الآية (٥٧) الآتية في هذه
السورة صفحة ٢٧٢ «تمسج له السموات
السبع» إلح المراد تدل بحدوثها وتغلبها
على وجوب وجود صانع قادر حكيم.

«وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا
تفقهون تسبيحهم»: «إن» حرف نفي بمعنى
«ما» و«من» حرف يعيد النصب على عموم

ما بعده، أى وما من شيء من الأشياء حيوانا كان و نباتا أو حمادا إلا يسبح مثمنا بحمده،
والمراد بالتسبيح الدلالة بلسان الحال، أى تدل بحدوثها وتغلبها دلالة واضحة على وجود
صانع حكيم، ووحدته وقدرته وتترده عن كل نقص كما يدل الأثر على مؤثره وهذا أسلوب
عربي فصيح يقول العربي نطق حال هلال بكدا يريد تدل دلالة واضحة على معنى معين ومن
هذا الأسلوب ما جاء في القرآن في قوله سبحانه عن جهنم «تكاد تميز من الغيظ» الآية (٨)
من سورة تبارك صفحة ٧٥٥ «ولكن لا تفقهون إلح» الخطاب للمشركين والكفار لأنهم هم
الذين نقل لكلام عنهم قبائحهم من بسمة ما لا يليق إليه سبحانه «حجاب» أى مانعا يمنعهم
عن إدراك الحق «مستورا» عن الأعين لأنه معبى لا حسى وهو العشاةة هي الآية (٧) من
سورة النقرة صفحة ٤.

«أكنة» جمع كنان يكسر أوله وهو العطاء «وقرا» صمما «يما يستمعون به» أى
بالحال الذى يستمعون إليك وهم متلبسون به من الاستهزاء بك وبالقرآن. «يد هم بجوى» يد

ظرف زمان بدل مما قبلها، وبحوى جمع نجي أى محتاج كقتيل وقتلى، والمراد فى وقت تحاطبهم سرا، انظر الآية (١١٤) من سورة النساء صفحة ١٢٢. «مسحوراً» أى سحره غيره فأصيب بالحنن. «صربوا لك الأمثال» أى جعلوا لك أمثالا كثيرة محتلفة من شدة عبادهم؛ فتارة قالو ساحراً، وأخرى مسحوراً، وغيرها شاعر وكاهن، إلى غير ذلك.

المعنى قل أيها النبی فی إظهار بطلان رعمهم من جهة أخرى لو كان مع الله سبحانه فى الوجود آلهة كما يقول المشركون إذا كان هذا لطلب هؤلاء الآلهة طريقا يصلون منه إلى صاحب الملك المطلق لبارعوه عليه، أو المعنى لطلبوا طريقا يقربهم إليه لعانهم بعلو منزلته وعظمته وعجزهم، أى ومن كان كذلك لا يصح أن يكون إلها سبحانه أى نزهه سبحانه تزيهاً لاثقاً به، وثباعد سبحانه عما يرعمون من أن معه آلهة قباعدا بعيد المدى ثم أراد سبحانه أن يبين أدلة جهلهم وعمى بصائرهم فقال «تسبح له» إلح أى أن أجرام السموات والأرض ومن فيهما من العقلاء من الملائكة والإنس والجن، بل كل ما فى الكون حتى الحيوانات والنباتات والجمادات تنادى بلسان حالها بإتقان صنعها على تزيهه سبحانه واستحقاقه لكل ثناء جميل، ولكن الكافرون لا يفقهون هذه الدلالة لاستيلاء العجلة والمرور عليهم، انظر الآية (١٢٧) من سورة التوبة صفحة ٢٦٤، والآية (١٠٥) من سورة يوسف صفحة ٢١٩، وكان جحودهم هذا يقتضى هلاكهم، ولكنه سبحانه حلیم لا يعجل بالعقوبة ليصيح مجال المعصرة لمن يتوب منهم، ثم بيّن سبحانه بعض أسباب ضلالهم فقال وإذا قرأت أيها النبی القرآن لماطوق بالبراهين الدالة على الحق جعلنا بمقتضى حكمتنا فى الإصلال والهداية المبينة فى الآية (٢٩) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨ بينك وبين المشركين الذين ينكرون البعث - والكفر به سبب كل الشرور - حجاباً يمنعهم عن الحق بوصع المشاوة على عيوبهم، وأعطية على قلوبهم كراهة أن يفقهوه على حقيقته، وفى آدابهم صنما فلا يسمعون سماع انتفاع، وكل هذا تمثيل لشدة جحودهم وقسوة قلوبهم ومن أدلة ذلك أنك إذا ذكرت أيها النبی ربك غير مقترن بذكر آلهتهم ولوا عن مجلسك ناهرين، وسبب ذلك نحن نعلمه: لأننا نعلم أنهم حين يستمعون يكونون هارئين ساهرين بك وبكتابك، وفى الحين نفسه هم متباحون هيما بينهم سرا بقول بعضهم البعض ما تتيهون إن اتبعتم إلا رحلاً مجنوناً. انظر أيها النبی وتعجب كيف نوعوا لك لتهم فصلوا فى جميع ذلك عن الحق فلا يستطيعون طريقاً إلى طعن يمكن قبوله.

سَيَلًا ۝ وَقَالُوا لَئِنَّا كُنَّا عِطْنَا وَرَفْنَا أَوْ نَسَجُرُونَ
خَلْقًا جَدِيدًا ۝ قُلْ حُكُورًا حَجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝
أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا
قُلِ الْاَلَدِى مَعَكُمْ اَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُعْجِزُونَ لَيْلِكُمْ وَهُمْ
وَيَقُولُونَ مَن هُوَ قُلْ عَسَى اَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ۝
يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ اِنْ لَيْتُمْ اِلَّا
قَلِيلًا ۝ وَقُلْ لِعِبَادِى يَقُولُوا الَّذِى هِىَ اَحْسَنُ اِنْ
الشَّيْطٰنُ يَنزِعُ بَيْنَهُمْ اِنْ الشَّيْطٰنُ كَانَ لِلْاِنْسِ عَدُوًّا
مُبِينًا ۝ وَتَذَكَّرْ اَقْلَمَ بِكَ اِنْ يَتَاَوَعَكَ اَوْ اِنْ يَتَأَمَّ
يُعْتَبِرْ وَمَا آرَمْتَكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝ وَذٰلِكَ اَعْلَمُ
بِمَنِى السَّمَوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّاسِ
عَلٰى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ دَجْوَرًا ۝ قُلْ اَدْعُوا الَّذِى

المعمرات.. «رفاتا» كالمئات ورفنا ومعنى
وهو ما تكسر من كل شيء.

«يكبر في صدوركم» أى تستبعد عقولكم
قبوله للحياة.

«مطرركم». خلقكم أول مرة. «بمعصون»
أى يحركونها إلى جهتك تمجدا واستهزاء.

«تستجيبون بحمده»: أى تحييون الداعي
قائمين بحمده سبحانه، والكلام كناية عن
سرعة وسهولة الانبعاث، فكأنه يقول منقادين
أبقياد العاصدين. «إن ليثتم»: ما مكثتم.

«التي هي أحسن»: العبارة التى هي
أحسن من غيرها، انظر الآية (١٦) من سورة

المعكوت صفحة ٥٢٧ والآية (٣٤) من سورة فصلت صفحة ٦٢٤. «ينزع بينهم». أى يفسد
بتهميش الشر بين المؤمنين وغيرهم ليفنى بعضهم بعضا. «وكيلا» أى موصيا عن ربك
لتحبرهم على الإيمان. «دجورا» هو الكتاب الذى أنزل على نبي الله داود.

المعنى: بعدما عجب النبي ﷺ من صبرهم له الأمثال، ذكر أمرا آخر يعجب منه أيضا
وهو إنكارهم البعث فقال وقالوا أيضا هل يمكن إذا صرنا عظاما نخرة وقطعا متفرقة أن
نرجع ونبعث مخلوقين خلقا جديدا فيه حياة؟ قل أيها الرسول فى الرد عليهم قاطعا عليهم
طمعهم فى عدم البعث كونوا حجارة أو أشد منها كالحديد، أو أشد منه مما تستبعد عقولكم
قبوله للحياة كالسموات والكواكب، فإن الله تعالى لا يد معيذكم للحساب والجزاء، فسيقولون
لك مستبعدين: مَن يعيدنا؟ قل لهم: يعيدكم القادر العظيم الذى أوجدكم أول مرة من العدم،
وسيقابلون جوابك القاطع بهز الرموس استهزاء كمادة السمهاء، وسيقولون إنكارا، لما تقول:

متى هذا الذي تعدنا به من البعث؟ قل لهم أرحموا أن يكون قريباً جداً لأنه محقق، وكل محقق الوقوع قريب مهما طال زمنه، وسكون يوم يدعوكم من الصدور، انظر آتى (٦-٧) من سورة القمر صفحة ٥٠٧، فتسرعون للإحابة حاصعين لعظمته، والحال أنكم من شدة الهول تظنون أنكم ما لبثتم في القبور إلا زمناً قليلاً، انظر الآية (١١٣) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٦ والآية (٤٦) من سورة البارات صفحة ٧٩١.

وبعد ما أقام سبحانه عليهم الحجة أراد أن يسد على الشيطان منافذ المتة فأمر بملاية تكمار في المحادثة، لأن الكلمة الطيبة قد تحدث من المؤمن ما فيه نعمة من خير فقال لسيه وقل لعبادي المؤمنين أن يقولوا عند محاورتهم للمشركين العبارات التي هي أحسن لأن الشيطان يريد الإفساد بين المؤمنين والمشركين ليفتل بعضهم بعضاً، وإنما كان هذا طبعه لأنه طول حياته عدو ظاهر العداوة للإنسان ثم يتن بعض الجمل التي هي أحسن فقال قولوا لهم مثلاً ربكم أيها المشركون أعلم بكم، إن يشا يرحمكم بالتوفيق بالإيمان، وإن يشا يعذبكم بعديه، وعلقو أمرهم على مشيئة الله، ولا تصرخوا لهم بأنهم من أهل النار، فإن ذلك فصلاً عما فيه من تهيج الشر، فيه تدخل في قضاء الله في المستقبل، انظر الآية (٢٤) من سورة سبأ صفحة ٥٦٦، ولذا قال سبحانه لسيه وما أرسلناك أيها النبي مفوضاً عما في خبرهم على الإيمان وإنما أرسلناك بشيراً ونبيراً فقط، وربك وحده هو العليم ولما كان من ضمن ما طعن به المشركون فيه **يُخَيَّرُ** أنه رجل مسحور وغيره مما تقدم في الآية (٤٧) من هذه السورة قال في الرد عليهم بالحسنى وربك أعلم بكل من في السموات والأرض هيختار منهم لمن يشاء حسب حكمته وهؤلاء الأنبياء ليسوا سواء في الفصل عنده تعالى، بل بعضهم أفضل من بعض فإبراهيم بآتياده حليلاً، وموسى كليماً، ومحمد بالقرآن الذي أعجز البشر وكونه خاتم المرسل وغيره مما تقدم بعضه صفحة ٥٢، وفصلنا داود بالريور أي لا بالملك العظيم، وكان في هذا لربور أن الأرض ترثها أمة محمد، انظر الآية (١٠٥) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢١ وفيه إشارة إلى أن مرجح الفصل هو الكتاب، ولا أفصل من القرآن، وفيه فصل جميع الكتب.

ثم رجع إلى بطلان عفاثد المشركين بأسلوب آخر فقال للذين كانوا يعبدون الجن والمسيح وعزير والملائكة وغيرهم من العقلاء «ادعوا الذين» إلح

وَرَحِمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا
تَحْوِيلًا ⑤ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ
الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَةً وَيَحْتَفُونَ عَلَيْهَا
إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ⑥ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ
مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا
كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ⑦ وَمَا مَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ
بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كُذِّبَتْ بِهَا الْأُولُونَ وَهِيَ تَمْشِي مُطَوِّدَةً
مُصِرَّةً مَعْلُومًا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَحْذِيرًا ⑧
وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا
الرَّأْيَ الْإِنْسَانِي أَرَبَئَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةُ الْمَعْرُومَةُ
فِي الْقُرْآنِ وَنَحْنُ نَعْلَمُ مَا يَرْتَدُّ إِلَيْنَا طُغْيَانًا كَبِيرًا ⑨
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ

المصدرات: «زعمتم» أي توهمتهم أيهم
آلهة من الملائكة والجن وعيسى والعزير من
كل ما يعقل. أما الأصنام فقد أبطلها هي
آيات أخرى منها آيتي (١٩٧، ١٩٨) من سورة
الأعراف صفحة ٢٢٥، وآيات (٥٢ - ٦٧) من
سورة الأنبياء صفحات ٤٢٦، ٤٢٧، وآيات
(٩١ - ٩٦) من سورة الصافات صفحة ٥٩٢.

«الوسيلة»: أي ما يقربهم إليه تعالى من
الطاعات

«أيهم أقرب»: «أي» من «أيهم» اسم
موصول بمعنى الذي يدل من ضمير
«يبتغون» يدل بعض من كل.

«محذورا» أي يحذره ويحترس منه كل
عاقل. «الكتاب»: اللوح المحفوظ.

«وإن من قرية»: «إن» حرف نفي بمعنى «ما» و«من» للنص على العموم على قرية.
وقرية المراد بها التي ظلم أهلها بالكفر والمعاصي. انظر الآية (١٢٣) من سورة الأعراف صفحة
١٨٢، الآية (١٦) من سورة الإسراء صفحة ٢٦٦، والآية (١١) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢١،
والآية (٤٥) من سورة الحج صفحة ٤٤٠، والآية (٨) من سورة الطلاق صفحة ٧٥٠
«بالآيات»: هي المعجزات التي طلبتها قريش في الآية (٩٠) الآتية وما بعدها من هذه السورة
صفحتي ٣٧٦، ٣٧٧.

«مبصرة»: تجعل من يتأملها ذا بصيرة.

«عظلموا بها»: أي ظلموا أنفسهم بسبب كفرهم بها.

﴿احاط بالناموس﴾: علما وقدره.

﴿الرؤيا التي أرياك﴾ ليلة الإسراء وما شاهدت فيها من العجائب، جاء في كتب اللغة أن إدراك الشيء بالعين يقال فيه رأى محمدٌ عليًا أي أبصره بعيينه، وإن كان الإدراك بالعقل وهو المسمى علمًا، أو معرفة يقال فيه أيضًا رأى محمد عليًا عالمًا، رؤية أيضًا، أي علم أنه عالم، وإن كان الإدراك في المنام وهو المعبر عنه بالحلم يقال فيه رأى محمد في منامه كذا رؤيا. وقد جاء الثلاثة في القرآن فمن البصرية ما في الآيات (٢٧) من سورة الأعراف صمحتي ١٩٥، ١٩٦، و(٢) من سورة الرعد صمحتي ٢٢٠، ٢٢١، و٢ من سورة الحج صفحة ٤٢٢، و(١٩) من سورة الملك صفحة ٧٥٦ ومن العلمية ما في الآية (٣٠) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٣، والآية (١) من سورة الميل صفحة ٨٢٢؛ ومن المنامية ما هنا وما في آيات (٤)، (٥)، (٤٣)، (١٠٠) من سورة يوسف صمحات ٣٠٢، ٣٠٩، ٣١٨ والآية (٢٧) من سورة المتع صفحة ٦٨٢. ومنها قوله ﷺ في الحديث الصحيح ﴿لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة﴾.

﴿فتة للناس﴾ أي اختبارًا وامتنعًا ليطمئن الطيب من الخبيث

﴿الشجرة﴾: هي شجرة الزقوم في الآية (٦٢) من سورة الصافات صفحة ٥٩٠.

﴿الملعون﴾: أي ملعون أكلها، والمراد المذمومة.

المعنى - قل أيها النبي للمشركين اطلبوا الذي زعمتم أنهم آلهة غير الله ليكشفوا عنكم صرا أو يجلبوا لكم نفاقًا، إنهم لا يستطيعون كشف ضرر عنكم ولا تحويله لأعدائكم، وذلك لأن هؤلاء الذين يباديهم المشركون لكشف الضرر عنهم هم أنفسهم يطلبون من هم أقرب منهم إلى الله كالملائكة ما يقربهم منه تعالى فصلا عن الأبعد، فهم مفتقرون إلى ربهم، راجون رحمته، خائضون عذابه، فلا يصح أن يكونوا آلهة معه، لأن الإله لا بد أن يكون غيبا عن كل من عداه، وإنما خافوا عذاب الله لأن كل عاقل يحذره بالابتعاد عن سببه.

ثم أراد سبحانه أن يطمئن المؤمنين بالنصر على أعدائهم فقال:

﴿وإن من قرية﴾ إلخ أي ما من قرية من القرى التي ارتكب أهلها الظلم بالكفر والمعاصي إلا نحن مهلكوا أهلها بالإفناء قبل يوم القيامة أو معذبوها بالذل والأسر وغير ذلك؛ كان ذلك القصص مثبتًا في كتابنا.

ولما كان كفار قريش يتعنتون في طلب معجزات معصية، وكانت عادة الله سبحانه أنه إذا أجاب أمة لما تطلب ولم تؤمن أهلها عن إحرازها

ولما كان سبحانه لا يريد إهلاك أمة معجزة أحر الأسياء ثم يحب طلبهم أسطارا لما سيخرج من ظهورهم من المؤمنين في المستقبل في كل هذا قال سبحانه وما معنا أن نرسل الآيات التي اقترحوها إلا أن الأولين أمثالهم كفاد وثمود كذبوا بها لما جاءتهم فأهلكناهم، فلو جنابهم بها لكذبوا واستحقوا العناء، ونحن لا نريد ذلك.

وقد سألت ثمود من قبل قومك آية هاتيناهم الناقة حجة واضحة فكفروا بها وعقروها فأهلكناهم، وما نرسل الآيات المقترحة إلا تحويها من برول العذاب، فإن لم يحافوا برل فأهلككم.

وذكر أيها النبي حين قلنا لك إن ربك محيط بالناس علما وقدره فلا تخف من شرهم فهو حافظك وما جعلنا ما أريناك في الإسراء من المعائب إلا لتحذيرهم فيردد إيمان المؤمن وكفر الكافر، وما جعلنا شجرة الرقوم إلا فتنة أيضا.

فقد ورد أن أبا جهل لما سمع أنها تنبت في أصل الجحيم قال إن محمداً يرفعهم أن جهنم وقودها الحجارة.

ويرغم بعد ذلك أن هيأ شجرة أحصر، وجهل أن القدرة حملت النار في كل شيء حتى هي الماء كما هو مبين في أماكنه، انظر الآية (٨٠) من سورة يس صفحة ٥٨٦، والآيات (٧١، ٧٣) من سورة الواقعة صفحات ٧١٦، ٧١٧ ونحوهم بأنواع التحويل لعلهم يرحمون فما يريدون ذلك إلا طمعا وتجاوزا للحد كثيرا.

ثم أراد سبحانه أن يبين لنبيه أن عدم إيمان قومه لا سبب له إلا الحسد والكبر الذي وقع إبليس في الشقاء فهم مثله، فذكر له قصته المتقدمة في البقرة والأعراف والحجر، انظر ما قيل فيه في الآية (٢٤) من سورة البقرة صفحة ٨.

قَالَ أَنَسُ بْنُ حُلَاقٍ مَبًى ① قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا
الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَى لَيْلٍ أُخْرَى إِلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَخِيكَ
قَرِينَهُ إِلَّا قَبِيلاً ② قَالَ أَذْهَبَ قَسَّ بَعَكَ مِنْهُمْ
فَلَوْ جَهَنَّمَ بِرَأْسِ كَرٍّ مَوْجُورًا ③ وَأَسْتَفِرُّ مِنْ
أَسْطَقَتْ مِنْهُمْ بِمَوْنِكَ وَأَجِيبْ عَلَيْهِمْ بِحَبْلِكَ وَرِجْلِكَ
وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَنْهُمْ وَمَا يَنْهَكُهُمُ
الشَّيْطَانُ إِلَّا عُرُورًا ④ إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ⑤ رَبُّكَ الَّذِي يُرِي
لَكَ الْمَلَائِكَةَ فِي الْبَحْرِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضِيلَةٍ إِنَّهُمْ كَانُوا يَكْذِبُونَ
رَحِيبًا ⑥ وَهَذَا مَكْرُ الْمَعْرُوفِ الْخَبَرِ صَلَاسٌ يَدْعُونَ
إِلَّا إِلَهَهُ نَلَّا نَجْهَكَ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ
كَفُورًا ⑦ أَفَأَنْتُمْ أَنْ تَحْيِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يَرْسِلَ

المفردات: «طيباً»: أصله من طين.

«أرايتك»: أي أخبرني، في الكلام
استفهام مقدر يفهم من السياق، والأصل هل
هذا الذي... إلخ.

«احتفكن»: أصله من احتفك الدابة إذا
جعل في فكها الأسفل حبلاً يقودها به،
والمراد اتصرف فيهم كما أريد.

«موفوراً» أي مكملًا غير منقوص منه
شيء.

«استمرر»: يقال استمر الرجل غيره إذا
استغفه فغدعه حتى أوقفه فيما يريد منه.

والمراد من هذا الأمر ومن الأوامر التي بعده تهديد إبليس ومن يتبعه. لأن الله لا يأمر
بالفحشاء كما هي الآية (٢٨) من سورة الأعراف صفحة ١٩٦.

«بصوتك»: بوسوستك التي توقعهم في المعصية.

«أجلب عليهم»: من الجلبة وهي الصياح بشدة.

(١) أنس

(٢) أرايتك

(٣) القيامة

(٤) الأموال

(٥) الأولاد

(٦) الشيطان

(٧) سلطان

(٨) بجاكم

(٩) لإسار

﴿نحيتك ورجلك﴾ أى بجندك الحياالة والراجلين.

﴿غرورا﴾. هو تزيين الباطل بما يوهم أنه حق.

﴿سلطان﴾: أى تسلط وقدره.

﴿يرحى لكم الملك﴾ أى يسوقها حيناً بعد حين ويجريها بالرياح. ﴿صل﴾ أى عاب وذهب.

المعنى.. فسجد الملائكة إلا إبليس امتنع وقال منكراً كيف أسجد لمن خلقته من طين وأنا من نار هبأنا حير منه. ثم قال إبليس أخبرنى يا رب هل هذا المخلوق من الطين هو الذى كرمته عني؟ ولم هدا؟ وعزتك بش أحترتى وتركتنى حياً إلى يوم القيامة لأتحكم فى دريته وأحولهم إلى الشر إلا قليلاً جداً وهم الذين قويث عرائهم فلا يؤثر فيهم إغوائى. نظر آيتى (٢٩، ٤٠) من سورة الحجر سمعتى ٢٤٠، ٢٤١.

قال له سبحانه امض فى طريقك الذى احترته لمسك فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جميعاً جزاء كاملاً وأهرع جهنك فى جميع أنواع الإغراء أنت وأعوالك. وشاركهم فى الأموال جعل كسبها من حرام وصرفها فى حرام. والأولاد فى تكميرهم وجعلهم عبيد للأصنام، وعدهم بالمواعيد الباطلة كشعاعة الآلهة والاتكال على صلاح الآباء وطول الأمل، وما يعد الشيطان أتباعه إلا باطلاً. إن عبادى المخلصين فى طاعتى ليس لك على إغوائهم قدرة لتوكلهم على ربهم، وكفى به وكيلاً بلجنون إليه لدفع كيد الشيطان.

ثم بيّن فساد رجوعهم إلى غيره تعالى فقال: ربكم الإله الحق هو وحده يستر لكم السمن فى البحر لتطلبوا من فصله الریح فى التجارة ونقل أمتعتكم من بلد إلى بلد، إنه سبحانه دائم الرحمة بكم حيث سهل لكم ما يصعب عليكم. وربكم وحده هو الذى إذا مسكم ضرر كحوف عرق عاب عن حواطركم كل ما تعبدونه إلا إياه سبحانه، فلا تحدون منقداً غيره، فلما بجاكم من العرق إلى بر السلامة أعرضتم عن توحيده، ونسيتم فصله.

وهذا شأن الإنسان بكثرة من كفر النعمة وكيف تفعلون هدا؟ هل أمتتم أن يحسف بكم ربكم القادر جانب البر الذى طنتم أنكم فى أمان فيه فتبتلعكم الأرض كما فعل بقوم لوط، أو يرسل عليكم ما فيه هلاككم؟

عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٥٥﴾ أَمْ لَيْسَ لَكُمْ
بُعْدُ كُرْبَةٍ تَلَوْتُمْ أَنْتَرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَشَقَاصٍ مِنَ الرِّيحِ
فَتُحَرِّقُكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عُتْبَاءً نَهِيمًا ﴿٥٦﴾
وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ
خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٥٧﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِسْمِهِمْ
فَمَنْ أُوْنِيَ كُنْتُمْ بِرَبِّهِمْ فَذُرْكُم بِقُرْآنٍ كُنْتُمْ
وَلَا تَبْطِلُونَ قَبْلًا ﴿٥٨﴾ وَمَنْ حَكَادَ فِي عَمَلِهِ أَوْ مَن
فُتِرَ فِي الْآيَةِ أَوْ مَن وَاسَّلَ سَبِيلًا ﴿٥٩﴾ وَلَهُ كَادُوا
لَيَقْعُوبَنَّكَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا بَيِّنَاتٍ لِيَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
وَلَا يَحْذَرُونَ خَلِيلًا ﴿٦٠﴾ وَلَوْلَا أَنْ تَبَيَّنَّكَ لَقَدْ كُنْتُمْ
رَكَنًا إِلَى اللَّهِمْ شَبَقًا قَلِيلًا ﴿٦١﴾ إِذَا لَأَذْنُكَ يَضَعُ

المفردات: - «حاصبًا»: هي الريح التي
ترمي بالحصباء وهي الحجارة، والمراد ريحا
مهلكة، انظر الآية ٧٤ من سورة الحجر
صفحة ٢٤٢. «قاصفا»: هي الريح التي
تقصف أي تكسر السفن، فالريح المهلكة هي
البر تسمى حاصبا، وهي البحر تسمى
حاصفا. «نهيما»: فعلا بمعنى فاعل كملهم
بمعنى عالم أي قابلا يطالبنا بشارهم.

«على كثير»: المراد بهم ما عدا
الملائكة: فإن الإنسان هي جملته ولو كان
كافرا فضله الله تعالى بالعقل والإرادة
واستواء الحلقة وغير ذلك على الحيوانات

والجمادات، وهذا لا يناقض أن بعض أفراد الإنسان أفضل من الملائكة

«إمامهم»: أي نبيهم فيقال يا أتباع موسى ويا أتباع عيسى مثلاً «فتيلاً» هو المحيط
الرفيع في شق النواة «هي هذه أعمى» أي هي هذه الدنيا أعمى البصيرة. «فهو في الآخرة
أعمى»: أي أعمى البصر، انظر الآية (٩٧) الآتية في هذه السورة صفحات ٣٧٧، ٣٧٨، وأيتي
(١٢٥، ١٢٦) من سورة طه صفحة ٤١٨، وهذا يكون عند قيامهم من القبور وشدة الحيرة
لريادة إيلامهم ثم بعد ذلك برال العمى عنهم ليروا أهوال القيامة ويقرءوا كتبهم ويشاهدوا
النار. «أصل سبيلاً» أي أشد ضلالاً عن سبيل المجاة. «كادوا» أي قربوا. «يقتوبك» أي
يوقعونك في الفتنة وهي المحبة الشديدة. «كدت» قارت «صعب» قدره مرتين

المعنى:.. هل حسيتم أنكم بحروجكم إلى البر امتتم من عذاب الله؟ كلا، فهو إن شاء غيبكم
في بطن الأرض، وإن شاء أمطر عليكم حجارة من السماء فلا تجدون من توكلونه هي دفعه

عنكم. أم أميتم أن يفيديكم ربكم في البحر مرة أخرى فيرسل عليكم ريحا تكسر سفنكم فيمرفقكم بسبب كمرانكم بعمته حين يحاكم أولاً، ثم لا تجدوا من يطالبنا ويسألنا عن إهلاككم. ومن فصل الله تعالى على الإنسان ومن بعمته التي كمرها الإنسان أنه سبحانه كرم بني آدم بحسن القوام والخلق والنصرف على ما في الأرض إلى غير ذلك، ومن فصله سبحانه أنه حملهم في البر على الدواب وغيرها وفي البحر على السفن، وورقهم من طيات الحياة من مأكول ومشروب وملبوس. وفصلهم على أكثر مخلوقاته بالعقل والتعكير والاستعداد للنعيم الدائم وذكر قومك أيها النبي بيوم القيامة حين ينادي كل بإمامها، ثم يعطون كتب أعمالهم فمن تناول كتابه بيمينه فإنه يقرؤه مبتهجا مفلحا سروره على رحوس الشهداء كما في الآية (١٩) وما بعدها من سورة الحاقة صمحتي ٧٦٢، ٧٦٣. ولا ينقص من أجره شيء، وأما من تناول كتابه بشماله فيتحسر ويحصل منه ما في الآية (٢٥) وما بعدها من سورة الحاقة صمحة ٧٦٣. وهذا هو الذي أشار إليه هنا بقوله ومن كان في هذه الحياة الدنيا أعمى البصيرة لا يرى سبيل الخير ولا يتأمل أدلة وجود الله وحكيم صنعه تعالى فجزاؤه أن يكون في الأخرة لا يرى طريق النجاة، بل سيكون أشد ضلالاً عن طريق النجاة من الأعمى في الدنيا لأن النجاة في الأخرة مستحيلة وكان من تعبت كمار قريش أن يعص صناديدهم أتوه ﷺ وطلبوا منه أن يطرد المبيد عن مجلسه والمقرء الذين آمنوا به وعند ذلك يؤمنون به. ولما كان ﷺ شديد الحرص على عدم إيمانهم وبحب هدايتهم دار في حاضره ماذا على لو فعلت ذلك وقتنا يسير حتى يهديهم الله تعالى ثم يكون الحميم إخوانا، فهناك الله عز وجل في الآية (٥٢) من سورة الأنعام صمحة ١٧٠. ويؤن له هنا فصله سبحانه عليه في تشيته فقال ﴿وإن كادوا ليقتلوك﴾ إلخ أي وإن كمار قومك كادوا أي قاربوا أن يقتلوك ويصبرهوك عن الدين الذي أوحياه إليك. وفيه بر المؤمنين وموالاتهم والعطف عليهم، وبذلك تكون أحلت نفسك محل المستر على حيث يفهم الناس أن عملك هذا بوحى من الله وإذا كنت فعلت ما طلبوا لا اعتنروك صديقا ووليا لهم وخرجت عن ولايتي ولولا تثبيتنا لك لقاربت أن تميل إلى اتباع مرادهم ميلا قليلا جدا. وتقهم منه أنه ﷺ لم يقترب من الركون فصلا عن الركون نفسه، ولو حصلت هذه الهمة التي لا تكاد تذكر لمذبذبك عدايا لا يتصور العقل شدته.

الْحَيَاةَ وَصَفَّ أَلَمَكَ ثُمَّ لَا تُعَذِّبُكَ عَلَيْهَا صَبْرًا ⑤
وَلَمَّا كَانُوا لِيَسْتَعْمُرُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا
وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ⑥ سُبْحَةَ مَنْ قَدْ
أَرْسَلْنَا قَلْبَكَ مِنْ رُؤُسِنَا وَلَا نَحْمَدُ لِسَانًا نَحْمَدُ بِهَا
أَقِيمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِنَّ عَسَى الْيَلِيلُ وَقُرْآنَ
الْعَجْرِ ⑦ إِنْ قُرْءَانَ الْعَجْرِ كَانَ مُشْهُودًا ⑧ وَمِنَ اللَّيْلِ
فَتَهَجَّدْ بِهِ نَاصِيَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا
مُحْمَدًا ⑨ وَقُلْ رَبِّ أَوْحِثْنِي مَدْحَلٍ صَدَقٍ وَأَخْرِجْنِي
مُخْرَجٍ صَدَقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ أَمْرِكَ سُلْطَانًا جَمِيعًا ⑩
وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَفَعَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ
رَهُوقًا ⑪ وَتَبَرَّأْنَا مِنَ الْفَرَقَةِ الْمَلْعُونَةِ وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ
وَلَا يَمُرُّ بِكَ الْيَوْمَ إِلَّا خَسَارًا ⑫ وَإِذَا أُنْمِتْنَا عَلَى

المفردات: ﴿وإن كادوا﴾. أي وإن كفار قومك قاربوا إلح.

﴿ليستعمرؤنك﴾: ليزعجوبنك ويقلقونك من البقاء في أرض مكة بالتضييق عليك وإيذاء أصحابك.

﴿لا يلبثون خلافتك﴾ لا يمكنون بعد خروجك.

﴿لمنتننا﴾: عادتنا لنصر رسلنا. ﴿لدلوك الشمس﴾: أي انتقالها من وسط السماء إلى جهة المغرب، واللام بمعنى عند، أي صل عند الروال.

﴿عسقى الليل﴾. ظلمته ﴿قرآن المجر﴾ المراد به صلاة الصبح. وعبر عنها بذلك لأنه ركن مهم فيها، وهو معطوف على ﴿الصلاة﴾ قبله ﴿مشهوداً﴾ أي تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار. ﴿تهجد به﴾ أصل التهجد ترك الهجود وهو النوم في الليل لأجل الصلاة فالمراد صل بعض الليل انظر الآية (١) وما بعدها من سورة المزمل صفحة ٧٧٣، وبه أي بالقرآن المشار إليه فيما سبق

﴿نافلة لك﴾ أي عريضة رائدة خاصة بك دون أمرك. ﴿يقيمك﴾ يقيمك ﴿مقاماً محموداً﴾ كريماً يحمدك كل الناس. ﴿مدحل صدق﴾ أي إدحالا كريماً، انظر الآية (٢) من سورة يونس صفحة ٢٦٥. ﴿سلطاناً﴾ قوة بالحجة والتأييد.

﴿نصيراً﴾ أي ناصراً لي على أعدائي. ﴿رهق﴾ ذهب وبطل.

(١) الحياة.	(٢) خلافتك.	(٣) الصلاة	(٤) الليل
(٥) قرآن.	(٦) قرآن	(٧) الليل	(٨) سلطاناً
(٩، ١٠) الباطل	(١١) القرآن	(١٢) الظالمين	

المعنى . ولو فعلت ما طلبوا لأدقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات أى لجمعنا عليك جميع ما فى الدنيا من عذاب وصاعصاء، وجميع ما فى الآخرة من عذاب وصاعصاء، وهذا تهديد بعداب لا يحطر على قلب بشر، سبحانه دى العزة والجبروت الذى يعاسب عباده على قدر مبارتهم عنده، وقريب من هذا ما فى الآية (٢٠) من سورة الاحزاب صفحتى ٥٥٢، ٥٥٤، ثم لا تجد لك نصيراً يمنع عنك العذاب

وأؤكد لك أيها النبى أن كمار قومك فاربوا أن يشتد ارعاجهم لك ليخرجوك من أرض مكة مقهوراً مغلوباً، وهذا ثم يحصل بل خرج بأمر ربه عز وجل وعاد بمصل الله تعالى منتصراً عزيزاً وهم الأدلاء ويجب أن يعلم هؤلاء أنه إذا تحقق منهم ذلك هل يبقوا بعد خروجك منها إلا رميا قليلاً، وقد تحقق هذا الوعيد، فقد أهلكوا بيدى بعد خروجهم بقليل، ثم ذهبت دولتهم نهائياً بعد فتح مكة، وقد سن الله تعالى سنة هى أن كل قوم أخرجوا رسولهم أو أدوه لابد مهلكهم أو معذبهم، ولن تتغير سنته أبداً.

ثم أمر سبحانه نبيه بالإقبال على عبادة ربه ولا يبالى بهم فقال أقم الصلاة المخصوصة من أول روال الشمس إلى ظلمة الليل وهو وقت العشاء، وقد بينت السنة أن هذا هو وقت الظهر والعصر والمغرب والعشاء، أما صلاة الصبح فدل عليها قوله تعالى، ﴿وقرآن العجر﴾ أى وأقم صلاة الفجر التى تشهدا الملائكة هذه الصلوات الخمس فرض عليك وعلى جميع أمتك، ويريد عليك أيها النبى فرضاً سادساً هو صلاة الليل لقتال مبرة عليا محمودة عند جميع الحلائق وهى كل مبرة فيها كرامة، وعلى رأسها جميعها مبرته يوم القيامة هى الشصاعة العظمى، وقل يا رب أدخلنى من كل أمر من أمور ديمى وديهاى إدخالاً كريماً، وأخرجنى منه كذلك، واجعل لى من فضلك قوة أتعلب بها على أعدائى.

وقل مدرا قومك المشركين، جاء الحق من توحيد المعبود والشرع الصحيح، وذهب الباطل من الشرك والمقائد الماسدة، لأن الباطل يضمحل أمام مولدة الحق، وكيف لا يقوى الحق ونحن نزل عليك أيها النبى من القرآن ما هو شعاع لما فى الصدور من الكمر والجهل والنفاق، وسبب رحمة لمن آمن به، أما الظالمون لأنفسهم بالإعراض عنه فلا يزيدهم إلا حسراتاً لأن كل آية يكذبون بها تزيد فى عذابهم، انظر الآية (٥٧) من سورة يوسف صفحة ٢٧٥ .

الْإِنْسَانِ أَمْرٌ مِّنْ وَفَاءٍ بِعَهْدِهِ . وَإِذَا مَنَّ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ مِّنْ شَيْءٍ فَإِنَّهُ يُتَوَكَّلْ عَلَيْهِ . وَمَنْ يُتَوَكَّلْ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ يُمِيطُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُمْسِكْ بِوَدْعِهِ رَأْسَهُ . وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ . أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَأَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَكِيمٌ . أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَأَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَكِيمٌ . أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَأَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَكِيمٌ .

المعردات: . «بأي بجانبه»: صرف عن المصمم وجهه استكباراً. «ينوسا»: أي شديد اليأس والصعجر فاقد نعمة الصبر «شاكلته»: أي طريقته التي تشاكل وتلائم حاله. «الروح»: جاء إطلاق الروح في القرآن على ستة معان: الأول: . نبي الله عيسى، انظر الآية (١٧١) من سورة النساء صفحة ١٢٢ . الثاني: . ما به الحياة انظر الآية (٢٩) من سورة الحجر صفحة ٢٤٠، قال الراغب، وأضافها في هذه الآية لنفسه تشریفاً كقوله تعالى: «وطهر بيتي» الثالث: كيار الملائكة كجبريل انظر آيتي (١٠٢) من سورة النحل صفحة ٢٦٠، و(١٩٣) من سورة الشعراء،

صفحة ٤٩١ الرابع: . كل ما يوحى الله تعالى به إلى رسله جميعاً، انظر الآية (١٥) من سورة عاقر صفحة ٦١٩ . الخامس: . القوة والثبات الموهوبة من الله عز وجل، انظر الآية (٢٢) من سورة المجادلة صفحات ٧٢٨، ٧٢٩، السادس: . القرآن خاصة، انظر الآية (٥٢) من سورة الشورى صفحة ٦٤٦ وما معنا من هذا الأخير كما هو ظاهر من سياق الكلام سابقه ولاحقه وقد جاء لتصريح بأن الموحى من أمره في آيتي (١٥) من سورة عاقر صفحة ٦١٩ و٥٢ من سورة الشورى صفحة ٦٤٦، وكون الروح هنا هو القرآن لا يمنع أن الروح بالمعنى المشهور هي أيضاً من أمر الله عز وجل، وبما أنه من المقرر أن حبر ما فسرته فهو بالوارد، وإنما الذي ورد في القرآن فهو المبين فيما سبق فتعسر أية الإسراء باليقها لمقام ورودها واعتبار سابقها - الآية (٨٢) - ولاحظها - آيات (٨٦، ٨٨، ٨٩، ١٠٥، ١٠٦) . «من أمر ربي»: من أعمال ربي الخاصة به لا يستطيعها غيره.

﴿طهيرا﴾ مأخوذ من قولهم تظاهر القوم على شيء أى تعاونوا عليه، فالمراد معينا، انظر الآية (٤) من سورة التحريم صفحة ٧٥٢ . ﴿صرفنا للناس﴾ تقدمت فى الآية (٤١) من هذه السورة صمحتى ٢٦٩، ٢٧٠ .

المعنى - ذكر سبحانه بعض طبائع الإنسان التى كانت سببا فى شقاء كثير فقال وإذا أنعمنا على الإنسان الماسد الطبع بالصحة وسعة الرزق وما فيه سعادته كالقرآن فإنه يدل أن يقابل ذلك بشكر الم نعم ويتواضع العاشعين يعرض عن ذلك ويبالغ فى الإعراض بإعطاء الم نعم جانبه وهو كناية عن التكبر. ويظهر ذلك ما فى آيتى (٦، ٧) من سورة العلق. وإذا مسه شر من فقر أو مرض كان شديد اليأس عديم الصبر. ولما كان هذا هو حال كسار فريش أمر سبحانه نبيه أن يقول لهم. كل مماosكم يعمل ويمسح على طريقته. وسيجاريه ربه على عمله، وهو سبحانه وحده العليم بمن هو اهدى طريقاً ممن ليس كذلك، والمراد ممن ليس على هدى أصلاً. ومثل هذا الآية (٩٢) من سورة هود صفحة ٢٩٨ . ولمناسبة ما تقدم من أمره ﷺ بالحرص على ما أوحاه إليه فى الآية (٧٢) السابقة صفحة ٢٧٤، ومدح القرآن بأنه شفاء، ناسب أن يذكر ما كان عليه المشركون من الحيرة فى أمر هذا القرآن وكيف باتى به محمد، أمر سبحانه نبيه أن يقول تبيساً لهم؛ هذا القرآن الذى تسألون عنه هو أمر خاص برى لا يستطيعه مخلوق، وليس عندكم من علم بعض الأشياء إلا قليلاً لا يساوى شيئاً فيما عند الله، فكيف تطمعون أن تعرفوا كيف يتألف القرآن كما يطمع أحدكم فى كيفية تأليف القصائد. والدليل على أن هذا القرآن من شئون الله وحده أنه لو شاء لأذهب ما أوحاه إلى نبيه من صدره ثم لا يجد من يوكفه فى إرجاع شيء منه، والمراد يعجز عن ذلك، ولو كان من كلام البشر لما عجز عن تذكره أو الإتيان بمثله. لكن ثم نذهب رحمة من ربك لك جعلتك لا تتساءل كما هى الآية (٦) من سورة الأعلى صفحة ٨٠٣ لأن فضله كان عليك كبيراً، ومنه إرسال القرآن عليك، وحمظه فى صدرك. ثم تحداهم التحدى المعجز فقال قل لهم قطعاً لأطماعهم لئن اجتمعت جميع أفراد الإنس والجن وأرادوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن فى نظمه ومعانيه فإنهم لا يستطيعون ولو كانوا جميعاً متعاونين. ولقد نوعنا بوجوه مختلفة لزيادة البيان للناس فى هذا القرآن من معنى هو كالمثل النادر فى غرابته وروعته، فابى أكثر الناس كل خير إلا الجعود، فإنهم تمسكوا به، ومن عجيب أمر هؤلاء المشركين أنهم بعد هذا التمجير لم يستحووا بل لجوا فى طغيانهم وتضليلهم لعقول الصغفاء فقالوا للنبي لن نؤمن لك أبدا حتى تأتينا بالمعجزات التى نطلبها منك، كأن تصجر لنا من أرض مكة عينا لا يقطع ماؤها تجعلها بلدا ذا ذرع، أو يكون لك بمكة أيضاً بستان من بحيل وعنب فتفجر الأنهار لريه.

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ أَوْ تُنْقِطُ السَّمَاءُ كَمَا رَأَيْتَ ظُهُورَ الْمَآثِرِ ۚ
 مَوْسِمًا مَأْكُولًا لَيْسَ فِيهَا خَالِدِينَ ۚ أَوْ يَكُونُ لَكَ رِجْلٌ
 مِثْلَ رِجْلِ زُلْزَلٍ ۚ أَوْ تَزْفَىٰ السَّمَاءُ وَفُتَّتْ يُرْفَقَتِ الْفُتُوحُ
 حَتَّىٰ تَنزَلَ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ فَتَلْقَىٰ ظُفُرًا ۚ فَمِنْ حَتَّىٰ خِزْيًا هَاسًا
 لِّمَا كُنْتَ إِلَّا نَسْرًا ۚ رُسُلًا ۚ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِرُوا إِذْ
 جَاءَهُمْ أَهْدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَبِعَ اللَّهُ تَرَاثُومًا ۚ
 قُلْ نُوَكِّلُ الْآرَافَ مِمَّنْ شَكَّ بِتِلْكَ الْأُمُورِ ۚ مُطَاعِينَ ۚ لَكُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ ۚ السَّمَاءُ مَلَكًا ۚ رُسُلًا ۚ قُلْ كُنْ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ
 يَتَىٰ ۚ وَبَيْنَكُمْ ذَاتُ أَرْوَاحٍ عَابِدِينَ ۚ خَيْرًا بَصِيرًا ۚ
 وَمَنْ يَبْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُبْدِي ۚ وَمَنْ يُضِلْ فَلَا يَهْدِي ۚ
 أُولَٰئِكَ مِنْ دُونِهِ ۚ وَتَحَرُّمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وَجْهِهِمْ
 عَمَّا وَبَعَثْنَا وَمِمَّا مَاوَنَهُمْ جَهَنَّمَ كَمَا خَبَرْتَ رَبَّنَاهُمْ

المفردات: ﴿حلالها﴾. وسببها.

﴿كسفا﴾: جمع كسمة كقطعة وقطع وزناً

ومعنى، وهو حال من السوء،

﴿قَبِيلًا﴾ - القبيل الجماعة من صيف

واحد وهو حال من الملائكة، انظر الآية

(١١١) من سورة الأنعام صفحة ١٨١ .

﴿رُخْرِفَ﴾، أصل الزخرف الزينة والمراد

هذا الذهب وغيره من المعائن.

﴿وما منع الناس أن يؤمنوا﴾: المراد

بالتاس هنا كفار مكة غير قريش، لأن قريشاً

كاتب تومن برمهالة إبراهيم وإسماعيل.

عليهما السلام، ويضربون بأنهم حنفاء إبراهيم.

﴿معلمتین﴾۔ فارین فیہا ساکتین۔

﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مكانهم الذي يأوون إليه.

﴿خيت﴾ ضعف ليهيها واحطلماء.

المعنى - فتجعل وسط هذه الجنة أنهاراً، أو تسقط السماء فوق رؤوسنا قطعاً كما رعمت أن الله توعدنا بذلك في الآية (٩) من سورة سبأ صفحة ٥٦٢، أو تأتي بالله نراه عياناً وبالملائكة قبيلاً بعد قبيل نراهم كذلك، أو تطلب من الله أن يجعل لك بيتاً من ذهب حتى تطلب لنا مثلك، أو ترقى في السماء ولن نصدقك في هذه الحال إلا إذا حثتنا بكتاب من الله

نقرؤه فنحده يقرر فيه صدقك. قل لهم أيها النسي في الرد عليهم أريد ربي عن أن يتحكم فيه احد، أو أن يشاركه في قدرته، وما كنت إلا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل ولم يأتو لقومهم إلا بما يعطيه الله تعالى لهم ثم حكى عنهم سبحانه معاملة أخرى وهي استبعادهم أن يرسل الله رسولا من البشر بل لابد أن يكون من الملائكة، فقال: وما مع الناس كمشركي قريش أن يؤمنوا برسولهم إلا قولهم منكرب بعثة البشر أبعث الله بشرا رسولا؟ وهذه عادة الأمم السابقة، انظر الآية (١٠) من سورة إبراهيم صفحته ٢٢١، والآية (٤٧) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٠، والآية (٦) من سورة الشعاب صفحة ٧٤٦، والمراد أنه لم تبق شبهة تمنعهم من الإيمان بمحمد إلا رعبهم أن الله لا يرسل بشرا ولا يرسل إلا ملائكة، فقل أيها النبي رداً عليهم مياية عما لو كان في الأرض ملائكة يمشون فيها كما يمشي بنو آدم مستقرين فيها لزلنا عليهم من السماء ملكا يقوم بوظيفة الرسالة إليهم ويبلغهم ما أمرهم به ربهم، لأن الرسول للجس كله لا يكون إلا منه ليتمكن العهم منه بسهولة.

أما تكليم الملك للبشر فلا يكون إلا باستعداد خاص في الشخص الذي يتلقى عن الملك من البشر، ولا يكون إلا بصعوبة أيضاً، فقد كان ﷺ حين ينزل عليه جبريل بحالته الملكية يتصيب عرقاً، وقل من عند نفسك، إن أنكرتم رسالتي هيكميني الله شاهداً على أني رسوله إليكم بإظهار المعجزة الدالة على تصديقه لي، إنه يعلم أحوال عباده الظاهرة والباطنة، وسيجاريهم عليها.

وقل لهم أيضاً لو علم الله هيكم خيراً لهداكم ولكنه علم فساد قلوبكم فأصلكم، ومن يصدقه الله فلا نصير ينفذه غير الله في الدنيا، وفي الآخرة يحشرهم الله تعالى مسحوبين على وجوههم حال كونهم عمياً ولا يطقون ولا يسمعون، ومكانهم الذي يأوون إليه جهنم، كلما صعد لهم رادهم الله سعيهم، انظر آيتي (٧١، ٧٢) من سورة غافر صفحة ٦٢٧، والآية (٤٨) من سورة القمر صفحة ٧٠٨، في الألوسي استظهر أبو حيان كون المراد مما ذكر حقيقته، ويكون ذلك في مبدأ الأمر ثم يرد الله تعالى إليهم أبصارهم، ونطقهم، وسمعهم، فيرون النار، ويسمعون تفيظها ورفيرها، ويسطقون بما حكى الله تعالى عنهم في غير موضوع مثل «والله ريباً ما كنا مشركين»، «وتجادل عن نصيها»... إلخ، وروى عن ابن عباس أن ذلك محار على معنى أنهم لفرط الحيرة والذهول يشبهون أصحاب هذه الصفات.

سَجِرًا ﴿٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا
أَوَدَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفُفْنَا أَمْ نَتَعَوَّنُ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٦﴾
• أَوْ لَرَبِّرُوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ هُمْ أَجَلًا لَّارْتِيَابٍ فِيهِ
قَدَرِ الظَّالِمِينَ إِلَّا حُكْمُورًا ﴿٧﴾ قُلْ لَرَأَيْتُمْ تَمْلِكُونَ
حَرَآيَ رَحْمَةِ رَبِّي إِنْهَا لَأَسْكُنَنَّ عَنِّيَ الْإِنْعَاقُ وَكَانَ
الْإِنْسُ قُنُورًا ﴿٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى نَجْعَ آيَاتِنَا
بَيِّنَاتٍ فَسَقَطَ نَجْيَ إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ
إِنِّي لَأَخْلُكَ بِشَرْسٍ مَسْجُورًا ﴿٩﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ
مَا أَزَلَّ عَنْكَ لَوْلَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآءٍ
وَإِنِّي لَأَمْلِكُ بِمِغْرَمٍ مَشُورًا ﴿١٠﴾ فَلَمَّا دَانَ بِسِتْرِهِمُ
مِنَ الْأَرْضِ فَأَعْرَقْنَاهُ وَمِن نَّعْمِ رَبِّهِمَا ﴿١١﴾ وَقُلْنَا

المضردات: . «سجيرا»: هو اللهب شديد
الاشتعال والتوقد والاستعار. «بآياتنا»: أي
بأدلتنا التي هي القرآن وفي الآفاق. «رفانا».
تقدم هي الآية (٤٩) من هذه السورة صفحة
٢٧١ . «خزائن رحمة»: تقدم بيانها في
صفحة ١٦٩ .

«قنورا»: شديد البخل. «تسع آيات»: إن
لم نقل إن المراد الكثرة لا التحديد فأحسن
ما قيل في التسع إنها العصا واليد، والسنون
ونقص الثمرات المذكورتان في الآية (١٣٠)
من سورة الأعراف صفحة ٢١٢، والطوفان
والأربعة بعده هي الآية (١٣٢) من سورة
الأعراف صفحة ٢١٢ أيضاً.

«إد جاءهم» «إد» ظرف بمعنى حين متعلق بقوله تعالى «آتينا موسى» وجملة «هاسال
بى إسرائيل» متوسطة بين الفعل ومتعلقة وهو الظرف، وهذا أسلوب كثير في كلام العرب
كقولهم محمدٌ هاعلم جيداً، رسول الله، فجملة «هاعلم جيداً» متوسطة بين المبتدأ والخبر،
وأمر الله سبحانه نبيه بسؤال الأولين لمساعدة الحجّة على الحاصرين معهود أيضاً، انظر
قوله تعالى «اسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آتية يعبدون» الآية (٤٥) من
سورة الزحرف صفحة ٦٥١ . «مسحورا»: مخبول العقل. «بصائر»: جمع بصيرة والمراد
بينات تجعلك على بصيرة هي تصديقي، وهي حال من «هؤلاء». «مثيرا» هالكا.
«يستمرهم من الأرض» أي يزعمهم ليخرجهم من الأرض بقتلهم.

(١) بآيات	(٧) آتينا.	(٢) عظماء	(٤) ورفانا	(٥) السموات.
(٦) الظالمين	(٧) آتينا.	(٨) آيات	(٩) بينات	(١٠) فاسال
(١١) إسرائيل	(١٢) يا موسى	(١٣) السموات	(١٤) يا فرعون	(١٥) هاعرقناه

المعنى: كلما هبط لهب النار بعد أكل جلودهم بدلنا لهم جلودا غيرها تلهب فيها النار ثانيا، ذلك العذاب حزاؤهم بسبب كفرهم وجحودهم. وكذبوا بالأدلة التي أهدمناها لهم واستمروا في العناد قائلين مكذبين للبعث هل يعقل أننا بعد أن نصير عظاما ورهانا نبعث من جديد؟

ورد سبحانه عليهم بما فيه دليل على قدرته على بعثهم فقال ﴿أو لم يروا﴾، إلح أي هل غفلوا ولم يعلموا أن الذي خلق السموات والأرض ابتداء من العدم وبطونها بقدرته قادر على أن يخلق أمثالهم من الخلق هو أصغر من خلق السموات والأرض كما هي الآية (٥٧) من سورة غافر صفحة ٦٢٥، بل إعادتهم أمون كما هي الآية (٢٧) من سورة الروم صفحة ٥٢٤، وجعل سبحانه لإعادتهم بعد الموت أجلا معددا لاشك في حصوله وهو يوم القيامة، وبعد إقامة هذه الحجة أبى هؤلاء الكافرون الذين ظلموا أنفسهم إلا مبالمة في الكفر والجحود ثم سمع سبحانه عقولهم في طلبهم توسعة رزق الدنيا من جنات وغيور، وبيوت من ربح من ربح ما لم يستفيدوا من هذا القس حتى لو أجبا طلبهم، لا في الدنيا بالتمتع به، ولا في الآخرة بتصديق الرسول، فقال لهم لو ملكتم أيها المشركون جميع ما عند ربى من الحيرت وممكنكم من التصرف فيها فإن ما ركب في طبائكم من البعل يجعلكم تمسكون عن إنفاق حشية الفقر، فتعيشون في الفقر كما كنتم لأن الإنسان مطبوع على الحرص وشدة البعل، فلا تصمون أنفسكم ولا أحدا من الناس.

وبين أنهم لن يؤمنوا بالآيات حتى التي اقترحوها، لأنهم كقوم موسى وقد أعطياه تسع آيات لا واحدة ولا اثنين بيئات واصحات الدلالة على صدقه، فاسأل يا محمد بنى إسرائيل الذين في زمنك فإنهم لا يستطيعون تكذيب هذا فتقوم الحجة على قومك بتصديق هؤلاء لك، آتينا موسى تلك الآيات حين جاء إلى فرعون وقومه يلقاهم رسالة ربه، فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مغبولا لأنك تقول برب غيرى.

قال موسى لقد علمت يا فرعون ما أنزل هذه الآيات إلا رب السموات والأرض، لأنه هو الذى يقدر عليها، وهى بصائر لمن استبصر بها، ولكنك تكابر وتعااند حوها على ملكك ولهذا فإنى أظنك تهلك حتما إذا لم ترجع عن عبادك للحق، فلج فرعون في طغيانه، وأراد أن يمحو بنى إسرائيل من على وجه الأرض، فأغرقناه ومن معه جميعا، كما في الآية (٩٠) من سورة يونس صفحة ٢٨٠.

مِنْ بَعْدِهِ يَنْشَأُ إِسْرَءِيلُ أَتَى آلَ كُوثَافَةَ الْأَرْضِ فَلَمَّا جَاءَ وَعَدُ
الْآخِرَةِ جَعَلَ بَكَرَ لَيْعًا ① ② وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلُ
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ③ ④ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ
لِنُقَرِّأَهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَى مَا وَصَّيْنَا بِهِمْ وَلِنُفَصِّلَ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ⑤
قُلْ هِيَ سُوْرَةٌ أَوْ لَا تُوْرِسُونَ إِنَّا الَّذِينَ أَوْثَرْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ
إِذَا يُنْزَلُ عَلَيْهِمْ يُخْرِجُونَ الْفُتُوْرَ ⑥ ⑦ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ
رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ أَشْقَى الْبَشَرِ ⑧ ⑨ وَخَرَجُوا مِنْ دُونِ الْبَابِ
يَسْتَكْبِرُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوْعًا ⑩ ⑪ قُلْ أَذْعُرُكُمْ أَوْ أُذْعِرُكُمْ
أَمْ أَنْتُمْ خَائِفُونَ ⑫ ⑬ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَكْتُمُونَ ⑭ ⑮
وَصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُكُنَا يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّكَ إِذْ جِئْتَنَا
وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْلُقْ وَلَهُ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ
فِي الْمَلَكُ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَشْيَاءِ ⑯ ⑰ وَكَثِيرٌ مِمَّا تَكْتُمُونَ ⑱

المفردات: ﴿الأرض﴾: المقدمة التي
وعندناكم بها.

﴿لغيفاً﴾: اللغيف الجماعات من قبائل
مختلفة، والمراد مختلفين ثم يميز كل فريق
بعد ذلك انظر الآية (٥٩) من سورة يس
صفحة ٥٨٤.

﴿وبالحق أنزلناه﴾: المراد أن كونه من
عندنا حق لا شك فيه.

﴿وبالحق نزل﴾: أي ونزل مقترباً
بالتعاليم الحقة التي ليس فيها باطل، فالحق
الأول صفة لنسبة الإنزال إليه تعالى، والثاني
صفة لما في القرآن من الأحكام.

﴿مرفقاه﴾: أي أبرلناه متفرقا في مدة ثلاث وعشرين سنة.

﴿على مكث﴾: أي على مهل وتؤدة.

﴿وبزلناه تنزيلاً﴾: أي شيئاً بعد شيء على حسب المصالح والحكمة.

﴿أو ثروا العلم من قبله﴾: وهم من آمن من أهل الكتاب، انظر صفة بعضهم في آيتي (٨٢)،

(٨٣) من سورة المائدة صفحات ١٥٢، ١٥٤.

(١) إسرائيل

(٢) أبرلناه

(٣) أرسلناك

(٤) قرآن

(٥) فرقناه

(٦) وبزلناه

(٧) سبعا

﴿يَخْرُونَ﴾: يسقطون على الأرض.

﴿لِلْأَذْقَانِ﴾: جمع ذقن بفتحيتين وهى آخر الفك الأسفل من الوجه، واللام بمعنى على لإفادة المبالغة فى السجود وأنه عم الوجه كله حتى الأذقان ولم يقتصر على أول ما يصل الأرض وهو الجبهة، (هنا سجدة).

﴿أَيَّامًا﴾: أصلها أيا منونة بمعنى أى اسم، و ﴿مَا﴾ لتأكيد العموم فى ﴿أَيَّامًا﴾.

﴿تَدْعُونَ﴾: أى تسموه به.

﴿قُلْهُ﴾: أى قللمسمى الذى هو الذات الأقدس.

﴿الْحَسَنَى﴾: لدلالاتها على صفات الجلال والإكرام.

﴿لَا تَخَافَتْ بِهَا﴾: أى لا تحفض صوتك بها حتى لا يسمعك أحد.

المعنى : . . وقلنا من بعد غرق فرعون لبنى إسرائيل ادخلوا الأرض المقدسة التى كتبها الله لكم كما فى الآية (٢١) من سورة المائدة صفحة ١٤٠ . فإذا جاء وقت تحقيق وعد الحياة الآخرة وهو يوم القيامة حثنا بكم من قبوركم لموقف العشر محتلطين الصالح بالطالح ثم نحكم بينكم بالمدل.

ولما كان السياق من أول الآية (٨٢) المتقدمة من هذه السورة (٣٧٥) فى القرآن الذى هو أساس الدين وعليه المعمول فى تثبيت الدعوة ويقائنها، رجع إلى الكلام عنه ثانيا لتأكيد إبطال زعمهم أنه ليس من ضد الله، فقال:

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ إلخ: أى ما نزل إلا من عندنا نحن، وما نزل إلا بالمقائد والشرائع الحقّة، وما أرسلناك أبها النبي إلا مبشرا مَن آمن به بالجنة، ونذيرا لَمَن كفر به بالنار فلا دخل لك فى إيجاد.

وفرقنا هذا القرآن ووزعناه فى النزول على مدة طويلة لتقرأ على الناس على مهل ليستطيعوا فهمه وحفظه ويسهل عليهم القيام بتكاليفه. ونزلناه شيئا فشيئا على حسب الوقائع

والمصالح، انظر الآية (٢٢) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٤، فقل أيها النبي للمشركين من قومك مَنْ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تَوَفُّوْا، أَيِ احْتَارُوا لِأَنفُسِكُمْ مَا تَحِبُّونَ لَهَا، هَإِنِ إِيْمَانُكُمْ بِهِ لَا يَرِيْدُهُ كَمَالًا، وَعَدَمُ إِيْمَانِكُمْ لَا يَلْحَقُ بِهِ نَقْصًا. هَإِنِ لَمْ تَوَفُّوْا بِهِ فَقَدْ آمَنَ بِهِ مَنْ هُوَ حَيْرٌ مِنْكُمْ، وَالْعُلَمَاءُ الدِّينِ قَرَعُوا الْكُتُبَ الْمُسَابِقَةَ وَعَرَفُوا الْحَقَّ فَهَؤُلَاءِ عَرَفُوا أَنَّهُ حَقٌّ فَكَانُوا إِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ يَسْقُطُونَ عَلَى وُجُوْهِهِمْ تَعْظِيْمًا لِلَّهِ وَشُكْرًا عَلَى نِعْمَتِهِ بِهِ.

ويقولون فنره ربنا عن حلف الوعد الذي وعد به هي الكتب المسابقة من إرسال رسول يكون حاتم الرسل، إنه كان وعده حاصلا لا محالة، ويحرون ثانيا بعد السجود للشكر على إنجاز الوعد سعدا لما أثر فيهم من مواظبه بأكين من خوف الله تعالى ويريدهم القرآن خشوعا له تعالى.

وكان من تعنت المشركين أنهم لما سمعوا ﷺ يقول في دعائه يا الله، يا رحمن، يا رحيم، قالوا انظر إلى هذا الذي يطلب منا ألا ندعوا إلا إلها واحدا وهو يدعو آلهة كثيرة.

فرد عليهم سبحانه بقوله قل أيها النبي لهم هو إله واحد سموه الله، أو الرحمن، هأى اسم تسمونه به مما يليق به فهو حسن لأن كل أسمائه حسنى.

وكان المسلمون في مكة قلة مصطفية، وكان المشركون إذا سمعوا من أحدهم قرآنا سبوه وصربوه، فأرشدتهم الله عز وجل إلى الطريق الذي سبدهم عن ذلك فقال ﴿وَلَا تَجْهَرْ﴾ إلخ أى ولا تجهر بقراءة صلاتك حتى يسمع المشركون، ولا تسر جدا حتى لا يسمع مَنْ حلمك من المؤمنين، وأطلب طريقا وسطا بين العهر والسر.

وقل الحمد لله على ما أنعم على عباده بجزيل النعم الموصوف بهذه الصفات الثلاث العظيمة وهي أنه لم يتخذ ولدا لعدم حاجته إليه.

وهذا رد على البصارى، ولم يكن له شريك لأنه ليس عاجزا حتى يساعد الشريك، وهو رد على المشركين، ولم يكن له ولي يبصره ويمع عنه فلا يلحقه سبحانه وتعالى علوا كبيرا، وعظم ربك أيها النبي تعظيما يليق به في ذاته وصفاته.

سورة الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم

المفردات: ﴿عوجا﴾: ميلا عن الصواب في معانيه.

﴿قيما﴾: معتدلا لا إصراف في تكاليفه حتى تكون شاقة ولا تمريط فيها حتى تهمل ما هو ضروري. ﴿لينذر﴾: يعذر ويخوف.

﴿بأسا﴾: المراد به العذاب.

﴿من لديه﴾: من عنده. ﴿ماكثين﴾: مقيمين.

﴿كبرت كلمة﴾: ما عظم شاعتها.

﴿تخرج من أفواههم﴾: صفة للكلمة تصيد استعظام جراتهم على النطق بها.

﴿إن يقولون﴾ أي ما يقولون. ﴿بإحرج﴾ قاتل بالانتحار.

﴿على آثارهم﴾ أي من بعد توليهم عن الإيمان وبعدهم عنه.

المننى: كل مدح وثناء جميل مستحق لله تعالى لتفضيله بنعمة إنزال القرآن الذي فيه سعادة البشر على عبده محمد ﷺ، ولم يجعل في هذا الكتاب انحرافا ما عن الصواب وكل تعاليمه معتدلة وسط بين التشنيد والإهمال، أنزله لينذر الكافرين عذابا شديدا صادرا من عنده وهو القوى القاهر، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحات بأن لهم أجرا حسنا هو الجنة خالدين فيه أبدا، وينذر على وجه الخصوص بعض الكافرين لمظاعة كفرهم، وهم الذين قالوا اتخذ الله ولدا وليس عندهم علم بذلك، ولا لأبائهم الذين قلدوهم، فلما أعظم شناعة هذه الكلمة التي تحرروا على إحراجها من أفواههم، وما كان يصح أن تخرج منها أبدا لأنهم لا يقولون إلا كذبا.. ولما كان ﷺ شديد الحرص على إيمان قومه وكان يحربه كثيرا عدم إيمانهم، أراد سبحانه أن يقول له ما عليك إلا البلاغ، ولا تنهب بمسك عليهم حصرات، فهل إذا لم يؤمنوا

(١٨) سُورَةُ الْكَافِرَةِ
وَأَنبَاُهَا عَشْرٌ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَهُ يَجْعَلُ
الْقُرْآنَ حُجْرًا ۝ قَيَّامًا لِّبَدِّ نَاسًا شِدِيدًا مِن لَّدُنْهُ وَيُنذِرُ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا
حَسَنًا ۝ مُّكِينًا فِيهِ أَبَدًا ۝ وَيُنذِرُ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ
اللَّهُ وَلَدًا ۝ مَلُومِينَ ۝ مِن عِلْمِهِ وَلَا لِأَنبِيَاسِهِمْ كَبُرَتْ
كَلِمَةً تَخْرُجُ مِن أَفْوَاهِهِمْ إِذْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝
فَلَمَّا بَلَغَ نُسْكَهٗ عَلَيَّ أَنُورَهُمْ إِذَا لَمْ يُؤْمَرُوا بِهَٰذَا
الْحَدِيثِ أَسَفًا ۝ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ رِيسَةً لِّمَا

يَسْلُوهُمْ أَنَّهُمْ أَحْسَنُ مَثَلًا ① وَإِنَّا لَنَجْزِيَنَّهُمْ مَا وَعَدْنَا
صَعِيدًا جُرًّا ② أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ
وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنَّا يَتَّبِعُنَا عِجَابًا ③ إِذْ أَرَى الْيَقِيْنَ إِلَى
الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا
مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ④ فَصَرَبْنَا عَنْ أَذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ
سِنِينَ عَدَدًا ⑤ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيَّ الْحِزْبَيْنِ أَحْسَنُ
لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ⑥ لَقَدْ نَفَخْنَا عَلَيْكَ يَا هُتَمُ بِالْحَقِّ
إِنَّهُمْ قِسْمَةٌ قُتِبَ فِيهِم مِّمَّنْ يَرْجُونَ إِذْ يَرْجُونَ ⑦ وَرَبُّنَا عَلَنَ
قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
لَنْ نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِنَّهَا لَنُدَّ قُلُوبَنَا إِذَا شَاطَطْنَا ⑧
هَذُلًا قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ ظُهُورَهُمْ
الْمُسَلُّونَ يَوْمَ ⑨ لَقَدْ أَنطَلَقْنَا مِنْ أَفْئِدَتِنَا مَلَأَ اللَّهُ كَلِمًا ⑩

بهذا القرآن تقفل بمسك أنت أثر توليهم عن
الإيمان اسما عليهم. ثم بين سبحانه سبب
أمره بعدم الحزن عليهم بأن الدنيا ورحارها
فتنتهم وصرفتهم عن التعقل ومعرفة الصواب
فقال إنا جعلنا ما على الأرض من حيوان
وبيات ومعادن ريبة لها ولاهلها.

المعمرات «تلبوهم». بحاملهم معاملة

المختير ليظهر ما انطوت عليه نفوسهم

«صعيدا» ترابا.

«جورا»: لا نبات فيها من الحرز وهو القطع

انظر الآية (٢٧) من سورة المسجدة صفحة ٥٤٨.

«أم»: حرف يقوم مقام همزة الاستعظام.

«بل» التي تفيد الانتقال من كلام إلى كلام.

«الكهف»: الفجوة الواسعة في الجبل.

«لرقيم» لوح من حجر رقت عليه أسماءهم بعد موتهم.

«ياتنا». دلائل قدرتنا.

«أوى» اتخذوه مكانا ياوون إليه.

«المتية» جمع فتى وهو الشاب وكانوا من أبناء عظماء الروم.

(١) لجاصلون.

(١) أصحاب.

(٢) آياتنا.

(٤) آتانا.

(٥) أذانهم.

(٦) بمشاهم.

(٧) آمنوا.

(٨) وردناهم.

(٩) السموات.

(١٠) آلهة.

(١١) يسلمون.

﴿فصبرنا على آدابهم﴾ الأصل جعلنا على آدابهم حجابا يمنعهم من سماع الأصوات والمراد أمناهم نوما لا تبيهم معه الأصوات.

﴿بعتناهم﴾ أيقظناهم.

﴿لنعلم﴾ : علم ظهور وتحقق.

﴿الحزيب﴾ : المحتلمين في مدة نومهم وهما منهم أنفسهم، كما سيأتي في الآية (١٩) من هذه السورة صفحتي ٢٨٢، ٢٨٣.

﴿واحصى لما لبثوا أمدا﴾ أي اصبط لمدة مكثهم، والأمد مدة معينة

﴿ربطنا على قلوبهم﴾ أصل الربط الشد والمراد قويا عريمتهم بالصبر على الشدائد انظر الآية (١٠) من سورة القصص صفحة ٥٠٧.

﴿إد قاموا﴾ بين يدي الحبار الذي كان يريد إرغامهم على عبادة الأصنام وهي لسان لعرب مدرة (قوم) أن من مفاء العزم، يقال قام فلان على كذا أي عزم عليه. وفسر الألوسي ما معنا بذلك.

﴿شعلطا﴾. أصل الشعلط اليمد عن الصواب، وأطلق على القول منالعة

﴿لولا﴾. كلمة تدل على العث على ما بعدها.

﴿سلطان﴾ أي حجة واضحة.

﴿ومن أظلم﴾ : من اسم استفهام متضمن معنى النفي.

المعنى جعلنا ما على الأرض رينة لأهلها لتظهر ما في طبائعهم هيتمير من لا يعرفه ذلك، بل يصرفه فيما يسعده دنيا وأخرة فيكون أحسن عملا، ومن يعرف ذلك فيشعله عن أسباب تلك السمادة، وبعد ذلك نجعل كل ما في الأرض ترويا ونذرهما قاعا منعصما بعدما كانت ذات بهجة كما في الآية (١٠٦) من سورة طه ٤١٦، أي فلا تحزن أيها النبي لتكذيب قومك اغترارا

بالدنيا مابا سميها ونحاسيهم على ما صنعوا . وكانت قصة أصحاب الكهف مما تتداول بين الناس قبل الرسالة فأوعز اليهود إلى مشركي العرب أن يعالوه ﷺ لعله يتعرض لتعاصيل القصة خصوصا عددهم فيمتحوا بذلك بابا للجدل يصعب إغلاقه . فأغلق سبحانه الباب في وجه المعتنة بقوله . ﴿أم حسبت﴾ إلح أي هل حسبت أيها المخاطب أن أصحاب الكهف والرفيق كانوا في بقائهم أحياء مدة نومهم الطويل شيئا عجيبا من بين دلائل قدرتنا ، فإن قصتهم وإن كانت خارقة للعادة ليست بعجيبة إذا قيمت بسائر آياتنا الأخرى الدالة على القدرة على أعظم منها ، ليسوا عجبا حين لجأوا إلى الكهف خوفا من ظلم ملوكهم المشركين ، وقالوا يا ربنا آتنا من عندك رحمة تسهل لنا المفصرة والأمن من العدو . وهبى لنا من الأمر الذى نحب عليه من مفارقة العدو هدى إلى الصواب ، فاستجبنا دعاءهم فأمناهم آمين في الكهف سبعين عديدة . ثم أيقظناهم عند الأمن عليهم ليكون عاقبة ذلك احتلالهم في مدة نومهم ، فبعضهم يقول نبشنا يوما أو بعض يوم . وبعضهم الآخر يقول ربكم أعلم ، فيتعلق علمنا بخلق وقوع بما هو أصوب منهما . وبعد ما أحمل قصتهم شرع سبحانه في تمصيلها فقال نحن نقص عليك أيها النبي خبرهم بالصدق الذى لا شك فيه .

وحاصل قصتهم أنهم هتية آمنوا بربهم وسط قوم مشركين . والتحقيق أنهم كانوا قبل المسيح وردناهم هدى بالتثبيت على الحق ، وقويناهم بالصبر على شدائد إظهار الحق حين قاموا في وجه قومهم وجهروا بقولهم : ربنا الحق هو رب السموات والأرض لا هذه الأصنام التى تعبدونها فلن ندعو من دونه سبحانه إنها . والله لقد قلنا إذا دعونا غيره قولا بعيدا عن الصواب ، هؤلاء قومنا قد أخطأوا لأنهم اتحدوا من دونه سبحانه آلهة ، هلا يأتون على ذلك بدليل واضح ؟ كلا لن يستطيعوا فلا أحد أظلم من هؤلاء الذين افتروا على الله كديا بيسية الشريك إليه ..

الممردات : ﴿اعتزلتموهم﴾ . تحنيتهم .

﴿هاووا إلى الكهف﴾ : أى الجأوا إليه ..

﴿يُشِيرْ لَكُمْ﴾ أى ييسط ويوسع

﴿مرفقا﴾ ما يرفق به أى ينتفع به.

﴿تزاور عن كههم﴾ أى تميل

﴿تقرصهم ذات الشمال﴾ : أى تعطيه

شيئا من شعاعها من جهة الشمال.

﴿من آيات الله﴾. من دلائل قدرته تعالى.

﴿بالوصيد﴾. فناء الكهف من جهة الباب.

﴿رعبا﴾ : خوفا بعلل الصدور.

﴿بمشاهم﴾ أى ايقظاهم.

﴿كم لبستم﴾ أى ما مقدار مدة مكثكم

على هذا الحال.

﴿بورقكم﴾ : الورق بكسر الراء هى المصبة.

﴿المدينة﴾ : التى كانوا فيها، قيل هى (طرسوس).

المعنى. وبعد ما تقدم خاطب بعضهم بعضا قائلًا. وحيث إنكم حالتموهم فى عبادتهم غير الله فاجأوا إلى الكهف اتقاء لشركهم فإن الله ييسط لكم الخير من رحمته فى الدارين ويسهل لكم ما ينمكم.

ثم بين سبحانه حالتهم بعد ما دخلوا الكهف فقال «وترى الشمس» إلخ وكان الكهف فى مكان من الأرض وسط بين الشمال البارد وبين وسط الكرة الحار. وكانت فتحة جهة الشمال

(١) تراور

(٢) ديات.

(٣) يسط

(٤) بمشاهم.

وَإِذْ أَعْرَضْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْجُدُونَ إِلَّا اللَّهَ عَاوِدًا إِلَى الْكَهْفِ
يُنْشِرُ لَكُمْ ذِكْرَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَنَبِّئْهُمْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ
مَرْمَقًا ﴿١٥﴾ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرُودُ عَنْ
كَتِفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ
الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْرَةٍ يَسْأَلُكَ مِنْ ذَلِكَ مِنْ عِبَادَتِ اللَّهِ مَنْ
يَعْبُدُ اللَّهَ فَهُوَ الْغَنِيُّ وَمَنْ يُضِلَّ فَلَهُ عِجْدَلُهُ وَلِلَّهِ
مُرْشِدًا ﴿١٦﴾ وَتَحْسَبُهُمْ آيَةً وَأَنْتُمْ رُفُودٌ وَنُقِلْتُمْ ذَاتَ
الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلِمُهُمْ يَسْمَعُ دِرَاصِهِ بِالْوَصِيدِ
لَوْ أُنْظِلَّتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُمْ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلَّيْتُمْ مِنْهُمْ
رُجْبًا ﴿١٧﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ
مِنْهُمْ كَذِبْتُمْ قَالُوا لَيْسَ بِيَوْمٍ أَوْ بَعْضٍ يَزِرُ قُلُوبًا رِجْرًا
أَعْلَمُ بِمَا لَيْتُمْ فَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُمْ وَوَرِثَكُمُ عَلَيْهِ إِلَى السَّبِيلِ

فتصيب الشمس جرماً من جهته الغربية عند الشروق، وجرماً من جهته الشرقية عند الغروب، فتتقى جوء، من غير أن تصيبهم بحرهما، فتري أيها الناظر الشمس إذا طلعت تميل على كهفهم من جهة يمين الداخل لهذا الكهف، وإذا غربت تعطيم شعاعها من جهة شمال الداخل أيضاً، وهم نيام في وسطه بعيداً عنها، ذلك الإيواء إلى هذا الكهف ووضعهم فيه هذا الوضع من دلائل قدرة الله على تعييد ما يريد، فكان يجب أن يلتفت إليها المعاندون ليؤمنوا، ولكن لا يهدي الله إلى الانتفاع بذلك إلا من صلح قلبه وابتعد عن الحسد والكبر، فهذا هو المهتدي حقاً الذي لا يستطيع أحد إضلاله، ومن يضلله لأنه فاسق كافر فلن تجد له صديقاً يرشده انظر الآية (٢٩) من سورة الأنعام ١٦٨.

وتحسبهم أيها الناظر أيقاظاً لتفتح أعينهم كأنهم ينظرون وفي الحقيقة هم نيام ونقلب هؤلاء المتية في رقبتهم مرة على الجنب الأيمن وأخرى على الأيسر لتحفظ أجسامهم من تأثير الأرض، ولتقصر المعجرة في أضيق حدودها، وكلبهم الذي صاحبهم في حال خروجهم من المدينة ماذا ذراعيه على فناء الكهف وهو نائم أيضاً في شكل اليقظان، لو أطلعت وشاهدت حالتهم وأنهم جميعاً مفتحة عيونهم في مكان موحش، وكل منهم في مكانه لا يتحرك مع أنه ليس من العادة ذلك لعلمت أن هذا أمر غير عادي، هوليت فارا منهم ممثلاً قلبك من الرعب، وقد يكون مع كل ما سبق رزقهم الله هيبية تلقى في قلب من يبدو منهم الخوف لييمد عنهم أشرار المشركين، وكما كانت إنعامنا لهم آية كان إيضاها لهم آية أخرى، لتكون عاقبة ذلك أن يسأل بعضهم بعضاً عن مدة مكثهم بائمين في الكهف فقال واحد منهم، كم لبثتم؟

قال بعضهم: مكثنا على هذا الحال يوماً أو بعض يوم.

ولما شك الآخرون في ذلك قالوا اتركوا الأمر لله فهو أعلم به، وابتعثوا عما يصفنا الآن، فابتعثوا واحداً منكم بهذه العملة الفضية إلى المدينة التي فيها حاجات الناس.

ظَهَرَ أَفْهًا أَرَىٰ طَعَامًا فَلْيَا نَكْمَ يَرْزُقُ بِهِ وَيَنْتَلِفُ
وَلَا يُشْعِرُونَ بَكْرًا أَحَدًا ❶ إِنَّمَا إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكَ
بَرَّحُمُوكَ أَوْ يُعِيدُوكَ فِي مَلْئِمَةٍ وَلَنْ نُعْلِمُوا إِذَا أَهَدَا ❷
وَكَذَلِكَ أَغْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَسْأَلُونَ بِهَيْبَتِهِمْ أُمُورَهُمْ فَأَتَوْا
أَنبِيَائَهُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِنْهُمْ أَفَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ
أُمُورَهُمْ لَسَيَّئِدُنَّ عَلَيْهِمْ فَجَدًا ❸ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ
رَأَيْنَاهُمْ كَتَبَهُمْ وَيَقُولُونَ ثَمَنًا قَدَرْتُمْ عَلَيْهِمْ رَحْمًا
بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَتَلْسِمْ عَلَيْهِمْ نَفْسًا رَأَيْنَاهُمْ
بَعْضُهُمْ أَمَّا بِأَعْيُنِهِمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تَحْزَنْهُمْ إِلَّا مِرَاءً
ظَاهِرًا وَلَا تَنْفَتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ❹ وَلَا تَقُولُوا
لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ❺ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ

المعدرات: ﴿أزكى طعاما﴾: أجود وأطيب.

﴿وليتلطف﴾: أى يتكلف اللطف فى

المعاملة حتى لا تحصل خصومة فيمرى.

﴿يظهروا عليكم﴾: يظلموا عليكم ويعلموا

مكائكم ويتموقوا عليكم فى القوة انظر الآية

(٨) من سورة التوبة صفحة ٢٤١.

﴿أغثرنا عليهم﴾: أى أظلمنا الناس عليهم

﴿عليوا على أمرهم﴾: أى الذين تولوا

أمر أهل القرية وهم الرؤساء.

﴿مسجد﴾: المراد مكان عبادة.

﴿رجما بالغيب﴾: هو القول بدون علم.

والغيب كل ما غاب عن الإنسان، والمراد قالوا هى الغيب بدون علم

﴿لا تمار فيهم﴾: أى لا تعاجج اليهود والمشركين فى عددهم.

﴿مراء ظاهرا﴾: المراء الظاهر هو أن تقص ما أحبك الله به ولا تتعمق فيما وراءه، فلا

تصدقهم فيه ولا تكذبهم.

﴿فاعل ذلك غدا﴾: المراد بالعد هنا مطلق الزمن المستقبل لا خصوص اليوم لدى بعد

اليوم الذى أنت فيه..

(١) يتنازعون

(٢) بيانا

(٣) ثلاثة

(٤) ظاهرا

(٥) لشيء

المعنى فليبحث عن أحسن أهل القرية طعاما فيشتري منه ما يقينكم، وليكن لعلها حتى لا يشعر بنا أحد؛ لأنهم إن شعروا وهم مشركون اعتبرونا خارقين على ملتهم وتمكنوا منكم يقتلوكم رحما أو يعيدوكم إلى الشرك، وإذا عدتم إلى الشرك فلي تملحوا أبدا، وتكوبوا حسرتكم الدنيا والآخرة..

ولما ذهب أحدهم بالمصصة دهش أهلها لأنها عملة قديمة جدا، وبعد التحري ذهبوا معه إلى الكهف واطلموا على ما فيه وعرفوا الحقيقة، فأمسوا بالبحث الذي كان بعضهم في شك منه، وهذا هو المراد بقوله ﴿وكدلك أعثريا عليهم﴾ إلخ أي وكما أنماهم وبمشاهم لسجيتهم من المشركين الذين كانوا في رمهم ولترداد بصيرتهم يقينا، أطلما أهل القرية عليهم ليعلموا أن وعد الله بالبعث حق لأن القادر على ما حصل لهم قادر على بعثهم بعد موتهم، وليعلموا أن لقيامه لا شدد في قدرة الله تعالى عليها.

وأعثريا عليهم في الوقت الذي كان يتتارع أهل القرية أمر دينهم بيبهم في مسألة البعث وعدمه، وهل هو إذا حصل بالأرواح والأحساد أم بالأرواح فقط، فلما شاهدوا ما حصل للعتية أمسوا بأن البعث حق وأنه بالجسم والروح، وبعد ذلك مباشرة مات العتية جميعا، فتشاوروا فيما يفعلون بهم، فقال بعضهم ابسوا على باب الكهف بيبانا يمنع الدحول إليهم ويتركهم وشأنهم فريبهم أعلم بحالهم. وقال أصحاب الكلمة بيبى مكابا يتعبد فيه الناس وهذا كان جاشرا في شريعتهم ولكن الاسلام حرم بناء المساجد على القبور، قال الألوسي (ومن استدل بالآية على حور النساء على قبور الصلحاء واتحاد مسجد عليها فقوله باطل عاطل فاسد كاسد فقد صح في الحديث أنه ﷺ قال (لعن الله المتحدين على القبور المساجد والسرح) وفي رواية مسلم أنه ﷺ قال (ألا وإن من كان قبلكم يتحدون قبور أسياثهم بمساجد هابى إهابكم عن ذلك) وفي البخارى ومسلم أنه ﷺ قال (إن من كان قبلكم كانوا إذا مات هيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا أولئك شرار الخلق).

وسيقول المتكلمون هي قصتهم من أهل الكتاب والعرب عددهم ثلاثة ورابعهم كلهم، ويقول آخرون بل هم خمسة وسادسهم كلهم، يرمون كلامهم هذا بدون علم، ويقول آخرون هم سبعة وثامنهم كلهم. قل أيها النبي للمختلمين: ربي أعلم بمدتهم ما يعلمهم إلا قليل من الناس وهم الذين أظلمهم الله تعالى على عددهم.

وتمقيب القولين الأولين بالرجم بالغيب دون الثالث يشعر من بعيد بأن الثالث هو الصواب، خصوصاً وقد جاء بالواو قبل الجملة الواقعة صفة للمكرة لتوكيد ربط الصفة بالموصوف، كما تقول جامعي رجل ومعه آخر، فإن جادلوك فيهم أيها النبي فلا تجادلهم إلا جدالاً ظاهراً لا تتعمق فيه معهم، بل تقتصر على ما أخبرك الله تعالى به ولا تزد عليه، ولا تستفت في عددهم وأحوالهم أحداً من أهل الكتاب لأن ما عندك كافيك.

وكان ﷺ لما سأله عن قصة أصحاب الكهف قال سأخبركم عنها غدا ولم يقل إن شاء الله فحبس الله تعالى عنه الوحي خمسة عشر يوماً حتى أحزنه ذلك، ثم نزلت القصة، وجاء سبحانه في سياق الكلام عن القصة بهذا التأديب تعليماً له ﷺ ولأمته بأن لا يقطعوا بشيء في المستقبل، بل يفوضوا الأمر فيه لمشئته ربه.

والمعنى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك في المستقبل إلا قولا مقترناً بمشيئة الله أي بقولك إن شاء الله، وقد حافظ ﷺ على ذلك طول حياته انظر الآية (٢٧) من سورة الفتح صمحة ٦٨٣.

المفردات. ﴿من هذا﴾: أي من الحديث عن أصحاب الكهف..

﴿رشد﴾: قال الرابع: الرشد بفتح الراء والشين، والرشد بصم الراء وسكون الشين ضد الفى والضلال انظر الآية (٢٥٦) من سورة البقرة صمحتي ٥٢، ٥١، ويستعمل الرشد استعمال الهداية، يقال رشد فلان إذا اهتدى للصواب والخير، ولذا قال الزجاج المراد بالرشد هنا هو إرشاد العلق ودلائلهم على الخير، وقد يراد به الخير نفسه، انظر الآية (١٠) من سورة الجن

صفحة ٧٧١.

﴿لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾ أي
مكثوا فيه ٣٠٠ سنة شمسية.

﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ أي تسع سنين إذا
حسبناها بالمئين القمرية.

﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمَعْ﴾ تركيبان يدلان على
التعجب والمبالغة في المعنى المفهوم من
مادتهما، أي ما أبصر الله سبحانه بكل
موجود وما أسمع بكل مسموع، فهو سبحانه
لا يخفى عليه شيء وهذا التعجب صادر من
الشيء بقرينة ومن كل من يسمع هذا الخطاب
فهما داخلان في المأمور به بقوله سبحانه

(قل الله أعلم) إلخ أي وقل أبصر به إلخ فليس التعجب هنا صادرا من الله تعالى، ولا مانع من
صدور تعجب الخلق من بعض صفاته سبحانه وتعالى وأفعاله على معنى أنها عظيمة جدا من
شأنها أنها يتعجب منها ومن ذلك هي الحديث قوله ﷺ (ما أعظمك يا رب على من عصاك،
وما أقربك ممن دعاك، وما أعظمك على من سألك)، ﴿كتاب ربك﴾: هو القرآن.

﴿لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ لا معبر لأحكامه التي جاءت في كلماته

﴿ملتجدا﴾ أي مكابا تميل إليه لتتحصن به أي ملجأ.

وَأَذْكُرُ رَبِّيَ إِذَا نَسِيتُ وَقُلْ صَوِّقْ أُنْ يَدَيَّ رَبِّي
لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشْدًا ۝ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ
مِائَةٍ سِنِينَ وَارْدَاؤُا نَسَا ۝ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا
لَهُ غَيْبُ السُّنُونِ وَالْأَرْضِ أَصْرُهُ وَاسْمِعْ مَا لَهُمْ
مِنْ دُونِهِ مِنْ وَثْقَى وَلَا بُشْرَكَ فِي حُكْمِهِ أَهْمًا ۝
وَأَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْنَا مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ
وَلَنْ نُجِِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَجِدًا ۝ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْثِ وَالْعَيْنِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ
عَيْنُكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا يُطِيعُ مَنْ
أَفْعَلْنَا قُلُوبَهُمْ مَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِنَا فَهَوَتْ ذِكْرُ مَا أَتَيْنَا مِنْهُ وَكَانَ أَتْرُفًا مَرْغَا ۝
وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ قُلْ شَاءَ فَلْيُتَوَكَّرْ وَمَنْ شَاءَ
فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا

(١) ثلاث

(٢) السموات

(٣) لكلماته

(٤) بالعداء

(٥) الحياة

(٦) هواء

(٧) لفظ المين

﴿واصبر نفسك﴾ أي احسبها.

﴿لا تعد عساك عنهم﴾ لا تصرف عيناك النظر عنهم لشغل إلى أبناء الدنيا

﴿مرطاً﴾ متجاوزاً فيه الحد

﴿سرادقها﴾ السرادق لمظف عارسي معرب أرادت به العرب المسطاط أي (لحيمة).

المعنى وإذا نسيت أن تقول إن شاء الله فقلها عند تذكرك أنك نسيتها ما دمت هي محسبك ولم تنتقل لحديث آخر وقل لعل الله أن يوفقني ويعطيني من الحجج على صدقي ما هو أقرب إلى العقول من قصص أصحاب الكهف وأقوى في إرشاد الناس. ثم رجع سبحانه إلى إتمام القصة فقال (وليثوا) أي مكث الفتية بياما هي كهفهم ثلثمائة سنين شمسية، وإذا حسبت قمرية رادت تسعا، وهذا حساب دقيق لا يعرفه الا علماء الملك من أن كل ٢٢ سنة وثلاث سنة شمسية تساوي ٢٤ سنة قمرية فسبحان من علم بيبه الأمل ما لم يعلم.

وهذا منه تعالى بيان لما أجمله في قوله (فصربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا) وإذا كان الأمر كذلك فلا تتجاوز أيها النبي الحق الذي أحبر الله به، ولا تلتفت إلى احتمالات الناس، فهذا سمعت منهم خلاف ما أحبرناك به فقل لهم الله وحده هو الأعلم بمدة مكثهم بانهمير لأنه سبحانه هو المحتص بعلم الغيب في السموات والأرض فما أبصره سبحانه بكل موحود وما أسمع له لكل مسموع، وليس لأهل السموات والأرض من يتولى أمورهم غيره، ولا يشرك سبحانه في قصصاته في شئون خلقه أحدا من أهل السموات والأرض. ولما فهم مما سبق أن فصل الله عليه ﷺ كان بسبب إيراد هذا القرآن الذي قامت به الحجة على المشركين وكل أخباره صادقة. قال سبحانه لنبيه واتل ما أوحى إليك من القرآن الذي أنزله ربك الصادق الحكيم، ولا تشغل نفسك بلفوهم عندما قالوا لك إنك بقرآن غير هذا أو بدله انظر الآية (١٥) من سورة يونس صمحتي ٢٦٧، ٢٦٨، فإنه لا أحد يقدر على تبديل كلماته، وإياك أن تحالف أمر ربك، فإنه حينئذ لن تجد من دونه تعالى ملجأ يحصطك منه، ولما كان كمار فريش طلبوا منه ﷺ طرد الفقراء من حوله كما تقدم في الآية (٥٢) من سورة الأنعام

والآية (٧٣) من سورة الإسراء صفحتي ١٧٠، ٢٧٤ وكما هي عادة المتكبرين من الكمار في كل أمة، انظر آيات من (٢٧ إلى ٣١) من سورة هود صفحتي ٢٨٨، ٢٨٩ والآية (١١١) من سورة الشمراء صفحة ٤٨٦، لما كان كل هذا أمر سببانه نبيه بعدم إطاعتهم وبالمحافظة على احترام المؤمنين مهما كانوا ضعفاء أو فقراء، فقال: ﴿وأصبر نفسك﴾ أي أحبسها مع فقراء أصحابك الذين يدعون ربهم دائماً، خصوصاً طرقي النهار وقت غفلة الناس، لا يريدون إلا وجه ربهم، لا رياء ولا طلب نفع، ولا تصرف نظرك عن المقراء لثلاثة ثيابهم طالبا مجالسة الأغنياء المنعمين برينة الدنيا إرضاء لهم طمعاً في إيمانهم، ولا تطع في طرد الفقراء عن مجلسك من جعلوا قلبه عاجلاً عن تأمل القرآن لتمكن الريح من قلبه حتى صار عبداً لهواه، وأصبح أمره في جميع أعماله بعيداً عن الصواب، انظر الآية (٥) من سورة الصب صفحة ٧٢٨، وبعد ما قطع أطماعهم في صبره ﷺ عن فقراء المؤمنين أمره بأن يهددهم بأن يقول لهم هذا الذي جئت به هو الحق من ربكم، فمن شاء أن يؤمن به فليؤمن فهو خير له، ومن شاء الكفر به فليكرم فإنه لم يظلم إلا نفسه، والله قد أعد للظالمين ناراً تعيط بهم من كل جانب كما يعيط السراق بما فيه إحاطة محققة كأنها وقعت.

المقررات «المهل» هو اسم معدن من معادن الأرض كالذهب والفضة ولبحاس إذا أديب، انظر الآية (٤٥) من سورة الدخان صفحة ٦٥٩، والآية (٨) من سورة المارج ٧٦٥.

(مرتصفاً) أصله المتكأ الذي يتكأ عليه الإنسان ليسترخ، فهو تهكم بهم لأنه لا راحة فيها.

«عذر» تقدمت في الآية (٢٣) من سورة الرعد صفحة ٢٢٥.

«سندس» هو رقيق ثياب الحرير.

«استرق» هو العليط منها.

وَلَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهَا شَيْئًا وَكَانَ هَؤُلَاءِ يَسْرِى الْوُجُوهُ
 وَيَسْرِى الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَقًى ① إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ②
 أُولَئِكَ هُمُ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخِلُونَهَا يُخْرِجُ مِنْهَا أَنْهَارٌ يَجْرُونَ
 فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ
 سُدُسٍ ③ وَمَا سَتَرْنَاهُ عَنْهُمْ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعَمَ
 الْفَرَاتُ وَحُتَّتْ مُرْتَقًى ④ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا
 رَجُلَيْنِ جُمِلَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أُغْنٍ وَخَصَفَتُهُمَا
 بِخَلْيٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ⑤ كَلَّا الْبَلْسَنُ ⑥ أَتَتْ أَكْلَهَا
 وَلَمْ تُظْلَمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ⑦ وَكَانَ لَهُ
 نَهْرٌ فَسَالَ لَيْصَحِيهٖ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ⑧ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا
 وَأَعَزُّ نَفَرًا ⑨ وَدَخَلَ جَنَّتُهُ وَهُوَ ظَلِيمٌ لِنَفْسِهِ ⑩ قَالَ

﴿الارائك﴾: جمع اريكة وهي السرير

الدى عليه ستار.

﴿اضرب لهم مثلاً رجلين﴾: اى اجعل حال

رجلين غنى كاهن وفقير مؤمن مثلاً يعتبر به
 قومك.

﴿كلنا الجنة﴾: اى كل منهما.

﴿اكلها﴾: هو ما يؤكل من ثمارها.

﴿تظلم﴾ اى تنقص..

﴿فجّرنا خلالهما نهراً﴾: المراد أجرنا

فيما بين كل من العنتين نهراً على حدة كما
 قال أبو السعود.

﴿اعز نعر﴾ اى أقوى منك من جهة ما عدى من كثرة الأولاد والخدم والأتباع

﴿ودخل جنته﴾ المراد دخل حبة من الجنة. قال ذلك أبو حيان لأن دخول الجنة هو

وقت واحد غير ممكن.

﴿طالم لنفسه﴾. اى ضار لنفسه بكفره.

(١) اموا

(٢) الصالحات

(٣) جنات

(٤) الأنهار

(٥) اعصاب

(٦) وخصفهما

(٧) أتت

(٨) خلالهما

(٩) لصاحبه

المعنى وإذا استعانت الظالمون من شدة العطش هي جهنم بأنبيهم الملائكة بماء كالبحاس العذاب الشديد الحرارة بشوى الوحوه إذا فربوه منها للشرب منه قبح هذا الشراب وساءت جهنم مكان راحة.

هذا حال الكافرين هي الأخرة أما الذين آمنوا وعملوا الصالحة فإنها لا يصيب آخر من أحسن عملا منهم، فعطيتهم جنات عدن تجري من تحت عرشهم الأنهار يحلون فيها حلية من أساور من ذهب، ويلبسون ثيابا خضرا من حرير رقيق وعليط حسب ما تشتهيه أنفسهم متكئين في الجنة على السرر ذات الستائر كالملوك، نعم الثواب ثوابهم هذا وحسبت الجنة مكان راحة واصرب أيها السي لهؤلاء الطعامة من كمار قومك الذين استنكموا أن يجتمعوا مع فقراء المؤمنين عندك وطلبوا منك طردهم، اصرب لهم مثلا حال رحلين أحدهما غنى كافر حمليا له جنتين ليتم تتممه بالتقل بينهما وليأمن التعم بإحدهما إذا تلمت الأخرى، هي الجنتين هواكه منها الأعاب، وجعلنا البحر محيطا بكرومهما للحمض و لريية والمائدة، وجعلنا بين أشجارها رزعا كالبر وغيره، لتكون الجنان جامعتين للطعام والساكنة وهذا تمام التعميم، وأعطيت كل حبة حير ما يؤكل منها ولم تنقص منه شيئا، وأجرينا وسط كل من الجنتين نهرا لدوام ريها وحمض بهحتها بدون تعب، وكان لصاحب الجنتين ثمر، أي أنواع من المال سوى الجنتين من ذهب وعصاة وغيرهما، وكان له أيضا أولاد لأن الأولاد ثمرة أبيهم، ولذا قال (وأعز نصرا).

ولما رأى زحرف الدنيا قال لصاحبه المؤمن الصغير في أثناء محاورتهما في الكلام أنا أكثر منك مالا وأقوى نصرا، وبعد اشتخاره على صاحبه دخل حبة من جنتيه فحورا مستعليا ناسيا نعمة ربه كافرا بها.

المفردات: ﴿مبقليا﴾. مرجعا وعاقبة

﴿لكن هو الله ربى﴾ أصلها لكن أنا أقول هو الله ربى.

﴿لولا﴾: كلمة تدل على العث على فعل ما بعدها ويفسرونها بـ (هلا).

﴿حسباناً﴾: أصل الحسبان مصدر حسب كالعصران من عفر ومعناه الحساب أريد به المحسوب والمقدر أى صواعق مقدرة جزاء كفره.

﴿صعيداً﴾: تراباً صاعداً على وجه الأرض. ﴿رلقا﴾: الزلق هو الأرض الرلقة بفتح فسكون والمراد هنا أن ترابها مشبعاً بالملح والماء ولا يحف ثراها ولا ينبت مرعاها. ولا تثبت عليها القدم والمراد أنها سبخة لا تصلح للزرع مطلقاً.

﴿عورا﴾: أصله مصدر غار أى غاب فى الأرض وأريد به عاثراً مبالغة.

﴿أحيط بثمره﴾: أى أحاطت الصواعق بالثمر مأكلكه

﴿حاوية على عروشها﴾: تقدم معناها فى صفحة ٥٤ والمراد حربة.

﴿عثة﴾: هى الجماعة من الناس.

المعنى. قال معروراً بطول الأمل ما أظن أن تمنى هذه الجنة أبداً، وما أظن القيامة حاصلة، ولئن فرص ورجعت إلى ربى بالبعث كما زعمت والله لأحدثن حيرة من هذه الجنة عاقبة، لأنى أهل للنعيم فى كل حال. قال له صاحبه المؤمن وهو يناقشه هل يصح أن تكفر بربك الذى خلقك من تراب باعتبار أصل مادتك، ثم من مطعة باعتبار مبدئك

(١) صواك.

(٢) لكى

(٣) يا لئسى.

مَا أَظُنُّ أَنْ تَمِيدَ هَيْدَةً أَبَدًا ۖ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقِبًا ۚ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحْذِرُهُ يَا أَكْثَرُ الْفَسَادِ الَّذِى خَلَقَكَ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ طَعْمٍ ثُمَّ سَوَّيْتُكَ رَجُلًا ۚ لَنُكَافِرَنَّكَ رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ رَبِّي أَحَدًا ۚ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا قُلُوبَنَا فَلَا يُولَٰئُا ۚ فَسَوَّىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيَّ حَبَّاتٍ مِنَ السَّمَاءِ تُصَبِّحُ بِهِ الدَّارَ لِقَاءَ ۚ أَوْ يُصْبِحَ مَا لَهَا عِوَادًا فَلَنْ أَسْطِيعَ لَهُ طَلَبًا ۚ وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ ۚ فَأَصْبَحَ بِقَلْبٍ مُّغْمًٍ عَلَىٰ مَا أُسْقِنِي ۚ وَهِيَ حَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَيْنَ يَدَيْ رَّبِّ أَشْرِكُ رَبِّي أَحَدًا ۚ وَلَوْ تَحَسَّنَ لَكُمُ الْخَيْسُ بِمُضْرُوتِهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ

القريب، ثم سواك أي عدلك رجلاً كاملاً. وإنما نسب إليه الكفر لأنه أنكر البعث وشك فيه، أي فانت بهذا كافر، لكن أنا أقر بأن الله هو ربي ولا أشرك به أحداً، أما كان الأحق بك أنك حين دخول جنتك وتطورت إلى ما أسمع به عليك قلت هذا ما شاء الله لي ليكون حاملاً لي على شكره، وأقر بأنني لا قوة لي على تحصيل هذا المال إلا بمعونة الله، وبعد هذه النصيحة نبيه إلى أن الله قادر على أن يعطيه خيراً من جنته، بل ويرسل عليها صاعقة من السماء تهلك ررعها وأشجارها، أو يهلكها بإذهاب الماء عنها وجعله يعور في باطن الأرض حتى يستحيل عليه طلبه، وقد حقق الله عر وجل ما أئدره به المؤمن فأحاطت المصائب بشمار جنتيه بعدما طس أنها لا تعنى أبداً، فأصبح يقلب كفيه بعدما وأسفا على صياح ما أمقه فيها.

والحال أنها ساقطة على عروشها من الحراب، وتمنى أن لم يكن أشرك بربه أحداً وتمنيه هذا صدر عنه اضطراراً وجرعاً مما دهاه وليس عن بدم وثوبة، انظر مثله في الآية (٦٥) من سورة المكبوت صمحتي ٥٢٩، ٥٢٠. فهو خسر كل شيء، ولم تكن له عشيرة وعروة ممن استمر بهم واعتنح على المؤمن، لا أحد من هؤلاء ينصره بدفع المصائب عنه من دون الله، فإنه وحده القادر على دفع السوء.

الممرات «هالك» أي في ذلك المقام وهو مقام الشدائد والمحن.

«الولاية»: النصرة والمعاونة.

«عقبا» أي عاقبة.

«واصرب لهم.. إلخ» أي واحمل لهم إلخ «مثل الحياة الدنيا كماء إلخ» هذا التشبيه يسميه العلماء تشبيهاً مركباً، وهو تشبيه مجموعة أشياء بمجموعة أخرى في معنى يجمعها، والمراد هنا تشبيه حال الحياة الدنيا وما فيها من رخايف ومفرجات ثم ترول سريعاً بحال

وَمَا كَانَ مُعْتَصِرًا ④ هَٰذَا الَّذِي يَدَّعِي الْحَقَّ هُوَ خَيْرٌ
ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقَابًا ⑤ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَّةِ الَّتِي
كَتَمَتْ أُنثَىٰ مِنْ أُنثَىٰ فَاحْتَضَتْهُ، بَاتَتْ الْأَرْضُ
فَأَصْبَحَ عَنِيْبًا تَدْرُوهُ الرِّيحُ ⑥ وَكَانَ آدَمُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
مُقَدِّرًا ⑦ الْمَلَأَ الْبُؤْسَ رِيْسَ الْحَيَّةِ الَّتِي وَالْبَقِيَّةُ
الْمُتَلَيِّحَةُ خَيْرٌ مِنْكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ⑧ وَيَوْمَ
نُفِثَ الْجِبَالُ وَزَيَّ الْأَرْضَ بَارِدَةً وَخَشَرْنَهُمْ فَلَمْ
يُعَادِرْهُمْ أَحَدًا ⑨ وَغَرَّ صُرَاغٌ مِنْكَ صَعًا لَقَدْ
يَحْتَسِبُونَ أَنَّهُمْ حَقَّنُوا بِكَ أَرْوَاحَهُمْ لِيُخْرِجَهُمْ
لَكُمْ تَرَعًا ⑩ وَوَصَّ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُسْمِرِينَ
مُتَعَفِّينَ يَمُوتُونَ وَيُقْرُونَ يَتَوَلَّوْنَآ مَلَكًا عِنْدَ الْكِتَابِ
لَا يَخْذِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا

سأت روه ماء المطر وصار أحصر بهيجًا، ثم
حف وصار هشيمًا في أسرع وقت.

﴿هشيمًا﴾ ياسا متكسرا.

﴿تدروه الرياح﴾ أي تسمعه وتظهره .

﴿سهر الجبال﴾ انظر ما سيحصل للجبال

في شرح الآية (١٥) من سورة طه صفحة ٤١٦.

﴿بارزة﴾ أي ليس عليها شيء مما كان

يسترها من حال وأشجار وروع ومياه.

﴿فلم نعادر﴾ لم نترك.

﴿بل رعنتم﴾ المراد رعن منكروا البعث

مكم، لا كل العلائق الواقعة في المحشر، لأن منهم مؤمنين، ومثل هذا جاء في لقنن (قالوا

يا موسى احمل لنا إلهنا.. إلخ) الآية (١٢٨) من سورة الأعراف صفحة ٢١٢.

(١) ثولاية

(٢) نحيه

(٣) أبرسام

(٤) الرياح

(٥) الحياة

(٦) لباقيات

(٧) الصالحات

(٨) وحشرناهم

(٩) حلقناكم

(١٠) أن لن

(١١) الكتاب

(١٢) يا ويلنا..

(١٣) الكتاب

(١٤) أحصاها

﴿ووصي﴾. أي في اليمين للطائعين والشمال للعاصين كما هي آيتي (١٩، ٢٥) من سورة

الحاقة صمعتي ٧٦٢، ٧٦٣.

﴿الكتاب﴾: هو كتاب الأعمال.

﴿مشفقين﴾: حائفين.

﴿ياويلتنا﴾. كلمة تعسر، انظر الآية (٣١) من سورة المائدة صفحة ١٤٢.

المعنى ما كان له من معاونه على النصر، وما كان منتصرا هو بنفسه لشدة ضعفه أمام قدرة الله في هذا المقام الذي يعجز فيه كل مخلوق عن دفع البلاء. يتضح أن العون النافع لا يكون ثابتا إلا للإله الحق لا يقدر عليه غيره، فهو سبحانه خير لعبده المؤمن من جهة الجراء الحسن والعاقبة الطيبة.

وبعد ما صرب سبحانه المثل لحال الكافر الذي أبطرتة النعمة، والمؤمن الواثق بربه، أراد أن يصرب مثلا آخر لسرعة زوال الحياة الدنيا وعدم دوام نعيمها فقال ﴿واصرب لهم مثل الحياة الدنيا﴾ إلخ أي أحمل أيها النبي لهؤلاء المفرورين بالدنيا صفتها مثلا عجيبا لعلمهم يعتبرون، وقل لهم إن حال الدنيا هي بهكتها وسرعة زوالها كحال نبات رواء ماء المطر فاحصر والتف بعصه على بعض وأزهر، ثم لم يمكث طويلا حتى جف وصار هشيما تطير به الرياح في كل ناصية حتى لا يبقى له أثر، وذلك بقدرة الله دائم القدرة على كل شيء من إيجاد وإهناء.. ثم بين سبحانه بعض زخارف الدنيا التي تقنى سريما وما يقابلها مما يبقى خالدا فقال سبحانه المال والبنون التي يضر بها كمار أمتك هي ريبة الحياة الدنيا فقط إذا لم يحولها صاحبها إلى زاد دائم للأخرة، أما أعمال الخير التي تبقى ثمرتها حادثة هي الآخرة فلا شك أنها خير عند الله من جهة الثواب ومن جهة ما يؤمله العاقل ليحيا سعيدا. وحذرهم أيها النبي من الأهوال يوم نسير الجبال إلخ. والذي يفهمه من مجموع آيات القرآن أن الحال تتفصل عن

لأرض ثم تسير في الجو بسرعة ثم تتساقط فتصير كثيبا مهيلًا ثم هباء منبثًا كالعهن المنفوش، انظر الآيات (١٠٥) من سورة طه صفحة ٤١٦، و(٨٨) من سورة النمل صفحة ٥٠٥، و(١٠) من سورة الطور صفحة ٦٩٧، و(٥) من سورة الواقعة صفحة ٧١٢، و(١٤) من سورة المزمل صفحة ٧٧٤، و(١٠) من سورة المرسلات صفحة ٧٨٤، و(٢٠) من سورة النبا صفحة ٧٨٧، و(٥) من سورة القارعة صفحة ٨١٩، وكل هذا يحصل يوم القيامة في زمن لا يعلم حقيقة مقداره إلا الله سبحانه. ونرى الأرض الجديدة غير أرض الدنيا ليس عليها شيء مما كان في الدنيا، انظر الآية (٤٨) من سورة إبراهيم صفحة ٣٣٧، وحشر الله تعالى الناس جميعا عليها ولم يترك منهم فردا، وعرضوا على ربك صما أي مصمومين كما يحسف الحديد في الأرض لا يعجب أحد غيره، يقول سبحانه لهم لقد جئتمونا فرادى لأشياء معكم من ولد ولا مال ولا شمع، عراة كما خلقناكم أول مرة، انظر الآية (٩٤) من سورة الأنعام صفحة ١٧٨ وكان الكفار في الدنيا لم يكتفوا بتكذيب الرسل في أنهم من عند الله، بل زعموا أن الله لن يعمل لكم موعد، يجمع الناس فيه للحساب، فقالوا وما نحن بمبعوثين، ووضع في يد كل واحد كتابه، فيصرح المؤمنون ويحلف المجرمون مما فيه ويظهرون الحسرة والدم والدمشة من أنه لم يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمالهم إلا وسجلها.

المصدرات: ﴿حاضرا﴾: مكتوبا في الصحف.

﴿عسق عن أمر ربه﴾ أي خرج من طاعة أمر ربه.

﴿ودريته﴾ أي أولاده، وقال جماعة المراد أتباعه من الجن والإنس.

﴿ما شهدتهم خلق السموات والأرض﴾ أي لم احصر إبليس ودريته عندما خلقت السموات

والأرض وعندما خلقتهم أي لم أشهد بعضهم خلق بعضهم الآخر

﴿عضدا﴾: أعوانا..

حَاصِرًا وَلَا يَظُنُّمْ رَبُّكَ أَحَدًا ① وَإِذْ قُمْنَا لِلنَّبِيِّ
أَعْمَدُوا لِأَدَمَ مَسْجِدًا ② لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ③ وَالْحَمْدُ
عَنِّي أَمْرٌ رَهِيمٌ ④ أَمْتَنِيخُدُونَهُ وَدَرَيْتَهُ ⑤ أَوْلِيَاءَ مِن
دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ⑥
مَا شَهِدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ
أَنفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُخَيِّدَ الْمُصِيبِينَ عَصِدًا ⑦ وَيَوْمَ
يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ عَدُوَّهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا
لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ⑧ وَرَأَى الْمُخْرَجُونَ
النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاعِقُوهَا وَذَرَوْهُمَا نَحْبَ مُصْرَفًا ⑨
وَنَقَدْ صَرَفَ فِي هَذَا أَنْفَرًا ⑩ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَنَاقِبٍ وَكَانَ
الْإِنْسَانُ أَكْثَرَنَّاسٍ ⑪ وَحَدَلًا ⑫ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَن
يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى ⑬ وَيَسْمَعُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ

﴿موتقنا﴾: اسم مكان من وبق وبقا كصرح
فرحا إذا هلك، أى مكان هلاك يشتركون فيه
وهو جهنم، انظر الآية (٢٤) من سورة
الشورى صفحة ٦٤٢.

﴿مظنوا﴾: الظن هنا بمعنى اليقين كما
فى الآية (٤٦) من سورة البقرة صفحة ١٠،
والآية (٢٠) من سورة الحاقة ٧٦٢.

﴿مواقعوها﴾: أى مخالطوها وواقعوا
فيها.

﴿مصرفا﴾: أى مكانا ينصرفون إليه بعيدا
عنها.

﴿ولقد صرفنا فى هذا القرآن﴾: إلخ تقدم بيانها فى الآية (١٠٥) من سورة الأنعام صفحة
١٨٠، وانظر ما فى صفحة ٣٦٩.

المعنى ووجدوا ما عملوا مسجلاً فى صحف أعمالهم، ولم يظلم ربك أحدا منهم بزيادة
ذنوب لم يعملها، ولما كانت كل هذه المصائب بسبب الخضوع للشهوات التى ربيها لهم إبليس
وحيوده، أراد سبحانه أن يذكرهم فى هذا المقام بما بين إبليس وبينهم من العداوة لعلمهم

(١) للملائكة

(٢) لآدم

(٣) نازلهم

(٤) السموات

(٥) شركائى

(٦) ورأى،

(٧) القرآن

(٨) الإنسان

يحدروبه فقال ﴿وإذا قلنا﴾ إلخ أى واذكر لهم أيها النبي وقت أمرا للملائكة وغيرهم من باب أولى باحترام آدم فأنطاع الجميع إلا إبليس، وذلك لأنه لم يكن من جنس الملائكة الذين لا يعصون الله تعالى بل كان من الجن المخلوق من النار لهذا جرح عن طاعة ربه، فهل يصح بعد ذلك أن تتعدوا إبليس ودريته يا أولاد آدم أنصارا لكم بدلا منى وأنا خالقكم والحال أنهم لكم أعداء فبيع هذا البذل الذى فصلتموه على المعصم عليكم انظر قصة سجود الملائكة الا إبليس هي الآية (٢٤) من سورة البقرة صفحة ٨. وما قيمة إبليس ودريته مع ابنى انا وحدى الذى خلقت السموات والأرض ولم أحصر واحدا منهم ليساعدنى، ولا أحصرت واحدا منهم عند خلق زميله الآخر لانى لا أحتاج إلى أعوان فى ذلك، فصلا عن المصلين المفسدين والمراد ان إبليس لا فصل له عليكم فكيف تطيعونه . وذكرهم يوم يقول الله سبحانه للمشركين نادوا الذين ادعيتهم فى الدنيا أنهم شركائى فى العبادة ورعيتهم أنهم يسمعون لكم، واطلبوا منهم أن يمنعوا عنكم عذاب جهنم، فعادى المشركون ما كانوا يعبدونهم ليعيثوهم هم يحبهم ولم يفهم أحد، وحملا بين الكفار وألتهم مكانا يشركون فى الهلاك فيه وهو جهنم

ولما رأى المعززون النار أيقنوا أنهم وافقون فيها ولا ممر لهم منها ولقد نوعنا المعبر على صور مختلفة فى هذا القرآن قطعا لأوهامهم الباطلة، ولكن كمار مكة لم يقطعوا عن الجدل الباطل لأن هذا طبع مريض انقلب المكابر وما منع هؤلاء المشركين من أن يؤمنوا بما جاء به رسولنا حين جاءهم القرآن الهادى للحق، ومن أن يستغفروا ربهم بالنوبة عما سبق منهم، لا تعنتهم وطلبهم من الرسول أن يأتيهم بأحد امرين.

المصدرات «سنة الأولين» - وهى إهلاكهم دفعة واحدة

«قبلا» . جمع قبيل بمعنى نوع، انظر صفحة ١٨١، أى قبيل بعد قبيل

«ليدحضوا» : ليبطلوا ويزيلوا،.

«أكنة» : جمع كنان يكسر أوله وهو الغطاء.

سَةُ الْآوِلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝ وَمَا رُسُلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مَنبُتُونَ وَمُسْتَوْدَعُونَ ۝ وَيَحْتَدِلُّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا هَاتِيئًا وَمَا أُبْدِرُوا ۝ هَرُورًا ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ دُخِرَ يُدْعَىٰ بِهِ فَمَنْعَهُ فَأَمَرَ مَنْ هَبَّ وَهُيَ مَأْقَدَتٌ بِهِ ۝ إِنَّا خَطَبَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۝ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ قُلْ يَهْتَدُوا بِإِذْنِ اللَّهِ ۝ وَرَبُّكَ الْعَفْوَ ذُو الرَّحْمَةِ ۝ لَوْ يُزِيدُهُمْ مِمَّا كَسَبُوا لَتَجَلَّيَ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَرْعَدٌ ۝ لِيُجَذَّوْا مِنْ دُونِهِ مَرَجًا ۝ وَتِلْكَ الْأَفْرَقَ أَفْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَنَنَّا وَجَعَلْنَا يَهْلِكُهُمْ مَرْعَدًا ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِمَلَكِهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْشِيَ حُقُبًا ۝ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَبَّأَ خُوتُهُمَا

﴿وقرا﴾: صغما..

﴿موتلا﴾: هو اسم مكان من وآل إليه يثل إذا لجأ إليه أى ملجأ.

﴿لمهلكهم﴾: المهلك مصدر بمعنى الهلاك جاء على خلاف القياس كـخرج في الآية (٥٥) من سورة آل عمران صمحتي ٧١، ٧٢.

﴿لفناء﴾: أى خادعه يوشع بن نون من نسل يوسف عليه السلام.

﴿لا أبرح﴾: لا أزال، والعراد لا أزال أمير.

﴿مجمع البحرين﴾: هو المكان الذي يجتمع فيه بحران ويصيران بحرا واحدا.

﴿حقباً﴾ هو اسم مصدر بمعنى المدة الطويلة وجمعه أحقاب كعق وأعاق.

﴿خوتهما﴾: الخوت هو نوع من السمك.

المعنى ولم يمنع المشركين من الإيمان إلا اشتغال قلوبهم بالتفكير الذي حملهم على طلب أحد أمرين، ما صاعقة نصيبهم جميعا كما في الآية (٢٢) من سورة الأنفال صفحة ٢٢١، وإما أنواع من العذاب والبلاء يتلو بعضها بعضها وهم موجودون في الدنيا، انظر الآية (٩٢) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٧، والآية (٢٨) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٤، والآية (٧١) من سورة النمل صفحة ٥٠٢، والآية (٢٨) من سورة السجدة صفحة ٥٤٨، والآية (٢٩) من سورة سبأ صفحات ٥٦٦، ٥٦٧ ولما كان مجيء ذلك أمره مفضو إلى الله تعالى لا إلى رسول ولا غيره قال وما يرسل المرسلين إلا ليشارة المؤمنين بالجنة وتخويف الكافرين بالعذاب، ولم يرسلهم ليقترح عليهم المعاندون آيات معينة، ويطلبوا منهم ما لا قدرة لهم عليه. هذا هو الواقع، ولكن

الذين كفروا يمرضون عن الحجة ويجادلون بالباطل، كافتراح معجرات معية وقولهم للرسول ما أنتم إلا بشر مثلبا، والله لا يرسل إلا ملائكة وغير ذلك. ليبطلوا بهذا التحدل الحق، و تحدوا آياتي القرآنية وما أنذرهم به من العذاب سحرية، فيقولون ما هذا إلا أكاذيب الأولين ولو شأنا لقلنا مثله، وبهذا ظلموا أنفسهم حيث حرموها من السعادة لأنه لا أحد أظلم ممن وعط بايات الله فأعرض عنها ونسى ما عمل من المعاصي ولم يتمكر في عواقبه وسبب ذلك أنهم لما أفسدوا فملرهم بالشهوات عاقتهم بالطمس على قلوبهم فلا تعقل، وعلى أذانهم فلا تسمع سماع فهم، انظر الآية (٧) من سورة البقرة صفحة ٤، والآية (١٤) من سورة المطففين صفحة ٧٩٧، وكان اثر كل هذا أنك إن تدعهم أيها النبي إلى الهدى على يهتدوا إذا كان هذا حالهم أبدا ولا يمتز أحد بتأخير عذاب كمار مكة لأن الله سبحانه قدر أن هذه أحر الأمم، فأفصح لمحال لمن يتوب فيعصر له، ووسع الباقي برحمته التي وسعت كل شيء حتى الكافر كما هي الآية (١٥٦) من سورة الأعراف صفحة ٢١٧، ولو أخذهم بدبوبهم لمجل لهم عذاب الإقناء كغيرهم، ولكنه تركهم لموعده يدوقون فيه أشد العذاب وهو يوم القيامة، ولا يجدون ملجأ يحفظهم منه، وإمها لهم رحمة منه سبحانه بأمة محمد كلها، أما أهل تلك القرى الماضية من عاد وثمود وغيرها فإنها أهلكتهم جميعا لما ظلموا بتكذيب رسلهم، وجعلنا لهلاكهم موعدا لا يحتلف، وكذلك سيكون عذاب هؤلاء، واذكر أيها النبي وقت قول موسى نبي الله لعنه يوشع لا أزال أسير حتى أبع مجمع البحرين، قيل عند بوعار باب المنذب جنوب اليمن وقيل عند جبل طارق والصحيح أنه لم يرد عن النبي ﷺ ما بينه ولو كان لبياه دخل هي الاعتبار بالقصة لذكره، أو أسير ربما طويلا حتى لا أعد مقصرا في طلبه. فلما بلما المجمع الذي هو بين البحرين سببا حوثهما إلح، وسبب ذكر هذه القصة هنا أنه سبحانه بعد ما ذكر أن من أسباب كفر قريش تكبرهم على المقراء المؤمنين واستمظامهم أن يجمعهم مجلس واحد كما هي الآية (٢٨) من هذه السورة صفحة ٢٨٤ أرشدهم أولاً بصاحب الجنين العسي الكافر وصاحبه الفقير المؤمن وعاقبه كل منهما ثم بين لهم أن ربة الدنيا لا قيمة لها بجانب الأعمال الصالحات.

ثم ذكرهم أيضا بما جره الكبر على إبليس حين منعه من تعظيم آدم فلما منه أنه حير منه، ثم أبد ذلك أيضا بقصة موسى وصاحبه ليبين لكمار قريش أن موسى مع كونه نبيا ورسول الله نبي

إسرائيل لم يأنف أن يتعلم ممن هو أقل منه ما خصى عليه، وهذا أكبر دليل على أن التواضع من أقوى أسباب الملاح، وأن الكبر من أقوى أسباب الهلاك. أما سبب ما حدث لموسى فتوضعه فيما يأتي.

المفردات: «سريا»: العزب هو المكان الذي فيه انعقاد.

«نصبها»: تعبا.

«أرايت»: تقدم هي الآية (٤٠) من سورة الأعمام صفحة ١٦٨ ومضاهها أخبرني، وفي الكلام استفهام مقدر، والأصل أخبرني ما الذي شغلني حين أويينا إلى الصخرة حتى نسيبت العوت.

«إذ أويينا»: أي التجاننا إليها لنستريح

«وما أنسانيه إلا الشيطان»: تقدم هي الآية (٦٨) من سورة الأعمام صفحات ١٧٢، ١٧٣ حكمة نسبه مثل ذلك للشيطان.

«إن أذكرك»: مصدر مثول بدل الصمير المائد على العوت، والأصل ما أنساني تذكره إلا الشيطان

«عجبا»: هذا مبدأ كلام أي أمي أعجب. من ذلك عجبا. «نبيع»: أي نطلب.

«فقصصا»: بقصصان قصصا أي يتبعانه اتباعا «عبدا من عبادنا»: التحقيق أنه ببي بدليل قوله «وعلمناه» وقول موسى «تلمس مما علمت» وقوله «ما فعلته عن أمري» أي بل بوحى.

«رحمة»: هي النبوة انظر الآية (٣٢) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٠

فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۖ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ يَضَتْهُ
 الْعَالَمَةُ لَخَدَاةً نَقْدَتْ لُبًّا مِنْ سَفَرًا هَذَا صَبَ ۖ قَالَ
 أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِينَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُرُوتَ
 وَمَأْسَايَهِ إِلَّا الشُّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَ ۖ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ
 فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۖ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ ۖ فَأَرْعَا عَنْ
 آثَارِهِمَا قَصَصًا ۖ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَهُ
 رَحْمَةً مِنْ جَدِيدًا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا مَلَكًا ۖ قَالَ لَمْ تُؤَمِّنْ
 هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتُ رُسُلًا ۖ قَالَ
 إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ وَكَذَّبَ فَصَيَّرَهُ عَلَى
 مَأْرَئِهِ حَكِيمًا ۖ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ
 صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۖ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا
 تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ وَخُذْ حَقَّ كَلِمَتِي لَعَلَّكَ تَتَّقِرُ ۖ

(٣) أرايت

(٦) آثارهما

(٩) نسائني

(٢) آتانا

(٥) الشيطاني

(٨) وعلمناه

(١) بعثنا

(٤) أنسانيه..

(٧) أتينا

﴿من لدنا﴾ - من عندنا. ﴿رشدًا﴾ أصله مصدر كالبحل وحمل وصفا مبالغة أى علمًا دا رشد، والرشد إصابة الخير. ﴿تخط به حيرا﴾ الحير المعرفة، والأصل ما لم يخط به حيرك. ﴿أحدث لك منه ذكرا﴾: أى ابتدئك أنا بذكره أى ببيانه.

المسمى قال ابن جرير إن موسى عليه السلام جرى يعاظره يوما أنه ليس على وجه الأرض فى رمة من هو أعلم منه، فأراد سبحانه أن يرشده إلى أن التواضع حير، فأوحى إليه أن من رمتك من يعلم ما لا تعلم يا موسى، فطلب موسى منه تعالى أن يجمعه به ليرداد علما وريادة العلم مطلوبة من كل نبي انظر ما قيل لنبييا ﷺ فى الآية (١١٤) من سورة طه صفحة ٤١٧، فأخبره سبحانه أنه موجود على ساحل البحر، ولم يمين له مكانه بالتعديد حتى يرى أن العلم مما يسمى استسهال الصعب فى الحصول عليه، وقال له حد معك حوتا فى المكان الذى تمقد فيه هذا الحوت تجد هذا العالم، فأمر موسى فتاه بحمل الحوت، وقال يستمر سائرين حتى يبلغ بحر هذا الساحل عند التقاء هذا البحر ببحر آخر، فإن لم أحد هذا الرجل فأسير دهرًا طويلا حتى أحده، فابارا فلما بلغا مجمع البحرين ناما فى ظل صخرة ثم بعد استيقاظهما تابعا السير وبسبب الحوت مكانهما، فسقط فى البحر، واتحد فيه طريقا منحدرًا إلى أسفل الماء، فلما حاورا ذلك المكان بعدة أحسا هيها بالجوع والتعب قال موسى لفتاه اتنا ما نتمدى به، وهذا يدل على أن هذا الطلب كان وسط النهار، لقد لقينا من سمربا هذا تعبًا، فلما تمقد لعتى المتاع اكتشف فقد الحوت فقال متأسما أخبرنى يا سهدى عما دهانى وشمنى حتى جمنى اسمى الحوت، وما أسانى تذكره فى حبه إلا الشيطان ولايد أن يكون الحوت سقط فى البحر عندما كما بيانا، وإسى لأعجب من علمتى هذه عحيبا شديدا قال موسى ذلك الذى ذكرت من مكان صياح الحوت هو ما بطلبه، فرجما فى الطريق الذى جاء منه يتبعان أثرهما اتباعا حتى وصلا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الصالحين أعطيناه وحيا وبوة من فصلنا وعلمناه من عندما أيضا علما عريرا من بعض الأسرار الحمية التى لا يدرم أن يتعلمها الرسول؛ فالرسول يجب أن يعلم العقائد والشرائع التى سلها للناس، ولدا قال رسولنا ﷺ (أنتم أعلم بأمور ديناكم) قال له موسى هل ترصى أن أسير معك على أن تعلمنى مما علمك الله من العلم الذى يوصل للرشد؟ قال إنك لن تستطيع معى صبرا وبين السبب

فَاطْلِقْهَا حَتَّىٰ إِذَا رَكَبَ فِي السَّيْبَةِ تَرْفَعَهَا ۖ قَالَ أَتَقْرَنُ
لِتُفَرِّقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ
أَتَيْتُكَ لَمْ تَسْتَطِعْ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٢﴾ قَالَ لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا
نَسِيتُ وَلَا تَرَهَقْنِي مِنْ أَمْرٍ عَصِرًا ﴿٦٣﴾ فَاطْلِقْهَا حَتَّىٰ
إِذَا لَفِئَتْ عَلَيْهَا صُفْعَةٌ ۖ قَالَ اتَّقِ اللَّهَ تَسَارِكَةً بِعِزِّ نَفْسٍ
لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٦٤﴾ ۖ قَالَ أَرَأَيْتَ لَكَ إِنْ
لَمْ تَسْتَطِعْ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ
بَعْدَ ذَلِكَ فَأَجِِبْنِي ۖ قَدْ نَلَلْتُ مِنْ أَلْفٍ عَنَرًا ﴿٦٦﴾
فَاطْلِقْهَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَ أَهْلُهَا فَأَمَرُوا
أَنْ يُصَيِّرُوهَا صَوْدًا ۖ بَيْنَ يَدَيْهَا جَدْرًا ۖ يَرْتَدُّ عَنْ بَعْضِ مَا كُنْتُمْ
تَقُولُ ۖ لَوْ شِئْتَ لَتَلَطَّفْتَ عَلَيْهِ نُكْرًا ﴿٦٧﴾ قَالَ فَمَنْ مَرُّنِي فِي
وَجْهِكَ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ مَا تَرَىٰ فَسْتَطِيعَ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٦٨﴾

بقوله: وكيف تصير وانت رسول على أمور
ظاهرها لا يتفق وما جئت به إلى الناس
أحياناً، والرجل الصالح لا يسكت على ما
يراه محالماً؟ قال موسى: ستجديني إن شاء
الله صابراً ولا أعصى لك أمراً تأمرني به.
قال فإن اتبعني فلا تمنعني بالسؤال عن
شيء حضي عليك، بل اسكت حتى أبشدي
بذكرك لك مبيناً وجه الصواب فيه.

المفردات: ﴿إمراً﴾ عظيماً في بشاعته
من قولهم أمر الأمر بوزن ثقب إذا عظم.
﴿لا ترهقني﴾: أي تعطلني ما لا أطيق.
﴿من أمرى﴾: وهو اتباعي لك.

﴿عصراً﴾: صعباً.

﴿ركية﴾ ظاهرة من الدوب لأنه صعب لا ديب عليه من شيء مما يفعل ﴿نكراً﴾ منكر.

﴿استطعمنا أهلها﴾: طلبنا منهم طعاماً.

وكان الأصل أن يقول حتى إذا أتيا أهل قرية استطعماهم ولكنه أظهر في مقام الإصهار
للتحقير والتشجيع، وقال بعض العلماء أنهما لما وصلا القرية وحدا في طريقهما يمس أهلها
ولما طلبا منهم طعاماً وامتنعوا مروا على جميع أهل القرية ممن يرجى منهم إطعام العرب
فامتنعوا أيضاً، فالأهل الأول غير الثاني، والعرص من حكاية ذلك أن صاحب موسى رعم ما
قوبل به هو وموسى من الحماء وعدم المروءة فإنه لم يمنعه ذلك من إصلاح العاصد ومقابلة

(١) علاماً

(٢) نصاحبي

(٣) لاتعدت

الإساءة بالإحسان. وجواب إذا هي قوله ﴿حتى إذا أتيا إلح﴾ هو قوله الآتى ﴿قال لو شئت لاتحدث﴾.. إلح والكلام من أول قوله ﴿استطعما﴾ إلى آخر قوله ﴿فأقامه﴾ كله صفة لقرية. ﴿يصيموهما﴾ يرولهما عندهم ضيوفاً.

﴿يريد أن يقص﴾ المراد يقرب من السقوط، والعرب تستعمل الإرادة من غير العاقل بمعنى القرب

المعنى سارا حتى وجدا سمينة فركباها، وهي أنشاء سيرها أحدث فيها الرجل الصالح خرقاً يجعلها معيبة، وإن كان لا يفرقها فعلاً، لكنه قد يعرضها للعرق عند ذلك قال موسى: هل حرقنها قاصدا إغراق أهلها؟ إن أنت فعلت أمراً خطيراً، قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً؟ قال موسى لا تأخذنى بما سميت من وصيتك ولا تكلمنى مشقة فى اتباعى لك، بل سهلها علىّ بالسماح ثم سارا بعد يرولهما من السمنية حتى وجدا علاماً فقتله صاحبه، قال موسى منكراً كيف تقتل نفساً طاهرة من غير أن تكون قد قتلت نفساً معرمة؟ لقد فعلت شيئاً منكراً. هكرر عليه اللوم السابق مع زيادة ﴿لك﴾ للفت نظره لأنه قارب على مقاطعته، فأدرك موسى ذلك وقال إن سألتك عن شئ بعد هذه المرة فلا تجعلى لك صاحبياً، لأنك قد بعت العاية التى تعذر بها فى فراقى.

ثم سارا حتى أتيا أهل قرية طلباً من أهلها طعاماً فكانوا بحلاء حتى بلغت شناعة بحلهم أنهم رفضوا حتى يرولهما عندهم ولو بدون طعام، وهذا منتهى الدناءة، لأن الكريم قد يعجز عن طعام ولكن لا يمكن أن يعجز عن إيواء وسارا هى القرية فوجد الرجل الصالح حائطاً مائلاً للسقوط فأصلحه حتى أقامه كما كان، وكان قبيح صنع هؤلاء الناس سبباً فى قول موسى منكراً عمل معروف فى هؤلاء اللثام لو شئت أحد أجز على إصلاح هذا الحائط لأحدثه، قال هذا الاعتراض الأخير هو سبب المراق بينى وبينك حسب العهد الذى قطعتة أنت على نفسك، وسأحسبك بوجه هذا التصرف الذى حمى عليك ولم تستطع صبرا على السكوت عليه.

المصدرات ﴿مساكين﴾ وصمهم بالممكنة مع ملكهم سفينة لأنه ليس لهم مورد ورق غيرها..

﴿يعملون في البحر﴾: العراد يؤجرونها

للعمل

﴿وراءهم ملك﴾: تطلق (وراء) على حلف

وهو كثير في القرآن، وعلى أمام كما في آيتي (١٦، ١٧) من سورة إبراهيم صمحة ٢٢٢ وهو المراد هنا .

﴿برهقهما﴾: يحملهما بمشقة.

﴿طعنانا﴾: تجاوزا حد الشرع.

﴿ركاة﴾: طهارة نفس وصلاح.

﴿رحما﴾: عظما ورحمة.

﴿يلغا أشدهما﴾: ييلغا من الرشد .

﴿دي القرنين﴾: يرى بعضهم أنه الإسكندر

لمقدوني، ويرى آخرون أنه من حمير باليمن لأن لقب (دي كدا) غير معروف عند غيرهم كدي نواس وذو يزن، وسمى دا القرنين لأنه بلغ مطلع قرى الشمس من المشرق والمغرب، وسمرص لما حققه لعالم الكبير المرحوم (أبو الكلام آزاد) وزير معارف الهند سابقا وذلك عند شرح معنى قوله تعالى ﴿ويسألوك عن دي القرنين﴾ فقد حقق رحمه الله بما لا يدع مجالا للشك أن (دا القرنين) هو الملك المارسي الصالح (قورش)، ورد بقوة لقول بأنه الإسكندر المقدوني

﴿أتلو عليكم منه ذكرا﴾: أتلو عليكم من بعض أحباره قرانا تعلمون منه حاله.

﴿مكننا له في الأرض﴾: أي مكننا له التصرف في الأرض.

(٢) طعنانا

(٦) صالحا

(٢) الاملام.

(٥) لعلامين..

(٨) واتيله.

(١) لمساكين.

(٤) ركاة.

(٧) ويسألوك.

أَمَّا السَّيِّئَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ
أَنْ أُعِيبَ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ بِأَحَدِ كُلِّ سَبْعَةٍ عَصَا ①
وَأَمَّا الْعَلَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ خَشِبًا أَنْ يَرْهَقَهُمَا
طُعْنًا وَكُفْرًا ② فَأَرَادَا أَنْ يَبْلُغَا رِيحًا حَيًّا بِهِ
زَكَاةٌ وَأَقْرَبَ رَحْمًا ③ وَأَمَّا الْخَنَازُ فَكَانَ لِعُثْمَيْنِ
بَنِيْمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزُ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا
صَنِيعًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا
رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا كُنْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تُلَوِّحُ مَا لَمْ
تُسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ④ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ دِي الْقَرْنَيْنِ
قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ⑤ إِنَّا مَكْنَانُهُ فِي الْأَرْضِ
وَمَا آتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ⑥ فَاتَّبِعْ سَبَأًا ⑦ حَقًّا
إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَيَّةٍ

﴿من كل شيء سبباً﴾: أى أعطيتناه من كل شيء أرادته لتحقيق أغراضه طريقاً.

﴿فأتبع سبباً﴾ أى منك طريقاً يوصله من علم أو صنعة أو غير ذلك.

﴿مغرب الشمس﴾: المراد منتهى الأرض من جهة المغرب على شاطئ المحيط الأطلسمى لأنه لم يكن معروفاً أن وراءها شيئاً.

﴿عين حمئة﴾: أى ذات حمئة وهى الطين الأسود.

المعنى: أما السفينة فكانت لمعاويج يؤجرونها للناس للعمل عليها فى البحر، فأردت أن أحدث فيها عيباً لا يرغب الظالم فيها، لأنى أعلم أن أمامهم ملكاً يأخذ كل سفينة تجعبه غصباً، وهم ضماف لا يستطيعون دفع ظلمه. وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين وهو مطبوع على الكفر، فخفنا لو تركناه وقوى أن يحملهما على الطغيان وتجاوز الحدود وعلى الكفر بالله بعد الإيمان، لأن شدة محبتهم له مع شدة رغبته فى الكفر قد توغمهما فيه، فأردنا أن ندفع شره عنهما، ورجونا أن يبدلهما ربهما ولداً غيره يكون خيراً منه صلاحاً وعلماً نفساً وأقرب علقاً ورحمة بأبويه. وأما الجدار فكان لصفييرين يتيمين فى المدينة، وكان تحتهم كنز لهما تركه أبوهما وكان رجلاً صالحاً، فأراد ربك حفظه لهما رعاية لحيتهما وإكراماً لصلاح أبيهما الذى أورثهما الصلاح والتقوى، فأمرنى بإقامة الجدار حتى يبلغا رشدهما ويستخرجا كنزهما، ورحمهم سبحانه بذلك رحمة واسعة عظيمة منه.. وما فعلت كل شيء مما رأيت عن أمرى ومن تلقاء نفسى، بل عن أمر ربي ويوحى منه مبنى على أساس ارتكاب أحف الضررين والمعاملة بالأحسن... ذلك الذى قلته لك هو تاويل الأعمال التى لم تطلق الصبر عليها. وكان اليهود يحاولون إخراجهم عليه السلام، فيوعزون إلى مشركى مكة أن يمسألوه عليه السلام عن الأشياء الغريبة المجهولة عند الناس إلا قليلاً منهم لعله يخطئ فيجدون منفذاً للطعن فيه. من ذلك أنهم قالوا سلوه عن ذى القرنين وماذا حصل منه، فقال: ﴿يسألونك عن ذى القرنين﴾ إلخ، وهل كان ذو القرنين رجلاً صالحاً فقط أو نبياً كما هو ظاهر قوله تعالى: ﴿قلنا يادى القرنين﴾ الآتى فى الآية (٨٦)، قل لهم أيها النبي سألتو عليكم من أخباره قرآناً، ثم بين ذلك بقوله: ﴿إنا مكنا له فى الأرض﴾ أى مكناه من التصرف فى الأرض، وآتيناه من كل شيء يحتاجه فى أعراضه ومقاصده ما يوصله إليها من علم وقدره ومعدات فعمل به، وسار غرباً حتى إذا بلغ منتهى

لأرض من جهة المغرب ووقف على ساحل البحر وحد الشمس أي راها في رأي العين لا في الحقيقة كأنها تعرب في طين اسود لأن لون ماء البحر أزرق يظهر من بعيد كأنه اسود اما عن (دي القريين) ما علم وفقى الله وإياك أن كلا من المفسرين والمؤرخين لم يصطرب أنهم وتتشعب أقوالهم مثل اصطربانها وتشعبها هي تعبين من هو دو القريين الذي جاء ذكره في القرآن حتى جاء لمرحوم (أبو الكلام آزاد) وزير معارف الهند المتوفى سنة ١٩٥٨ ميلادية، ووجد أمامه هذا البحر الحصى من الآراء، ولمح من خلالها أنه ليس لرأى منها سند قوى تطمئن إليه النفوس، فأجهد نفسه باحثاً عن الصواب فهداه الله سبحانه إلى الحصة المثلى فهذا يجمع حيوط المسألة من هنا، ومن هناك وأحد ياملها حتى وصل للحق الذي لا ريب فيه، فكان أول ما فكر فيه هو الوصول إلى من هم هؤلاء الساطلون عن دي القريين؟ ليتعد من حالهم المحيط الأول الموصل للحل هوحد أنهم هم اليهود أو مشركو مكة، ويعبر من اليهود فأحد طريقه في البحث عن تاريخ اليهود هي هذه الفترة من الزمن ليصل إلى سبب سؤالهم هذا، فقرأ كل كتبهم المقدسة فسرعان ما وضع يده على هذا المحيط الأول فهي سمر (د نيل النبي) إصحاح ٨ آية (١)، وهي سمر (النبي يشعيا) إصحاح ٤٤ آية (٢٥)، وهي سمر (عزرا) لإصحاح الأول من أول آية فيه إلى آخره، جاء في هذه الأسفار الحديث عن ملك فارسي عادل اسمه (كورش) أو (قورش) وأنه أنقذ اليهود في بابل من الأسر لدى أوقعهم فيه (بعثصر)، ودم سبعين عاما، ورد إليهم كثيرا مما سلب منهم وأرجعهم إلى بيت المقدس، فهذا يدل على عناية اليهود بهذه الشخصية ثم اتجه بحث أبو الكلام بعد ذلك إلى تاريخ فارس وما كتبه المؤرخون قديما خصوصا اليونان عن هذا الملك العادل، هوحد فيها ما يؤيد كتب ليهود لمقدسة وهي كتابه (إعانة النعمان) بقول ابن القيم ومن ملوك اليونان إسكندر المقدوني وهو (ابن هيلبس) وليس هو دا القريين الذي قص الله تعالى نبأه في القرآن بل بينهما قرون كثيرة، وبينهما في الدين أعظم تمايز ولذا قال أبو الكلام إن سيرة (قورش) (سكندر المقدوني) على طرفي نقيض، فبينما تنادي صمات دي القريين بالصالح والتقوى، نجد سيرة إسكندر تثبت أنه كان جبارا قاسيا في معاملة المفلوتين، وأنه طالما أطلب جميع مقدساتهم، وأنه كان ماجنا حتى أنه مات عقب حملة شراب، ومن هنا فقد أكد أبو الكلام بما لا يدع محالا للشك أن دا القريين المذكور في هذه الآية هو الملك المارسي الصالح (قورش).

وَوَجَدَ حَتَّىٰ قَوْمًا مَّا يَنْتَ الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ
وَأَمَّا أَنْ تُخِذَ بِهِمْ حَسَنًا ۖ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَنَّمْ فَسَوْفَ
نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يَرُدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا مُّكْرًا ۖ وَأَمَّا
مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ وَسَقُولُ
لَهُمْ مِنْ أَمْرِنَا بَشِيرًا ۖ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا
بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَرْنٍ لَّهَا تَحْمِلُ
لُحْمًا مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ۖ فَكَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا
لَدَيْهِ خُبْرًا ۖ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ
السَّيْنَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ
قَوْلًا ۖ قَالُوا يَنْتَ الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ
مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ هَلْ نَحْمِلُ لَكَ خَرْبًا عَلَىٰ أَنْ تَحْمِلَ
بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ سُنْدٍ ۖ قَالَ مَا مَشَكَّتْنِي بِهِ رَبِّي مِنْ خَشْيَةٍ

المفردات: «عندها» المراد قريباً من
تلك العين على الشاطئ.

«قوماً»: قيل كانوا كفاراً يعيشون على
الصيد وما يلفظه البحر.

«تتخذ فيهم حسناً»: المراد تتخذ في
معاملتهم طريقة حسنة.

«مكراً»: المراد مكراً غير معروف عند
الناس، فالمعنى أنه شديد لم يعهد مثله.

«من أمرنا بَشِيرًا»: مما تأمره به تكليفاً
سهلاً ذا سر لا مشقة فيه.

«ثم أتبع سبباً»: أي أتبع طريقاً عكس
الأول يوصله إلى المشرق.

«مطلع الشمس»: أي المكان الذي تطلع عليه أولاً من الأرض المسكوبة

«كذلك»: أي أمر دى القرنين كما ذكرنا لك أيها النبي

«بين السدين»: يطلق السد على الجبل، وعلى كل ما يحجر بين شيئين، والمراد هنا الأول.
لأن الجبل يسد فحاجاً من الأرض، كان في مكان بمصل بين المفلول والتتر هي الشمال وبين
أهل الجنوب في آسيا..

«من دونهما»: أي من جهة الجنوب. «يأجوج» اسم لقبيلة همجية هي التتر.

«مأجوج». اسم لقبيلة أخرى همجية أيضاً هي المفلول، وكانت من أصل واحد يسكنون

الجزء الشمالي من آسيا ويلحق بهما كل من كان مثلهما.

﴿خرج﴾ أي جملا من أموالنا فتبرع به لك.

المعنى ووجد قريبا من مغرب الشمس قوما كفارا فقال الله تعالى له يا ذا القرنين نبههم لصبر الشرك بربهم، ثم أنت بعد ذلك معير بين أن تعذب من صمم على شركه بالقتل وبين أن تحلم عليهم وتكرر وعظهم المرة بعد المرة.

قال ذو القرنين لبعض خاصته أما من ظلم نفسه ولم يقبل دعوتي وأصر على ما كان عليه من الشرك الذي هو الظلم العظيم فسوف نعدبه بالقتل ثم يرجع في الآخرة إلى ربه فيعده عذابا شديدا جدا من جهنم، وأما من آمن وعمل صالحا فله التوبة الحسنی وسنعلمه ما يسهل عليه الطاعة.

ثم سلك ذو القرنين طريقا يوصله إلى المشرق حتى إذا بلغ الموضع الذي تشرق عليه الشمس أولا من الأرض وجهها تطلع على قوم عرايا كما هو الحال الآن في بعض بلاد السودان وليس لهم بيوت مبنية. وأمر ذي القرنين وهؤلاء القوم هو كما أخبرناك أيها النبي، أي هلا تمحب، وقد احطنا بما لدى ذي القرنين من الجنود والعدة علما تعلق بظواهر أمره وحافيه، والمراد أن ما عده من الاستعداد بلغ كثرة لا يعلمها غيره تعالى.

ثم سلك ذو القرنين طريقا ثالثا مقاطعا لطريقي المغرب والمشرق متجها نحو الشمال هسار هيه، حتى إذا بلغ بين الجبلين المعهودين وجد من دونهما أمة من الناس قليلي المظنة يصعب انصافهم منهم قالوا بواسطة تراجمة إذا القرنين إن بأجوج وماجوج القاطنين وراء الجبلين مفسدون في أرضنا عندما يفيرون علينا بالقتل والعتب والتخريب، فهل ترصى أن تجعل لك جملا من أموالنا نظير أن تجعل بيننا وبينهم سدا يمنعهم من الوصول إلينا.

قال ذو القرنين: ما جعلني ربي فيه مكيئا من سعة الملك والسلطان ووهرة العدد والعمال خير مما تعرضون على من الحراج، وسأعمل ما ينقذك من شرهم لوجه الله تعالى

الممرات ﴿ردما﴾ الردم السد بالحجر وغيره، والمراد هنا المعنى بالحجر.

﴿زبر الحديد﴾: جمع زبرة بضم أوله وهي القطعة من الحديد.

﴿لصدفير﴾ تشبيه صدف بفتحعين وهو جانب الجبل.

﴿قطرا﴾: هو النحاس المداب.

﴿يظهروه﴾، أى يعلو فوق ظهره بالصعود عليه

﴿دكاه﴾: أرضا مدكوكة مستوية مع غيرها.

﴿برلا﴾ أصل البرل المكان الذى يبرل فيه الصيف لأكرامه كما سيأتى فى الآية (١٠٧)

الآتية صفحة ٢٩٥، والتعبير به هنا لتهكم بهم.

﴿الأخسرين﴾: جمع أخسر وهو ما اشتدت خسارته.

المعنى هاءىبوسى بما نستطيعون من عمال وصناع وأحجار وحديد أحمل بيكم وبيهم سد قويا، ثم ذكر بعض تلك القوة التى طلبها بقوله اتوسى قطع الحديد، هو صمها بين حجارة بها ثقوب، ووضع معها بعض الخشب حتى إذا ساوى بين طرفى الحبلين وسد العجوة التى بينهم،

(١، ٢) اتوسى

(٣) سطاغوا

(٤) استطاعوا

(٥) فجمعتهم

(٦، ٧) للكافرين

(٨) امعلا

هائىبوسى بقوة أحمل بيكم وبيهم ردما ﴿١﴾ اتوسى
زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصديقين قال امعوا
حتى إذا جعله نارا قال اتوسى أفرغ عليه قطرا ﴿٢﴾
قال استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ﴿٣﴾
قال هاتنا رحمة من ربى فإذا جاء وعد ربى جعله دكاه
وكان وعد ربى حقا ﴿٤﴾ ورتك بعضهم يومئذ
بموج فى بعض ونزع فى الصور فجمعهم جمعا ﴿٥﴾
وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا ﴿٦﴾ الذين
كانت أغنيهم فى غطاء من دكرى وكانوا لا يستطيعون
سقا ﴿٧﴾ الخيب الذين كفروا أن يتعدوا عبادى
من دون أوليائى، إنا اعتدنا جهنم للكافرين
نارا ﴿٨﴾ قل هل ننبئكم بالأخسرين أمعلا ﴿٩﴾

التي كانوا معرضين منها للحطَر وضع النار والمهايخ وقال انمخوا في الأكوار بكثرة، فتمخوا حتى أصبح الحديد كالنار، قال اتوني بحاسا مديبا أقرعه عليه ليدخل بين هجواته ويفطى ظاهره فلا يتأكل من عوامل الجو، فلما تم ذلك عجر ياجوج وماجوج عن استعلاء طهره أو بقبه.

وبعد ذلك قال هذا السد والقدرة على إيشائه رحمة من ربي بعباده الصغفاء، وسيستمر هكذا حتى يأتي الوقت الذي وعد الله فيه بهدمه، فإذا جاء سبعانه بأسباب يلجمها هو خُر مدكوكا مستويا بالأرض، ووعد حقا لا بد من تحقيقه. وقد روى البخاري عن السيدة ريس بنت جعش روح النبي ﷺ أنه دخل عليها يوما فرعا يقول (لا إله إلا الله، ويل للمرب من شر قد اقترب) فتح اليوم من سد ياجوج وماجوج جزء صغيرا) فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ فقال (نعم إذا كثر الفساد). وقد اتسع شيئا فشيئا حتى فتح عن آخره في القرن السابع الهجري. وخرج جنكيز خان وحرَّب كثيرا من البلاد، وثبعه هولاكو الذي حرَّب بغداد وبلاد الفرس والشام حتى تفرق مُلك المسلمين شذَر مدَر. ثم قال سبعانه: (وتركنا بعض الحلق يموح في بعض من الاضطراب والحواف، ونمخ في الصور لقيام الساعة فتجمع الجميع للحساب والجزاء حمما لا شك فيه، وأبررنا جهنم يومئذ للكافرين إبرارا ظاهرا، انظر الآية (٩١) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٥. الذي كانت أعينهم في غطاء أبعدهم عن النظر في آياتي التي تذكرهم بوحدى وتوحيدي، وكانوا لشدة إعراسهم كأنهم صم لا يستطيعون سماع كتابي. ثم أنكر عليهم موبحا بقوله (أهحسب) إلخ أي ظن هؤلاء الكفار أن اتحادهم عبادي كالملائكة والمسيح وعزير أولياء لهم من دوني ينفعهم؟ كلا فلن ينقذوهم من عذابي لأنني أعددت لهم جهنم مكانا ينزلون فيه ولما كان منشأ الحطَر على هؤلاء هو ظنهم الباطل أنهم على صواب في توسلهم لله تعالى ببعض خلقه كما في الآية (٢) من سورة الرمر صمحتي ٦٠٥، ٦٠٦، وأن ذلك يجمعهم مهما حصل منهم من عصيان، نيه على ذلك بقوله قل أيها النبي هل أنبئكم أيها الناس بأشد الناس خسرا في أعمالهم.

الَّذِينَ صَلَّوْا صَلَاتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِحُسُوبِ أَعْمَالِهِمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِفَائِدَةِ رَبِّهِمْ وَنَفَائِهِ، حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا يُقِيمُ هُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَمًا ۝ ذَٰلِكَ جَزَاءُ هُمُومِهِمْ بِمَا كَفَرُوا وَأَعْمَدُوا ۝ إِنِّي وَرَسُولِي مَرْوَا ۝ إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَتَعَمَّلُوا الصَّالِحَاتِ كَأَنَّ هُمْ حَتَّى الْفِرْدَوْسِ رُلَا ۝ تَحْلِيصِينَ يَبَى لَا يَبْعُونَ عَنْهَا حَوْلًا ۝ قُلْ لَوْ كَانَتِ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلَّمْتُ رَبِّي تَعِدَ الْبَحْرُ قُلْ أَنْ تَفْعَلَ عِلْمْتُ رَبِّي وَلَوْ جُمُوعُ مِثْلِهِ مَدَدًا ۝ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ الْوَحْيُ وَإِنِّي أَنَا الْوَحِيدُ لَمَنْ كَانَتْ بِرَجَائِقَةٍ رَّبُّهُ، فَتَعَمَّلْ عَمَلًا صَبِيحًا وَلَا بَشَرًا بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۝

المصدرات: ﴿صل صعبهم﴾: أى ضاع عبثا، انظر الآية (٢٤) من سورة الأنعام صفحة ١٦٥، الآية (٣٠) من سورة يونس صفحة ٢٧١

﴿ونفائهم﴾، المراد كفروا بالآخرة على الوجه الصحيح كما تقدم في الآية (٢٩) من سورة التوبة صفحات ٢٤٤، ٢٤٥.

﴿حبطت﴾ بطلت وذهب نفعها.

﴿فلا نقيم لهم﴾: الخ: كتابة من احتقارهم وعدم اعتبارهم، فلا ينافى ما في الآيات (٩) من سورة الأعراف صفحة ١٩٣، و(٤٧) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٥، و(٨) من سورة القارعة صفحة ٨١٩.

﴿مروا﴾ أى مهروءا بها، من ذلك ما في (١٢) من سورة المطففين صفحة ٧٩٧.

- (١) الحياة
- (٢) بآيات
- (٣) أعمالهم
- (٤) القيامة
- (٥) آياتي
- (٦) الصالحات
- (٧) جمات
- (٨) حالدين.
- (٩) لكلمات
- (١٠) كلمات
- (١١) واحد.
- (١٢) يرجو
- (١٣) سالما

﴿المردوس﴾: اسم لجزء من الحبة ممتاز.

﴿حولاً﴾ تحولاً.

﴿لكلمات ربى﴾: المراد بها هنا أدلة وجوده تعالى وكماله وحكمته

﴿مددا﴾: أى زيادة ومعونة

المعنى الأحسرون أعمالاً هم الذين صاع عليهم عملهم في الدنيا في حال أنهم يطلبون أنهم يفعلون حسناً، انظر الآية (٣٠) من سورة الأعراف صفحة ١٩٦، والآية (٣٧) من سورة الرحرف د صفحة ٦٥١. وهذه الآية تحذر بديلها إلى شقاء كل من يعمل ما لم يأذن به الله من العبادات عداً عن نهيته تعالى عن ذلك، انظر الآية (١٥٣) من سورة الأنعام صفحة ١٨٩ هؤلاء الأحسرون هم الذين كفروا بآيات الله المبرنة وبراهينه المبينة في الكون الدالة على وحدانيته، وكفروا باليوم الآخر، وهذا الكفر هو السبب في إبطال أعمالهم التي كانوا يظنونها تتممهم كصلة الرحم وبر الأقرب، فلا تعتبرهم يوم القيامة ولا ينظر إليهم

ثم بيّن ما لهم بسبب هذا الكفر فقال ذلك الموقف القبيح سزاؤهم به جهنم بسبب أنه كفر شنيع، وأنه استهزاء بآيات الله تعالى ورسوله.

ثم بيّن سبحانه المؤمنين وما سيجارون به بقوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم في الآخرة جنات المردوس بولا يكرمون في نعيمها خالدون لا يظلمون عنها تحولاً.

ثم أر د سبحانه أن بين أن أدلة وجوده ووحدانيته بلغت كثرة عظيمة تقطع لعدو على كل مقصر فقال قل أيها النبي للناس لو كان ماء البحر جميعه مداداً يكتب به كلمات ربى التي أقامها لكم لمد البحر وخرغ ماؤه دون أن تنفذ تلك الكلمات ولو حى، بمثل البحر مددا له أى مساعداً له، والمراد المبالغة في الريادة لا التعبد، بدليل ما في الآية (٢٧) من سورة لقمان صفحة ٥٤٣ والله تعالى أعلم.

سورة مريم

(١٩) سُورَةُ مَرْيَمَ
وَأَنبَأْنَا الْإِنسَانَ وَتَنبِئُهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَتَبْنَاهُ ① إِذْ كُنتَ رَحِيمٌ رَبِّكَ قَبْلُ زَكْرِيَّا ②
إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ③ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ
الْعَظْمُ مِنِّي وَأَسْتَمَلُ الرَّأْسَ شَيْبًا وَلَوْ أَكُنَّ بِدُعَائِكَ
رَبِّ شَقِيًّا ④ وَإِنِّي خَشِيتُ الْمَوَالَيَ مِن دُونِكَ وَكَانَتْ
أَمْرًا يُعْزَاؤُهُ يَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ⑤ يَرْثِي وَيُورِثُ
مِنْ هَآلٍ يَتَّقُونَ ⑥ وَأَنْجَلَهُ رَبُّ رَحِيمًا ⑦ بِسْمِ اللَّهِ إِنَّا
نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ أَتَمٍّ يَخْتَفِي ⑧ لَا تَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَبِيًّا ⑨
قَالَ رَبِّ إِنِّي بَعُودٌ فِي عِلْمِ وَكَانَتْ أَمْرًا يُعْزَاؤُهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المعمرات: «كهيمن»: تقدم المراد من

هذه الحروف هي أول البقرة.

«رحمة ربك عبده زكريا»: أضاف

الرحمة لما علها، وعبده مفعولها، وزكريا بدل
منه.

«نادى» أي دعا. «خفيا» سرا لانه

أقرب للإحابة وأبعد من الرياء.

«وهن العظم» أي ضعف العظم الذي هو قوام البدن فعبده أولى

«أستمل الرأس شيبا» أصل الاشتغال في النار ارتضاع لها. والشيب بياض لشعر عند

الكبر، فكانه حمل الشيب لهب نار، وانتشاره في رأسه اشتعالا، والأصل شتعل شيب رأسي

«الموالي» هم عصبته كبني عمومته.

«من ورثي» أي من بعد موتي. «عافرا» هي التي لا تلد من أصل الحلقة.

(١) كاف ها يا عبر صاذا

(٢) رحمة

(٣) الموالى

(٤) ورثي

(٥) آل

(٦) يا زكريا

(٧) بعلام

(٨) علام

﴿ولما﴾ ولدا صالحا كما تقدمت الإشارة إليه في الآية (٢٨) من سورة آل عمران صفحة

٦٩ ﴿يرثني﴾ هي العلم

﴿ويرث من آل يعقوب﴾ النسوة والملك. أي يكون أهلا لهما. ويعقوب هو ابن اسحاق بن

إبراهيم عليهم السلام

﴿رصيا﴾ مرضيا عليه منك

﴿سميا﴾ شبيها في الصلاح والورع انظر الآية (٦٥) من هذه السورة الآتية صفحتي

٢٠٢، ٢٠٣. وقيل إنه لم يسم أحد يحيى قبله

﴿أني﴾ : أي كيف.

المعنى . مما يقص عليك أيها النبي في هذا القرآن ذكر الرحمة التي حصلت من ربك لعبده زكريا نبي لله من نسل سليمان بن داود رحمة ربك له حين طلب من ربه هي حصة من الناس، وتجد في صفحة ٦٩ بيان المكان والزمان الذي دعا هيهما زكريا، قال في دعائه يارب إني ضعف عظمي الذي هو أقوى شيء في جسمي، وانتشر الشيب في رأسي كانتشار النار في الحطب. ولم تكن في يوم من الأيام شقيا بدعائي لك يارب، بل كنت مستجاب الدعوة عندك، فعاملني بسابق كرمك، ثم بين الحامل له على الدعاء فقال:

وإني خفت حور أموالي وتصييعهم للدين من بعد موتي، وكانوا من شرار بني إسرائيل، وكانت امرأتي عاقرا لم تلد، طول حياتها، فهب لي من فضلك ولدا يصلح لأن يرثني في العلم، ويرث من آل يعقوب أحدا من النسوة والملك، بأن تختاره لذلك بأن تجعله يارب مرضيا عليه عندك. فقال الله تعالى له على لسان كمبر الملائكة الذين أمرهم الله بشارته كما هي الآية (٣٩) من سورة آل عمران صفحة ٦٩ يا زكريا إنا نشتريك بعلام سمينا قبل أن يولد يحيى تشريفا له لم نجعل له من قبل سميا فأراد زكريا أن يطمئن على وجود هذا العلام كما تقدم شرح ذلك في صفحة ٦٩ فقال يارب كيف يكون لي هذا العلام؟ هل أرحع أنا وأمرتي إلى الشياطين ويرتفع العصم عنها؟

وَقَدْ نَلَفْتُ مِنَ الْكِبَرِ عَيْنًا ① قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ
 هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ②
 قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ③ قَالَ ءَأَبْسُكَ إِلَّا أَنْتَ لِمَ تَسْتَعْجِلُ
 بِهَذَا ④ تَلَا تَبَارَكُ سُبْحًا ⑤ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ
 فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًا ⑥ يَنْتَهِى حُلُّ
 الْكِتَابِ بِقُرْءَةِ آيَةِ الْهَيْكَلِ صَبِيًا ⑦ وَحَنَانًا مِنْ
 لَدُنَّا وَرِزْقًا وَكَانَ تَقِيًا ⑧ وَرَأَى بَوَالِدَهُ ذَكَرًا يُسُكِّنُ
 بِجَانِبِ غَرْبٍ ⑨ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ يُعْمَلُ وَهُوَ
 يُعْتَبَرُ حَيًّا ⑩ وَأَذْكُرِي الْكِتَابَ مَرْمٍ إِذْ أَنْبَأَتْ
 مِنْ أَعْلَاهَا مَكَانًا شَرِيفًا ⑪ فَأَخَذَتْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِم
 جَبَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحًا فَتَنَّثَلْ لَهَا بِئْسَ سَوِيًّا ⑫
 قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ هَكَتَ نَفِيًّا ⑬

المفردات : «عتيا» : أصله مصدر عتا
 يمتو عتوا وعتيا، ومعناه هما وصل إلى حالة
 من الشبهوحة يصعب علاجها.

«آية» : أى علامة.

«سويا» : أى سليم العوارح ليس بلك بكم
 وهو حال من فاعل.

«تكلم» : أريد به أن عدم الكلام كان
 معجزة

«المحراب» : هو أشرف مكان فى المنزل
 وقد تقدم توصيحه فى الآية (٢٩) من سورة
 آل عمران صفحة ٦٩.

«أوحى إليهم» : أى أشار إليهم.

«بكرة» : أول النهار.

«وعشيا» : آخر النهار، «الكتاب» : التوراة

«بقوة» : بمزم واجتهاد.

«الحكم» : المراد به هنا فهم أسرار التوراة.

«وحنانا» : شفقة ورحمة لأبويه وللصغماء.

«وركاة» : طهارة فى النفس وصلاحا فلم يرتكب دبا

(٤) يا يعين

(٣) ثلاث

(٢) آيتك

(١) آية

(٧) وركاة

(٦) وأنباه

(٥) لكتاب

(١٠) لكتاب

(٩) وسلام

(٨) بوالديه

﴿برا بوالديه﴾ : باراً بهما محسباً مطيعاً.

﴿فى الكتاب﴾ المراد به هما القرآن ﴿استمدت﴾ اعترفت وابتعدت ﴿شرقياً﴾ أى شرقى بيت المقدس.

﴿حجاباً﴾ : ساتراً توارت به مهم حتى لا يشعلها شغل.

﴿روحناً﴾ : هو جبريل عليه السلام.

المسمى . وقد بلغت من الكبر حداً أعجز فيه عن أن يكون لى ولد قال له الملك الأمر كذلك أى كما أمر ربك. فقد قال ربك يا ركبنا الأمر فى ذلك على هين لا يحتاج إلا إلى أن أقول كن فيكون. ويقول لك ربك كيف تستصعب هذا وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً أى موجوداً كما سيأتى فى الآية (٦٧) صفحة ٤٠٢. أو خلقت أباك آدم من العدم وأنت تبع له. قال يارب اجعل لى علامة أعرف بها وجود الحمل لأقابله بالشكر.

قل أيتك أن لسابك يحتبس عن تكلم الناس ثلاث ليال حال كوكب سليم الحواس.

فخرج على قومه من مكان خلونه وأشار إليهم بأن يسبحوا ربهم فى طهرى النهار شكراً لله تعالى على فضله. ولما جاء موعد ولادته وولد يحيى وكبر قال الله له يا يحيى اعمل بما هى لتورة بحد واجتهاد، وأعطاهم أسرارها وهو لا يزال صغيراً وملاً قلبه حباً ورحمة منه تعالى لأبويه وللمساكين، ورزقه طهارة نفس، وكان بعيداً عن كل معصية وباراً بوالديه، ولم يكن منكراً ولا عاصياً لهما أمراً.

وأما عليه من الله يوم ولد من نزع الشيطان، ويوم بموت من عذاب القبر، ويوم يبعث حياً من عذاب جهنم وذكر أيها النبى لقومك فى القرآن قصة مريم حين ابتعدت عن أهلها فى مكان شرقى لتحلو للمعبدة، وحملت بينها وبينهم حجاباً حتى لا يشغلها أحد، فأرسلنا إليها رسولنا جبريل الروح لمقدس فتصور لها فى صورة إنسان معتوى الحلقة لتأس به لأنها لا تطيق رؤية الملك على حقيقته، فلما رآته يماحئها فى خلوتها قالت إني أتحصن بالله من شرك، إن كنت رجلاً تخاف الله فاستمد عنى.

المصردات . «أى» كيف «بميا»

يصح أن يكون من قولهم بغي الرجل المرأة، أى طلبها للفاحشة. فيكون بغي على وزن فعيل بمعنى معمول كقتيل بمعنى مقتول.

والمعنى هنا لم أكن من النساء اللاتى يطلهن الرجال للزنا وعلى هذا لا تلحقه تاء التانيث مطلقا، كما يقال رجل قتيل وامرأة قتيل، وقال بعضهم إن عدم لحوق التاء له بسبب أنه وصف محتص بالنساء كلفظ «حائض» فلا يقال رجل بغي، وإنما يقال رجل باغ. وأيا ما كان فقد شاع استعماله فى الزانية حتى صار حقيقة صريحة فيها.

«آية للناس» : برهاننا على تمام قدرتنا.

«فحملته» : أى حملته فى بطنها.

«انقيذت» : ابتعدت.

«قصيا» : بعيدا عن أهلها «فاجامعا» : أى فاجامعها وجاء بها.

«المحاص» : هو الوجع الذى يسبق الولادة مباشرة. «نعميا مسيا» : النفسى هو الشيء القاه الذى من شأنه أن ينسى وقد لا ينسى، لذلك قالت مسيا للقطع بالمراد

«سريا» : أى نهرا صغيرا.

«بجذع النخلة» : الباء لتأكيد ربط الفعل بمفعوله، والأصل هزى جذع النخلة بإمالاته إليك، انظر آيتى (١٥) من سورة الحج صفحة ٤٢٥، و (١٤) من سورة العلق صفحة ٨١٤ «تساقط» : قال فى لسان العرب : ساقط فلان الثمر أى أسقطه، وتابع إسقاطه، فالمراد وتابع إسقاطه انرطب عليك. «جيا» : باضجا صائعا للجنى.

(٤) باليهنى

(٢) آية
(٧) يا مريم

(٣) علام
(١) تساقط

(١) علام
(٥) فناداما

قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ١٥
قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ
بِعَمِيًّا ١٦ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىٰ هَيْثٍ وَلَجَعَلَهُ
آيَةً لِلْعَالَمِينَ ١٧ وَرَحِمَهُ رَبُّكَ وَأَمَّا أَتَمَّ الْقَصِيًّا ١٨
• فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهٖ مَكَاًا قَبِيًّا ١٩ فَاجَاءَهَا
الْمَحَاصُ ٢٠ إِنَّ جَذْعَ النَّخْلَةِ قَاتٌ يَنْتَبِي ٢١ مِثْ قَبَلِ هَذَا
وَكُنْتُ نَسِيًّا مَيِّبًا ٢٢ فَتَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا ٢٣ أَلَا تَحْزَنِي
قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ٢٤ وَفَرَىٰ إِنِّي مَجْدِعُ
السُّعْلَةِ ٢٥ نَسِيتُ عَلَيْكَ رُطَا حَبِ ٢٦ فَكُلِي وَأَشْرَبِي
وَفَرَىٰ مِمَّا فَرَىٰ نَارِي ٢٧ مِنَ الشَّرِّ أَهْوَىٰ ٢٨ فَقَوْلِي إِنِّي نَذَرْتُ
فِرْعَوْنَ وَمِثْلَهُ نَذْرًا ٢٩ أَكْفَمُ الْيَوْمَ لِإِيسَىٰ ٣٠ فَأَنْتَ بِهٖ
قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ ٣١ قَالُوا يُنْعِمُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا قَرِيًّا ٣٢

﴿فإما ترين﴾ أصلها ﴿إن﴾ الشرطية و ﴿ما﴾ للتأكيد كما تقدم بيان ذلك هي الآية (٢٠٠) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٥.

﴿صوما﴾ : المراد به هنا الإمساك عن الكلام.

﴿لقد جنث﴾ إلح لقد فعلت فعلا شيعا ﴿فريا﴾ عربيا منكرا

المعنى . قال جبريل هي الرد عليها لست إلا رسول ربك إليك لاتنسب هي أن يهب الله لك علام طاهرا يصحى هي درعك كما أمر ربى قالت كيف يوجد لى ولد ولم يتروحى بشر ولم انك فاجرة ولا يكون الولد إلا بأحد هذين؟ قال جبريل الأمر كما قلت لك، وقد قال ربك إيجاد لولد بغير لطرق المعروفة هين على وقد قررنا ذلك لتجمله آية للناس على قدرتنا وسبب رحمة ربى آمن به، وكان خلق عيسى بدون أب أمرا محكما بوقوعه أولا، فحملت ما وهبها الله تعالى، وكان ذلك سببا فى اعتراضها به وهو جبين فى بطنها فى مكان بعيد عن أهلها مخافة مسارعتهم فى لومها، فلما قرب الوضع ألحها المعاص إلى جدع نخلة لتستتر به وتعتمد أى تتكى عليه عند الألم. فلما وضعت قالت من خوف لوم الناس، ياليتنى مت قبل هذا وكنت شيئا حقيرا مسيئا لا يحظر على بال أحد، ﴿فناداها من تحتها﴾ الطاهر أنه عيسى نفسه هو الذى ناداها ليبريل خوفها من أول لحظة ويعلمها أنه ليس طفلا عاديا، وليرشدها إلى يكمل الحواب عنها إليه إذا رجعت إلى أهلها وسألوها وما دام الأمر من أوله إلى آخره أمر معجرات متعددة هليكن كلامه لها من تحتها من ضمن هذه المعجرات، ولا حاجة للقول أن القائل شخصا آخر، ولا حاجة للقول بأن القائل ملكا. ناداها من مكان مخمض عن الريوة التى كانت هيها قائلا لا تحرنى قد جعل ربك هي كان مخمض قريب منك نهر صغيرا، وهري جدع النخلة فإنها تتابع إسقاط رطب ناصج عليك، ويحل الرمال فى العالب رفيع صغير يسهل تحريكه، فكلى من الرطب واشربى من النهر، واطمئنى نفسك، فإن رأيت أحدا من الناس يسألك عما حصل فاشيرى إليه بما يهمه أنك ندرت للرحمن صمعا فلى تكلمى اليوم أحدا. وبعد ذلك سلمت أمرها لله وحملته بين يديها وجاءت به قومها، فلما رأوها دهشوا وقالوا يا مريم لقد فعلت شيئا عجيا منكرا.

بَنَاتٍ هَزُون مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ
 نَبِيًّا ٢٥ فَتَنَزَّلَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ تُكَلِّمُ مَنْ كَانَتْ
 فِي السَّمَاءِ صَبِيًّا ٢٦ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ خَلَقْنِي بِكَلِمَةٍ
 وَجَعَلْنِي نَبِيًّا ٢٧ وَجَعَلْنِي مُبْرَأًا مِمَّا كُنْتُ وَارْتَضَى
 بِالصَّلَاةِ وَالْزَكَاةِ مَا دُلْتُ عَلَيْهَا ٢٨ وَرَبِّا بَوَالِدِي وَلَدًا
 يَجْعَلُنِي جَلًّا شَيْئًا ٢٩ وَالنَّسَمَ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ
 أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ٣٠ ذَلِكَ جِيسِي إِنْ مَرَّيْتُمْ قَوْلَ
 الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ٣١ مَا كَانَ لَهُ أَنْ يُلِدَ مِنْ وَلَدٍ
 سُبْحَنَهُ إِذَا فُصِّلَ أَمْرًا مِمَّا يُفْعَلُ لَمْ كُنْ بِمَكُونٍ ٣٢
 وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَدًى صِرَاطَ مُسْتَقِيمٍ ٣٣
 فَأَخْلَقَتِ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوِيلًا يَلْبِثِينَ كُفْرًا أَوْ
 مُشْرِكًا يَوْمَ يُخْلَقُ ٣٤ أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَنْصُرْ يَوْمَ يَا تُوتِيتَنَا

المسفرديات : : «يا أخت هارون» : من
 أساليب العرب المعهودة أن يقولوا للرجل
 الصالح فلان أخو الأتقياء، وللطالح أخو
 الشياطين، يريدون مشابها لهما، انظر الآية
 (٢٧) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٨. ولما كان
 هارون أخو موسى مشهورا بالصالح شبهوها
 به. «أمرا سوء» : أي رجل فاحشة. «أملك»
 هي المبهمة فصتها هي الآية (٣٥) من سورة آل
 عمران وما بعدها صفحة ٦٨.

«بنيا» : تقدم في الآية (٣٠) السابقة
 صفحة ٣٩٨.

«أتاني الكتاب» المراد حكم بإعطائي الإنجيل عطاء لا بد من تحققه، وكذا يقال في
 جعلني نبيا وما بعده.

«وبرأ بولدي» أي بارأ بها محمدا إليها «قول الحق» المراد أقول عليه قول الحق، الحق
 «يمترون» يشكون «كن فيكون» المراد يحصل سريعا لا يعوقه شيء.

«وإن الله ربي» إلخ هذا من كلام عيسى عليه السلام كما هي الآية (٥١) من سورة آل
 عمران صفحة ٧١ «هذا صراط» هذا الذي طلبته منكم طريق مستقيم يوصل إلى الله
 تعالى «الأحزاب» هم اليهود وطوائف النصارى. «هويل» هلاك. «أسمع بهم وأبصر»
 صيغتان تدلان على التعجب من قوة ما دلت عليه مادتهما أي أن سمعهما وبصرهما في يوم
 القيامة يكونان ناميين على خلاف ما كانوا في الدنيا، والمراد أنه سبحانه يعجب بعبه عليه
 السلام من حال هؤلاء الكفار ومن حدة أسماعهم وأنصارهم يوم يأنون للحساب

- | | | | | | |
|------------|------------|-------------|-------------|------------|-------------|
| (١) يا أخت | (٢) هارون | (٣) أتاني | (٤) الكتاب | (٥) أوصاني | (٦) بالصلاة |
| (٧) الزكاة | (٨) بوالدي | (٩) والسلام | (١٠) سبحانه | (١١) صراط | |

لعمري . قالوا لها لما راوا الطفل معها موحين يا من كنت على صفة الرجل الصالح الورع هارون بنى الله من أين حنت بهذا وما كان أبوك ربياً وما كاتب أمك حبة نعياء؟ ولما كانت مريم تعلم أن ابنها جاء بطريق معجزة أشارت إليه ليرد عليهم ويقطع عنها التهمة، قالوا متهمين كيف بكنم من وجد في المهد حال كونه صغيراً لا يتكلم؟ عند ذلك ظهرت المعجزة فقال ابن عبد الله الحلاق العليم قصي في علمه قصاء مبرماً باعطائي الإنجيل، وجعلني نبياً إلى نبي إسرئيل، وجعلني مباركاً نافعاً معلماً للخير في كل مكان لوحد فيه، وأوصاني بالمحافظة على الصلاة لتي فرضها عليّ، والركاة إن وحد لي مال مادمت حياً وهي هذا رد للقول بأن الأنبياء يصرون في قبورهم وجعلني باراً محسناً لوالدتي هذه التي تتهمونها باطلا ولم يجعلني منكبراً شقياً بعتوق والدتي وإيذاء غيرعي والأمان من كل مكروه الذي منحه سبحانه لبيه يحيى في الآية (١٥) السابقة صفحة ٢٩٧ متصل به عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً كما تقدم بيانه في الآية السابقة ذلك المتقدم ذكره هو عيسى بن مريم، أقول فيه لكم قول الحق الذي فيه تشكون وتحتلمون.

ما كان لله وهو الخالق لكل شيء أن يتحد من ولد، سريها له عن هذا، لنقص لأن الولد لا يحتاج إليه إلا الماحر، لكن الله سبحانه إذا قصي بحدوث أمر فلا يحتاج في إيجاده إلا إلى أن يقول له كن فيكون ثم رجع إلى تنعيم كلام عيسى لقومه فقال ﴿واين الله ربي وربكم ه عبيدوه هذا صراط مستقيم﴾ تقدم بيانه في الآية (٥١) من سورة آل عمران صفحة ٧١ هذا هو الحق في أمر عيسى ولكن فرق اليهود والنصارى احتلموا فيه، فقالت اليهود ساحر واين رنا، وقال بعض النصارى هو ابن الله، وقال بعضهم هو الله. وقال بعضهم الآخر هو ثالث ثلاثة. فهلاك هؤلاء لكاهرين بوحدانية الله تعالى وتعظيم رسله من العذاب عند شهودهم وحضورهم في يوم عظيم الحوادث، وهو يوم القيامة

وإذا كان هؤلاء الكاهرون في الدنيا عمياً وصماً فإنهم سيكونون يوم القيامة في أعلى قوة، لسمع ولبصر، انظر الآية (٢٢) من سورة ق صفحة ٦٩٠. وهذا في بعض المواقف يوم القيامة التي يقرأ فيها صحيفته، فلا يباي أن الكافر في موقف آخر يحشر أعمى كما في الآية (١٢٥) من سورة طه صفحة ٤١٨.

المفردات : «صديقاً» : أى مبالغا فى
المحافظة على الصدق فلم يكذب قط.

«لأبيه» : هو أزر المتقدم فى الآية (٧٤)
من سورة الأنعام صفحة ١٧٤.

«صراطاً» : طريقاً. «سويّاً» : مستقيماً.
«لا تعبد الشيطان» : المراد لا تطع وسوسته
بعبادة غيره تعالى، انظر الآية (٦٠) من سورة
يس صفحة ٥٨٤ وما قيل فى شرح الآية (٢٨)
من سورة يونس صفحات ٢٧٠، ٢٧١.
«عصياً» : شديد العصيان. «ولياً» : قريباً
له فى اللعن والعذاب لما بينكما من الموالاة.

«ملياً» : زمتنا طويلاً ماخوذ من الملاوة
بفتح الميم وهى المدة الطويلة.

المعنى : هؤلاء الكفار بقوى سمعهم وأبصارهم لهول يوم القيامة، لكنهم ليوم هـى الدنيا
لشدة ظلمهم أنفسهم بالإعراض عن الحق فى صلال طاهر حيث اعتقدوا أن غير الله تعالى
يستحق ما يستحقه سبحانه.

(١) الظالمون

(٢) صلال

(٣) الكتاب

(٤) إبراهيم

(٥، ٦) يا أبت

(٧) صراطاً

(٨) يا أبت

(٩، ١٠) الشيطان

(١١) للشيطان

(١٢) آلهتى

(١٣) يا إبراهيم

(١٤) سلام

لنكن الظالمون اليوم فى صلال مبین (١) وأبذرهم
يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى عجلة وهم
لا يؤمنون (٢) إنا نحن رب الأرض ومن عليها
والنسا برجعون (٣) وأذكر فى الكتاب إبراهيم
إنه كان صديقاً نبياً (٤) إذ قال لأبيه يا أبت لآ تعد
مآلاً تسع ولا تبصر ولا يعنى عند شىء (٥) يأتى
إلى قد جئت من العلم مآلاً يأتىك فأتبعني أهيك صراطاً
سويّاً (٦) يأتى لا تعبد الشيطان إن الشيطان
كان للرحمن عصياً (٧) يأتى إني أخاف أن يمسك
عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً (٨) قال
أرأيت أنت من آلهتى يا إبراهيم لى لم تنف لأرحمك
والهجرى ملياً (٩) قال سلمت منك سأستغفر لك رب

وَحَوَّاهُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَتَحَمَّسُونَ فِيهِ مَعَ أَنَّهُ وَقْتُ قَضَى فِيهِ الْأَمْرُ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ بِالْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ بِالنَّارِ، فَانْذَرَهُمْ بِذَلِكَ وَالْحَالُ أَنَّهُمْ فِي عَفْلةٍ عَنْهُ وَلَا يَصْدُقُونَ بِهِ، انْظُرِ الْآيَاتِ (١٦٧) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ صَفْحَةَ ٢٢، وَ (٢١) مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ صَفْحَةَ ١٦٦، وَ (٥٦) مِنْ سُورَةِ الرَّمْرِ صَفْحَةَ ٦١٤، وَ (٥٠) مِنْ سُورَةِ الْحَاقَّةِ صَفْحَةَ ٧٦٤.

وَلَا يَحْزِنُكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ تَكْذِيبُهُمْ لَكَ فَإِنَّا سَنَمُردُ بِالْمَلِكِ كُلِّهِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ لَهُمْ مَرْجِعٌ إِلَّا إِلَيْنَا، وَسَنَحَارِيهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، انْظُرِ الْآيَةَ (١٦) مِنْ سُورَةِ غَافِرٍ صَفْحَةَ ٦١٩.

وَتَلِ أَيُّهَا النَّبِيُّ عَلَى قَوْمِكَ هَيْمًا تَذَكَّرُهُ لَهُمْ فِي الْقُرْآنِ قِصَّةُ نَبِيِّهِمْ إِبْرَاهِيمَ، انْظُرِ (٦٩) وَمَا بَعْدَهَا مِنْ سُورَةِ الشُّعَرَاءِ صَفْحَةَ ٤٨٤، إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا، أَيْ كَانَ جَامِعًا لِمُخَصَّائِ الصَّدِيقِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ حِينَ قَالَ لِأَبِيهِ أَرَرِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ صُنْمًا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يَفْئِدُ عَنْكَ شَيْئًا فِي جَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ صَرٍّ؟ يَا أَبَتِ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَانِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَعْطِكَ، انْظُرِ الْآيَةَ (٨٣) مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ صَفْحَةَ ١٧٥، وَالْآيَةَ (٥١) مِنْ سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ صَفْحَةَ ٤٢٦، هَاتِبْنِي أَدُلُّكَ عَلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يَوْصِلُ لِلنَّجَاةِ.

يَا أَبَتِ لَا تَطْعُ وَسْوَسةَ الشَّيْطَانِ لِأَنَّهُ دَائِمُ الْمُعْصِيَانِ لِلرَّحْمَنِ، وَمَنْ دَامَ عُصْيَانُهُ لَا يَدُلُّ عَلَى خَيْرٍ وَلَا يَرْشُدُ إِلَيْهِ.

يَا أَبَتِ إِنْ أَحَافَ أَنْ يَصِيبَكَ عَذَابٌ مِنْ رَبِّكَ الَّذِي كَانَ يَجِبُ أَنْ تَسْتَجْلِبَ رَحْمَتَهُ بِدَلِّ غَضَبِهِ فَتَكُونَ قَرِيبًا لِلشَّيْطَانِ فِي اللَّعْنِ وَالشَّقَاءِ لَيْسَ لَكَ وَلِيٌّ غَيْرُهُ.

قَالَ أَرَرِ بَعْدَ هَذَا الْوَعْدِ الْبَلِيغِ الْحَكِيمِ هَلْ أَنْتَ مُعْرِضٌ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ؟ لَنْ لَمْ تَنْتَهَ عَنِ الصَّدِّ عَنْهَا لِأَرْحَمَنِكَ بِالْحِجَارَةِ، فَاحْذَرِ ذَلِكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا وَمَعَ هَذَا الرَّدِّ الْعَلِيظِ تَرْفُقْ إِبْرَاهِيمُ فِي الرَّدِّ وَقَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ فَلَا أَصِيبُكَ بِمَكْرُوهِ أَبَدًا، وَسَأُطْلُبُ لَكَ مِنْ رَبِّي الْمَعْصِرَةَ بِأَنْ يَوْفِقَكَ لِلْهُدَايَةِ، وَقَدْ بَرَّ بَوْعُهُ فَاسْتَغْفِرْ لَهُ كَمَا فِي الْآيَةِ (٨٦) مِنْ سُورَةِ الشُّعَرَاءِ صَفْحَةَ ٤٨٥، ثُمَّ نَهَاهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ كَمَا فِي الْآيَةِ (١١٤) مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ صَفْحَتَيْ ٢٦١، ٢٦٢.

إِنَّهُ كَانَ فِي حَقِّهَا ١٦ وَأَعْرَضْنَا عَنْ دُونِ
 اللَّهِ وَادْعُوا رَبِّي عَصَى ١٧ أَلَا أَكُونُ بِدَعَاؤِ رَبِّي شَعِيًا ١٨
 فَلَمَّا أَعْرَضُوا عَنْهُمَا يَمْشُونَ فِي دُونِ اللَّهِ وَقَالُوا لَهُ يَٰعَصَى
 وَيَعْقُوبُ ١٩ وَكَلَّا جَعَلْنَا نَبِيًا ٢٠ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمِنَا
 وَجَعَلْنَا لَهُم لَدَىٰ مِذْقِي عَصَى ٢١ وَأَذْكُرِي آلِكَسَ
 مَرْيَمَ ٢٢ إِنَّهَا كَانَتْ مَحْضًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًا ٢٣ وَنَدْبَتْ
 مِن حَقِّبِ الطُّورِ الْآيَمَى ٢٤ وَفَرَسَتْ نَجِيًا ٢٥ وَوَقَّعَتْ لَهُ مِنْ
 رَّحْمَتِنَا آخُذَ هَرُونَ نَبِيًا ٢٦ وَأَذْكُرِي آلِكَسَ بِإِسْمَاعِيلَ
 إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًا ٢٧ وَكَانَ يَأْمُرُ
 أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ يَدْعُوهُ رَبَّهُ مَرْجِبًا ٢٨
 وَأَذْكُرِي آلِكَسَ إِذْ نَسِيَ إِنَّهُ كَانَ يَذِيعًا نَّبِيًا ٢٩
 وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًا ٣٠ أُوَيْهَتِ الَّذِينَ أَتَعْمُ اللَّهُ

المفردات :- ﴿حميا﴾ : أى كثير البر
 والطلب بى ﴿أعترلكم﴾ : أى أعارفكم
 بالهجرة إلى حير منكم، انظر الآية (٧١) من
 سورة الأنبياء صفحة ٤٢٧، والآية (٢٦) من
 سورة العنكبوت صفحة ٥٢٤، والآية (٩٩) من
 سورة الصافات صفحة ٥٩٢

﴿لسان صدق﴾ : المراد شاء حمينا،
 والعرب تطلق الجارحة على ما يصدر منها،
 فتطلق اليد على العطاء، واللسان على الشاء،
 ﴿عليا﴾ رعيما رائعا، ﴿محلسا﴾ : أى
 أحلصه الله من البقائص واصطلماه لرسالته
 ﴿الأيمن﴾ : صفة للحجاب، انظر الآية (٨٠).

من سورة طه صفحة ٤١٢.

﴿رسولا نبيا﴾ : انظر الفرق بينهما فى شرح الآية (٥٢) من سورة الحج صفحة ٤٤١.

﴿نجيا﴾ : أى مناجيا لله بلا واسطة.

﴿صديقا﴾ : تقدمت فى الآية (٤١) السابقة.

(١) الكتاب

(٢) وما نبياه

(٣) وقريسا

(٤) هارون

(٥) الكتاب

(٦) إسماعيل

(٧) بالصلاة

(٨) الركاة

(٩) الكتاب

(١٠) ورفعناه

المعنى . . سأستغفر الله ربي لأنه عودنى اللطف بى، وقد يكون منه أن لا يخزىنى فى أبى يوم القيامة، وسأنتعد عنكم وعن معبوداتكم غير الله، فأهجر بابل وأسافر إلى الشام، وأعبد ربي وحده راحيا أن أكون موفقا فى عبادتى لا شقيا مثلكم بصياع مجهودى.

فلما اعتزلهم وألهمهم بالهجرة إلى الشام قاصدا وجه ربه عوصاه خيرا منهم، ورفقناه بإسحاق ومن وراءه ابنه يعقوب وكلا منهما جعلناه نبيا . ووهبنا لهم أى إبراهيم وذريته فيضا من رحمتنا بالنسبة والأولاد الصالحين والأموال الحلال، وجعلنا لهم ذكرا حسنا إلى قيام الساعة، ومنه أن كل مسلم يقول كل يوم عدة مرات اللهم صلى على إبراهيم وعلى آل إبراهيم. وتل عليهم أيضا فى القرآن موسى إبه كان مصدقاً لله ورسوله لخلقه وكان ربيع المنزلة على من أرسل إليهم، انظر الفرق بين النبى والرسول فى الآية (٥٢) من سورة الحج صفحة ٤٤١. وحاصلنا موسى مباشرة عند رجوعه من مدين إلى مصر مع زوجته، فسمع كلاما من ناحية جبل الطور الذى كان على يمين موسى فى اتجاهه لمصر، وكان ذلك أول رسالته، وقربناه فى المنزلة بأن جعلناه مناجيا لنا بلا واسطة، ووهبنا له من رحمتنا به إجابة لطلبه أخاه هارون حال كونه نبيا. ومحل الإحسان هو جمل هارون نبيا . لأنه كان أكبر من موسى سنا. والذكر فى الكتاب أيضا إسماعيل ابن إبراهيم، وإنما أحره فى الذكر عن أخوته لكمال الاعتناء به وتذكر له صفاته الخاصة، ومنها أنه كان صادق الوعد فى كل شئونه، وأهمها وعده لأبيه بالصبر عند الدبح ووفى، انظر الآية (١٠٢) من سورة الصافات صفحات ٥٩٢، ٥٩٣. وكان بأمر أهله بالمحافظة على الصلاة والركاة المشروعة فى عصره. وكان مرضيا عنه من ربه لمطابقة أفعاله لأقواله.

وذكر فى الكتاب إدريس وقد كان قبل نوح عليه السلام وكان شديد المحافظة على الصدق، وجعله ربه نبيا يرشد الخلق بعمله، ورفعناه منزلة عليه فى الدنيا والآخرة كما قال فى نبينا ﴿ورهمنا لك ذكرك﴾ فى سورة الشرح أولئك المذكورون من أول زكريا إلى إدريس هم الدين أجمع الله عليهم إلخ، وخبر المبتدأ سيأتى فى قوله ﴿وإذا تلى عليهم﴾ إلخ.

عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِنْ حَمَلِ نُوحٍ
وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا
إِذَا تَلَّكُنَا عَلَى سُرَّتِ الرَّحْمَنِ خُورُوا تُحَدِّثُونَ كِبَآءَ ۝٢٨
• خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَصَاعُوا الصِّدْقَ وَاتَّبَعُوا
أَنبِيَآءَ مُنْفَرِّقِينَ بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ ۝٢٩ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ
وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرٌ كَثِيرٌ وَلَا يُضْمَرُونَ
بِشَيْءٍ ۝٣٠ جَسَدٌ يُدْرِكُ أَشْيَا وَهُوَ مِنَ الْخَلَائِقِ فَلْيَعْبُدْهُ
يَعْبُدُوا ۝٣١ إِنَّكَ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ۝٣٢ لَا تَسْمَعُونَ فِيهَا نَقْرًا إِلَّا أَسَاسًا
وَهُمْ يَرْفِئُونَ فِيهَا سُكْرًا وَعَمًى ۝٣٣ إِنَّكَ أَلَمَّا تَتْلُو
تُورِثُ مِنْ عَدْنٍ مِمَّنْ هُكَّانُ تَعْبَى ۝٣٤ وَمَا سَرُّ إِلَّا
بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا تَأْتِي أَيْدِيَا وَمَا تَلْفَ وَمَا تَلْفَ ذَلِكَ
وَمَا كَانَ رَبُّكَ قَبِيضًا ۝٣٥ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

المفردات : ١. «إسرائيل» : هو نبي الله

يعقوب عليه السلام.

«اجتبتنا» : أى اصطفتنا واخترنا.

«خروا سجدا» : أى سقطوا بوجوههم

على الأرض ساجدين لله تعالى.

«خلف» : أى فجاء من بعدهم خلفا

عنهم «خلف» : الخلف بمكون اللام أولاد

السوء وبمتعتها عقب النعير.

«غيا» : المعى الشر والضلال، والمراد

جزاء عى وهو العذاب والهلاك انظر الآية

(٢٤) من سورة هود صفحة ٢٨٩.

«بكرة وعشيا» : البكرة أول النهار والعشى آخره، والمراد هنا دائما.

«وما نتنزل إلا بأمر ربك» يرى بعضهم أن هذا أمر من كلام جبريل عليه السلام، وأن

سببه أن مشركي مكة كانوا يتلمسون ما يشككون به السطفاء في نبوته ﷺ فكانوا إذ تأخر

نزل الوحي تارة يقولون استهراء هات شيئا من عندك يا معتمد وقل ربك أمره عليك، انظر

الآية (٢٠٢) من سورة الأعراف صفحات ٢٢٥، ٢٢٦، وتارة يقولون إن ربه تركه وأبعثه تجد

ما قيل في ذلك في سورة الصبح فسأل جبريل مرة لم تغيب عى في بعض الأحيان؟

فأمره الله سبحانه بأن يجيبه بما هنا كما مبين.

(١) النبيين	(٢) آدم	(٣) إبراهيم
(٤) إسرائيل	(٥) آيات	(٦) الصلاة
(٧) الشهوات	(٨) وأمن	(٩) هالكا
(١٠) جات	(١١) سلاما	(١٢) السموات

المعنى . هؤلاء النعم عليهم من النبيين الذين هم بعض ذرية آدم وبعض ذرية من حملنا مع نوح عليه السلام في السفينة، وبعض ذرية إبراهيم، ومن ذرية إسرائيل، وكان منهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وغيرهم، وآخرون من حملة من هديناهم إلى الحق واحترابهم لما فيه الكرامة، هؤلاء جميعا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن في كتبه المنزل وقعوا ساحدين بآكين من خشية الله تعالى مع علو منزلتهم.

وأما حص هؤلاء جميعا مع دخولهم في ذرية آدم للتبويه بشأن آياتهم فحاء من بعد هؤلاء المصليين حلف سوء أصاعوا الصلاة بتركها أو بتأخيرها عن وقتها بلا عذر، وساروا وراء شهوات أنفسهم، فجزؤهم أنهم سيلقون جزاء صلالهم في جهنم، إلا من رجع منهم عن معصيته، بأن يؤمن إن كان كافرا، ويميل صالحا مع الإيمان، فأولئك يدخلون الجنة ولا يتقصرون من جزاء عملهم شيئا، ثم يؤتى الجنة بأنها حنات عدن التي وعد بها الرحمن عباده المؤمنين العاملين الصالحات وهي عاتبة عنهم لكنهم آمنوا بها، إن الرحمن كان وعده منجزا لا يتخلف

لا يسمعون في الجنة لغوا من لعو الدنيا الذي لا هائدة منه، لكن يسمعون سلاما من الله وملائكته ومن بعضهم لبعض، بل ومن أصحاب الأعراف كما في الآية (٤٦) من سورة الأعراف صمحة ١٩٩، ولهم رزقهم فيها في كل وقت تلك الجنة الموصوفة بتلك الصفات هي التي جعلها ملكا ثابتا كالميراث لعبادها المنقيين، انظر الآية (١٠) من سورة المؤمنون صمحة ٤٤٦ ولما فرغ سبحانه من الحديث عن الأنبياء الذي ذكره تنبيها له ﷺ، وفرغ عليه ما حدث من حلف السوء، وذكر جزاء الشرير والخير، عقب على ذلك بحكاية رسول جبريل وما رماه المشركون به ﷺ زيادة في التسلية، وليبين أن الأمر ليس كما زعموا، وأن الملائكة أحرص الخلق على تقوى الله التي هي سبب النعيم، لذلك تراهم منقادين لربهم لا يحالون لحظة؛ ولذلك صرح بعد ذلك بقوله لمحمد «واعبدوا واصطبروا لعبادته» أي لا تكثر بقول الحاحدين وعدلف عليه ما يقول الكافرون بالمعصية للمقارنة بين قول الملك الطائع والإنسان الحاحد فقول جبريل وما سئل على مهل في زمان دون زمان إلا بأمر ربك يا محمد ومشيتته لأنه مالك التصرف في كل أحوالنا، وما كان ربك ناسيا لشيء من أعمالنا، فلا نملك أن نستقل إلا بأمره، وكيف يسى وهو خالق السموات والأرض ومدير أمرهما وحافظهما.

وَمَا يَنْبَغِيهَا مَا عَنِتُّهُ وَأَصْطَفِرُ لِعُنَّتِيهِ هَلْ تَنْمُنُّ لَهُمْ
نَجِيًّا ۖ وَيَقُولُ الْإِنْسُ ۖ وَدَعَتْ نَفْسُهَا خَرَجَ
حَبًّا ۖ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسُ ۖ أَمْ حَقِيقَةً مِنْ قَوْلِ
وَلَا يَكُ شَيْئًا ۖ مَوْرِيَّتٌ سَخِرَ مِنْهُمْ وَالشَّيَاطِينُ ثُمَّ
نَحْضَرْنَهُمْ حَقًّا خَلَقَهُمْ حَبًّا ۖ ثُمَّ نَسِرْ عَنْ يَسْرٍ
سَجِدًا ۖ ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَى رُوحِنَا عِيبًا ۖ ثُمَّ نَحْنُ نَعْلَمُ
نَسِيتُمْ ثُمَّ ذُنُوبُهَا صَبِيحًا ۖ وَإِنْ مَسَكْنَا إِلَى رِجْلِهَا كَانَتْ
عَلَى رِجْلِهَا حَتَّى مَفْصِلًا ۖ ثُمَّ نَحْنُ الَّذِينَ أَسْعَوْا وَمَنْ
الطَّيْلِبِينَ فِيهَا حَبًّا ۖ وَهَذَا مِنْ عَنِينٍ ۖ أَلَيْسَ بِبَشِيرٍ
هَلْ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْدِينُ ۖ أَمْ نَوَيْ أَنُفِرَ بِهِنَّ خَيْرًا مِمَّا
وَأَحْسَنُ بَدِيًّا ۖ وَكَرَّمْنَا فَنُفِيتُهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ هُمْ
أَحْسَنُ أَتَى وَرَبًّا ۖ هَلْ مِنْ كَادٍ يَنْصَبُهُ قَبِيحًا

المفردات : «صطبر لعبادته» : أى

نحمل مشاق الصبر متفرغا لعبادته.

«سعيًا» : أى مثيلا وبطيرا، انظر الآية

(١١) من سورة الشورى صفحة ٦٣٩، والآية

(٤) من سورة الإخلاص صفحة ٨٢٦.

«جثيا» : أى باركين على ركبهم جمع

جاث.

«شيمة» : المراد هنا جماعة تشابهت

على الباطل أى تعاونت عليه. «عثيا» :

تجاوزا للحد فى الحرائم انظر الآية (٧٧) من

سورة الأعراف صفحة ٢٠٥. «صليا» :

مصدر صلى بالمراد، قاسى حرها والمراد دحولا. «نديا» : أى مجلسا كالنادى والمنتدى.

«وكم» : كلمة تدل على التكثير. «قرن» : أهل العصر المتقاربة أعمارهم، انظر شرح الآية

(٦) من سورة الأنعام صفحات ١٦٢، ١٦٣. «أثاثا» : الأثاث متاع البيت من فرش وثياب

«رثيا» : هو المظفر المرثى، أى بسارة وحسا وهو مأخوذ من الرؤية كالطعن بكسر لطاء

وسكون الحاء لما طعن.

المعنى . يستحيل عليه سبحانه التمييز، لأنه رب السموات والأرض وما بينهما، فحافظ

على عبادته وحده، وأحبس نفسك على مشاقها. ثم دلل على وحبب أفراد سبحانه بالعبادة

بقوله هل تعلم له مثيلا فيما ذكر من الأفراد بالتصرف فى جميع الخلق وأنه سبحانه خالق

ومالك ومدير كل ما فى السموات والأرض؟ المراد يستحيل أن يكون له مثيل. ويقول الكافر

الذي لا يصدق بالبعث متمعجا منكرا: هل إذا مت أخرج حيا مرة أخرى؟ روى أن أبا بن حلف أمسك معظم بال وقتته ودراء في الريح ثم قال رعم محمد أنا ببعث بعد ما صرنا هكذا، هذا مستحيل. ورد سبحانه على منكر البعث بقوله «أولا يذكر» إلخ أي يقول ذلك ولا يتذكر هذا الإنسان أنا خلقناه من قبل الحالة التي هو عليها ولم يكن حينئذ شيئا موجودا فالقادر على خلقه من عدم غير مسبوق بوجود قادر على إعادته بعد عدم مسبوق بوجود، بل هذا عليه أهون، انظر الآية (٢٧) من سورة الروم صفحة ٥٢٤، والآية (٧٩) من سورة يس صفحة ٥٨٦، هو حق ربك أيها النبي لتحشربهم هم وشياطينهم الذين كانوا يفترونهم بالشرك والمعاصي، انظر الآية (١٢٨) من سورة الأنعام صفحة ١٨٤، والآية (٢٨) من سورة يونس صفحات ٢٧٠، ٢٧١، والآية (١٧) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٢، ثم لم يحضرهم بعد طول الوقوف في جسر المعشر خارج جهنم حولها جاثين على ركبهم إهانة لهم، ثم لأحد من كل جماعة منهم من هو أشد على الرحمن الذي غمرهم بإحسانه في الدنيا تكبرا وتحاورا للعد، أي يقدم للعذاب الأشد الضال الذي أصل غيره ثم الأتباع لأن الذي أصل غيره يكون أشد عذابا من غيره، انظر آيتي (٦٨، ٦٧) من سورة الأحزاب صفحات ٥٦٠، ٥٦١، ثم لحن العاملين بسيناتهم ومقدارها فتبدا أولا بمن هو أولى بدخول جهنم من كل فريق ثم الذي يليه، ثم وجه سبحانه الخطاب للناس جميعا فقال وما منكم أحد أيها الناس إلا يبدو من جهنم ويمر على الصراط المصبوب فوقها، كان هذا المرور قصاء منه تعالى محتما، ثم نجي الدين اتقوا ربهم وترك لظالمين فيها باركين على ركبهم دلا، وكيفية هذا الورود تمصيلا لا يعلمها إلا هو سبحانه، ثم ذكر سبحانه شبهة أخرى مما كان يصل به المشركون وغيرهم، ذلك أنهم كانوا يقولون للناس لو كان محمد على حق لكان هو ومن معه أعنى ما وأحسن حالا لكن الأمر بالعكس فالمسمى وإذا تتلى على المشركين أدلة صدق نبينا واصحات قالوا للمؤمنين استهزاء أحبرونا أي المريقين نحر وانتم خير مكانة ومنزلة وأعظم مجلسا وأكثر عددا

ويوضح هذا الآيات (٥٢) من سورة الأنعام صفحة ١٧٠، و ٤٨، ٤٩ من سورة الأعراف صفحة ٢٠٠ ثم رد سبحانه عليهم بقوله: «وكم أهلكنا» أي وكثيرا من الأمم السابقة أهلكناهم بكمهم مثل هؤلاء مع أنهم كانوا أحسن من هؤلاء أثانا ورثيا كعاد وثمود وقارون ومن معه، ثم أمر سبحانه نبيه أن يقول لهم إن الله تعالى يمد الصالحين بالمال والمتاع ليردادوا ضللا فيزدادوا إثما كما في الآية (١٧٨) من سورة آل عمران صفحة ٩٢، أي لا لمصلهم عبده سبحانه.

لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَا حَقِّي يَدَّ رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِنَّمَا الْعَذَابُ
وَأَمَّا أَنَّهُ قَبِّلُوا مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكْرًا وَأَضْعَفُ
جِدًّا ١٦ وَيُرِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَإِنِّي قَبِّلْتُ
الْمُتَلَبِّثِينَ خَيْرٌ مِمَّا رِبَّكَ ثَوَابٌ وَخَيْرٌ مَرَدًّا ١٧
أَمْرًا بِتِ الْإِذَى كَفَرَتْ بَيْتَ وَهَّ لَأَوْبَيْنَ مَالًا وَوَلَدًا ١٨
أَطْلَعَ أَتَبْتُ لِمَ اتَّخَذَ هَذَا الرَّحْمَنُ عَهْدًا ١٩ كَلَّا
سَكَّابُ مَا يَقُولُ وَتَحْمَدُهُ لِمَ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ٢٠
وَبَرُّهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِيَتْ قَرْدًا ٢١ وَالْحَمْدُ لِمَنْ دُونَ اللَّهِ
عَالِمَةٌ يَكُونُونَ هُمْ عَمَّا ٢٢ كَلَّا سَبَّحُوا بِحَمْدِهِمْ
وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ صَدًّا ٢٣ زَرَرْنَا مَا أَزَلَّتِ الشَّيَاطِينُ
عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَّزَّهُمْ أَرَّا ٢٤ فَلَا تَعْمَلُ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا
تَعْدُ قَسْمٌ عَدًّا ٢٥ يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ

المعصيات :- «شر مكانا» . أى منزلتهم
شر وسوء، وهذا رد على قولهم «خير
مقاما» .

«أضعف حندا» : أضعف أعوانا، وهذا رد
على قولهم «وأحسن ندبا» .

«مردا» : أى مرجعا وعاقبة.

«أطلع الفيب» : أصله من قولهم أطلع
الجبيل إذا صعد فوقه، والمراد تمكن من علم
الغيب، والأصل هل أطلع.

«عهدا» : أى موثقا بأن يؤتبه ذلك.

«كللا» : كلمة تدل على ردع المدعى باطلا.

وتنبه على خطئه. «ورثه ما يقول» «ما» اسم موصول يدل من الصمير المنسوب في
«ورثه» بدل اشتغال كأنه سبحانه يقول ورث ما يقول والمراد مما يقول المقول عنه وهو
المال والولد، والمعنى المراد ويسلب منه المال والولد بموته كما يأخذ الوارث ما ترك مورثه.
«لهم هذا» : المراد سبب عز ونجاة.

«ويكونون عليهم ضدا» المراد أن الآلهة ستكون يوم القيامة شرا عليهم وسبب ذل لا عز.
و «صدا» لفظ يطلق على الواحد والأكثر مثل لمط «الطمل» فى الآية (٣١) من سورة المور
صمحتى ٤٦٢، ٤٦١. وهو حال مؤكدة للمعنى المصهور من «عليهم» . «توزهم أرا» أصل الأرا
التهز الشديد والإزعاج، والمراد الإغراء على المعاصى.

فبعد لهم عداً أي بعد لهم أعمالهم عداً دقيقاً لحاربيهم عليها، فيماؤهم رباؤه في ديوهم

المعنى قل أيها النبي لهؤلاء المصحرين بالنفس والكثرة إن سبه الله حرت على أن من أهمك هي لصلال ولم يلمت للعبر يمههم ربهم وبسوط لهم هي الررق استدرجنا لهم، حتى إذا راوا ما وعدهم الله به إما عذاب القتل والاسر والدل وإما قيام ما عنهم فيشهدون لعذاب الأكبر، عند ذلك يعلمون من من الصريقين أصعب جداً، وسيكون الأمر بعكس ما كان في الدنيا نظر الآية (٤٤) من سورة الأنعام صمحتي ١٦٨، ١٦٩، والآية (٢٢) من سورة الرعد صفحة ٢٢٦، والآية (٤٨) من سورة الحج صفحة ٤٤٠ بعمل سبحانه ذلك بالصالحين، ويريد الدين اهتدوا إلى الإيمان والعمل الصالح هدى بما يرز عليهم من الآيات عوصا مما حرموا من ربة الدنيا إكراما لهم بما هو أنفع وأبقى ولذا قال والباقيات أي الطاعات التي تبقى فائدتها خالدة خير في حكم الله في الثواب وأحسن عقوبة وكان لرجل مسلم دين على العاص ابن وثل من كبار المشركين بمكة، فلما طالبه به قال له مادام محمد يقول إذا سدت بعد الموت فاستطر حتى تأتيه هناك وسيكون لي مال وولد وأعطيك ما تريد فأبزل الله تسفيها له بعد تسميه من قبله هذه الآيات والمعنى فبعد ما تقدم هل علمت أيها النبي حال هذا الكافر وعجبت من قوله التسميع وجرأته على الله، لأن ما ادعى أنه سيكون لا يعلم إلا بأحد أمرين إما علم العيب وإما بعد قطعه الله له وليس عنده واحد منهما، ثم أكد خطأه فقال كلا، أي ليس الأمر كما ادعى، وسيظهر له أنا كتبنا قوله، ويريد من العذاب هي جهنم فوق عذاب كمره عذابا على كذبه وجرأته على الباطل، وسعديه ما يهده من المال والولد ويأتيها يوم القيامة وحده لا يملك شيئا، وما عر هؤلاء المشركين إلا أنهم اتحدوا لأنفسهم من دون الله آلهة يتقربون بها إليه تعالى لهتمروا بشماعتهم فلا يصيبهم مكروه، وليس الأمر كما زعموا، بل ستجحد تلك الآلهة عبادتهم، ويكونون حصوما لهم بعد أن ينطق الله من لم يكن باطقا منهم، انظر الآية (١٦٦) من سورة البقرة صفحة ٢٢، ثم أمر سبحانه رسوله بالتعجب مما يحل بالكافرين فقال ألم تر أيها النبي أنا مكنا الشياطين من الكافرين لما أعرضوا عن البرهان حتى صاروا يعروهم بالمعاصي إغراء شديدا، انظر الآية (٢٥) من سورة فصلت صفحة ٦٢٢، فلا تعجل بطلب هلاكهم لأننا نعد عليهم جرائمهم عداً دقيقاً لزيادة شقاوتهم، فدعهم واذكر يوم نحشر المتقين أي نجمعهم إلى ربهم الذي غمرهم برحمته حال كونهم وأهدين عليه تعالى وفود نصيب العزيز على الملك الكريم.

وَقَدْ آتَيْنَا الْفِرْعَوْنَ ذِكْرًا ۚ إِنَّهُ إِذَا نَادَىٰ بِطَوَائِفِهِ فَقَالَ أَفَرَأَيْتُمْ إِنِّي مَعَكُمْ لَأُفْرِكَنَّ ۚ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عِندَ رَبِّكَ ذِخْرًا مُّطَهَّرًا ۚ فَانْهَازُوا فِيهِ مِائَةَ أَلْفٍ نَّجْمٍ سَاطِعَةٍ ۖ لَمَكَّنَّا لَهُمْ فِيهَا ذِخْرًا ۚ وَنَسُوقُ الْمُبْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا ۚ (١٨)
 لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مِمَّنْ أَمَرَ اللَّهُ بِهَدْيِهِ ۚ وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُنَاصِي ۚ (١٩)
 وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۚ (٢٠)
 تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۚ (٢١)
 أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۚ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۚ (٢٢)
 إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۚ (٢٣)
 لَمَّا أَحْصَيْنَاهُم بِهِ ۚ وَأَعْلَمَهُمْ عَدًّا ۚ (٢٤)
 وَكُلُّهُمْ إِلَيْهِ يَوْمَ يُبْعَثُونَ قَرْدًا ۚ (٢٥)
 إِنْ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَعَصَوُا وَأَسْرَأُوا وَلَئِنْ لَمْ يَنْجَلِ لَهُمُ الرَّحْمَنُ مِنْهُ لَكُنَّا سَاءَ لَكَادًا ۚ (٢٦)
 وَلَوْ أَنَّ بَنِي آدَمَ بَشَرْتَ بِيَدِنَا ۚ لَنَبْتَرِلَهُ أَمْتًا ۚ (٢٧)
 وَمَا لَكُمْ إِذَا أُذِنَ لَكُمْ أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مِّنْ قَوْلِ اللَّهِ قُلْ إِنِّي خَشِيتُ الْمَظَاهِيرَ ۚ (٢٨)
 مِمَّنْ مِّنْ أَعْدَائِكُمْ ۚ فَاصْبِرْ ۚ إِنَّكَ بِمَنْعَيْنَا ۚ (٢٩)

المضردات : ﴿وقدا﴾ : اسم جنس واحد وافد، وهم القوم الذين يقدون على الملوك لأخذ العطايا. ﴿وردا﴾ : أصل الورد السير إلى الماء بسرعة من شدة العطش وأزيد به هنا الواردون العطاش. ﴿عهدا﴾ : هو كلمة التوحيد والعمل الصالح الذي يسوغ الإذن لهم بالشفاعة. ﴿إذا﴾ : أى عجيبا منكرا شديدا. ﴿يتفطرون منه﴾ : أى يتشققن. ﴿وتخر الجبال﴾ : أى تسقط وتهدم. ﴿هدا﴾ مصدر مؤكد لمعنى ما قبله وهو ﴿نحر﴾ أى تهد هذا شديدا. ﴿أن دعوا للرحمن ولدا﴾ : أى بسبب أنهم نسبوا له سبحانه ولدا.

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ ﴿إِنْ﴾ حرف نفى بمعنى ما. ﴿إِلَّا آتَى﴾ إتيان معنوى بمعنى الحضور لقضائه.

﴿ودا﴾ أى محبة مشوها الإيمان الذى يربط بين قلوبهم. انظر الآية (٧١) من سورة التوبة صفحة ٢٥٣، والآية (٢٩) من سورة الفتح صحتي ٦٨٣، ٦٨٤ والآية (١٠) من سورة الحشر

(١) الشعاع

(٢، ٣) السموات

(٤) آتى

(٥) أحصاهم

(٦) آتاه

(٧) القيامة

(٨) أموا

(٩) الصالحات

(١٠) يسريه

صفحة ٧٢١ ﴿لَئِنْ﴾ جمع ألد بفتح اللام وتشديد الدال وهو شديد الخصوصية بالباطل ﴿قرن﴾ أى جماعه من الناس والمراد أمة. ﴿هل تحسن منهم من أحد﴾ الاستفهام هنا بمعنى النفي أى لا تحسن و﴿من﴾ هى ﴿من أحد﴾ مؤكدة لمعوم النفي. ﴿ركزا﴾ الركن الحما ومنه ركن الرمح إذا عيب بعصه فى الأرض. والمراد هنا الصوت الحفى الذى لا تكاد تسمع معه حروها.

المعنى . بكرم المتقين وسوق المحرمين إلى جهنم عطاشا كما تساق الدواب العطاش إلى الماء. ولكن الماء هنا حميم يقطع أمعاءهم. يومئذ لا يملك أحد من المباد جميعا الشعاعه فى غيره إلا مَنْ أدنى له ربه وفيه من رضى عنه. انظر الآية (٢٥٥) من سورة البقرة صفحة ٥٢. والآية (٢٨) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٢. وقال الكافرون من مشركين ويهود وبصارى اتعد الله ولدا؛ فالمعرب قالوا الملائكة. واليهود قالوا المزير. والبصارى قالوا المسيح. لقد جثتم أيها الكافرون بقولكم هذا شيئا منكرا. ثم وصفه بما يبين شناعته فقال: تكاد السموات تتشقق من عظامته، وتشقق الأرض حتى تبتلع مَنْ فوقها، وتهد الجبال هدا شديدا؛ وذلك من أجل أنهم نسبوا لله ولدا، والحال أنه سبحانه لا يلق به اتحاد الولد لأنه لا يكون إلا لحاجة والده له، والله سبحانه غنى عن العالمين ثم دلل على بطلان ذلك ﴿إن كل مَنْ فى السموات﴾ إلخ أى ما من أحد من الملائكة والجن والإنس إلا خاضع للرحمن فى قضائه مملوك له، لقد أحصاهم بعلمه، فهم تحت تصرفه، وعد أشخاصهم وأعمالهم عد دقيقا، وكل واحد منهم يأتية يوم القيامة وحيدا مفردا عن الأهل والأصحاب والمال، ثم أراد سبحانه أن يسلى رسوله على محالمة قومه له فقال إن الدين أموا بالله وبرسالتك وعملوا الصالحات سهربط الله قلوبهم بالمحبة التى يبعثها الإيمان. وبعد إحياء هذه السورة عليك بلغ أيها النبى ما أرسل إليك وبشر به وأنذر، فإنما جعلناه عربيا بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما اشتدوا فى حصومتهم بمداب أليم. انظر توضيح المقام فى الآية (١٦٤) من سورة آل عمران صفحة ٩٠. والآية (٤) من سورة إبراهيم صفحة ٢٢٩. ثم وعده ﷺ بالنصر فى ضمن وعيده للكفار بالهلاك فقال ﴿وكم أهلكنا﴾ إلخ أى وكثيرا من الأمم قبلهم أهلكناهم لما كمروا كهؤلاء، حتى أنك لا تشعر الآن بحياة أحد منهم، ولا تسمع له همسا.

سورة طه

بسم الله الرحمن الرحيم

المصدرات: ﴿طه﴾ - تنطق : طاء، ها.
معنصرا من اسمى ﴿طاء، وهاء﴾. وتقدم
الكلام على المراد من هذه الأحرف المقطعة
كلها أول سورة البقرة

﴿لتشقى﴾ : يطلق الشقاء عند العرب على
التعب؛ يقال سيد القوم أشقاهم، أى أشدهم
تعبا فى مصالحهم، انظر الآية (٦) من سورة
الكهف صفحة ٢٨٠، والآية (٣) من سورة
الشعراء صفحة ٤٧٩.

﴿تعلنى﴾ : جمع العليا، مؤنث الأعلى.

﴿عرس العرش استوى﴾ : تقدم بيانه فى الآية (٥٤) من سورة الأعراف صفحة ٢٠١

﴿اشترى﴾ : أصل الشرى التقرب الشدئ، والمراد مطلق التراب

﴿هل أتاك﴾ : من سائلين العرب إذا أرادوا تثبيت الخبر يستفتحون بالاستمهام فيقول

أحدهم لصاحبه هل يملك كذا؟

ليستمنعت نظره ﴿أستى﴾ الإيأس الشعور بما يستأس منه، كما أن التوحش الشعور

بما يحذف منه، والمراد أنصرت بارأ أستأس بها.

(١) صا ها	(٣) القراء	(٤، ٣) السموات
- ناك	(٦) رأى	(٧) أنصت
(٨) تيك		

(٢) سورة طه
واسمها خمس وثلاثون وها

بسم الله الرحمن الرحيم

طه ﴿مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا
مَدْعُورًا تَتْلُو آيَاتِنَا وَمَا
أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
لِّلْعَالَمِينَ ﴿١﴾ وَتِلْكَ
آيَاتُ الْكِتَابِ الَّتِي كُنَّا
نُفَصِّلُهَا لَكَ قَدْ خَلَقْنَا
كَ وَنَحْنُ الْغَفُورُونَ ﴿٢﴾

﴿بقيس﴾ أى بجرء مقتبس منها على دعوس عيدان، وهو المراد بالشهاب فى الآية (٧) من سورة النمل صمحتى ٤٩٤، وبالجدوة فى الآية (٢٩) من سورة القصص صمحتى ٥١٠، ٥١١.

لمعى . لما كان عَجْز شديد العجز على عدم إيمان قومه، أراد سبحانه أن يسليه ويدفع عنه الصجر فقال ما أرسلنا عليك أبها النسي هذا القرآن لتتعب نفسك أسفا على كمر قومك به، وليس عليك إلا البلاغ نظر الآية (٦) من سورة الكهف صفحة ٢٨٠، ولكن أرسلناه تذكير لمن فى قلبه خشية، لأنه يتمتع به، ثم بيّن سبحانه مكانة هذا القرآن بتعظيم شأن منزله فقال ﴿تنزيلا﴾ أى أرسل عليك تنزيلا ممن له هذه الأفعال والصفات العظيمة، هو الرحمن على العرش العظيم استوى استواء يليق به سبحانه، له كل ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما فى الجو وما تحت الثرى من معادن وغيرها، كل ما ذكر له خلقا وملكا وعبيدا . وبيّن شمول ملكه وقدرته، وبيّن إحاطة علمه بجميع الأشياء، فقال وإن تجهر بالقول أبها المحاطب فاعلم أنه سبحانه فى علمه بأحوالك غنى عن جهرك لأنه يعلم ما تسر به لميرك ولم ترفع به صوتك، ويعلم ما هو أخفى من السر وهو حواطر القلب التى لا يتحرك بها اللسان، انظر الآية (١٦) من سورة قى صفحة ٦٨٩، وهذا إرشاد منه تعالى ليتحرى العبد ويحتاط فلا ينطق بسوء وإنما خص الجهر بالذكر لأنه الأكثر بين الناس ثم أراد سبحانه أن يبين أن ما تقدم من صفات الكمال ليس أهلا لها إلا المعبود الحق الذى لا رب غيره ولا معبود سواه، فقال ﴿إله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ لأنها دالة على التقديس والحكمة . والحسنى مؤنث الأحسن ثم أراد سبحانه أن يرشد سبيه لتحمل المشاق والتألى بما حصل لإخوانه الأنبياء، فذكره بقصة موسى وما لاقاه من فرعون وقومه، ليعلم منها أن العاقبة للمتقين، فقال ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ إلخ والمعنى . هل بلغك أبها النسي قصة موسى ورسالته وما لاقاه من فرعون، لمبتدأة من وقت أن رأى نارا من بعيد، وكان الليل مظلمًا والحو باردا حتى حمى عليه الطريق، وكان موسى بعدما قصى الأجل مع والد روحته أراد الرجوع إلى مصر ليرى والدته وأخاه فأخذ معه بعضا من العم ليقتات من لبنها، وبعض ما يركب ويحمل متاعه، فلما وصل وادى طوى، وفيه جبل الطور وصادف ما سلف من الظلمة والبرد، رأى فى هذا الوقت شيئا ظله نارا فقال لزوجه ومن معه من الرعاة : امكثوا مكانكم لأنى أبصرت نارا وسأذهب إليها راحيا أن أتيتكم منها بقيس أو أحد عندها هاديا يرشدنا إلى الطريق

مُؤَيَّ ١٠ قَلْبًا أَتْنَاهَا يُدْرِي يَسْمُوْنِي ١١ إِنْ أَنَا
رَبُّكَ فَاحْلِقْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالرَّوَادِ الْمُنْعَدِ مَلُؤَى ١٢
وَأَنَا أَخْبَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُؤْمَرُ ١٣ إِنِّي أَنَا اللَّهُ
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ١٤
إِذْ أَنَا نَازِلٌ أَتَيْنَا أَكَادُ أَحْمِيهَا يُشْعِرُنِي كُلُّ نَفْسٍ بِمَا
تَسْمَى ١٥ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاسْمِعْ
فَرَقْتُ مُدْرِي ١٦ وَمَا يَكُ يَمِينُكَ يَسْمُوْنِي ١٧ فَإِنْ مِنْ
عَصَايَ أَنْوَكُرُ عَلَيْهَا وَأَمْسِكْ بِهَا عَلَى عَيسَى وَلِيَّ يَهَى
مَقَارِبُ أَنْتَرِي ١٨ قَالَ لَقِيَهَا يَسْمُوْنِي ١٩ فَانْقَلَبْنَا إِذَا
مِنْ حَبَّةٍ تَمْعِنُ ٢٠ قَالَ حُذِّقْ وَلَا تَحْفَ مَسْجِدُهَا
بِزَيْتِهَا الْأَوَّلَى ٢١ وَأَصْنَمُ يَدُكَ إِلَى جَانِبِكَ تَخْرُجُ
بِصَلَاةٍ مِنْ غَيْرِ سَوْدٍ ٢٢ أَيْهَ أُخْرَى ٢٣ يَتَرَبَّكُ مِنْ

المصدرات : : «هدى» . أصله مصدر
واريد به هاد . ومرشد للطريق . «اخلع
عليك» لأن الحشاء كان أمانة التواصل
والأدب هي ذلك الوقت ، وقال سعيد بن جبير
ذلك كما يومر الرجل بخلع عليه إذا أراد
دخول الكعبة أي ليطأ الأرض المقدسة
بقدميه عاريتين فتصيبه بركة ذلك المكان ،
وهو واقف يسمع أشرف ما يسمع من أعلى
مقام هي الوجود مباشرة من غير واسطة .
«إنك بالوادي المقدس» إلخ : بيان لسبب
الأمر بالخلع من شرف البقعة التي اختارها
مبيحانه لمناجاة كلمه موسى . «المقدس»

قال الرابع التقدس التطهير الإلهي المذكور في قوله تعالى «يطهركم» الآية (٢٢) من
سورة الأحرب صمحة ٥٥٤ فهو تطهير من الأرجاس المعنوية كالشرك والحسد والحقد من
كل ما فيه نقص معنوي ولذا يكون الشيء المقدس كثير البركة ولذا سمي المكان مباركاً هي
الآية (٢٠) من سورة القصص صمحة ٥١١ . «طوى» هو اسم هذا الوادي الموحد بجانب
الطور كما في الآية (٢٩) من سورة القصص صفحتي ٥١٠ ، ٥١١

«الساعة» : أي القيامة .

«أكاد أحميها» أي أقرب من إحماها «أحميها» قال الراغب (الخفاء) يطلقه العرب على
ما يستتر به الشيء كالعطاء ، ويقولون فلان أحمى الشيء أي أزال حياءه وأظهره كما يقولون

(١) أناها	(٢) يا موسى	(٣) الصلاة
(٤) آتية	(٥) هواء	(٦) يا موسى
(٧) أنوكا	(٨) مأرب	(٩) يا موسى
(١٠) فالتقاما	(١١) آية .	

يقولون أقديت العين أي أرلت عنها العدى، واشكلت الكتاب أي أرلت إشكاله والتناسه بوضع علامات إعرابه. فالعرب تستعمل ﴿أحمى﴾ في ستر الشيء، وفي إظهاره، وهما صدى من الأول ﴿إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تحصوها. إلح﴾ الآية (٢٧١) من سورة البقرة صمحتى ٥٧، ٥٨ ومن الثاني ما هنا، فالعرب تريد في الفعل الثلاثي همزة أو تكرر حرفها من حروفه لإفادة معنى الإزالة. فالتكرير كما في ﴿حرّض المؤمنين على القتال. إلح﴾ الآية (٦٥) من سورة الأنفال صمحة ٢٢٧، وريادة الهمزة كما في ﴿مصرحكم﴾ الآية (٢٢) من سورة إبراهيم صمحة ٣٣٢ فإنه مأخوذ من أصرح، وكما هنا في ﴿أحميها﴾، وكما في قولهم أقسط الرجل عدل وقسط. فالمعنى أزيل حماها بإظهارها، وإبها الحياة الدنيا ﴿هتردى﴾ فتهلك ﴿وما تلك بيميمك﴾ استمهام يراد به تنبيه المحاطب لما سيأتى وليس المراد طاهر ذلك السؤال من أنه لطيب العلم، لأن ذلك محال عليه تعالى وهو المليم بكل شيء، بل السؤال هنا مقصود به تعليم موسى عليه السلام ما يحمله عن هذه العصا، وذلك ما فهمه نبي الله موسى حيث ذكر كل ما يعلم ليتلقى من الله ما لا يعلم، فالمقام مقام تعليم من الله لموسى، لا أن يتعلم الله من موسى شيئاً، حاشاء سبحانه وهذا أسلوب معهود من كل من أراد أن يظهر من الشيء الصغير شيئاً عظيماً، فإنه يعرضه أولاً على الحاضرين، ويقول لهم ما هذا وما فائدته؟ فبد، قالوا كل ما يعرفونه عنه مما هو بعيد عما يريد السائل إظهاره، يظهر لهم ما يبهرهم ولا يحطر لهم على نال هكذا، هنا بعدما عدد موسى كل ما يعلمه أظهر له سبحانه من أسرارها كل تلك المعجزات كإقلاها حياة، وصرب البحر بها حتى انطلق، وضرب الحجر حتى تمجر منه الماء، فكان جواب موسى جواب من يتطلع لعلم ما لا يعلمه. فأحابه الله سبحانه إليه، ﴿أهتر بها﴾ أي أصرب بها ورق الشجر ليمسقط على غنمى فتاكله ﴿مأرب أخرى﴾ جمع مأربة بفتح الراء وصعها وكسرهما، بمعنى حاجة. ﴿حية﴾ اسم للصغير والكبير والذكر والأنثى من هـ تنوع، والثعبان هو الكبير منها، انظر الآية (١٠٧) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٩، وكانت في قوة الحركة والمقاومة كالجان. انظر الآية (١٠) من سورة النمل صفحة ٤٩٥، والآية (٢١) من سورة القصص صفحة ٥١١.

﴿سيرتها الأولى﴾ : هيئتها وحالتها الأولى.

﴿حياحك﴾ أصل الجناح للطائر، ويطلق على جانب الشيء، وعلى العصب بطلر الآية (٣٢) من سورة القصص صفحة ٥١١.

﴿من غير سوء﴾ : أي من غير مرض كاليرص.

المعنى . أو أجد على النار من يرشدني للطريق. فلما أتى ما طه نارا، وجد نور يخرج من شعرة حصراء كما هي الآية (٢٠) من سورة القصص صفحة ٥١١، وسمع صوت يقول يا موسى إني أنا ربك فاحلح بعليك لأبك بالوادي المقدس الذي هو طوى، وأنا صطصيتك من قومك للنبوة فاسمع بكل عناية لما يوحى إليك ثم يتي بعض هذه الموحى به فقال إني أنا لله لا إله إلا أنا فاعبدني وحدي، وأقم الصلاة لتذكرني بقلبك ولسانك، وعلم يا موسى أنت ومن تبغفه رسالتى أن الساعة آتية لا ريب فيها، أي قرب وقت وقوعها وإنهاء هذه الحياة الدنيا وجمع الحلائق للحساب، هي لابد واقعة لتجرى كل نفس بما عملت، فلا يصرفك عن الإيمان بها من لا يؤمن بها فتهلك مع الهالكين. ثم أراد سبحانه أن يبين لموسى المعجزات التي أعطاها له ليقيم بها الحجة على فرعون وقومه، فقال ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ المراد تأمل جيدا في حال ما في يدك لتعلم ما سيكون فقال هي عصاى اعتمد عليها في المشى، وإذا وقعت وراء العمى، وأسقط بها ورق الشجر لتأكل عمنى، ولنى فيها مدافع أخرى غير ذلك كحمل الراد، وطرد السباع، ووضع الرداء عليها، والاستظلال من لشمس، إلى غير ذلك قال سبحانه اطرحتها على الأرض يا موسى. فألقاها فإذا هي صارت حية تجرى، فعاف منها موسى فقال له حدها ولا تحف سعيدها إلى حالتها الأولى، أي كما كانت عصا عادية ثم أرشده إلى المعجزة الثانية، فقال وأدخل يدك من فتحة ثوبك حتى تصعبها تحت عصبك، انظر الآية (١٢) من سورة النمل صفحة ٤٩٥، والآية (٣٢) من سورة القصص صفحة ٥١١، ثم أخرجها فإذا هي ستخرج بيضاء محالمة للون باقي جسمك، وليس بياصها بياض مرض حال كونها معجزة ثانية. فعلمنا معك ذلك لتريك بعض معجزاتنا.

فَإِنِّي الْكَذَّابُ ١٦ أَذْهَبَ بِكَ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ١٧
قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ١٨ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ١٩
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ٢٠ يَفْقَهُوا قَوْلِي ٢١
وَاجْعَلْ لِي زُبُرًا مِمَّنْ قَبْلَ ٢٢ هَؤُلَاءِ ٢٣ أَشْهَدُ
بِهِ زُرِّي ٢٤ زَانِرُهُ ٢٥ أَمْرِي ٢٦ كَيْ تَسْبِكَ
كَثِيرًا ٢٧ وَتَذَكَّرَ كَثِيرًا ٢٨ إِنَّكَ كُنْتَ بَصِيرًا ٢٩
قَالَ قَدْ أُورِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ٣٠ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ
مَرَّةً أُخْرَى ٣١ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَى ٣٢
أَنْ أَقْدِمِ فِي أَنْتَابِ مَا قَدِمِ فِي أَنْتَابِ فَلْيُنِزِ الْأَنْبِيَاءُ
وَالْأَنْبِيَاءُ بِأَعْدَائِهِمْ وَعَدُوَّهُمْ وَتَقَبَّلْ عَلَيْكَ الْكَلِمَةَ
مِمَّنْ وَلِصَّحَ عَلَى عَيْنِي ٣٣ إِذْ تَمَنَّى أَخُذْتُكَ مَقُولُ
هَلْ أَتَاكَ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ قَرَجْتُمْ إِنْ أَمِنتُ

المفردات . «احل عقد من لسانى»
كان فى لسانه عليه السلام رُتبه بضم الراء
وتشديد القاء أى حبسة تجعل فى المهم منه
صعوبة فكان من ادبه أنه لم يطلب حلها
جميعا، بدليل اعترافه بأن هارون أفصح منه
كما فى الآية (٢٤) من سورة القصص صفحة
٥١١، وتصريح فرعون بأنه لا يوضح مراده
كما فى الآية (٥٢) من سورة الزخرف صفحة
٦٥٢ . «وزيراً» : أى ————— وزيراً
ومساعداً . «أزرى» : يطلق الأزرق على الظاهر
وعلى القوة . «سؤلك» : السؤال بمعنى
المسئول كالعجز بمعنى المعجوز، والمراد إما

مكانك من أن تُصْهِمَ غيرك بلا صعوبة . «مرة» المراد بالمرة هنا الفترة من الزمن السابق
لتي حصل له فيها نعم كثيرة كما سيأتى . «أوصينا إلى أمك» : هى العمام أو على لسان ملك
تمثل لها بشراً كما فى الآية (١٧) من سورة مريم صفحة ٢٩٧ . انظر بيان ذلك فى الآية (٧)
من سورة القصص صفحات ٥٠٦، ٥٠٧ .

«أقديه» أى أطرحه، انظر الآية (٢) من سورة العنكبوت صفحات ٧٢٩، ٧٣٠ .

«تقابول» صندوق محكم من خشب . «اليم» . هو اسم للماء الكثير سواء أكان عذبا كما
هنا، أم ملحا كما فى الآية (٧٨) من هذه السورة صفحة ٤١٣ . «عدو لى وعدو له» هو
فرعون . «ولتصع على عيني» أصله من صنع الرجل فرسه إذا أحسن تربيتها، فالمراد ترى
تحت رعايتى ومراقبتى فلا تمس بمسوء، وبظير ذلك ما فى الآية ٢٧ من سورة هود صفحة

٢٨٩. ﴿يَكْفُلْهُ﴾ أي يحفظه ويقوم بشئونه. ﴿وَرَجِعْكَ إِلَىٰ أُمِّكَ﴾ أي رددناك إليها، انظر شرح الآية (٨٢) من سورة التوبة صفحة ٢٥٥.

المعنى . . ثورك بهاتين الآيتين بعض آياتنا العظمى، اذهب بهما إلى فرعون لأنه جاور حد العبودية إلى دعوى الربوبية وتجب على خلقى. هادعه إلى عبادتى وحده نعمتى فلما سمع موسى ما كلف به وأنه أمر خطير طلب من ربه سنة أشياء ليقوم بما كلف به حبر قيام فقال يارب حقق لى شرحا وتيسيرا! أما الشرح فلصدري بأن تفسحه لتحمل أعباء الرسالة والصبر على مشاقها، وأما التيسير فبتمهيل الأمر بإيجاد الأسباب ودفع الموانع، واجل من لسانى عقدة من عقده التى يصعب التفاهم معها ليفهم الناس ما أيلقه عنك، واجعل لى مساعدا من أهل بيتى هو هارون أحن لأنه أفصح منى فيحمل معى أعباء الرسالة فأقوى به ظهري عند الشدة، واجعله شريكى فى أمر الرسالة، انظر آيتى (٢٣، ٢٤) من القصص صفحة ٥١١. وإنما طلبت منك يارب ذلك لكى تتعاون على أن نرهك عما لا يليق بك، وأن يدكرك وحدك كثيرا، والتعاون على البر يقوى المرائم. إنك يارب كنت بأحوالنا عليما فتساعدنا على ما يسهل لنا النجاح. قال سبحانه: قد أعطيتك ما سألتنى، ولقد تمصنا عليك من قبل بسهم كثيرة لم تطلبها، فلا يجل عليك بما تطلب منها حين أوصينا إلى أمك وقت أن حافت عليك من القتل، كما كان فرعون يفعل مع أبناء بنى إسرائيل، أوحينا إليها ما يتبقى به أن يكون وحيا لا يخل به لعظم شأنه فقلنا لها بهذا الوحي. سمى موسى إذا حفت عليه فى التابوت، وألقيه فى النيل، فسيلقيه النيل بمأجل قصر فرعون فيبصره الخدم فيأخذونه فيراء فرعون فيأخذهم، مع أنه عدو لله حيث عبد غيره، وعدو لموسى حيث كان يقتل جنسه، وألقيت عليك محبة تحصل فى قلب كل من يراك صادرة من فضلى، لتحب من الجميع، ولتصنع تحنى رعايتى، ومنها حين مشيت أختك نقص اثرك فى اليم كما فى الآية (٧) وما بعدها من سورة القصص صفحاتى ٥٠٦، ٥٠٧، فلما أسمعنا عليك بمنمك من الرضاع من جميع النساء اللاتى أحضروها لك انتهزت أختك ذلك فقالت لبيت فرعون هل أدلكم على من يحفظه ويقوم بشأه؟ فقبلوا فلما عرضوك على أمك التفتت ثديها فتركوك فى كفالتها، وبذلك رددناك إلى أمك...

كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَدْ نَظَرْنَاكَ مِنْ
 الْغَمِّ وَقَتْنَاكَ مُؤَبَّرًا مَتَىٰ نَسُوبُ ۚ أَهْلِي مَدِينٍ ثُمَّ
 رَحِمْنَا عَلَىٰ قَدِيرٍ يَمْرُوسٍ ١٠ وَأَسْطَفَعْنَا لَعْنَىٰ
 آدَمَ أَنْتَ وَأُحْوَكُ بِأَيْدِي وَلَا تَبِيَّ فِي ذِكْرِي ١١
 أَذْهَبَ إِلَيْنَا مَرْغُوبٌ يَمْزُجُ ١٢ قَوْلًا لَمْ قَوْلًا لَهَا
 لَعْنَةُ يَتَذَكَّرُ وَيَحْتَنِي ١٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ
 يَمْرُطَ عَنِّي أَوْ أَنْ يَطْعَنِي ١٤ قَالَ لَا تَحْزَنْ إِنِّي مَعَكُمَا
 أَمْتَمُّ وَآرِي ١٥ فَاتَّبَاهُ قَوْلًا إِنَّا رَسُولًا رَزَيْنَا فَارْتَلِ
 مَعَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ
 رَبِّكَ وَالنَّسَمُ عَلَىٰ مِائَةِ أَلْفَيْ ١٦ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ
 إِلَيْنَا أَنَّ الْمَسَاءَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ١٧ قَالَ قَدْ
 رُبَّمَا يَنْبُؤُنِي ١٨ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَنْبُؤُنِي كُلُّ نَفْسٍ

المفردات :- «تقر عينها» : قر من باب
 صرّب وعلم قرّة بضم أوله، وقرورًا كناية عن
 السرور، وأصله من القرار وهو الثبات
 المعنوي أو الحسي، أما المعنوي لأن من ينال
 أميته لا يتطلع إلى غيرها، وأما الحسي: لأن
 الألم والفزع يجعل العين حائرة مضطربة،
 فإذا اطمأن صاحبها مكنت، انظر الآية (٩)
 من سورة القصص صفحة ٥٠٧، والآية (١٩)
 من سورة الأحزاب صفحتي ٥٥١، ٥٥٢.

«ولا تحزن» : المراد لا يعتريها بعد ذلك
 حزن أبدا. «قتلت نفسا» : هي نفس القبطي
 كما في الآية (١٥) من سورة القصص صفحة ٥٠٨.

«من الغم» : الذي اعتراك من حوف القتل، انظر الآية (١٤) من سورة الشعراء صفحة
 ٤٨٠، والآية (٢٠) من سورة القصص صفحة ٥٠٩ .

«وهتاك» أي احتيرناك وامتحناك بالشر والحير كما في الآية (٣٥) من سورة الأنبياء
 صفحة ٤٢٤. «فتونا» : أنواعا من العش جمع فتن بفتح فسكون كالظنون جمع ظن.

«فلبثت» : أي مكثت.

«مدين» في الجنوب الشرقي للطور عند خليج العقبة.

«على قدر» : المراد بالقدر هنا الوقت الذي قدر الله عز وجل أن يكلم فيه

موسى ويبلعه رسالته.

(١) فتحيالك	(٢) وفتاك	(٣) يا موسى
(٤) يا ياتي	(٥) إسرائيل	(٦) جنتك
(٧) بآية	(٨) والسلام	(٩) يا موسى-

﴿واصطليعتك﴾ أصله من الصنع بمعنى الصنعة وهي الإحسان.

ومعنى اصطليعه جملة محل إحسانه.

﴿لنفسى﴾ : أى لوحى رسالتى، والمراد جملة من خواصى.

﴿باياتى﴾ المراد بها المعجزات كالعصا واليد وما يتبع ذلك، انظر الآية (١٠١) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٨.

﴿ولا تيا فى ذكرى﴾ أى لا تقصرا فى ذكرى وعبادتى وطاعتى التى من أهمها تبليغ الرسالة

﴿ادها إلى فرعون﴾ لما أمرهما أولاً بالذهاب مطلقاً بيّن لهما هنا أن لذهاب إلى فرعون.

﴿طعى﴾ . تجاوز الحد فى الطلم.

﴿قولا لبنا﴾ أى لا عى فيه ولا عظة بيت بمصه أيتى (١٨، ١٩) من سورة التارعات صفحة ٧٩٠.

﴿قالا ربنا إنا نحاف﴾ إلخ إذا رجعت إلى أيتى (٢٣، ٢٤) من سورة القصص صفحة ٥١١ تعلم أن موسى عليه السلام عندما ناداه ربه أول مرة وأمره بالذهاب إلى فرعون أظهر عليه السلام حوجه من حيروت فرعون، وطمانه مباحاه فسكنت نفسه ولما رجع وبُلغ أحاء هارون بأن الله عز وجل أرسله معه إلى فرعون وكان هارون يعلم من طعيان فرعون وشدة عيظه من موسى مالم يعلمه موسى لعيبته مدة عشر سنين وهى الفترة التى قصاها بمدين، حملهما هذا على أن يظهرأ حدرهما لريهما لعله يريد هما طمأنينة يتحصنان بها عندما يعاجنهما فرعون وجنوده بالحيروت والنفى فقالا ربنا إنا... إلخ

﴿يمرط علينا﴾ أى يعجل علينا بالقتل، وأصله من قولهم فرس فارط إذا سبق غيره، انظر الآية (٦٢) من سورة النحل صفحة ٢٥٢. ﴿يطعى﴾ المراد يرداد تجاوزاً للحد فى الإساءة إلينا.

المعنى . رددناك إلى أمك بحقيقا لوعدا لها في الآية (٧) من سورة القصص صفحتي ٥٠٦، ٥٠٧ لنسر ولا تحزن بعد ذلك أبدا . ومما منى به عليك أبا يحيىك من العم حين قتل الرحل القبطي، وعاملتك معاملة المحترم لتجلى حقيقتك التي أهلتك لتكون رسولا فعلا معك ذلك بأروع لمتى كما حصل لك عند هربك من مصر مفارها لأهلك سائرا على رجلك لمساهاات الطوية مع عدم ثراد، وتأخير نفسك لرعى العم، إلى غير ذلك وبعد تلك الصفة مكثت مدة عشر سنين في أهل مدين كما في الآية (٢٧ إلى ٢٩) من سورة القصص صفحتي ٥١٠، ٥١١، ثم جئت على وفق الوقت الذي قدرته لأحملك رسالتى دون تقدم عليه أو تأخر عنه، ولولا توفيقى لما تم ذلك، وجعلتك من خواصى لتحمل رسالتى اذهب أنت وأحوك هارون مستدلاً على صدقكما باياتى ولا تعرضا في عبادتى وطاعتى اذهبيا بذلك إلى هرعون لأنه تحاور الحد هبلعاء رسالة ربكما بأسلوب لين أول الأمر حتى لا يماجا بما يضره، فإد تحبر وتكبر فويل عمله بما يليق به كما في الآية (١٠٢) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٨، والآية (٢٢) من سورة الشعراء صفحة ٤٨١، راجين أن يتذكر عظمة ربه أو يحاف عذبه قال موسى وهارون بعد أن بلغه موسى تكليف ربه ياربنا إنا نحاف أن يسبق هرعون بقتلنا، أو يرداد طلبه لبنى إسرائيل عموما . قال لا تعاها لأنى معكما بالحمط والنصر أسمع وأرى، فادفع شره عنكما، فأنياه فقولا إنا رسولا ربك إليك فأرسل معنا نبي إسرائيل، أى أطلقهم من لاستعباد، ولا تعذبهم بالقتل والتسكير في الأعمال الشاقة، وإما بدأ بهذا الطلب دون دعوة هرعون وقومه إلى الإيمان لأنه أسهل في أول الأمر، فإدا أطاع انتقلا لعيره، وقد حثناك بالرهاا القاطع بصدقنا وهي المعجزة ثم رعبه في النجاة فقال والسلامة والأمان من العذاب هي الدنيا والآخرة على من اتبع هدى الله وأمر برسله . ثم انتقلا إلى تحويمه وجاء بالتحويم على أنه وحى من الله لتخف حدته عليهما فقالا إن الله قد أوحى إلينا أن العذاب في الدارين على من كذب رسله وأعرض عما جاءوا به ثم لما بلغاه ما أمرهما الله تعالى به كان من تعبده أن أعمل قولهما ﴿إنا رسولا ربك﴾ و ﴿قد حثناك بآية من ربك﴾ وقال إدا كنما رسولى ربكما همن ربكم هدا يا موسى الذى نرعمان أنه أرسلكما؟ وإما وجه الخطاب لموسى لأنه الأصل في الرسالة، قال موسى ربنا جميعا نحن وأنت هو الإله الحق الذى أعطى كل شيء إلخ

خَلَقَهُ ثُمَّ هَدَيْنِي ⑤ قَالَ لَمَّا نَالُ الْقُرْبُوبِ الْأَوَّلَ ⑥ قَالَ
عَلَيْهَا عَذْرَتِي فِي كُتَيْبٍ لَا يَصِلُ رَبِّي وَلَا يَمْسُو ⑦
الَّذِي حَمَلَ نَحْسَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا ⑧ وَسَلَّكَ لَكُمُ مِثْلَ
سُلَا وَأَرْزَلَ مِنَ الشَّعَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ⑨ أَرْزُوجًا مِنْ
نَبَاتٍ شَتَّى ⑩ كُلُّوْا وَأَرْزَعُوا تَعْمَكُمُ إِنِّي فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِلْأَوَّلِ آخِرِ ⑪ مِنْهَا خَلَقَكُمْ وَفِيهَا
يُعَذَّبُكُمْ وَمِنْهَا أُنْخِرُكُمْ نَارَ الْأُتْرَى ⑫ وَتَقْدَرُ لَكُمْ
عَائِشَاتُ كُلِّهَا مَكْدُوبٌ وَإِنْ ⑬ قَالَ جَنَّتٍ يُخْرِجُ مِنْ
أَرْضٍ بِمِخْرَكٍ يَنْمُوتُ ⑭ فَلَمَّا بَلَغْتُمْ مِخْرَجَ مِثْلِهِ
فَاحْمِلْ يَدَيَا وَيَسَّكَ مَوْعِدًا لَأَعْلَفُهُ لَحْمٌ وَلَا أَنْتَ
مَكَانًا سَوًى ⑮ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الرِّيسَةِ وَإِنْ يَخْتَرُ
الْأَنْسُ مَحْصًى ⑯ قَوْلُكُمْ رَوْعُونَ لِحَمِّكُمْ كَيْدُكُمْ ثُمَّ ⑰

المفردات ١: ﴿خلقه﴾ : أصل الخلق
مصدر بمعنى الإيجاد، وأريد به هنا اسم
المفعول أي مخلوقاته تعالى، وهو مفعول أول
لأعطى، قدم عليه المفعول الثاني.

﴿كل شيء﴾ : لأنه المقصود بالامتثال.
﴿بال﴾ : أصل البال الأمر المهم، والمراد به
هنا الحال.

﴿في كتاب﴾ : هو اللوح المحفوظ.

﴿لا يصل ربي﴾ : أي لا يخطئ في شيء
مما فيه. ﴿مهدا﴾ : أصل المهد مكان راحة
الصبي، والمراد كالمهد في الراحة فيها.

﴿وسلك لكم﴾ : أصل السلوك الدحول في الطريق. يقال سلكت الطريق وسلكت فلانا فيه!
فمن الأول آيتي (٦٩) من سورة النحل صفحة ٢٥٤، و (٢٠) من سورة نوح صفحة ٧٦٩، ومن
الثاني آيتي (١٢) من سورة العنكبوت صفحة ٢٣٨، و (٤٢) من سورة المدثر صفحة ٧٧٧.
والمعنى المراد هنا: هيا لكم فيها طرقا.

﴿سبلا﴾ : جمع سبيل أي طريق.

﴿فأخرجنا به﴾ : أصل كلام موسى فأخرج، ولما حكاه سبحانه عنه سبب الإخراج إلى
نفسه تعالى تسميها لما فيه من كمال القدرة، انظر الآية (٦٠) من سورة النمل صفحة ٥٠١،
والآية (٢٧) من سورة فاطر صفحة ٥٧٥.

﴿أرواحا﴾ : أي أصنافا.

(١) كتاب	(٢) أرواحا	(٣) إيمانكم
(٤) لآيات	(٥) خلتكم	(٦) أرواحا
(٧) نباتا	(٨) يا موسى	

﴿مثنى﴾ : جمع شئت كمريض ومريض أى محتلة.

﴿آيات﴾ : أى أدلة على وجود صانع قادر حكيم.

﴿لألى﴾ : أى أصحاب.

﴿النهى﴾ : أى العقول الناهية عن القبيح، ومعه نهية بضم فسكون

﴿لتخرجنا من أرضنا﴾ : أى لتغلب على مصر حتى تخرجنا منها

﴿موعدا﴾ : الموعد مصدر معناه الوعد، ويراد به الاتفاق على شيء وهو هنا رمز الاجتماع بدليل قوله بعد ذلك موعدكم يوم الزينة.

﴿مكان سوى﴾ : أى فى مكان من الأرض ممنون لا ارتفاع فيه ولا انحناء حتى يمكن جميع الحاضرين من المشاهدة.

﴿الزينة﴾ : أى زينة الناس فيه لأنه يوم من أعيادهم المشهودة

وروى بعضهم أنه يوم وفاء النيل ومارال معروفا هى مصر إلى الآن.

﴿أن يحشر الناس﴾ : مثول بمصدر معطوف على الزينة، أى ويوم حشر الناس وجمعهم ضحى.

﴿كيد﴾ : أصل الكيد التدبير الحمى، والمراد هنا ما يكيد به لحصومه من السحرة وغيرهم كما سنأتى فى آيتى (٦٤، ٦٩) صفحة ٤١١.

العمنى . أعطى سبحانه مخلوقاته كل ما يحتاجون إليه فى حياتهم، ثم هداهم إلى طريق الانتفاع به، انظر الآية (٣٤) من سورة إبراهيم صفحة ٢٢٥.

ولما أدرك فرعون قوة الدليل على بطلان دعواه الربوبية، وحاف أن يفهم الناس ذلك، نقل الكلام إلى أمور يمكن الحدل فيها فقال إذا كنت رسولا فأحترنى عن حال الأمم الماضيه وما حصل لهم. فأعلق موسى عليه هذا الباب بقوله. علمها عند ربى لأنه من العيب الذى لا يعلمه سواء، وإبنا أنا عند مثلك لا أعلم إلا ما يعلمنى ربى، وعلم هذه الأمم مثنت هى كتاب محفوظ

لا يحطئ ربي في شيء مما فيه ولا ينمأ؛ ربي هذا هو الذي جعل لكم الأرض مهاداً وجعل لكم فيها طرقاً. وأنزل من جهة السماء ماء، فأخرج به أنواعاً مختلفة من النباتات، قائلاً كلوا، من حبوبها وثمارها، وارعوا أنعامكم في حشائشها، إن في هذا الصنع اليديع لأدلة على وجود صانع حكيم يستمع بها أصحاب العقول السليمة، وقائلاً سبحانه أيضاً من هذه الأرض خلقاكم، وفيها مفيدكم بالموت، ومنها نخرجكم مرة أخرى للبعث والحساب.

ثم قال سبحانه تميمًا لما جرى بين موسى عليه السلام وفرعون. ولقد أربنا فرعون أدلة وجودنا وصدق موسى كلها حين طلبها كما في الآية (١٠٦) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٩، وآيتي (١٠٧، ١٠٨) وما بعدهما من نفس السورة تدل على أنه لم يُره قبل جمع لسحرة عبر آيتين العصا واليد، وإنما جمعتهما هنا لأنهما في قوة آيات كثيرة لما اشتملتا عليه من عبر تكفي الواحدة منها لإيمان أقسى الناس قلباً.

والتعبير بالجمع عن الواحد والاثنين لما فيه من المزايَا معهود عن العرب، فسمه قولهم، فليمن على الله بمستكر أن يجمع العالم في واحد، وقوله سبحانه ﴿إِن إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ فالعصا كان يكس في إعجارها أن تتحرك وهي على حالها، أو تتقلب ثعباناً صغيراً بجسمها بدون حركة، أو ثعباناً يتحرك ببطء، إلى غير ذلك، لكنّها انقلبت إلى ثعبان صخم سريع الحركة كأنه جان، انظر ما سبق في الآية (٢٠) من هذه السورة صفحة ٤٠٧، وهذا غير ما حصل فيما بعد من ابتلاعها تلالاً من الحبال والعصى مع بقاء حجمها كما هو.

وبعد ما رأى فرعون هذه الآيات كذب موسى من شدة عداؤه وأبى الإيمان لقوة عتوه، وقال هل جئنا لتخرجنا من أرض مصر بمحرك وتتحكم فيها؟ فوعرتي لأتيتك بسحر مثل سحرك يملبه، فاصرب بيننا وبينك وعداً لا يحطه نحن ولا أنت ونجتمع في مكان مستو، قال موسى رمى وعدكم بزم الرينة وحشر الناس فيه ضحى. فأعرض فرعون عن موسى فجمع ما يكيد به من السحرة وآلاتهم ثم أتى به في الموعد.

قَالَ لَمْ نُمِثْ لَكُمْ وَبَيْنَكُمْ لَا تَعْتَدُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبٌ فِئْتَكُمْ
بِعَذَابٍ وَمَنْ خَافَ مِنْ آفَاتِكُمْ ① فَاسْتَعِذْوا مِنْهُمْ
بِاسْمِ اللَّهِ وَأَسْرُوا النُّجُوى ② قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا نَسِيْرٌ
يُرِيدُ أَنْ يُبْرِجَ مَا فِي آرَامِكُمْ بِمِغْرِمَةٍ وَبَدَّهَا
بَطْرِيسِكُمْ أَنْتَقَلَى ③ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ اسْأُوا صَاعًا
وَقَدْ فَتَحَ آيَهُمْ فِي السَّمَاءِ ④ فَقَالُوا يَنْمُوتُ وَإِنَّمَا
تُنْبِئُ وَإِنَّمَا أَنْتُمْ كُفْرٌ أَوَّلُ مَنْ أَنْبَأَ ⑤ قَالَ نَزَّ أَنْفَرًا
فِيهِ رِجَالُهُمْ وَمِصْبَاهُهُمْ يُجِئُ إِلَيْهِ مِنْ جَرِيمَةٍ أَلْبَا
تُسْعَى ⑥ فَارْجِعْ فِي نَفْسِهِ جِبَةً مُوسَى ⑦
فَلَمَّا لَاحَظَ أَنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ⑧ وَتَرَى مَا فِي يَمِينِكَ
تَنْقُصُ مَا سَمِعْتَ إِنْ سَمِعْتَ كَيْدَ نَجِيرٍ وَلَا يَقْلُحُ
السَّيْرُ حَيْثُ أَنْ ⑨ فَانْزِلْ السَّمَاءَ حَتَّى تَقُولَ مَا أَنْتَ

المفردات : «وبلكنكم» : الويل : الهلاك.
والمراد أهلككم الله. «لا تعتروا» : لا تحرعوا
في الكذب على الله. «فيسحقكم بعذاب» :
يهلككم بعذاب الإلهاء

«أسروا النجوى» : أحصوا تقاجيهم عند
النظر في الأمر. «إن هذان لساحران» : إن
حرف نفي بمعنى (ما) ولام «لساحران»
بمعنى (إلا) أي ما هذان إلا ساحران.
«ويذهبها بطريقنكم» : أي يذهبها، انظر
الآية (١٧) من سورة البقرة صفحة ٥، وأرادوا
بالطريقة ما كان عليه فرعون من اعتقادات
وأعمال جعلته بمنعرج بأن له ملك مصر، انظر
آيتي (٢٩، ٣٦) من سورة غافر صفحة ٦٢١.

والآية (٥١) من سورة الزحرف صفحة ٦٥٢ «المتلى» : مؤث الأمتل بمعنى الأفضل أي
الأفضل من غيرها «اجمعوا كيدكم» أي اعرموا وأنتم متمفون على ما تكيدونهما به، انظر
الآية ٧١ من سورة يونس صفحة ٢٧١، والآية (١٥) من سورة يوسف صفحة ٣٠٤. «ثم اتوا
صاعا» أي مصطلمين لأنه أهيب في بعض الجمهور. «استعلى» طلب العلو بالعلبة على
حصنه «بحيل إليه من سحرهم» يقال إن فرعون وعلاء لما راوا في مجلسهم الحاص أن
عصا موسى صارت ثعبان كما في الآية (١٠٧) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٩ صحكوا منه كما
في الآية (١٧) من سورة الزحرف صفحة ٦٥٢ طائين أن ما حصل نتيجة سحر تعلمه موسى
ليوهم الناس أنه رسول، فأمر فرعون بجمع علمائه الذين يتقنون صفة الشعوذة كما في الآية
(١١٢) من سورة الأعراف صفحة ٢١٠، فلما حصروا وعلوموا بما حصل طلبوا كما فعل فرعون،
وظنبوا آخر إن علموا موسى كما في الآية (٤١) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٢، فلما أجابهم
لطلبهم صعدوا حبالا وعصيا محوكة على شكل حيات وحشوها رثيقا لتتحرك إذا عصت أقل
حرارة

﴿فأوحى في نفسه﴾ أي أصمّر الخوف في نفسه ﴿تلعف﴾ أي تبتلع بقوة وسرعة ﴿صموا﴾ هذا يدل على أن سحرهم كان تحييلاً تعلموه كما تتعلم الصمّة، وأنه لا حقيقة له. انظر الآية (٦٦) المتقدمة هنا، والآية (١١٦) من سورة الأعراف صمحة ٢١٠ ﴿فألقى السحرة سجداً﴾ أي هالقت سطوة المعجزة المسحرة على وجوههم سجداً خاصمين لله، والمراد أن معرفتهم أن هذا هو الحق أحصتهم له بقوة وقد أيقنوا بأن موسى نبي لا ساحر

المعنى . فلما جاء السحرة في الموعد المحدد قال لهم موسى أهبكم لله إهلاكاً فلا تجرموا على بسطة الكذب إليه تعالى بدعواكم أن معجزاته سحر فإني أخشى أن يميحكم بعباب وقد حاب كل من افتري على الله كذباً وعندما سمعوا من موسى هذا التهديد الشديد تنازعوا في الأمر الذي أريد منهم، وبالموا في إحصاء كلامهم عن الجميع، وكان تنازعهم أن بعضهم قال ما هذا بقول ساحر، فإن علينا اتيماء، وبعضهم يعارض، وأخيراً قال بعضهم لبعض ما هذان الرحلان أي موسى وهارون إلا ساحران يريدان أن يخرجاكم من أرض مصر بالاستيلاء عليها بسبب سحرهما الذي أظهروه لكم أولاً، ويذهباً لطريقتكم المصلى، وإذا كان الأمر كذلك فاحرموا أمركم الذي تكهدو بهما به، وادخلوا إلى الميدان صمماً واحداً حتى تدخلوا المهابة في موسى الجميع، وقد هار اليوم من علب خصمه. ثم قالوا ملاحظين أدب المعاملة: يا موسى إما أن تلقى ما منك أو يكون نحن أول من ألقى فجمال موسى أيضاً فقال بل ألقوا أنتم، هالقوا جميع ما أحصروه من حبال وعصى، فموجى موسى بتحيلة أن حبالهم وعصيتهم تسمى كالحيات بسبب إتقان سحرهم، ولما لم يكن موسى يعلم حقيقة السحر ورأى حبالهم وعصيتهم تتحرك كما تتحرك عصاه، أخفى في نفسه الخوف من أن يحمى الحق على الناس ويظنوه قد علب لأنهم رأوا عصى المسحرة وحبالهم تتحرك كما تحركت عصاه أول الأمر أمام فرعون، ولم يكن يعلم إلى تلك اللحظة أن عصاه منتقف ما صنعوا عند ذلك جاء الوحي قائلاً له ﴿لا تحف بك أنت الأعلى﴾ بحقك على باطلهم، وألق عصاك التي هي يمينك تبتلع كل ما صنموه من أكوام الحبال والعصى مع بقاء جسمها كما هو، لأن ما صنموه مكيدة ساحر، ولا يطلع الساحر في أي مكان حل فيه، فلما ألقى موسى عصاه وابتلعت كل ما صنموه، أيقن السحرة أنه نبي صادق وما هو بساحر، فحملهم بقيتهم هذا على السجود لله توبة قائلين آمنا .. قال الريحشري ما أعجب أمرهم! ألقوا حبالهم وعصيتهم أولاً للكفر والجحود، ثم ألقوا رعوهم بعد لحظة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الإلقامين.

رَبَّنَا هَارُونَ وَمُوسَى ۖ قَالَ أَسْمَ لَهُ قَتْلُ أَنْ عَادَى
 نَكَرَ إِيَّاهُ لَكِبَرُكَ الَّذِي عَلَمَكَ الْبَحْرَ مَلَامِطٍ
 أَبْدَيْكَ وَأَرْجُوكُمْ مِنْ حَيْثُ وَلَا صَبْرَ لَكُمْ فِي جُوعٍ
 أَنْحَلٍ وَتَعْلَسُ أَيْتَا أَشَدَّ عَذَابًا وَأَنْسَ ۖ قَالُوا لَنْ
 نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَانْصَبْ
 مَا آتَتْ قَدَمُ يَوْمٍ نَفْثُ فِيهِ الْخَيْلُ الْفَجَاءُ ۖ
 وَنَا مَا رَأَيْتَ بِمَعْرَبٍ حَظِيئًا وَمَا كَرِهْنَا عَلَيْهِ
 مِنَ الْبَحْرِ وَكَفَّ حَبْرًا وَمَا ۖ يَوْمَ يَأْتِ رَبُّهُ
 تُخْرِجُهُمْ مِنْهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ لَأَمْثَلُ مِنْهُمْ وَلَا يُخْرِجُ ۖ
 وَمَنْ يَأْتِهِمْ مُؤْمِنًا فَمَا تَعْمَلُ الْفُتُوحُ قُلُوبُهُمْ
 الدَّرَجَاتُ أُنْزِلَتْ ۖ حَتَّى تَعْلَمَ تَحْرِيْرُ مِنْ تَحْيَا
 الْأَنْهَارُ خَلِيلِينَ فِيهَا وَذَلِكَ حَرَاءٌ مِنْ رَحْمَتِكَ ۖ

المضردات : «يرب هارون وموسى» : هي
 آيتى (١٢٢) من سورة الأعراف، و (٤٨) من
 سورة الشعراء صفحتى ٢١١، ٤٨٣ تقديم
 موسى، ويظهر أن بعضهم قدم موسى لأن
 الرسالة له أولا، وآخرون قدموا هارون لأنه
 أكبر سنا، فحكى سبحانه كلا من القولين فى
 موضعين.

«من خلاف» : أى مختلفات : يد من جهة
 ورجل من أخرى، انظر الآية (١٢٤) من سورة
 الأعراف صفحة ٢١١.

«مؤثرك» : تمصلك ونقدمك.

«والذى فطرنا» : معطوف على «ما».

فى «ما جاءنا» أى وعلى الذى فطرنا أى خلقنا.

- (١) هارون
- (٢) أستم
- (٣) أنس
- (٤) خلاف
- (٥) البيئات
- (٦) الحياة
- (٧) أما
- (٨) حطايانا
- (٩) الصائنات
- (١٠) الدرجات
- (١١) جنات
- (١٢) الأنهار
- (١٣) حالسين

﴿هاقص﴾ أى اصنع، انظر الآية (١٢) من سورة فصلت صمحة ٦٣١.

﴿وما أكرهتنا عليه﴾ يظهر أن فرعون كان فيما يعتمد عليه هي تصليل الناس السحر، وكان يكره بعض العلماء على إتقانه، وأبهم كانوا يعلمون أنه تصليل ممقوت، وكانوا يعملونه حوها من بطش فرعون.

﴿تزكى﴾ : أى تظهر من أنجاس الكفر والمعاصي.

المعنى . أسرع السحرة بالسجود لله تعالى قائلين أما برب هارون وموسى.

قال بعضهم إن السحرة بعدما ألقوا حيالهم للكفر والجحود سرعان ما ألقوا رموسهم للشكر والسجود.

قال فرعون هل يصح أن تؤموا لموسى أى تصدقوه قبل أن أدن لكم، وما فعلتم ذلك إلا لأنه معلمكم الذى علمكم السحر، وعرتى لأقطعن أيديكم وأرجلكم من جهتين مختلفتين، ولأربطنكم بعد ذلك على جذوع النخل لتسام الكاية بكم، ولتعلمن أننا نحن وإله موسى أشد عذابا وأدوم.

قال السحرة لن نفضلك وبختارك على ما صبح لنا من البراهين القاطعة على صدق موسى وعلى ربنا الحق الذى خلقنا، فاصنع ما أنت صانع مما تهددنا به فلن نبالى بك، لأنك لا تستطيع أن تصنع ما نريد إلا هي هذه الحياة المائية التى لا تساوى عندنا شيئا! لأننا أما برينا ليممر لنا حمليانا، ومنها عمل السحر الذى أكرهتنا عليه، والله حير منك ومن كل ما فى هذه الحياة وأبقى، أما غير هرائل. ولم يثبت من طريق صحيح ما يدل على أن فرعون فعل بهم ما هدهم به، والظاهر أنه جبن حوها كما جبن عن قتل موسى عليه السلام مع حرأته السابقة على تقتيل بنى إسرائيل.

ثم أيد سبحانه كلامهم بقوله - ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُحْرَماً﴾ إلخ

أى إن الأمر الثابت أن مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ يوم القيامة مُحْرَماً بأن يموت على الكفر والمعاصي فإن له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيا حياة هنيئة. وَمَنْ يَأْتِهُ مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلا، أى المنازل الرهيمة. وبيَّنها بأنها جنات عدن تجري من تحت قصورها الأنهار حائدين فيها، وذلك جراء مَنْ طَهَّرَ نفسه من أوساخ الكفر والمعاصي.

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِمِائِدِي فَأَصْرَبَ لَمْ
يَخْرُجْ فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ٥٧
فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُودِهِ فَفَشِلُومٌ مِّنَ الْيَمِّ مَخْلِبُهُمْ ٥٨
وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ٥٩ بَشَرًا يَّسْرًا إِلَىٰ
قَدْ أَفْجَيْتَكُم مِّنْ عَذَابِكُمْ وَعَدَّتْكُمْ جَلْبَ الطَّيْرِ الْأَيْمَنِ
وَرَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمُنَّ وَالسُّلُومَ ٦٠ كَلَّا مِنْ طَبَقِ
مَارْرَقَتِكُمْ وَلَا تَطْمَؤُنَّ بِهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ عَصَىٰ وَمَنْ
يَحِلَّ عَلَيْهِ عَصَىٰ فَقَدْ هَوَىٰ ٦١ وَإِلَىٰ لَعْنَتَيْنِ نَابَ
وَأَسْ وَفِيهِ صُلْبًا ثُمَّ أَهْدَىٰ ٦٢ وَمَا أَهْلَكَ عَنْ
قَوْمِكَ بِمِصْرَيْنِ ٦٣ قَالَ هُمْ أَرْأَوْا عَلَىٰ أَثَرِي وَجَعَلْتُ
إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْصُنَ ٦٤ قَالَ فَلَمَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ
بَيْنِكَ وَأَصْلَهُمُ الْيَمِينُ ٦٥ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ

المعصيات :- «فأصرب لهم» : أى اجعل لهم، من قولهم ضرب له فى ماله قسما، انظر كيف حصل فى الآية (٦٣) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٤. «يبسا» : اصله مصدر وأريد اسم الماعل أى يابساً. «دركا» : اسم من الإدراك بمعنى اللحق. «ففسلهم» : أى غطاهم «اليم» : الماء الكثير عذبا كما فى الآية (٢٩) من هذه السورة صفحة ٤٠٨ او ملحا كما هنا. «ما غشبههم» : أى ماء لا يعلم مقداره إلا الله.

«وواعدناكم جانب الطور الأيمن»

أى وواعدنا رسولكم موسى لتلقى التوراة و «الأيمن» صفة للجانب.

«المن والسلوى» : العسل والطير، انظر الآية (٥٧) من سورة البقرة صفحة ١١.

«أعجلك عن قومك» : أى، أى شيء جعلك تسبق قومك الذين اخترتهم للحضور معك

لتلقى التوراة.

«على أثرى» أى سائرون على أثرى، أى فى طريقى، والمراد لاحقون بى بلا إبطاء، انظر الآية (٤٦) من سورة المائدة صفحة ١٤٦. «فتنا قومك» : معنى العنت الامتحان، انظر الآية (٤٠) من هذه السورة صحتى ٤٠٨، ٤٠٩، والمراد امتحانهم بالمسامرى ليظهر راسخ الإيمان والمرعزع الذى يحتاج إلى رعاية فتحوطه يا موسى بملاحظتك ولا تبتعد عنه كثيرا. ولو قال

سبحانه هبنا قد فتنا قومك إلح بدون ذكر الماء لكان الكلام سائرا في طريقه فما الحكمة في زيادة الماء في قوله ﴿هبنا قد فتنا﴾.. إلح قال الألوسي ما معناه جاءت هذه الماء لتعيد بيان السبب في السؤال السابق كأنه سبحانه يقول لموسى احتسرس بعد الآن من البعد عن قومك، وإهمال أمرهم، لأي سبب من الأسباب، هبناهم لعدائهم عهدهم بانباغك، ومريد بلاهتهم وحماقتهم يتمكن الشيطان من المكر بهم فيصلهم، فإن القوم الذين تركتهم مع احبك هارون قد فتوا وأضلهم السامري بمحرد حروحك من بينهم فكيف أمست على هؤلاء الذين جاءوا معك وتركتم حاكمك؟

﴿السامري﴾ . قال بعض أدعياء المسيحية إن (سامري) نسبة إلى (السامرة) وهي بلد بفلسطين لم توجد إلا بعد موت موسى بعدة سنين، فكيف يسبب إليها رجل كان مع موسى؟ وهذا تصنيف مكشوف لأن في العهد القديم عندهم رجل اسمه (شمرون) بن ياسر بن يعقوب، وله أولاد كثيرون يطلق عليهم (الشمرويون) فالسامريون الذين منهم السامري هم أولئك الشمرويون.

والذين يعلسون تقريب الألفاظ العبرية يحدون المعربين يبدلون الشين العبرية بالسين المهملة، حتى أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى أنفسهم الذين يطقون العربية يعربون شين العربية سينا، فموشى عربوه (موسى)، ويشوع عربوه (يسوع) أو عيسى كما سماه القرآن، فالسامري هذا إسرائيلي من أولاد (شمرون) حميد (يعقوب)، وكان مناهقا يظهر الإيمان بموسى ويظهر الكفر، وليس هذا عربيا على بني إسرائيل، فقد كان (قارون) من قوم موسى، انظر الآية (٧٦) من سورة القصص صمحتي ٥١٧، ٥١٨، ومع ذلك أعلن الكفر بموسى مع فرعون، انظر آيتي (٢٣، ٢٤) من سورة غافر صمحة ٦٢٠ ووجود (ال) في السامري هنا ومجيئه بدون (ال) في الآية (٩٥) الآتية صمحة ٤١٥ يفيد أن له اسمًا علمًا غير ذلك فقيل إن اسمه (موسى) وقيل (هارون) والله أعلم.

المعنى لما تأمر فرعون وقومه على قتل موسى ومن معه كما قصه الله تعالى في آيات (٥٢ إلى ٦٢) من سورة الشعراء صمحتي ٤٨٢، ٤٨٤، أوحى سبحانه إليه أن يحرح بني إسرائيل ليلا، فإذا وصل البحر الأحمر بصريه بعصاه فيجعل لهم فيه طريقا يابسا يسهل السير فيه

حال كونه لا يحاف أدراك فرعون لهم ولا يخشى غرقاً، وسهل على موسى تنبيه قومه أنهم كانوا متجاورين، انظر الآية (٨٧) من سورة يونس صفحة ٢٧٩، فلما علم فرعون بخروجهم أول الليل أتبعهم ومعه جنوده قريباً من الصبح كما في الآية (٦٠) من سورة الشعراء صعدة ٤٨٢، فلما وصلوا البحر وجدوا به طريقاً يأبسا فدخلوا فيه، فأنطبق عليهم الماء بكثرة هائلة فهلكوا جميعاً، وبذلك تبين أن فرعون كاذب في قوله وما أهديكم إلا سبيل الرشاد، انظر الآية (٢٩) من سورة غافر صفحة ٦٢١ فقد أصلهم وما هداهم إلى خير.

وكان بين دخول يعقوب وأولاده مصر ليحتملوا بيوسف وبين خروج ذريتهم مع موسى نحو أربعمئة سنة، وبلغ عددهم عند خروجهم ستمائة ألف، وقال سبحانه حملاً لهم على شكره، يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم فرعون، ووعدناكم جانب الطور الأيمن ببزّال التوراة، ونزلنا عليكم وأنهم في صحارى فاحلة المن والسلوى، وقلنا لكم كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطمأؤا فيما رزقناكم بالتمريط في شكره فيعمل ويستعق عليكم غضبي، ومن يحلل عليه غضبي فقد سقط في هاوية ما لها من قرار، وهلك هلاكاً أبدياً.

ثم فتح باب التوبة فقال: وإنى لكثير المعصية لمن تاب توبة بصوحا عن الشرك، وآمن بكل ما يجب الإيمان به، وعمل الصالحات المطلوبة منه، ثم استقام على الهدى بقية حياته، وكان موسى عليه السلام قد أسرع إلى مكان المجازاة وسبق رفاقه هلامه سبحانه بقوله:

﴿وما أعجلك عن قومك﴾ المراد أن من أدب الرفقة إلا يفارق الرئيس أتباعه لما في ذلك من انشغال البال أو ظن الإهمال، فضلاً عن تعريضهم للعب الشيطان بمقول ضعاف الإيمان منهم، فسارع موسى إلى الاعتذار بأنهم حاصرون حالاً لأنهم قرييون منه، وبين سبب عجلته بأنه ظن أن المصارعة إلى الوفاء بالعهد والحرس على الوعد ترضى ربه.

قال سبحانه: يا موسى إنا قد امتعنا قومك الذين تركتهم مع أخيك هارون من بعد فراقك لهم، فظهر أن فيهم ضعاف الإيمان، فأصلهم المماصرى المتناقق حتى عبدوا العجل الذى صنعه لهم من الذهب ولما تلقى موسى ألواح التوراة رجع إلى قومه...

عَضُّسُ أَيْمًا قَالِ يَقُومُ أَلَمْ يَدْعُكَ رُسُكَ وَعَدَا حَسًا
أَطَالَ عَيْبُكَ أَلْمَهُدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحْمِلَ عَيْبُكَ عَصَبُ
مِنْ رَيْبِكَ فَاحْلَقْتُمْ مَوْعِدِي ٥٦ قَالُوا مَا أَحْلَقْنَا مَوْعِدَكَ
بِمَلِكَا وَنَكَيْتَا حَيْلًا أَوْرَارًا مِنْ رَيْبَةِ أَنْقَرِمٍ قَدَّ قَتْنَهَا
فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ٥٧ فَأَتْرَحَ لَهمْ عَمَلًا جَدًّا
لَمْ حُورًا مَقْلُوبًا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِنَّهُ مُوسَى قَبَسَى ٥٨
أَعْلًا يَرُودُ أَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهمْ ضَرًّا
وَلَا نَقْمًا ٥٩ وَلَقَدْ قَالَ لَهمْ هَنُورُونَ مِنْ قَبْلِ يَنْقُومِ
إِلَهُكُمْ فَيَنْتَمِ بِهٖ وَإِنْ رُسُكُ الرُّحْمَرِ فَأَتَّبِعُونِ وَالْطَّبْعُ
أَمْرِي ٦٠ قَالُوا أَلَمْ تَرْجِ عَلَيْهِ عَيْنَيْنِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا
مُوسَى ٦١ قَالَ يَنْهَرُونَ مَا مَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ صَلُّوا ٦٢
أَلَا تَتَّبِعِي أَفْعَصَبْتَ أَمْرِي ٦٣ قَالَ يَسْؤُمُ لَنَا نَحْلُ

الممردات :- «أصفاء» : شديد الأسف
والحزن. «وعدا حسانا» : بإعطائكم التوراة
التي فيها هدى وبور. «المهد» : أى زمن
بمعدى عنكم. «موعدي» : المراد وعدكم لى
بالثبات على ديبى إلى أن أرحع من المبهقات.
«بملكنا» . أى بملكنا أمراء، والمراد
باختيارنا. «حملنا» : المراد أميرنا بأن
نعمل. «أورارا» : جمع وزر وهو العمل
الثقل.

«من زينة القوم» : أى حلى القبط، وكانت
نساء بنى إسرائيل استعارت كل واحدة منهن
حلى جارتها القبطية وهربوا به ليلًا، جاء فى

التوراة فى سفر الخروج الإصحاح الثالث رقم ٢١ ما يدل على أن الله سبحانه أمر بنى
إسرائيل بأن تستمير نساؤهم من نساء المصريين حليهن ثم يسلبنه منهن، ولعل ذلك عقابًا من
الله للمصريين على ما فعلوا ببني إسرائيل من الاستعباد وأخذ الأموال وقتل الأولاد... إلخ.
«فقدناها» : أى طرحناها فى النار حسب أمر السامري. «فكذلك ألقى السامري» : أى
ألقى ما معه أيضا فى النار.

«جسدا» - أى مجرد جسد لا روح فيه أو أحمر بلون الزعفران. قال المختار الجسد
جسم العاقل من إنس أو جن أو ملك والزعفران، وعجلا جسدا أى أحمر. وقال مجاهد
الجسد هو ما لا يأكل ولا يشرب، انظر الآية (٨) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢١ «حوار» : هو
صوت العجل؛ يقال إن السامري كان صائما ماهرا، فعفر حمرة فى الأرض وجعل فيها

(١) غضبان	(٢) يا قوم	(٣) فندبنا
(٤) هارون	(٥) يا قوم	(٦) عاكفين
(٧) يا هارون	(٨) يا بن أم.	

تجاويف إذا ساح الذهب فيها تشكل بصورة عجل بداخله تجاويف إذا مر فيها الهواء خرج من فمه صوت شبيه بصوت العجل.

﴿فقالوا﴾ . أي السامريّ ومنّ اتبعه من قوم موسى، انظر الآية (٥٤) من سورة البقرة صفحة ١١، وآيتي (١٤٨، ١٥٢) من سورة الأعراف صفحات ٢١٥، ٢١٦.

المعنى : . فرجع موسى من غيبته إلى قومه غضبان شديد العرن على ما حصل، وقال منكرا عليهم، يا قوم ألم يمدكم ربكم وعداً فيه مصلحتكم وهو إعطاء التوراة، فهل وعدكم فطال عليكم زمن إجاز الوعد؟ وإذا كان هذا غير صحيح فتكوبون فعلتم ما هو سبب في حصول غضب الرب عليكم بإحلافكم وعدكم لي بالثبات على الحق حتى أرجع، قالوا معتدلين ما أحلفنا موعداً باختيارنا ولكن تغلب علينا مكر السامري، ولولاه لما أحلفنا، ثم بيّنوا ذلك بقولهم: ولكننا حملنا أحمالاً ثقيلة من حلى المصريين عند خروجنا فقتلناها في النار حسب طلب السامري، وكذلك ألقى هو ما معه هيها، ثم بيّن سبحانه نتيجة فتنة السامري بقوله فأخرج ... إلخ، والمراد فأخرج السامريّ لهم من هذا الذهب صورة عجل يحرج منه صوت كصوت البقر، وقال لهم السامريّ ومنّ فتى به هذا المعج هو إلهكم وإله موسى، غفل عنه موسى فنسيه هنا وذهب يبحث عنه في جبل الطور، فأظهر سبحانه جهلهم بقوله. ﴿أهلاً يرون﴾: أي هل غفلوا فأصبحوا لا يعلمون أن هذا المعجل لا يرد عليهم سؤالاً، انظر الآية (١٤٨) من سورة الأعراف صفحة ٢١٥، ولا يملك لهم ضرراً إذا احتقروا، ولا يجلب لهم نفعاً إذا عبدوه ثم بيّن سبحانه ما جرى من هارون في عيبة موسى، وما جرى من موسى معه، فقال: ولقد قال لهم هارون من قبل رجوع موسى: يا قوم إنما فتكم السامري عن دينكم بهذا المعجل، وإن ربكم الحق هو الرحمن لا غير، فاتبعوني وأطيعوا أمرى في الثبات على الحق.

قالوا سنستمر محافظين على عبادة المعجل إلى أن يرجع إلينا موسى . وبعد ذلك التفت موسى لأخيه هارون وقال، يا هارون ما حملك على عدم اتباعي في الصلابة في الحق والغضب لله عندما رأيتم ضلوا عن الصواب، انظر الآية (١٢) من سورة الأعراف، هل سميت يا هارون ما قلته لك فعميت أمرى لك بالمحافظة على الدين ودفع الشر عنه؟ قال موسى ذلك وهو أخذ بشعر لعبة أخيه ورأسه غضباً، انظر الآية (١٥٠) من سورة الأعراف صفحة ٢١٦.

يَلْحَقِي وَلَا يَرَأِيَنِي إِلَىٰ جَنَّتٍ أُنْ تَعُولُ مَرَّتَيْنِ
بَيْنَ إِسْرَءِيلَ وَتَرَقَّبَ قَوْلِي ① قَالَ قَسَا خَطْبُكَ
يَسْمِيرِي ② قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ تُصِروا بِهِ، فَتَقَفْتُ
قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي
نَفْسِي ③ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ
لَا مَلْفَ وَإِنْ لَكَ مَوْعِدٌ لَنْ تُخَفَّفَهُ وَاطْرُقَ إِلَيْكَ إِنَّهَا
الَّذِي ظَلَّتْ عَلَيْهِ فَاكِدٌ لِمَعْرِفَةٍ ثُمَّ تَبَيَّنَ لِي أَنَّهُ
نَسَا ④ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ
كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ⑤ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ
سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ⑥ مِنْ أَمْرِ مَنْ
عَمِلَ قَابًا ثُمَّ تَحَمَّلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ⑦ خَلْدَيْنِ فِيهِ
وَسَاءَ لِمَنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِفْظًا ⑧ يَوْمَ يُفْعَلُ فِي الصُّورِ

المصدرات : «ولم ترقب قولي» : أي لم
تراعاه وتحافظ عليه.

«ما خطبك» : أصل الخطب الأمر
الخطير، والمراد ما هذا الأمر الخطير الذي
صدر منك.

«بصرت» : أي فطننت وعلمت.

«قبضة» : أصلها المرة من القبض وأريد
بها الشيء المقبوض.

«من أثر الرسول» : المراد به هنا موسى
عليه السلام، وأثره سنته، وإنما خاطب موسى
خطاب الفائب رهبة منه كقول مخاطب
الملك: ما قول الملك في كذا؟

«فنبذتها» : طرحتها.

«سولت لي نفسي» : أي زيت وحسنت «تقول لا محاسن» : المراد لا محالطة، والكلام
كناية عن الدعاء عليه بأن يعيش طريدا مكروها من الجميع.

«وإن لك موعدا» : تعاسب فيه في الآخرة.

«إلهك» : المراد به العجل.

«ظلت» : أي مكثت.

«بحرقته» : أي نبردنه بالمبرد حتى يكون كالتراب.

«بنسفه» : نذريه في البحر.

﴿ذكر﴾ هو القرآن.

﴿وررا﴾ أصله الحمل الثقيل، ويطلق على الدنب، والمراد هنا عقوبة الدنب.

﴿وساء﴾ : قبح.

المعنى . قال هارون لموسى يا بن أمي لا تحذب شعر لحيتي وشعر رأسي، لأن عذري أسي حشيت لو قاتلت بعضهم ببعض لتمرقوا فتلومني على ذلك وتتهمني بأني لم أحافظ على قولك لي ﴿احلصني في قومي وأصلح﴾ الآية (١٤٢) من سورة الأعراف صفحة ٢١٤.

ثم أقبل موسى على السامري مكررا عليه عمله فقال: ما هذا الأمر الشنيع الذي عملته يا سامري؟ قال إني علمت من صنع التماثيل ما لم يعلموه، فبعد ما أظهرت أسي أحدث شيئا من تعاليمك جاهرت بطرحها وتركها بعد عيالك عما وكما رينت لي نفسي إظهار اتباعك زيت لي الآن ترك ذلك هذا ما نقله الألوسي عن أبي مسلم الأصفهاني وأيده بعض العلماء، والله أعلم. عند ذلك دعا عليه بأن يكون طريدا شريدا مكروها من جميع الخلق، وهذا جزاؤك في الدنيا، أما في الآخرة فإن لك موعدا يوم القيامة تجارى فيه على حرمك لي يتحلف، أما هذا المعجل الذي جعلته إنها لك وصرت مداوما على عبادته فانظر الآن ما سأصنع به، فسنبرده بالمبارد حتى يكون كالتراب، ثم ندرية في البحر حتى لا يكون له أثر، ليظهر لمن اعتبر به أنه باطل؛ إنما إنهم الحق هو الله الذي لا إله إلا هو وسع علمه كل ما يصح أن يعلم، لا المعجل الذي لا يعلم ولا يدفع عن مصه الهلاك، ثم خاطب سبحانه نبيا ﷺ بقوله

﴿كذلك نقص﴾ إلخ

أي مثل هذا القصص الذي قصصناه عن موسى وقومه نقص عليك من أخبار السابقين للمبرة كما في الآية (١١١) من سورة يوسف صفحات ٢١٩، ٢٢٠ وقد آتيناك من فصلنا كتابا فيه تدكير بكل خير، من أعرض عنه أي من أعرض عن هذا الكتاب وهو القرآن فإنه يحمل يوم القيامة عقوبة هادحة خالدا فيها، وقبعت العقوبة الشديدة حملا. ثم بين يوم القيامة بأنه يوم ينمخ إسرائيل في الصور، وهو نوح ينفخ فيه، علامة قيام الساعة.

وَيَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ رَبُّكَ ۚ يُخَفِّتُونَ بِهِمْ يَأْمُرُ
لَيْسَ إِلَّا عَشْرًا ۚ تَحِيَّاتُ الْمُسْلِمِينَ إِذْ يَقُولُ
أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَيْسَ إِلَّا يَوْمًا ۚ وَيَسْأَلُونَكَ
عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۚ فَيَذَرُهَا
قَدًا صَفْصَفًا ۚ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۚ
يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ
لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۚ يَوْمَئِذٍ لَا تَسْمَعُ
الْفُتْيَةَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَمَى لَهُ قَوْلًا ۚ
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ
بِشَيْءٍ عِندَ ۚ وَعَبَّتِ النَّجْمُ فَانْجَحَى الْقَائِمُ
وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ۚ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ
الْحَسَنَةَ يَجْعَلْهَا لَهُ الرَّحْمَنُ مِثْقَالَ زَنْجَبَرٍ ۚ وَمَنْ

المفردات :- «رزقاً» - في أبدانهم من
الهول وفي عيوبهم، فهم عبي كما سيأتي في
الآية (١٢٤) من هذه السورة صفحة ٤١٨.

«يتخافتون» : أي يخفون أصواتهم عند
التخاطب من شدة الخوف. «إن» : هي حرف
نفي بمعنى «ما». «لبيتم إلا عشراً» : أي لم
تمكثوا في الدنيا إلا عشر ليال «أمثلهم» :
أي عدلهم رأياً وأقربهم إلى الواقع. «يسمها
ربي نسفاً» : ورد في القرآن في مصير
الجبال يوم القيامة نحو (١٢) آية، وبالإطلاع
عليها بعد جمعها في صعيد واحد يعلم أن
أول ما يحدث لها عند النفخة الأولى أنها

تتفتت، ثم تتحرك من أماكنها على هيئة ذرات متجاورة كأنها صوف منفوش، ثم تتبعثر وتصير
هباء لا وجود لها انظر الآيات (٤٧) من سورة الكهف صفحة ٣٨٧، و (٨٨) من سورة النمل
صفحة ٥٠٥، و ١٠ من سورة الطور صفحة ٦٩٧، و (٥) من سورة الواقعة صفحة ٧١٣، و (١٤)
من سورة الحاقة صفحة ٧٦٢، و (٩) من سورة الماعج صفحة ٧٦٥، و (١٤) من سورة المزل
صفحة ٧٧٤، و (١٠) من سورة المرسلات صفحة ٧٨٤، و (٢٠) من سورة البأ صفحة ٧٨٧، و
(٣) من سورة التكويد صفحة ٧٩٣، و (٥) من سورة القارعة صفحة ٨١٩.

«فينزلها» : الضمير يعود على الأرض المفهومة من المقام، انظر الآية (٤٥) من سورة
فاطر صفحة ٥٧٨، أي يترك مكان الجبال. «قاعاً» : حالياً «صفصفاً» - مستويا. «عوجاً»
المراد انخفاضا. «أمتاً» : ارتفاعاً يسيراً. «الداعي» - هو داعي الله إلى المحشر وهو
إسرافيل. «لا عوج له» : أي لا يعوج في السير إليه مدعو بل يسرعون إليه من غير انحراف.
«إلا همساً» : أصله من همس الإبل وهو صوت أحفافها إذا مشيت على مكان جاف. «ما بين

أيديهم وما حلهم» - مثل ما قدمت وأخرت، انظر الآية (٥) من سورة الانقطار صفحة ٧٩٥.
 ﴿عنت الوجوه﴾: أي خضعت وخشعت. ﴿القيوم﴾: أي دائم القيام بشئون ملكه، انظر الآية (٢٥٥) من سورة البقرة صفحة ٥٢. ﴿هضما﴾: نقصا فيما يستحقه من الثواب.

المعنى . يوم القيامة نحشر المجرمين زرق الأبدان من شدة المزع، عميا يتهامسون في الحديث، يقول بعضهم لبعض: ما مكثتم في الدنيا إلا عشر ليال؛ لأنهم لما شاهدوا المزع الأكبر استقلوا مدة تنعمهم وظنوها لحظة؛ ولذا قال سبحانه: نحن أعلم بما يقولون من خطأ وصواب حين يقول أصدقهم قولاً ما مكثتم في الدنيا إلا يوماً واحداً. ثم أراد سبحانه زيادة إزعاجهم فقال ﴿ويسألونك عن الجبال﴾ أي إن سألك عن مصير الجبال الثقيل يوم القيامة وهائتها الذي تقول به يا محمد فقل لهم إن قدرة الله تتمسكها نفسها شديداً حتى تجعلها كالصوف المنموش هبترك مكانها من الأرض حالياً مستويا لا انخفاض فيه ولا ارتفاع. يوم القيامة يتبع الخلق داعي الله إلى المعشر مسرعين من غير انحراف يمنا أو يسرة، وسكنت الأصوات للرحمن هيبة وإجلالا فلا تسمع إلا حفيف الأقدام على الأرض، في هذا اليوم لا تنفع الشفاعة أحداً إلا مَنْ يَأْذَنُ في الشفاعة له الرحمن، ويرضى للشافع قوله، بأن يكون من أهل الشفاعة في غيره لرفعة منزلته عند الله. وَمَنْ يَطْلُعْ على آيات الشفاعة في القرآن يعلم أن لها شرطين:

الأول . استحقاق المشفوع له بأن يكون محل رضى الله سبحانه وتعالى، انظر الآية (٢٨) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٢.

والثاني : أهلية الشافع لأن يأذن الله له. انظر الآيات (٢٥٥) من سورة البقرة صفحة ٥٢، و٣ من سورة يونس صفحة ٢٦٥، و (٢٣) من سورة مائدة صفحة ٥٦٦، و (٨٦) من سورة الرخرف صفحة ٦٥٥. فإذا فقدت الشفاعة شرط من الشرطين لا تنفع، انظر الآيات (٨٧) من سورة مريم صفحة ٤٠٥، و (٢٣) من سورة يونس صفحة ٥٨١، و (١٨) من سورة عاقر صفحات ٦١٩، ٦٢٠. يعلم سبحانه ما بين أيديهم مما قدموه في الدنيا، وما خلفهم مما أعد لهم في الآخرة، فيجازى كلا بما يستحق ولا يعيطون هم بشيء من ذلك علماً. وخشعت وجوه الحلق لله الحي الدائم القيام على شئون خلقه، وقد خاب من حمل ظلماً في الدنيا والآخرة لأنه يحرم من رحمة الرحمن ههما، انظر الآية (٢١) من سورة الأنعام صفحة ١٦٥، أما مَنْ يعمل عملاً من الصالحات وهو مؤمن بما جاء به الرسول فهو لا يحاف ظلماً يقع عليه كطرح سيئات غيره عليه أو عقابه بدون ذنب، ولا يخاف نقص شيء من حسناته.

المصردات :- «وصيرقتا» - نوغنا.

﴿الوعيد﴾ : التعويذ من المصائب.

﴿ذكر﴾ : عذلة وعبرة.

﴿عَمَّا لِي اللَّهِ﴾ : اى ارفع وابتعد عما لا

يليق بجلاله .

﴿يَقْتَضِي إِلَيْكَ وَجْهَهُ﴾ : ای یفرغ جبریل من

إنتباه إليك.

﴿عهدنا إلى آدم﴾ : تقول العرب عهد

الملك إلى وزيره بكذا إذا أمره به، أي أمره
بعدم الأكل من الشجرة.

﴿فَتَسَى﴾ : أي ترك الامتثال، ولا يصح تفسيرها بالنسيان المعروف لأن إبليس ذكره بالنهي

ففي وقت الوسوسة؛ ويؤيد ذلك ما سيأتي من الآية (١٢١) من قوله تعالى ﴿وعصى آدم ربه

«فمؤى» وهل يقال في الدب أكثر من ذلك؟ وما أظف قول بعض العلماء ردًا على منقطع

يحاول تبرئة آدم من المعصية بصرف كلام الله عن ظاهره.

فَقَالَ لَهُ يَا هَذَا هَلْ تُطْمَعُ فِي أَنْ يَصْدَقَكَ أَحَدٌ وَيَكْذِبَ رِيهَ.

(١) أعراسه

(۲) قرآن

(۴) فضائی

(۲) آرم

(5) تلمذت

250

(۷) یا احم

تعداد (A)

(٩) الشيطان

(۱۰) یا آدم

(١١) سوابقاتها

الله سبحانه يقول ﴿وعصى آدم ربه﴾ ولم يكتب بذلك حتى أربحها بقوله ﴿فعوى﴾ وقال ﴿ولم تجد له عرماً﴾، واعترف آدم أنه بمخالفته هذه ظلم نفسه، وأنه إذا لم يقم الله له دية كان من الحاسرين؛ انظر الآية (٢٢) من سورة الأعراف صفحة ١٩٥.

واست تقول، كلا، لم يعص آدم، ولم يفو، فإذا كان لا يكفيك في إثبات وقوع المعصية من آدم إلا أن يقول الله سبحانه: (وعزتي وجلالي إن آدم عصي وغوى)، فقد ركبت شططاً، وعرضت نفسك للشك في جل أخبار القرآن! يا هذا ليمت العبرة في الأمور بالابتداء، إنما العبرة بالحاتمة والانتهاى وحاتمة آدم كانت بحير والحمد لله، حيث وقفه ربه للمصارعة بالتوبة، فاجتباء، وثاب عليه، وهداة. وكيف لا يتوب عليه الثواب الرحيم وهو لم يفعل إلا دنياً من الذنوب المعصية لها كل بشر، وقد تاب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجعله خليفة حاتم الرسل ﷺ بعد أن كان مشركاً يعبد الأصنام. وهل تريد أن تكون أحرم على آدم من ربه الذي خلقه واختاره لأن يكون أباً للبشر.

﴿عرماً﴾ : تصعيماً وثباتاً على الأمر.

﴿ولا تصحى﴾ . أى لا يصيبك حر الصبحي اللاهع. ﴿عبدت لهما سوءاً لهما﴾ . ظهرت لهما عوراتهما. ﴿طعناً﴾ أى شرعاً، ﴿بخصفان﴾ أى يلرقان، ويلصقان.

المعنى . ومثل إنزال هذه الآيات في الدقة والإحكام أنزلنا عليك الكتاب حال كونه مقروءاً بلسان العرب ليسهل على من يتحمل شريعته أولاً فهمه ليلتموه لميرهم، انظر الآية (٣٧) من سورة الرعد صفحات ٣٢٧، ٣٢٨ ونوعاً فيه من الوعيد على وجوه مختلفة، كما هي الآية (٤١) من سورة الإسراء صفحات ٣٦٩، ٣٧٠، لعلمهم يتقون الكفر والمعاصي فيتركونها، أو يحدث لهم هذا التنويع على الأقل تذكرًا واعتبارًا يقودهم إلى الهداية.

ولما كان الشرك بالله طاهر البطلان نبههم إلى اللائق بمقامه تعالى فقال ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾ أى ارتفع سبحانه عن مماثلة المخلوق؛ لأنه الملك الحق ومن عداه إلى فناء.

ولما سبق ذكر إيراد القرآن وكان ﷺ حرصا منه على حفظه وحوا من نسيان شيء منه يلاحق حبريل بالقراءة وهو يبرله عليه، وفي ذلك مع المشقة تشتيت الدهن، قال سبحانه ولا تجعل أيها النبي بقراءة القرآن من قبل أن يقضى حبريل وحيه إليك، أى بصرف من تلاوة ما يوحى إليك لأن الله صمم عدم نسيانك له كما فى الآية (٦) من سورة الأعلى صفحة ٨٠٢،
وسل الله زيادة العلم بأسراره ومعانيه لا الاستعجال.

ثم أورد سبحانه أن يبين نوعا من تصريح الوعيد ليتقوا أو يتذكروا ولا يسوا ويهملوا كما حصل من أبيهم آدم بعد تهديده بما فى الآية (٣٥) من سورة البقرة صفحة ٨، فعاقبه الله تعالى بإخراجه من الجنة، ولكنه لما تاب قبل توبته واجتباها، وكذلك أنتم إن تابتم تاب الله عليكم، فقال فى ذلك ﴿ولقد عهدنا إلى آدم﴾ إلخ أى لقد أمرنا آدم بعدم الأكل من الشجرة فترك الامتنال اعتارا بوسوسة الشيطان، ولم يجد له ثائنا، ثم فصل ذلك مع بيان ما كرم به آدم مما حقه أن يقابله بتمام الطاعة فقال :

﴿وإد قلنا للملائكة اسجدوا﴾ إلخ تقدم بيانه فى الآية (٢٤) من سورة البقرة صفحة ٨، فقلنا يا آدم إن إبليس عدو لك ولزوجك بل ولذريتك كما فى الآية (٥٠) من سورة الكهف صفحة ٢٨٨، فاحذر أن يتسبب فى إخراجكما من الجنة فتشقى أنت وتشقى زوجك بشقائقك فاحترس، وقد صممت لك فى هذه الجنة ألا تجوع فيها ولا تمرى، أى لا يحلو باطلك ولا ظاهرك مما يحفظه، ولا يتعرض باطلك لحرارة العطش ولا ظاهرك لحرارة الشمس، أى نعطيك ما به حياتك، ومدفع عنك ما يضررك.

وقال بعض العلماء إن المعهود فى الأماكن القريبة من الجبال أن تكون شديدة الحر والبرد، وفى الآية (١١٨) جمع له ما يقبه قموة البرد، وفى الآية (١١٩) جمع له ما يحفظه من قسوة الحر. فوسوس له الشيطان بقوله هل أدلك على شجرة لو أكلت منها صرت خالدًا لا تموت وصاحب ملك لا يمتنى؟ فأكل آدم وحواء منها فظهرت لهما عوراتهما وشرعا يعطيانها من ورق

مِنْ وَرَقِ الْحِجَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٩٥﴾ ثُمَّ أَخَذَ
 رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٩٦﴾ قَالَ أَهْبِطْ مِنْهَا جَمِيعًا
 نَمُوتُ لِيَتَفَقَّصَ عَنكَ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّمَا يَا بُنَى قَدْ هَدَى قَبْلَ
 أَسَمِعَ هَدَايَ فَلَا يَصِلْ وَلَا يَتَّقِنِ ﴿١٩٧﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ
 عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْبَيْعَةِ
 الْأَنْغَمِ ﴿١٩٨﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي حَسَرْتُ أَنْفِيَ وَقَدْ كُنْتُ
 بَصِيرًا ﴿١٩٩﴾ هَلْ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ
 الْيَوْمَ تُنسى ﴿٢٠٠﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَوْ
 يُدْرِكُ بِقَابِ قَوْسَيْنِ رَبَّهُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَلَمٌ ﴿٢٠١﴾
 أَقَمْتُمْ يَدًا فَهُمْ عَنْ مَقَامِكَ غَوَا فَهُمْ يَنْفِرُونَ تَحْتَهُ
 فِي سَنَكِهِمْ إِذْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٌ لِلَّذِينَ أَنْهَى ﴿٢٠٢﴾
 وَلَوْلَا صَبَإَةٌ سَفَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ زَاوًا وَأَحْلَى

المفردات : : «وعصى آدم ربه» : أى
 خالف نهى ربه، انظر الآية (٢٢) من سورة
 الأعراف صفحات ١٩٤، ١٩٥. «غوى» : أى
 بعد عن الصواب انظر معنى الفى فى شرح
 الآية (٢٥٦) من سورة البقرة صفحات ٥٢،
 ٥٤، والآية (٢) من سورة النجم صفحة ٧٠٠
 حيث ظن أنه لا يجرؤ مخلوق على أن يحلف
 بآله ككذبا، انظر الآية (٢١) من سورة
 الأعراف صفحة ١٩٤، فصدق إبليس فى أن
 أكله من الشجرة يكسبه العلود.

«اجتباء» : أى قربه إليه بالتوفيق للتوبة.

«اهبطا منها» : المراد من ضمير المشى
 هنا الفريقان، الأول آدم وحواء ومن سيكون

من ذريتهما، والثانى إبليس وذريته، انظر شرح الآية (٢٦) من سورة البقرة صفحات ٨، ٩ والآية
 (٥٠) من سورة الكهف صفحة ٢٨٨. «فإما يأتيتكم» : أى فإن يأتكم، انظر آيتى ٥٧، ٥٨ من
 سورة الأنعام صفحات ٢٢٥، ٢٢٦. «عن ذكرى» : المراد كل ما يذكر بالله من قرآن أو غيره.
 «معيشة ضنكا» : المراد بها هنا الحياة القلقة، وأصل الضنك الضيق فهو مصدر وصف به
 مبالغة، أى شديدة القلق؛ لأنه لما كان كل همه الدنيا وهى مليئة بالمعصيات كان فى ضيق
 نفسى دائما، انظر الآية (١٢٥) من سورة الأنعام صفحة ١٨٢ و (١٥) من سورة الحج صفحة
 ٤٢٥، بخلاف المؤمن فإنه مطمئن دائما، انظر الآية (٢٨) من سورة الرعد صفحات ٢٢٥،
 ٢٢٦. روى عن جماعة من الصحابة أن المعيشة هذه ستكون فى القبر. «فنسيتها» : أى
 تركتها وأهملتها. «أسرف» : أى انهك فى الشهوات. «أقلم يهد لهم» : المراد أقلم يهتد
 لكفار مكة، انظر الآية (١٠٠) من سورة الأعراف صفحات ٢٠٨، ٢٠٩. «كم أهلكنا» : كم كلمة
 تدل على الكثرة، مفعول مقدم لأهلكنا. «القرون» : أى الأمم. «يتمشون فى مساكنهم» : أى

حال كون مشركي مكة يشاهدون مساكن تلك الأمم المهلكة، كعاد وثمود وقوم لوط. ﴿السُّمَّى﴾ أى العقول، انظر الآية (٥٤) المتقدمة صفحة ٤١٠. ﴿كَلِمَةً﴾ هى وعدة سبحانه بتأخير عذاب الإقناء عنهم، انظر الآية (٢٣) من سورة الأنعام صفحة ٢٢١ ﴿لِرَامَا﴾ أصل اللرام مصدر لازم كخصام مصدر حاصم، وصف به للمبالغة، أى لارما وواحيا حصوله لا يتأخر. ﴿وَاجِلٌ﴾ معطوف على كلمة، والمراد الأجل المقدر لأعمارهم، فصله عما عطف عليه للإشعار بأن كلا منهما سبب فى نفي لزوم العذاب السريع فى الدنيا.

المعنى : . وعصى آدم ربه بسبب طاعته لإبليس، وابتعد عن الصواب ثم بعدما أسرع آدم إلى الندم والتوبة قربه ربه إلى رضاه وتاب عليه قبل توبته فهداه إلى الصواب. بعد ذلك قال سبحانه للفریقین. اهبطا من جنة الراحة إلى أرض الشقاء حال كون كل منكما عدوا للآخر فإن جاءكم منى سبب هداية من كتاب أو رسول فمَنْ اتبع هداى فلا يصل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة، ومن أعرض عن هذا الهدى الذى يذكر الناس بربهم فإنه يعيش فى قلق يمسى خوفاً أن يفوت الدنيا أو تموته، لأنه لا يؤمن بالآخرة فلا ينتظر سعادة دائمة حتى يعمل لها ويتحمل فى سبيلها كل مشقة، وبحشره يوم القيامة أعمى لا يبصر، لريادة إبلاسه، وهذا عند القيام من القبور وشدة الحيرة، وبعد ذلك يكشف عنه الغطاء فيرى ما برعجه من الأهوال، انظر الآية (٢٢) من سورة ق صفحة ٦٩٠. فيقول: يا رب لم حشرتني أعمى وقد كنت فى الدنيا بصيراً؟ قال سبحانه رداً عليه. كذلك فعلت أنت بمفسك، ثم فسر هذا التشبيه بقوله أنتك آياتنا فى الدنيا فتركناها وأعرضت عنها، ومثل تركك لها بتركك اليوم فى الألم، ومثل ذلك الجراء الموافق للجناية بحرى كل مَنْ أسرف فى الشهوات وأعرض عن آيات ربه. وعزنى لعذاب الآخرة بالنار أشد مما سواء وأدوم.

ثم أراد سبحانه أن يقرر قوله ﴿وكذلك اليوم تنسى﴾ فقال منكرا عقلتهم ﴿أعلم بهد لهم﴾ إلخ. أى هل تركهم الله سدى فلم يبين لهم كثرة مَنْ أهلكنا قبلهم من الأمم التى عملت مثل عملهم والحال أنهم يمشون فى أماكنهم التى كانوا فيها فى أسفارهم إلى الشام وغيرها؟ انظر الآية (٨٩) من سورة هود صفحة ٢٩٧، والآية (١٠٩) من سورة يوسف صفحة ٢١٩، والآية (٧٦) من سورة الحجر صفحة ٢٤٢، والآية (١٢٧) من سورة الصافات صفحة ٥٩٥، إن فى هذا البيان من الله لآيات ترشد إلى الصواب أصحاب العقول السليمة. ثم بين سبحانه حكمة عدم إصابتهم بمثل ما حل بمن قبلهم فقال: ولولا كلمة سبقت من ربك أىها النبى بعدم إصابتهم فى الدنيا، ولولا أنه حدد لهم أجلا لا يتغير لكان عذاب إقنائهم لارم الحصول عقب جنابتهم.

مَسَى ۝ فَأَصْبَحَ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ
قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ الْيَلِ
قَبْحٍ وَأَرْوَافَ الْبَهْرِ لَعَلَّكَ تَرْمَن ۝ وَلَا تَحْدُثْ
عَيْنُكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعَ بِهِ ءَارُوجًا بِهِمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ
الْأُنْيَا لِيَتَّبِعَهُمْ مِّنَ رِّزْقِ رَبِّكَ حَيْرٌ وَآنٍ ۝
وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا
فَنُحْ رِزْقُكَ وَالْعِزَّةُ لَتَقْوَى ۝ وَقَالُوا لَا يَتَّبِعُ عَبْدُ
مِّنْ رَبِّهِ ءُولَىٰ تَأْتِيهِمْ يَنبُوءَةٌ مِّنَ السُّحُوبِ أُولَىٰ ۝
وَلَوْ أَنَّمَا هُمْ كُفَّهٖم بِعَذَابٍ مِّنْ قَبْلِهِ تَعَالَوْا رَسَائِلُ
أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رُسُلًا فَمِنْهُمْ مَّنْ قَبْلِ أَنْ يَبْدُلَ
وَيُخْرِئَ ۝ قُلْ كُلُّ مُرْتَقٍ فَتَرْصَدُوا فَنَعْلَمَنَّ مَن
أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ۝

المفردات : : «مسمى» : معين . «وسبح
بعمد ربك» إلى قوله : «وأطراف النهار» كل
هذا كناية عن دوام التسبيح والتعميد في كل
الأوقات . «وسبح» أي نزه «بحمد ربك»
المعنى قارئاً تسبيحك بعمد ربك .

«آباء الليل» : أي أجزاء الليل، انظر الآية
(١١٢) من سورة آل عمران صفحة ٨١ .

«لا تمدن عينيك» : أي لا تشغل نفسك
به، انظر الآية (٢٨) من سورة الكهف صفحة
٣٨٤ .

«أرواجاً منهم» : أصنافاً وطوائف من الكفار .

«زهرة الحياة» أي بهجة، وهو حال من «ما» أي حال كونه بهجة زائلة

«لمستهم فيه» أي اعتبرهم انظر الآية (٣٥) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٤، و (١٦، ١٧)

من سورة الجن صمحتي ٧٧١، ٧٧٢ .

«اصطبر عليها» أي اصبر بقوة ودوام على أدائها في أوقاتها

«ولولا» كلمة تدل على الحث على ما بعدها انظر الآية (٢٩) من سورة الكهف صفحة ٢٨٦

«بأية من ربه» : أي بمعجزة .

«أو لم تأتهم» الهمزة للاستعظام التوبيخ المعيد للنفي

(١) آناه	(٢) الليل	(٣) أرواجاً	(٤) العيلة	(٥) بالاصلا	(٦) لا سالك
(٧) والمقبة	(٨) بأية	(٩) أمكنهم	(١٠) آياتك	(١١) أصحاب	(١٢) الصراط

﴿الصحف الأولى﴾ هي صحف إبراهيم وموسى المذكورة في الآية (١٩) من سورة الأعراف
صفحة ٨٠٤، وإنجيل عيسى.

﴿بدل﴾ : أى نهان.

﴿وبحرى﴾ - تفتصح.

﴿متربص﴾ : أى منتظر.

﴿الصراط﴾ : الطريق.

﴿السوى﴾ : المستقيم.

المعنى . وبدا كان الأمر كما ذكر فاصبر أيها النبى على ما يقول كمار قريش هيك وهى
كتابك واشمل كل أوقاتك بتقريبه ربك عما لا يليق به، مع حمده على جلائل نعمه، حال كوك
راحيا منه تعالى أن يعطيك ما يرصيك فى الدنيا والآخرة، كما فى سورة الصبح

ولا تنظر إلى ما جعلناه منعة وفتنة لأنواع من هؤلاء الكمار حال كون هذا الذى متمناه به
مجرد بهجة دنيوية رائلة، وإنما متمناه به لنعاملهم معاملة المحتر هل يشكروه أم يكفروه،
ليظهر ما حبلاوا عليه من المعاصى التى استحقوا عليها العقاب، وعندك أنت أيها النبى ومن
أمن معك رزق ربك الحلال خير وأبقى بما فى الدنيا والآخرة

ولا تشغل نفسك بهم والتفت إلى أهلك فأمرهم بالمحافظة على الصلاة، وبالع هو الصبر
عليها، ولا تجعل الدنيا تشغلك عنها، هبأ لا تملكك رزق نفسك ولا رزق أهلك، بل رزقك
ورزقهم علينا بمعنى منك حميل لا تكالب فيه، والعاقبة فى النهاية لأصحاب التقى

ثم رجع سبحانه لبيان شئ من نعمات الكمار التى أمره بالصبر عليها فقال ﴿وقالوا لولا
يأتينا﴾ إلخ

أى لماذا لم يأتنا بمعجزة حسية كموسى وعيسى، أو مما اقترحناه من تمجير الأنهار وغيره
انظر الآية (٢٢) من سورة الأنعام صفحة ٢٣١.

فرد سبحانه عليهم بقوله ﴿أو لم تأتوهم﴾ إلح أي هل تركهم الله في عمله ولم تأتوهم بيه هي ما جاء في الكتب السماوية الأولى مما يدل على صدقه ﷺ كالتنشيد به، انظر الآية (١) من سورة الصف صمحتي ٧٢٨، ٧٢٩، وبيان صفاته، انظر شرح الآية (٤٢) من سورة البقرة صمحة ٩، والآية (٤٦) من سورة النساء صمحة ١٠٨، والآية (١٥٧) من سورة الأعراف صمحتي ٢١٧، ٢١٨.

ويصح أن يراد بالبيعة نقران الكريم والمعنى أو لم تأتوهم البيعة المنصمة لما جاء في الصحاح الأولى من العقائد الحقة، وأصول الأحكام ومكارم الأخلاق التي أجمع عليها كل لرس مع أن المبرر عليه هذا القرآن أمي لم ير هذه الكتب، كما هي الآية (٥٢) من سورة الشورى صمحة ٦٤٦، وانظر الآية (١٦) من سورة يونس صمحة ٢٦٨، والآيات من (٤٨) إلى (٥١) من سورة العنكبوت صمحتي ٥٢٧، ٥٢٨.

ولو أما أهلكنا كمر قريش بعداب من قبل إرسال محمد وإبرال القرآن لاعتدروا يوم القيامة عن محالمتهم لمروع الشريعة أما أصولها ملا عذر لهم فيها لأنها معلومة لهم أو مركورة هي طبائهم! وقالوا:

يا ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا يتلو علينا آياتك فتبمعها وبعمل بما تقتضيه من قبل أن يدل بالقتل والسبي ونحري بدحول النار هي الآخرة، انظر الآية (١٩٢) من سورة آل عمران صمحة ٩٥، والآية (١٥٧) من سورة الأنعام صمحة ١٩٠.

وبعد كل هذا التحدير قل لهم أيها النبي كل واحد منا ومنكم منتظر لما بصير إليه أمره هانتظروا فستعمون عما قريب من منا هم أصحاب الطريق المستقيم، ومن منا اهتدى وابتعد عن الضلال، وهذا أسوب يدل على قطع المتكلم بأنه هو الناحي، انظر الآية (١٠٢) من سورة يونس صمحة ٢٨٢.

سورة الأنبياء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقترِب﴾ أي قرب جدا.

﴿ناس﴾: المراد بهم الكفار بدليل ما بعدها.

﴿حسابهم﴾: أي زمانه وهو الساعة.

﴿من ذكر﴾: الذكر القرآن انظر آيتي (٩)

من سورة الحجر صفحة ٣٣٨، و(٨) من سورة
ص صفحة ٥٩٨ و(من) للنص على العموم هي
أجزاء الذكر.

﴿محدث﴾: أي جديد إنزاله.

﴿الفجوى﴾: هي التماحي سرا.

﴿تدين ظلموا﴾: يدل من ضمير أمروا، جاء

به للإشعار بظلمهم الماحض فيما أسروه.

﴿هل﴾: حرف استفهام مراد به النفي، أي ما هذا.

﴿هذا﴾: يريدون به الرسول ﷺ

﴿افتانوا السحر﴾: الهمة للإيكار، أي لا تأتوا، وأرادوا بالسحر القرآن

﴿أضغاث أحلام﴾: أي أخلاط أحلام رآها في النوم.

﴿اقتراء﴾: أي جاء به من عند نفسه ونسبه لله.

﴿شاعر﴾ أي يأتي بكلام مرسرف باطل يخيل للسامع أنه حقيقة.

﴿من قرية﴾: (من) للنص على عموم قرية.

(٢٨) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
وَأَسْمَاءُ اثْنَتَا عَشَرَ وَمِائَتَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
مَن يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْتَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
يَلْعَنُونَ ﴿٢﴾ لَأَمِيتَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ السَّخَرَى الَّذِينَ
ظَلَمُوا هَلْ هَدَى إِلَّا سَرْمَتًا لَكَ أَتَانُوا السَّحَرَاءَ أَنْتُمْ
تُصِرُّونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ جَعَلْتُمْ أَفْعَالًا مَغْلُوبًا
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَصْنَعْتَ الْفِتْنَةَ بَلْ
أَقْرَبَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ مُفْتَنٌ يَا بَلِغْ كَمَا أَرْسَلْنَاكَ بِالْأَوَّلِينَ ﴿٥﴾
مَاءَ أَمْسَتْ قَتْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَهْمُ يَقُولُونَ ﴿٦﴾

لمعنى قرب للناس أو إلى الكفار ومن حمائهم، والحال انهم في عملة عما سيبرل بهم، معرصون عن الاستعداد لهذا اليوم ما يأتيهم شيء نازل من القرآن يذكرهم أتم تذكير لا استعموه وهم يستهزنون به كالأطفال، لاهية قلوبهم عن الاسماع به، ثم بين سبحانه حياية أخرى من حياياتهم الشيعة حيث رتبوا مبادئ الشر والمكر لهدم الدين فقال ﴿وأسروا المحوى﴾ أى نال هؤلاء الكفار في إحقاء تاجيهم قائلين في تاجيهم ما محمد إلا بشر من جسكم، وما أتى به هه سحر هل يصح أن تتركوا ما كان عليه أناكم فتحصروا مجلس السعير وأنتم تبصرون تأثيره في الناس حتى حملهم على ترك دين آبائهم وأجدادهم ثم حكى سبحانه ما قاله ﷺ بعد ما أعلمه الله بما قالوه سرا فقال أى السى ربي يعلم كل قول صادر ممن في السماء أو الأرض جهراً أو سراً ثم هددهم بقوله وهو السميع لأقوالهم، العليم بسرئهم ثم انتقل سبحانه إلى حكاية أقوال أخرى لهم باطلة تدل على حيرتهم في المحاربة فقال بن قالو هذا القرآن تحاريب أحلام، ثم تركوا هذا القول وانتقلوا إلى قولهم بل هو كلام افتراء من عند نفسه، ثم تركوه أيضاً وقالوا لا بل هو شاعر وما أتى به شعر يحيل إلى السامع ما ليس له حقيقة وهذا شأن كل مبطل يتحول من باطل إلى باطل منه، ثم قالوا وإن لم يكن محمد كما قلنا فليأت بمعجزة مثل المعجزات التي أرسل بها الرسل الأولون كعصا موسى وإحياء الموتى لعيسى، ثم كذبهم سبحانه فيما تضمنه كلامهم من الوعد بالإيمان لو أحيوا إلى المعجزة المقترحة مع بيان أن في إحياء طلبهم هلاكهم لأنهم حتى لو أحيوا لما آمنوا فيقطع دابرهم لأن هذه سنته تعالى، انظر الآية (٤٨) من سورة القصص صفحة ٥١٤ والآية (٢) من سورة القمر صفحة ٧٠٤ وانظر كذلك الآية (٨) من سورة الأنعام صفحة ١٦٣، والآية (٥٩) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٢، فقال (ما آمنت قلوبهم) إلخ أى لم تؤمن أمة من الأمم لمهلكة عند إحياء طلبهم، وإذا كان الأولون لم يؤمنوا فهل هؤلاء يؤمنون لو أحيوا؟ كلا لأننا نقطع بعدم ذلك، انظر آيتي (١١، ٧) من سورة الأنعام صفحتي ١٦٣، ١٨١، وآيتي (١٤، ١٥) من سورة الحجر صفحتي ٢٢٨، ٢٢٩.

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَتَّبِعُوا هُدًى
 أَلَمْ تَرَ أَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۚ وَمَا حَسَنَتُهُمْ حَسَدُ
 لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا حَاشِدِينَ ۚ ثُمَّ صَدَقْتَهُمْ
 آلُؤَدَةُ فَأَغْوَيْنَهُمْ وَمِنْ ثَمَرَةٍ وَاهِكَا بِسُرِيرِينَ ۚ
 لَقَدْ أَتَرْتُمُ الْيَنْكِرَ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۚ
 وَكَرَّ فَصَمْنَا مِنْ قُرْبَةٍ حَكَاتُ حَالِهِ وَأَسَاسًا تَعْدَهَا
 قَوْمًا ۚ آخَرِينَ ۚ فَلَمَّا أَخْرَجْنَاهُم مِّنْهَا هُم مِّثْلُ
 مَا أَتَوْا بِهَا ۚ لَآ رَهْءُومَ ۚ وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ
 وَمَسْكَنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۚ فَالْوَايُوتُمْ إِنَّمَا تَكُنَّ
 طُلُوعُ ۚ فَارَأَتْ إِلَيْكَ دَعْوَتَهُمْ حَقٌّ حَقَّتْ لَهُمْ
 حَاصِبَاتٌ حَاشِدِينَ ۚ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ
 وَمَا بَيْنَهُمَا لَئِيْن ۚ لَوْ رَدُّنَا إِلَيْكَ لَعَلَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ

المفردات: ﴿اهل الذكر﴾ هم اهل
 الكتاب، ﴿كتابا﴾: هو القرآن.

﴿فيه ذكركم﴾: قال ابن عباس: هو
 الصبيت والشرف؛ انظر الآية (٤٤) من سورة
 الرحرف صفحة ٦٥١.

﴿وكم﴾: تدل على كثرة ما بعدها.

﴿فصمنا﴾: القصم كسر لا يمكن إصلاحه.

﴿من ثرية﴾: من لتأكيد العموم هي قرية.

﴿بأسنا﴾: عذابنا.

﴿يركضون﴾: المراد يهربون مسرعين.

واصل الركض ضرب الدابة بالرجل للإسراع.

﴿أترفتهم فيه﴾: غرقتهم في نعيمه.

(١) فاسألوا

(٢) جعلناهم.

(٣) حالدين

(٤) صدقناهم.

(٥) فأنجبناهم

(٦) كتابا

(٧) ومساكنكم

(٨) تسألون

(٩) يا ويلنا.

(١٠) طالعين

(١١) دعواهم.

(١٢) حسناهم

(١٣) حامدين

(١٤) لاعبين

(١٥) لا تخذوا

﴿ياويلنا﴾ : تركيب يقال عند الندم والتعسر.

﴿دعواهم﴾ دعواؤهم. انظر الآية (١٠) من سورة يونس صفحتي ٢٦٦، ٢٦٧.

﴿حصيدا﴾ : هو الزرع المحصود.

﴿حامدين﴾ أصل الحمود النار إذا دهمت حرارتها، والمراد هالكين.

المعنى رد سبحانه على رعبهم أن الرسول لا يكون إلا ملكا المشار إليه بقولهم ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم﴾ بقوله ﴿وما أرسلنا﴾ إلخ أي وما أرسلنا إلى الأمم قبل إرسالك لأمتك إلا رجلا مثلك لا ملائكة. ثم بين كيفية الإرسال بقوله - ﴿نوحى إليهم﴾ بواسطة ملك ما نشاء كما أوحينا إليك. ثم وجه الخطاب للكفار تذكيرا لهم فقال فأسئلوا أهل التوراة والإنجيل إن كنتم لا تعلمون ما ذكر، وقد كان المشركون يعرفون أن العلم عند أهل الكتاب انظر الآية (٥١) من سورة النساء صفحة ١٠٩ وما جعلنا أحدا من رسل الأمم قبلكم حسدا مسعيا عن الطعام كالمك، وما كانوا طوال الحياة كالملائكة فصلا عن العلود بلا موت ولما كان ما أوحى به للرسل متصمنا وعددهم بالنصر على أعدائهم قال سبحانه ﴿ثم صدقهم الوعد﴾ بالنصر والملاح هي الدنيا والآخرة، فأنحيهم من كل مكروه، وأنجيهم من شاء من أتباعهم المؤمنين، وأهلكنا المسرفين هي معصية ربهم بالكفر ثم وبخ سبحانه مشركي العرب بأنهم في أقصى مراتب الجهل وبكران المسبل فقال ولقد أرسلنا إليك كتابا فيه ما يوجب شرفكم وبقاء ذكركم ما بقي، لأنه بلسانكم، ومسرل على لسانكم تشرفون بشرفه، هل بلغت عتبة الجهل فلا تعقون ما فيه شرفكم، ثم هددهم بقوله ﴿وكم قصصنا﴾ إلخ أي وكثيرا من أهل القرى أهلكناهم لأنهم ظلموا أنفسهم بالكفر بإيات الله مثلكم، وأنشأنا بعد هلاكها قوما آخرين أحسن منهم، انظر الآية (٢٨) من سورة محمد صفحتي ٦٧٧، ٦٧٨ ثم فصل شيئا من كيمية إهلاكهم فقال ﴿فلما أحسوا﴾ إلخ أي أدرك أهل القرية الظالمة مقدمات العذاب إذ،

هم يحرون مسرعين فرارا، فقيل لهم بلباس الحال أو من الملائكة استهراء، لا تركصوا وارحموا إلى ما كنتم فيه من البرف واليعيم وإلى مساكنكم التي كنتم تمتحرون بها نعل أتباعكم وخدمكم يسألونكم الرأي في تصريف الأمور كما كانت عادتكم وهذا ريادة في التوبيخ. ولما يئسوا من الخلاص قالوا يا ويلنا إنا كنا طالمين لأصمنا ولآيات الله بالإعراض عنها، وهذا ندم لا ينفعهم، انظر الآية (١٥٨) من سورة الأنعام صفحات ١٩٠، ١٩١، والآية (٥١) وما بعدها من سورة ساء صفحة ٥٧٠، والآية (٨٥) من سورة عاقر صفحة ٦٢٩ همارالوا يرددون تلك الكلمة حتى جعلناهم كالررع المحصود والبار التي حدثت أي هالكين، انظر آيتي ٦٤، ٦٥ من سورة المؤمنون صفحة ٤٥١.

ثم به سبحانه الكمار إلى الاعتبار بقوله: ﴿وما خلقنا﴾ أي ما خلقنا هذا العالم المعكم الصنع والنظام البديع لمجرد اللعب به كما يعمل الأطفال، بل خلقناه لحكم عالية على رأسها معرفتنا، والحصوع للنظام الذي وضعناه لسعادة الخلق، وسبحاسبهم إذا أهملوا، انظر الآية (١١٥) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٦؛ ثم أكد سبحانه المعنى السابق ببيان استحالة اللهو عليه سبحانه وتعالى بقوله تعالى: ﴿لو أردنا﴾ الخ، أي لو أردنا اتحاد لهو لكان لهوا حاصلا من إله حكيم، والحكيم لا يعمل اللهو لأنه مستحيل عليه لما له من صمة الحكمة، فعدم وجود اللهو ليس لعجز بل لاستحالته وقدرة الله تعالى لا تتعلق بالمستحيل، كما يقال يستحيل على الله أن يخرج عبدا من ملكه، لأن وجود ملك لغيره تعالى مستحيل.

المفردات: ﴿من لدنا﴾: أي من عندنا.

﴿إن كنا﴾: إن حرف نهي بمعنى (ما)، انظر الآية (١١١) الآتية في هذه السورة صفحة

٤٢٢، والآية (٩٣) من سورة مريم صفحة ٤٠٥.

﴿نقذف﴾: أي نرمى بقوة.

﴿بدمعه﴾ أصل معناه يكسر دماغه،
والمراد يحفظه.

﴿راهق﴾ - هالك داهب.

﴿الويل﴾ - الهلاك.

﴿مما تصفون﴾ (من) بمعنى بآء السببية
أي بسبب رصمكم ومثلها في قوله تعالى
﴿مما حطيتانهم أعرقوا﴾ انظر الآية (٢٥)
من سورة نوح صفحة ٧٦٩.

﴿تصفون﴾ : أي تبالغون في الكذب انظر
الآية (٦٢) من سورة النحل صفحة ٢٥٢.

﴿ومن عنده﴾ : هم الملائكة.

﴿يستحسرون﴾ يقال حسر الحصر أو البعير بورن صرب إذا كلّ وتعب، انظر الآية ٤ من
سورة الملك صفحة ٧٥٤ ويقال استحسر البعير إذا اشتدّ تعب، وبما أن الملائكة لا يمتريهم
أدنى تعب من العبادة فيكون التعبير في جانبهم يستحسرون ملاحظ فيه ما يشعر به البشر
عادة من التعب عند القيام بالتكاليف الشاقة.

مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كُذِّبْتُمْ عَلَيْنَ ۖ تَلْ تَقْدُفُ بِالْحَقِّ عَلَى
الْبَاطِلِ قَبْلَ تَعْمَلُ قَدْرًا قَوْرِيَهُمْ وَلَكِنَّ الْوَيْلَ لِمَنْ
تَصِفُونَ ۖ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ
عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۖ
يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۖ أَمْ أَخَذُوا عِاقِبَةَ
مَنْ الْأَرْضِ قَدْ يُبْشِرُونَ ۖ لَوْ كَانَ عِندَهُ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ
لَفَسَدَتِ فَتُحْشِرُ اللَّهُ رَبَّ الْعَرْشِ عَنَّا يَصِفُونَ ۖ
لَا تُفْلِحُ عَمَّا يُفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ۖ أَمْ أَخَذُوا مِنْ
ذُوهِرَةٍ رُحْمَةً قُلْ خَلَقْنَاهُمْ بِرُحْمَتِكُمْ هَذَا يَذْكُرُ مَنْ
نَمِي وَذِكْرُ مَنْ قَبْلُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ
فَهُمْ مُفْرَضُونَ ۖ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ
إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْنَا نَبَأُ لَمْ يَلَمْ إِلَّا نَا قَاتِلُونَ ۖ وَقَالُوا

(١) فاعلين

(٢) الباطل.

(٣) السموات

(٤) الليل

(٥) آلهة

(٦) فصبحت

(٧) يسأل

(٨) يمانون

(٩) آلهة

(١٠) برهانكم

﴿أم اتخذوا﴾ أم بمعنى بل تصيد هنا الانتقال من كلام إلى آخر مع الإنكار والتهكم، انظر الآية (٩) من سورة الشورى صفحة ٦٢٩، والآية (٨٠) من سورة الرحمن صفحة ٦٥٥

﴿من الأرض﴾ فيه تحقير لقولهم حيث اتخذوا معبودات من معدن الأرض

﴿يشعرون﴾ من أشعره أى أحياء كما فى الآية (٢٢) من سورة عبس صفحة ٧٩٢.

﴿هذا ذكر من معنى﴾ (هذا) اسم إشارة متندا والمشار إليه القرآن

﴿وذكر من معنى﴾ المراد به القرآن، انظر الآية (٩) من سورة الحجر صفحة ٣٢٨.

﴿وذكر من قبلى﴾ المراد به الكتب السماوية السابقة وهى من صحف إبراهيم وتوراة موسى وزيور داود وإنجيل عيسى.

﴿بل﴾ .. إلخ هذا كلام من جهة تعالى يفيد الانتقال من الأمر بتكليفهم بالمطالبة بالبرهان الذى لا يستطيعونه إلى بيان أن المحاجة معهم لا تتمع لشدة إصرارهم عبادا

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول﴾ .. إلخ: هذا كلام مقرر لما قبله من أدلة التوحيد ببيان أن جميع الرسل غير أصحاب الكتب السابقة تقر التوحيد وتكر الشرك.

المعنى نكان لهوا من عبدا وهو محال، ولهذا ما كنا فاعلين المستحيلين، بل اللائق بالإله الحق.

ولكم أيها المشركون الهلاك بسبب اعترائكم على الله بأن له ولدا وشريكا، وعلى رسوله بأنه ساحر إلخ ما تقدم وكيف يحتاج لولد وكل ما فى السموات والأرض ملكه ومخلوقون له وعبيد لقدرته حل وعلا، ومن عبده عندية منزلة وهم الملائكة لا يتعاطمون عن عبادته ولا يكلون، أى لا يشعرون بأذى تعب ينزهون ربهم عما يقولون عنه فى كل أوقات الليل والنهار، لا يتحلل تعبيحهم هذا فترة، فهم لا يتوانون لحظة، بل منع من جهل هؤلاء الكفار أنهم اتخذوا لهم آلهة من الأرض.

ثم نال في نوبيحهم فقال ﴿هم يشكرون﴾ المراد أن من شأن الإله القدرة على إحياء الموتى هل ألهمهم كذلك؟ ثم أراد سبحانه أن يبرر باطلهم من وجه آخر ويبطل رعمهم أن أصنامهم إلهة كما يبطل رعم كل من يقول إن في الكون إلهة تتصرف فيه مع الله، وهذا الوجه مبني على أن اسم (إله) لا يصدق إلا على واجب الوجود تام القدرة على كل ما عدا، فقال ﴿لو كان فيهما﴾ إلح أي لو كان في السموات والأرض إلهة تدبر أمرهما غير الواحد الذي خلقهما لاحتل نظامهما لتتعارف المشرقيين عليهما، لأن كل واحد يريد أن يكون هو المتصرف وحده، ولكنهما لم يمسدا ذلك أنه ليس فيهما إلا الله وحده، انظر شرح هذا الدليل في الآية (٩٩) من هذه السورة صفحة ٤٢١، وانظر الآية (٩١) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٤ فتزيها لله رب العرش العظيم عما يفتره عليه الكافرون.

ثم بين صفة من صفات الإله الحق هي أنه لا يسأل عما يعمل لأنه عليم، حكيم، عادل، فلا يخطئ ولا يصع شيئاً في غير محله، ولا يظلم. أما ما عدا من الخلق بما فيه معبوداتهم العاقلة هم يسألون، لأنهم عرضة للخطأ والظلم.

ثم كرر نوبيحهم على جهلهم من جهة النقل بعدما وبحهم من جهة العقل فقال أم اتحدوا من دون الله إلهة؟ قل لهم أيها النبي: هاتوا برهانكم من الكتب السماوية السابقة إن كان عندكم منها شيء، انظر الآية (٤) من سورة الأحقاف صفحة ٦٦٦ وقل لهم هذا الدليل الذي احتج به عليكم هو شينان القرآن الذي هو كتاب امتي الذي جاء يذكرها برهاناً، وكتب الأنبياء التي جاءت لتذكير من سبقني من الأمم، فهل تجدون فيها ما يؤيد اتخاذ أصنامكم إلهة؟ كلا بل أكثر هؤلاء المشركين لا يميزون بين الحق والباطل، والقليل منهم يعلم ويعاند، هم لهذا الجهل والعدا مستعمرون على الإعراض عن الحق.

ثم بين ما جاء على لسان كل الرسل قبله بقوله وما أرسلنا قبلك أيها النبي من رسول إلا وقد أوحينا إليه أنه لا إله إلا أنا الواحد الحق فاعبدوني وحدي.

أَتُخَذُ الْأَرْضُ لَهُ سُجَّةً ۖ نَلَّ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿١٠٠﴾
لَا يَسْقُونَ إِلَّا مِنْ حُفْرٍ وَهُمْ بِهِيَ يَعْمَلُونَ ﴿١٠١﴾ يَعْلَمُ مَا تَدْعُوهُ
أُنْيُسَ وَمَا حَسِبُهُمْ وَلَا يَشْعُرُونَ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ وَهُمْ فِي
حَشِيَّةٍ مُّصِيبِينَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ
دُونِهِ ۖ فَبَدَأَ بِخَبْرِهِ عَنْهُمْ ۖ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
أُوذُوا بِرَأْسٍ كَثِيرٍ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كَانَتْ
رِجَالُهُمْ مُّكَنَّنَةً ۖ وَخَلَقْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ
أَعْلَىٰ يَتُوبُونَ ﴿١٠٣﴾ وَخَلَقْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ يُبَــ^١
رِجَاسَ ۖ وَخَلَقْنَا فِيهَا رِجَالًا مِّنْهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٠٤﴾
وَخَلَقْنَا أَسْمَاءً سَفَهًا مُّحْفُوفَةً ۖ وَهُمْ عَنْهَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٠٥﴾
وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّأْتِيكَ بِبُحْرَانٍ ۖ وَهُمْ عَنْهَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٠٦﴾
وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّأْتِيكَ بِبُحْرَانٍ ۖ وَهُمْ عَنْهَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٠٧﴾

لعفريات : ﴿ولدا﴾ : يريدون الملائكة.

انظر شرح الآية (١١٦) من سورة البقرة صفحة ٢٢، والآية (٤٠) من سورة ميثا صمعة ٦٨.

﴿بل عباد﴾ : بل للاضراب عما قبلها أي

إبطاله.

﴿خشيتة﴾ : الخشية خوف مشوب بتمظيم

ومهابة، انظر الآية (٢٨) من سورة هاطر صمعة ٥٧٥.

﴿مشفقون﴾ : الإشفاق شدة الحذر.

﴿أو لم ير الذين كفروا﴾ : الرؤية هنا

علمية، أي ألم يعلموا، ومثلها في قوله تعالى

﴿ولما سقط في أيديهم وراوا أنهم قد ضلوا﴾ انظر الآية (١٤٩) من سورة الأعراف صمعة

٢١٥، وقوله سبحانه ﴿أفمن رين له سوء عمله فراء حسنا﴾ انظر الآية (٨) من سورة هاطر

صمعة ٥٧٢، وقوله تعالى ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض﴾ انظر الآية

(٧) من سورة المجادلة صمعتي ٧٢٥، ٧٢٦.

﴿كانتا﴾ بالفتحية لأن مجموع السموات طرف والأرض طرف حر.

﴿رتقا﴾ أصل الرق مصدر من قولهم رتق الرجل الشيء يرتقه بصم التاء وكسرها، إد

لام بين أجزائه وجعلها ملتصمة بعضها ببعض. وأريد بهذا المصدر هنا سم للمعول أي

مرتوقتير أي ملتصقتين كما تقول في الطعام هذا أكل تريد مأكول

﴿ومتقاهما﴾ يقال فتق الشيء يمتقه بضم التاء أى فصل بعض أجزائه عن بعض. والمعنى هنا فتقنا السماء بالمطر والأرض بالسبات. انظر الآية (٤٢) من سورة النور صفحة ٤٦٥، وانظر الآية (٢٧) من سورة السجدة صفحة ٥٤٨، وانظر آيتي (١١، ١٢) من سورة الطارق صفحة ٨٠٢، فالمراد من السماء هنا السحاب.

﴿من الماء كل شيء﴾ إلح الماء هنا هو الماء المذكور في الآية (٧) من سورة هود صفحة ٢٨٤ الذى هو أصل جميع المخلوقات كما تقدم في الأحاديث هناك. وإنما حص سبحانه الأحياء هنا بالذكر لأن وجه العبرة فيها أدق، لأن جميع المخلوقات غير الأحياء تشترك مع هذا الماء في أن لجميع لا حياة فيها، فهم متقاربون تقارباً واضحاً، ويكون الإبداع والإعجاز أظهر، إذا خلق سبحانه حياً من شيء لا حياة فيه، وإذا أحدث الحياة على عمومها فإن لمط (الحى) يشمل الأرض لقاحلة عندما يعالطها الماء كما في الآية (٢٤) من سورة الروم صفحة ٥٢٢

﴿رواسي﴾ المراد جبالاً ثابتات تحفظ ثورتها، انظر الآية (١٥) من سورة النحل صفحة ٢٤٧

﴿تعيد﴾ : تصطبب ويحتل توازنها.

﴿فحاجا﴾ : جمع فج بالفتح وهو الطريق الواسع كما في الآية (٢٧) من سورة الحج صفحة ٤٢٧ وأصله صفة (لسبلا) بعده، فلما قدم عليه صار حالاً منه، انظر الآية (٢٠) من سورة نوح صفحة ٧٦٩.

﴿آياتها﴾ المراد الأدلة المثبوتة في السماء الدالة على وجود صانع حكيم قادر.

﴿هناك﴾ هو كل شيء دائر، والمراد طريقها الذى لا تتجاوزه في سيرها.

﴿يسبحون﴾ يتحركون في هدوء وسهولة كما يصيح السمك في الماء.

لمعنى وقال كمار قريش اتخذ الرحمن الملائكة سات له، سبحانه بل هم عباد مشركون مقربون إلى الله لا يقولون شيئاً حتى يأذن فيه كما هي عادة العبيد المؤمنين، ولا يعملون إلا ما يأمر به سبحانه لأنهم يعرفون أنه تعالى يعلم ما بين أيديهم إلخ، أى كل أحوالهم ما قدموه

وما أحروه منها، فهم دائمو المراقبة له سبحانه، ولا يشعرون في أحد إلا لمن رضى الله عن أعماله وهذا قطع لأطماع المشركين وهؤلاء الملائكة من عظمته تعالى مرتعدون. ثم هدد المشركين أقوى تهديد فقال لو قال واحد من هؤلاء الملائكة المقربين إني إله غير الله فهذا القاتل بحريه جهنم مهما كانت منزلته، وكهذا الحراء بحري كل طالم لنفسه بادعاء الربوبية أو الشرك به تعالى ثم شرع سبحانه في منهج آخر من مناهج التوحيد و الأدلة عليه في الكون فذكر ستة أشياء، فقال ﴿أو لم ير الذين كفروا﴾.. لما لم يرد عن النبي ﷺ حديث صريح لتفسير هذه الآية تعرفت فيها كلمة العلماء، فأبدي كل رأيا يحالف الآخر، ولما لم يكن كثير من هذه الآراء معتمدا على دليل يصح الاعتماد عليه، رأينا أن يقتصر على إبراد ثلاثة آراء منها، ذكر لكل منها دليل وللقارئ بعد ذلك أن يختار منها ما تطمئن إليه نفسه

الرأي الأول لابن عباس رضى الله عنهما روى عن الحسن البصري وقتادة وسعيد بن جبير وحاصل هذا الرأي.. أن السموات والأرض كانتا في مبدأ خلقهما شيئا واحدا، ثم فصل الله سبحانه بينهما، ويكون المراد توبيخ الكفار على تفصيلهم في العلم بذلك، مع تمكنهم منه باستفسارهم من علماء أهل الكتاب الذين كانوا يحالطونهم، ويقولون أقوالهم، انظر الآية (٧) من هذه السورة صفحة ٤٢١، وشرح الآية (٥١) من سورة النساء صفحة ١٠٩، والآية (٤٢) من سورة الرعد صفحة ٢٢٨.

وأهل الكتاب يعلمون ذلك من أنبيائهم، وهذا الرأي استمدد القائلون به من طاهر الأحاديث الصحيحة التي رواها المحدثون عند تفسير قوله تعالى ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾ الآية (٧) من سورة هود صفحة ٢٨٤، فقد جاء فيها أنه ﷺ قال (أول ما خلق الله الماء، وخلق من الماء كل شيء).

أما الرأي الثاني رأى لابن عباس أيضا. رواه عنه عكرمة وعطية والعوفي وعطاء، ووافقه عليه عبد الله بن عمر واحتاره أكثر المفسرين وحاصل هذا الرأي.. أن السماء كانت رتقا لا تمطر، والأرض كانت رتقا لا تنبت، فشق سبحانه السماء بالمطر، والأرض بالنبات، والرؤية على هذا لرأي بصرية تحصل بالمشاهدة الحسية. وهذا الرأي مبني على أن المراد بالسموات كل ما

علائ من السحب التي تنزل المطر وهذه السحب مسحرة بين السماء والمفروقة وبين الارض
انظر الآية (١٦٤) من سورة البقرة صفحة ٢١، وشرح الآية (٢) من سورة فاطر صفحة ٥٧١،
وهكذا كل الآيات المميدة أن ورق السماء هو المطر الذي يست به الشجر والزرع مثل آيات (١٤)،
(١٥، ١٦) من سورة النبا صفحة ٧٨٧، والآيات من (٢٤ إلى ٢٢) من سورة عيس صفحات ٧٩٢
٧٩٣ قال تعالى ﴿ألم تر أن الله يرحى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما هذى الودق يجرى
من حلاله﴾ انظر الآية (٤٣) من سورة النور صفحة ٢٦٥، ويؤيد هذا قوله تعالى ما جاء في
آيتي (١١، ١٢) من سورة الطارق صفحة ٨٣ ومعنى هذا أن لعنق حصل لكل من السماء
والأرض على حدة أي أن كلا منهما حصل بين أحرائها فتق ومعنى أيضا على أن معنى (كان) هي
(كانتا) أن هذا هو شأنهما دائما، سحاب ملتئم، ثم ينساقط المطر من بين ثبابه وأرض متحمة
الأجر، يفتقها النبات، وهذا المعنى لعمل (كان) شائع في لغة العرب ومنه في القرآن كثير، قال
تعالى (وكان الإنسان عجولا) الآية (١١) من سورة الإسراء صفحة ٢٦٥ أي أن هذا هو شأن
الإنسان دائما، لا أنه كان عجولا فيما مضى ثم صار غير عجول الآن، وقال ﴿هسجدوا إلا إبليس
كان من لحن﴾ الآية (٥٠) من سورة الكهف صفحة ٢٨٨، وقال ﴿وكان الإنسان أكثر شئ
جدلاً﴾ الآية (٥٤) من سورة الكهف صفحة ٢٨٨.

أما الرأي الثالث لأبي مسلم الأصمهاى الذى رأى أن الظاهر بقاء سموات على
ظاهرها المعهود وأن الدليل لا يقوم على الكمار إلا إذا كانوا معتريين بكل مقدماته، وأن
هؤلاء الكمار ما كانوا يعلمون حال السموات والأرض عند خلقهما بنص القرآن بمسألة قل
تعالى هي تحدث عن الكمار ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾ الآية
(٥١) من سورة الكهف صفحة ٢٨٨ بقول لما رأى أبو مسلم كل ذلك قال المعنى أن
السموات والأرض كانتا قبل وجودهما بجمعهما العدم وكون الأمور المعنوية تجمع
المحسوسات معروف في لغة العرب، يقول أحدهم هؤلاء قوم جمعتهم المصائب أو العصالج
مثلا، ويقول طواهم العناء هي عيابه، ومنه في القرآن قوله تعالى هي سياق ما سيحصل يوم
القيامة ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ الآية (٩) من سورة القيامة صفحة ٧٧٩ ومعنى ضمهما على

هذا إيجادهما معنيتين أي منصفة كل منهما عن الأخرى، كما يقول العربي سبعان من كبر الفيل وصغر البعوضة، يريد أوجد كلا منهما على هذه الحال، هذا كبير الجسم وذاك صغيرة، والمعنى هل يستمر هؤلاء الكفار على العقلة ولا يلتفتوا للواقع فاعلموا أن السموات والأرض كانتا معدومتين، ونحن أوجدناهما، فهو من قبيل قوله تعالى ﴿أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض﴾ الآية (١٨٥) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٣ وقوله ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون﴾ آيتي (٢٥، ٢٦) من سورة الطور صفحة ٦٩٩ والمراد أنهم متمكنون من العلم بذلك بأدنى تأمل، لأن السموات والأرض بل وكل المخلوقات حادثة بعد اليوم، ومن المقطوع به عقلا أن كل حادث لابد له من محدث، ولا محدث لهما إلا الله، وهم معترفون بذلك كما قال تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله﴾ الآية (٦١) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٩ فصح بعد كل هذا أن يوبخوا على غفلتهم عن هذه الأدلة وإعراضهم عن الانفات إليها، والرؤية على هذا الرأي علمية كالرأي الأول.

ثم يقول تعالى بعد ذلك وهل جهلوا أيضا أنا جعلنا من الماء الذي لا حياة فيه كل شيء حي، فهل بعد كل هذا يعرضون فلا يؤمنون، ومن دلائل قدرتنا وحكمتنا أنا جعلنا في الأرض جبلا ثوابت كراهة أن يحتل تواربها عند الرلزل، وجعلنا في الأرض طرقا واسعة لعلهم يهتدون بها في سيرهم لمقاصدهم، وجعلنا السماء فوقهم كالسقف وحفظنا ما بقدرتنا أن تسقط فوق رؤسهم. انظر الآية (٦٥) من سورة الحج صفحات ٤٤٢، ٤٤٣، والآية (٤١) من سورة هاطر صفحات ٥٧٧، ٥٧٨. ومع ذلك هؤلاء الكفار معرضون عما فيها من العبر وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل من هذه الأربع يسير في ملكه بنظام محكم، انظر الآية (٤٠) من سورة يس صفحة ٥٨٢. ثم رد على تسميات باطلهم بما كان المشركون يثبتونها في أوساط العوام وذلك أنهم كانوا يقولون لا تهيموا لما يقوله محمد فسيموت وتموت معه دعوته ويبقى ديننا سليما، انظر الآية ٢٠ من سورة الطور صفحة (٦٩٨)، فقال ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ إلخ.

قَبْلَكَ الْخَلْقَ أَقْبَنَ مَثَ هُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ كُلُّ نَفْسٍ
ذَاقَةُ الْمَوْتِ وَنَسُوكمُ بِالْأَشْرِ وَالْخَيْرِ بَقَّةٌ وَاللَّيْنَا
تَرْجَعُونَ ﴿٢٦﴾ وَإِذَا رَكَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَخْذُولُوكَ
إِلَّا مُرُوا أَعْدَا الَّذِينَ يَذْكُرُ الْإِيتُوكَ وَهُمْ يَذْكُرُ الْإِيتُوكَ
هُمْ كَتَبُوا ﴿٢٧﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ سَلَوِيكُمْ
أَيُّنِي فَلَا تَسْتَعِيلُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حَيْثُ
لَا يَحْكُمُونَ عَنْ وَجْهِهِمُ السَّارَ وَلَا مَنْ ظُهُورِهِمْ
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٠﴾ نَلَّ تَأْتِيهِمْ بَفْةٌ فَنَبَّهَتْهُمْ فَلَا
يَسْتَعِيلُونَ رَدًّا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ
بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ خَاقٍ وَالَّذِينَ تَزُوايَتُهُمْ مَا كَانُوا بِهِ
بَشِيرِينَ ﴿٣٢﴾ قُلْ مَنْ يَكْذِبُكُمْ بِالْقُرْآنِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الْإِيتُوكِ

المضردات: ﴿بيلوكم﴾: البلاء الاختبار.
والمراد نعاملكم معاملة المحتبر، انظر آيتي
(١٥، ١٦) من سورة المجر صحتي ٨٠٦، ٨٠٧.
﴿بفئة﴾: أي ابتلاء فهو تأكيد لما قبله من
غير لفظه.

﴿إِنْ يَتَخَذُولُوكَ﴾: (إِنْ) حرف نفى بمعنى (لَا)
﴿مزوا﴾: أصله مصدر وأريد به اسم
المعمول مبالغة أي مهزوما به.
﴿هم كاضرون﴾: كرز (هم) للمبالغة في
حصر الكمر فيهم.
﴿خلق الإنسان من عجل﴾: العجل والمجلة
طلب الشيء قبل أوانه والمراد أنه لفرط

استعجاله كأنه مخلوق منه أي شديد المجلة كما قال ﴿خالقكم من ضعف﴾ أي ضعفاء.

﴿آياتي﴾: المراد بها هنا دلائل صدق وعده تعالى وهي النعم التي يستعمل بهم.

﴿هذا الوعد﴾ أي الوعد بالمذاب أو القيامة. ﴿تأتيهم بفة﴾: أي تأتيهم القيامة فجأة

﴿نبتهم﴾ تدهشهم وتعيرهم. ﴿يسطرون﴾ يمهلون. ﴿خاق﴾: حل وبرزل بهم.

﴿يكلوكم﴾: يحفظكم.

المعنى لم نخلد أحداً مِمَّنْ قبلك بل ماثوا جميعاً حتى أنت أحب الناس إلينا ستموت جنب
وإذا فلا بد من موت هؤلاء المستهزئين بك والمستهزئين بوعديا على لسانك يبعثهم من القبور
وسيحاسبون على جرمهم. ثم أكد المعنى السابق بما يدل على عموم الموت لكل ذي نفس ولو

(١) آفئ. (٢) الخالدون. (٣) وآله. (٤) آلهكم. (٥) كاضرون.
(٦) الإنسان. (٧) ساريكم. (٨) آياتي. (٩) صانقين. (١٠) بالليل.

لم يكن من البشر كالملائكة والجن والحيوانات فقال: كل نفس لابد أن تذوق مرارة هراق جسمها، وبما ملكم في الدنيا أيها المكلفون معاملة المختبر بالبلايا والعمم اختبارا لكم هل تصبرون عند البلاء وتشكرون على النعم أم لا؟ ونظيره في الآية (٢٠) من سورة الصافات ٤٧٢، وترجعون في النهاية إلى ربكم فيجازيكم حسب ما صدر منكم، انظر آيتي (٤٣، ٤٤) من سورة الأنعام صفحتي ١٦٨، ١٦٩. ثم بين سبحانه بعض أنواع الفتنة التي مرت على ضعماء المؤمنين ووقع فيها المشركون فقال: وإذا رآك أيها النبي الكافرون من صناديد قريش وراوا قلة من آمن معك مع كثرتهم وضعفكم وقوتهم، ما يتخونوك ودينك إلا مهزوما به، فائلين هذا الرجل الضعيف هو الذي يذكر آلهتكم بسوء، انظر آيتي (٥٧، ٥٨) من سورة المائدة ١٤٨، يقولون ذلك والحال أنهم بالقرآن الذي جاء رحمة لهم هم كافرون لا يصدقون ما فيه. ولما كان من ضمن استهزائهم أنهم إذا سمعوا آية تدل على توعدهم بالعذاب وقيام الساعة يقولون منكبين: متى هذا؟ أي أنه لن يحصل، قال سبحانه: إن هؤلاء المشركين من جنس الإنسان شديدا التمجل حتى للشر، انظر آيات (١١، ٥٠، ٥١) سورة يونس صفحتي ٢٦٧، ٢٧٤ والآية (١٨) من سورة الشورى صفحة ٦٤١. ثم قال سبحانه: سأريكم نعماتي حتما فابتعدوا من الاستهزاء باستعجالها لأن هذا يضاعف لكم العذاب، ثم فصل بمضام استهزائهم فقال: ويقولون متى يتحقق وعدك يا محمد أنت ومن معك لنا بالعذاب إن كنتم صادقين فيما تقيمونه في كتابكم فأتونا به بسرعة، لو يعلم هؤلاء الكفار هول الوقت الذي يستمجلونه وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب ولا يقدرّون على دفعها ولا يجدون من ينصرهم بدفعها عنهم لما استمجلوا، بل ستأتيهم أهوال القيامة فجأة فتحيّرهم فلا يستطيعون ردها، ولا يمهلون لحظة عن إهلاكهم.

ثم هددهم بما حصل لمن قبلهم لما عملوا مثل عملهم، وطمان بيته بقوله: ولقد استهزأ أمم قبل أمتك برسولهم كما استهزأ هؤلاء بك همل بالذين سحرّوا من رسولهم المذاب الذي كابوا به يستهزئون، انظر الآية (٢٤) من سورة الأحقاف صفحتي ٦٦٩، ٦٧٠. ثم أرشدتهم إلى دليل آخر لو تبهوا له لرجعوا عن شركهم فقال قل لهم أيها النبي من هو الذي يحفظكم بالليل والنهار من عذاب الإله الحق الذي وسمكم برحمته إن أراد أن ينزله بكم؟ أي لا أحد يستطيع ذلك، انظر الآية (١٧) من سورة المائدة صفحة ١٢٩، والآية (١١) من سورة الرعد صفحة ٣٢٢، والآية (٢٣) من سورة يس صفحة ٥٨١، والآية (٢٨) من سورة الزمر صفحة ٦١١.

بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿١١﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ
تُنتَهَوْنَ عَنْ دُونِهَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنْهَا
يُصْعَقُونَ ﴿١٢﴾ بَلْ مَعَهَا هُتُولَاءُ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ
عَلَيْهِمْ أَنْصَرُّ أَفْلا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ مِنْ حَقِّهَا مِنْ
أَطْرَافِهَا أَهْمُ الْمَالِيُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ إِنَّمَا أُبَدِّكُمْ بِالرَّحْمَةِ
وَلَا يَسْمَعُ السَّمْعُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُدْعَوْنَ ﴿١٤﴾ وَلَهُمْ مِنْهُمْ
نَفْعَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ يَقُولُ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٥﴾
وَصَبَّحُ الْمَوْرِزِ الْقِسْطُ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ
شَيْئًا وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمْ خَصْمٌ مِنْ قَرْدٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنَّ
بَنِي حَاسِبِينَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ
وَصِهَابَ الْوَدِّ كَرَامَتَيْنِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَخْتَوُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ
وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿١٨﴾ وَهَذَا ذِكْرُ مُبَرِّكٍ أَنْزَلْنَاهُ

المفردات: ﴿يصحبون﴾: تقول العرب أنا صاحب لك من فلان، أي مجير لك من تعديه عليك. فالمراد لا يستطيع أحد نصرهم.

﴿هؤلاء﴾: المراد بهم مشركو العرب.

﴿أفلا يرون أنا نأتي الأرض﴾: إلخ: تقدم بيانها في الآية (٤١) من سورة الرعد صمحة ٣٢٨.

﴿أنذركم﴾: أي أحذركم من عذاب الله.

﴿نفخة﴾: أصل النفخ هبوب ريح لينة، والنفخة المرة منه. والمراد قدر ضئيل من العذاب.

﴿يا ويلنا﴾: تركيب يقال عند الندم والتعسر.

﴿القسط﴾: أصله العدل أريد به الوصف أي العادلة. ﴿منقال﴾ أي مقدار.

﴿خردل﴾: هو حب أسود صغير جداً يضرب به العرب المثل في الصغر.

﴿الفرقان﴾: المراد هنا التوراة التي فيها فرق بين الحق والباطل.

﴿وضياء﴾: عند ظلمات العميرة والجهل، وعطمه على ما قبله من قبيل عطف الصفة على الموصوف، وكذا يقال هيماء بعده، كقولهم جاء الملك العظيم وابن الهمام، انظر الآية (٥٣) من سورة البقرة صفحتي ١٠، ١١، والآية (١٢) من سورة الأحزاب صمحة ٥٥٠.

﴿وذكرا﴾: تذكرة وعبرة. ﴿مشفقون﴾: خائفون.

﴿وهذا﴾: يعني القرآن.

(١) آلهة.	(٢) آباؤهم.	(٣) الظالمون.
(٤) يا ويلنا.	(٥) ظالمين.	(٦) المولدين.
(٧) القيامة.	(٨) حاسبين.	(٩) آتينا.
(١٠) هارون.	(١١) أنزلناه.	

المعنى لا أحد يحفظهم غير الله، فهل تنبهوا؟ كلا بل هم عن تذكر ربهم معرضون. ثم انتقل سبحانه من وصفهم بالإعراض إلى توبيخهم بالاعتماد على ألهتهم فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ إِنْ أَمَّ لَهُمُ إِلَهٌ غَيْرُنَا تَمْنَعُهُمْ مِنْ عَذَابِنَا؟ كَلَّا لَأَنَّ هَذِهِ الْأَلْهَةَ لَا تَسْتَطِيعُ نَصْرَ نَفْسِهَا إِذَا تَعَدَّى عَلَيْهَا الْعِيرُ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ حِفْظَهُمْ مِمَّا نُرِيدُ بِهِ مِنْ هَلَاكٍ، أَيْ هَيْ هِيَ فِي شَأْنِ الْعِزِّ، فَكَيْفَ تَرْحُونَ مِنْهَا النَّصْرَ. ثُمَّ انْتَقَلَ سُبْحَانَهُ إِلَى وَعِيدِهِمْ بِالْهَلَاكِ مَعَ بَيَانِ أَنَّهُمْ اسْتَدْرَجُوا بِالْعَمَلِ حَتَّى تَمْرُصُوا لِلْهَلَاكِ فَكَانَهُ يَقُولُ إِنَّمَا تَوَرَّطُوا فِي تَوَهُمِ نَفْعِ أَلْهَتِهِمْ بِسَبَبِ تَمْنَعِهِمْ بِمَا يَشْتَهُونَ وَطَالَتْ مَدَّةُ حَيَاتِهِمْ فِي هَذَا التَّمَتُّعِ فَاسْتَغْتَرَوْا وَاهْمَلُوا النَّظَرَ وَابْتَعَثَ عَنِ الْحَقِّ، انْظُرْ مَا قِيلَ فِي الْآيَةِ (٣٥) مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ صَفْحَةَ ١٢٤. هَلْ طَمَسَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَاصْبَحُوا لَا يَرَوْنَ أَنَا بَأْتِي الْأَرْضَ نَقْصَهَا مِنْ جِهَاتِهَا بِأَهْلَاكِ الظَّالِمِينَ مِنْهُمْ. وَمَا دِيَارُ الْمُهْلَكِينَ مِنْهُمْ بِعِيدٍ، إِلَى آخِرِ مَا سَبَقَ فِي الرَّعْدِ، وَهَلْ إِذَا أَهْلَكْنَا مِنْهُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةَ فَهُمْ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ رَسُولَنَا وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ؟ كَلَّا وَبَعْدَ هَذَا التَّهْدِيدِ أَمَرَ سُبْحَانَهُ نَبِيَّهُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ لَا أَحْذَرُكُمْ مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي تَسْحَرُونَ مِنْهُ إِلَّا بِالْوَحْيِ الصَّادِقِ الَّذِي لَا يَحْتَكِفُ مَا وَعَدَ بِهِ، ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ أَنَّ طَوْلَ إِعْرَاصِهِمْ عَنِ الْحَقِّ طَمَسَ عَلَى أَذَانِهِمْ فَصَارُوا لَا يَسْمَعُونَ بِأَفْعَا وَلَا تَهْوِيضًا مِمَّا أَنْذَرْتَهُمْ، انْظُرْ آيَتِي (٦، ٧) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ صَفْحَةَ ٤، وَالْآيَةَ (٢٢) مِنْ سُورَةِ الْأَنْفَالِ صَفْحَتَيْ ٢٢٩، ٢٣٠. ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ ضَعْفَ هَؤُلَاءِ الْمُتَمَحَرِّفِينَ إِذَا رَأَوْا أَقْلَ شَيْءٍ مِنَ الْعَذَابِ فَقَالَ: وَعَرَّتِي لَنْ مَسْجَمٍ أَقْلَ شَيْءٍ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَا تَرْتَقِعُ صِرَاحُهُمْ بِقَوْلِهِمْ يَا هَلَاكُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ، أَيْ نَسَارَعُوا بِالْاعْتِرَافِ عَلَى أَنْصَبِهِمْ بِالظُّلْمِ. ثُمَّ هَدَدَهُمْ وَطَمَأَنَّنَبِيَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ أَيْ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْعَادِلَةَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِكَيْفِيَّتِهَا وَكَيْفِيَّةِ الْوَزْنِ، وَإِنَّمَا الْوَاجِبُ هُوَ اعْتِقَادُ الْعَدْلِ التَّامِّ، فَلَا تَظْلُمُ نَفْسٍ شَيْئًا مِنْ جَزَاءِ عَمَلِهَا، وَإِنْ كَانَ الْعَمَلُ ضَعِيفًا جَدًّا لَا يَدُّ مِنْ إِحْصَاةٍ وَوَزْنِهِ، وَيَكْفِي جَمِيعَ الْخَلْقِ أَنَّ اللَّهَ خَيْرُ الْحَاسِبِينَ لَا يَحْصِي عَلَيْهِ شَيْءٌ. ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ أَنَّ سُنَّتَهُ أَنْ يَرْسِلَ الرَّمْلَ بِالْوَحْيِ الَّذِي فِيهِ سَعَادَتُهُمْ فَقَالَ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ التَّوْرَةَ الْجَامِعَةَ بَيْنَ تِلْكَ الصِّفَاتِ الثَّلَاثِ الْعَظِيمَةِ آخِرُهَا أَنَّهَا تَذَكُّرُهُ تَمَتُّعِ الْمُتَّقِينَ الدِّينِ بِحَافُونَ رَبِّهِمْ فِي حُلُوتِهِمْ وَبِعَمَلِهِمْ عَنِ النَّاسِ، أَيْ لَا رِيَاءَ، وَالْحَالُ أَنَّهُمْ شَدِيدُو الْخَوْفِ مِنْ هَوْلِ الْقِيَامَةِ. وَهَذَا الْقُرْآنُ ذَكَرَ كَثِيرَ الْخَيْرِ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ لِنَنْفَعَهُمْ كَمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ عَلَى مُوسَى لِنَمُجَّ بِنِي إِسْرَائِيلَ.

المفردات: ﴿رشد﴾ الرشد الاهتداء إلى
وجوه الصلاح في الدين والدنيا.

﴿التمثيل﴾: جمع تمثال، وهو كل ما عبد
من دون الله يقال له (صنم) و(وثن) وإذا كان
جسمًا على هيئة إنسان أو حيوان يسمى
تمثال كما هنا وقد أطلق إبراهيم عليه
السلام على معبودات قومه أصنامًا كما في
الآية (٥٧) الآتية. واوثانا كما في الآية (١٧)
مكن سورة العنكبوت صمحتي ٥٢٢، ٥٢٣.

﴿لها عاكفون﴾: مداومون على عبادتها،
فاللام بمعنى على كما في الآية (٧) من سورة
الإسراء.

﴿مطرهم﴾: أشاهن.

﴿من الشاهدين﴾ الشاهد هو من عاين الشيء وتحقق منه وبرهن عليه.

﴿تولوا مدبرين﴾: أي تصرفوا عنها، أنظر الآية (٢٥) من سورة التوبة صفحة ٢٤٤.

﴿جداذا﴾ مأخوذ من الجذ وهو القطع كالعظام من الحطم وهو الكسر، والمراد هنا
أجزاء صغيرة.

﴿يذكروهم﴾ بآيه سيرقع الشر بهم. ﴿على أعين الناس﴾ أي على الملأ يشاهده الجميع.

المحس: هل بعد أن تبين لكم حليل مقام هذا البس والقرا أنتم منكرون له بعد ذلك،
متمادون في قولكم هو شاعر وكتابه أضغاث أحلام إلى آخر ما تقدم في الآية (٥) من هذه

أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُّكْرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ
مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ
مَا هَذِهِ الْأَصْنَانُ الَّتِي أَنْتُمْ هَذَا عَلَيْكُمْ ﴿٥٢﴾ قَرَأُوا وَجَدْنَا
آثَاءَنَا هَذَا عَنِ عَدُوكُمْ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآثَانَا
وَكُرَّ فِي صُلْبِي ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَحَقُّنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنْ
الظَّالِمِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ زُبَّكَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
الَّتِي فَطَرَهنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذِكْرٍ مِنَ الشَّهِيدِ ﴿٥٦﴾
وَنَافِلٍ لَا يَكِيدَنَ أَصْنَامُكُمْ نَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾
فَجَعَلَهُمْ جَدَاذًا إِلَّا كِبِيرَ الْمُمْ لَعَنَهُمُ إِلَهُ بِرَجُوعٍ ﴿٥٨﴾
قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهِنَا إِنَّهُ نَسِ الْغُلِيِّينَ ﴿٥٩﴾
قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا مَا نَأْتِي
بِهِ عَلَىٰ أَحَدٍ النَّاسِ لَعَنَهُمْ يَهُودٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَنْتَ

(١) آتينا	(٢) إبراهيم	(٣) عالمين	(٤) مكفون
(٥) آباءنا	(٦) عابدين	(٧) آباءكم	(٨) صلال
(٩) الظالمين	(١٠) السموات	(١١) الشاهدين	(١٢) أصنامكم
(١٣) يالهيثنا	(١٤) الظالمين	(١٥) إبراهيم	(١٦) أنت

السورة صفحة ٤٢٠. ثم أراد سبحانه أن يذكرهم بما حصل من قوم إبراهيم عليه السلام وإنجاء الله تعالى له وإهلاكهم لعلمهم يرتدعون فقال: ولقد آتينا رسولنا إبراهيم الرشيد الكامل اللائق به من قبل موسى وهارون، وكنا بما فيه من المصائب التي تؤهله للرسالة عالمين، انظر الآية (١٢٤) من سورة الأنعام صفحة ١٢٤، والآية (٨٤) وما بعدها من سورة الصافات صفحة ٥٩٢، الهمناء رشده حين قال لأبيه وقومه مسفها لهم ما هذه الأصنام التي ما هي إلا مجرد تماثيل نعتموها بأيديكم ثم تداومون على عبادتها. قالوا إنا وجدنا آباءنا لها وحدها عابدين ففسرنا على طريقتهم، فمن أنت حتى تحولنا عن عادة أشياخنا، فجابههم إبراهيم عليه السلام بالعق ولم يبال حيث قال وعرة ربي لقد كنتم أنتم وأباؤكم في ضلال وبعد عن الصواب واضح، فظنوا من جهلهم أنه يداعبهم فقالوا: هل أنت جاد فيما تقول أم أنت من اللاعبين الدين يمرحون؟ قال لست لاعبا بل أقرر لكم وأبلغكم أن ربكم الحق المستحق للعبادة وحده هو رب السموات والأرض الذي خلقهن، وأنا على ما أقول من المتحققين عليه البراهين. وقد كان لهم في كل عام عيد يجتمعون فيه خارج المدينة، وكانوا يضمنون الطعام في قاعة أصنامهم، فإذا رجعوا من العيد أكلوه تبركا، فلما أرادوا الخروج للعيد قال أزر لأبيه إبراهيم: اخرج معنا، فادعى أنه سقيم، فتولوا عنه، فقال بصوت منخمس: واللّه لأكيدن أصنامكم أي أحطمها بعد انصرافكم عنها، أراد بذلك تنبيههم من غفلتهم بشيء عملي بعدما تيقن أنه لم ينفع فيهم الحجاج العقل فقرر تحطيم آلهتهم ليعلمهم أنها إذا كانت لا تدفع عن نفسها فكيف يخافونها فسمعه بعض الصنفاء المتأخرون منهم، فلما رجع إلى قاعة الأصنام وكان الصمم الأكبر من صدرها قال مستهزئا، ألا تأكلون؟ ما لكم لا تتطقون؟ انظر الآيات من (٩١ إلى ٩٨) من سورة الصافات صفحة ٥٩٢. ثم أخذ هأسا وكسرها جميعا إلا أكبرها، فتركه ووضع العاس في عنقه لعلمهم يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيب، فيدركون خطأهم فلما رجعوا قالوا: مَنْ فعل هذا بالهتنا؟ إنه لَمَنْ الظالمين لنقمه بتعريضها للهلاك. قال بعضهم: سمعنا حتى يذكرها بالشر يقال له إبراهيم. قال كبارهم: فأحضروه على مشهد من الناس لعلمهم يشاهدون ما يعمل به من الحساب والعقاب فلا يجروا أحد على الإقدام على جريعته. فلما جاءوا به قالوا: هل أنت فعلت هذا؟..

المفردات: ﴿بل﴾: حرف يدل على إبطال

ما قبله وإثبات ما بعده.

﴿فعله كبيرهم﴾: أى الصنم الكبير منهم.

وقال ذلك توبيخاً لهم، أو أعرض بأن الحامل

له على كسرهما هو غيظه من كبيرهم لأنهم

كانوا يعظمونه أكثر من غيره.

﴿رجعوا إلى أنفسهم﴾: أى باللوم حيث

عبثوا من لا يدفع عن نفسه الضرر.

﴿نكسوا على رؤوسهم﴾: أصل نكس

الشيء قلبه وجعل أعلاه أسفله، والمراد أنهم

بعد إقرارهم بالخطأ فى عبادتهم انقلبوا من

تلك الحال إلى المكابرة والجحدل

المأطل.

فَعَلَتْ هَٰذَا بِأَلِهَيْتُمْ بِكُرْهِكُمْ ① قَالِ بَلْ فَعَلَهُ
كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَتَقُولُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَظُنُّونَ ②
فَرَجِعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَفَانُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ③ ثُمَّ
نُكِّسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَظُنُّونَ ④
قَالِ أَتُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا
يَضُرُّكُمْ ⑤ أَفِ لَكُمْ إِلَهُاتٌ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَغْلَا
تَعْبُلُونَ ⑥ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
فَاعِلِينَ ⑦ فَلَمَّا بَدَأُوكُمْ حَبْرَ الرَّيِّ أَرَادْنَا عَلَىٰ إِدْرَائِهِمْ ⑧
وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ⑨ وَنَجَّيْنَاهُ
وَلَوَّطْنَا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ⑩ وَوَهَبْنَا
لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ⑪ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ⑫
وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَمًا يَهْتَدُونَ يَا أُولِي الْأَبْصَارِ إِنِّي أَنْذَرْتُكُمْ يَوْمَ
الْمُلْقِ ⑬

﴿أف﴾ أصل أف صوت المتصمجر من قبح شيء، ثم صارت بمعنى أتصمجر، واللام لبيان

المتصمجر لأجله.

﴿حرقوه﴾: أى احرقوه بشدة وقسوة.

﴿لأرض التى باركنا فيها﴾: هى الشام، بعد أن كان بابل بالعراق.

﴿نافلة﴾: عطية زائدة منه تعالى على ما طلب لأنه كان طلب ولدا من سارة فأعطاه معه

ولد ولد وهو يعقوب.

- | | |
|---------------|-----------------|
| (١) بالهتاء. | (٢) يا إبراهيم. |
| (٣) هاسألوه. | (٤) الظالمون. |
| (٥) ألهمكم | (٦) هاعلى |
| (٧) يا نار | (٨) وصلا |
| (٩) إبراهيم | (١٠) فجعلناهم. |
| (١١) ونبياء | (١٢) باركنا. |
| (١٣) للمؤمنين | (١٤) إسحاق |
| (١٥) صالحين. | (١٦) وجعلناهم. |

المعنى: قال كفار بابل لإبراهيم عليه السلام هل أنت الذى فعلت هذا التكسير الذى حل بالهتتا؟ قال: لا يقصد لم أهمله عبثا بل تسبب فيه جهلكم فى تعظيمكم لها خصوصا الصنم الكبير منها، فأسألوهم عن كسرهما إن كانوا يطلقون، وفى هذا أقوى تنبيه لهم من غفلتهم. عند ذلك رجع عقلاء منهم إلى الصواب وقالوا: إنكم أنتم الظالمون بعبادة من لا ينطق ولا يضر ولا ينفع، لكن قوة الزعماء وخدام الأصنام الذين يتفهمون ببقائها مكسبتهم وأرجعتهم إلى الباطل بالمكابرة والجدل فقالوا لإبراهيم لقد علمت أنهم لا يطلقون فكيف تأمرنا بسؤالهم؟ قال هل وصل بكم الجهل هذا الحد فصيرتم تعبدون ما لا ينفعكم أهل نعم إن عبدتموهم ولا يضركم إن تركتموهم! إنى أتضجر لأجلكم أنتم وما تعبدونهم، أفلا تعقلون عند ذلك عمدوا إلى ما يعمد إليه القوى الجبار القاسى إذا عجز عن الحجة فإنه يلجأ إلى التكيل، لذا قالوا ابنوا له غرفة مرتفعة المحيطان حتى لا يتمكن من الفرار منها، واملأوها بالأخشاب وأشعلوا فيها النار ثم أقذعوه فيها من الأعلى، انظر الآية (٩٧) من سورة الصافات صفحة ٥٩٧، وبهذا تتصورون ألهمتكم على من أماتها إن كنتم فاعلين لها نصرا

فلما طرحوه فى النار قال سبحانه للنار كونى بردا وسلاما على حبللى إبراهيم. وهذا كناية عن حفظه من كل سوء. قالوا: ولو لم يقل سبحانه: «وسلاما» لقتله بردها. وأرادوا بإبراهيم كيدا وإصرارا فصيرهم الله هم الأخصرين بظهور حقه ومعق باطلهم، وأمرناه بالهجرة من العراق هو وابن أخيه لوط إلى الأرض المباركة وهى الشام وبهذا تم إنجائهم من كل كيد. وبركة الشام أن أغلب الأنبياء يموت فيها. ووهبنا له إسحاق ولد من زوجه سارة، وزدنا عطية رائدة هى يعقوب ولدا إسحاق. وكل واحد من إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب جعلناه صالحا كاملا. وجعلناهم أئمة يقتدى بهم يهدون الناس إلى الخير بإذننا. وأوحينا إليهم أن يفعلوا الخيرات ويحثوا الناس عليها.

المفردات. «حكما» المراد به هنا الحكمة وهى معرفة أسرار الأشياء، انظر الآية (٨٩)

من سورة الأنعام صفحة ١٧٦.

الْحَيَرَاتِ وَالْقَمُورِ وَالْمَلِكَةِ الرَّكُوزَةِ وَكَانُوا لَكَ
عَبِيدِينَ ٥٧ وَنُوحًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ
الْفَقْرِ أَنَّى كَانَتْ فَتَحُلْ الْحَبِيبُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ
سُوءٍ فَاسِقِينَ ٥٨ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ
الْمُتْلَعِينَ ٥٩ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
فَنَجَّيْنَاهُ وَأَمْلَأْنَا مِنْ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ٦٠ وَصَرَّيْنَاهُ مِنَ
الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سُوءٍ
فَاعْرِضْ عَنْهُمْ أَتَجِدُ ٦١ وَتَدَّوْرُهُ وَسَلْمًا إِذْ يَخْلِكُ
فِي الْحَرِّ إِذْ تَفَنَّتْ بِهِ غَمُّ الْقَوْمِ وَكَانَ يُحْكِمُ
شَاهِدِينَ ٦٢ فَهَمَّهَا سُلَيْمٌ وَكَانَ آتِيًا
حُكْمًا وَعِلْمًا وَنُوحًا مَعَ دَاوُدَ الْيَسَّارِ الْيَسَّارِ وَالطَّيِّرِ
وَكَانَ فَعِيلِينَ ٦٣ وَعَلَيْهِ سَعَةُ لُبْسٍ لَكَ لِيُحْكِمَكَ

﴿القرية﴾: هي سدوم بالذال كما هي

القلموس وهي أكبر قرى قوم لوط وكانت
بشرق الأردن.

﴿سوء﴾: أي شر يسيئون إلى كل من

يخالطهم.

﴿ونصرتنا من القوم﴾: (من) هنا بمعنى

(على) أي نصرتنا عليهم.

﴿الحرث﴾: المراد به الزرع.

﴿نفشت فيه﴾: انتشرت فيه ليلا ولم يكن

معه راع فاكلته وافسدت.

﴿شاهدين﴾: حاصرين بملئنا.

﴿فهمنها سليمان﴾ الضمير المؤنث يعود على الحكومة بمعنى الحكم الصحيح المفهوم

من (إذ يحكم).

﴿وسخرنا مع داود الحبال﴾ المتأمل لاستعمال القرآن لمادة التسخير يدرك منها معنى

جمل الشيء المسحر مهيأ لاستنفاع الإنسان به، انظر آيات (٢٢، ٢٣) من سورة إبراهيم، و(١٤)

من سورة النحل صفحة ٢٤٧، و(٢٦، ٢٧) من سورة الحج صفحات ٤٢٨، ٤٤٢، ٤٤٣، و(١٢).

(١) العيرت	(٢) الصلاة	(٣) الركاة
(٤) عابدين	(٥) آتينا	(٦) ورجينا.
(٧) لخبائث	(٨) فاسقين.	(٩) وأدخلنا.
(١٠) الصالحين	(١١) فتجيبنا.	(١٢) ونصرتنا.
(١٣) بآياتنا.	(١٤) فاقروقتناهم.	(١٥) وسليمان.
(١٦) شاهدين.	(١٧) فهمنها.	(١٨) سليمان.
(١٩) آتينا	(٢٠) فاعلين.	(٢١) وهلمنا.

(١٢) من سورة الزخرف صفحة ٦٤٨. وكذا مَنْ يتأمل استعمال القرآن للتسبيح والسجود يجدّه كثيرا ما يراد به أن الشيء الممسح أو المماجد ينادى بأن الإله الحق واحد، وأنه سبحانه وحده صاحب الخلق والأمر في كل الوجود، انظر آيتي (١٣، ١٥) من سورة الرعد صمحتي ٣٢٢، ٣٢٣، والآية (٤٤) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٠، والآية (١٨) من سورة الحج صمحتي ٤٢٥، ٤٢٦ وقد ورد تسبيح الجبال وتأويها مع داود في موضعين غير ما هدا، في الآية (١٠) من سورة سبأ صمحتي ٥٦٢، ٥٦٤، والآية (١٨) من سورة ص صفحة ٥٩٨.

وقال البيضاوي: يسبح أي يقدم الله معه بلسان الحال، بمعنى أن تتمثل له مسبحة، فيكون ذلك أبهج لنفسه، وأجمع لمشاعره، فيستغرق في التسبيح حتى يرى العالم كله مسبحا معه بلسان حاله الذي لا يعرف النفاق ولا غفلة القلب المعهودة في لسان المقال، ولذا قالوا لسان الحال أصدق من لسان المقال وإذا أردت المزيد في هذا الموضوع لتكون فكرتك سليمة واضحة فاجمع الآيات المشار إليها سابقا في سمعيد واحد أمام ناظريك وضم إليها ما في الآية ١ من سورة الحديد صفحة ٧١٨، والآية (١) من سورة الحشر صفحة ٧٢٩، والآية (١) من سورة الصف صفحة ٧٢٨، والآية (١) من سورة الجمعة صمحتي ٧٤٠، ٧٤١، والآية (١) من سورة التماين صفحة ٧٤٥ فإن المعنى يتجلى لك في أبهج صورة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿لبوس﴾ - أصل اللبوس اللباس، والمراد به هنا دروع الحرب.

﴿لتحصنكم﴾: لتحفظكم.

المعنى: وأوحينا إليهم فعل الخيرات خصوصا منها إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا محليين لنا في عبادتهم. وآتينا نبينا لوطا حكمة وعلما ناعما، ونجيناه من القرية التي كان أهلها يعملون كثيرا من العباث، أظفمها ما في الآية (٨١) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٥. إنهم كانوا قوم سوء وشر خارجين عن طاعة ربهم، فخفف الله تعالى بهم القرية ونجاه وأهله إلا امرأته، وأدخله في أهل رحمته لأنه من عباده الصالحين. و أكرمنا نوحا حين نادى أبى مغلوب فانتصر

لى يارب، انظر الآية (٢٠) من سورة القمر صفحة ٧٠٥. وكان بدء نوح من قبل هؤلاء الأنبياء المذكورين فاستجبنا له، وبئس سبحانه كيف استجاب بقوله هأنحياء وأهله من الكرب العظيم وهو الطوفان ونصرناه على الكافرين المكذبين بآياتنا الدالة على وجودنا وصدق نوح في رسالته حال كوننا حافضين له من أذاهم، لأنهم كانوا قوم شر فاهلكناهم بالمرق اجمعين.

وأتينا داود وسليمان فضلا حين حكما في قضية الررع الذى اتمته العنم ليلا، وكنا لذلك الحكم المتعلق بهما وبالمتحاكمين من اصحاب الررع والعنم عالمين، فآلهما سليمان الحكم الأقرب للصواب وذلك ان داود حكم بالعنم لأهل الررع، وكانت القيمة متساوية، وكان سليمان حاضرا، فقال غير هذا أرفق بالطرفين، وأرى أن تسلم العنم لأهل الررع يأخذون من نتائجها والبيانها وأصوافها، وتسلم أرض الزرع لأصحاب العنم فيزرعونها حتى تصبح كما كانت، عند ذلك يمود كل منهما إلى ملكه هاقره داود وكان كل منهما مجتهدا، والمجتهد مثاب على كل حال، ولذا قال سبحانه: وكلا منهما أتينا حكما وعلمنا بافما يسمع من أن يجرى وراء هواه.

ثم بيّن ما من به سبحانه على كل منهما فقال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير كذلك تسبح، وكنا فاعلين أى هذا لا يمجربنا ولا ما هو أعظم منه وعلمنا داود صفة عمل دروع العرب من الحديد ولم تكن معلومة من قبل لنحفظهم من أذى العدو.

المفردات: ﴿بأسكم﴾: أى حروب عدوكم.

﴿هل أنتم.. الخ﴾: هل حلف استغاثهم أريد به هنا طلب ما يمد.

﴿عاصفة﴾: المراد: قوة سريعة المير وإن كانت في نفسها مريجة لينة لا اضطراب فيها.

انظر الآية ٢٦ من سورة من صفحة (٦٠١).

﴿الأرض التى باركنا فيها﴾: هى الشام بكثرة الأنبياء منها ووفرة خيراتها.

﴿ينفوصون﴾. يملون في عملاق البحر لاستخراج اللؤلؤ وغيره.

مِنْ بَشَرٍ مِّمَّنْ أَنْتُمْ تُشْكُرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلِلَّيْمَنِ الرِّيحُ
عَاصِفَةٌ تَجْرِي بِنُفْرَةٍ إِلَى الْأَرْضِ أُنْفِثَتْ فِيهَا
وَكَا يَكْفُلُ نَفْسَهُ عَالِيَمٌ ﴿٤١﴾ وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ
يُؤْصِلُونَ لَهُ وَيَحْمِلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَمَكَائِلُ
حَافِظِينَ ﴿٤٢﴾ * وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ
الْفُتُورُ وَآتِ أَوْسَمَ الرَّاحِمِينَ ﴿٤٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا
مَا بِهِ مِنْ صُرْمٍ وَاتَّيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا
عِنْدَ مَا وَدَّعُنَا رِقَابَهُمْ ﴿٤٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ إِذْ دَرَسَ
وَدَا أَنْ كَفَّلَ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي
رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ وَذَا النُّونَ إِذْ ذُكِّرَ
مُنْصَبًا مَطْرُودًا لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ مَادَّةً فِي الطُّلُبِ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

﴿عملا دون ذلك﴾ - كبناء المدن والقصور
وكلمة ﴿دون﴾ هنا معناها (غير) كما هي
الآية (١١٨) من سورة آل عمران صفحة ٨٢،
والآية (١١٦) من سورة المائدة صفحات
١٦٠، ١٦١.

﴿الضرر﴾: بالضم هو كل ما يمس
الشخص في نفسه كالمرض والهزال، وبالفتح
هو الضرر في كل شيء.

﴿وذا الكمل﴾: قيل هو من أنبياء بني
إسرائيل. وقيل هو صالح، انظر كلاما كثيرا
في تفسير ابن كثير.

﴿ذا النون﴾: النون اسم للحوت وجمعه

نينان كدود وديدان، وذا النون أي صاحب. الحوت، وهو نبي الله يونس بن متى؛ وكان رسول.
الله لأهل (بنوى) بكسر أوله، وسكون ثانيه، وفتح ثالثه ورابعه. وهي من قرى الموصل بالعراق.
﴿مغاصيا﴾. أي غاضيا من قومه لعدم إيمانهم.

﴿لن نقدر عليه﴾: أي لن نصيق عليه الأمر بل نبيع له تركهم، انظر قوله تعالى

﴿نقدر عليه﴾. إلخ الآية (١٦) من سورة الصحر صفحة ٨٠٧.

المعنى. لتعصمكم من ضرر حرب عدوكم، ثم قلنا لهم هل أنتم شاكرون؟ والمراد أمرهم
بالشكر وسفرنا لسليمان الريح حال كونها قوية في ذاتها فجعلناها تجري حسب رغبته هينة

(١) شاكرون.	(٢) وسليمان.	(٣) باركا.
(٤) عالمين.	(٥) الشياطين.	(٦) حافظين.
(٧) الراحمين.	(٨) وآتينا.	(٩) تلاميذين.
(١٠) وإسماعيل.	(١١) الصابرين.	(١٢) وأدخلناهم.
(١٣) الصالحين.	(١٤) مغاصيا.	(١٥) الظلمات.
(١٦) سبحانه.	(١٧) الظالمين.	

لية إلى الأرض التي احتربا له الإقامة فيها لكثرة خيراتها، انظر الآية (٢٦) من سورة من صفحة ٦٠١، وكنا بكل شيء عالمين، فلا تجرى الأشياء إلا على ما تقتضيه حكمتنا، وسحرنا لسليمان أيضا بعض الشياطين يستخرجون له من خيرات البحار ومفائسها، ويعملون له عملا غير ذلك كبناء الحصون والقصور، وكنا حافظين ومراقبين لأعمال هؤلاء الشياطين فلا ينال احدا منهم سوء، ولا يتمردون على سليمان، وسيأتي بقية الموضوع في الآية (٢٦) من سورة من صفحة ٦٠١.

واقديا أيوب حين نادى ربه وقد نهكه المرض ومات جميع أولاده، وقال في ندائه مستشفعا برحمته تعالى التي وسعت كل شيء كما في الآية (١٥٦) من سورة الأعراف صفحة ٢١٧: يا رب إني مسى الصر وانت أرحم الراحمين، واستحي من أن يذكر مطلوبة صراحة، لذا مدحه سبحانه وتعالى في الآية (٤٤) من سورة من صفحة ٦٠٢ بأنه نعم العبد الصابر، فأجاب الله تعالى ضراسته بأن كشف عنه غمة مرضه، ورزقه أولادا بعدد من مات منهم، وزاد عليهم مثلهم رحمة منه سبحانه بعبده الصابر وعبرة لفهره من العايدين ليصبروا كما صبر، ويتأدبوا كما تأدب هيالوا ما نال، وأكرمنا إسماعيل نبي الله بن إبراهيم، ونبي الله إدريس حفيد نوح، وذا الكمل، كل هؤلاء من الصابرين على شدائد التكليف، وأدخلناهم نعيم رحمتنا وهي الجنة، انظر الآية (١٠٧) من سورة آل عمران صفحة ٨٠ لأنهم من عداد الصالحين الكاملين. ونجينا ذا النور حين هجر قومه الذين أرسل إليهم، وكانوا نحو مائة ألف في بلد من بلاد الموصل بالعراق عضبا من عنادهم وتصميمهم على الكفر ظانا أن الله تعالى يبيح له هذا القرار، وكان ظنه خطأ، فعاقبه الله تعالى بأن طرحه في البحر، هالتقمه الحوت، انظر الآيات من (١٣٩) إلى (١٤٨) من سورة الصافات صفحة ٥٩٥. فنأدى في ظلمات بطن الحوت والماء والليل قائلا: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ أي لنفسي بعمل ما لا يرضيك يا رب.

المفردات: ﴿لا تذرني﴾: لا تتركني.

﴿مردا﴾ أي بلا ولد يرثي، انظر الآيات من (٢٨ إلى ٤١) من سورة آل عمران صفحة ٦٩.

﴿وأصلحنا له زوجة﴾: جعلناها صالحة

للولادة بعد أن كانت عاقرا كما في الآية (٥)

من سورة مريم صفحة ٢٩٦.

﴿رغبنا ورهبنا﴾: أى رغبة فى رحمتنا

وخوفا من عذابنا، انظر الآية (٩) من سورة

الزمر صفحة ٦٠٧.

﴿والتي أحصنت فرجها﴾: هى السيدة

مريم ابنة عمران، والمراد حفظته فصارت

عفيفة، انظر معانى الإحصان فى الآية (٢٤)

من سورة النساء صفحة ١٠٢.

﴿ونفخنا فيها من روحنا﴾: النفخ فيها

كناية عن وضع سر من أسرار الله تعالى فى بطنها، انظر الآية (٢٩) من سورة الحجر صفحة

٢٤٠، والآية (٨٥) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٦.

(١) ونجبناه.

(٢) فنجى.

(٣) الوارثين.

(٤) يسارعون.

(٥) الخبرات.

(٦) خاشعين.

(٧) وجعلناها.

(٨) آية.

(٩) للعالمين.

(١٠) واحدة.

(١١) راجعون.

(١٢) الصالحات.

(١٣) كاتبون.

(١٤) وحرام.

(١٥) أملكناها.

فَلَنَجْجِلَنَّهٗ وَنَجْعَلَنَّ مِنَ الْعَمَلِ وَكَذَلِكَ نَجْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾
وَرَحْمَتِي يَآ إِدْرِىءُ رَبِّى لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنْتَ
خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٣٦﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ نَحْمِ
وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَيَدْعُونَ رَحْمًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٣٧﴾ وَالَّتِى
أَحْصَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا
وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٣٨﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٣٩﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ
كُلُّ إِنْسَانٍ لِرَاجِعُونَ ﴿٤٠﴾ قَسِ يَمْعَلُ مِنَ الصَّالِحَاتِ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ۚ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُودٌ ﴿٤١﴾
وَحَرَامٌ عَلَى قَوْمٍ أَنْ مَلَكَتْهُمْ أَمْهٌ فَلْيَرْجِعُونَ ﴿٤٢﴾ حَقٌّ لِّئَا
فَعَثَ بِأَجْرٍ وَمُتَجَرِّعٌ وَمِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٤٣﴾

﴿وابنوها﴾: هو عيسى عليه السلام.

﴿آية للعالمين﴾. أي جعلنا حالتها دليلاً للعالمين على كمال قدرتنا.

﴿هذه أمّتكم﴾: أصل الأمة الجماعة المتفقون على دين، ثم أطلق على الدين نفسه وهو المراد هنا، انظر الآية (٢٢) من سورة الزخرف صفحة ٦٤٩ والخطاب هنا لجميع المكلمين. والمراد: هذه الشريعة هي شريعتكم.

﴿أمة واحدة﴾: أي حال كونها ديناً واحداً عند جميع رسل الله والمراد بالدين هنا هو أصول الإسلام، انظر الآية (١٢) من سورة الشورى صفحتي ٦٣٩، ٦٤٠.

﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ أي تصرفوا جاعلين أمر دينهم فيما بينهم قطعاً متباينة حسب شهوات كل منهم بما سولت له نفسه مع أن دين الله عند جميع الرسل واحد هي أصوله، انظر الآية (٥٢) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٠، والآية (٢٢) من سورة الروم صفحتي ٥٢٤، ٥٢٥؛ ثم انظر الآية (١٢) من سورة الشورى صفحتي ٦٣٩، ٦٤٠.

﴿هلا كفران لسميه﴾: أي لا نكران لثواب سعيه.

﴿وحرام على قرية﴾. إلخ أي ممتنع عدم بعثها يوم القيامة، وهذا رد على أمّيتهم عدم البعث.

﴿يا جوج وما جوج﴾: تقدم الكلام على أصلهما في الآية (٩٤) من سورة الكهف صفحة ٣٩٢ وقوله تعالى ﴿فتحت يا جوج وما جوج﴾. نسبة الفتح ليا جوج على تقدير مضاف مبهم من السياق، والأصل فتحت طريق يا جوج إلخ، تقول العرب: بنى الأمير المدينة.. يريدون بني عمال الأمير، ومنه في القرآن: ﴿وأسأل القرية﴾.. إلخ الآية (٨٢) من سورة يوسف صفحة ٢١٥ أي أسأل أهل القرية.

﴿حذب﴾ أصل الحذب هو ارتفاع الظهر. ثم أطلقه العرب على كل مرتفع من الأرض.

﴿ينسلون﴾- تقول العرب نسل الذئب يفتح النور والعين نسلان إذا قارب الحطو وأسرع في مشيته.

والمراد يصرعون المروء من الأكام والمرتمعات. قال ابن عباس: هذه صفتهم حال خروجهم.

المعنى فأجبتنا دعاء ذي النون أي يونس، وبحينا من العم الذي كان فيه، وكما أنجيتنا لما عرف ذنبه ورجع إلينا سجي كل مؤمن يقر بدنبه ويلجأ إلينا.

واكرمنا ركريا حين نادى ربه وهو في محراب مريم كما في آيتي (٢٨، ٢٩) من سورة آل عمران صفحة ٦٩ بالبداة المبين في أول سورة مريم، و منه قوله يا رب لا تتركني بدون وارث وأنت يا رب خير من يبقى بعد كل من يموتون، يشير إلى الشاء عليه سبحانه بدوام البقاء وإلى هاء كل ما سواء، ووهينا له يحيى وصيرنا امراته التي كانت عاقرا لا تلد صالحة للولادة، واکرمنا كل هؤلاء الأنبياء المذكورين لأنهم كانوا مداومين على المبادرة إلى كل خير، ويدعوننا رغبة في رحمتنا وخوفا من عذابنا، وكانوا لا يحشمون إلا لنا، وقد تقدم معنى الحشية في الآية (٢٨) من هذه السورة صفحة ٤٢٢ ومن عبادتنا الدين اصطفياهم مريم التي حافظت على عفافها فوصفنا في خوفها سرا من أسرارنا كان به عيسى بدون أب، وجعلنا ذلك برهانا للمالعين على تمام قدرتنا عل كل ما يريد، ثم أراد سبحانه أن يحث الناس على ملة الإسلام التي هي دين جميع الرسل كما في الآية (١٩) من سورة آل عمران صفحة ٦٥ فقال مخاطبا جميع الناس: وإن هذه الملة التي هي الإسلام هي ملتكم الصحيحة التي يجب أن تحافظوا عليها حال كونها ملة واحدة عند جميع الرسل، وأنا ريكم واحد فلا تعبدوا غيري، ومع هذا لم ينتفع بهذا الإرشاد إلا قليل، والأكثر جعلوا أمر دينهم بينهم قطعا، أي فتصرفوا في الدين الداعي إلى الوحدة كل حزب بما لديهم فرحون، انظر الآية (٥٢) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٠. وكل هرة سترجع في الآخرة إلينا ونوفيها جزاءها، ثم فصل ذلك فقال: فمن يعمل بعض الأعمال الصالحات وهو مؤمن فلا نمنع عنه ثواب سعيه وإننا لعمله كاتبون وحافظون فلا يصعب عليه منه شيئا، وممتنع على أهل كل قرية أهلكتها بسبب ظلمها أنها لا ترجع إلينا يوم القيامة، أي فالابد من البعث والجزاء، ولا نكتفى بعذابها في الدنيا، وسيبقى أهل الدنيا على

حالهم حتى يفتح باب الشر بانطلاق عوامل الموصى ويعم المعناد، والقائمون بهذه الموصى يسرعون من كل مرتفع من جبال أو طرق، حيث انحدرت جيوش القطار بقيادة (چنكير خان) من الشمال الشرقي لآسيا وليس من سد (دى القربين) (الحديدى) ولا من سد (باب الأبواب) المتقدم الكلام عليهما عند الآية (٩٣) من سورة الكهف صفحة ٣٩٢ لأن هذين السدين باقيا إلى اليوم، وسيبقى سد (دى القربين) إلى أن يدك مع الأرض والجبال يوم القيامة كما تقدم

ولما عبر (چنكير خان) بجيوشه التي تفوق الحصر نهر (يحيون) كان أول هجومه على (بخارى) هي ٤ دى الحجة سنة ٦١٦ هجرية ثم اتجهوا إلى (سمرقند) فدخلوها في محرم سنة ٦١٧ هجرية وأهروا كل ما يلاقيهم من حيوش، ونهبوا كل ما يريدون فهدب العرب منهم في قلوب جميع الخلائق هي تلك المناطق واستولى عليهم المرع فلم يبق على الوقوف في طريقهم أحد لشدة توحشهم، وما علم عنهم من التكيل الشديد بكل من يقف في طريقهم، ثم عبروا نهر (جيهون) ودخلوا مدينة (نيسابور)، ثم اتجهوا نحو (الرى) ونهبوها، ثم دخلوا (همدن) ثم (قزوین) وقتلوا من أهلها نحو ٤٠ ألفا، ثم توجهوا نحو (أذربيجان)، ثم (تبريز) وهي سنة ٦١٨ هجرية دخلوا مدينة مراغة، هقتلوا أكثر أهلها، ونهبوا كل ما يصلح للنهب، وهكذا صاروا يستولون على تلك البلاد شيئا فشيئا بدون مشقة حتى حكموا كل البلاد العارسية، ولما توفي (چنكير خان) سنة ٦٢٤ هجرية كانت بغداد لا زالت مقر الخلافة العباسية بعيدة عن الخطر ولما تولى الخلافة (المستعصم بالله) سنة ٦٤٠ هجرية دخل (هولاكو) حميد (چنكير خان) بغداد بجيش جرار فقتل (المستعصم)، ويموته مات آخر خليفة عباسى، وأتلف هولاكو كل ما في بغداد من دور الكتب والقصور، وقذف بأنفس الكتب الإسلامية في نهر دجلة، وكانت تلك أظع خسارة علمية، وبعد مدة وحه (هولاكو) جيوشه إلى الشام ليفز منها إلى مصر وغيرها، فأرسل حاكم مصر في ذلك الحين السلطان (قطر) جيشا تحت قيادة (الظاهر بيبرس) الذي تولى سلطنة مصر بعد (قطز) فهرم جيوش القطار هزيمة منكرة في المكان المسمى (عين جالوت)، ووقى الله أهل مصر والشام شر هؤلاء الفداة.

وبعد هذه الموقعة ذهبت هيبة جيوش التتار، وانكمرت شركتهم، وهذا الجيش المعرب هو يأجوج ومأجوج المذكور هنا هي الآية وقد تبين بطلان الرأي القائل إن ذلك سيحصل عند قيام الساعة، ويؤيد ما قلنا الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد بن حنبل وأخرجه البخاري وقال ﷺ (لَيُخْرَجَنَّ هَذَا الْبَيْتَ وَلَيُتَمَرَّنَ بَعْدَ خُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ) اللام فيهما للقسم والمعنى والله ليخرج الناس ويمتروا بعد خروج يأجوج ومأجوج، وهذا هو الحاصل الآن، وقد جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ما يفيد أن النبي ﷺ أطلق (يأجوج ومأجوج) على كل من لم يؤمن بالله ورسوله وأنهم يملكون من الكثرة حدا يجعل نسبة المؤمن إليهم كتمسبة واحد إلى ألف، وقال ابن كثير في تعليقه على هذا الحديث أنه يدل على كثرة يأجوج ومأجوج، بعدما أورد ابن كثير في كتابه النهاية في التاريخ الجزء الثاني صفحة ١٠٩ طبع المنار حديث رينب روج النبي ﷺ الذي رواه البخاري ومسلم من أنه ﷺ استيقظ من النوم جزعا فلما سئل قال ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلّق بأصابعه حلقة سميرة قال ابن كثير إن هذه إشارة منه ﷺ إلى فتح أبواب الشر والفتن، فهو استعارة وصرب من المثل.

وقد فتحت المتن على المسلمين بمقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولم يعلق بابها إلى اليوم، وفتح بابها الأكبر بفارة التتار هذه ومعنى هذا أنه ﷺ لا يريد بما فتح سد ذي القرنين الذي لن يدلك إلا يوم القيامة مع الجبال والأرض، انظر الآية (٩٨) من سورة الكهف صفحة ٢٩٤ والله أعلم.

المفردات «واقترب». أي قرب جداً، انظر «اقتربت الساعة» الآية (١) من سورة القمر صفحة ٧٠٤.

«الوعد»: المراد بالوعد هنا الشيء الموعود به وهو هنا يوم القيامة.

«فإذا هي»: (إذا) كلمة تدل على حصول ما بعدها عقب حصول الموعود به المفهوم مما قبلها بسرعة، والفاء تؤكد هذا الربط. (هي) كلمة تدل على حالة مبهمه تقصرها الجملة

وَأَقْرَبَ التَّوَعُّدِ فَأَذَانٌ مِنْ شَبِيحَةِ ابْصُرُ الَّذِينَ
كُفَرُوا يَنْوِيلُنَا قَدْ كُنَّا فِي غَمَلٍ مِنْ هَذَا بَلَّ كَأَنَّ طَلِيلِينَ ①
إِنْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا
وَارِدُونَ ② لَوْ كَانَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةٌ لَآتَيْنَاكَ بَرْذَنًا وَكُلًّا مَبِينًا
تُحْلِدُونَ ③ هَلْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهٌ لَكُمْ تَعْبُدُونَ ④ إِنْ
الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَقِّ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ مُعَذِّبُونَ ⑤
لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَةً وَهُمْ فِي مَا تَأْتِيهِمْ آتُفُهُمْ
خَالِدُونَ ⑥ لَا يَخْرُجُ مِنْ تَحْتِهِمْ الْأَنْهَارُ وَلَهُمْ فِيهَا الْمَلَأَتْهُ
هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ⑦ يَوْمَ تَطُورُ
السَّمَاءُ كَقَلْبِ الْوَيْلِ لَكُنَّ كَذَّابًا أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ
وَعَلَى عِلِّيَّانَ ⑧ كَأَنَّ طَلِيلِينَ ⑨ وَلَقَدْ كُتِبَ فِي الزُّبُرِ
بَعْدَ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ⑩

المذكورة بعدها. وحكمة هذا الاستعمال أن
الضمير (هي) لا يهم منه أول الأمر إلا شيء
مبهم له خطره.

فلذا يتروق السامع بهانه. فإذا ما جاء هذا
البيان بعد ذلك يتمكن من فهمه أقوى تمكن.

﴿شاخصة﴾: خبر مقدم و﴿أبصارهم﴾.
مبتدا مؤخر. فكانه قيل: هذا الشيء العطير
هو أن أبصار الكافرين تكون شاخصة عند
هذا الهول. ومعنى شاخصة مرتفعة الأجماع.
لا تغمض أبداً من شدة الكرب. انظر الآية
(٤٢) من سورة إبراهيم صفحة (٣٢٦).

﴿ياويلنا﴾: تركيب يقوله المتحسر
السامع. والويل هو الهلاك.

﴿بل كنا ظالمين﴾: بل حرف يدل على الإعراض عما قبله. والاعتراف بما يدكر بعده.
والمراد أن الأدلة كانت قائمة أمامنا دائماً، وكنا نتعافل عنها، فلم نكن في غملة أبداً بل دائماً
على ظلم أنفسنا بهذا التعافل.

(١) شاخصة.

(٢) أبصار.

(٣) يا ويلنا.

(٤) ظالمين.

(٥) واردون.

(٦) آلهة.

(٧) خالسون.

(٨) وتلقاهم.

(٩) الملائكة.

(١٠) فاعين.

(١١) الصالحون.

﴿وما تعبدون من دون الله﴾ أى من الأصنام وحبود الكفر. كالأخبار فى الآية (٢١) من سورة التوبة صفحة ٢٤٥، وهرعون فى الآية (٢٨) من سورة القصص صفحة ٥١٢، والشيطان فى الآية (٤٤) من سورة مريم صفحة ٤٠٠ والآية (٦٠) من سورة يس صفحة ٥٨٤

﴿خَصَب﴾ كلمة مأخوذة من الخصب بمعنى فسكون، وهو الرَّمى والمراد به هنا ما يرمى به فى النار كالعطب.

﴿لها واردون﴾ اللام هى (لِ) بمعنى (على) أى عليها.

﴿لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها﴾ لما كانت هذه القضية جاءت على الأسلوب الذى يقول عنه علماء المنطق إنه دليل شرطى، أو استثنائى فله عندهم اسمان وهو المؤلف من قصيتين يلزم عضلا من إبطال ثابتهما إبطال الأولى. كما تقول فى الرد على من يدعى أن الشمس طالعة لو كانت الشمس طالعة لما كان الجو مظلمًا، ولما ظهرت النجوم لامعة، ولكن الثابت المشاهد الآن هو أن الجو مظلم، والنجوم ظاهرة، ثبت أن الشمس ليست طالعة، ولما كانت القضية الثابتة فى الآية وهى قوله تعالى ﴿ماوردوها﴾ قد يغنى دليل إبطالها على الكثير، وأعمل الكلام عن ذلك جل المفسرين، ومن تنبه لذلك كالمفسر الراى لم يوضحها بما يقضى على الشبهات، يقول لما كان كل هذا رأينا أن نتبسط فى بيان هذا الدليل حتى يتيسر فهمه لمن لم يمارسوه فنقول جرت سنة القرآن أنه يستغنى عن ذكر بعض أحراء الكلام كحواب (لو) مثلا لأنه مذكور فى موضع آخر من القرآن نفسه، انظر بظير ذلك فى شرح الآية (٢١) من سورة الرعد صفحة ٢٢٦؛ كما جرت سنته أيضا أنه بعدما يشدد فى لعت الأنظار إلى التأمل فى الأدلة بصحة الأصول التى يجب اعتقادها، ويكرر هذه الأدلة مرارا على وجوه مختلفة حتى لا يدع لأحد عدرا فى العظة عنهما، يقول بعد كل ذلك يرتب على هذه الأدلة آثارها، على اعتبار أن ما أثبتته حاصل محقق لا يقبل جدلا، ولا ادعاء عملة من متماقل، وظهر هذا الدليل الاستثنائى فى القرآن قوله تعالى فى الآية (٢٢) من هذه السورة (لو كان فيهما آلهة إلا الله لعمدنا) والمعنى.. ولكنهما لم يعصدا فيتعين أنه ليس فيهما إلا إله واحد؛ وسنعرض لبعض من يظهر ذلك فيما يلى:

منها أنه أقام سبحانه الأدلة القاطنة بصور متعددة كما سبق على وجوب إفراده سبحانه بالعبادة، وإبطال عبادة غيره، بإثبات أنها مخلوقة له سبحانه مثل عابديها، وأنها عاجزة لا تتع ولا تضر، وأن عابديها يسمونها عند الشدة، ولا يذكرون إلا الله وحده؛ انظر آيتي (٤٠، ٤١) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨، والآيات من (١٩٠ إلى ١٩٨) من سورة الأعراف صفحات ٢٢٤، ٢٢٥، والآية (٢٢) من سورة يونس صفحة ٢٦٩، والآيات (١١، ١٥، ١٦) من سورة الرعد صفحة ٣٢٣، والآيات (١٧، ٢٠، ٢١) من سورة النحل صفحة ٣٤٧، والآيات من (٧٣ إلى ٧٦) من سورة النحل صفحات ٣٥٥، ٣٥٦، وآيتي (٦٦، ٦٧) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٣، والآية (٧٣) من سورة الحج صفحة ٤٤٤، والآيات من (٧٠ إلى ٧٣) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٤، والآيات من (٧٧ إلى ٨٢) من سورة الشعراء أيضا صفحة ٤٨٥، والآية (٤١) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٦، والآية (٦٥) من سورة العنكبوت أيضا صفحات ٥٢٩، ٥٣٠، وآيتي (٤، ٥) من سورة الأحقاف صفحة ٦٦٦.

ومنها: أنه سبحانه نبه عقول المشركين للتأمل في هذا الكون العظيم ليصلوا من ذلك إلى أن هذا العالم المتقن الصنع وما حواه من أسرار لا يقدر على إيجاده إلا إله واحد لا يمجره شيء يريده، انظر الآية (١٨٥) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٣، والآيات من (٣٠ إلى ٣٣) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٣.

ومنها: أنه سبحانه ألجأهم إلى الاعتراف بأنه وحده هو الذي أعاد عليهم ما هم فيه من النعم، ولا دخل لمعبوداتهم في ذلك، انظر الآيات (٣١، ٣٤، ٣٥) من سورة يونس صفحات ٢٧١، ٢٧٢، والآيات من (٢٤ إلى ٢٦) من سورة إبراهيم صفحات ٢٢٤، ٢٢٥، والآيات من (٥ إلى ١٨) من سورة النحل صفحات ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، والآيات من (٨٠ إلى ٨٢) من سورة النحل صفحات ٣٥٦، ٣٥٧، والآيات من (٦٠ إلى ٦٤) من سورة النمل صفحات ٥٠١، ٥٠٢، والآيات من (٦١ إلى ٦٣) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٩، والآية (٢٧) من سورة السجدة صفحة ٥٤٨.

ومنها أنه سبحانه أمرهم بالعمير في الأرض، والتأمل في عاقبة من كذبوا رسلهم ليقتلوا عن تكذيب رسلهم، حتى لا يعمل بهم ما حل بمن قبلهم من العذاب، انظر الآية (٦) من سورة

الأنعام صفحة ١٦٢، ١٦٣، والآية (١٨٥) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٢، والآية (٧٠) من سورة التوبة صفحة ٢٥٣، والآية (١٣) من سورة يونس صفحة ٢٦٧، وآيتي (٨٢، ٨٣) من سورة هود صفحة ٢٩٦، والآيات من (١٠٠ إلى ١٠٢) من سورة هود صفحة ٢٩٩، والآية (٤٥) من سورة إبراهيم صفحة ٣٢٦، والآيات من (٦٦ إلى ٧٧) من سورة الحجر صفحات ٣٤٢، ٣٤٣، والآية (٣٦) من سورة النحل صفحة ٣٥٠، والآية (٤٠) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٥، والآيات من (٦٧ إلى ٦٩) من سورة النمل صفحات ٥٠٢، ٥٠٣، والآية (٢٨) من سورة العنكبوت صفحات ٥٢٥، ٥٢٦، والآية (٢٦) من سورة السجدة صفحات ٥٤٧، ٥٤٨.

ومنها: انه سبحانه ملوكهم بأدلة ثبوت اعتناقهم إلى الالتفات إلى التأمل في حال الرسول ﷺ، وهما يقوله عن ربه حينما يتحدث عما سيقع في أسلوب أنه واقع فعلا ليملا قلوبهم خشية، وحوها، من أمر واقع لا محالة، فمن ذلك: «فقالوا لا علم لنا»، والأصل «يقولون» انظر الآية (١٠٩) من سورة المائدة صفحة ١٥٩، و(أتى أمر الله) أي أن يوم القيامة الذي قلت أنه سيحصل لا بد من حصوله حتى كأنه حاصل من الآن، انظر الآية (١) من سورة النحل صفحة ٣٤٥، ويمرض سبحانه ما سيلاقيه المجرمون في جهنم بصيغة الفعل الماضي حتى كأنه وقع وصح التحدث عنه، انظر الآيات من (٥٠ إلى ٦٥) من سورة الصافات صفحات ٥٩٠، ٥٩١، والآية (١٩) من سورة الزمر صفحة ٦٠٨، ويقارن سبحانه بين ما سيلاقيه الكافرون والمؤمنون في أسلوب الأمر الواقع فعلا، انظر آيتي (٧١، ٧٣) من سورة الرمز صفحة ٩١٦.

ومنها أنه سبحانه يثبت لهؤلاء الكفار صدق رسله في كل ما أحبروا به، ولو كان غيبا لا يعلمه إلا الله، لأن الأيام أظهرت صدقهم، فيجب أن يصدق هؤلاء رسولهم إذا قال لهم إن الله يأمركم أن لا تعبدوا إلا إياه، انظر الآية (٩٤) من سورة التوبة صفحة ٢٥٧، والآيات من (٤٤ إلى ٤٦) من سورة القصص صفحة ٥١٣، والآيات من (٣ إلى ٥) من سورة الروم صفحات ٥٣٠، ٥٣١، والآيات (١١، ١٥، ٢٧) من سورة الفتح صفحات ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨٣.

ومنها أنه سبحانه نبيه إلى أنه إذا وعد بشيء فهو صادق الوعد، لا يعجزه شيء عن تمييز ما يريد، فيجب أن يحذر هؤلاء الكفار ما هددهم به إذا لم يقلعوا عن الشرك، انظر بعض ذلك في الآية ٥ من سورة الأنعام صفحة ١٦٢، والآيات من (٦٤ إلى ٦٧) من سورة هود صفحة

٢٩٤، وآيتي (٨١، ٨٢) من سورة هود أيضا صفحة ٢٩٦، والآية (٤٧) من سورة إبراهيم
صفحتي ٣٣٦، ٣٣٧ وآيتي (٤٥، ٤٦) من سورة طه صفحة ٤٠٩ مع الآية (٤٠) من سورة
القصص صفحة ٥١٢، وآيتي (١٤، ١٥) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٠، والآية (٧) من سورة
القصص صفحتي ٥٠٦، ٥٠٧، وآيتي (٢٣، ٢٥) من سورة القصص صفحتي ٥١١، ٥١٢، والآية
(٢٣) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٥، والآيات من (٢ إلى ٦) من سورة الروم صفحتي ٥٢٠،
٥٢١، وما أحبر به ووقع كما في الآية (١٢) من سورة آل عمران صفحة ٦٤، والآيات من (٤٣
إلى ٤٥) من سورة القمر ٧٠٧.

ثم بعد كل هذا تعدادهم بما أعجزهم بأن طلب منهم إن كانوا على حق أن يأتوا بسورة مثل
سور القرآن، وأخبرهم بأسلوب قاطع باستعالة أن يأتوا بمثله، وهذا لو كان مستطاعا لهم
أهون من امتشاق الحمام والدخول في قتال توالى معه هزائمهم حتى ذلك آخر حصن من
حصونهم، وانتصر الرسول والمؤمنون، انظر آيتي (٢٣، ٢٤) من سورة البقرة صفحة ٦.

ثم فضحهم وكشف عن دخيلة نفوسهم فقرر أنهم موقنون كأمثالهم من الكفار السابقين
بأن جميع رسل الله على حق، وأنهم صادقون فيما يقولونه عن ربهم، ولكنهم مع كل هذا
يكذبون طاهرا فقط، انظر الآية (٤٢) من سورة البقرة صفحة ٩، والآية (٨٩) من سورة
البقرة صفحة ١٧، والآية (١٤٦) من سورة البقرة أيضا صفحة ٢٨، والآية (٢٣) من سورة
الأنعام صفحة ١٦٧، والآية (١٤) من سورة النمل صفحة ٤٩٥.

ثم أخيرا سجل عليهم أنهم يمرضون عن قصد عنادا واستكبارا، انظر الآية (٧) من سورة
الأنعام صفحة ١٦٣، والآية (٢٥) من سورة الأنعام صفحتي ١٦٥، ١٦٦، والآية (١١١) من سورة
الأنعام أيضا صفحة ١٨١، وآيتي (١٤، ١٥) من سورة الحجر صفحتي ٢٢٨، ٢٢٩.

هذا وإنما أطلقنا في هذا الموضع لما تقدم، ولأننا رأيناها فرصة لمرض صورة واضحة
يتجلى بها معنى قوله تعالى: ﴿ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فآبى أكثر الناس
إلا كفورا﴾ الآية (٨٩) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٦. وقوله ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن
للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شئ جدلا﴾ الآية (٥٤) من سورة الكهف صفحة ٢٨٨

وقوله ﴿وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا﴾ الآية (١١٢) من سورة طه صفحة ٤١٧، ومعنى تصريف الآيات تنويعها على وجوه شتى، وصور مختلفة، ليفلق سبيل الأعداء الكاذبة في وجوه المكابرين.

﴿رهير﴾ - هو النفس الخارج من الجوف بقوة من شدة الكرب، تقدم في الآية (١٠٦) من سورة هود صفحة ٢٠٠.

﴿لا يسمعون﴾. أي ما يسمعون، فلا ينافي أنهم يسمعون ما لا يسمعون، أنظر الآية (٤٤) من سورة الأعراف صفحة ١٩٩ والآية (٥٠) من سورة الأعراف أيضا صفحة ٢٠٠، والآيات من (٢٧ إلى ٣٣) من سورة الصافات صفحتي ٥٨٨، ٥٨٩، وآيتي (٧١، ٧٢) من سورة الزمر صفحة ٦١٦، والآيات من (٤٧ إلى ٥٠) من سورة غافر صفحة ٦٢٤.

﴿الحسنى﴾: مؤنث الأحسن. والمراد المثوبة الأكثر حسنا على ما قدموا من الصالحات.

﴿حميسها﴾. أصل الحميس هو الصوت الحفيف. والمراد هنا صوت فوران جهنم المذكور في الآية (٧) من سورة الملك صفحة ٧٥٥. وقال ابن كثير (حميسها) هو صوت لهبها عند اضطرابه.

﴿الفرع الأكبر﴾. هو الهلع والدعور الذي يعتري الحلائق بعد النجاة الثانية التي يبعثون بعدها أحياء من القبور، انظر آيتي (٥١، ٥٢) من سورة يس صفحتي ٥٨٢، ٥٨٤، والآية (٦٨) من سورة الزمر صفحة ٦١٥، وهو يحصل لجميع الحلائق من عهد آدم إلى قيام الساعة.

﴿السجل﴾: هو ما يكتب فيه كالقرطاس.

﴿للكتب﴾ جمع كتاب، والمراد بها هنا المكتوب في السجل، انظر معاني (الكتاب) التي جاءت في القرآن في شرح الآية (٢) من سورة الجمعة صفحة ٧٤١، والآية (٧) من سورة المطففين صفحة ٧٩٧؛ واللام في (للكتب) بمعنى على كما في قوله تعالى (لها عاكفون) الآية (٥٢) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٦ وقوله (وتله للجبيين) الآية (١٠٢) من سورة الصافات صفحة ٥٩٣.

﴿الزبور﴾: هو كتاب نبي الله داود.

﴿الدكر﴾ المراد به هنا التوراة، انظر الآية (١٨) من هذه السورة صفحة ٤٢٥.

﴿أن الأرض﴾ إن كان المراد بالأرض هنا أرض الدنيا يكون المراد بالصالحين بعدها هم الصالحون لعمارتها، لأن البقاء للأصلح، والله سبحانه لا يصنع أجر من أحسن عملاً. وإن كان المراد أرض الجنة فالأمر ظاهر، انظر الآية (٧٤) من سورة الزمر صفحات ٦١٦، ٦١٧.

المعنى وقرب جدا عند ذلك يوم القيامة الذي وعد الله سبحانه به، ووعدوه حق لا يتحلف. وإذا حصل هذا الوعد بما جاؤا الدين كمروا بشعوص أبصارهم من شدة المرح حال كونهم قائلين تحسراً، يا هلاكنا، قد كنا في غفلة من هذا اليوم، لا بل الحق أنا كنا ظالمين لأنفسنا بعدم الإصغاء لقول الرسول، وإهمال النظر في الأدلة التي عرضها علينا ثم وجه سبحانه الخطاب لهؤلاء المشركين وأمثالهم مهددا لهم بالمصير المحتوم فقال: إنكم أنتم وكل ما تمبدونهم من دون الله من الأصنام وإليس وجوده، وفود جهنم. انظر الآية (٢٤) من سورة البقرة صفحة ٦. وجميعكم واردون عليها قطعاً، وإدخال الأصنام معهم هي جهنم مع إنها حجارة لا تتألم. يراد به النكاية بهم، وتوبيخهم على عبادتها، ولدوام حسرتهم كلما شاهدوها معهم في مكان الإهانة وقد كانوا يرجون منها الإنقاذ، ثم أراد سبحانه أن يقرع أسماعهم بما يبطل عبادتهم لغيره، فقال: لو كان هؤلاء إلح.. أى لو كان هؤلاء آلهة كما زعمتم لما دخلوا جهنم، وحيث قد تبين لكم على أتم وجه أى من الأدلة التي جاءت على صور محتملة وهي المتقدم الإشارة إليها هنا، أنهم سيدخلونها قطعاً، حتى بلغ من ثبوت ذلك وظهوره أنه صرح أن يخبر عنه الصادق أنهم دخلوها فعلاً من الآن، حيث تبين ذلك امتنع بالضرورة كونهم آلهة، لأن الإله الحق لا يقبل مختاراً أن يحبس في دار أعدت للإهانة، وحيث هلك من العابدين والمعبودين سيكونون في جهنم حالدين.

ثم تبين سبحانه بعض أحوالهم وهم في جهنم فقال: لهم فيها رهير.. إلح، أى لمن يعقل ويعس ممن دخلوا النار رهير من شدة العذاب، وهم فيها لا يسمعون شيئاً يسرهم، ثم بعد ذلك أراد سبحانه أن يبين حال المؤمنين جميعاً مع دفع شبهة العذاب عن عبده الكاهن منهم وهم أبرياء من ذلك، كالمسيح، انظر الآية (١١٦) من سورة العائدة صفحات ١٦٠، ١٦١ والمزير، انظر الآية (٣٠) من سورة التوبة صفحة ٢٤٥، والملائكة، انظر الآية (٢٦) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٣، وآيتي (١٧، ١٨) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٢، والآية (١٠) من سورة سبأ صفحة ٥٦٨. ولذلك

قال: إن الدين مسقت لهم مما .. إلح. أي إن الذين سبق أنا قدرنا لهم في الأزل المثوبة الأكثر حسنا لأنها أجر مصاعف على حسناتهم التي عملوها في الدنيا، انظر الآية (٤٠) من سورة النساء صفحة ١٠٧، والآية (١٦٠) من سورة الأنعام صفحة ٩١ هؤلاء يبعدهم ربهم عن جهنم لا يرعجهم سماع غليانها، وهم في نعيم الجنة الذي تثنويه أنفسهم حال دون لا يقطع عنهم لحظة، انظر الآية (٣٢) من سورة الواقعة صفحة ٧١٤.

ومما من الله به عليهم أنهم قبل موقف القيامة لا يرعجهم هول الهلع الذي يعثرى غيرهم، وهذا لا يتفق مع القول بأن هول المزع الأكر يعم جميع الحلائق حتى الأنبياء، وقد أجاب عن ذلك الألوسي بقوله

(إذ يعثرى الأنبياء حتى ينسوا عصمتهم وسرعان ما ينحلي بعد الشفاعة العظمى وإعطاء كل كتابه، يعلم الدين سبقت لهم الحسنى أنهم في أمان، ونظرا لقلّة هذا الزم من المشحون بالهول اعتبر بالنسبة إليهم كأنه لم يكن.

وعند دخولهم الجنة تستقبلهم ملائكة الرحمة بالبشرى قائلين هذا يوم ثوابكم الذي وعدكم به ربكم في الدنيا، واذكر أيها النبي الهول العظيم لقومك محذرا، يوم تطوى السماء طيا قويا سريعا سهلا، كقوة وسرعة وسهولة على الكاتب للقرطاس على ما كتب فيه، ثم بعد ذلك تمور السماء كما هي الآية (٩) من سورة الطور صفحة ٦٩٧، ثم تتبدل السماء بغيرها كما هي الآية (٤٨) من سورة إبراهيم صفحة ٣٢٧، وبعيد الحلائق للحساب كما بدأنا خلقهم أولاً، بل إعادتهم علينا أسهل، الآية (٢٧) من سورة الروم صفحة ٥٢٤، إنا وعدنا بذلك وعدا أوجبنا على أنفسنا، إن شأنا دائما أننا نتجز كل ما نعد به، ولا يعجزنا عن ذلك شيء والمراد تبييهم ليستعدوا لهذا اليوم لصالح الأعمال، ثم أراد سبحانه أن يوقظ العقول لما حكم به في الأزل من أسباب تؤدي إلى مسبباتها.

بين سبحانه كثيرا منها في كتب الأنبياء السابقين فقال: ولقد كتبنا .. إلح، ولقد قصينا قضاء مبرما بينا في الكتب السابقة أن الأرض يستحق الاستيلاء عليها الصالحون من عبادنا على ما تقدم بيانه.

المفردات :: ﴿فى هذا﴾ : أى ما ذكر فى
المسرة من القصص والمواعظ.

﴿بلاغاً﴾ : أى كفاية فى الاعتبار.

﴿انما إلهكم﴾ : انظر ما قيل فى ﴿انما﴾
بفتح الهمزة فى الآية (٢٤) من مسرة من
صفحة ٦٠٠، وهو الاستسلام والخضوع لله
تعالى.

﴿مهل انتم﴾ : استفهام أريد به العث على
ما بعد.

﴿أذنتكم﴾ :: أى أعلمتكم ما أمرت بتبليغه
لكم.

إِنْ يَ قَدْ لَبَّيْنَا نَقْرَمَ عَيْنَيْكَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا
رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۝ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ
وَاحِدٌ قَهْلَ أَنَّمَا تُسَلِّمُونَ ۝ فَإِنْ تَوَلَّوْاْ قَهْلَ ءَادُّكُمْ
عَنْ سَوَاءٍ وَإِنْ أُدْرِىَ أَقْرَبُ أَمْ يَبْعُدُ مَا تُوعِدُونَ ۝
إِنَّمَا يَعْلَمُ الْغَيْبُ مِنَ الْقَوْلِ وَغَلَّمَ مَا تُكْتُمُونَ ۝ وَإِنْ
أُدْرِىَ لَعَلَّ الْفِتْنَةَ لَكُمُ وَتَمْتَعُ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۝ قُلْ رَبِّ احْكُمْ
بِالْحَقِّ ۝ رَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَدُّ عَلَىٰ مَا يَصِفُونَ ۝

(٢٢) سُوْرَةُ الْمَرْجِ بِدِيْنِ
وَأَرْسَلْنَا بِهَا قَارِئًا وَنَسِيْحًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي رَزَقَنَا نَفْسَنَا
وَمَا نَحْنُ بِمُكْسِرِيْنَ

﴿على سواء﴾ : أى مستوون كلكم فى الإعلام علم أحصا احدا بشيء دون غيره ﴿وإن
أدري﴾ : إن حرف نصى بمعنى لا .

المعنى : : إن فيما ذكر لكافية فى التذكر والاعتبار لقوم همهم عبادة الله ومعرفة لا الفتنة
بجحارف الدنيا وما أرسلناك إليها النبى إلا لتكون سبب رحمة لجميع العالم حتى الحيوانات،
ومن يعلم ما كان عليه العالم قبل بعثته ﷺ وما صار إليه بعدها يعلم كيف كان رحمة للعالمين،
وأولها عدم الحسب والإفناء الكلى عند ارتكاب المعاصى كما كان فى الأمم السابقة، فقل لهم

(١) بلاغا

(٢) عابدين.

(٣) أرسلناك

(٤) للعالمين.

(٥) واحد

(٦) أذنتكم

(٧) ومتاع

(٨) قال

أيها النبي إن أهم ما يوحى إليه إلى ربي هو وحدانية إلهكم الذي يجب أن لا تعبدوا غيرهم، فاحصموا له وأسلموا، فإن تولوا وأعرضوا عن الإسلام فقل لهم لإقامة الحجة قد أعلمتكم جميعاً بما أمرني ربي بتبليغه لكم، ولا أدري هل ما توعدون به من العذاب والبعث للجراء قريب أم بعيد، لأن الله تعالى لم يطلعني عليه لكنه أت لا ريب فيه.

إنه سبحانه يعلم كل قول يصدر منكم مما تجهرون به من الطعن في الرسول ودينه وما تكتُمونه من الحقد على المسلمين والكيد لهم وسيجاريكم عليه

ولا أدري لعل تأخير العذاب عنكم مدة من الزمن فتنة لكم واستدراج لتردادوا إنما كما في الآية (١٧٨) من سورة آل عمران صفحة ٩٢، ولعله تمثيع لَكُمْ بزخارف الدنيا إلى أجل مقدر حسب حكمته تعالى ليزيدكم الترف طغياناً، وتظهر حجة الله تعالى عليكم لأنه أحياكم مدة كافية في تذكركم، انظر الآية (٢٧) من سورة هاطر صفحات ٥٧٦، ٥٧٧

ثم حكى سبحانه ما تكلم به نبيه بعد أن يلهم ما أوصى إليه فقال: قال رسولنا محمد يارب احكم بيني وبين قومي أي أصل بيني وبينهم بالحق، أي بمدلك الذي لا يسوى بين المؤمنين والكافرين، والعدل والظالم، وربنا وربكم هو الرحمن بعباده المتقين المطلوب منه الممونة على كل ما همقرونه من الكذب عليه وعلى رسوله، انظر الآية (٦٢) من سورة النحل صفحة ٢٥٣.

﴿زلزلة الساعة﴾ الحركة الشديدة التي تريل الأشياء من أماكنها والمراد الزلزلة التي تحصل عند النفخة الثانية لأنها هي التي يزعج عندها جميع الخلائق أما النفخة الأولى فلا يتأثر بها إلا الذين يكونون على وجه الأرض فقط، انظر الآية (١) من سورة الزلزلة صفحة ٨١٧.

﴿سورة الحج﴾

** انظر سبب هذه التسمية في الآية (٢٧) الآية صفحة ٤٢٧ يأيها الناس جميعاً احذروا عقاب ربكم بأن تطيعوه، ولا تفعلوا ما نهاكم عنه، لأن الزلزلة التي ستحصل يوم القيامة خطر عظيم

عَظِيمٌ ① يَوْمَ تَرْوَى تَرْوَى تَدَّخِلُ كُلُّ امْرَأَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ
وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ
بِسُكَارَى وَنَجَّى عَذَابَ اللَّهِ شَديدٌ ② وَمِنَ النَّاسِ مَن
يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ③
كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ
السَّعِيرِ ④ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَيْتِ
فَمَا نَا خَلَقْنَاكُمْ مِّن رَّبٍّ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَقَقَةٍ ثُمَّ مِّن
مُّضْغَةٍ مُّخْتَلَفَةٍ لَّبِيبٍ نَّكَرٍ وَنُقْرَةٍ فِي الْأَرْحَامِ
مَا تَشَاءُ إِنَّ أَجَلَ مُّسَى ثَمَانِينَ سَنَةً لَّنَبْلُوَكُمْ فَمَا كُنْتُمْ
أَتَدَّبَّرُونَ ⑤ وَمِنكُمْ مَّن يَسْتَكْبِرُ وَهُوَ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ
الْعُمُرِ لَنُبَيِّنَ لَكُمْ مَن يُبَدِّلُ عِلْمَهُ سِحْرًا وَمَنْ تَرَى الْأَرْضَ
هَامِدَةً فَإِنَّهَا أَرْضُنَا عَلَيْهَا أَخْرَجْنَا السَّيِّدَاتِ وَرَبَّاتِ

المسررات: «تدخل»: الذهول الغفلة
الماضئة عن شدة الكرب: «مرید»: مأخوذ
من المروء وهو العتو وبلوغ العاية في العناد؛
تقول العرب: مرد بوزن نصر وكرم مروءا فهو
مارد ومرید ومتعرد. «كتب عليه»: أي قضى
الله تعالى عليه.

«تولاه»: أي اتبعه والمراد يرشده ويوصله.
«ويهديه»: أي يبدله ويمسوقه إلى طريق
الهداية.

«السعير»: هي النار المتوهجة.

«ريب»: شك. «نطفة»: المراد بها
الحيوان المنوي، انظر ما سبأ في صفحة
٤٤٦. «عققة»: القطعة الجامدة من الدم.

«مضغة»: القطعة من اللحم بقدر ما يمضغ في العم.

«مخلقة»: تامة الخلقة.

«طفلا»: المراد حال كون كل واحد منكم طفلا والطفل هو الولد من حين ولادته حتى يبلغ الحلم

«أشدكم»: كمال العقل والقوة. «أردل العمر»: أي أخسه وهو الهرم والحواف.

«لكنيلا يعلم»: لئلا يعلم والمراد لئلا يهتد إلى الجهل.

«هامة»: ساكنة يابسة. «اهترت»: أي اضطربت بتعرك عناصر النبات في جوفها.

«وربت»: أي انتفضت وزادت.

المعنى - يوم ترون أيها الناس آثار تلك الزلزلة ترون هولاً شديداً بلغ من شدته أنه لو وجد
في ذلك الوقت امرأة ترضع طفلاً لمعطت عما يحل به من الهلاك مع أنه لاصق بصدرها

وعريز عليها، ولو كانت هناك حامل لسقط جنينها من شدة القزع ونظن أيها الباطل للناس هي ذلك اليوم أنهم مكارى ببحو خمر، والحقيقة أن ما هم فيه من الاحتلال ليس نتيجة مسكر، ولكنه نتيجة شدة عذاب الله الذي أخافهم حتى طَير عقولهم.

ثم بين سبحانه أن بعض الناس بعد هذا التحذير الشديد مقلد جاهل يدفعه العناد إلى المجادلة فيما يليق به تعالى وما لا يليق مع جهله بهما، فينكر قدرته على البعث، ويرغم أن الأصنام تشفع له عند الله، انظر الآية (١٢) وما بعدها، ويزعم أنه تعالى لم يرسل محمداً إليهم، انظر الآية (٤٢) من هذه السورة صفحة ٤٣٩، وينكر أن الله تعالى يمدبهم كما يقول محمد ﷺ، انظر الآية (٤٧) من هذه السورة صفحة ٤٤٠؛ هذا المريق من الناس يتبع في سلوكه هذا كل شيطان من الجن والإنس شديد العناد، قضى الله على هذا الشيطان أنه مَنْ يتبعه يضلّه ويقوده إلى النار المستعرة، وإضلاله له وقيادته إلى ما يوصله للعذاب محتم، وإنما كان عليه لأن عذابه يريد بمقدار مَنْ يصلهم، انظر الآية (٢٥) من سورة النحل صفحة ٣٤٨، والآية (١٣) من سورة المنكوت صفحة ٥٢٢.

وبعد ما بين سبحانه أنهم يجادلون بجهل أراد أن يقيم الدليل على قدرته على البعث بدليلين الأول في أنفسهم، والثاني في الأرض والنبات، فقال يأيها الناس إن كنتم في شك من قدرتنا على البعث فيرسل شككم أن تنظروا كيف بدأنا خلقكم من تراب، ثم جعلنا منه نطفة، ثم جعلناه علقة، ثم مصفة، ثم جعلنا بإرادتنا بعض هذه المصفة طملاً كامل الحلقة، وبمصرها ناقص لنبين لكم بهذا التدرج البديع الذي عرفه العلماء جليل حكمتنا وعظيم قدرتنا؛ ثم بعد ذلك نقر في الأرحام من الأجنة ما نشاء إقراره إلى وقت ولادته، ثم نخرج كل واحد منكم من الرحم حال كونه طفلاً لا حول له ولا قوة، ثم نربيكم لتبلموا أشدكم، ثم بعد ذلك منكم مَنْ يتوفى قبل الهرم، ومنكم مَنْ يرد في شيخوخته إلى مثل حال الطفولة ليصير جاهلاً بكل شيء كان يعلمه، وهذا هو أرذل العمر الذي يجعل صاحبه عديم النفع

ثم أشار سبحانه إلى الدليل الثاني بقوله: وتري أيها المتأمل الأرض ميتة هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء تحرك جوفها بنمو النبات فيه، وعلت بتخلل الماء والهواء وعناصر النبات كما يعلو بطن المرأة الحبل.

مِنْ كُلِّ ذَوْجٍ يَبْعَثُ ① ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّرُ الْمَوْتَيْنِ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ② وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ③ وَمَنْ أَلْبَسَ مَنْ يَجْعَلُ فِي اللَّهِ يَسِيرٌ عَلَيْهِ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٌ مُبِينٌ ④ ثَلَاثُ عَظَمَةٍ لِيُصَلَّ مَنْ سَبَّلَ اللَّهَ لَهُ فِي الدُّنْيَا حَرْقٌ وَيُدْفَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَقَابَ الْحَرْقِ ⑤ ذَلِكَ بِمَا قَسَمْتَ بِدَاكِ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلِيمٍ قَلِيلٍ ⑥ وَمَنْ أَلْبَسَ مَنْ يَبْعُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ⑦ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أَقْبَلَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ⑧ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَمَا لَا يَسْمَعُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ⑨ يَدْعُوا نَسْ صُرَّةً أَعْرَبُ

المفردات - «زوج»: صنف من النباتات.
«بهيج» أي شديد الحمى، «يقهر علم».
بدهى واضح لكل أحد.

«ولا هدى»: علم نظري استدلالى موصل للمعرفة.

«ولا كتاب مبين»: كتاب سماوى موضح للحق.

«ثاني عظمه»: عطف الشيء جانبه
وجسمه أعطاف، وثنيه كناية عن التكبر
والإعراض كلى الرأس فى الآية (٥) سورة
المنافقون صفحة ٧٤٣، والنأى بالجانب فى
الآية (٨٢) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٥،

٣٧٦.

«الحريق» أصل الحريق اسم مصدر وأريد به الشيء المحرق. «على حرف» حرف
الشيء طرفه. «فتنة» شدة وبلاء. «انقلب على وجهه»: كناية عن الرجوع عما كان فيه من خير
إلى بغيضه.

المعنى وأنبئت الأرض من كل صنف من النباتات يسر الساطرين. ذلك المتقدم من خلق
الإنسان، وإنبات الزرع ما وجد إلا بسبب أن الله هو الإله الحق لا رب غيره، وأنه قادر على

- (١) آية
- (٢) يعادل.
- (٣) كتاب.
- (٤) القيامة
- (٥) بظلام
- (٦) الآخرة
- (٧) المصلا

إحياء النطفة التي أصلها تراب، وأحيا الأرض الميتة بالنبات، وأنه قدبر على كل شيء غير ما تقدم مهما عظم في بظركم، وأنه حكيم فلا بد من بعثكم ليوفي كلاً على عمله، ولن يحلف وعده ببعث من في القبور.

وبعد هذا فمن الناس قوم آخرون غير ما تقدم في الآية (٣) من هذه السورة، وهم القادة والمصلون يجادنون في صفات الله وما يليق به وما لا يليق بدون علم مطلقاً، لا ضروري كعلم الإنسان بعبادته وأن الواحد بصف الاشين، ولا استدلال كالعلم بأن الأثر يدل على مؤثر، وليس معهم كتاب مقدس يدل على ما يزعمون، وبما أنه ليس للعلم طريق غير ذلك فلا يكون عندهم سوى الجهل.

يجادل هذا الفريق الجاهل حال كونه لاويًا عنقه عن الحصوصو للحق كبرا ليحصل الناس ويصرفهم عن دين الله الحق، وهذا له في الدنيا خزي، إما بالقتل على الكفر، أو بالأسر، أو بغلبة المؤمنين عليه، ويوم القيامة يذيقه الله عذاب اللهب المحرق، ويقال لهم ذلك الذي حصل لكم بسبب ما قدمته أيديكم من الأعمال المنكرة، وبسبب أن الله ليس بصاحب ظلم، فلا يسوى بين المؤمن والكافر، والصالح والفاجر ومن الناس فريق مذبذب في إيمانه فهو يعبد الله على طرف في دينه ليس متمكناً فيه كالجندي الذي يكون في آخر الجيش، فإن رأى انتصاراً هرج بالنعيمة وإلا بادر إلى الفرار، فهذا إن أصابه خسر من رجاء وسعة عيش هرج، وإن أصابته شدة في نفسه أو ماله ارتد إلى الكفر فخسر في الدنيا عرته وكرامته، وفي الآخرة يعيمها الدائم وذلك هو الحسرات الواضح.

يدعو هذا الحاسر هو وأمثاله لكشف الصر عنه غير الله صنما لا يضره إذا أهمله ولا ينفعه إذا عظمه، وذلك هو الضلال البعيد عن الصواب.

هيكون مأل هذا الصال يوم القيامة أنه يدعو أي يصرخ نادماً قائلاً: والله إن المعبود الذي صرره الناتج عن عبادته ظهر أنه أقرب من نفعه المتوهم بالشفاعة إلخ.

مِنْ نَفْعِهِ ۚ لَنْ تَسْمَعُوا لَكَ وَتَلْقَى الْقَبِيرَ ۝٢٤ إِنْ أَفْلَحَ
يُدْخِلِ اللَّهُ أَمْرًا وَعَمَلًا صَالِحًا حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ
غَيْبِ الْأَشْهُارِ ۚ إِنْ أَفْلَحَ يَفْعَلْ مَا يُرِيدُ ۝٢٥ مَنْ كَانَ يَظُنُّ
أَنْ لَمْ يَنْصُرْهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَيَسْتَعِذْ بِسَبَبٍ إِلَى
السَّمَاءِ ثُمَّ يَقْطَعُ قَبْطَرًا مِنْ يَدَيْهِ كَثِيرًا مَازِيغًا ۝٢٦
وَكَذَلِكَ أَرْسَلْنَا سَيِّدَاتِنَا يَسْتَبِينَ وَتَأْتِيَهُنَّ مِنَ اللَّهِ يَهْدَى مَنْ
يُرِيدُ ۝٢٧ إِنْ أَلْبَسْنَا أَمْرًا وَآيَاتٍ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ
وَالْخَاصِرِينَ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنْ أَفْلَحَ يَفْعَلْ
بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنْ أَفْلَحَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٢٨
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
وَالنَّجَسُ وَالْقُرُورُ وَالْجُحُومُ وَالْجُلَّالُ وَالشَّجَرُ وَالدُّوَابُّ
وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَبِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَدَبُ وَمَنْ يَنْبَغِ

المفردات: - «لَبِئْسَ» قبيح. «المولى»
الناصر والمعين. «الغيب» - المعاشرة. انظر
الآية (٢٤) من سورة التوبة صمحتي ٢٤٢، ٢٤٤.

«ينصره» الضمير يعود على النبي
محمد صلوات ربي وسلامه عليه المقوم من
سياق الكلام لأنه هو الذي جاء بهذا الدين
ونظير ذلك في الآية (٦١) من سورة السجدة
صفحة ٢٥٢ والآية (١) من سورة القدر
صفحة ٨١٥.

«يسبب»: المراد هنا الحبل، والأصل
عليه مدد سببا أي حبلًا، والباء جاءت لتأكيد
ربط العمل بمعموله. انظر الآية (١٤) من
سورة العلق صفحة ٨١٤.

«إلى السماء» السماء اسم لكل ما ارتفع فوق رأس الانسان، والمراد هنا سماء البيت وهو السقف.
«لبيقطع» أي ليقطع عنقه بالشنق، والأمر للتهديد كقوله تعالى «ومن شاء هلككم» الآية
(٢٩) من سورة الكهف صمحتي ٢٨٤، ٢٨٥ والآية (٦٦) من سورة النكبات صمحة ٥٢٠.

«كبيده»: المراد فعله الذي اجتهد فيه. وسماء سبعانه كيدًا استهزاء به. وأصل معنى الكيد
هو التدبير الخفي من إيصال الضرر للغير «الذين هادوا» هم اليهود. «الصابئين» عباد
الكواكب. انظر شرح الآية (٦٢) من سورة البقرة صمحتي ١٢، ١٣.

«المجوس». عباد النار. «الذين أشركوا» المراد بهم كل من عبد مع الله غيره ولم يشتهر
باسم خاص كما اشتهر المجوس والصابئون. «يسجد له» أي يحضض لإرادته. انظر شرح الآية
(٧٩) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٨. «وكثير من الناس».. إلخ «كثير» فاعل فعل مضمر أي
ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة، وكثير حق عليه العذاب بكفره وإثائه عن الطاعة.

(١) أموا. (٢) الصالحات. (٣) جبات. (٤) الأنهار. (٥) أنزلناه. (٦) آيات.
(٧) بيئات. (٨) الصابئين. (٩) النصارى. (١٠) العيامة. (١١) السموات.

(هنا سجدة بعد الفراغ من قراءة الآية (١٨٦))

المعنى: يصرح الكافر عند مشاهدة العذاب قائلاً والله إن من ضرره بكونه معبوداً أقرب من نفعه المتوهم بكونه شميماً. والله لهو بئس المولى وبئس المعاشرة، فمنى الصبر والنفع أولاً باعتبار ذات الصنم نفسه، وأثبت الصبر ثانياً باعتبار أنه سبب هيه من حيث عبادته.

وبعد بيان حال الكافرين أراد بيان حال المؤمنين المحصلين، فقال إن الله يدخل الدين أموا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحت قصورها الأنهار. إن الله يفعل ما يريد من عقاب المفسد وإثابة الصالح، لا يعجزه شيء. ومما أراد ولا راد لما يريد أنه ناصر رسوله في الدنيا كما نبأ بإعلاء كلمته وإظهار دينه، وهي الآخرة بإعلاء درجته وإسعاد من آمن بالله والانتقام ممن كذبه، فمن كان كل أملة في العبادة أن الله لن ينصر محمداً لأن نصره سيكون سبباً في هلاكه فليعجل بالانتحار ليهتخلص من الفيض الذي يأكل صدره، لأن عدم نصر الله تعالى لرسوله مستحيل بعد وعده به في الآية (٥١) من سورة غافر صفحة ٦٢٤ وهذا هو المراد من قوله، ﴿من كان يظن﴾ إلخ؛ أي فليضع حبلاً في سقف بيته ثم يحنق نفسه، فليظن قبل أن يقدم على ذلك هل يذهب فعله هذا ما يفيظه من نصر رسولنا وإذا كان لا يذهب فنهاية أمره خيبة مسماء ودوام عيظه فالكلام كناية عن قطع أمل عدوه ﷺ ونظير ذلك قوله تعالى لهم ﴿قل موتوا بغيظكم﴾ الآية (١١٩) من سورة آل عمران صفحة ٨٢ وكما أنزلنا تلك الحجج في هذه السورة أنزلنا القرآن كله حال كونه آيات واضحات لإقامة الحجة على كل عاص، ولهداية من أردنا هدايته لسلامة فطرته. ثم أراد سبحانه بيان حال الطوائف المتقدمة يوم القيامة مع بعض تفصيل فقال إن الذين آمنوا بالله ورسوله. واليهود والنصارى والمجوس والمشركين إن الله يفصل بينهم يوم القيامة بإظهار الحق والمبطل لأنه شهيد على كل شيء ومنه أعمالهم فيكون فصله الحق. وعندما حذر سبحانه بأنه سيقضى بينهم بما شاهد، نبههم إلى دليل لو تبهوا له لا هتدوا فقال: ﴿ألم تر﴾ أي تعلم أيها العاقل أن كل شيء في الوجود خاضع لإرادة الله تعالى. مسخر لقدرته عز وجل؟ ومن كان كذلك لا يحور أن يعبد غيره ولا يعصى. وإنما ذكر الشمس وما بعدها مع دخولها في ﴿من في السموات والأرض﴾ لشهرتها ودفع توهم استبعاد ذلك منها بحسب النظر القاصر ولأن بعضها عبيد من نون الله عز وجل، وكثير من الناس استمع بذلك بحق له الثواب، وكثير منهم أهمل النظر والاعتبار فحق عليه العذاب. ومن حق عليه العذاب فقد أهانه الله، ومن يهنه الله فلا مكرم له.

اللَّهُ قَالَهُ مِنْ مُنْكَرٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ①
 هَذَانِ حَصْبَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا
 قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِنْ ثَلْثِ نَبْصٍ مِنْ فَرْقٍ وَابْسَهُمْ
 الْحَمِيمُ ② يَصْهَرُ بِهِ مَاءٌ يَطْوِيهِمْ وَالْحُلُودُ ③
 وَلَمْ تَقْنِيعُ مِنْ حَدِيدٍ ④ كَلَّا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا
 مِنْهَا مِنْ عَمِ أَمِيدُوا مِثْلًا وَدَقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ⑤
 إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
 تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَمْشُونَ فِيهَا مِنْ أَمْوَرٍ مِنْ نَعْبٍ
 وَنُزُلًا وَيَلْبَسُونَ فِيهَا حَرِيرًا ⑥ وَهَلْوَ إِلَى الطَّيِّبِ مِنْ
 الْقُرُونِ وَهَلْوَ إِلَى مِرْطِ الْحَمِيدِ ⑦ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 وَيَصْنَعُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ
 لِلنَّاسِ مَرَآةً لَمَنْكَفٍ بِهِ وَالْبِلَادِ وَمَنْ يُدْفِعْهُ إِلَى الْحَلِيمِ

المفردات: «هذان»: هما فريق المؤمنين
 هي آيتي (٢٢، ٢٤) وفريق الكافرين من الآية
 (١٩ إلى الآية ٢٢). «حصبان»: الخصم
 معناه المخاصم، وهو يطلق على الواحد
 والكثير، والمراد هنا الثاني.

«اختصموا في ربهم»: أي فيما يليق به
 وما لا يليق.

«الحميم»: هو الماء شديد الحرارة.

«يصهر به»: يذاب به «مقامع»: جمع
 مقمعه بكسر فسكون ففتح بوزن ملحق، وهي
 أداة القمع أي المنع، لأنها تمنعهم من الخروج

من حينهم «الحريق»: اللهب المحرق «إلى صراط»: طريق.

«الحميد»: أي السلوك المحمود دائماً، وهي الألويس أن الإصافة بياية كما هي جبل

الوريد «سواء»: أي مستو.

«العاكف»: المقيم. «الباد»: الرائر القادم من البادية

«بالحاد»: أي ميل وبعد عن الحق والبراء لتقوية ربط العمل بمفعوله.

(١) مقامع

(٢) أموا

(٣) الصالحات

(٤) جنات

(٥) الأنهار

(٦) صراط

(٧) جعلناه

(٨) لعاكف

المعنى: - الذى يهيئه الله تعالى يستحيل أن يجد مَنْ يكرمه، لأن الله وحده هو الذى يعمل ما يشاء من الإهانة والإكرام وغيرهما. وبعد ما ذكر سبحانه أقسام الصرق السابقة وذكر أنه سيفصل بينهم يوم القيامة أراد أن يبين طرق الخصومة وكيفية الحكم بينهما فقال: هذان، أى هريق المؤمنين وهريق يجمع كل مَنْ عداهم، ثم بيّن مكان الخصومة فقال: احتصموا فيما يليق بربهم وما لا يليق، فقال المؤمنون هو واحد قادر على البعث وعلى كل شيء، وقال الآخرون معه آلهة غيره، وقال بعضهم لا يبعث مَنْ يموت ثم بيّن مآل الصريق الثانى فقال: فكل الدين كسروا تحوطهم النار فى جهنم كما يحيط الثوب بلباسه، ويزاد عذابهم بأن تصب الملائكة الماء شديد الحرارة من فوق رؤوسهم، فتصل حرارته أمعائهم فتديبها كما تديب جلودهم، وأعد لهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا من النار من شدة الفم والكرب ضربتهم الملائكة بالمقامع فيعودون فى وسطها، ويقولون لهم دوقوا عذاب النار المحرقة.

أما الدين آمنوا وعملوا الصالحات فالله تعالى يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار يعلنون فيها حليا مبينا بأنه أساور مأخوذة من ذهب، ويعلون لؤلؤا، أما لباسهم الذى لا بد منه فهو من حرير، وهداهم الله تعالى إلى الجنة إلى القول الطيب الذى فيه تقديس الله واعترااف بفصله سبحانه، انظر الآيات من (٢٣ إلى ٢٥) من سورة فاطر صفحة ٥٧٦، والآية (٧٤) من سورة الرمر صفحات ٦١٦، ٦١٧.

وكما هداهم إلى طيب الأقوال هداهم أيضا إلى الحميد من الأعمال فى معاشره بعضهم بعضا فلا عل ولا كيد ولا حسد كما يحصل بين أهل الدنيا، بل أخوة صاهية، انظر الآية (٤٣) من سورة الأعراف صفحة ١٩٩، والآية (٤٧) من سورة الحجر صفحة ٢٤١.

وبعد ما ذكر سبحانه مآل الصريقين أتبع ذلك حرائم الكفار فقال: إن الذين كسروا بربهم وتمودوا، أن يمنموا الناس عن دين الله وعن الدحول إلى المسجد الحرام بمكة الذى جعله الله تعالى حرما أمنا للناس كافة يستوى فيه المقيم والمطائر ومن يرد فيه أمرا مقتربا بالسعد عن الحق، وببزه بقوله بظلم. إلخ.. تعدبهم عذابا شديدا بالإيلام

يُظْلِمُ بَدَنَهُ مِّنْ عَذَابِ إِلَهِهِ ۖ وَيَذَرُونَ أَهْلًا يَّزْكُمُونَ
مَكَانَ النَّبِيِّ أَنْ لَا تَلْزَمَ فِي شَيْعَةٍ وَظَهَرَ بَيِّنَاتٍ لِّلطَّائِفِينَ
وَأَنفَاقِينَ وَزُلْجَمَ السُّجُودَ ۖ وَأَذِنَ لِّلنَّاسِ بِالْحَجِّ
يَا تُوكُّدُ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۖ
يَشْهَدُونَ أَسْمَعُ لَهُمْ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۖ وَتَذَكَّرُوا أَنَّ اللَّهَ فِي أَيْدِيهِمْ مَّقَالِدُ
عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ الْأَنْعَامِ فَلَكَؤَالِبٍ وَأُنْعَمُوا
الْبَاطِلِ أَنْتَعِمَ ۖ ثُمَّ لِيَقْصُوا نَعْلَهُمْ وَيَوْمَ تُدْرِكُهُمْ
وَيَطُوفُونَ بِالنَّبِيِّ الْعَمِيقِ ۖ ذَلِكَ وَمَنْ يَعْلَمْ حُرُمَاتِ
اللَّهِ فَهُوَ حَيْرَانٌ عَبْدٌ ذَلِيلٌ ۖ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآنْعَامُ
إِلَّا مَا بَشَّرَ طَبَرُكُمْ فَأَخْبِرُوا الرِّحْلَى مِنَ الْأَوْثَانِ
وَأَخْبِرُوا قَوْنَ الزُّورِ ۖ حَقًّا ۖ اللَّهُ غَيْرُ مُشْرِكٍ بِهِ ۖ
وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ سَّمَاءٍ مَّتَنَطِفَةً طَائِفٌ

المقدرات: . «يوأنا»: جعلنا له عبادة أى
مرجعا يأوى إليه، انظر الآية (٩٢) من سورة
يونس صفحات ٢٨٠، ٢٨١.

«القائمين»: فى الصلاة.

«الركع»: جمع ركع. «المسجود»: جمع
ساجد كقاعد وقعود. وهذه الثلاثة القيام
والركوع والمسجود هى أهم أركان الصلاة،
فعبّر بها كتابة عنها.

«أذن فى الناس»: المراد أجهر بما أمرك
الله به وأعلمهم بأن الله تعالى طلب منهم
زيارة بيته.

«رجالا»: جمع راجل وهو الماشى بدون

ركوب. «صامر»: خفيف اللحم من كثرة الحركة، والمراد به هنا الذكر والأنثى من الإبل.

«يأتين»: أى هذه الضواير. «فج عميق»: المج الطريق الواسع، والمعيق انيعيد.
«ليشهدوا»: أى ليعضروا ويباشروا.

«فى أيام»: هى أيام النحر الثلاث، أولها يوم العيد.

«ليقصوا»: أصل القصاء القطع، والمراد هنا الإزالة. «تمتهم»: هو فى الأصل الوسخ.
وأريد به هنا خلق الشعر وتقليم الظفر وغسل العرق وغير ذلك مما يعلق بالجسم أثناء
الإحرام.

«المعيق»: القديم.

«ذلك»: حبر لمبتدأ محذوف، والأصل الأمر هو ذلك، وهو تركيب يؤتى به للمصل بين
كلامين أو وجهين من كلام واحد، انظر نظيره فى الآية (٥٥) من سورة ص صفحة ٦٠٢.

﴿الرجس من الأوثان﴾ الرجس هو النجس نجاسة معنوية أو جسمية. وبَيَّنَّه بأنه الأوثان أى الأصنام ﴿حنفاء﴾ أى بعيدين عن الباطل. ﴿خر من السماء﴾ أى سقط.

المعنى: - وَمَنْ يَمَلْ عَنِ الْحَقِّ وَيَظْلِمْ فِي الْحَرَامِ يَذِقْهُ اللَّهُ تَعَالَى عَذَابًا أَلِيمًا كَذَلِكَ، وَلَمَّا كَانَ مُشْرِكُو مَكَّةَ يَضْغَرُونَ بِأَنَّهُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَنْبَهِيَهُمْ إِلَى خَطِيئَتِهِمْ فِي حَقِّ إِبْرَاهِيمَ بَأَنَّى الْبَيْتَ وَيُوجِبُهُمْ عَلَى صَدَقَتِهِمُ النَّاسَ عَنْهُ وَارْتِكَابِهِمُ الظُّلْمَ فِي حَرَمِهِ، فَقَالَ: ﴿وَأَرَادَ بِوَأَنَّا لِإِبْرَاهِيمَ﴾ أَيْ وَاذْكُرْ لَهُؤُلَاءِ الْكُمُرَةَ وَقَدْ أَنْ حَمَلْنَا مَكَانَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ مَرَلًا لَجَدُّهُمْ إِبْرَاهِيمَ، وَقُلْنَا لَهُ لَا تَشْرِكْ مَعَ اللَّهِ شَيْئًا مِنْ كُلِّ مَا يُعْبَدُ مَعَ اللَّهِ، وَطَهِّرْ بَيْتِي الَّذِي أَمَرْنَاكَ بِبِنَائِهِ، أَيْ حَافِظْ عَلَى بَقَائِهِ طَاهِرًا مِنْ تَلَوِثِ الْأَصْنَامِ وَالْأَقْدَارِ لِيَكُونَ مَعْدًا لِلطَّائِفِينَ بِهِ وَالْمُصَلِّينَ إِلَيْهِ قَائِمِينَ رَاكِعِينَ سَاجِدِينَ، وَأَعْلَمِ النَّاسَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَيْهِمُ الْحَجَّ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ: هَإِنِ اللَّهُ تَعَالَى سَيَحْبِبُهُ إِلَيْهِمْ فَيَأْتُونَ نَذْبِيَةً لِنَدَائِكَ مَحْشَاةً وَرُكْبَانًا عَلَى جِهَادٍ مِنَ الْإِبِلِ الَّتِي تَأْتِي مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ بَعِيدٍ شَوْقًا إِلَيْهِ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ دِينِيَّةً وَدُنْيَوِيَّةً، انْظُرِ الْآيَةَ (١٩٨) مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ صَفْحَةَ ٣٩، وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عِنْدَ الدَّبْحِ فِي أَيَّامِ الْعِيدِ الثَّلَاثَةِ عَلَى بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ، وَالْمُرَادُ الْإِبِلَ وَالْبَقَرَ وَالْعِجَمَ الَّتِي رَزَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا، فَهِيَ مِنْهُ وَإِلَيْهِ، فَكَلُوا مِنْهَا إِنْ شِئْتُمْ، وَاطْعَمُوا مَنْ أَصَابَهُ بُؤْسٌ وَشَدَّةٌ بِسَبَبِ فَقْرِهِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَطْلُبُ مِنْهُمْ أَنْ يَرِيلُوا مَا عُلِقَ بِأَجْسَامِهِمْ أَثَاءَ الْإِحْرَامِ وَلِيُوقُوا نَذْوَهُمْ إِنْ كَانُوا نَذَرُوا شَيْئًا فِي الْحَرَمِ، لِأَنَّ الْوَهَاءَ بِالْإِبِلِ يَتَأَكَّدُ فِي حَرَمِ اللَّهِ، وَلِيَطْلُفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ بَيْتٍ بَنِيَ لِلْعِبَادَةِ، انْظُرِ الْآيَةَ (٩٦) مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ صَفْحَةَ ٧٨، وَلِيَطْلُفُوا طَوَافَ الْمَرَمَى الْمُتَمَمِّ لِأَعْمَالِ الْحَجِّ وَبِهِ يَحْصُلُ التَّحَلُّلُ الْأَكْبَرُ الَّذِي يَحُلُّ بِهِ حَتَّى السَّاءَ. هَذَا هُوَ الْأَمْرُ الْحَقُّ، فَهَمَّ يَعْظُمُ كُلُّ مَا حَرَّمَ اللَّهُ اسْتِهَاكُهُ مِنْ أَعْمَالِ الْحَجِّ وَبَقِيَّةِ التَّكَالِيفِ وَتَعْظِيمُهَا بِالمَحَافِظَةِ عَلَيْهَا، فَتَعْظِيمُهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَمَّا كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَحْلُونَ الْمِثْنَ وَيَحْرَمُونَ ائْتِجَالًا، انْظُرِ آيَاتِ (٢، ٣، ١٠٣) مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ صَفْحَاتِ ١٢٤، ١٢٥، ١٥٧، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ﴾. الْإِبِلَ وَالْبَقَرَ وَالْعِجَمَ إِلَّا مَا يَتْلَى عَلَيْكُمْ كُلَّ لَحْظَةٍ هِيَ الْآيَةُ (٣) مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ صَفْحَةَ ١٢٥ وَفِي عِبَرِهَا، فَاجْتَنِبُوا الْأَوْثَانَ الَّتِي هِيَ أَشْبَعُ رَحِمٍ، وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ مُطْلَقًا حُصُوصًا فِي الشَّهَادَةِ حَالِ كَوْنِكُمْ مُخْلِصِينَ دِينَكُمْ لِلَّهِ، لَا كَمَا يَزْعُمُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ أَنَّهُمْ حَنَفَاءُ مَعَ شُرَكَاهُمْ بِاللَّهِ، وَمَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ هَلَكَ قَطْعًا كَمَا يَهْلِكُ قَطْعًا مَنْ يَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ فَيَصِيرُ قَطْعًا تَحْطِفُهَا الطَّيْرُ بِسُرْعَةٍ فَلَا تَبْقَى لَهُ أَثَرًا.

أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ① ذَلِكَ وَمَنْ يُعَلِّمْ
شَعْتِرَ اللَّهِ مِنْهَا مِنْ تَقْوَى أَنْفُلٍ ② لَكُمْ فِيهَا
مَنْعٌ يَا أَحِبُّ مَنْى ثُمَّ عَمَلًا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ③
وَكُلُّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسًا يُدْكَرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَى رُءُوفِهِمْ
مِنْ بَهِيْمَةِ الْأَنْعَامِ فَلِلَّهِكَ إِنَّكَ وَاحِدٌ مَعَهُ أَتَسْلِمُونَ
وَنَبِّرُ الْمُحْسِنِينَ ④ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ
وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ يُعْطُونَ ⑤ وَالَّذِينَ جَعَلْنَا نَكَاحًا مِنْ شَعْتِرِ
اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَرِّمٌ فَإِذَا كُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ صَوَافٍ
فَمِمَّا وَجَلَّتْ جُورُهَا فَكُفُّوا عَنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرًا
وَالْمُفْرَ كَذَلِكَ عَزَّزْنَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ⑥ نِ
يَسْأَلُ اللَّهُ لِحُرْمَتِهَا وَلَا يَمَآؤَهَا وَلَكِنَّ سَأَلَهُ أَنْتَقُوْا يَسْأَلُ

المفردات: - «تهوى به»: المراد تسقطه.

«سحيق»: أى بعيد الغور. «ذلك»: تقدم

المراد منها فى الصفحة السابقة.

«شعائر الله»: مفرداتها شعيرة، وهى كل ما

شرعه الله وجعله علامة رضاه . انظر الآية

(١٥٨) من سورة البقرة صفحة ٢٠ والآية (٢)

من سورة المائدة صفحات ١٢٤، ١٢٥.

«محلها»: المراد مكان حل نعرها.

«إلى البيت العتيق» «إلى» بمعنى عند كما

تقول هذا الشيء أحسن إلى من العسل أى

أحسن عندى. «منسكا»: هو المنسك، وهو

هى لأصل لعبادة مطلقا والمراد به هنا تقديم القرابين من الدبائح تقربا لله تعالى. «بهيمة

لأنعام» تقدم هى الآية (١) من سورة المائدة صفحة ١٢٤. «المحسنيين» المتواضعون المدعنون بالعبودية

«وحلت» أى حامت. «والبدن» واحدها بدنة بالصتح وهى من الإبل ما يهدى إلى الكعبة.

تطلق على الذكر والأنثى.

«صوف» مفرداتها صباغة. أى قوائم قد صمت أيديهن وأرحلهن ليس فيهن عيب.

«وحبت» يقال وحب الحائط مملا وجبة إذا سقطت سقطة قوية، ويكون فيه هنا إشعار

باحتيارها سمية كثيرة اللحم.

«لقبح» هو الفقير الراعى بما هو فيه ولا يمال. انظر الآية (٢٧٢) من سورة البقرة

صفحة ٥٨. «المعتر» هو الفقير الذى يتعرض لسؤال الناس

المعنى: ومن يشرك مع الله غيره فهو هالك لا نجاة له كهلاك من عصفت به الريح العاتية في المهاوى العميقة فلا يستطيع الرجوع منها. ذلك الأمر كما ذكرت، ومن يعظم البدن التي تهدي لصقراء البيت، والتي جعل الله تعالى إهدائها من أعلام دينه، وتعظيمها يكون باختيارها عظمة الجسم سمينة عالية الثمن، فقد اتقى الله حقاً؛ لأن تعظيمها أثر من آثار تقوى قلوب المؤمنين.

لكم في هذه البدن المهداة للحرم منافع كركوبها عند الحاجة، وشرب لبنها عند الضرورة، إلى أجل مسمى هو زمان نحرها إذا وصلت محلها، أي مكان حل نحرها، وهو منطقة الحرم المحيطة بالبيت العتيق.

وبعد ما بَيَّر سبحانه حكمة تعظيم الشعائر ومكان ذبحها أراد أن يبين أن الذبح على وجه التقرب إليه تعالى ليس خاصاً بهذه الأمة، بل لكل أمة من أمة الأنبياء السابقين مناسك وديار تذكر بالله حين ذبحها ليشكر على توفيقه لإقامة هذه الشعائر، فالإله لكم ولهم واحد.

وإذا كان الأمر كذلك هله وحده انقادوا ولا تشركوا معه غيره. وبشر أيها النبي من سمع كلام ربه فحضع وأخلص له. ثم وصف هؤلاء الصالحين بأربع صفات جمعت أصول الفضائل فقال: الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم من هيئته، والصابرين على ما أصابهم من الشدائد ثقة بما عند الله من الفضل، والمقيمي الصلاة في وقتها وعلى أتم وجوها، والممضي بعض ما رزقهم الله في وجوه البر التي بيئها الله تعالى في أماكن من كتابه.

وبعد ما رغب سبحانه في وجوه البر ومنها تقديم الهدى إلى الكعبة، حص من بين الهدايا لأنها أعظمها قيمة فقال ممتناً: والبدن جعلناها لكم من شعائر دينه لكم فيها خير في الدب والآخر، فاذكروا اسم الله عليها عند نحرها حال كونها قائمة مصفوفة الأرجل ليس فيها نقص فإذا سقطت جنوبها على الأرض والمراد تمت ذكاتها فيجوز لكم أن تأكلوا منها، ويجب أن تطعموا الفقراء على اختلاف أحوالهم. وكما سحرنا كل شيء لما يريد منه سحرنا لكم هذه الإبل ودلائها لكم مع قوتها وعظم أجسامها لكي تشكروا نعم الله عليكم.

ثم حذر من الرياء فقال: لن ينال رضا الله اللحوم المتصدق بها، ولا الدماء التي تريقونها بكثرة ما تتحرون، ولكن الذي ينال رضا هو تقواكم له بإحلاصكم في تقديمها للفقراء لوجهه الكريم.

كَذَلِكَ نَقُصِّرُهَا عَنْكَ يَكْفُرُ اللَّهُ عَنْ مَا هَدَيْتَكَ وَيُخَيِّرُ
الْمُخَيَّرِينَ ﴿٢٧﴾ * وَإِنَّ اللَّهَ يَدْعُ إِلَى الْإِيمَانِ أَتَمَوْا
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كُمُورٍ ﴿٢٨﴾ يَدْعُو لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ
بِأَنفُسِهِمْ ظُلْمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ الَّذِينَ
أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ يَتَرْتَبِعُونَ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا إِنَّا لِلَّهِ
وَنُؤْمِنُ بِاللَّهِ أَنَا نَسْتَعِينُ بِمَنْ هَدَيْتَ صَوْمِعُ
وَيَسْعُ وَصُوتٌ وَمَسْجِدٌ بِذِكْرِ رَبِّ أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا
وَيَنْصُرُ اللَّهُ مَنْ نَصَرَهُ: ﴿٣٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يَقْوَىٰ عَمْرِي
الَّذِينَ إِذَا مَسَّكُنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَمْسُوا أَهْلُوهَا وَأَتُوا
الْمَكَّةَ وَأَمْرُو بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَفِي عَقِبَةِ
الْأُمُورِ ﴿٣١﴾ وَإِنْ يُكَنِّتُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ فَلَهُمْ قَوْمٌ
نُوحٌ وَعَادٌ وَنُحُودٌ ﴿٣٢﴾ وَقَوْمٌ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمٌ لُوطَ ﴿٣٣﴾

المفردات: «كذلك»: أعادها ثانيا ليرتب
عليها شيئا غير ما رتبه أولا «خوان»: كثير
الخيانة، «كفور»: شديد الكفر، «ولولا دفع
الله الناس»: تقدم بيانها في صفحة ٥٢.

«صوامع»: مفردتها صومعة وهي معبد
الرهبان في الصحراء المسمى الآن بالدير وإن
كان الإسلام جاء بإبطال الرهبنة انظر الآية
٢٧ من سورة الحديد صفحة ٧٢٢.

«يسع»: مفردتها يسعة بكسر اوله وهي
معبد النصارى غير الرهبان المسماة الآن
بالكنيسة «وصلوات»: مفردتها صلاة وأصلها
بالمعبرية صلوتا وهي معبد اليهود.

«مساجد»: المراد بها هنا معابد المسلمين.

«عزیز»: أى غالب لا يقدر عليه أحد.

المعنى: -

كذلك سخر لكم هذه الإبل لتعظموه سبحانه على هدايته لكم لشعائر دينه، وبشر أيها
النبي المؤمنين الذين أحسنوا طاعتهم بجنة ونعيم دائم، وبعد ما بين سبحانه أن المشركين
يصدون عن دينه وعن بيته أراد أن يبين ما به يتقى شرهم ويتمكن من إقامة دينه فقال: «إن
الله يدافع عن الذين آمنوا» أى أن الله تعالى يدفع شر المفسدين عن المؤمنين المخلصين

- | | | | |
|--------------|---------------|-------------|--------------|
| (١) هدايتكم. | (٢) يدافع. | (٣) آمنوا. | (٤) يقاتلون. |
| (٥) ديارهم. | (٦) صوامع. | (٧) صلوات. | (٨) مساجد. |
| (٩) مكناهم. | (١٠) الصلاة. | (١١) وآتوا. | (١٢) الزكاة. |
| (١٣) عاقبة. | (١٤) إبراهيم. | | |

البعيد من الخيانة والكفر؛ لأنه سبحانه يكره الحوان الكفور بعمه ربه الحنود لها، فيبصر من أحبهم عليهم، ويشترط فيهم ما سيأتي في الآية (٤١) الآتية. ولما كان المسلمون في مكة قد لاقوا من إيذاء المشركين أشد وأقسى ملاقاة بشر، وكانوا كلما اشتكوا له ﷺ أمرهم بالصبر، ولما هاجروا، وأنسوا بالقوة أن لهم بدفع العدوان بقوله «أذن للذين يقاتلون» إلخ أي أن الله تعالى أباح للمؤمنين الذين يقاتلون الكفار برد عدوانهم، وذلك الإذن بسبب أن المشركين ظلموهم.

قال ابن عباس: وهذه أول آية نزلت في الإذن بالقتال، وإن الله على بصير المظلومين لتقدير وقد حصل هاهنا الكافرين، وجعل العزة للمؤمنين، انظر نظير ما هنا في آيتي (٧، ٨) من سورة محمد صفحة ٦٧٢.

ثم وصف سبحانه هؤلاء المظلومين فقال «الذين أخرجوا» أي هم الذين أخرجهم المشركون من مكة، وما كان لهم ديب إلا قولهم: ربنا الله واحد لا نعبد غيره، انظر أول الممتحنة صفحة ٧٣٤ والآية (٨) من سورة البروج صفحة ٨٠١.

ثم بين سبحانه أن دفع عدوان الظالم ضرورة اقتضتها حكمته فقال «ولولا دفع الله» إلخ أي ولولا أن الله سبحانه سحر أهل الحق والأقوياء لدفع ظلم أهل الشر لتغلب الباطل والشر على أهل الأرض فيهدمون بيوت العبادة التي يذكر فيها اسم الله، ولا يبقى فيها سوى ذكر الشيطان، وعد ذلك تكون الحياة كلها شقاء، ووالله ليصبرن الله من يصبر شريعته لأنه قوي عزيز لا يغلِب.

ثم وصف هؤلاء المؤمنين المأذونين بالقتال بصفات لا يد منها في دوام بصر الله لهم فقال الذين إن مكناهم في الأرض يحمل السلطان في يدهم أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وله وحده مرجع كل أمر، فيعز من يشاء ويذل من يشاء، ويسعم من يشاء ويعذب من يشاء.

ثم شرع في تسلية نبيه ﷺ على ما حصل وما سيحصل منهم فقال وإن يكذبوك فلا تحزن فليست أول من فعل معه قومه ذلك، فقد كذب نوحا قومه، وهودا عاد، وصالحا ثمود، وإبراهيم قومه، ولوطا قومه، فاصبر كما صبروا.

وَأَصْحَابُ مَذْنٍ وَصُكَيْتٌ مُوسَىٰ قَامَيْتٌ لِّلْكَافِرِينَ
 ثُمَّ حَنَنْتُهُمْ عَكَفٌ كَانَتْ يَكْبَرُ ⑩ فَكَأَيُّ مَرٍ
 قَرِيَةٍ هَلَكَتْهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ لِّهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا
 وَبُيْرٌ مُّعْطَلَةٌ وَقَصْرِ مَشِيدٍ ⑪ قُلْ تَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
 فَتَعْلَمُونَ لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ يَتَّقُونَ بِهَا أَوْ دَادَهُ يَسْمَعُونَ بِهَا
 قَوْمٌ لَا تَعْنَى الْأَنْصَارُ وَلَكِنْ تَعْنَى الْقُلُوبُ الَّتِي
 فِي أَنْصَادِهِ ⑫ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ
 وَعْدَهُ وَإِنْ يَوْمًا يُبَدِّلُكَ كَالْفَنَاءِ فَمَا تَعْلَمُونَ ⑬
 وَصُكَايُ مِّنْ قَرِيْبٍ مُّلَبٌّ لِّهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ لِّمَا أَخَذَتْهَا
 وَهِيَ الْيَمِينُ ⑭ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ
 مُِّدْرٍ مُِّبِينٌ ⑮ فَأَلِّينَ أَمْرًا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَمْ
 تُغْنِ عَنْهُمْ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ⑯ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُتَجَرِّبِينَ

المصردات: «صامليت». أي أمهلت
 وأرخيت الحبل لهم. «يكبر» أي إنكارى
 عليهم بتعير البعثة إلى بقعة.

«فكايين» كلمة تدل على كثرة ما بعدها

انظر الآية (١٤٦) من سورة آل عمران
 صفحة ٨٦ والآية (١٠٥) من سورة يوسف
 صفحة ٢١٩

«خاوية على عروشها»: حربة ساقطة
 حيطانها على سقوفها، انظر الآية (٢٥٩) من
 سورة البقرة صفحات ٥٤، ٥٥.

«معطلة». أي ليس هناك من ينتفع بها

«مشيد»: مرفوع البيان.

«يستعجلوك بالعذاب» الصمير لكمار قريش فقد كان يستعجلهم عذاب الله سبحانه
 وتعالى، ويتوعدهم بمحيته، وكانوا يكفرون ذلك وبطلون محيته استهزاء.

«لن يخلف الله وعده» جملة حالية جاءت لبيان سمهم في استعجال ما لا بد منه لأن الله
 وعد به.

«وإن يوما عند ربك» جملة أريد بها بيان حطتهم في إنكار العذاب، فالיום عند الله في
 الدنيا كالف سنة في حساب أهلها، وأما يوم الآخرة فهو مقدر بخمسين ألف سنة كما في الآية

(٤) من سورة المارج صفحة ٧٦٥

(١) أصحاب.	(٢) للكافرين.	(٣) أمكنها
(٤) آذان.	(٥) الأبطال.	(٦) آمنوا.
(٧) الصالحات.	(٨) آياتنا.	(٩) معجزين.

﴿نذير﴾ أى منذر ومحوف من حراء فعل المعصية ﴿سمعوا من آياتنا﴾ المراد من الآيات القرآن، والسعى فيه الاجتهاد لإبطاله يقال سعى فلان فى أمر فلان إذا هسهده بسعيه
﴿معاجرين﴾ أى مسابقينه لإعجازه. يقال عاجز الرجل رميله إذا اجتهد كل منهما لإعجاز صاحبه وعلبته.

المعنى . وكذب أصحاب مدين ببيهم شعبيا، وكذب فرعون وقومه موسى فامهلت كل هؤلاء الذين كفروا بأنبيائهم ليردادوا إنما لزيادة عقابهم، انظر الآية (١٧٨) من سورة آل عمران صفحة ٩٢، ثم أحدثهم بأشد أنواع العذاب، فانظر كيف كان أثر إنكارى وغصبى عليهم ترى هولاً عظيماً، فكثيراً من القرى أهلكناها والحال أنها طائفة فأمست حرية ليس بها أحد وكثيراً من الآبار عطلتها بإعدام الذين كانوا يشربون منها، وكثيراً من القصور المشيدة أحلبناها من سكانها هل ركن هؤلاء المشركون إلى التكىل فلم يسيروا فى أنحاء الأرض ليروا ثار من أهلكهم الله بسبب ظلمهم من أقوام الأنبياء السابقين، فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يحب من توحيد الله ونحوه، وإذا سمعوا بها أحبارهم من الأمم المحاورة لهم فيمتدحروا، ولكن هؤلاء حتى لو راوا مكان العبرة فإبهم لا يستمعون، لأن الانتفاع بوعى القلوب لا للعيون الممتعة بدور عقل ورامها، فالعمى الذى يصر ليس هو عمى الأبصار ولكنه عمى القلوب، انظر الآية (١٠٥) من سورة يوسف صفحة ٢١٩، ولما توعدهم ^{بشيء} بالعذاب كانوا يسحرون منه ومن ذلك أنهم كانوا يستعجلونه ويقولون متى هذا العذاب، فقال سبحانه قل لهم أيها النبى كيف تتكرون مجيء العذاب والحال أنه سبحانه لا يحلف وعده وقد وعد به وجعل لعذابكم موعداً، ولن يحلف ما وعد به، وإن مدته مقدرة حسب علمه هو، وماتروبه بعيداً هو عده قريب، انظر الآية (٥١) من سورة الإسراء صفحة ٢٧١، وأيتى (٦، ٧) من سورة الماعز صفحة ٧٦٥، وكثيراً من القرى أمهلت أهلها كما أمهلتهم والحال أنهم ظالمون ثم أحدثهم بالعذاب وسأفعل هؤلاء ما فعلت بمن قتلهم وإن طال الزمن، وإلى مرجع الجميع فى الآخرة وأحارهم بما يستحقون قل أيها النبى يا أيها الناس من كمار قريش وغيرهم ليس لى معكم إلا أن أخوفكم من عذاب الله وأنفعكم رسالته بأسلوب واضح، ثم بعد ذلك يعاملكم الله حسب أعمالكم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة من الله ثنوبهم وريز كريم فى الجنة، والذين أجهدوا أنفسهم فى معارضة القرآن بتسمينه سحراً وأساطير الأولين راعمين أنهم يعحرونه ويبتلون أثاره

أَوْتَيْتَ أَصْحَابَ الْجَعِيمِ ﴿٤١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ
رَسُولٍ وَلَا نَحْيٍ إِلَّا بِمَا نَحْنُ بِتَقَاتٍ أَلْطَفُ الْبَطْرِ فِي أَسْبَابِهِ
فَيَسَّخُ اللَّهُ مَا فِي الْبَطْرِ ثُمَّ يَحْكُمُ اللَّهُ بِأَيْتِهِ. وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٤٢﴾ يَجْعَلُ مَا يُلْقِي الْبَطْرُ فِيهِ لِلَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَآفَاسَةٌ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الْفَاطِنِينَ
لَآ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٤٣﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ أَنَّهُ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ، فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَكَلِمَةٍ
أَلِيمٌ. وَسَوَاءٌ إِنْ مَرَّطَ مُسْتَفِيدٌ ﴿٤٤﴾ وَلَا يَرَى الَّذِينَ
كَفَرُوا فِي مِرَّةٍ مَنَهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْةً أَوْ يُأْتِيَهُمْ
عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ﴿٤٥﴾ أَلَمْ تَكُنْ بِوَعْدِكَ بِقِيَامِهِمْ
مَأْلُومِينَ أَمْ سَأَلُوا الْعَمَلِينَ فِي جَنَّتِ الْعَمِيمِ ﴿٤٦﴾
وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا قَالُوا لَيْتَ كُنْهُمُ عَذَابٌ

المفردات: ﴿من رسول ولا نبي﴾. لكل من
النبي والرسول معنيان؛ فللنبي معنى لمعنى
وهو رفيع المنزلة، ماخوذ من نبا ينهبو أى
ارتفع. ومعنى اصطلاحى وهو مَنْ أرسله الله
تعالى مبشرا بشرع جاء به رسول قبله وداعيا
إليه كانبياى بنى اسرائيل.

وللرسول معنيان: رسول أوحى إليه بشرع
جديد، أى فى الصروع كما فى الآية (٤٨) من
سورة المائدة صفحة ١٤٦، ورسول أوحى إليه
بالدعوة لشرع سبقه، وهذا هو النبي بالمعنى
الثانى؛ فكل رسول نبي بالمعنى اللغوى للنبوة؛

لأن كلا منهما رفيع المقام، وكل نبي بالمعنى الاصطلاحى رسول ولا عكس، انظر آيتى (١٥٧)،
(١٥٨) من سورة الأعراف صفحات ٢١٧، ٢١٨، وآيتى (٥١، ٥٤) من سورة مريم صفحة ٤٠١،
والآية (٤٥) من سورة الأحزاب صفحة ٥٥٦، والآية (٦) من سورة الزحرف صفحة ٦٤٧.. هذا
كله فى الرسل والأنبياء من البشر، أما الملائكة فهم رسل بمعنى آخر كما سيأتى فى الآية (٧٥)
من هذه السورة صفحة ٤٤٤.

﴿تمنى﴾ أى أحب واحتهد لنجاح دعوته ﴿لقى الشيطان﴾ أى وضع الشيطان العرافيل فى طريقها.

﴿ينسخ الله﴾. إلخ أى يزيله ويبطل مفعوله، انظر الآية (١٨) من سورة الأنبياء صفحة

٤٢٢ ﴿مرض﴾: المراد بفاق.

﴿شقاق بعيد﴾: أى خلاف مع الحق وأهله بعيد مصافة ما بينهما.

﴿فتحيت﴾: أى تحصن.

﴿مرية﴾: شك.

﴿عقيم﴾ أى لا خير فيه من راحة أو فرج انظر الآية (٤١) من سورة الذاريات صفحة

٦٩٥.

المعنى: - إن الذين يحاربون آياتنا القرآنية أولئك سيلازمون جهنم. ثم أراد سبحانه أن يسلي نبيه ﷺ بأن معارضة الدين الحق معهودة في الأمم السابقة فقال: وما أرسلنا قبلك رسولا ولا نبيا إلا وحاله أنه إذا تمنى واجتهد في تثبيت شريعته ونجاح دعوته ألقى الشيطان المرافق والشبه على أتباعه لتكون صغورا في طريق أمنيته، انظر شرح آيات (٢٥، ١١٢، ١٢٥) من سورة الأنعام صفحات ١٦٥، ١٦٦، ١٨١، ١٨٢، وما قاله أبو جهل لتضليل الناس عندما سمع الآية (٦٣) من سورة الصافات صفحة ٥٩٠، فيزيل الله تعالى ما يلقيه شياطين الإنس والجن، ثم يحكم الله آياته، أى يثبت شريعته التي جاءت في آياته ويحفظها، والله عليهم بأحوال الناس، حكيم فيما يفعله، فلا يترك الباطل يعلو على الحق، وإنما مكن سبحانه الشياطين من إلقاء الشبه في طريق الدعوة ليكمل ذلك فتنة أى محنة وابتلاء يظهر معادن الناس، فالنافقون وقساة القلوب من المشركين يزدادون ضلالاً، وهذان النوعان من الظالمين والله إنهم لفي عداوة للحق ويمد عن الصواب، وليقوى علم المؤمنين الدين آتاهم الله العلم الصحيح بأن ما جاء به رسوله هو الحق المنزل من ربك فيقوى إيمانهم به فتزيد طمأنينة قلوبهم، وإن الله يهدي المؤمنين فيما أشكل عليهم إلى طريق الحق المستقيم، انظر آيتي (٥، ٦) من سورة محمد صفحة ٦٧٢ ثم بين مآل الصريقين فقال: ولا يزال الذين كفروا في شك من دينك حتى تأتيهم القيامة بغتة أو يأتيهم في الدنيا عذاب القتل في الحرب في يوم لا خير لهم فيه كما حصل يوم بدر وغيره.

الملك والتصرف المطلق يوم ينتهي شكهم هو الله يحكم بين الخلق جميعا، ثم بين كيفية الحكم والمصل فقال: فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا هؤلاء لهم عذاب يدلهم.

مُؤَيَّنٌ ۝ وَالَّذِينَ خَلَعُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا
لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا غَيْرًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝
يَهْدِيهِمْ اللَّهُ مَدْخَلًا بِرِصْوَتِهِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ عَلِيمٌ ۝
۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ، ثُمَّ نَبَىٰ عَلَيْهِ
لَيُصْرَفَهُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَعَفُّوٌّ عَصُورٌ ۝ ذَٰلِكَ يَدَّ اللَّهُ
يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَيِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ ذَٰلِكَ يَدَّ اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَدُّوْنَ
مِنْ دُرِيِّهِ هُوَ الْبَاطِلُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَرْزَقَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَخَسِبَ الْأَرْضُ
عُصْرَةً ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْخَبِيرُ ۝ أَلَمْ
تَرَ أَنَّ اللَّهَ تَحْرَ لَكُمْ مَاءَ الْأَرْضِ وَالْعُلُقَ تَحْرِي

المفردات: «وإن الله لهو خير الرازقين»
يطلق العرب الرازق على خالق الرزق، وعلى
معطيه، والمراد هنا الثاني، أما الرازق بمعنى
خالق الرزق فهو الله وحده، انظر آيات (٣١)
من سورة يونس صفحة ٢٧١، و (٥٩) من
نفس السورة صفحة ٢٧٥، و (٦) من سورة
هود صفحة ٢٨٤، و (٥٨) من سورة الداريات
صفحة ٦٩٦.

ووجه خبريته سبحانه هنا على غيره أنه
فضلا عن أن عطائه غير محدود، ولا ممنون،
فإنه يعطي رزقا هو خالقه، لمبد هو خالقه
أيضا، فهو خالق النعمة ومانعها، أما غيره
فإنه إذا أعطى فإنه إذا أعطى فإنه يعطي من

رزق خلقه غيره وهو الله سبحانه وتعالى، فهو واسطة إعطاء فقط وشئان بين المقامين، فلذا
كان سبحانه خير الرازقين بلا ريب ولذا يُكرَّم إطلاق لفظ «رازق» على غيره تعالى مطلقا لما
فيه من الوقوع في فهم خاطئ، «مدخلا» أريد به هنا مكانا يدخلونه وهو الجنة، «ذلك»
تقدم المراد منها في مثل هذا في الآية (٣٠) السابقة في هذه السورة صفحة ٤٣٧.

«ما عوقب به»: تسمية ما يقع من المعتدى أولاً عقابا لمجرد المشاكلة اللفظية، لأن العقاب
في الأصل اسم لجزاء التعدي، وحسن المشاكلة هنا أن الابتداء بالتعدي هو السبب في العقاب،
هنا أطلق على السبب اسم مسببه، كما يقول العرب، أمطرت السماء نباتا يريد أمطرت ماء
تسبب عنه نبات، «يولج الليل في النهار»: تقدم في الآية (٢٧) من سورة آل عمران صفحة ٦٧

المعنى: الكاهرون لهم عذاب شديد الإهابة، أما المؤمنون الذين تركوا أوطانهم في طلب
رضا الله بجهاد أعدائه ثم قتلوا في الجهاد أو ماتوا طليعيا وهم في طريقهم للجهاد أو
راجعون منه، ليرزقهم الله رزقا حسنا لا يعلم حقيقته غيره تعالى، لأنه سبحانه هو خير

الراقيين: لأنه يعطى بلا حساب ولا مئة ثم بين بعض هذا الرزق فقال ﴿لِيُدْخِلْنَاهُمْ﴾ إلخ أى وعرفته تعالى ليدخلن المقتولين فى سبيله والموتى المهاجرين فى طاعته جبات يرمون ما فيها من نعمهم مقيم، وإن الله لتعليم بيئات عباده فيجارى حسبها، حلیم فلا يعجل بمقوبة العاصي لئيفسخ له مجال التوبة ذلك أى الأمر كما ذكر.

ثم انتقل إلى معنى آخر فقال ﴿وَمَنْ عَاقِبَ﴾ إلخ أى والمؤمن الذى يجارى مَنْ جنى عليه بمثل ما جنى ولم يتعد فوق المطلوب، فإذا قطع أصبعه يقتصر على قطع أصبع فقط، أو قاتل المعتدى عليه كما قاتله، أو أخذ من ماله مثل ما أخذ من ماله، ثم بقى عليه الجانى بالموء إلى ظلمه ثانيا، فإن الله سبحانه يصبر المعتدى عليه لأنه مظلوم والله مع المظلوم. وإن الله لكثير العفو عمن عاقب بمثل ما أودى به فلا يؤاخذ به. كثير المغفرة له فيمستر هفواته عن جميع خلقه ولا يفضحه يوم القيامة. وفى هذه الجملة إشارة لطيفة إلى حب الله للصنف وكبح شهوات النفوس ومقابلة السيئة بالحسنة إلا عند الضرورة، انظر الآيات من (٤٠ إلى ٤٣) من سورة الشورى صفحة ٦٤٤.

ذلك النصر الذى ضمنه سبحانه للمظلوم محقق، لأنه قادر على كل شيء يريد، انظر إلى قدرته تعالى فى المداولة بين الليل والنهار، هيريد فى أحدهما بمقدار ما ينقصه من الآخر، فيضع ظلمة الليل مكان ضوء النهار وبالعكس، ولأنه سميع لقول كل من الطرفين، بصير بأعمالهما، فيجازى حسب ما يصدر منهما ذلك الوصف له تعالى بكمال القدرة والعلم لأنه هو الإله الحق وأن كل ما يدعونهم من دونه راعيين أنهم آلهة باطلة الوهيتهم لاحقيقة لها، وأن الله وحده هو العلى على ما عدها شأنا وأكبر سلطانا وأعلى من أن يكون له شريك، ثم ذكر سبحانه دلائل أخرى على كمال قدرته فقال ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ إلخ: أى ألم تبصر أيها الرائي أن الله يرسل من السماء مطرا فتصير به الأرض محصورة بالنبات بعد أن كانت بدونه قاحلة، إن الله لطيف بعباده حيث أوصل إليهم نفعهم ومنه إنزال المطر بدون إضرار بهم، عليم بدقائق الأمور ومنها مقادير مصالح العباد له وحده كل ما فى السموات وما فى الأرض خلقا وملكا وعبيدا، وأنه سبحانه هو الغنى عن كل ما سواه، المستعق لكثرة الحمد لكثرة نعمه، ألم تر وتعلم أيها العاقل أن الله سحر لكم جميعا أيها الناس ما فى الأرض ظاهرها وباطنها، وسحر لكم الفلك لتجرى فى البحر تحملك وتحمّل أمتعتكم، انظر معنى التسخير فى صفحة ٤٢٨، وانظر ما قيل فى الآية (٣٢) من سورة إبراهيم صفحة ٣٣٤.

فِي الْبَحْرِ يَأْتِيهِمْ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِنَاسِ تَرَاوِفٍ رَحِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَحْبَبَ أَكْثَرَكُمْ يُهْمُّكُمْ ثُمَّ يُخَيِّدُكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٣٨﴾ لِكُلِّ أُمَةٍ جَعَلْنَا مَنَكَا هُمْ بِذِكْرِهِ فَلَا يَسْرِعُ عَنْكَ إِلَّا الْآثَرُ وَأَذْعُ إِنَّ رَبَّكَ إِنَّكَ تَعْلَى هَمَى مُتَقَبِّرٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ جُنْدُكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٤٠﴾ اللَّهُ يَخْتَرُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ أَنْفِثْنَا مِنْكُمْ هِمَاكُمْ بِهِ نَحْنُ نَحْنُ نَعْلَمُ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٤١﴾ وَيَهْدُونَ مِنْ دُورِ اللَّهِ مَا تَرَى بَيْنَ يَدَيْهِمْ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ سَكَّرُوا

المصدرات.. «السما» المراد بها هنا كل ما علا من الكواكب والنجوم والأحرام «لرموف رحيم»: المراد هنا: إن الله بالناس لرموف رحيم على ظلمهم، وبطير هذا قوله تعالى «وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم» الآية (٦) من سورة الرعد صفحتي ٢٢١، ٢٢٢. وانظر المرق بيتهما في صفحتي ٢٢٨، ٢٢٦

«منسكا»: تقدم أصل معناها في صفحة ٤٢٨. والمراد بها هنا شريعة في المعاملات وكيفية العبادات لا هي العقائد، فإنها واحدة

كما في صفحة ٦٢٩، انظر الآية (٤٨) من سورة المائدة صفحة ١٤٦.

«باسكوه»: أي عاملون به.

«في كتاب» هو اللوح المحفوظ الذي كتب فيه كل شيء حتى القرآن، انظر الآية (٢٢) من سورة الحديد صفحة ٧٢٢، والآية (٢٢) من سورة البروج صفحة ٨٠٢. «ينزل به سلطانا» السلطان الحجة والبرهان، وتثريه بإيجاده، انظر الآية (٢٥) من سورة الحديد صفحة ٧٢٢.

المعنى: ألم تر أن الله سحر لكم السفن تجري في البحر بإرادته ويمسك السماء من أن تقع على الأرض إلا بمشيئته، إن الله بناس لرموف رحيم، حيث سحر لهم مافي السموات والأرض، ومنع السماء من السقوط عليهم، وهيا لهم أسباب الاستلال ليصلوا إلى مافيه

- | | | |
|---------------|-------------|------------|
| (١) الإسلام. | (٢) يمارعك. | (٣) جندلوك |
| (٤) القيامة | (٥) كتاب | (٦) سلطانا |
| (٧) للظالمين. | (٨) استما. | (٩) بينات. |

نجاتهم في الآخرة، والله وحده هو الذي أحياكم بعد أن كنتم ثرايا وبطفا، ثم يميتكم إذا جاء أجلكم، ثم يحييكم في الآخرة للحساب والحراء، وإن الإنسان لجحود لنعم الله مع ظهورها.

ولما كان اليهود والنصارى يساعدون المشركين في مبارعته ﷺ والتشكيك فيما جاء به بدعوى أنه بدل دين موسى الذي جاء في التوراة حيث أحل ما كان محرما كالإبل، وبدل دين عيسى حيث أحاز مقابلة الإساءة بمثلها، والإنجيل ليس فيه إلا العمود، وغير ذلك؛ لما كان كل هذا أراد سبحانه إبطال زعمهم فقال لكل أمة من الأمم المابقة أصعاب الشرائع جعلنا شريعة خاصة بهم لاثقة بمصرهم، وعلى هذا الأساس جعلنا لأمة محمد شريعة يعملون بها إلى قيام الساعة وإذا كان هذا هو صنع الله الحكيم فلا يصح أن ينارعه، أهل الأديان السابقة في أمر دينك أيها النبي لأنه تراث إلهي، واستمر في الدعوة إلى توحيد ربك وعبادته على الوجه المبين في كتابك القرآن إنك على طريق يهدي للحق مستقيم، وهو ما شرعه لك ولأممتك، وإن جادلوك في أمر الدين بعد ظهور الحق فقل لهم محذرا برحق الله أعلم بما تعملون وسيجازيكم على عملكم، واطمئن أيها النبي، لأن الله سيحكم بينك وبينهم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون، فيثيب المصيب ويماقب الصال.

ثم أراد حملهم على الإقرار بمصموم ما سبق فقال ألم تعلم أيها العاقل إن الله يعلم ما في السماء والأرض، أي فلا يخفى عليه شيء من أعمال الكفار وأقوالهم، وكل ذلك في كتاب محفوظ، إن ذلك المذكور من الحكم بينهم يوم القيامة والعلم بكل شيء سهل عليه تعالى.

ثم دلل على سخافة عقول المشركين حيث بنوا أهم أعمالهم على غير أساس من دليل سمعي أو عقلي فقال ويميدون من دون الله مالم يرمل بعبادته حجة هي كتاب سماوي، وما ليس لهم به علم عن دليل عقلي، وما لهؤلاء الظالمين لأنفسهم باحتقار عقولهم نصير ينصرهم في الدنيا بدفع القتل والأسر عنهم، وفي الآخرة بمنع العذاب.

ثم بيّن بعض جرائمهم الأخرى فقال - وإذا تتلى عليهم آياتنا القرآنية حال كونها واصحات

الْمُكْرَ يَكَادُونَ تَطْلُونَ بِالَّذِينَ بَلَّوْنَ عَلَيْهِمْ ءَاثِنًا
قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مِثْلِكُمْ أَتَاوْتُمْ النَّارَ وَعَدَّاهُ اللَّهُ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَيَنْتَهِصِرُ ﴿٧٦﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مِثْلُ
فَأَسْتَجْمِعُوا لَهُ ۖ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ
يَخْتَمِرُوا لَهُمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هَؤُلَاءِ يُسَلَّمُونَ إِلَيْهِمْ أَذْنَبُ شَيْئًا
لَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْهُ صَمَفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٧﴾
مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نَفِيرٌ عَزِيزٌ ﴿٧٨﴾ أَفَهُ
يَصْطَلِي مِنْ أَنْتَلِكُمْ رَسُولًا وَمِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ
بَصِيرًا ﴿٧٩﴾ يَسْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ
رُجْعُ الْأُمُورِ ﴿٨٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَرُوا أَنْ كَفُّوا وَأَنْجَسُوا
وَأَقْبَدُوا رَبَّهُمْ وَأَقْبَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْعَلُونَ ﴿٨١﴾
وَجَنِّدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جَهْدِهِ ۚ هُوَ أَجْتَنُّكُمْ وَمَا جَعَلَ

في الدلالة على الحق ترى هي وجوه هؤلاء
الكفار المكر واضح.

المفردات: - ﴿المكر﴾: الشيء المستقبح
الكريه. ﴿ضرب مثل﴾. أصل المثل عند العرب
الكلام المشتمل على تشبيه شيء بشيء فيه
دقه وبداعة جعلته مشهورا يتناقله الناس، ثم
أطلق بعد ذلك على الكلام البديع ولو لم يكن
فيه تشبيه كما هنا وضربه تبينه وإبرازه.

﴿ماقدروا الله حق قدره﴾: تقدم بيانها
في صفحة ١٧٧.
﴿اركعوا واسجدوا﴾ المراد صلوا، وعبر
عنها بأهم أركانها.

﴿حق جهاده﴾. أصل التركيب جهادًا حقا فعكست العرب التركيب للمبالغة كقولهم في
العالم الكبير هلال جد عالم. أي عالم جدًا. ﴿هنا سجدة﴾. ﴿اجتباكم﴾: أي اختاركم لنصرة دينه.
المعنى: تدرك في وجوه الكفار علامات الحرم على ارتكاب المكر مع المؤمنين من تحهم
وعبوس، حتى أنهم يكادون يبطشون بالنبي والمؤمنين من شدة عيظهم وتعصبيهم لباطلهم قل
لهم أيها النبي مقررًا ومتوعدًا هل تسمعون فأحبركم بشيء أشد شرًا عليكم من عيظكم ذلك
الشيء هو النار التي وعدها الله بأن تحرق لحوم الدين كصروا. وبشئت النار مرجعا وبهاية.
انظر الآية (١١٩) من سورة هود صفحة ٣٠١، والآية (٤٤) من سورة الحجر صفحة ٣٤١،
والآية (١٣) من سورة السجدة صفحة ٥٤٦، والآية (٨٥) من سورة ص صفحة ٦٠٥، والآية
(٣٠) من سورة ق صفحة ٦٩٠. ثم لما قدم أنهم يعبدون من دون الله ما لم يدل دليل على جوار
عبادته أراد أن يوضح سمهم فقال يأتينا الناس بين الله تعالى لكم حالًا مستعربة حديرة بأن

تسمى مثلاً يشيع في الأمصار والأعصار فاسمعوه سماع تدبر وعناية، ثم بين هذا المثل فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ إلخ أى أن الأصنام التي تدعونها من دون الله لا يقدرّون على خلق أحقر المخلوقات وأضعفها وهو الدباب، ولو اجتمعوا وعاون بعضهم بعضاً في خلقه لما استطاعوا، ثم بالغ في عجز آلهتهم بأنها لا تقدر حتى على منع هذا المخلوق الضعيف من أن يسلب منها شيئاً قليلاً مما يوضع عندها من طعام للتبرك، كما سيأتى في شرح الآية (٩١) من سورة الصافات صفحة ٥٩٢، أو دهان فوق رؤوسها قال ابن عباس كانوا يطلبونها بالعرضان، فما أصعب هذا العابد الطالب من الصنم أن يسمعه، وما أصعب هذا الصنم المطلوب منه الصنع

ثم أكد جهلهم بمقام خالقهم فقال ﴿مَاقَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أى ما عرفوا الله حق المعرفة اللائقة به سبحانه حيث أشركوا به أعجز الأشياء مع أنه وحده القوى على خلق العالم بأسره، العزيز الذي لا يغلبه شيء مهما عظم وبعد ما هدم سبحانه قواعد الشرك وأيد دعائم التوحيد، شرع في إثبات الرسالة إبطالاً لما صلّوا به على الصنفاء من التشكيك في رسالته ﷺ، انظر قولهم فيه صلوات الله عليه في الآية (٢١) من سورة الرحرف صفحة ٦٥٠، والآية (٨) من سورة من صفحة ٥٩٨، يعاكسون بذلك قول أمثالهم في أنبيائهم في الآية (٢٥) من سورة القمر صفحة ٧٠٦ فقال سبحانه. ﴿اللَّهُ يَصْطَلِي﴾ إلخ أى أن حكمته سبحانه قصت أنه يختار من الملائكة رسلاً يعملون الوحي إلى أنبيائه، ومن الناس رسلاً يعلمون شرعه تعالى إلى خلقه، وهو وحده السميع لأقوال عباده، البصير بأعمالهم، فيعلم مَنْ يصلح منهم للرسالة، انظر الآية (١٢٤) من سورة الأنعام صفحة ١٨٢، وهو سبحانه الذي يعلم ما عليه عباده في حاضرهم، وما تركوه خلفهم، وإليه مرجع كل الأمور، فلا يصح لأحد أن يعترض عليه في اختيار مَنْ يعتار، فيأبها الدين أموا لايهمكم تضليل هؤلاء الكفار، وأقلوا على طاعة ربكم من صلاة وعبادة وغيرها من فعل الخير مترجين من الله الملاح أى المور بالنعيم الدائم. وجاهدوا في سبيل مرضاة الله أعداء دينه وشهوات أنفسكم الجهاد الحق، وهو الذي لا يحاف صاحبه لومة لائم، لأنه سبحانه هو الذي اختاركم لنصرة دينه ليجزل لكم الثواب في الآخرة وهو الذي حمى عنكم ما كلكم به.

عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ قُلَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمُكُكُمْ
أَنْتُمْ لِي مِنْ قُلٍّ وَإِي هَذَا يَكُونُ الرُّسُولُ شَهِيدًا
عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْثِقُ الْوَعْدِ
وَيَعْلَمُ الْغَيْبُ ﴿٢٨﴾

(٢٢) سُوْرَةُ الْمَوْضِيْعِيْنَ وَتَكُنْ
وَأَنْتُمْ لِي مِنْ قُلٍّ وَإِي هَذَا يَكُونُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُزْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ
خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ الْفُرْعِ مَرْصُوبُونَ ﴿٣﴾
وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِمُرُوجِهِمْ

المفردات :- ﴿حرج﴾ : ضيق ومشقة
﴿أبيكم إبراهيم﴾ : سماء أبا أمة محمد ﷺ
مع أن فيها مَنْ ليس من نسله، لأن أبا رسول
الامة يعتبر أباهم جميعا، لأن رسولها كالأب
في الرحمة بهم. ﴿ليكون الرسول شهيدا
عليكم﴾ إلخ: تقدم في صفحة ٢٧.

المعنى :- ما جعل سبحانه عليكم فيما
شرعه لكم مشقة، انظر آخر سورة البقرة.
الرموا ملة أبيكم إبراهيم التي آمن الله
عليكم بأن هداكم لها كما هي الآية (١٦١) من
سورة الأنعام صفحة ١٩١، ثم بيّن سبحانه ما

يؤيد احتياجه للمؤمنين بقوله هو سبحانه سماكم المسلمين من قبل نزول القرآن في الكتب
السابقة من صحف إبراهيم وموسى، وسماكم المسلمين أيضا في هذا القرآن لتكون عاقبتكم
يوم القيامة أن الشاهد عليكم بأن رسالة ريكم التي بلعنكم هي تلك التي بلفكم بها رسول الله
ﷺ، وتكونوا أنتم شهداء على جميع الأمم السابقة بأن أنبياءهم بلعوهم شرع ربهم، فبين
شهادتكم هذه على تصديقكم كتاب الله الذي جاء به رسولكم، وفيه القطع بأن الرسل بلعوا
أمرهم وآمن منهم البعض وكفر الباقي، وبما أن الله سبحانه حصمكم بهذا الشرف فيجب

- (١) إبراهيم
- (٢) سماكم
- (٣) الصلاة
- (٤) وآتوا
- (٥) الركعة
- (٦) مولاكم
- (٧) خاشعون
- (٨) للركعة
- (٩) فاعلون

عليكم أن تشكروه بأداء الصلاة على أتم وجوها وتؤتوا الزكاة مستحقيها، واعتصموا بالله أي تمسكوا بكل أوامره، ولا تتقوا إلا به في جميع أموركم، ولا تطلبوا الإعانة إلا منه لأنه سبحانه هو وحده ناصركم ومتولى أموركم، فنعم المولى ونعم النصير سبحانه، لأنه لا مثيل له في الموالاة والنصر، بل في الحقيقة لا يصير سواء.

﴿أفلح المؤمنون﴾ : أي نجحوا وفازوا بالنعيم الدائم. «الفلح» : أصل الفلح الكلام الذي لا هائدة فيه، وقد يطلق عل كل مالا يعتد به من كلام أو عمل.

﴿للزكاة فاعلون﴾ : أصل معنى الزكاة النمو، والزيادة العاصلة ببركة الله عز وجل. يقال زكا الزرع يزكو إذا حصل له نمو وبركة، ويقال زكى فلان نفسه أي نمى فيها حب الخير والطاعات، قال تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ الآية (٩) من سورة الشمس صفحة ٨٠٩، واللام في قوله «للزكاة» تسمى لام الباعث على العمل، أي والذين هم لأجل تنمية حب الخير في أنفسهم فاعلون ما يحقق ذلك، وهو ما أمرهم الله سبحانه به من إخراج الزكاة، ويسمى الجزء من المال الذي يخرج للفقراء زكاة لأن إخراجها سبب للبركة وتنمية حب الخير، انظر الآية (١٠٣) من سورة التوبة صفحة ٢٥٩، ولا يصح أن يراد بالزكاة هنا المال لأنه لا يقال فعل فلان المال مثلاً لأن مادة فعل لا تتعلق إلا بالمعاني، ولا تتعلق بالأجسام المادية، فيقال فعل فلان الإحسان، وفعل الشر مثلاً، ولا يقال فعل الفصح أو الفول مثلاً.

﴿فروجهم﴾ : يطلق الفرج على كل من سوتى الرجل والمرأة.

سورة المؤمنون

قد فاز بالمرغوب المؤمنون بالله حقاً، الذين إذا وقفوا بين يدي ربهم في الصلاة ملأ الحوف من جلاله قلوبهم، وسكنت جوارحهم، وعلموا أنه سبحانه مطلع عليهم يراقب أقوالهم وأفعالهم، والذين هم معرضون عن كل ما لا هائدة فيه وعن غيره من باب أولى. والذين هم لأجل تطهير نفوسهم من دنس الشح فاعلون ما يقربهم إلى الله من إخراج الزكاة لمستحقيها، والدين يحافظون على فروجهم إلخ.

حَبِطُونَ ① إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَمَلِكَةٍ
 أَيْتَمَّ عَلَيْهِمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ ② قَسْرَ آيَتَيْنِ وَرَأَىٰ ذَلِكَ
 قَاتِلَهُنَّ ثُمَّ اتَّعَدُونَ ③ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ
 رَاعُونَ ④ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَواتِهِمْ يَحْطِطُونَ ⑤
 أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ⑥ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْيَرْدَنَ هُمْ
 فِيهَا خَالِدُونَ ⑦ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ
 مِنْ طَيِّبٍ ⑧ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَفْسًا فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ⑨ ثُمَّ
 خَلَقْنَا النُّفُوسَ خَلْقًا خَلْقًا النُّفُوسَ خَلْقًا خَلْقًا
 النُّفُوسَ خَلْقًا فَكُنَّا الْبَاطِنَ لَهَا ثُمَّ أَنشَأْنَا خَلْقًا
 آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ⑩ ثُمَّ إِنَّمَا تَعَدَّ
 ذَلِكَ تَبَيُّنًا ⑪ ثُمَّ إِنَّمَا بَرَزَ الْقِيَمَةُ تَبَيُّنًا ⑫
 وَلَقَدْ خَلَقْنَا فِرْعَوْنَ سَبْعَ طَرَائِقٍ وَمَا كُنَّا مِنَ الْخَالِقِ

المعمرات . «ابتنى» : أى طلب.

«وراء ذلك» : المراد غير ذلك.

«العادون» : البالغون النهاية هي العدوان

ومجاوزة حدود الشرع.

«اماناتهم» : مفردا أمانة، وهي ما

يؤتمن عليه الشخص من جهة الله سبحانه

كالتكاليف الشرعية، أو من جهة الناس

كالأموال المودعة عنده. وعهدهم ما عاهدوا

عليه ربهم بقبول شرعة وتصديق رساله

والوفاء بعهودهم وما عاهدوا عليه ربهم

كالنسر مثلا، أو عاهدوا عليه الخلق من كل ما

فيه مصلحة وليس ضارا بأحد . «راعون» : أى مراعون وحافظون «يحافظون» : أى يؤدونها

في أوقاتها . «الوارثون» : أصل الإرث أخذ الشيء عن الغير من غير عقد بيع ولا هبة ولا غير

ذلك، ثم استعمل في مطلق استحقاق شيء، ومنه ما هنا وهو استحقاق الجنة، انظر الآية (٤٣)

من سورة الأعراف صفحة ١٩٩، والآية (٦٣) من سورة مريم صفحة ٤٠٢ . «سلالة من طين» :

السلالة هي الخلاصة التي ملئت من غيرها، والغير هنا هو الطين الذي هو من التراب، انظر

الآية (٣٧) من سورة الكهف، والآية (١١) من سورة قاطر صفحة ٥٧٣، والآية (١٧) من سورة

نوح صفحة ٧٦٩ . «نطفة» : هي الحيوان المنوي الموجود في المنى وهو الماء الدافق، انظر

الآية (٣٧) من سورة القيامة صفحة ٧٨٠ . «قرار مكين» : أى مستقر حصين وهو الرحم

(٢) أيمانهم

(٦) صلواتهم

(٩) الإنس

(١٢) عظما

(١٥) آخر

(٢) أرواحهم

(٥) راعون

(٨) خاللون

(١١) جعلناه

(١٤) أنشأناه

(١٧) القيامة.

(١) حافظون

(٤) لأماناتهم

(٧) الوارثون

(١٠) سلالة

(١٢) المعظم

(١٦) الخالقين

المحاط بصندوق من عظام الظهر والجانبين وفوق العانة إلى آخر ما لا يعرفه إلا الأحصائيون. «علقة». «مصفة» - قدما في صفحة ٤٣٣. «الحالقين» - يطلق الحلق بمعنى الإيجاد وهذا خاص بالله تعالى وبمعنى التقدير، والمراد هنا الثاني، وهذا يطلق على غيره تعالى، انظر الآية (٤٩) من سورة آل عمران صمعتي ٧٠، ٧١.

«طرائق» مفردا طريقة بمعنى مطروقة كذميمة بمعنى مذمومة، مأخوذة من قولهم طارق الرجل بين ثوبين إذا لبس أحدهما فوق الآخر، فهي بمعنى «الطباقي» هي الآية (٣) من سورة الملك صفحة ٧٥٤.

المعنى : والذين هم لفروجهم حافظون يمسكها عن كل أجبي وأجبية، إلا على أزواجهم من رجل أو امرأة، أو ما ملكت أيمانهم، وهذا خاص بالرجال فقط، فهم الذين يجوز لهم التمتع بالمملوكات، أما المرأة فلا يعمل لها التمتع بمملوكها؛ فهم غير مؤاحدين هي التمتع بما أحل لهم، فمن طلب غير ما أحل له فأولئك هم المتوعلون في العدوان على حدود الله، والذين هم لأماناتهم وعهدهم حافظون والذين يعاظمون على صلواتهم بأدائها في أول أوقاتها؛ هؤلاء الجامعون لهذه الخصال السبع وهم وحدهم المستحقون لأن يرثوا الفردوس، وهو أعلى الجنة، حالدين فيها وبعد أن ذكر سبحانه صفات السعداء أتبع ذلك بذكر مبدء خلقهم ومآل أمرهم ومآل غيرهم من بني الإنسان، ليبين كمال قدرته وتعام نعمته، وليذكرهم بالخوف من عصيانها، فقال ولقد خلقنا الإنسان من سلالة مستحلصة من الطين الذي أصله من التراب والماء، ثم جعلنا هذه السلالة نطفة، وحفظناها في مكان حصين، ثم حولنا النطفة إلى علقة، فحولنا العلقة مضغة، فحولنا أكثر المضغة عظاما، فكسونا العظام لحما، ثم أنشأناه خلقا آخر بنفخ الروح فيه فصار حيا بعد أن كان حمادا ميتا، فتعالى شأنه سبحانه، وهو أحسن المقدرين المنظمين، لا احتلال في تقديره. ويؤخذ من المعطف بـ (ثم) تارة وبـ (الماء) أخرى، إن المدة بين كل حال وأخرى تختلف بما لا يعلم مقداره بالصبط سواء سبحانه. ثم إنكم يا بني آدم بعد هذا الخلق والحياة المقدرة لكل منكم لميتون، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون للجزاء والحساب، ولقد خلقنا فوقكم سبع سموات مطروق بعضها فوق بعض وما كنا عن جميع الخلق بما فيه هذه السموات يعاقلين لحظة.

عَصَبِينَ ۝ وَأَرْسَلْنَا مِنَ السَّمَاءَ مَاءً مُبَدَّرًا فَتَلَكَّتْهُ
 فِي الْأَرْضِ وَبَارَأْنَا مِنْ ذُرِّيَّتِهِ نَسَبًا ۝ وَجَعَلْنَا
 فِيهَا نَسَبًا مَنًّا وَتُحْسِنُ وَالْغُلَبُ تُكْرِمُهَا
 وَمَوَاقِدُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَخَشَرَةُ الْأَشْجَارِ
 أَغْطَتْ سَبَّابًا بِالدَّهْقِ وَصَنَعَ لَهَا مَكِيلًا ۝ وَإِنْ تَكُنْ
 فِي الْأَنْعَامِ نِعْمَةٌ تُنْقِصُكُمْ فِي بُطُونٍ وَتَكُنْ فِيهَا
 مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفِئَةِ
 تُهْمَلُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ اشْعُرُوا
 قُدْرًا اللَّهِ مَا تَكْفُرُونَ ۝ فَأَعْلَا تَتَقَوُونَ ۝
 فَقَالَ الْمُنَافِقُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ
 مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَرْسَلَ
 مَلَائِكَةً مَأْتِيَةً يَهْدِيكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَرْجِعُونَ ۝

المفردات :- «بقدر» : أى بمقدار معين.

«شجرة» : هى شجرة الزيتون.

«طور سيناء» : هو المكان الذى ناجى

موسى ربه عنده، ويسمى طور سينين كما فى

الآية (٢) من سورة التين صفحة ٨١٢.

«بالدهن» : هو الزيت.

«وصيغ» : هو الزيت باعتبار أنه مؤنث به،

والكلام من عطف الصفة على الموصوف، انظر

الآية (٤٨) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٥.

وسمى الزيت صبيغاً لأن الصبيغ يصيب به

عندما يغمس فيه.

«الأنعام» : الإبل والبقر والغنم.

«الملا» : هم الزعماء وأصحاب الراى.

«إن هو» : إن حرف نفى بمعنى ما.

المعنى - وما كنا عن هذه المخلوقات عاقلين، بل حمطناها من الزوال والاختلال. وانزلنا

من جهة السماء ماء هو المطر مقترنا بمقدار كفاية الخلق فى مصالحهم بدون إضرار بهم،

وانا قادرين على إذهابه بتفويذه وامتصاص الأرض له، أو تبخيره فى الهواء، أو استحالة

(١) عاقلين	(٢) فاسكه	(٣) اتقون
(٤) جات	(٥) وأغلب	(٦) فواكه
(٧) للاكلين	(٨) الأنعام	(٩) منافع
(١٠) يا قوم	(١١) الملا	(١٢) ملائكة
(١٣) آياتنا		

استخراجه من باطن الأرض لسبب ما، فإشانا لكم بهذا الماء جنات من نخيل وأعناب وغيرهما، وخصهما بالذكر لكثرة الانتماع بهما خصوصا في بلاد العرب، لكم في هذه الجنات فواكه غير النخيل والعنب كثيرة، ومما في هذه الجنات من زروع وثمار تأكلون، والمراد تتفعمون أكلا أو بيعا، تقول العرب فلان يأكل من حرفته أى يرتزق منها، وإشانا لكم بالماء أيضا شجرا مباركا هو شجر الزيتون الذى ينبت في وادي الطور، وخصها بالذكر بعدما تقدم لكثرة منافعها، ولمكثها في الأرض أكثر من كل الشجر، حتى قال بعضهم أنها تعيش نحو ألف عام، تثبت مصاحبة للدهن، كقولهم جاء فلان بثياب السفر، والمراد تخرج من ثمرها الزيت الجامع بين كونه يدهن به وتسرج به المصابيح، وبين كونه إداما يصنع فيه العبز أى يغمس ويعدما بين نعمته تعالى من جهة الزرع أراد ببيان نعمه من جهة الحيوان فقال : وإن لكم في الأنعام لعبرة تستدلون بها على قدرتنا وعلى فضلنا عليكم، نسقيكم مما في بطونها من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين كما في الآية (٦٦) من سورة النحل صفحة ٣٥٤. ولكم فيها منافع كثيرة من أصوافها وأوبارها وأشعارها انظر الآية (٨٠) من سورة النحل صفحة ٣٥٦، وتأكلون من لحومها، وعلى أعظمها عندهم وهو الإبل يحملون في البر كما يحملون في السفن في البحر، انظر الآية (٧) من سورة النحل صفحة ٣٤٦.

ثم أراد سبحانه أن يذكر كمار قريش بمآل مَنْ أهمل الاعتبار وجحد نعمة الله وكذب رسله فأهلكهم الله، فقال: ولقد أرسلنا نوحا فقال يا قوم اعبدوا الله وحده فما لكم من إله غيري، فهل يصح أن تلجوا في عمايتكم فلا تحافوا عذاب ربكم؟ فقال الزعماء الذين كفروا من قومه لعوامهم: ما هذا الرجل الذى يدعى أنه رسول إلا بشر مثلكم، أى وليس ملكا، يريد أن يتفضل عليكم ويكون سيديا لكم، ولو شاء الله أن يرسل رسولا لأرسل ملائكة رسلا، ما سمعنا بأن لله رسولا من البشر فهما نقل عن آياتنا الأولين، وهذا إما لقرط عناد هؤلاء الزعماء لتضليل العوام أو لأنهم كانوا بعد فترة طويلة انقطعت عنهم فيها أخبار مَنْ أرسل قبلهم، وإذا كان هذا غير مسموع فما نوح إلا رجل مجنون.

وَجَلَّ بِهٖ رَحْمَةً فَرِحْنَا بِهٖ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ
 اصْرَفْ عَنَّا كَذِبَہٗنَ ﴿٣٠﴾ فَلَوْحًا لَّہٗٓ اِنْ اَصْنَعِ الْفُلَکَ
 بِاَعْيُنِیْ وَوَحِّیْہَا مَاذَا جَاءَ اَمْرًا وَّفَارَ التَّنْوِیْ فَاَسْلَکَ فِیْہَا
 مِنْ کُلِّ رَوْحٍ اَنْثٰی وَاُنْثٰی اِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَیْہِ الْقَوْلُ
 فَمِنْہُمْ وَلَا تُخَیْطِیْ فِی الَّذِیْنَ ظَلَمُوا اِنَّہُمْ مُّفْرَقُوْنَ ﴿٣١﴾
 فَاِذَا اَسْتَوٰیْتَ اَنْتَ وَرَسْمُکَ عَلَی الْفُلَکِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلّٰہِ
 الَّذِی نَجَّیْتَ مِنَّا الْعَرَمَ الظَّالِمِیْنَ ﴿٣٢﴾ وَقُلْ رَبِّ اُرْنِیْ
 مُزَکَّ لَا مُبَارَکًا وَاَنْتَ خَبِیْرُ الْمُرْسَلِیْنَ ﴿٣٣﴾ اِنَّ فِیْ ذٰلِکَ
 لَا یَنْتِیْ وَاِنْ کُنَّا لَمُعْتَبِلِیْنَ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ اَنْشَاْنَا مِنْ بَعْدِہُمْ
 قَرْیًا اٰخَرٰیْنَ ﴿٣٥﴾ فَلَوْسَلَّمَا فِیْہِم رَّسُوْلًا مِنْہُمْ اِنْ اَعْبُدُوْا
 اِلٰہَ مَا لَکُمْ مِنْ اِلٰہٍ غَیْرِہٖۤ اَفَلَا تَتَّقُوْنَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ الْمَلٰٓئِکَةُ
 مِنْ قَوْمِہِ الَّذِیْنَ کَفَرُوْا وَکَذَّبُوْا بِیْلَہٗ الْاٰیۃَ وَارْتَضٰہُمْ

المفردات ٠٠ ﴿جَنَّةٌ﴾ : جنون.

﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ : انتظروا.

﴿حتى حين﴾ : إلى أن يفیق من جمونه.

﴿باعيننا﴾ : تحت رعايتنا وحفظنا.

﴿أمرنا﴾ : بنزول المذاب بهم.

﴿وفار التنوير﴾ : نبع الماء بكثرة من تنور

الخبير، انظر الآية (٤٠) من سورة هود
 صفحة ٢٩٠.

﴿فأسلك فيها﴾ : فادخل في السفينة.

﴿روحين﴾ : ذكرا وأنثى من كل نوع من الحيوانات.

﴿من سبق عليه القول﴾ : سبق القضاء
 بهلاكه.

﴿آيات﴾ : لعبارة وعظمت.

﴿مبتلين﴾ : اصل الابتلاء الاختبار.

﴿قرنا آخرين﴾ : هم عاد قوم هود، انظر ما يدل على أن هوداً بعد نوح في صفحات ٢٠٢.

٢٠٢، ٢٩١، ٤٨٧.

﴿رسولاً منهم﴾ : هو هود عليه السلام.

(١) تضاعف

(٢) نجدا

(٣) الظالمين

(٤) آيات

(٥) آخرين

(٦) الأجرة

(٧) انرضاهم.

﴿أثر فَنَاهُمْ﴾. أى نَمَّاهُمْ بسمعة الرزق وغيره، يقول المرمى: تَرَفَ فلان بفتح التاء وكسر الراء يتَرَفَ بوزن فَرَح يَفْرَح أى تَتَعَم، وأثره غير نَعْمَةٍ

المعنى . قالوا ما نوح إلا رجل أصابه جنون فانتظروا حتى يميق من جنونه، قال نوح بعد ما يثس من إيمانهم يارب انصرنى عليهم بسبب استمرارهم على تكذيبى، فأجبت دعاءه، وأوحينا إليه بأن يصنع السفينة تحت رعايتنا ووحينا إليه بكيفية عملها، فإذا جاء أمرنا بنزول العذاب بهم وهار التور بالماء كما بيّن فى الآية (٤٠) من سورة هود صفحة ٢٩٠، فأحمل فيها من كل حيوان زوجين، أى ذكرًا وأنثى، وأكد ذلك بقوله اثنتين، أى لا أكثر، حتى تتسع لكل الأنواع، وأحمل فيها أيضا أهلك من نساء وبنية ومن آمن معك، انظر صفحة ٢٩٠. إلا من سبق قصاء الله بهلاكه منهم لكفره، وأنت تعرف الكافر منهم والمؤمن، فلا تصحب منهم كافرًا. وقال (عليه) لأن الحاصل له ضار، والنافع يعدى له باللام، انظر الآية (١٠١) من سورة الأنبياء صفحة ٤٣١، والآية (٤٦) من سورة فصلت صفحة ٦٢٦، ولا تغايطبى يا نوح فى نجاة الظالمين منهم بأن تطلب ذلك لأى حكمت بإغراقهم، ومن كان هذا ماله لا تصح الشفاعة فيه، انظر الآية (١٠٩) من سورة طه صفحة ٤١٦.

فإذا علوت أنت ومن معك على العلك وتمكنتم من ظهرها فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين، وقل أيضا يارب أنزلنى من السفينة بعد ذهاب الماء مكانا مباركًا يساعدنا على العمل لحيرى الدنيا والآخرة، وأنت حير العنزلين، إن فيما حصل لنوح وقومه لعبرا وعظا، وإنا كنا فيما فعلناه بهم معاملين عبادنا معاملة المختبر ليظهر من يعتبر ومن يهمل انظر الآية (١٥) من سورة القمر صفحة ٧٠٥، ثم أنشأنا من بعد نوح وقومه أمة أخرى هى عاد، فأرسلنا فيهم رسولًا منهم هو أخوهم هود قاتلًا لهم اعبدوا الله ليس لكم إله غيره، هل يصح بعد هذا أن تهملوا فلا تتقوا عذابه، وقال كبار قوم هود الذين كفروا بالله وكذبوا بلفظه ما فى الآخرة من حساب وجزاء، والذي جرأهم على ما قالوه مما سيأتى هو ما كانوا فيه من الترف والتعيم، انظر ما قيل فى صفحة ٣٦٦.

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ بَأْكُلُ مِنْ
مَا كُلُّونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا شَرَبُونَ ﴿٣٧﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ
بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ إِذَا الْخَبِيرُونَ ﴿٣٨﴾ أَيْدُكُمْ أَنْتُمْ
إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٣٩﴾
• هَيْهَاتَ مَهَيَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٤٠﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٤١﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُعْزَمِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً يَوْمَ يُدْعَوْنَ ﴿٤٣﴾ قَالَ مِمَّا قَبْلُ لَيْسَ لِي
تَلْعِيمٌ ﴿٤٤﴾ فَاسْمِعْتَهُمْ الصَّيْحَةَ لِنَجْزِي لَعْنَتَهُمْ مِنْهُ
فَجَعَلْنَا لِقُلُوبِهِمْ أَظْلُمِينَ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ أَنَا أَنَا مِنْ تَعْدِيهِمْ قُرُونًا
كَثِيرِينَ ﴿٤٦﴾ مَا تَسْمَعُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَبْتُهَا وَمَا يَسْتَفِيرُونَ ﴿٤٧﴾
لَمْ أَرْسَلْ رَسُولًا نَذْرًا كُلِّ مَآجَاءِ أُمَّةٍ رَسُولًا كَتَبْنَاهُ

المفردات :- ﴿هيهات﴾ : اسم فعل بمعنى
بعد بضم العين، وفاعله ضمير يرجع إلى
شيء مفهوم من الصياح وهو هنا البعث بعد
الموت، وكررت للتوكيد.

﴿لما توعدون﴾ : اللام تسمى لام البيان،
تبين مرجع الضمير بأنه هو البعث من القبور
الذي وعدهم به هود، ونظير هذه اللام يأتي
في الآية (٤١) الآتية.

﴿إن هي إلا﴾ : إن حرف نفى بمعنى ما.

﴿عما قبل﴾ : أصلها عن ما، ثم ادغمت
(عن) بمعنى بعد و (ما) المراد بها هنا زمن
أي بعد زمن قليل.

﴿الصيحة﴾ : أصل الصيحة هي المرة من الصياح، وهو الصوت الشديد المزعج، والمراد
بها هنا مطلق المدب الشديد لأنهم أهلکوا بريح عاتية كما الآية (٦) من سورة العنكبوت صفحة
٧٦١، وسميت صيحة لأنه كان مع الريح صوت جبريل.

﴿عشاء﴾ : ما يحمله السيل من العيدان والورق والأشياء البالية المقيمة.

﴿هيمدا﴾ : أي هلاكاً. ﴿بشراً﴾ : أصلها (بشراً) من البش، وهو الفرد. والعرب تبدل الواو هي
مثل ذلك ﴿تاء﴾ والألف للتانيث. لأنها حال من جماعة الرسل، والجمع يؤنث لفظه فيقال جاءت
الرسل، وهي في الأصل مصدر كالمواترة، وأريد بها الصعة أي متتابعين.

(١) الحياة	(٢) لعاصرون	(٣) عظما
(٤) ناديين	(٥) فجعلناهم	(٦) الظالمين
(٧) آخرين	(٨) يستأخرون	

المعنى :- وقال الزعماء الذين نعمناهم في الدنيا بكثرة المال والأولاد ما هذا النبي إلا بشر مثلكم، ثم بينوا وجه المماثلة بقولهم : يأكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربونه، أي والرسول لابد أن يكون من الملائكة أي أشرف منكم، ووالله إن أطلعتم بشرا مثلكم فيما بأمركم به إنكم إذا أطلعتموه لخاسرون كرامتكم لأنكم أدلتم أنفسكم لشخص لا مزية له عليه.

ومن فساد عقولهم أنهم لم يقبلوا الخضوع لبشر وعبدوا العجبر، ثم بينوا وجه اعتراضهم على قوله فقالوا: هل يصح أن يمدكم بالحروج من القبور بعد أن تموتوا وتصبحوا ترابا وعظاما؟ كلا، بل يمد جداً ما يمدكم به، فما الحياة التي يمكن أن نحياها إلا هذه الحياة التي يسميها هو الدنيا زاعما أن بعدها أخرى، نموت ونحيا، أي يموت بعضنا ويحيا بالميلاد غيره، أو ينقرض قرن ويأتي قرن، وما نحن بمبعوثين بعد الموت أبداً، ما هذا النبي إلا رجل افتري على الله كذبا فيما يدعيه من أنه أرسله، وما نحن له بمصدقين، وهذا يدل على أن كثيرا ممن يكررون البعث يؤمنون بوجود الله كما سيأتي في الآيات من (٨٢ إلى ٨٩) من هذه السورة صفحات ٤٥٣، ٤٥٤.

بعد ذلك قال الرسول يارب انصربي عليهم بالانتقام منهم بسبب تكذيبهم لي. فاجاب الله عز وجل دعاءه وقال انتظر فيمد شيء قليل من الزمن ليصيرن نادمين على تكذيبك عندما يشاهدون العذاب، فأهلكتهم صيحة جبريل مع الريح العاتية بالحق، أي لم يظلموا، بل هم الذين ظلموا أنفسهم بالكفر وترك المظر في الدليل، فجعلناهم بهذا المذاب ممتتين كورق الشجر الجاف فأهلكناهم هلاكا مبينا بأنه للقوم الظالمين.

ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين هم قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم، ولما فعلوا مثل فعلهم أهلكناهم أيضا في الوقت المحدد لكل منهم، مما سبقت أمة منهم أجلها المحدد لهلاكها ولم تتأخر عنه، ثم بعد ذلك أرسلنا رسلا متتابعين إلى أممهم فكانوا كلما جاء أمة رسولها كذبوه كأنهم تواصلوا بذلك كما في الآية (٥٢) من سورة الذاريات صفحة ٦٩٥، والآية (١١) من سورة الصافات إلى آخر السورة.

فَأَتَيْنَاهُم بِبَعْضِ مَا وَعَدْنَاهُمْ مُبْتَلًى فَهَلْ يَرْجِعُونَ
 لَا يُؤْمِنُونَ ١١ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا
 وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ١٢ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا
 قَوْمًا عَالِينَ ١٣ فَعَقَلُوا آيَاتِنَا وَلَيَسِّرَنَّا بَيْنَنَا وَقَوْمَهُمَا
 لَنَّا عِبْدُونَ ١٤ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ١٥
 وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ نَقَلْنَاهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ١٦ وَجَعَلْنَا
 آيَاتٍ مُرَّةً وَأَمَةً ١٧ وَأَوَيْسْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ
 وَتَعِينٍ ١٨ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا
 إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ١٩ وَإِنْ حَسِبْتُمْ أَنَّمَا
 نُوحِيَنَّ إِلَيْكُم مَاءً فَاتَّقُوا ٢٠ فَتَقَطُّوا أَرْحَامَهُمْ بِهِمْ
 ذُرِّيًّا كُلِّ جَزْبٍ يَمَّا أَلْقَيْتُم مَّقْصُودٌ ٢١ فَتَرْتَمِي فِي قَمَرَتِهِمْ
 حَتَّى جَهَنبُ ٢٢ أَتَجِدُونَ أَنَّكُمْ تُعَذِّبُونَ بِهِ مِنْ عِلٍّ

المفردات : : «أحاديث» : جمع أحداث،
 كأعاجيب وأعجوبة، والأحداث ما يحدث به
 الناس لغرابته. «بآياتنا» : هي التمتع المبينة
 هي صفحة ٢٧٨. «وسلطان مبين» : أى حجة
 قوية، وهي العصا، انظر بيان ذلك في الآية
 (٩٦) من سورة هود صفحة ٢٩٨. «وملئه» :
 هم كبار قومه. «فاستكبروا» : أى على
 الإيمان بموسى وهارون واحتقروهما، انظر
 الآية (٤٧) الآية هنا، والآية (١٨) من سورة
 الشعراء صفحة ٤٨٠، والآية (٢٧) من نفس
 السورة صفحة ٤٨١، والآيات (٤٧، ٥٢، ٥٣)
 من سورة الزخرف صفحة ٦٥٢. «عالين» :
 متطاولين فيها وطلما «عابدين» : خادمون
 خاصمون كالعابدين. «الكتاب» : التوراة.

«آية» : أى دليلا على تمام القدرة حيث ولدته من غير مسيس رجل «أويناهما» : أى
 سقناهما إلى ربوة جعلناها مأوى لهما. «ربوة» : هى ما ارتفع من الأرض أقل من الجبل وهو
 بيت المقدس. «قرار» : أى استقرار للناس لما فيه من الزرع والثمار. «معين» : ماء جار
 يرى بالمعين. «أمتكم» : الخ. ملتكم وشريعتكم، انظر الآية (٢٢) من سورة الزخرف صفحة
 ٦٤٩. «فتقطعوا أرحامهم بينهم» : قطعهم الشيطان فتقطعوا وتفرقوا فى أمر دينهم، انظر الآية
 (٩٣) من سورة الأنبياء صفحة ٤٣٠ «زبرا» : جمع ربرة بضم فسكون، بمعنى قطعة، كما
 تقدم فى الآية (٩٦) من سورة الكهف صفحة ٢٩٤، لكن الجمع هناك على (فعل) بضم تين
 جمع سماعى، انظر القاموس، فإنه قال : إن (فَعَلَة) بضم فسكون تجمع بهذين الجمعين، وبما
 أن علماء العربية عولوا فى إثبات الجموع السماعية على سماعها من عربى أيا كان ولو كان
 جاهلا، فكيف لا نعمل على السماع من أفصح كلام أعجز فعول العرب، فافهم هذا ولا تشغل
 نفسك بما تكلفوه هنا لجعل الجمع قياسيا مع أن الجموع السماعية لا تحصر، والمراد هنا من

(١) حملناهما (٢) هارون (٣) بآياتنا (٤) سلطان (٥) وملئه (٦) عابدين (٧) آتينا
 (٨) الكتاب (٩) آية (١٠) وأويناهما (١١) الطيبات (١٢) صالحا (١٣) واحدة (١٤) أن ما

﴿رَبِّزًا﴾ فرقًا. ﴿دَرَهَمٌ﴾ . أى اتركهم. ﴿غَمَرْتَهُمْ﴾ أصل الغمرة الماء الذى يعمر قامة الشخص، والمراد ما يغمرهم من جهل وعجلة. ﴿حتى حين﴾ : إلى الرمن المقدر لهلاكهم. ﴿بمدهم به﴾ : أى تعطيه لهم وتجعله مددا لتمتعهم.

بالمعنى . ولما جاء إلى كل أمة رسولها وكذبوه أتبعنا بعضهم بعضا في الهلاك، وجعلناهم أحاديث سمر لمن بعدهم . هلاكًا لكل من لا يؤمن بربه. ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا الدالة على صدقهما، وهى حجج واضحة هي الدلالة على الحق إلى هرعون وكبار قومه. لأنهم هم القادة يتبعهم لغوام، فاستكبروا عن الإيمان بهما لأنهم كانوا متوعلين في الاستعلاء على الخلق، فلجوا في الفساد حوفا على مراكزهم المانية بدل على ذلك قولهم كيف نؤمن أى نصدق بشريين مثلنا وليسوا ملائكة حتى يكوئوا مختارين علينا. وأيضا قومهما لإسرائيليين حدام حاصعون لنا فكيف نخضع كخدامنا؟ وبهذا كذبوا موسى وهارون، فاهلكهم الله تعالى بالإعراق في البحر كما أهلك من قبلهم لما كذبوا رسلهم وبعد بيان فصله على بنى إسرائيل بإهلاك عدوهم أراد أن يبين فصله عليهم بإعطائهم التوراة فقال -

ونقد آتينا موسى الكتاب وجاء أن يهتدى به قومه، وجعلنا عيسى واه آية لبنى إسرائيل، وجعلناهما يبرلان بمرتفع من الأرض دى ثمار وماء جار يرى بالعين، وقلنا لجميع الرسل كل فى ربه ومبهم موسى وعيسى كلوا من طيبات ما رزقناكم، واشكروا ربكم بعمل الصالحات، إى عليهم بعملكم وأجاريكم عليه، وقلنا لهم إى هذه العملة التى هى الإسلام كما فى الآية (١٩) من سورة آل عمران صفحة ٦٥ هى ملنكم ودينكم الذى احترناه لكم حال كونها واحدة فى الأصول التى لا تتبدل بتبدل البلاد والعصور، وأنا ربكم الواحد فعافوا عقبة عيسى؛ فماد كان من أمم هؤلاء الرسل بعد هذا الإرشاد والتحديث؟ كان منهم أن قطعوا هذا الدين الذى يجب أن يكون واحداً. وجعلوا كل قطعة ديناً يتحزب له أتباعه ويحاربون غيره، وكل حزب منهم مسرور بما رصيه لنفسه حسب هواه، انظر الآية (٣٢) من سورة الروم صفحات ٥٢٤، ٥٢٥، والآية (٦٥) من سورة الرخرف صفحات ٦٥٣، ٦٥٤. ولما كان من هؤلاء المتحزبين لما احتاروه الكفار المعاصرون لنبينا ﷺ، حاطبه سبحانه بما يتبعى أن يعمله معهم بعد اليأس منهم، فقال تعالى هدرهم عارقين فى جهلهم وسكرتهم إلى حين وقت الانتقام منهم، انظر الآية (٦) من سورة البقرة صفحة ٤. ثم بين سبحانه بعض أسباب عرورهم فقال ﴿أيحسبون﴾ . إلخ.

وَيَوْمَ ۖ يُسْأَلُ عَنْهُمْ فِي اخْتِبَارِهِ ۚ مَنْ لَا يَتَذَكَّرْ ۖ
 إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَّقُونَ ۖ وَالَّذِينَ
 هُمْ بِبَاطِلِ رَبِّهِمْ يَوْمُونَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ
 لَا يُشْرِكُونَ ۖ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ رَاحَةً
 أَنَّهُمْ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ رَاجِعُونَ ۖ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ
 فِي اخْتِبَارِهِ ۚ وَمَنْ هَٰذَا سَافِهٌ ۖ وَلَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
 وُسْعَهَا ۚ وَلَدُنَا كِتَابٌ بَيِّنٌ ۖ وَالْحَقُّ ۖ وَهُمْ لَا يَعْتَدُونَ ۖ
 بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَٰذَا ۖ وَهُمْ أَغْمَلُ مِنْ دُونِ
 ذَٰلِكَ ۚ هُمْ لَا يَعْمَلُونَ ۖ حَقٌّ ۖ إِذَا حَدَّثَ مَرْفُوعُهُمْ
 بِالْعَذَابِ ۖ إِذَا هُمْ يَحْفَرُونَ ۖ لَا تَحْشُرُوا يَوْمَ لِقَائِكُمْ
 مِمَّا لَا تُصَرُّونَ ۖ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنقِضُ عَلَيْكُمْ فَعْلَكُمُ
 ۖ عَلَيَّ أَغْيَابُكُمْ سَكُوتٌ ۖ مُتَكَبِّرِينَ بِهِ ۖ سِيرًا

المفردات :- ﴿بل﴾ : كلمة تدل على
 الإضراب عما قبلها والانتقال لما بعدها .

﴿مشفقون﴾ : شديدا العذر .

﴿لا يشركون﴾ : نص عليه بعد إثبات
 إيمانهم بالله لأن الإيمان بالله قد يجتمع مع
 الشرك، انظر آيتي (٨١، ٨٢) من سورة الأنعام
 صفحة ١٧٥، والآية (١٠٦) من سورة يوسف
 صفحة ٢١٩ .

﴿وجلة﴾ : خائفة أن لا يقبل منهم ما
 أعطوه .

﴿وهم لها سابقون﴾ : أي لأجلها سابقون الناس .

﴿كتاب﴾ المراد به صحيفة الأعمال، انظر الآية (٤٩) من سورة الكهف صفحات ٢٨٧،

٢٨٨، والآية (٢٩) من سورة الحاثية صفحة ٦٦٤ .

(١) الخيرات

(٢) بآيات

(٣) آتوا

(٤) راجعون

(٥) يمارعون

(٦) الخيرات

(٧) كتاب

(٨) أعمال

(٩) عاملون

(١٠) يجارون

(١١) تجاروا

(١٢) آياتي

(١٣) أعقابكم

(١٤) سامرا

﴿غمرة﴾ : أى غملة، انظر أصلها فى الآية (٥٤) السابقة من هذه السورة.

﴿من هذا﴾ : أى الكتاب أو مما جاء فى القرآن.

﴿مترقيهم﴾ : أى متعميهم انظر الآية (١١٦) من سورة هود صفحة ٢٠١.

﴿يجأرون﴾ : أى يصرخون مستغيثين.

﴿اعقابكم﴾ : جمع عَقِبَ بفتح فكسر وهو مؤخر قدم رجل الإنسان.

﴿تتكسبون﴾ : التكوس الرجوع إلى جهة الظهر وهو أقبح السير، لأن صاحبه لا يرى ما هو قادم عليه، والكلام كناية عن الإعراض الشنيع.

﴿مستكبرين به﴾ : الضمير يعود على البيت الحرام، واستغنى عن ذكره لشهرة افتحار قريش بأبنهم خدامه والقوامون عليه وعلى السقاية فيه، انظر الآية (١٩) من سورة التوبة صفحات ٢٤٢، ٢٤٣.

﴿سامرا﴾ : اسم جمع بمعنى سامريين بوزن حاج اسم جمع بمعنى حجاج، وهو حال من صمير الكفار، والسامرون هم الذين يتسلون بالأحاديث فى الليل.

المعنى : . هل يظن هؤلاء الكفار أن الذى يعطيه لهم من المال والبنين يسارع لهم به فيما فيه حيرهم؟ لا، لأن الواقع أنهم كالأنعام لا يشعرون أنه استدراج ليردادوا إلما هيرداد عذابهم جراء شدة عنادهم وإعراضهم، انظر الآية (١٧٨) من سورة آل عمران صفحة ٩٢، والآية (٤٤) من سورة الأنعام صفحات ١٦٨، ١٦٩، والآية (٥٥) من سورة التوبة صفحة ٢٥٠، والآيات من (٢٤ إلى ٢٩) من سورة سبأ صفحات ٥٦٧، ٥٦٨، ولذا جاء فى المأثور

[إذا رأيت الله تعالى يعطى عبداً مع استمراره على معاصيه فاعلم أنه تعالى مكر به.

يسأل الله السلامة. وبعد ما بين سبحانه من فرقوا دينهم حسب أهوائهم وغفلوا عما يراد بهم، شرع في بيان الناجين فقال: إن الذين هم من خوف عذاب ربهم حذرون فلا يفعلون إلا ما يرضيه، والذين هم بآيات ربهم المنزلة والمنصوبة في الآفاق يصدقون بما تدل عليه، والذين لا يحالط إيمانهم شرك، انظر الآية (٨٢) من سورة الأنعام صفحة ١٧٥، والذين يعطون الفقراء ما يعطونه والعمال أن قلوبهم خائفة أن لا تكون على الوجه الذي يرصاه ربهم لعلمهم أنهم إلى ربهم راجعون فيحاسبهم على ما انطوت عليه نفوسهم، أولئك الموصوفون بما ذكر يسارعون في فعل الخيرات وهم لأجلها سابقون الناس إلى الجنة، انظر الآية (١٠) من سورة الواقعة صحتي ٧١٢، ٧١٤، ثم رغب سبحانه في فعل الخيرات ببيان أنها سهلة على كل موفق لها فقال:

﴿ولا تكلف نفسا إلا وسعها﴾ أي قدر طاقتها، وعندنا كتاب أعمالهم يظهر أعمالهم على الوجه الحق ولا يظلمون شيئا من جزاء أعمالهم.

ثم انتقل سبحانه عن الكلام في المتقين ورجع إلى الكلام في حال المشركين فقال: بل قلوبهم أي قلوب الكفرة هي غفلة عن هذا الذي بينه القرآن من وجود كتاب يسجل عليهم أعمالهم، ولهم أعمال سيئة كثيرة غير غفلتهم هذه من معاص متعددة هم مستمررون على فعلها، حتى إذا أخذوا المتنعمين منهم بعذاب القتل والأسر والجوع الذي سلط عليهم حتى أكلوا الجيفة إذا هم يصرخون مستغيثين، فيقال لهم

لا تجأروا اليوم فإنه لا ينفعكم، لأنكم لا تجدون منا نصرا، لأن آياتي القرآنية كانت تتلى عليكم فكنتم تعرضون عنها إعراضا مستقبحا، لأنه ناتج عن اللجاج وعدم التعقل؛ تفعلون ذلك حال كونكم متكبرين على عهركم مفتخرين بسبب البيت الحرام حال كونكم تستمرون بالظلم في القرآن وفي الدين.

تَهْجُرُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَا يَأْتِ
 آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٥٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ
 مُسْكِرُونَ ﴿٥٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ
 وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَفْعَاءُ هُمْ
 لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ
 بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٦١﴾ أَمْ تُعْطِلُهُم
 مُرْجَاُ الْحَرَجِ رَبُّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٦٢﴾ وَإِنَّكَ
 لَتَنذِرُهُمْ إِنَّكَ صَرِيحٌ مُنْذِرٌ ﴿٦٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِالْآخِرَةِ عَنِ الْبَصَرِ لَسَاكِبُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ
 وَكَفَعْنَا مَا يُمِيزُهُمْ مِنْ صِرَاطٍ إِلَى مَا لِيَهُمْ طَعْنُ بِهِمْ ؕ وَهُمْ
 لَا يُفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَقَدْ
 أَحْصَيْنَاهُمُ بِالْعَنَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَصْحَعُونَ ﴿٦٦﴾
 حَقِّقْ إِنَّا فَعَعْنَا عَلَيْهِمْ نَارًا نَارَ عَذَابٍ شَدِيدٍ إِنَّا هُمْ بِهِ

المفردات . «تهجرون» : من الهجر
 بضم فسكون وهو فحش القول . «أم» :
 بمعنى بل التي تعيد الانتقال من توبيخ إلى
 توبيخ آخر . «أم جاءهم ما لم يأت» إلخ
 انظر الآية (٢٤) من سورة هاطر صمحتي
 ٥٧٤ . ٥٧٥ . «جنة» أي جسون . «بل»
 حرف يدل على إبطال ما قبله وإثبات ما
 بعده . «يذكرهم» : هو القرآن الذي به
 فحشهم وشرفهم . انظر الآية (١٠) من سورة
 الأنبياء صفحة ٤٢١ . «خرجاء» : الحرج
 والحراج مقابل الدخل . فهو كل ما تعطيه
 لعبرك . والمالب هي الحراج أن يكون أكثر من
 الخرج .

«خير الرارقين» - تقدم بيانها في الآية (٥٨) من سورة الحج صفحة ٤٢٢ ؛ «سالكين» أي
 متعرفون مبتعدون . «بعمهون» : عمة بفتح فكسر بورر رصى . وفتحتين بورر منع أي تعبير
 وتخطط . «استكانوا» : خضعوا .

المعنى . هم مستحشرون بالبیت الحرام متسامرين عنده بفحش القول وهو لطمع في
 القرآن . ثم استنكر سبحانه عملهم بقوله «أفلم يدبروا القول» إلخ أي هل يصح أن يدبروا في
 طعنهم فلم يدبروا القرآن الذي هو قول ربهم . ولو تدبروه لعلموا أنه الحق فأمرو ثم انتقل
 سبحانه من توبيخ إلى توبيخ بشيء آخر فقال «أم جاءهم» إلخ أي بل هل جاءهم رسول
 وكتاب لم يأت آباءهم الأولين مثلها هذا . ستمدوا رسالة محمد ووقعوا فيما وقعوا فيه ؟

(١) آباءهم	(٢) كارهون	(٣) السموات
(٤) آتيناهم	(٥) تساهم	(٦) الرارقين
(٧) صراط	(٨) بالآخرة	(٩) الصراط
(١٠) سالكين	(١١) رحمتهم	(١٢) طعنهم
(١٣) احصاهم		

الحق أن معيء لرسول سعة الله التي لا تنكر، وأن العرب يعرفون أن إبراهيم رسول الله، وأنه أتى بانصحاء لمن فيها شرع الله، انظر الآية (١٩) من سورة الأعلى صفحة ٨٠٤. ثم انتقل إلى توبيخ آخر فقال ﴿ألم لم يعرفوا﴾ إلخ أي بل هل لم يعرفوا رسولهم محمد ﷺ بالأمانه والصدق وحسن الخلق إلى غير ذلك من الكمالات اللانقبة بالرسول حتى يترتب على عدم علمهم صحة إنكارهم لرسائله؟ الحق أنهم عرفوه بكل كمال لائق بالأنبياء فكيف ينكروه؟ ثم سئل ﴿ألم توبخ بوجه آخر فقال﴾ ألم يقولوا﴾ إلخ أي بل هل يقولون بمحمد ﷺ حقا؟ لا يمكن أن يصح هذا لأنه عليه السلام كان روح الناس عقلا، ولذا أبطل ما يظن أن يقال عنه فقال بل جاءهم بالحق من توحيد الله ودين الإسلام الذي رصيه سبحانه دينا لكل الأنبياء، وكثر قريش كارهين لحق لتعجز قلوبهم أما قلتم فعدم إيمانهم بما هو للحواف من الكثرة لا تكراهية الحق وإنما ضلوا دخنوا في الإسلام فهو حاء. ونوا اتبع سبحانه فيما يعمل ويشرع ما يوفق شهواته لأجل نفع الناس لتأقص أهوائهم وفسادها ثم انتقل سبحانه من توبيخ عس كراهية الحق إلى التوبيخ بالامتناع عن النافع عند جميع العقلاء فقال ﴿بل أتبعه﴾ إلخ أي حشاهم بالقرآن الذي فيه شرهم لأنه بلغتهم، هم لجهلهم بما فيه فخرهم معرضون ثم سئل ﴿ألم توبخ آخر مع تحويل الكلام من العيبة إلى الخطاب لئلا ياسب ما بعده فقال﴾ ألم تسألهم﴾ إلخ أي بل هل يطوبون أن تطلب منهم على أداء الرسالة جعلاً؟ كلا، فببب أنه تطلب لعلمه بـ ما يعطيك ربك من رزق حسن في الدنيا وثواب في الآخرة خير، وهو سبحانه خير المعطين للخيرات، وابتك أيها النبي والله لتدعوهم إلى سلوك طريق مستقيم هو الإسلام ولكن هؤلاء لأنهم لا يؤمنون بالأخرة حتى يحافوا عقاب الله مستعدون عن طريق الحق وقد بلغوا من التعرد والساد أنهم لو منهم صر شديد مرحما صغهم وكشماء عنهم لتمادوا في اللجاج في طغيانهم أي امرأطهم في الكبر حال كونهم يتحبطون ولقد أحذناهم فعلا بالعداب من جوع وقتل وأسر فما خصموا لربهم ولا تصرعوا له كبرا منهم، حتى إذا فتحنا عليهم باب عذاب شديد يوم القيامة انقطعت آمالهم في النجاة انظر الآية (١٢) من سورة الروم صفحة ٥٢٢. والآية (٧٥) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٤.

مَبْلُوءٌ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ
فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي
وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾
بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَأِذَا مِتْنَا وَكُنَّا
رَمًا وَعِظَمًا أَنَا نَعْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا عَصَى وَءَاثِمًا
هَذَا مِنْ قَبْلُ إِن مَعَدَّا إِلَّا الْأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِّمَنِ
الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ
قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾
قُلْ مَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُنَزِّلَ السَّحَابَ
عَلَيْهِمْ أَوْ يُجَارِبَهُمْ أَفْجَارًا يَجْرِي فِيهَا السَّيَالُ ﴿٨٨﴾ قُلْ
مَنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَلَكُوتًا لَّيْسَ لَهُ شَفَاعَةٌ عِنْدَ اللَّهِ
وَيُجَارِبُهُمْ أَفْجَارًا يَجْرِي فِيهَا السَّيَالُ ﴿٨٩﴾ قُلْ مَنْ يَدْعُو
مِنْ دُونِ اللَّهِ يَدْعُو إِلَهًا مُّضْتَرًّا مُّضْتَرًّا مُّضْتَرًّا ﴿٩٠﴾ قُلْ
مَنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ يَدْعُو إِلَهًا مُّضْتَرًّا مُّضْتَرًّا مُّضْتَرًّا ﴿٩١﴾

المفردات : «مبلسون» : أى متعبدون

بائنسون من كل خير.

«ذراكم» : خلقكم، انظر صفحتى ١٨٥.

٢٢٢. «اساطير» : أكاذيب انظر صفحة

١٦٦. «العرش» : تقدم فى صفحة ٢٠١.

«سيقولون لله» : قال فى جواب السؤالين

الثانى والثالث «الله» ولم يقل «الله» ليطابق

السؤال! لأن العرب تسوى بينهما، فإذا قال

رجل من أصحاب هذا؟ صح فى الجواب ان

تقول «فلان» مجازاة للمعنى وأن تقول.

«لفلان» : مراعاة للمعنى.

«ملكوت» . الملك الواسع، انظر شرحها فى صفحة ١٧٤.

«يجرب» : يفيث من يستعير به، يقال أجرت فلانا على فلان إذا أبقته منه.

«ولا يجار عليه» : أى لا يعاثر من يريد تعديبه بنصره عليه تعالى بمنع العذاب عنه.

«أنى» : أى كيف.

(١) الأبصار

(٢) اختلاف

(٣) الليل

(٤) أئذ

(٥) عظما

(٦) أنشأ

(٧) أبواؤنا

(٨) أساطير

(٩) السموات.

المعنى . سيستمر هؤلاء الكفار في عبادهم حتى إذا راوا العذاب فاحأهم اليأس واستولى عليهم فحيرهم. وهو سبحانه الذى خلق لكم السمع والأنصار لتدركوا بهما مع مصالحكم ما نصبه سبحانه من الآيات، والأفئدة لتعلقوا بها فتصلوا إلى الحق والناصح، انظر الآية (٤٦) من سورة الحج صمحة ٤٤٠، وكان الواجب أن تشكروا على ذلك كثيرا بأن لا تهملوه وأن تستعملوها فيما خلقت له، ولكنكم لم تشكروا إلا قليلا جدا باستعمالها في بعض مصالح الدنيا واهملتم الأهم، وهو سبحانه وحده الذى خلقكم وكثركم في الأرض، وإليه يوم القيامة تحشرون للحساب، فلا يجوز أن تعبدوا غيره. وهو سبحانه وحده الذى يحيى كل حي ويميته، ويحتضن به تحالف الليل والنهار من ظلمة ونور وطول وقصر لا يقدر على ذلك غيره؛ هل يصح أن تعملوا كل هذا فلا تعقلوا بالتأمل فيه أن القادر عليها قادر على كل شيء بما فيه البعث والجزاء.

ثم بين حال كفار مكة بعد ذلك فقال ﴿بل قالوا﴾ إلخ أى لم يسمعوا بل قالوا مثلما قال الأولون من أنباءهم ومن على شاكلتهم. فمادا قالوا؟ قالوا مستبشرين بالبعث هل إذا متنا وكنا ترابا وعظاما هل يصح أن نبعث ثانيا إلى الحياة؟ كلا والله لقد وعدنا نحن وأنباؤنا هذا، البعث من قبل مجيئك يا محمد على لسان قوم رعموا أنهم رسل مثلك ثم لم يتحقق ذلك مع طول العهد، فما هذا القول إلا أكاذيب الأولين قد بقلتها منهم ولا حقيقة لها، ثم بعد ذكر شبهاتهم ذكر سبحانه ما بلغت نظرهم إلى قدرته سبحانه على كل شيء فقال قل أيها النبي لهم لمن ملك السموات والأرض ومن فيها إن كنتم من أهل العلم؟ وهذا توبيخ لهم بالجهل؛ ولذا قل مجيبا عنهم بالجواب الذى لا حواب غيره سيقولون ملكها لله وحده قل لهم هل يصح بعد هذا أن تعملوا فلا تتذكروا فتعلموا أن من قدر على ذلك يقدر على إحياء الموتى. قل لهم أيضا من صاحب هذه السموات السبع والعرش العظيم؟ سيقولون ملكها لله. قل لهم أفلا تتقون عذابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته معن لا قدرة له على البعث.

قل لهم من بيده ملك كل شيء وهو يعيذ المستجير به ولا يعيذ أحد منه أحدا ويصره عليه إن كنتم تعلمون، فقولوا الحق سيقولون ملك كل شيء لله. قل لهم حينئذ وكيف تسعرون؟

فَسَحَرُونَ ﴿١٨﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٩﴾
مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذَى لَلْعَبِّ
كُلُّ إِلَهٍ مِثْلُ خَلْقٍ وَلَمَّا بَلَغَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ
أَعْيُنُ عَصَا يُصُفُونَ ﴿٢٠﴾ عَلِيمُ السُّبُوحِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى
عَصَا يُتْرَكُونَ ﴿٢١﴾ قُلْ رَبِّ إِنِّي نَبِيٌّ مِثْلُ نُبِيِّكَ مَا يُوْعَدُونَ ﴿٢٢﴾
رَبِّ مَلَائِكَتِي وَانْقَرِظَ الشَّيَاطِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِنَّا عَلَى أَنْ
تُرِيكَ مَا بَعْدَهُمْ نَقِيرُونَ ﴿٢٤﴾ أَذِيقُوا الْآثِي مِنْ أَحْسَنِ
النَّبِيِّ نَحْنُ نَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٢٥﴾ وَقُلْ رَبِّ عُدُّوكَ مِنْ
هُمُوتِ الشَّيَاطِينَ ﴿٢٦﴾ وَعُدُّوكَ رَبِّ إِنْ يَحْضُرُونَ ﴿٢٧﴾
حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٢٨﴾
لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا كُنْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هَوَاجَةٌ ﴿٢٩﴾
وَمِنْ دَرَاهِمٍ يَزِيدُ إِلَى يَوْمِ يُنْفَخُونَ ﴿٣٠﴾ فَإِذَا يُنْفَخُ

المعمرات : ﴿تسحرون﴾ : أى تعدعون
عن الحق كأنكم مسحورون. ﴿من ولد﴾
﴿مر﴾ حرف يدل على النقص على عموم نفي
ما بعده وهو ﴿ولد﴾. ﴿لذهب كل إله﴾
لتمرد كل واحد بما حقه.

﴿لما يبعصهم على بعض﴾ : أى تغلب
بعضهم على بعض.

﴿يصفون﴾ : أى يكذبون عليه. انظر الآية
(٦٣) من سورة النحل صفحة ٣٥٣.

﴿نميب والشهادة﴾ تقدمتا في الآية (٧٣)
من سورة الأنعام صفحة ١٧٥.

﴿إما تریس﴾ : أصل التركيب إن ما تریس
الآية (٦٨) من سورة الأنعام صفحات ١٧٢.

١٧٢. والآية (٥١) من سورة الأنعام صفحة ٢٢٥.

﴿همرات﴾ : مفردا همرة وهي المرة من الهمز وهو البحر بالمهملة التي تنحس به
الدوب لتسرح هي السیر، والمراد هنا الوسوس التي تدفع الشخص للمعاصي

﴿رحمون﴾ : جمع الصمير مع أن المحاطب واحد وهو الله تعالى للإشارة إلى أنهم كرروا
هذا النمط لشدة الضرر فاستعملوا التكرار بجمع الصمير وهذا أسلوب عربي سائع
﴿كلا﴾ : كلمة تدل على الترحر ﴿كلمة﴾ : المراد بالكلمة هنا الكلام التام المنقذ انظر الآية
(٥) من سورة الكهف صفحة ٢٨ ﴿من ورائهم﴾ : أى امامهم. انظر الآية (٧٩) من سورة
الكهف صفحة ٢٩٢ ﴿برج﴾ : أى حاجر انظر الآية (٥٣) من سورة المرقس صفحة ١٦٦
والآية (٢) من سورة الرحمن صفحة ٧٠٩

(١) أنبأهم	(٢) لكاذبون	(٣) سبحان
(٤) عالم	(٥) والشهادة	(٦) فمالي
(٧) الطامعين	(٨) لقادرون	(٩) همرات
(١٠) الشياطين	(١١) صالحا	(١٢) فقلتها
(١٣) ورائهم		

المعنى . فكيف يحددكم الشيطان عن الرشاد مع ظهور الأدلة على الصواب، انظر الآية (١٥) من سورة الحجر صفحة ٢٢٩ ثم بين سبحانه كذبهم فقال ﴿بل اتيناكم﴾ إلخ أى ليس الأمر كما يزعمون من قولهم إن هذا القرآن أساطير، وإن الله ولدا، بل ما جئنا لهم من هذا القرآن إلا بالحق، وما اتخذ الله ولدا ما، وما كان معه إله يشاركه فى الألوهية، إذ لو كان معه آلهة لانمرد كل واحد منهم بالذى يخلق، وتعالى عنهم بعضا ليوسع ملكه كما هو المشاهد فى ملوك الدنيا، ولو حصل هذا لاحتل نظام العالم كما تقدم فى صفحة ٤٢٢ سره سبحانه تترى بها عما يكذب عليه المشركون، يستوى فى علمه سبحانه العائب عما و لمشاهد، وليس فى علمه أن له ولدا أو شريكا، فقولهم بهذا ناتج عن جهل، انظر الآية (١٨) من سورة يونس صفحة ٢٦٨، فتعالى سبحانه عما يشركون، وبعد ما بين سبحانه حرائثهم التى تدعو إلى هلاكهم أمر نبيه أن يطلب منه تعالى أن لا يجعله قريبا لهم فيما يبرل بهم، لأن العذاب قد لا يقتصر على العاصي فقط كما فى الآية (٢٥) من سورة الأنعام صفحة ٢٣٠ فقال ﴿قل رب﴾ إلخ أى ياربى إن كان لابد من أن ترينى ما نعدهم به من العذاب يا ربى فلا تجعلى قريبا لهم فيه، وفى هذا إظهار لكمال العبودية، ولما كانوا يهرعون من تهديدهم بالعذاب قال تسميها لهم: وإنا على أن نريك أيها النبى ما نعدهم به من العذاب لقادرون على إنجازه، ولكم نؤجره لحكمة أنه سيظهر من أعقابهم من يؤمن، ولأن الله تعالى حكم أنه لا يعذبهم عذاب إساء ما دام نبيه فيهم كما فى الآية (٢٣) من سورة الأنعام صفحة ٢٣١، ثم أرشده ﷺ إلى المعاملة التى تنقذه من شرهم حتى يتمكن فيما بعد فقال ﴿ادفع بالتي هى أحسن﴾ إلخ أى ادفع السيئة بالحسنى، واصفح عن إساءتهم ولا تحب لأنا نحن أعلم بما يمترونه وسعاريهم عنيه، وقل يارب أعوذ بك من وساوس الشيطان من الإس والجن، وأعوذ بك ربى من أن يحوموا حولى خصوصا فى الصلاة وقراءة القرآن وعند التزعم

ولا يرال هؤلاء المشركون يقولون الكذب إلى أن يعابوا الموت، يقول أحدهم يارب أرحمنى أرحمنى أرحمنى لعلى أعمل صالحا فى الدنيا التى هارقتها لأنها دار العمل فيرحروا عن هذا القول لأنه مجرد كلام لا يعبر عن حقيقة ما انطوت عليه طبائهم، انظر آيتى (٢٧)، (٢٨) من سورة الأنعام صفحة ١٦٦، والآية (١٢) من سورة السجدة صفحة ٥٤٦، والآية (٢٧) من سورة فاطر صفحات ٥٧٦، ٥٧٧.

وأمامهم حاحز يسمعهم من الرجوع إلى الدنيا إلى يوم البعث، ثم بين سبحانه أحوالهم فى هذا اليوم فقال ﴿إذا نوح﴾ إلخ أى إذا نفخ إسرافيل فى الصور النعمة الثانية إلخ...

فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٧٤﴾
 قُلْ نَقَلْتُمُورِيَهُ قُلُوبِكُمْ هُمْ أَلْفَحُوتَ ﴿١٧٥﴾
 وَمَنْ خَشِيَ مَوْرِيَهُ قُلُوبِكُمْ الَّذِينَ حَيَّرُوا بَنِيهِمْ
 فِي حَمَمٍ خَلَّدُونَ ﴿١٧٦﴾ تَلْعَجُ وَجُوهُهُمْ آتَرُ وَهُمْ مَبَا
 كَلِيحُونَ ﴿١٧٧﴾ أَلَا تَتَكْرَهُ أَيْتِي تَتْلُو عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا
 تُكْدِبُونَ ﴿١٧٨﴾ قَالُوا رَبِّ عَذَّبْنَا بِشِقْوَتِكَ وَكُنَّا قَوْمًا
 صَالِينَ ﴿١٧٩﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٨٠﴾
 قُلْ أَخْشَعُوا فِيهَا وَلَا تَكْفُرُونَ ﴿١٨١﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا فَرِيقًا مِّنْ
 حَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَهْلُ الْغَيْبِ وَأَرْحَمَ وَأَنْتَ خَيْرُ
 الرَّاحِمِينَ ﴿١٨٢﴾ فَأَعْدَدْتُمْ لِمَنْ يَخْرُجُ مِنْكُمْ أَهْلًا كَرِيمًا وَكُنْتُمْ
 فِيهِمْ تَصْحُكُونَ ﴿١٨٣﴾ إِلَى حَرِيحِهِمُ الْيَوْمِ بِصَبْرٍ وَهُمْ
 فِي الْمَقَادِرِ ﴿١٨٤﴾ قُلْ كَذِبْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَذَابِي ﴿١٨٥﴾

الممردات : ﴿هي الصور﴾ : أي البوق.

انظر الآية (٧٣) من سورة الأعمام صفحة
 ١٧٤ ﴿نقلتم موريه﴾ ورن الأعمال تقدم
 في صفحة ١٩٢.

﴿تلمع﴾ أصله من لهب النار. والمراد

هنا تحرق. ﴿كالحون﴾ : من كلع بوزن خضع
 أي كشر في عبوس حتى تقلصت شفتاه.
 انظر الآية (٢٤) من سورة القيامة صفحة
 ٧٨٠. ﴿شقوقتنا﴾ : الشقوة الشقاوة أي سوء
 العاقبة.

﴿احسنوا﴾ : ابتعدوا عن مقام الكرامة

أذلاء مهابين. فهو زجر شديد.

﴿سخرى﴾ أي هروا. والمراد مهدوا بهم. انظر الآية (٢٩) وما بعدها من سورة

المطعمين صفحة ٧٩٨. ﴿لستم﴾ : أي مكثتم.

المعنى . فإذا لمع في الصور تقطعت الأسباب بينهم فلا يهتم كل إلا بنفسه. انظر الآية

(٣٣) وما بعدها من سورة عبس صفحة ٧٩٢. ولا يسأل صديق صديقه سؤال توصل لأن كل

واحد مشغول بنفسه. انظر الآية (١٠) من سورة المفارج صفحة ٧٦٥. وكل هد عند لمحة

الثانية. أما بعد استمرار أهل الجنة هي الجنة وأهل النار في النار فيقع التساؤل بين أهل النار

كما في الآية (٢٧) من سورة الصافات صفحة ٥٨٨ وبين أهل الجنة كما في الآية (٥٠) من

نفس السورة صفحة ٥٩٠. ثم يعرضون للحساب بورر أعمالهم بطريقة لا يعلمها غير الله

(١، ٢) مواريه	(٣) خاللون	(٤) كالحون
(٥) آياتي	(٦) ظالمون	(٧) دعا
(٨) قال		

سبحانه فمن ثقلت موريه لكثرة أعماله الصالحة فهم العائزون بالنعيم. ومن خفت موريه لخلوها من لخبير هؤلاء هم الذين خسروا أنفسهم بتصنيع زمان حياتهم في اللهو حتى فقدوا استعدادهم لكمال فحروهم تعلود في جهنم تحرقهم حتى أشرف عصو فيهم وهو الوجه فتجعه قبيح المظهر ويضول لهم ربهم تأنيبا وشعارا لهم بعدله ألم تكن آياتي القرآنية تتلى عبيكم في الدنيا فكنتم بها تكذبون.

والمراد اعترفوا على أنفسكم اليوم حتى لا تظنوا أنكم ظلمتم. قالوا يا ربنا تطلب عبيدا شقاؤنا وكذا بعيدين عن الحق يا ربنا أخرجنا من النار هال عدنا إلى التكذيب كنا ظالمين لأنفسنا، ولما كان سبحانه يعلم أنهم افسدوا طيرتهم إلى درجة لا يمكن إصلاحها كما في الآية (٢٧ ٢٨) من سورة الأنعام صفحة ١٦٠ الآية (٢٧) من سورة هاطر صفحتي ٥٧٦ ٥٧٧ ولما كان قد قال لهم سبحانه 'اتقوا' عن معال رحمتي حال كونكم معتلدين في النار ولا تكلموني في شيء فإني لن أسمع لكم ثم ذكرهم بما كان منهم في الدنيا مما يدل على انطباع بصائرهم وتعمر قلوبهم فقال

﴿به كان فريقك نخ أن حقيقه الأمر به كان في الدنيا فريق من عبادي الصالحين يقولون يا ربنا ما أنت وبرسولك فأعصر لنا دنوبنا وارحمنا بإحسانك إلبا وأنت خير لراحمين. فاتخذتموهم مادة تسلون بها مستهزئين بهم. وتشاعلتهم بهذا اللهو حتى أسوكم بشاعيتكم بهم تذكر مقامى علم تجاهوتي في أوليائي وكنتم تصحكون منهم خصوصا المقراء انظر الآية (٧٥) من سورة عاقر صفحتي ٦٢٧. ٦٢٨ والآية (٢٩) وما بعدها من سورة المطممين صفحة ٧٩٨

ثم ذكر سبحانه ما حاز به المؤمنون فقال ﴿إني حرّيتهم﴾ الخ أي حرّيت هؤلاء الذين كنتم تسحرون منهم بسبب صبرهم على إيدانكم وسحريتكم بالقوز والنعيم المقيم. ثم أمر سبحانه ملكا يسألهم سؤال تفريع فقال هذا الملك كم سة مكثموها في الأرض أحياء أو في

المصدرات . ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا﴾ إن حرف نفى بمعنى ما ،

﴿العرش﴾: تقدم في الآية (٥٤) من سورة
الأعراف صفحة ٥٤ . ﴿عرصاها﴾ . عرصا
ما فيها من الأحكام.

المعنى: ولما كان ما شاهدوه من الهول ورشدة العذاب جعل ما تعمموا به في الدنيا كالعدم، وأن رمية كانه لحظة، قالوا في جوابهم مكثنا في الدنيا يوماً أو بعض يوم، فاسأل الذين يستطيعون عدها إن أردت الحقيقة، لأن ما نحن فيه من العذاب أنساناً عدها، قال الملك: ما مكثتم في الدنيا إلا زمناً قليلاً لا يساوي لحظة لو قيس بالمرن

الدى ستخلدون معذبين فيه لو كنتم تعلمون، أى لو كنتم من أهل العلم الصحيح لعمتكم قصر أيام الدنيا كما علمتم اليوم، ولعلمتم ما يجيكم مما أنتم فيه الآن

ثم ويخبرهم على غفلتهم عن هذا الهول فقال: ﴿أفحسبتم﴾ إلخ: أي هل جهنتم غفلتم أناسا لم نخلقكم إلا تلهيكم بكم لا للعبادة ولا لعمارة الأرض، وطستكم أنكم لا ترحمون إلينا في الآخرة للحساب، هتعالى الله أي تقره الله الجدير بأن يكون ملكا حقا عن أن يخلق شيئا عبثا، لا إله إلا هو رب العرش الكريم. ومن يدع مع الله إلها آخر لا دليل عليه على صحة ألوهيته - وكل ما عدا الله كذلك - فلا يحاسبه على حرمة هذا سوى ربه، وسيجاريه أشد الحراء، لأن الواقع أن الكافر لا يفلح ولا يموذ بالنجاة.

وبعد ذلك أمر سبحانه رسوله وكل مؤمن بالالتجاء إليه وحده، فقال ﴿وقل رب اغفر وارحم، وأنت خير الراحمين﴾.

قُلْ أَلَيْسَ يَوْمَ أَوْ بَعْضِ يَوْمِ فَتْنِ الْعَالَمِينَ ﴿١١٦﴾ قُلْ إِنْ
لَيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٧﴾ الْحَقِيقَةُ أَنَّ
حَقِّقْنَاكُمْ مَبْنًى وَأَنْتُمْ هَالِكٌ لَا تَرْجَعُونَ ﴿١١٨﴾ فَتَعَلَّى اللَّهُ
الْكِبَرُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٩﴾
وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا
يَسَاءَلُهُمْ عَذَابُ رَيْبٍ إِنَّهُمْ لَا يُقْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١٢٠﴾
وَقُلْ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً وَأَنْتَ خَبِيرُ الرُّحَمَى ﴿١٢١﴾

(٢٤) سَوَاءٌ أَلْبَنُوا قُلُوبَهُمْ
وَأَبْصَحُوا أَمْ لَمْ يَفْعَلُوا

سُورَةُ الزُّمَرِ ٩٩

(1) فتعالی

(A) آمبولانها

(۳) حلقہ ہائیکم

(٧) الكافرون

(۱۱) بیانات.

(۴) قال

(٦) لا يبرهن

(۱۰) آیات

(۱) خامساً

(۵) آخر

(٩) فرصت‌ها

سورة النور

وهذه سورة أنزلناها عليك أيها النبي،
وفرصنا أحكامها، وأنزلنا فيها أدلة على
توحيدها وقدرتها ظاهرة واضحة، انظر آيات
(٢٥، ٤١) إلى (٤٥) الآتية في هذه السورة
وما عقب عليها في الآية (٤٦) صفحات
٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥ .

المضردات: ﴿اجلدوا﴾: الجلد ضرب
الجلد، والمراد الصرب بما يؤلم الجلد دون
كسر عظم أو قطع لحم.

﴿المحصنات﴾: تقدم معناها في الآية
(٢٤) من سورة النساء صفحة ١٠٢، والمراد

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الرَّايَةُ وَالرَّائِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ
مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ
كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ
مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الرَّايَ لَا يَكُحُّ إِلَّا رَأْيَهُ أَوْ شَرَكَهُ
وَالرَّاْيَةُ لَا يَكُحُّهَا إِلَّا رَائِي أَوْ شَرِكُهُ وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَا يَأْتُوا
بِأَرْبَعَةِ شَهَدَةٍ فَاجْلِدُوهُمْ مِّائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ
شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْعَلِيلُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ
تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾
وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَرْوَاحَهُمْ وَلَا يَكُحُّ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا
أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحْيِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ
الْمُتَدَبِّرِينَ ﴿٦﴾ وَالْحَنِيسَةُ إِنْ لَمَتْ أَقْبَىٰ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ

منها هنا العميمات.

المعنى . جمعنا لكم في هذه السورة بين آيات الأحكام المتعلقة بنظام الأسرة ومحاسن
الأخلاق، وبين دلائل وحدانيتنا وقدرتنا لتتذكروا هتتقوا المحارم وتؤمنوا بقدرتنا . ثم شرع في
بيان تلك الأحكام التي فرضها فقال ﴿الرأية والرأي﴾ إلخ أي فالذي يرمى ذكراً كان أو أنثى
فعقابه في الدنيا جلده مائة جلدة، ولا تأخذكم بهما رحمة في تمديد أوامر الله والمراد لا
تعطلوها ولا تفصوها ثم حذر المؤمنين على المحافظة على تمييز أوامره فقال ﴿إن كنتم
تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾، أي فحافظوا على شريعته، وليشهد إقامة الحد على الرائي
والرأية جماعة من المؤمنين أقلها ثلاثة، لزيادة التثكيل بالمعاقب، وللاتعاط بالنسبة لغيره،
وهذا الأمر للندب لا للوجوب.

ثم شرع سبحانه وتعالى في تفصيل أمر الربا أشد تفصيل فقال ﴿الزاني لا يكره إلا رابية﴾ إلخ أي أن الزاني بعد أن رضى بالربا واشتهر به لا يليق أن تقبله عقيقة بل لا تقبله روجا لها إلا امرأة حسيصة ملوثة بعار الربا أو بأسوأ منه وهو الشرك بالله، وكذا امرأة معروفة بالربا لا يقبلها له روجة رجل عفيف بل لا يليق بها إلا رجل ران مثلها أو أسوأ من الزاني وهو المشرك وإد علمت أن المراد هو تبشيع أمر الربا وإبراره في أقبح صورة تعلم أنه ليس المراد صحة نكاح لمشاركة أو المشرك، وأن المراد التصير منه بحمله قرينا للمشرك، وحرم نكاح الربي ولرابة على المؤمنين، والحرمة لا تمنع صحة العقد على الرابية المؤمنة والربي المؤمن أما هساد نكاح للمشرك للمؤمنة فهذه أدلة كثيرة أورثت الإجماع عليه ومنها ما هي الآية (١٠) من سورة الممتحنة صفحتي ٧٣٦، ٧٣٧ .

ثم بعد أن بين سبحانه حكم من فعل الربا وبصر منه بين حكم من نسب الربا لغيره فقال ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ إلخ المراد يتهمون المصنعات بالربا لأن الاتهام بغيره كالسرقة أو الكذب يكفى فيه شاهدان وحراء صاحبه التمرير لا الجلد ثمانين جلدة، ثم إذا لم يأت هؤلاء القادةون بالربا بأربعة شهود على أنهم رأوها ترني فعاقبتهم ثلاثة أشياء الأول جلدتهم ثمانين جلدة والثاني عدم قبول شهادتهم أبداً هي كل شيء مهما كان صغيراً، والثالث الحكم عليهم باستحقاق وصف المسقى إلا الذين تابوا ورجعوا عن القذف وأعلنوا خطاهم وأصلحوا أعمالهم بالحرص على الأحكام لله ومراة تسليم أنفسهم للحد واستسماح المقدوف، فالاستثناء راجع للحكمين الأخيرين أما الحد فلا يرفع بالتوبة، فإن الله تعالى عموماً لذنب القاذب رحيم له بقبول توبته ولما كانت الحكمة هي حد القاذف هي رفع العار عن المقدوف وهذا المعنى مشترك بين المرأة والرجل كان حكم من قذف رجلاً بالربا كذلك، وإنما حص المرأة بالذكر هنا لخصوص الواقعة وهي رمي السيدة عائشة رضي الله عنها كما سيأتي.

ولما كان الحكم السابق يشمل كل قاذف حتى الرجل لو قذف امرأته، وكان في الواقع له حكم خاص استثناء سبحانه فقال والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهادت أربع بما رموهن به شهادة أحدهم المطلوبة منه لإيقاده من حد القذف هي خمس شهادات بالله إلخ أربع يقول في كل مرة منها أشهد بالله أني لمن الصادقين فيما رميتها به من الربا، ويقول في العاممة لعنة الله على الأبعد (أي يأتي بصميم العتكلهم أي على بتشديد الراء) إن كنت من

مِنَ الْكَذِبِينَ ① وَيَدْرُؤُا عنها الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ
أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِأَنَّهُ لَيْسَ الْكَذِبِيُّ ② وَالْحَمْدُ
لِأَنْ عَصَبَ أَفْ طَلَبًا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ③
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ
حَكِيمٌ ④ إِنْ أَلَيْكَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ يَكْرَهُ
لَا تَحْبِرُهُ فَرَأَيْتُمْ بَلِّ مَوْجَةٍ لَّكَ لِكُلِّ أَمْرٍ يَتَّبِعُ
مَا أَكْتَبَ مِنَ الْإِلَهِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ⑤ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
بِأَنفُسِهِمْ خَبَرًا وَقَالُوا عِنْدَ افْتِكِهِمْ ⑥ لَوْلَا جَاءُوا
قَلْبَهُ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ
عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَافِرُونَ ⑦ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ لَفُتِنْتُمْ بِهِ لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ لَفُتِنْتُمْ بِهِ

المفردات: «يدرا»: يدفع. «المذاب»
المراد به المعروف لهم منه وهو رجم
الزاني المتزوج. «الإفك»: هو ابلغ ما يكون
من الكذب وأبعده عن الصدق. «عصبة»:
هي الجماعة المترابطة لعرس يجمعها
واقفها أربعة. «الذي تولى»: هو عبد الله بن
أبي سلول رأس المنافقين، انظر ما حصل
منه في شرح صفحات ٨٢، ٨٣، ٢٤٧، ٩٠ وما
بعدها وسورة المنافقين صفحة ٧٤٢ وما
بعدها. «كبره»: أي معظم الإفك. «لولا إذ
سمعتموه»: حرف يفيد الحدث على ما بعده،
انظر الآية (٢٩) من سورة الكهف صفحة
٢٨٦. «لولا جاءوا»: هي كالسابقة.

«لولا فصل الله»: لولا هذه شرطية تربط بين جملتين والمعنى: لولا فصل الله موجود
لفصحكم إلخ. «فصل الله»: هو الريادة في الجود والكرم. «رحمته»: المراد منها: الرأفة.
انظر شرح الآية (٧) من سورة النحل صفحة ٢٤٦ «في ما أفضتم»: من الإفصاة والمراد
خضتم بكثرة، في تدل على أن (ما) بعدها سبب فيما قبلها كما في الآية (٦٨) من سورة
الأنعام صفحة ٢٢٧ وما سيأتي في الآية (٩) من سورة الممتحنة صفحة ٧٢٦.

المعنى: ويدفع الحد عن المرأة المتهمة أن تشهد خمس شهادات تقول في الأربع الأول
مها أشهد بالله إنه لَمِنَ الكاذبين فيما رماني به من الرنا، وتقول في الخامسة أن عصب الله
عليها - وتذكر صميم نفسها وهو بلاء المتكلم - إن كان من الصادقين. وسمى الحملتين
الأحيرتين من شهادة كل من الرجل والمرأة شهادة لأنه قصد بهما كل ما يقصد بالشهادة من

تحقيق الحشر وإظهار الصديق وبعد هذا التلاعن يحرم كل منهما على صاحبه حرمة أبدية كحرمة الرضاع، وإنما جعل العصب في جانبها بدل اللعن لأن عادة النساء الإكثار من التلمظ باللعن، وربما يحترش عليه لكثرة جريه على السيئتين فجعل مكانه العصب ليكون ردعاً لهن ولولا فصل الله عليكم ورحمته لكم بهذه الأحكام وأنه كثير التوبة على من يتوب حكيم هيماً شرع لعباده وما يعملهم معهم لمصالحكم وعجل عقوبتكم، هذا إذا قذف الرجل روحه، إلا إذا اتهمته هي بالربا فحكمها مأخوذ من الآية السابقة وهي الجلد ثمانين ما لم تأت بأربعة شهداء؛ لأن الاستثناء من حكمها خاص بالرجل، ولما كان حديث الإفك الذي رميت به السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها له علاقة بما تقدم، ذكره سبحانه في هذه الآيات من (١١) إلى (٢٦)، وقد كانت حادثة الإفك هي عروته ﷺ لبس المصطلق في شعبان سنة ست هجرية، وكان الذي أشاعها هو عبدالله بن أبي كبير المنافقين، ومن أراد تفصيل ما حصل فيها على أتم وجه فليرجع إلى شرح حديث رقم (٢٧٦) من كتابنا صموة البخارى، قال سبحانه ﴿بِئْسَ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ أى أن تلك الجماعة التى احتلفت ذلك البهتان لم تخرج عن كونها مسيوبة إليكم ومعدودة منكم، فلا تجرعوا كل الحرع لأن أغلبهم منساق بدور تعقل، فالعرض بدء تسليية لمن أصيبوا به كعائشة رضى الله عنها وأبى بكر الصديق رضى الله عنه والبنى ﷺ ثم طمأنهم فقال ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ أى لا تظنوا أن ما أشاعوه شر لكم بل هو خير لكم، وأى خير أحسن من شهادة الله عز وجل لعائشة ببراءة يعتبر تصديقها من الإيمان لأنه يدل بها قرآن من أنكر شيئاً منه كهر، إلى غير ذلك مما ترتب عليه من الأحكام التى وصفت حداً لعوضى الاتهام إلى غير ذلك ولكل واحد من الذين أشاعوا هذا الباطل عذاب على قدر نصيبه من الإشاعة، أما الذى تولى القسم الأعظم منه فله عذاب عظيم هو جهنم حالداً فيها، ثم حثهم على التيقظ لما كان ينبغي أن يكون ليعملوا به في المستقبل فقال سبحانه لولا إذ سمعتموه من المؤمنين يا حيوانهم الذين هم منهم خيراً، وقطعوا بأن هذا كذب عظيم، خصوصاً وهو متعلق بمقام سام، ثم يقولون أيضاً هلا جاء هؤلاء المفترون بأربعة شهداء؟ المراد أنه مستحيل عليهم هذا ولذا قال، فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك في حكم الله وشرعه هم الكاذبون، فيستحقون إقامة الحد عليهم، وقد أقامه ﷺ وجلد كل من حاص فيه ثمانين جلدة ولولا فصل الله عليكم في الدنيا بالإمهال لسبوا، ورحمته في الآخرة بالمعصرة، لأصابتكم بسبب الإفك الذى خصنتم فيه عذاب من الله تعالى.

عَذَابٌ عَظِيمٌ ⑪ إِذْ تَلَقَّوهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَتَمُوتُونَ
 وَأَنْتُمْ عَنْهَا مُرْمِضُونَ ⑫ وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ
 مُتَعَبًا ⑬ وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ⑭
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ⑮
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ⑯
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ⑰
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ⑱
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ⑲
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ⑳
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㉑
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㉒
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㉓
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㉔
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㉕
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㉖
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㉗
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㉘
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㉙
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㉚
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㉛
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㉜
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㉝
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㉞
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㉟
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㊱
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㊲
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㊳
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㊴
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㊵
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㊶
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㊷
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㊸
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㊹
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㊺
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㊻
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㊼
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㊽
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㊾
 وَلَمَّا تَلَقَّوهُ قَالُوا لِمَ نَرَاكَ مُتَعَبًا ㊿

المفردات: «تلقونه بالعينين»: أي
 تستطعونهم به وتتلقونه من غيركم ليبتشر
 وعبرة البيضاوي أي يأخذه بعصمكم عن بعض
 بالسؤال عنه فيبشره وتقولونه بأهواكم أي
 كلاما صادرا من الأفواه فقط ليس له علم
 قلوبكم.

والمعنى يحذركم الله من أن تعودوا لعلته
 «بأهواكم»: أي تقولون قولاً ليس له
 أصل من علم إنما هو مجرد الفاظ انظر
 الآية (٥) من سورة الكهف صفحة ٢٨٠.

«لولا إذ سمعتموه»: لولا هذا للعث على
 ما بعدها المقترن باللوم على التفريط فيه.

«سبحانك»: من عادة العرب أنهم إذا رأوا شيئاً غريباً عن الطباع أن يقولوا سبحان الله أو
 لا إله إلا الله ويقصدون به التعجب من القول البعيد عن مدارك العقول. فالمراد هنا التعجب
 من صنع هؤلاء الكاذبين. ويصح أن يراد تنزيهه تعالى عن أن يعتار لنبه روعة رابعة
 «بهتان»: أي زور يبهت من يسمعه أي يدهشه.

«يعظكم»: أي يرشدكم في أسلوب مؤثر «العاقبة» هي الرما وأمثاله، ولا تطلق على
 لقتل وأمثاله

«ولولا فصل الله»: لولا هذا شرطية تربط بين حملتين كما تقدم

«رموه رحيم»: تقدم بيانهما في صفحة ٢٤٦.

«حطوات الشيطان»: هي وساوسه التي يربى بها لأتباعه.

المعنى: «ولولا فضل الله تعالى ورحمته عليكم لمجل سبحانه لكم العذاب في الدنيا حين كنتم تتلقفون هذا الكذب بالمنتكم ويأخذ بعضكم عن بعض، وتقولون كلاماً صادراً عن الأفواه فقط ليس له سند من علم في القلوب كما في قوله تعالى ﴿يقولون بأهواءهم ما ليس في قلوبهم﴾ الآية (١٦٧) من سورة آل عمران سمعته ٩٠، ٩١، بل إنكم تعلمون طهارة من افترت عليهم، وتظنون أنكم تتعلمون بكلام سهل لا حظورة له، وهو عبد الله عظيم في النور واستحقاق العذاب ﴿ولولا إد سمعتموه﴾ إلخ أي أما كل اللاتق بكم أنكم حينما سمعتم هذا الكذب قلتم لا يصح لنا أن نتكلم بهذا المحش، تترهباً لك يا ربنا، هذا كذب عظيم لعظمة المكذوب عليه.

يحذركم الله تعالى من أن تعودوا لمثل هذا القذف أو استماعه إن كنتم مؤمنين سمعتم إرشاد ربكم. ويوضح الله تعالى لكم الآيات الدالة على محاسن الآداب، وعلى ما يدفع شر الشيطان، والله عليم بأحوال خلقه، حكيم فيما شرعه لهم مما فيه مصلحتهم، ثم هدد سبحانه كبير المفاقيين ومن على شاكلته فقال:

إن الدين يحبون إشاعة أخبار الفاحشة وبشرها في أوساط المؤمنين لإنقاص قدرهم وإظهار أنفسهم أشرف من غيرهم لهم عذاب شديد الألم في الدنيا وهو حد القذف المتقدم، وقد أقامه ﷺ على عبدالله بن أبي وحسان ابن ثابت وغيرهما، وهي الآخرة بالمار إن لم يتوبوا، والله يعلم بواطن الأمور وأنتم لا تعلمون إلا الظاهر، فعاقبوا في الدنيا على ما دل عليه الظاهر، والله يعاقب على ما في السرائر كل بحسب ما عبده.

ثم كرر فضله تعالى عليهم ليذكروهم فقال ولولا فضل الله عليكم ورحمته بكم لمجل لكم العذاب ولم يقبل توبتكم ولولا أنه سبحانه روف بالمقدوف البريء، رحيم به وبكم لما أظهر برامته، ولما شرع هذه الأحكام.

ثم أرشد سبحانه إرشاداً عاماً مبنياً منبع الحظر فقال يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان، ومن يتبع خطوات الشيطان هلك، لأنه يأمر بكل فعل متناه في المحش وبكل منكر من الشرع.

ثم كرر سبحانه مبعته عليهم فقال: «ولولا فضل الله عليكم ورحمته» إلخ

مَا زَكَّيْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ وَلَا يَأْتِي الْتَوَلَّاءَ الْمُضِلُّ بَكْرًا
وَالْحَقُّ أَنْ يَزْنَوا أُولَى الْفُرْقَى وَالسَّكِينِ وَالشَّهِيدِينَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَيَحْمِلُنَّ أَوْسَعُ حِمْلًا لَا تُحِيزُونَ لَهُ خَيْرَ
اللَّهِ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ إِذْ أَخْبَرَهُ الْمَوْتُ
الْمُعَصَّنَاتِ الْغُفْلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لِعَمَلٍ فِي الْغَنَاءِ
وَالْأَمْرِ وَلَهُمْ ظَبَابٌ عَلِيمٌ ﴿١٨﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ
أَلْسِنُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾
يَوْمَ لَا يُغْنِيهِمْ اللَّهُ دِينُهُمْ أَحَقُّ وَيُطْرُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ
الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٠﴾ الْخَبِيثَاتُ الْفَجِيرَاتُ وَالْخَبِيثَاتُ
الْفَجِيرَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ الطَّيِّبَاتُ وَالطَّيِّبُونَ الطَّيِّبَاتُ لَوْلَاكَ
مُبَارَكُونَ بِمَا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَثِيرٌ ﴿٢١﴾

المصردات: ﴿ما زكى﴾ ما طهر من
الدرس ﴿من أحد﴾ من حرف يصيد إرادة
النظر على عموم النقص من ﴿أحد﴾
﴿يأتى﴾ نقول فلان ﴿أتى﴾ بورر
﴿اعتلى﴾ يأتى إذا حلف. كتالى والى كلها
بمعنى أقسم. انظر الآية (٢٢٦) من سورة
البقرة صفحة ٤٥. ﴿أولو المضل﴾
أصحاب العطل. ﴿السعة﴾ كثرة الرزق.
﴿ليغفوا﴾ أصل الغفو محو الشيء ومسه
غفت الريح آثار الديار. والمراد محو آثار
الدين بستره.

﴿ليغفوا﴾ الصبح الاعراس وعدم المزاحمة على الدين.

﴿لمحصات﴾ المعانف المصوبات. ﴿العافلات﴾ السليمات الصبور المصرفات عن
التكبر فيما يعصب الله ﴿ديهم﴾ المراد بالدين هنا الجراء.

المعنى . لولا فضل الله ما طهر أحد منكم أبدا ولم تقبل ثوبته. ولكن الله بمصله يركى من
يشاء بتوفيقه للنوبة تعلمه بحسن استعداده انظر ما سبق في صفحة ١٦٨. والله سميع لما
تقولون، عليم بما تصمرون. فيرتب أحكامه على حسب علمه ولما برلت الآيات الأحد عشر
السابقة في براءة عائشة وتهديد الحائضين وكان فيهم (منطج) بكسر هـ يكون ففتح. ابن
حالة أبى بكر الصديق رضى الله عنه. وكان مهاجرا فقيرا ممن شهد بدرًا وكان أبو بكر يوفق

- | | |
|---------------|---------------|
| (١) المساكين. | (٢) المهاجرين |
| (٣) المعصيات | (٤) العافلات |
| (٥) المؤمنات. | (٦) الآخرة |
| (٧) الصبيات | (٨) لعبيات |
| (٩) الطيبات | (١٠) للطيبات |

عليه وضاق صدر أبي بكر بسخايمته، لأنه جمع بين الغوص في الباطل وبين إيذاء أقرب الناس إليه لما كان قد حلف أبو بكر ألا يمسق عليه وثماً كان سبحانه يعلم أن الغائصين متفوتون في الجرم وأن ﴿مستطج﴾ من أحفهم حملاً، وأنه من أهل بدر فله بهذا منزلة خاصة تسهل قبول توبته، قال سبحانه ﴿ولا ياتل﴾ أي لا يحلف أهل الفصل في الدين والسمعة في الرزق على أن لا يؤثروا أصحاب القراءة منهم الموصوفين بأنهم مساكين ومهاجرون في سبيل الله، وليغفوا بستر ديوبهم وعدم ذكرها، وليصفحوا فلا يؤاخذوهم عليها.

ثم رغب سبحانه أبا بكر فقال ألا تحبون أن يعمر الله لكم إذا أخطأتم؟ وإذا كنتم تحبون ذلك فأحبوه لميركم بالصفح عنه، والله مع كمال قدرته عمور رحيم. فتحلقوا بأحلاقه، فلما برزت هذه الآية علم أبو بكر أن الله سبحانه يعلم المؤمنين الصبر على احتمال الأذى، وتقديم رضاء سبحانه وتعالى على رضا النفس. وهذا هو الجهاد الأكبر، لما علم أبو بكر ذلك قال إني لأحب أن يعمر الله لي، وأعطى ﴿مستطج﴾ أكثر مما كان يعطيه من قبل. ولما قدم سبحانه هذا التبرعيب في العفو عن المحطئ الذي شهد بدراً وكان ذلك ربما يوهم التهوين من شأن هذه الجريمة خصوصاً بالنسبة لمن أشاعها عن قصد، دفع كل هذا بقوله ﴿إن الدين يرمون المحسنات﴾ إلخ.

والذي يدل عليه سياق الكلام هنا هو أن هذا الجزاء لا يكون إلا للكافر فيكون المراد أن من يرمى أمهات المؤمنين بهذا الباطل بعد نزول هذه الآيات فهو كافر، وأما من رماهن قبل ذلك ثم تاب ﴿كمستطج﴾ فليس كذلك، ويكفي إقامة الحد عليه أما عبد الله أبي بن سلول، ومن كان مثله في السابق ولم يتب فهو كافر مجلد، وأما رمى غير أمهات المؤمنين فهو كبيرة وليس بكفر ولعن الشخص المقيم بمعنى طلب طرده عن الرحمة إلى الأبد لا يجوز إلا لمن قطعنا بموته على الكفر.

أما اللعن بمعنى تشديد العقوبة فقط فإنه قد وقع لأشخاص معينين مؤمنين بكلمة ﴿لَعَنَ﴾ من كبرى دونه على وجهها رواء مسلم هي صحيحه ولعن المراد التي تحالف روحها إذا طلبها، والأحسن الدعاء بالتوقيق ومن هذا يعلم أنه لا يجوز لعن كافر معين لأننا لا نعلم مصيره فقد يتوب كل هؤلاء المحرمون بعد يوم تشهد عليهم السيئات وأيديهم وأرجلهم بكل ما كانوا

يعلونه لا بالقدر فقط، وهذه الشهادة تكون بعد دفاعهم والختم على أفواههم، انظر آيتي (٢٧، ٢٨) من سورة الأنعام صفحة ١٦٦، و٢٨ من سورة البحل صفحة ٢٤٨، والآية (٦٥) من سورة يس صفحة ٥٨٥، والآية (٢١) من سورة فصلت صفحة ٦٢٢

ويطلق الله اللسان واليد والرجل بكيفية يعلمها سبحانه، فيبعد أن كان اللسان آلة يطلق للشخص أصبح هو نفسه الناطق، انظر معنى ذلك في آيتي (٢٠ و ٢١) من سورة فصلت صفحة ٦٢٢ .

وفي هذا اليوم يوفيه الله جزاءهم الثابت لهم بمقتضى العدل، وفي هذا اليوم يعلمون عند مشاهدتهم الأحوال أن الله وحده هو الحق لا يقدر على الجراء غيره، المبين لكل شيء على حقيقته في الدنيا، ولم يكن يحض عنهم شيئاً مما كان يسمعهم ولكنهم تعاملوا معه. «الحيثات للحيثين» إلخ قبل معانها يظهر ما تقدم في «الراس لا يكح إلا راسية» إلخ، أي الحيثات من النساء لا يليق لهن إلا الخبيثون من الرجال وبالعكس، ويكون المراد التمهيد من الحيثات والحيثاء.

وقال ابن عباس وجماعة، المراد أن الكلمات الحيثات لا توجه إلا للحيثين من الرجال والنساء، وتعليق جمع المذكر على الرجال والنساء كثير في القرآن، والخبيثون من الرجال والنساء أهل للكلمات الخبيثات.

ويكون الكلام توبيخاً للمجرمين على رمي عائشة بما لا يرمى به إلا الخبيثات من النساء، وهي عصمتها الله أظهر من في عصرها وما بعده إلى يوم القيامة، والكلمات الطيبات الدالة على الشرف والنزاهة اللائقة بالطيبين رجالاً ونساءً، والطيبون منهما أهل للكلمات الطيبات لا يليق بهم غيرها، انظر بعض معاني الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة آيتي (٢٥، ٢٦) من سورة إبراهيم صفحات ٢٢٢، ٢٢٤ .

ثم ذكر سبحانه النتيجة لما سبق فقال أولئك أي الطيبون الذين ظلمتهم بالقدر مبرعون مما يقول الكاذبون، لهم عند ربهم معصرة عما يكون منهم من هفوات، وورق كريم هو الجنة انظر آيتي (٢٨، ٢٩) من سورة الأحزاب صفحات ٥٥٤، ٥٥٣ .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَلْيُخْبِرُوا عَنْ أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٣٤﴾ فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوا حَتَّى يَأْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجُوا فَارْجُوا خُذُوا زِينَتَكُمْ وَأَلْفَ بِمَا تَعْمَلُونَ عِلْمٌ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ إِنْ دَخَلْتُمْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُفْسِدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾ قُلْ قَسْرَسِي بَعْضُوا مِنْ أَجْنَزِهِمْ وَيَحْضَعُوا قُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَرَأَيْتُمْ لِمَ قَالَ اللَّهُ غَيْرِ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَقُلْ قَسْرَسِي بَعْضُ مَنْ مِنْ أَجْنَزِهِمْ وَيَحْضَعُ قُرُوجَهُمْ وَلَا يُدِيرُ رِيضَتَهُ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْحَكُوا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ وَلَا يُدِيرُ رِيضَتَهُ إِلَّا لِبَعْضٍ مِنْ أَهْلِهَا أَوْ لِبَعْضٍ مِنْ

المفردات: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾: ﴿الذين آمنوا﴾ أريد بها هنا الرجال والنساء، لأن أهل البيت قد يكونوا على حال لا يجوز اطلاع النساء عليها، كما لا يجوز اطلاع الرجال.

﴿غير بيوتكم﴾ أي التي خصصتموها لسكناكم ولو كانت بكراء

﴿بأيجار﴾ غير مملوكة لكم.

﴿تستأمنوا﴾: تستأمنوا ممن يملك الإذن من أصحابها بما يحصل به أنس أهل البيت ولا ينزعجون له.

والاستئذان يختلف باختلاف الموضع، فقد يكون بقرع الباب، أو التسميع، إلى غير ذلك.

﴿خير لكم﴾ يسمى علماء العربية هذا الورن

﴿أفعل تمصيل﴾ فالمعنى أن في الاستئذان خير ليس في تركه، أي أن تشريع الحكم العام على هذا الوجه خير لكم من عرة كادية تتمسكون بها، فأنتم كما مُنعتم من الدخول على غيركم بدون إذن، فكذلك مُنع غيركم من الدخول عليكم إلا بإذن، وهي ذلك استبقاء المودة وعدم التأذي من زيارتكم، بخلاف ما إذا كانت هجوماً.

﴿فإن لم تجدوا فيها أحداً﴾ المراد فإن لم تعلموا أن فيها أحداً فلا تدخلوا، أي وإن كان فيها أحد في الواقع ولكنه لا يريد إظهار نفسه لكم ولهذا لم يقل سبعاه ﴿فإن لم يكن فيها﴾.

﴿زكى لكم﴾: أى أظهر للبعد عن الريبة والإهانة.

﴿حاج﴾: إثم

﴿بيوت﴾: لمرء بائيت هما مطلق الأماكن لا بيوت السكر

﴿غير مسكونة﴾: أى غير معدة للسكن بل لينمت بها من يحتاج إليها، كالصادق والعوانيت
و النعمات.

﴿متاع﴾: أى استمتاع واستماع.

﴿يبدى﴾: يظهر.

﴿ريش﴾: ريشة كل ما تترى به المرأة كالحاتم والكحل والحصاب والسور والعلحال
والقلادة والأكليل الذى يوضع على شعر الرأس.

﴿ما ظهر منها﴾: هو ما فى إحصانه مشقة وحرث العادة بظهوره كالثلاثة الأول فيما تقدم

﴿يصرى بحمره على حيوبه﴾: أى يصعبها عليها تقول صربت يدى على الحائط إذا
وصعتها عليها.

﴿حمره﴾: جمع حمر وهو ما تغطى به المرأة رأسها كالمسمى فى مصر بالطرحة.

﴿حيوبه﴾: مفرد حيب وهو العنقة فى أعلى الثوب يظهر منها بعض الصدر.

﴿بعولته﴾: مفرد بع وهو زوج

لعمري بعدما حذر سبحانه من جريمة الربا والقذف به أراد أن يبين ما به الاحتياط
لصيانة اشرف واعرض فذكر الأحكام التى تساعد على ذلك وعلى أدب المعاشرة فقال
يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم إلا بعد الاستئذان والتسليم على أهلها، ذلك
المذكور من الاستئذان والسلام حير لكم من الدخول بفتة فتروا عورات الناس هيتأدوا
فيكرهوكم ولأنه أرشدكم الله لذلك لكي تتعظوا وتعملوا ما أمرتم به.

وظهر الآية يدل على أن الاستئذان قبل التسليم. وقدم بعضهم السلام، والأحسن التفصيل
فإن وقعت عين الزائر وهو خارج البيت على صاحب البيت قدم السلام وإلا قدم الاستئذان

والحكم عام حتى هي الزائر الأعمى، إذ ربما يفاجئ مَنْ في البيت فيسمع ما لا يحبون أن يسمعه. فإن لم تجدوا أحداً مَعَكُمْ يملك الإذن، وهو غير المبد والصبي، فلا تدخلوها حتى يأذن لكم مَنْ يملك الإذن. وإن قال لكم أهل البيت ارجعوا بصريح اللفظ أو بعدم الإذن، وبكمي هي منع الدخول سكوت مَنْ في البيت عن الرد، والرجوع عند عدم الإذن أظهر لكم من دس الدنائة في الدين والدنيا، لأن الوقوف على الباب بعد منع الدخول قد يورث شبهة في بعض أهل البيت. والله عليم بكل ما تعملون، فيعلم مقاصدكم من الاستئذان والدخول، ويجاريكم عليها، فاحذروا أن تضيروا تحت الاستئذان خيانة

ويجب أن يعلم أن المراد بالإذن هي قوله تعالى ﴿حتى يؤذن لكم﴾ ما يعم إذن صاحب واذن الشرع بالدخول في حالة وجود منكر في البيت الحالي، أو الشروع في جريمة يتوقف منعها على سرعة الدخول، أو إطفاء حريق أو نحو ذلك فإنه يجب المبادرة إلى الدخول بمهر إذن لمنع ذلك. ليس عليكم أيها المؤمنون إثم في أن تدخلوا أماكن غير معدة لسكنى قوم معينين، بل معدة ليتمتع أي ينتفع بها مَنْ يحتاج إليها كالمصدق ونحوها مما ليس فيها عورات يخاف الاطلاع عليها، والله تعالى يعلم ما تظهرون من قصد الانتفاع المشروع وما قد تخفون من قصد السرقة مثلاً. فالكلام تعذير لمن يدخل للإفساد.

ومن الآداب المستفادة من هذه الآيات الثلاث أن النبي ﷺ كان إذا أتى باب قوم لا يستقبل الباب بوجهه، ولكنه كان يمزى إلى ركنه الأيمن أو الأيسر، رواه أبو داود، وجاء في البحار ومسلم أنه ﷺ قال لو أن رجلاً أطلع عليك في بيتك بعير ابن هرميته بحصاة فمقات عليه ما كان عليك من حرج.

ثم أراد سبحانه أن يبعد أبواب المصاد من ناحية أخرى فقال قل يا أيها النبي للمؤمنين بربهم المقربين بشرعه يعضوا بعض أبصارهم، وهي التي تتجه للمحرم كالنظرة الثانية، ويحفظوا فروجهم من الحرام؛ ذلك أتمع لهم وأظهر لما فيه من البعد عن مصائد الشيطان. إن الله خبير بما يصنعون، لا يخفى عليه من حركات الجوارح وخيانة الأعين شيء، انظر الآية (١٩) من سورة عاfer صفحة ٦٢٠، وقل للمؤمنات يفضضن بعض أبصارهن كذلك، ويحفظن فروجهن، ولا يظهرن زينتهن، وبالأولى مكانها لأحد إلا لأزواجهن أو آبائهن أو آباء أزواجهن.

المفردات: «أو بنى إخوانهن». قال في
جانب نسل الإخوة والأخوات

«بنى» ولم يقل «أبناء» كما تقدم لأن
أبناء جمع قلة، وأبناءهن وأبناء أزواجهن أقل
عادة من بنى إخوانهن وأخواتهن، ولذا يقال
في الغالب بنى آدم وبنى نعيم.

«نمائهن»: المراد النساء المختصات
بهن للخدمة والصحبة من حرائر المؤمنات؛
أما الكافرات فمبهن خلاف، قيل كالأجانب
من الرجال

«ماملكت أيمانهن»: من الجوارى، أما
العبيد الذكور فمبهم خلاف، والجمهور على
المنع.

«التابعين»: هم الذين يتبعون القوم لينالوا من فضل طعامهم لشدة فقرهم وضعفهم أو
بلههم

«الإربة»: هي الحاجة إلى النساء.

«الطفل»: يطلق على الواحد والمتعدد، والمراد هنا الثانى أى الأطفال.

«لم يظهروا»: إلخ أى لم يظلموا على عورات النساء لصفرهم.

«انكحوا»: أى زوجوا والخطاب للأولياء.

أَوْ أَبْنَاءٍ أَوْ أَبْنَاءَ بَنَاتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنَى إِخْوَانَهُنَّ
أَوْ بَنَى إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنَى بَنَاتِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ لَوْ
أَنْتَبِخْنَ خَيْرَ أَوْلَى الْإِربَةِ مِنَ الرِّجَالِ لَوْ أَعْلَى الَّذِينَ
لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ
لِحُلُمِ مَا يَحْتَمِلْنَ مِنْ ذُنُوبٍ وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَفَ
الْمُؤْمِنُونَ لَعَنُوكُمْ لُعْنَةً قَوْلِهِمْ (١) وَأَنكحُوا الْأَيَّامَ مِنْكُمْ
وَالصَّالِحِينَ مِنْ حَبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فَرْدًا
يُقِيمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢) وَلَتَسْتَبِينَ
الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُقِيمَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْكُتُبَ عَمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَمَكِّيهِمْ
إِنْ هَلَيْسَ فِيهِمْ عَمَلٌ وَءَاتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي
هَاتَكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَبِيتَكُمْ عَلَى إِلْفَاءٍ إِنْ أَرَدْتُمْ

(١) أخواتهن

(٢) التابعين

(٣) الأيامى

(٤) واسع

(٥) أتوهم

(٦) إخوانهن

(٧) أيمانهن

(٨) أيها

(٩) إيمانكم

(١٠) إيمانكن

(١١) هتكم

(١٢) أيمانهن

(١٣) عورات

(١٤) الصالحين

(١٥) الكتاب

(١٦) أتاكم

﴿الأيامى﴾: جمع أيام وهو العرب نكر أو أنثى بكرا أو ثيبا.

﴿عبادكم﴾: المراد بهم المملكون الذكور.

﴿إمائكم﴾: المملوكات الإناث.

﴿لا يجدون نكاحاً﴾ المراد بالنكاح هنا تكاليفه من صداق ونمقه.

﴿يبتغون﴾: يطلبون.

﴿الكتاب﴾: الكتاب والمكانبة مصدران كالمتاب والمعاتبة، والمراد العقد الذى يكتبه السيد

لعبد به أن يكون حراً إذا أدى قدرًا معينًا من المال.

﴿حيراً﴾: أى إعانة وقدرة على الكسب.

﴿فتياتكم﴾: هن الإماء المملوكات.

المسمى: يجوز للنساء إظهار زينتهن لأبنائهن أو أبناء أزواجهن لأنهم صاروا معارم لهن، أو إخوانهن الذكور، أو ببيعهن، أو أبناء أخواتهن النساء، أو النساء المؤمنات المعالطات لهن، أو الجوارى المملوكات، أو الفقراء المرضى، أو الذين طعنهم الهرم حتى فقدوا الرغبة فى النساء، أو الأطفال الذين لا يعرفون عورات النساء.

وقل أيها النبى للمؤمنات لا يضرين بأرجلهن ليظهر صوت الخلخال فيعلم أنها من أرباب الزينة المترفات، فإن ذلك يورث ميلا من الرجال، ويمكن الشيطان من وسوسته، ولهذا تسمى العرب صوت العلى ﴿وسواسا﴾ ويدخل فى النهى كل ما يلفت النظر إليها.

ولما كان لا يخلو مؤمن من تفريط قال سبحانه ﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون﴾ خصوصاً مما كنتم تفعلونه، لأنه مما يجب القدم على حصوله لمخالفته المروءة ليرجى لكم الفلاح فى الدنيا والآخرة.

وبعدما نهى سبحانه عن السفاح المفسد للمجتمع، أمر بالنكاح المشروع المقضى للمودة والألفة.

فقال سبحانه مخاطباً أولياء الأمر: ﴿وأنكحوا﴾ أى زوجوا من لا زوج له منكم، والصالحين مما ملكت أيما نكم ذكراً وإناً، وإنما خص الصالحين بامتثال أوامر الله تعالى لأنهم هم الذين يستحقون المساعدة على الزواج ولا يمنع فقرهم من تزويجهم ما داموا قادرين على الصداق ونفقة مدة استطعمون بعدها الكسب، إن يكونوا فقراء ليس معهم أكثر من الصداق وما ذكر معه، يفنهم الله تعالى بالأسباب العادية كتوفيقهم للاهتمام بالكسب ليسدوا نفقة من لزمهم نفقته، ومساعدة المرأة له هي معاشه كما هي عادة العرب وأهل القرى في ذلك الحين، وحصول أولاد يساعدهنهما إلى غير ذلك. والله تعالى واسع الفصل، عليهم بمن قصد بزواجه العفاف فيساعده حسب حكمته. هذا فيمن وجد الصداق.

أما الذين لا يجدون نفقات النكاح من الصداق وما يتبعه فيجب عليهم أن يجهدوا في العفة وقمع الشهوة ولو بالصوم كما في الحديث الصحيح حتى يعينهم الله من فضله فيجدوا ما يتزوجون به.

ولما كان زواج المملوك قد يحرك فيه الرغبة في الحرية أراد سبحانه أن ينبه السادة إلى تسهيل ذلك عليه فقال سبحانه:

﴿والذين يبتغون﴾ إلخ: أى والمبيد الذين يرغبون المكاتب فكانت بهم إلى علمتهم فيهم الرشد والقدرة على الكسب الحلال والاستقلال بتكاليف الحياة، وأنهم أيها المؤمنون من المال الذي آتاكم لتساعدوهم على الحرية. ولا تكرهوا الفتيات المملوكات لكم على الزنا إن أردن تعمفاً..

رأى كثير من العلماء أن هذا نهى لعبد الله ابن أبي ابن سلول ومن يعمل عمله حيث كان يكره إساءة على الزنا ليجمع من وراء ذلك مالا، وحاولوا توجيه المفردة لهن مع أنهن مكرهات والمكره لا ذنب عليه، لزيادة توبيخ عبد الله المذكور.

تَحَصَّنَا ۖ تَعْمَضُ عَنْ الزَّانَا ۚ
فَلَمَّا أَتَىٰ مِنَ الْكُرْهِينَ عُورٌ رَّحِيمٌ ۖ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
إِلَيْكَ ءَايَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكَ
وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۖ ۝ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ
مِثْلُ نُورِهِ ۚ كَنَازَةٌ بِهَا يُصَاحُّ ٱلْمُصَاحُّ فِي رُجَاةٍ
ٱلرَّجَاةِ كَأَنهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَرَكَةٍ
رَّيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ رِيَّتُهَا يُشَوِّدُ
تَحْتَهُ نَورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِ ۚ مَن يَشَأْ
وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ ۖ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۖ ۝
فِي بُيُوتٍ أُدِّنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ ۖ يُسَبِّحُ
لَهُ رِجَالًا بِٱلْعَصَا ۖ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلَهِيُهُم بِحِجْرَةٌ
وَلَا يَسَّعُ عَنْ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ ٱلزَّكَاةِ

المفردات: ﴿تَحَصَّنَا﴾: تعمضا عن الزنا.

﴿عُرِضَ﴾: هو المتاع الزائل.

﴿مَثَلًا﴾: المراد بالمثل هنا المعجبة التي

تمائل غيرها. والمراد به قصة السيدة

عائشة التي تماثل قصة يوسف ومريم.

﴿خَلَوْا﴾: أي مضوا وانقروضوا.

﴿نُورُ السَّمَوَاتِ﴾: أي منورهما كما يقال

فلان عدل أي عادل، وفلان نور المجلس أي

منوره.

﴿مَشْكَاةٌ﴾: هي الكوة في الجدار غير

الناهدة يسميها المصريون طاقة وهي تجمع

النور فلا يتفرق فيضعف.

﴿مُصْبِحًا﴾: هو المتيلة المشتعلة.

﴿دُرِّيٌّ﴾: منسوب إلى الدر هي صفاته.

﴿رَيْتُونَةٍ﴾: بيان للشجرة.

﴿فِي بُيُوتٍ﴾ قيل هي المصاحد، وقال عكرمة بيوت المؤمنين التي يعمرونها بالعبادة

والمعامل لاستعمال البيوت في القرآن يرى أنها لم تستعمل إلا هي الكعبة كما هي آيتي (١٢٧)

(١) العياة	(٢) إكراههم
(٣) آيات	(٤) مبيات
(٥) السموات	(٦) كشكاة
(٧) مباركة	(٨) الأمثال
(٩) الأصال	(١٠) تجارة
(١١) الصلاة.	(١٢) الركاة

من سورة البقرة صفحة ٢٥، و (٩٧) من سورة المائدة صفحتي ١٥٦، ١٥٧؛ وهي بيوت السكن، وهو كثير في القرآن ومنه ما تقدم في آيتي (٢٧، ٢٩) من هذه السورة، وبيت المؤمن لا يحلو من ذكر الله، ومراقبته تعالى.

وقال ﷺ (لا تحفلوا بيوتكم قسوراً) أي صلوا فيها.

﴿أذن الله﴾: أي أمر. ﴿ترفع﴾: تعظم.

المعنى . قلنا إن كثيراً من العلماء قال إن الآية نهى أن يرعم السيد أمته على الرنا ليجمع مالا من ذلك. وقال الشيخ أبو الوها الشرقاوي من أتقيا علماء الصعيد بمصر عصر الله له وشعبه برحمته إن المراد لا تكرهوا أيها الأسياد فتياكم على المكاتب التي قد تعرضهن للبعاء إن أردن أن يبقين معصوبات الشرف والعمة تحت رعايتكم لحوقهن من المحر عن جمع لمال من طريق شريف. فمتر بالإكراء على السماء وهو يريد الإكراء على مكتبة من لا تريدها تنفيراً منها.

هالكلام من قبيل ذكر المسبب وإرادة سببه. كما تقول لمن طرد ابنه وقطع عنه النفقة لا تكره ولدك على السرقة. تريد لا تكرهه على الخروج من بيتك فإن ذلك يجره إلى السرقة عادة.

ورجح هذا الرأى بوجوه الأول أن السياق في المكاتب والحث عليها والثاني قوله تعالى ﴿فإن الله من بعد إكراههم صبور رحيم﴾ لا يمكن أن تكون المعصرة والرحمة فيه لعبد الله بن أبي بن سلول على دياثته وإرغامه فتياه على الماحشة كما لا يعقل أن تكون المعصرة للمشيآت المكرهات لأنهم لا احتير لهم فلا دب عليهم يحتاج إلى معصرة. والثالث قوله فيما سبق ﴿إن علمتم فيهم خيراً﴾ فإنه يرجح ذلك

فالحق أن المعنى أنه يحب على السيد أن يترك أمته في كنمه إذا رغبت هي في ذلك حمطاً لمعرضها من الصياع. فإذا أكرهها على المكاتب وأحهدت نفسها ووفقت ولم تلوث بماحشة فإن الله تعالى يعمر للسيد محارفته بمكاتبها. وبهذا تسعج أكره الآية على وجه تلمنث إليه النفس. والله تعالى أعلم.

ولقد أنزلنا إليكم آيات موضحاً للأحكام ولما فيه مصلحتكم، وأنزلنا إليكم قصة عجيبة تشابه قصة يوسف عندما اتهمته امرأة العزيز بإرادة الماحشة، وقصة مريم عندما رماها قومها بأنها بغي وهما أبرياء وأنزلنا عظام ينتفع بها المؤمنون منها قوله تعالى: ﴿لولا إذ سمعتموه ظن﴾... إلخ وقوله ﴿لولا إذ سمعتموه قلتم﴾... إلخ وقوله ﴿يعظكم الله﴾ إلخ.

ثم ذكر سبحانه ما يحقق به أن ما أنزله آيات بينات فقال: ﴿اللَّهُ نور السموات والأرض﴾ أي منورهما بما أودعه في كتابه من أحكام وإرشادات وعظات، وما بثه في الكون من أدلة على وجوده وحكمته وسدق رسله الذين أرسلهم للهداية.

ثم صرب سبحانه مثلاً يوضح نوره هذا بشيء محس تدركه الأبصار، فشبهه بهيئة مركبة من طاقة ومصباح فيها ليقوى صوره ولا يتبعثر، وهذا المصباح في رجاجة صاهية كالكوكب الصافي الضوء، وإذا علمت أن العالم كله وقت يرول القرآن ما كان يعرف حصر المصباح في رجاجة تعيط به ليصمو صوره ويخلو من الدخان، وإذا علمت أن اختراع الرجاجة المحيط بالفتيلة قريب العهد جداً، أمت بأن هذا كلام العليم بأسرار خلقه، واتجهت إليه بقلبك قائلاً اللهم زدنا إيماناً وتوفيقاً.

هذا المصباح يوقد من ريت شجرة مباركة هي شجرة الزيتون النابئة في مكان بارر للشمس ومرور الهواء، فلا هي شرق حبل أو حائط يعجب عنها الشمس أحر النهار، ولا غريب شيء كذلك يعجب عنها الشمس أول النهار، وذلك أكمل لئموها وأطيب لشارها، بلغ من صماء زيتها أنه يكاد يصره ولو لم تمصه نار.

وهذا النور الذي شبه به ما جعله الله هداية للناس متساند بما يقويه؛ هور المصباح زاد فيه نساء الزيت وضبط المشكاة وصماء الرجاجة. يهدي الله لهذا النور القوى مَنْ يشاء من عباده، وهم الذين لم يفسد الشيطان فطرتهم. ويصرب الله الأمثال للناس تقريباً إلى أفهامهم ليعتبروا، والله بكل شيء عليم، فيصع الأمثال المناسبة للعقول، فيثيب مَنْ انتفع ويعاقب مَنْ أهمل.

ثم ذكر سبحانه بعض أحوال من حصلت لهم الهداية لهذا النور بذكر بعض أعمالهم القلبية والتدبيرة فقال ﴿في بيوت﴾ إلح، والمراد يتجلى هذا النور في بيوت أمر الله تعالى برفعها وذكر اسمه فيها.

وقال كثير من العلماء هي المساجد ولكن المتأمل لاستعمال القرآن لكلمة ﴿بيت﴾ بعده على كثرة ذكره لم يأت إلا للكعبة فقط، أو لبيت السكينة هي الكعبة جاء في ثمان سور وهي ﴿البقرة وال عمران والمائدة والأنعام وإبراهيم والحج والطور وقريش﴾. وبمعنى بيت السكر في (٢٥) موضعا هي صفحات ٢٧ و ٧١ و ٨٨ و ١٠١ و ١١٩ و ٢٠١ و ٢٢٧ و ٢٧٩ و ٢٩٥ و ٣٠٥ و ٣٥٤ و ٣٧٧ و ٤٦١ و ٤٨٩ و ٥٠٧ و ٥٢٦ و ٦٥٠ و ٧٣٠ و ٧٤٨ ويطلق البيت في القرآن على الأسرة كما هي الآية (٣٦) من سورة الداريات صفحة ٦٩٤ .

وقد ورد في تفسير ابن جرير لآية (٧٨) من سورة يونس (واجعلوا بيوتكم قبلة) أن البيوت هي القرآن هي بيوت السكر، وأما المساجد فلها اسم خاص بها ويكون المعنى يتجلى هذا النور في بيوت المؤمنين الصالحين التي أمرهم الله تعالى برفع منزلتها باستحضاره في كل تصرفاتهم فيها، وتعليم أهلهم كما هي الآية (٦) من سورة التحريم صفحة ٧٥٢ ومن مدارس القرآن وكل ما يذكرهم بربهم، انظر آيتي (٣٢ و ٣٤) من سورة الأحزاب صفحة ٥٥٤ وبالصلاة فيها.

وقد ورد أنه ﷺ قال (لا تجعلوا بيوتكم قبورا) أي صلوا فيها والمستحب أن تكون صلاة النوافل كلها فيها خصوصا صلاة الليل.

ويؤيد هذا ما رواه البخاري عن زيد بن ثابت قال ﷺ صلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أحصل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة، ويؤيد أيضا ما رواه مسلم قال ﷺ

«مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه كمثل الحي والميت» ولذا قل يسبح له فيها بالعدو أي أول النهار، والأصل آخره، والمراد دائما رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة.

يَحْمِلُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ① لِيَجْزِيَهم
 اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيُرِيدُهم مِّن فَضْلِهِ ② وَأَنَّهُ يُرِيقُ
 مِّن سَكَّاءٍ يَغِيَرُ حِسَابَ ③ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهم
 كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُ الظُّنُكُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُمْ لَدَّ
 يَحْنَهُ شَيْعًا وَوَجَدَ اللَّهُ عَذْمَهُ فَوْقَهُ حِسَابًا ④ وَأَنَّهُ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ ⑤ أَوْ كُطِلْتِ فِي بَحْرٍ لَّجِيٍّ يَغْشَى مَوْجٌ
 مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ حَبَابٌ ظَلَلْتَ بَعْضًا لِّفَوْقٍ
 بَعْضٍ إِذَا تَنَجَّجَ يَدْمُ لَدَّ يَكْدُ يَرْبُهَا وَمَنْ لَدَّ يَجْعَلُ اللَّهُ
 لَهُ مَخْرَجًا ⑥ مِّن مَّوَدٍّ ⑦ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجَعُ لَهُ مَن
 فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَوْتٌ كُلُّ قَدْ عَلِمَ
 صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ⑧ وَأَنَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ⑨
 وَفِي مَفْكَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ ⑩ وَهَلِ اللَّهُ الْمُصِيرُ ⑪

المفردات: ﴿كسراب﴾ ما يرى في
 لمكان المتسع العالي وقت الظهور كأنه ماء.
 ﴿قبيعة﴾ جمع قاع كجيرة جمع حار، والقاع
 المكان العالي، انظر الآية (١٠٦) من سورة
 طه صفحة ٢١٦. ﴿يحسبه﴾ يظنه.
 ﴿الظلمات﴾: شديد العطش. ﴿حساء﴾ أي
 حاء مكان ما ظله ماء. ﴿وجد الله عنده﴾
 أي وجد جزاء الله.

﴿لجى﴾: منسوب للحة وهي الماء الكثير
 بعيد العور.

﴿يفشاه﴾: أي يعطى البحر. ﴿ألم تر أن
 الله﴾. الاستفهام هنا للتقرير كقوله في سورة

الضحى: ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى﴾ والرؤية هنا علمية ﴿يسبح له﴾: ينادى بتنزيهه عن كل
 نقص، انظر ما تقدم في صفحة ٤٢٨. ﴿والطير﴾: خصها بالذكر مع دخولها فيما قبلها لما
 في أحوالها من عجب الصنع فهي جرم من شأنه أن يسقط على الأرض لولا ما أودعه الله
 فيه، انظر الآية (١٩) من سورة تبارك صفحة ٧٥٦

﴿صافات﴾: باسقاط لأجعتها

﴿صلاته﴾ المراد بها الدعاء بطلب المعونة منه تعالى بلسان المفال أو لسان لحال

المعنى . يعمل هؤلاء الرجال الحيرات لأنهم يحاشون هول يوم تقلب فيه القلوب بين
 الحوف والرجاء، والأبصار بين الشمال واليمين لما يعترئها من الحيرة لجهل لمصير انظر

(١) الأبصار	(٢) أعمالهم.	(٣) الظلمات	(٤) موقد.
(٥) كظلمات	(٦) يمشه	(٧) ظلمات	(٨) يراها
(٩) السموات	(١٠) صافات	(١١) السماوات	

الآية (١٩) من سورة الأحزاب صفحات ٥٥٢، ٥٥١، ولأنها لا تدرى من أين تأخذ كتابها، انظر صفحات ٧٦٢، ٧٦٣ يسبحون ويخافون ليحزيهم الله أحسن جزاء لأعمالهم وهو مضاعفته للمثمرة كما هي صفحة ١٩١، ويزيدهم عن ذلك بمصلته، انظر صفحة ٥٥، والله يرزق من يشاء بغير حساب لأنه أكرم الأكرمين. وبعد ما بيّن سبحانه حال المؤمنين وجزاءهم شرع في بيان حال من أعرضوا عن نور ربهم الذي جاء به لهم لهدايتهم، وضرب لهم مثيل فقال والذين كفروا بربهم أعمالهم العسرة هي ذاتها التي يظنونها تصممهم بدون إيمان صحيح كإغاثة الملهوف وصلة الرحم والبر بالمساكين وعمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج إلى غير ذلك، انظر آيتي (١٨، ١٩) من سورة التوبة صفحات ٢٤٢، ٢٤٣ مثل هذه الأعمال هي عدم دفعها في وقت الحاجة إليها كالسراب الذي يلجأ إليه الظمآن، فإذا جاء لم يجد شيئاً يعيشه، فكذا هؤلاء إذا لجأوا إليه يوم القيامة لم يجدوا شيئاً بل وجدوا الحساب أمامهم بالمرصاد وعلى هذا فلا منافاة بين ما هنا وبين ما في شرح آيتي (٧، ٨) من سورة الزلزلة صفحة ٨١٨ فوهم الله تعالى العقاب اللائق بهم، وهو سبحانه سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب، ولا يطول زمن جرائه.

ثم مثل أعمالهم السيئة الخالية من نور الحق، حيث يسيرون في ضلال ناشئ من ظلمة الكفر وظلمات المعاصي المتعددة، بالظلام الناشئ عن الليل ولحج البحر والأمواج والسحاب الذي يعطى النجوم ليشتد الظلام، حتى إذا أخرج الواقع فيها يده وهي أقرب الأشياء إليه من مكانها بجوار جنبه وقربها لمينيه لم يقرب من رؤيتها فضلاً عنها، ومن لم يجعل له نورا من أنوار الهداية لحرماته من أسبابها فليس له نور أبداً. بخلاف المؤمن فإن له نورا على نور، كما تقدم، انظر الآية (٢٥٧) من سورة البقرة صفحة ٥٤، والآية (١٢٢) من سورة الأنعام صفحة ١٨٢، والآيات من (٥ إلى ٧) من سورة الليل صفحة ٨١٠.

ثم أراد سبحانه أن يصفه الكفار على غفلتهم فقال: ﴿ألم تر﴾ إلح أي ألم تعلم أيها المخاطب أن من في السموات والأرض يشهد بلسان مقاله ولسان حاله بتزييه تعالى عن كل نقص بما أودع فيها من الإبداع الدال على كمال قدرته. وتتجلى قدرته في خلق الطير الذي يقف صافاً أجمعته في الهواء لا يمسكه سوى قدرته تعالى، كل فريق مما في السموات والأرض علم سبحانه توجهه إليه واعتماده عليه، لأنه عليهم بكل ما يصلون، وكيف لا يستمد الكل من فضله وهو المالك لكل ما في السموات والأرض، وإليه في النهاية مرجعهم

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْسِلُ السَّحَابَ ثُمَّ يُؤْتِي بِهِ مَاءً ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا
فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِطَائِهِ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ
جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيهِمْ
مَنْ يَشَاءُ بِكَادُ صَافٍ بَرِّقَهُ يَلْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ⑪ يُقَلِّبُ
اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ⑫
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَيَسْجُدُ لَهُمْ مَنْ يَمْنَىٰ عَنْ
بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ
أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ⑬
لَقَدْ أَرْسَلْنَا آيَاتِنَا مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ⑭ وَيَقْرَأُونَ ءَامِنًا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ
وَالْآخِرَةِ ثُمَّ يَتُوكَ قَرْيَةً مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ
بِالْمُؤْمِنِينَ ⑮ وَإِنَّا دَعَرْنَا إِلَى اللَّهِ دَرَسْرَهُ لِيُحْكَمَ

المفردات: «يزجي»: يسوق على سهل.
«ركاما»: متراكما بعضه فوق بعض، انظر
الآية (٤٤) من سورة الطور صفحة ٦٩٩.
«الودق»: هو المطر.

«خلاله»: جمع خلل بوزن جبل، والخلال
هي الشقوق التي تكون بين أجزائه. «من
جبال فيها» بدل من قوله «من السماء»،
والمراد قطع السحاب الكبيرة. «من برد»:
من بمعنى بعض، والبرد قطع صغيرة من
الماء المتجمد لشدة البرودة.

«سنا برفقه»: أي ضوء «يذهب
بالأبصار»: أي يذهبها، انظر صفحة ٥.

«يقلب الله الليل والنهار»: يجعل أحدهما مكان الآخر، وبالنقص والريادة والعز والبرد.
«لأولي الأبصار»: لأصحاب الأبصار التي وراءها عقل يكر لا أبصار البله والمجانين، انظر
الآية (١٧٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٢. «دابة»: المراد بها هنا كل ما دب ودرج من
إنسان وأسماء ووحوش وزواحف وطيور وأسماك وغيرها وانظر بقية ما يطلق عليه دابة في
شرح الآية (٢٩) من سورة الشورى صفحة ٦٤٢.

«من ماء»: أي أن الماء عنصر مهم فيها وسترى في شرح الآية (٢٩) المشار إليها هنا رأيا
آخر في معنى الماء هنا. والذي حملهم على القول بأن الماء هو الغالب أنهم علموا أن القرآن
قال في مكان آخر «والله خلقكم من تراب» الآية (١١) من سورة فاطر صفحة ٥٧٣. والواقع
الذي نشاهده أنه مخلوق من الماء والتراب، بل ومن عناصر أخرى تأتيها من الشمس والهواء
يعلمها العلماء المتخصصون. وقال العلماء إن القرآن كثيرا ما يتحدث عن العائب ولا يريد

لجميع كما قال تعالى عن الإنسان ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ. وَلِسَانًا وَشِمْتَيْنِ﴾ ايتى (٨، ٩) من سورة البلد صفحة ٨٠٨ وظاهر هذا يصير أن كل إنسان كذلك. مع أنه قد يخلق إنسان بعين واحدة مثلاً أو بلا عيون مطلقاً. اقر قوله تعالى ﴿وَجَعَلْ لَكُم السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ الآية (٧٨) من سورة النحل صفحة ٢٥٦ مع أن بعض بنى آدم لا يسمع ولا يبصر، ومنهم من هو أبله لا عقر له ﴿فَمِنْهُمْ﴾ صمير (هم) أصله للعقلاء ولما كانت ذلابة ﴿فَمِنْهُمْ﴾ نعمهم وغيرهم علب العقلاء على غيرهم ولما دخل الجميع في صمير (هم) حسر استعمال (من) التي لا تكون إلا للعاقل في الجميع وراى حسنها لمشاكلة وهي التعبير عن الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحنه

﴿بمشرق﴾ قال نرى في المشى الانتقال من مكان الى مكان بإرادة وقد يكنى به عن نسيمه ومنه همار مشاء بمبب الآية (١١) من سورة القلم صفحة ٧٥٨ . ﴿يتولى﴾ أى يعرض

المعبر به تبصر به العاقل أن الله تعالى يسوق قطعا من السحاب متصرفة إلى حيث يريد ثم يحسم بعضها في بعض فترى لمطر يخرج من بين احوائه ويسرل من السماء أى يرل من جمع كبره في حيث تشبه الحبال في تصحامة بعض لبرد . ثم يورع سبحانه هذا لبرد حسب ما تقتضيه حكمته فيصيب به من يشاء من خلقه ولا قدرة لهم على دفعه. ويصرف سرور عن يشاء ثم وجه سبحانه العفول إلى عبره باهرة حيث خلق من الماء نورا وبار محرفة فقال ﴿يكاد﴾ الخ أى يقرب ضوء البرق الناتج من السحاب يذهب أنصار الناظر اليه من قوته وسرعته

ثم ذكر سبحانه أثر عظيمهما من آثار قدرته فقال ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ سعايرهما هما عظمته مما تقدم. في ذلك عبره لأصحاب الأبصار المروده بعقول تفكر ثم بين أثرا آخر من آثار العظمة الإلهية يدل على كمال القدرة ودقيق الصنع حيث خلق من العنصر الواحد

أشياء مختلفة في التكوين والطباع ونظام الحياة إلخ، وذلك نظير ما في الآية (٤) من سورة الرعد صفحة ٢٢١ فقال ﴿والله خلق كل دابة﴾ وقدم ما هو أعجب منها وهي الزواحف التي تمشي على بطنها بدون استعانة بأرجل، ثم بما يمشي على رجلين، ثم على أربع، وبما أنه توجد حيوانات أخرى تمشي على أكثر من أربع كالعناكب وبعض الحشرات لكنها لما كانت لا تقع تحت الأنظار كثيراً أشار إليها مجعلة في قوله ﴿يخلق الله ما يشاء﴾ أي مما تعلمون وما لا تعلمون مما يدب على الأرض ومما يطير في الهواء ومما يسبح في البحار والأنهار أو في جوف الصعور وغير ذلك ولا يفرقه سبحانه شيء لأنه قدير على كل شيء.

ثم شرع سبحانه في بيان حال قوم أعمتهم فتنة الدنيا عن الاعتبار فغلب عليهم الشقاء فقال: ﴿ولقد أنزلنا﴾ أي في هذا القرآن آيات موضعات لطرق الحق على أتم وجه فاهتدى بها مَنْ زكى نفسه، وغفل عنها مَنْ أفسدها، انظر آيتي (٩، ١٠) من سورة الشمس صفحة ٨٠٩. والله يهدي مَنْ يشاء هدايته إلى طريق الصواب المستقيم، لأنه استجلبها بتحصيل أسبابها انظر صفحة ١٦٨ .

ثم شرع سبحانه في بيان ما وقع من بعض المنافقين ووافقه بقيتهم فكانوا على شاكلتهم في استحقاق العقاب، وذلك أن رجلاً منافقاً تخاصم مع يهودي فطلب اليهودي التحاكم إلى رسول الله ﷺ لعلمه بأنه صاحب حق والنبى ﷺ لا يحكم إلا بالحق، وطلب المنافق التحاكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي لأنه يستطيع التأثير عليه بأنه هو الذى اختاره دون خصمه الذى اختار محمداً.

وأخيراً انتهى إلى التحاكم إليه ﷺ فحكم لليهودي، ونزل قوله تعالى ﴿ويقرولون آمناً﴾ إلخ. أي يقول هؤلاء الذين أظهروا الإسلام نحن آمناء بالله ورسوله محمد ﷺ وأطلعنا كل ما أمرنا به، ثم يعرض فريق منهم عن أوامر الله عز وجل ويوافقه الباقى، فليس أحد من هؤلاء جميعاً مؤمناً.

ثم ذكر حادثة من حوادث إعراس بعضهم عن حكم الله ورسوله فقال: وإذا دعوا إلى شرع الله وحكم رسوله ليحكم بينهم إلخ.

يَتَّبِعُهُمْ إِذَا فَرَّقُوا مِنْهُمْ تُقَرَّبُونَ ﴿١٥﴾ وَإِنْ يَنْكُرْ لَهُمْ
الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿١٦﴾ أَيْ قُلُوبِهِمْ مَرَّضٌ أَمْ
أَرْتَابُونَ أَمْ يَخْشَوْنَ أَنْ يَحْبِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ
أَرْسَلْنَاكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا
دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا وَأَرْسَلْنَاكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ ﴿١٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَتَقِ قُلُوبُكَ هُمُ الْعَامِلُونَ ﴿١٩﴾
• وَأَنْصَرُوا لِلَّهِ هَذَا يَنْصَرِفُ لَنْ أَمْرِهِمْ لِيُخْرِجُوا قُلُوبَهُمْ
لَا تُقِيمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ إِنْ أَلَّاهُمْ خَيْرٌ يَمَّا تَصَلُونَ ﴿٢٠﴾ قُلْ
أُطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا ظَنَنِي مُعْجَلًا
وَنَلَّيْتُكُمْ مَا يَنْتَظِرُ وَإِنْ يُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ
إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٢١﴾ وَنَعَى اللَّهُ الْفِرِينَ أَمْوَأَ مِنْكُمْ

المفردات: ﴿إذا فَرَّقُوا﴾: إذا كلمة تدل
على حصول ما بعدها فجأة. ﴿مذعنين﴾ أي
حاضعين مستسلمين. ﴿أفنى قلوبهم مرض﴾
الاستفهام هنا إنكارى يفيد نفى ما دخل عليه
من جهة أنه العامل على الإعراض، والمراد
هنا بالمرض هو معنى البصيرة. ﴿ارتابوا﴾
أي شكوا في قدرته ﷻ على الوصول إلى
الصواب. ﴿يعيف﴾: أي يظلم. ﴿بل﴾: حرف
يفيد إبطال ما قبله وإثبات ما بعده. ﴿جهد
أيمانهم﴾: أي بالفين غاية جهدهم في تأكيد
أيمانهم، انظر الآية (٥٣) من سورة المائدة
صفحتي ١٤٧، ١٤٨.

﴿ليخرجن﴾ أي عن أموالهم إلى العزو لإتفاقها في سبيل الله. انظر صفحاتتي ٢٤٧، ٢٤٨.
﴿طاعة معروفة﴾ أي طاعتكم طاعة معروفة بأنها قولية لا فعلية. انظر الآية ﴿٨١﴾ من سورة
النساء صفحة ١١٤، والآية (٨) من سورة التوبة صفحة ٢٤١. ﴿ما حُمِّلَ﴾: من أدا الرسالة
وقد أداها. ﴿ما حُمِّلْتُمْ﴾: من التكليف.

المعنى: وإذا دعى أحد هؤلاء المناهقين إلى التحاكم إلى الله ورسوله فاجأ هذا الداعي
تصميم فريق منهم على الإعراض، وهو الفريق الذي يمتد أنه على باطل، أما إذا كان المدعو
منهم على حق فله في ذلك مصلحة فإنه يسرع للخضوع لحكمه ﷻ وفي ذكر الله مع الرسول
ريادة تشجيع عليهم، فإعراضهم عن حكم الرسول الذي هو حكم الله تعالى لأنه ﷻ لا يحكم إلا

بما أراء الله كما في الآية (١٠٥) من سورة النباء صفحة ١٢٠ . ثم فصل سبحانه الأسباب التي يمكن أن تكون حاملة لهم على رفض التحاكم إليه صلوات الله عليه، ثم أبطلها وأثبت السبب الحقيقي فقال «في قلوبهم مرض» إلخ، والمراد هل العامل لهم على عدم التحاكم إليه ﷺ هو ما أصيبت به قلوبهم من عمى البصيرة فلم يدركوا الحق مع وضوح الدليل؟ أو شكوا في قدرته ﷺ على البحث والوصول إلى الحق؟ أو خوفهم من أن يظلمهم لشعورهم بكرهته لهم؟ لا لا، ليس الباعث لهم على موقفهم واحدا من هذه، بدليل أنه عندما يكون لهم الحق يخضعون لحكمه ﷺ، وإذا فالسبب الصحيح لرفضهم هو شدة ظلمهم لأنفسهم وللحق حتى صاروا كأن الظلم لا يوجد في غيرهم. ثم بيّن سبحانه أن ما حصل منهم من الإعراض والكذب في دعوى الطاعة ليس قول مؤمن حقا، فقال «إنما كان قول المؤمنين» إلخ: أي إنما كان قول سمعنا كلام الله ورسوله وأطعنا ما أمر به سواء وافق ما يحب أو كره هو قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم، وهؤلاء هم وحدهم المفلحون.

ثم بيّن سبحانه حالا من أحوال المفاقيين لزيادة فصيحتهما حتى يفر منهم فقال وأقسموا بالله بالفين عاية جهدهم في توكيد قسمهم قائلين لئن أمرنا بالحروج لنجهد وغيره لنخرجن، أي فتن طائفون لكل ما تأمر به. قل لهم أيها النبي أريحوا أنفسكم من الحلف كذبا، عطاعتكم المزيفة معروضة لكل من خبر أحوالكم فصلا عن علم علام الغيوب الذي أطلع رسوله على حقيقتكم. وعندما وبهم وفصحهم أراد سبحانه إرشادهم إلى طريق النجاة فقال قل لهم أيها النبي، أطيعوا الله فيما أمر به في كتابه، والرسول فيما بيّن من طاعة حالصة لا التواء فيها، فإن أعرضوا عن نصحتك فلا ضرر عليك إنما الضرر عليهم. وقل لهم إن الله يقول لكم إن الرسول ليس عليه إلا ما حملة الله تعالى من أداء الرسالة وقد أداها، وعليكم ما حملكم من التكليف وسيحاسبكم عليها، وإن تطيعوه تهتدوا للصواب، وليس على الرسول إلا التبليغ الموضح لما كلمتم به وقد فعل، وإنما بقي ما حملكم. فإن أدبتم فلکم، وإن توليتم فمعليكم ولما كان فيما سبق فضيحة لبعض من أظهر الإيمان، وكان هذا ربما يصعف من نفوس بعض حديثي العهد بالإسلام، خصوصا وهم محاطون بأعداء كثيرين، أراد سبحانه أن يطمئنهم ما داموا قائمين بما كلمهم به فقال - «وعد الله الدين آمنوا» إلخ....

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفْنَا
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ
 وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خُرُوجِهِمْ أَمَّا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي
 شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ مَتَّاعُونَ ﴿٢٦٦﴾
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِعُوا الرُّسُلَ فَهُوَ سَعِيدٌ
 ﴿٢٦٧﴾ لَأَخْلَسَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مَجْجَرِينَ فِي الْأَرْضِ
 وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْبَصِيرُ ﴿٢٦٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 يَسْتَفْهِسْكُمُ الَّذِينَ مَنَكْتُمْ أَنْ يَمُنَّ وَالَّذِينَ لَا يَنْظُرُوا
 أَحْلُمَ مِمَّا نَكَثَتْ أَمْرًا مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ
 تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ
 ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْضُ
 مَا نَفَخْتُمْ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ

المعصيات: ﴿ليستخلصهم في الأرض﴾
 أي ليجعلهم حكاما صالحين بعد قوم فاسقين
 أهلكهم بذنوبهم، انظر الآية (١٤) من سورة
 يونس صفحة ٢٦٧

﴿ليمكن لهم دينهم﴾ أي يثبت قواعده
 فيستقر ولا يتزعزع. ﴿مَجْجَرِينَ﴾
 الأرض: أي يعجزون الله تعالى بالهرب من
 عقابه.

﴿مأواهم النار﴾: أي مكابهم الذي يأوون
 إليه آخر الأمر. ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ المراد
 بالدين آمنوا هنا الذكور والإناث، كما تقدم

في الآية (٢٧) من هذه السورة صفحة ٢٦٦.

﴿ليستأذنكم﴾: الأمر وإن كان في الظاهر للمملوكين والصبيان فهو في الحقيقة
 للمحاطبين، قال ابن كثير: أمر الله المؤمنين أن يستأذنتهم في الدخول عليهم خدمهم وأطفالهم
 في ثلاث أوقات.

قال الأنوسي: المؤمنين أمروا أن يأمرؤا المذكورين بالاستئذان، كما أمروا أن يأمرؤهم
 بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، ويصربؤهم لتركها وهم أبناء عشر.

(١) الصالحات	(٢) المفسدون
(٣) الصلاة	(٤) آتوا
(٥) تركاة	(٦) مأواهم
(٧) آمنوا	(٨) ليستأذنكم
(٩) أيماكم	(١٠) ثلاث
(١١) مرات	(١٢، ١٣) صلاة
(١٤) ثلاث	(١٥) عورات
(١٦) مأواهم	

﴿الذين ملكت أيما نهم﴾ أى الذكور والإناث كما تقدم فى ﴿الذين﴾ قبلها. ﴿لم يبلغوا العلم﴾ قال فى لسان العرب العلم بضم فسكون، والاحتلام، هو أن يرى الصبى فى المنام ما يراه الرجل مع زوجته، فعلمه ﴿حَلَمَ﴾ بفتح اللام، والاسم منه الحُلُم بضمهتين، وهو البلوغ مبلغ الرجال.

﴿مكم﴾: أى من الأحرار، ذكوراً وإناثاً، قال يحيى بن كثير: إذا كان الغلام واعياً فإنه يستأذن فى الأوقات الثلاثة حتى على أبويه، فإذا بلغ فإنه يستأذن فى جميع الأوقات، أما الطمّل غير الواعى الذى لا يعرف عورات النساء فإنه لا يطلب منه الاستئذان، انظر الآية (٣١) من هذه السورة صفحتى ٤٦١، ٤٦٢ .

﴿ثلاث مرات﴾: قال أبو حيان المراد ثلاث استئذانات، يقول المرى: ضريت ثلاث مرات يريد ثلاث ضريات، ويؤيد ذلك قوله ﷺ الاستئذان ثلاث، وعلى ذلك يكون ﴿ثلاث مرات﴾ مفعولاً مطلقاً.

﴿من قبل صلاة الفجر﴾: أى أحد هذه المرات يكون قبل صلاة الفجر، وثانيها يكون حين تضعون... إلخ. ﴿تضعون﴾. أى تخضعون لثيابكم.

﴿من الظهيرة﴾. أصل معنى الظهيرة وقت انتصاف النهار، والمراد شدة الحر، والمعنى... وحين تحلمون لثيابكم من أجل شدة الحر. ﴿ثلاث عورات لكم﴾: أى هذه الأوقات ثلاث عورات لكم، وأصل معنى المورة الخلل.

يقال: أعوّز المكان، أى حصل فيه خلل. ومنه ﴿إن بيوتنا عورة﴾ انظر الآية (١٣) من سورة الأحزاب صفحتى ٥٥٠، ٥٥١، وأطلقت المورة على الأوقات المظنون كشف المورة فيها مبالغة كأنك جعلتها نفس المورة، كما تقول مبالعاً فى إثبات العدل لرجل: فلان عدل، أى عادل جداً، والمراد أن هذه الأوقات الثلاثة يحتل فيها التستر عادة.

﴿ليس عليكم ولا عليهم﴾ أى ولا على الذين ملكت أيما نهم والذين لم يبلغوا العلم. ﴿جناح﴾: أصل معنى الجناح الإثم، ولكنه أريد به هنا المعنى الذى يعم ذلك وكذا ما تأباه المروعة، والأدب، وبذلك صح أن ينفى الجناح عن الصغار الذين لم يبلغوا العلم، فإنهم وإن

كانوا غير محل للعقاب فبهم ما داموا يميرون بطلب منهم أن يتجنبوا ما تأباه المروءة والآداب، ويكون المعسر ليس عليكم يا أهل البيت دسب في عدم نهى العدم عن الدخول بلا إذن في غير هذه الأوقات، ولا على الكبار من العدم كذلك دسب في الدخول في غير هذه الأوقات أيضاً، ولا على الصغار منهم مؤاحدة أدبية إذا دخلوا كذلك.

﴿بعضهم﴾ أي بعد هذه لعورات الثلاث. ﴿طواهم عليكم﴾ هذا بيان للعذر الذي يحير ترك الاستئذان أي هم كثيرو الطواف عليكم لقضاء مصالحكم.

﴿بعضكم على بعض﴾ أي بعضكم طائف على بعض. فهذه الجملة مؤكدة لحكمة نهى الحرج، أي أن كلا منكم ومنهم لا يستمرى عن محاولة صاحبه، فهم يطوفون عليكم للخدمة، وثمة تطوفون عليهم للاستخدام، لأن من شأن العدم أن يكونوا في مكان معزل، ولم يكن هناك طريق لتكليفهم بشيء إلا بالانتقال اليهم ولا تفعل عما في هذا التعبير من جبر قلوب بعده حيث حميه بعضاً من المحاضبين وجعلهم متعاونين في الحياة بقدر مشترك بينهم حميها ولو تحتم الأمر بالاستئذان في كل وقت لأدى ذلك إلى الحرج والمشقة.

لعمري. وعد الله الدين أموا منكم وعملوا الصالحات بعير حريل، أكدوا باليعين، فقال ﴿يستحلهم﴾ أي والله ليحلهم قضاء في الأرض يعمرونها بالعدل كما استحل عباد الصالحين قلوبهم. الذين أقاموا العدل وبشروا الأمن، وأعدوا لحصومهم كل قوة، ولشبهت قواعد دينهم لدى ارتضاء لهم بتقويتهم وهدرتهم على الدفاع عنه. وليبدلهم من بعد حوهم بسبب قنهم وكثرة عدوهم أمناً بصبرهم على أعدائهم وذلك بسبب أنهم يداومون على عبادته سبحانه وحده ومن حذر البقاء على الكفر بعد ذلك هاولك هم الحارحون عن دائرة الهدية التائبون في الصلال.

وإذا كان هذا هو مصير الكافرين فاحذروا أيها المؤمنون السير في طريقهم واستعجبوا بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وأطيعوا الرسول في كل ما يأمر به راحين من ريكهم واسع رحمته

ولما كانت شوكة المشركين في هذا الوقت ظاهرة القوة، وكان ربما يعالج بعض النفوس خوف من بقاء هذا الوعد السابق، أراد سبحانه أن يزيل ذلك فقال ﴿لَا تَحْسِبَنَّ﴾ إلخ أي لا تظن أيها المحافظ أن الكافرين معجزين الله فلا يهلكهم مهما كانوا في أي قطر من أقطار الأرض، بل سيهلكهم ويجعل مكانهم في الأحرة النار، وقبعت النار مرجما.

ثم أراد سبحانه أن يبين آداب المعاشرة في الأسرة الواحدة قال المرحوم الشيخ إبراهيم الجبالي في رسالته (تفسير سورة النور). يكون مع المرأة في داره عادة جماعة ممن تربطهم به رابطة المعيشة، كأعضاء أسرته، وخدمه.

وهؤلاء تقتضي شؤون الحياة أن يحتلط بعضهم ببعض احتلاطاً متكرراً، وربما لا يتحاشى بعضهم أن يدخل على غيره في خلوته، ولا يلتفت إلى استئذان في كل مرة يريد أن يتصل فيها برهيقه في المعيشة، وما من واحد من الأسرة إلا وله شؤون خاصة يكره أن يطلع عليها غيره، فاحتاج الأمر إلى نظام واضح يحدد ما يضمن الراحة، ويزيل الحرج والمضايقة، فأنزل سبحانه هاتين الآيتين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ﴾ .. إلخ ..

والمعنى يا أيها الذين آمنوا من الذكور والإناث يجب أن يستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والصبيان المميزون الذين دون البلوغ في ثلاث أوقات يترك فيها الاحتشام عادة، هي الوقت الذي قبل المجر حير يقوم الإنسان من بومه ويخلع ثيابه ويلبس غيرها، وفي الوقت الذي تحلمون فيه ثيابكم من شدة الحر وقد لا يستر أحدكم إلا ساتر حميف، وإنما علق الحكم على خلع الثياب لا على الوقت لأن راحة الظهيرة تختلف باختلاف عوائد الناس، فبعضهم من يبادر بها، ومنهم من يؤخرها قليلا أو كثيرا؛ والوقت الذي بعد صلاة العشاء حين يأوي أحدكم إلى فراشه فيخلع ويلبس كما سبق، وقد يكون له عورة أخرى يؤذيه أن يطلع عليها أحد مطلقاً.

هذه ثلاثة أوقات يهمل فيها التستر عادة، ليس عليكم إثم في تركهم يدخلون بدون استئذان، ولا عليهم مؤاخذة في دخولهم كذلك، أي في غير هذه الأوقات لشدة حاجتكم إلى كثرة طواف بعضكم على بعض. كهذا الميار المديح لأدق الأحكام يُنزل الله تعالى آياته التي تتلى عليكم واصحة الدلالة على ما فيه مصلحتكم.

الْأَيْتِ ۖ وَآلَهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ وَإِذَا نَزَلَ الْأَحْقَلُ مِنْكُمْ
الْحُلْمُ فَلْيَسْتَقْبِلُوا كَمَا اسْتَقْبَلُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۚ وَآلَهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿١٦﴾ وَالْقُرْآنُ
مِنَ الْكِتَابِ الَّذِي لَا يَرُوحُ بِكَامٍ فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ
أَنْ يَصُومُوا فِيهِمْ مِنْ عَمَلٍ مَشْرُوعٍ ۚ وَكُلٌّ مِمَّا يَنْتَظِرُونَ
غَيْرَ لَكُمْ ۚ وَآلَهُ يَجْعَلُ عَلَيْهِمْ ﴿١٧﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ
وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْقَرْبِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى
أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ إِهْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ
أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُمْ

المضردات: ﴿كما استأذن الذين من قبلهم﴾: قال الزمخشري يريد سبحانه الذين ذكروا من قبل في قوله تعالى ﴿لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم﴾... إلخ الآية (٢٧) وما بعدها من هذه السورة، فيكون المعنى أن الصغار إذا بلغوا يكون لهم حكم الكبار المتقدم ذكرهم من عدم الدخول إلا بإذن في جميع الأوقات.

وإن كان ما سبق في حكم دخول بيوت الغير من أبوابها، وما هنا في دخول الحجر الخاصة في البيت الواحد التي يكره من

يكون بداخلها أن يراه أحد إلا وهو على حالة لائقة.

﴿القواعد﴾ جمع قاعد، وهو من الصفات الخاصة بالنساء كالحائض والمطائق، والمراد بها

المجائز الثلاثي يقلب عليهن القعود في البيت.

﴿لا يرحون نكاحاً﴾: أي لا يطعن في الزواج لعدم الرغبة فيهن.

﴿غير متبرجات﴾: التبرج تكلف إظهار ما يجب إخفاؤه، وأصله الخروج من البرج وهو

(١) الآيات	(٢) الأطفال
(٣) فليستأمنوا	(٤) استأذن
(٥) آياته	(٦) القواعد
(٧) الثلاثي	(٨) متبرجات
(٩) آياتكم	(١٠) أمهاتكم
(١١) إخوانكم	(١٢) أخواتكم
(١٣) أعمامكم	(١٤) عماتكم
(١٥) أخوالكم	(١٦) حالاتكم

القصر كما في الآية (٧٨) من سورة النساء صفحة ١١٤ ثم استعمل في خروج المرأة من الحشمة.

﴿أنفسكم﴾: المراد ابنائكم الدين هم كأفسكم، ونظيره ﴿أنفسكم﴾ هي.

﴿فاسلموا على أنفسكم﴾ الآية في هذه الآية أيضاً.

﴿مفاتيحه﴾: جمع مفتاح كمبرد وهو ما يفتح به، انظر صفحة ١٧١ .

﴿صديقكم﴾. الصديق يطلق على الواحد والأكثر كالمص في قوله ﴿وهم لكم عدو﴾ صفحة ٢٨٨، والصديق مَنْ يصدقك في مودته وتصدقته فيها.

﴿أشتاتاً﴾ مفردة شتيت بوزن كريم، أى متفرق والمراد متفرقين

المعنى: جرت عادة الله سبحانه أن ينزل الآيات الدالة على ما فيه خيرلكم، والله عليم بمصالح عباده، حكيم فيما يشرعه لهم.

ولما كان ما تقدم يفيد أن الأطمال يجوز لهم الدخول بفجر إذن هي غير هذه الأوقات الثلاثة، وإنما ذلك ربما يوهم أنهم لو بلغوا يعتصر لهم الدخول في غيرها لمباقي تعودهم ذلك، دفع ذلك بقوله ﴿وإذا بلغ الأطمال منكم العلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾ في الآية (٢٧) وما بعدها من هذه السورة، ثم أكد عنايته بتوضيح الأحكام ليقطع العذر فقال: ﴿كدلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾.

وظاهر الآية الأولى (٥٨) أنه لا حرج في الدخول بعير استئذان فيما بين صلاة العشاء وصلاة العجر، وهذا الظاهر غير مراد، بل لا يجوز الدخول في هذا الوقت أيضاً إلا بإذن وإنما لم تتمرس له الآية مفهوم من باب أولى، ولأن العادة جرت على المنع منه مطلقاً، لأن الدخول في وسط الليل من غير علم المدخول عليه فيه من التهمة ما لا يحصى خطره، لذلك لم يكن مظهره دخول الغير فيه. وقد أخذ العلماء من الآيتين أحكاماً وآداباً لها فيمتهن، قال عطاء بن رباح لابن عباس: هل استأذن على أخوات لي أيتام يمشن معي تحت رعايتي في بيت واحد؟ قال ابن عباس نعم تستأذن عليهن. قال عطاء فريدت عليه طالباً أن يرجع لي هي

عدم الاستئذان، فأبى وقال: هل تحب أن تراها عريانة؟ قلت لا. قال: إذا فاستأذن. وأخرج مالك في الموطأ عن ابن يسار أن رجلاً قال للنبي ﷺ: هل استأذن على أمي؟ قال ﷺ: نعم. قال: ليس لها خادم غيري فهل استأذن عليها كلما دخلت. قال ﷺ: هل تحب أن تراها عريانة؟ قال لا. قال ﷺ: فاستأذن عليها.

وسئل رباح هل يستأذن الرجل على امرأته؟ قال لا. قال ابن كثير، وهذا محمول على أنه غير واجب، وإلا فالأولى أن يعلمها بأن سيدخل عليها، ولا يفاجئها لاحتمال أن تكون على هيئة لا تحب أن يراها عليها. ولهذا كان عبدالله بن مسعود إذا دنا من باب بيته تتحجج كراهة أن يصادف أهله على حالة مكروهة، وهذا مفهوم من أنه ﷺ لما وصل المدينة نهراً، فادماً من إحدى عزواته، عسكر بجيشه خارج المدينة، وقال: انتظروا حتى ندخل آخر النهار، بعد أن يعلم مساؤكم قدومكم حتى لا يفاجأ بكم، وهم على حالة لا تحبونها.

وهي هذا قال ابن عباس: إن الله ستير يحب الستر لعباده. وروى عن ابن عباس أيضاً أنه قال: تهاون الناس بهذه الآية.. وإنى لأمر زوجتي أن تستأذن عليّ. وقال ابن مسعود عليكم أن تستأذنوا على آبائكم، وأمهاتكم، وإخوانكم، وأخواتكم... ويؤخذ من الآيتين أيضاً أن العادة التي كانت غالبة عند القوم هي المصارعة إلى المراهة عقب صلاة العشاء، وعدم السهر إلا للحاجة، أما إذا جرت العادة بالسهر بعد صلاة العشاء، فإنه يجب أن نلاحظ عادة القوم، وعلى ذلك يمتنع الدخول بغير إذن في الوقت الذي تعودوا الشروع في نوم فيه، وأحد العلماء أيضاً من قوله تعالى ﴿من قبل صلاة الفجر ومن بعد صلاة العشاء﴾ أنه يوحى بأن الأفضل تعجيل النوم بعد صلاة العشاء ليكون المرء وهو مقبل على الموتة الصغرى بعيداً عن اللغو وما قد يجر إليه السهر مما هو أقبح من اللغو، كما يوحى أيضاً بفصل التذكير في اليقظة قبل صلاة الفجر، لأن في ذلك مساعدة على التعجيل بالنوم بعد صلاة العشاء، كما أن القيام المبكر فيه نشاط للحسم وبركة في اليوم الذي يستقبله.

والمعائز من النساء اللاتي لا يطمعن في الزواج لا إثم عليهن في أن يخلعن ثيابهن الظاهرة التي لا يعضى حلقها إلى كشف عورة من عوراتهن حال كونهن غير قاصدات إظهار زينة خمبة كالشعر والصدر والساق، أي لا يقصد بخلع الثياب التبرج بل التخميف، وأن يطلبن العفة بعدم خلع الثياب حير لهن لما فيه من الاحترام والبعد عن كل شبهة إذ ما من ساقطة إلا ولها لاقطة، والله سميع لأقوالهن، عليم بقصدهن من كل قول وفعل.

ثم بين سبحانه أحكام بعض أنواع المعاشرة مما كانت تختلف فيه الأنظار من تخرج وعدمه، فمن ذلك الأكل مع ذوي العاهات كالأعمى والأعرج، فقد كان هؤلاء يتخرجون من الأكل مع الأصحاء لأن الأعمى يخشى أن يظهر منه ما يتقرز منه البصير، والأعرج قد يضطر إلى جلسة قد تضايق غيره، والمريض شديد الإحساس يخشى أن يتأذى منه غيره، وكان من الأصحاء من يتحاشى أن يأكل مع واحد من هؤلاء الثلاثة ليعتمد عن إحراجه ويتركه يأكل وحده ليكون مطمئناً، ومن ذلك ما كان من عادة من يخرج للجهاد من أثرياء المؤمنين ويتركون في المدينة أصحاب الأعداء الفقراء الذين كانوا كثيراً ما يأكلون من بيوتهم أي بيوت الأثرياء في حال وجودهم، وكانوا يسمحون لهم بالأكل منها في حال غيابهم فكان هؤلاء الصنفاء يتخرجون من ذلك، وكان من عادة بعض القبائل أن الرجل لا يأكل وحده فكان أحدهم ينتظر من يشاركه من ضيف أو ابن سبيل، وربما مكث ينتظر يوماً كاملاً.

وكل هذا تضيق لا معنى له، فرفع سبحانه كل هذا الحرج ووسع الأمر في معاملة المؤمنين بعضهم لبعض متى حسنت النيات فقال تعالى: ليس على الأعمى ومن في حكمه تضيق في أن يأكل مع السليم، فليس من شأن النفوس المهذبة أن تعنى بهذه الأمور التافهة فضلاً عن أن المؤمنين أخوة، وكذلك ليس عليهم ولا على الأصحاء جناح أن يأكلوا من بيوت أبنائهم الذين هم كأنفسهم، لأن كسب الولد ملك أبيه، إلى قوله، أو بيوت إخوانكم الذكور أو بيوت أخواتكم الإناث، إلى قوله، أو بيوت من ملككم مما تبيعها وأبى لكم في ذلك، أو من بيوت أصدقائكم الذين تطيب أنفسهم بذلك، ليس عليكم حرج في أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين. ثم بين سبحانه الأدب الذي يراعى عند دخول تلك البيوت التي أدن بالأكل منها فقال: ﴿فإذا دخلتم بيوتاً﴾ إلخ.

يُرْنَا فَمَلُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ نَجْةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَبْرَكَةً عَلَيْهِ
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١﴾
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا
مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنَهُ الْإِنَّمَانُ
يَسْتَأْذِنُكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا
اسْتَأْذَنُوكَ لَمَعْصِ شَيْئٍ قُلَدَّ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ
لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بِبَعْضٍ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَفِزُّونَ
مِنْكُمْ لِيُؤَدَّ عَلَيْهِمُ الَّذِينَ يَخْلَفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ يُصِيبَهُمُ
غِيَاةٌ أَوْ يَصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٣﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَالِكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ
فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٤﴾

المفردات: ﴿مَلُوا﴾ على أنفسكم: أي
على أهلها الذين هم إخوانكم كأنهم أنفسكم.
﴿تعية﴾: مصدر لاسلموا من معناه كقعد
جلوساً.

﴿مباركة﴾: محتوية على زيادة الخير
والثواب. ﴿طيبة﴾: تطيب بها نفس المستمع.
﴿أمر جامع﴾: أي مهم يجمع الناس للتشاور
فيه.

﴿لا تجعلوا دعاء الرسول﴾... إلخ أي لا
تجعلوا دعاءكم للرسول كدعاء بعضكم بعضاً

فهو مصدر مضاف لمفعوله كقولك حد الرائي قال قتادة والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد:
أي لا تتادونه كما يماذي بعضكم بعضاً باسمه مع رفع الصوت بحالة تدل على عدم الاعتناء
بالمخاطب، فقد كانوا يقولون بصوت مرتفع بخشونة يا محمد أو يا أبا القاسم، هارشداهم
سبحانه بأن ينادوه بما فيه احترام لمعنا وصوتاً بأن يقولوا يا رسول الله أو يا نبي الله مع
صوت خفيض مشعر بالأدب.

وكان من نتيجة هذا التأديب الإلهي أن أغلبهم كان إذا أراد أن يخاطب النبي ﷺ يقول يا
رسول الله بآبي أنت وأمي (أي أفديك بآبي وأمي). ﴿يتسفلون﴾: ينفلون ويخرجون من
الجماعة تدريجاً هي خفية. ﴿لواداً﴾. أي ملاوذة وهي مصدر من ملاوذاً بمعنى استتر وهو فعل
واوى وأما (لاد) بمعنى لجأ فمصدر يائي (لياداً) وهنا ﴿لواداً﴾ أي ملاوذة بأن يستتر بعضهم

ببعض حتى يعرج. قال أبو داود كان لا يخرج أحد من الصحابة من مجلسه ﷺ إلا لعذر كرعاف أو حدث فكان يشير بيده له ﷺ مستأذناً فيشير له ﷺ إذا بيده، وكان بعض ضعاف الإيمان والمهاجرين يقوم منصرفاً إلى جنب من استأذن بمسئره، أو يوهم أنه من أتباعه أو يريد منه شيئاً مهماً. «يخالفون عن أمره»، صنف يخالفون معنى الإعراف فعداه بحرف «عن» وأصله يتعدى بنفسه فيقال يخالفون أمره، والمعنى يخالفون تعاليم ربهم حال كونهم معرضين عن أمر رسوله لهم باتباع ما شرع الله. «إلا»: كلمة تدل على تنبيه المحاطب للعناية بما بعدها. «قد يعلم الله»: إلخ «قد» حرف يعيد تحقيق العلم بعده، فميه ريادة تهديد لهم وتخويفهم منه سبحانه ومثلها «قد يعلم ما أستم عليه» الآية في الآية (٦٤) من نفس السورة

المعنى: - بعدما أدن سبحانه في الأكل من تلك البيوت بين أنه ليس معنى هذا أن يقتحمها الإنسان بدون إذن فقال: فإذا دخلتم بيوتاً من البيوت التي أدن لكم بالأكل منها فابدعوا، دحواكم بالسلام على أهلها الذين هم منكم وأستم منهم كأنهم أنفسهم تسليماً مأموراً به من عند الله، فهو مؤكد ومبارك بريادة الثواب وتقوية الروابط الطيبة بتلك التحية نفس من تحيونه ويستريح لها. كهذا البيان الواهي يبين لكم الآيات لتعقلوا ما احتوت عليه من منافع طيبة وهدية. وبعدها بين سبحانه آداب مخالطة الناس بعضهم بعضاً شرع في بيان آدابهم بالنسبة لرسوله ﷺ وما يجب أن يكونوا عليه بالنسبة له من تمام الانقياد، وكان المهاجرون لا يطبقون طول الاجتماع به ﷺ لشدة كراهتهم له، وللخوف من أن تنزل سورة تمضهم في مجاهبتهم، انظر الآية (٦٤) من سورة التوبة صفحة ٢٥١، فكانوا يحتالون في الانصراف من مجلسه ﷺ بحيل شتى، منها أنه إذا استأذن أحد لعذر صحيح يتمسك به أحدهم، أو يزعم أنه يريد منه شيئاً، إلى غير ذلك. فقال سبحانه لمخاربة هذا الحداغ: «إنما المؤمنون» إلخ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه، إن الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستعفر لهم الله إن الله عفور رحيم. والمعنى أي ليس هناك مؤمنون حقاً إلا من جمعوا ثلاث صفات الإيمان بالله، والإيمان برسوله، والمحافظة على البقاء مع رسوله في كل اجتماع يدعوه إليه لأمر مهم، وهو لا يدعو إلا لذلك، ولا يصرفون من مجلسه إلا بعد استئذان

منهم وادن منه ﷺ ثم أعاد سبحانه هذا الحكم بأسلوب آخر جعل فيه الاستئذان من علامات صدق الإيمان فقال إن الذين يستادبوك أولئك هم الذين يستحقون أن يكونوا وحدهم هم المؤمنون بالله واليوم الآخر. ثم أرشد سبحانه المؤمنين الصادقين إلى أن الاستئذان لا ينبغي أن يكون لكل طارئ ولو كان نافعاً بل قصره على المهم. وإلى أن الإذن وعدمه متروك لمشيشته ﷺ وتقديره للأمور فيقدم الأهم على المهم. وإلى أن الأولى بالمؤمنين أن يتحاشوا الانصراف عن مجلسه ﷺ ولو بعد الإذن إلا للضرورة القصوى لأن المصلحة العامة فوق كل مصلحة شخصية يرشد إلى هذا قوله سبحانه «واستمعوا لهم» أي ما قد يحظنون في تقدير أهميته في كل هذا قال سبحانه. فإذا استادبوك للمهم من شئوبهم فادن لمن شئت منهم وهو من صحت صحة تقديره للأمور. واستمعوا لهم لما عساه أن يكونوا أخطأوا فيه. إن الله عموماً لهصوات المؤمنين. رحيم بتيسير الإذن لهم. ثم بيه سبحانه لحظر التساهل في معاملته ﷺ وقياسها على معاملة غيره. ويجرى هذا الحكم الآن في كل أمر مهم يدعو إليه رئيس الدولة العادل فقال «لا تجعلوا دعاء الرسول» إلح أي لا تجعلوا دعاءكم للرسول كدعاء بعضكم بعضاً. أي لا تتادونه كما ينادى بعضكم بعضاً. انظر مفردات هذه الصفحة تجد تفصيلاً لذلك ثم هدد سبحانه من تحدثه بمسه بالانصراف عن مجلسه ﷺ فقال محذراً لهم بأنه عليم بأعمالهم: قد يعلم الله الذين يتسللون منكم ملاوذة.

وإذ كان سبحانه يعلم قطعاً كل حركاتهم وبياناتهم فليحذر الذين يحالسون تعاليم ربهم معرضين عن أمر رسوله أن تصيبهم فتنة أي بلاء عظيم بالمصائب، أو عذاب شديد بالقتل وهم على المعصية.

ثم بين سبحانه أنه قادر على إيقاع ما هدد به فقال «إلا» أي تنبهوا لما حذرتكم منه فإن كل ما هي الكون مملوك له تعالى. فلا يعرج أحد عن قصة ملكه.

ثم هدد من جهة أخرى وهي حجة علمه بكل تصرفاتهم فقال مؤكداً علمه قد يعلم سبحانه ما أنتم عليه من النفاق ثم أعرض عن خطائهم احتقاراً لهم فقال «ويوم يرجعون إليه» أي يوم يرجع المصالحون إليه وهو يوم القيامة سيحبرهم بما عملوا نوبيحاً لهم على رعوس الأشهاد. والله بكل شيء عليم فهو سبحانه لا يحمي عنه صغيرة ولا كبيرة من أعمالهم وغيرها. والله تعالى أعلم

سورة الفرقان

(٢٥) سُورَةُ الْفُرْقَانِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأَ لَهَا تَسْنِيعٌ وَنُفُوسٌ حَيَّةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي رَزَقَ الْفَرْقَانَ عَلَى عَذْبَةٍ لَّيْسَ كُنَّ لِّلْعَالَمِينَ
نَذِيرًا ۝ الَّذِي لَمْ يَلِدْكَ الْمَرْءُ وَتُتَمَنَّى ۝ وَالْأَرْضُ وَمَا عَلَيْهَا
وَلَمَّا رَزَقْنَاهُ يُحْسِنُ ۝ لَمْ يَكُن لِّكَ فِي السَّمَاءِ خَالِقٌ كُلُّ شَيْءٍ
فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ۝ وَأَنذَرْنَاهُ مِن قُوَّةِ رَبِّهِ ۝ فَكَيْفَ لَا يَخْلُقُونَ
شَيْعًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ۝ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا
وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا فَسَادًا ۝ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِنَّا هَذَا إِلَّا فَنَّا أَفْتَرْتُمُوهُ وَأَعْلَمُ عَلَيْهِ قَوْمٌ فَاكِرُونَ
قَدْ جَاءَكُمُ ظُلُمٌ وَزُورٌ ۝ وَقَالُوا اسْتَطِيعُ الْأَوَّلِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

العصدرات : «تبارك» : هذا العمل لم يرد
من مادته غيره فلا مضارع له ولا أمر ومادته
تدل على معنى الريادة في الخير والمراد منه
هنا تعالى قدره وترايد تنزيهه عن كل نقص
«الفرقان» : أصله شديد الفرق بين شيتين
والمراد هنا القرآن الصارق بين الحق والباطل
«نذير» أي محذرا من عقاب الله عز

وحل

«شورًا» أصل الشور هو الحياة بعد الموت يقال بشر الميت سور دحر إذا دبت
فيه الحياة وأشوره لله أي أحياءه انظر الآية (٢٢) من سورة عبس صفحة ٧٩٢ ويطلق الشور
على اليقظة بعد نوم لأن النوم هو الموتة الصغرى كما هي الآية (٤٧) لأنية هي هذه
لسورة صفحة ٧٥ والمراد هنا القيام من قبور المراد هي صفحة ٧٩٢ «إن هذا» «ن»
حرف نفي بمعنى (ما) «أفك» أي كذب انظر الآية (١١) من سورة النور صفحة ٥٨ :
«هتراد» أي اخترعه محمد ﷺ وسنه لله تعالى «قوم اخرون» يريسون بعض من سلم
من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام «استطير» جمع استطورة وهي الأكذوبة

المعنى ارتفع شأنه سبحانه وتعالى عما يقوله الممثلون من أن له ولدا أو شريكا، ومن
الطعن في رسوله الذي نزل عليه القرآن الصارق بين الحق والباطل ليكون للعالمين نذير

وبشيرا أيضا. وإنما اقتصر على التحذير لأن أغلب السورة في إبطال ما رجمه الكافرون مما ستعلمه. ولا يناسب الكافر إلا الإندار، انظر شرح الآية (٤٦) من سورة القصص صفحة ٥١٢، لله وحده الذي له ملك السموات والأرض، فكل من فيها عبيده، فلا يصح أن يكون منهم ولد ولا شريك، وهو الحائق لكل شيء، وقدره أي هبأ لما أراد منه من الأفعال اللائقة به تقديرا بديعا لا احتلال فيه، ومن العجيب أن يتخذ المشركون المشار إليهم بقوله ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ﴾ من دونه سبحانه آلهة عاجزين لأنهم لا يخلقون شيئا بل هم أنفسهم مخلوقون له سبحانه، ولا يستطيعون لأنفسهم دفع صر ولا جلب نفع فضلا عن أن تملك شيئا من ذلك لغيرها. ولا يملكون موت أحدكما بعينه الله سبحانه ولا إحياء ميت في الدنيا ولا بعثا له في الآخرة. وقال الكافرون من مشركي العرب

ما هذا القرآن إلا كذب اخترعه ولم يرثه ربه وأعانه على اهترائه قوم من اليهود الذين عندهم أخبار الأمم الماضية فيلقونها عليه وهو يزعم أن ربه أرسلها عليه، فقد أتى الكافرون بهذا القول ظلما للحق ولأنفسهم وكذبا باطلا، انظر تفصيل ذلك في شرح صفحة ٥١٢ ومن المكابرة المصنوعة أن يمؤ صناديد الكفر بمكة على البسطاء بهذا البهتان الواضح بعد أن سجل عليهم القرآن المعجز عن الإتيان بمثله في الآية (٨٨) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٦. ولا فكيف تقبل القول أن يستعين الرسول بقله من اليهود الذين أسلموا في وقت هو فيه أعزل من كل سلاح مادي بل يتابعه الاصطهاد هو ومن آمن معه.

وهؤلاء الكفار يملكون كل أسباب القوة من العدد الكثير والمال الوفير مما يسحرون به الكثرة من اليهود الحانقين على الرسول ﷺ الذين حاربوه بكل ما يستطيعون إلا هذ السلاح، فلو كانوا يستطيعونه لما سكنوا عن إمداد الكفار به طرفة عين. ثم بين سبحانه كيفية ما زعموه من الاستعانة باليهود فقال:

وقالوا أي المشركين : هذا القرآن هو أساطير الأولين . إلخ

اَكْتَتَبَهَا مِنْ تَمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ⑤ قُلْ أَنْزَلَهُ
الَّذِي يَعْلَمُ الْسِرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ مُعِزًّا
رَحِيمًا ⑥ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ
وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ مِّنْ سَمَوَاتِ
مَعِينٍ ⑦ أَوْ يُنَزَّلُ إِلَيْهِ كُرْسِيُّ أَوْ تُكُونَ لَهُ رَحَّةٌ يَأْكُلُ
مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَحَلًا مَّتَشَوْرًا ⑧
أَطْرَفَ كَيْفَ صَرَّيَا لَكَ الْأَمْثَلُ فَصَبُّوْهُمَا فَلَا يَسْمِطُحُونَ
مَعِيلاً ⑨ تَتَّارَكَ الَّذِي إِذَا شَاءَ حَمَلَ لَكَ خَبْرًا مِّنْ ذَلِكَ
جَنَّتْ تَحْرِي مِنْ تَحِبِّ الْأَنْهَارِ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ⑩
بَلْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَعْدَا لِمَنْ كَذَّبَ بِآيَاتِنَا سَجِرًا ⑪
إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَّكَائِدٍ بُعِيدٍ ضَحِكُوا لَهَا تَعِبًا وَرَفِيرًا ⑫
وَإِذَا الْقُرْآنُ يُنْزَلُ مِنْ سَمَوَاتٍ مَّقْرُونٍ دَعَا هَٰلِكَ لِيُخْبِرَ ⑬

المفردات : : «اكتتبها» : أى طلب أن
تكتب له . «تملى عليه» : أى تلقى عليه بعد
كتابتها لحفظها . «بكرة وأصيل» : البكرة
أول النهار، والأصيل آخره، والمراد دائماً .

«مصحوراً» : تقدم في صفحة ٢٧٠ .

«تبارك» : تقدم في الصفحة السابقة .

«إذا رأتهم» : المراد إذا كانت بمرأى منهم .
والعرب تقول قرأت نار القبيلتين إذا رأت كل
قبيلة الأخرى؛ ومنه قوله ﷻ في التفسير من
مجاورة الكفار إذا كان فيها خطر على الدين
«إن المؤمن والكافر لا تترأى نارهما» .

«تفيظاً ورهيراً» : أصل التفيظ إظهار

الفيظ من شدته بصوت يفارقه وذلك لأن الفيظ هو اصعال مؤلم في داخل القلب لا يظهر إلا
أثره، والرهير النقص الخارج بشدة، والمراد المبالغة في أن حهم يخرج منها صوت كأنه صوت
المفيظ المكروب، انظر آيتي (٨، ٧) من سورة الملك صفحة ٧٥٥، والعرب تقول في القدر
شديد الغليان، قدر معتاط، ونقول تفيظت الظهيرة إذا اشتد حرها «مقربين» أى مقيد كل
واحد مع شيطانه في الأعلال. انظر الآية (٤٩) من سورة الحجر صفحة ٢٢٧ «دعوا» أى
نادوا «هالك» أى في هذا المكان الصيق «ثوراً» أى هلاكاً. فيقولون يا هالك أدركنا
لنستريح، انظر الآية (٤٠) من سورة النبا صفحة ٧٨٨ .

المعنى . ومن اقتراء كفار مكة قولهم عن القرآن إنه مجرد أحاديث أعليها مكروب طلب
أن تكتب له، فهي تتلى عليه مراراً ليحفظها قل أيها النبي رد عليهم ليس الأمر كما
تزعمون، بل هذا القرآن أنزله الله تعالى الذي يعلم كل سر في السموات والأرض، ولد تحدون

ما فيه من احبار الغيب والأسلوب المعجز الذي لا يصل إليه غيره تعالى، انظر الآية (٤٦) من سورة القصص صفحة ٥١٢، فإنكاركم له يوجب عذابكم، لكنه سبحانه أمهلكم ليملككم من التوبة لأنه غفور رحيم دائماً. وقال هؤلاء الكفار على سبيل التهكم به ﷺ ما لهذا الذي يرغم أنه رسول يأكل الطعام كما يأكل، أي ماهو الشيء الذي يميزه عما وحمله يدعى النبوة مع أنه يأكل ويشرب كما يفعل؟ ويمشي في الأسواق لطلب الرزق كما يفعل؟ وطبوا لقصر عقولهم أن التمييز لا يكون إلا بالحسيات لا بالعصائل البسيطة، فقالوا ﴿لولا﴾ أي ههنا أنزل إليه ملك من عند الله فيكون مساعداً له على إمداد الحلق ليصدقوه، أو ينزل الله عليه كنزاً من السماء يفيق منه حتى لا يحتاج إلى المشي في الأسواق، أو تكون له حبة أي بسناً يأكل من ثمره كالأغصاء. ثم بعد كل هذا الصلال قال هؤلاء الكافرون الظالمون لأنفسهم ما تتبعون إن اتبعتم إلا رجلاً سحر فاحتل عقله، ثم أعرض عنهم سبحانه والنمت لرسوله معاطفاً مسلماً فقال انظر أيها السبي و عجب كيف قالوا في حقت الأقاويل العجيبة الحارحة عن العقول البالغة لعرابتها مبلغ الأمثال السائرة فيقول بذلك متحيرين في الصلال لا يجدون طريقاً يوصلهم للحق، تبارك الذي إن شاء جعل لك في الدنيا حيراً لك مما اقترحوه وهو أن يجعل لك فيها مثل ما وعدك به في الآخرة من جمات تجري من تحت أشجار كل واحدة منها الأنهار، ويجعل لك فيها قصوراً ولم يرد على طلبهم أن يكون ملكاً لا يأكل الطعام لأنه رد عليه في مواضع أخرى منها نيتي (٩١ - ٩٥) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٧، ولأن كونه ملكاً يناهى حكمته في خلق الدنيا وهي ترك الناس فيها أحراراً، ولو نزل ملكاً من السماء لأجبروا أو أفناهم، انظر الآية (٨) من سورة الأنعام صفحة ١٦٣، وبعد ما فرغ سبحانه من حكاية أباطيلهم في أمر التوحيد و النبوة انتقل إلى حكاية باطل آخر متعلق بأمر الآخرة ليكون مقدمة لبيان ما أعد لهم فيها من الشقاء فقال بل كذب هؤلاء الكفار بالساعة أي يوم القيامة، وهياناً لمن كذب بها من أمثالهم نارا مستعرة إذا واجهتهم عن بعد سمعوا لها تغيظاً ورفيراً تتلع له قلوبهم. عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال جهنم ترهر رهرة لا يبقى أحد إلا حاف، وإذا ألقنهم الملائكة في مكان ضيق منها لزيادة نكدهم حال كونهم مقربين في السلاسل نادوا الهلاك لينقذهم، فيقولون يا هلاك أدركنا نستريح انظر الآية (٤٠) من سورة البأ صفحة ٧٨٨.

لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ نَجْرًا وَاحِدًا وَادْعُوا نَجْرًا كَثِيرًا ﴿١٦﴾
 قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ
 لَهُمْ جَرَّاءٌ وَمَعِيرًا ﴿١٧﴾ هُمْ فِيهَا مَبْتَاعُونَ خَالِدِينَ كَانَ
 عَن رَّبِّكَ وَعْدًا مَّسْفُورًا ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ سَحَابٌ مِّمَّكَ
 مِن دُونِ أَفْئَةٍ يَقُولُ هَٰئِنْتُمْ أُعْلِنْتُمْ عِبَادِي هَٰذَا لَدَاءُكُمْ هُمْ
 سَلَوا النَّبِيلَ ﴿١٩﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يُمَنِّي لَكَ أَنْ
 تُخِذَ مِن دُونِكَ مِن أَوْلِيَاءَ وَلَنُكْرِ مُتَعْتِمِهِمْ وَهَٰئِلَةٌ هُمُ حَقٌّ
 نُّسُوا الَّذِي كَرُّوا كَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿٢٠﴾ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ بِمَا
 تَقُولُونَ قَالَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِم مِثْرًا
 نُنْفِخْ عَذَابًا كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ
 إِلَّا إِنَّهُمْ لَبَاءٌ لَّا كُلُّوا الطَّعْمَ وَتَشْتَوْنَ فِي الْأَمْوَالِ وَجَعَلْنَا
 بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٢﴾

المضردات . ﴿لهم فيها ما يشاءون﴾ ولا
 يقال العهد الصالح كل ما يشتهى إلا هي
 الجنة، أما في الدنيا فلا! فقد سأل نبينا ﷺ
 المفسرة لعمه ولم يُجب، انظر الآية (١١٢) من
 سورة التوبة صفحة ٢٦١؛ وسأل نوح نجات ابنه
 فلم يُجب، انظر آيتي (٤٥، ٤٦) من سورة هود
 صفحة ٢٩١، إلى غير ذلك، انظر الآية (٣١)
 من سورة المثل صفحة ٣٤٩، والآية (٣٤) من
 سورة الزمر صفحة ٦١١، والآية (٣٥) من
 سورة ق صفحة ٦٩١.

﴿الذكر﴾ : أي تذكر ربهم وعقابه.

﴿بوراً﴾ : البور لفظ يطلق على الواحد.

والمتعدد، ومعناه هاسد هالك لا حير فيه. ﴿بما تقولون﴾ . الباء بمعنى هي، أي هيما
 تقولون.

﴿صرفاً﴾ : دفعا للعذاب عنكم.

﴿ولا نصراً﴾ أي لا تستطيعون الحصول على نصر من أحد يساعدهم على دفع العذاب
 عنكم.

المعنى : . أنهم لما طلبوا الهلاك ليستريحوا تقول لهم الريانية لا تطلبوا هلاكاً واحداً بل

(١) واحداً

(٢) حالدين

(٣) أنتم

(٤) سبحانه

(٥) أيهم.

اطلبوا هلاكاً كثيراً المراد أن عذابكم سيبتدد ويستمر بلا انقطاع خصوصاً عند تجدد جلودكم كما في صفحة ١٠٩، ثم يوجه الخطاب إليهم تهكماً وتقريعاً، فيقال لهم، هل ما أنتم فيه من المذاب خير أم الجنة الحالد نعيمها التي وعد الله بها عباده المتقين، كانت في علم الله جراً لأعمالهم، ونهاية يرجعون إليها، لهم في هذه الجنة ما يريدون.

ومن لطف الله بهم أن لا يلقى في خاطر أحدهم الشعور بأن لغيره منزلة أعلى من منزلته فلا يلتفت لحال غيره ممن هو أشرف منه بل يكونون جميعاً إخواناً متحابين، انظر الآية (٤٧) من سورة الحجر صفحة ٢٤١، كان ما يشاءونه موعوداً به منه تعالى مستولاً، أي يطلبونه من ربهم فيجيبهم كما في الآية (١٩٤) من سورة آل عمران صفحة ٩٥، وتطلبه لهم الملائكة كما في آيات (٧، ٨، ٩) من سورة غافر صفحة ٦١٨، واذكر أيها النبي لمشركي مكة معذراً لهم ما سيحصل لهم يوم يحشرهم ربهم هم والملائكة التي عبدوها من دون الله كما في الآية (٢٦) من سورة الأنبياء صفحات ٤٢٢، ٤٢٣، والآية (٤٠) من سورة سبأ صفحة ٥٦٨، ثم يقول سبحانه للملائكة: هل أنتم أضللتم عبادي بطلبكم منهم أن يعبدوكم، أم هم الذين ضلوا طريق الصواب من تلقاء أنفسهم.

وسؤال معبود المشركين هذا كمسؤال معبود النصاري في الآية (١١٦) من سورة المائدة صفحات ١٦٠، ١٦١، وإنما سأل سبحانه هذا السؤال ليجهبوا بما أجابوا به لزيادة تبكيت المشركين وحسرتهم، فتعجبت الملائكة من هذا السؤال بقولهم سبحانه ما كان يصح لنا أن نعتقد موالاته من أي نوع بيننا وبين غيرك، انظر الآية (٤١) من سورة سبأ صفحات ٥٦٨، ٥٦٩.

ثم أيدت الملائكة أنهم هم الذين ضلوا، وبينت سبب ذلك فقالت: ليس سبب ضلالهم هو إضلالنا لهم، بل السبب هو فساد طبيعتهم حيث قابلوا نعم ربهم بالكفر كما في الآية (٢٨) من سورة إبراهيم صفحة ٢٢٤ هانت يارب لما أنعمت عليهم بالصحة والمال والأولاد لم يصرفوها في عمارة الأرض ونفع الخلق بل اشتغلوا بملذات الحياة حتى غفلوا عن ذكرك، وكانوا بسفهم هذا قوماً هالكين.

وبعد ذلك يلتفت سبحانه للمشركين ليقيم الحجة عليهم فيقول **«فقد كذبكم من عبثتموهم في قولكم إنهم الهة. هضرتم الآن لا تستطيعون دفع العذاب عنكم، ولا نحصلون على نصر من أحد يساعدكم على دفعه.**

ثم خاطب سبحانه جميع المكلفين فقال **«ومن يظلم منكم نفسه بالكفر الذي هو الظلم العظيم كما هي الآية (١٢) من سورة لقمان صفحة ٥٤٠ بدقه عذابا كبيرا هو عذاب النار، ولما كان قولهم «ما لهذا الرسول يأكل الطعام» إلح، متصفا أن الرسول لا يكون إلا منكأ، رد سبحانه بقوله:**

وما أرسلنا قبلك أحدا من المرسلين إلا أكلين الطعام وماشين في الأسواق، أي ولم يكن واحد منهم منكأ هانت مثلهم، ثم بيّن سبحانه الحكمة في جعله كثيرا من الرسل ليسو أعياء ولا أصعبا جنات وقصور مع أن كثيرا من الكفار كذلك، فقال تعالى **«وجفت بعضكم وهم الأغنياء لبعض وهم غيرهم هتة، أي احتبارا لما هي طنائكم، هل تصبرون أم تكفرون فتجاري كلا بما يستحق، وكان ربك بصيرا بالصواب، ومن يصبر بإخلاص، وبغيره أي أنه سبحانه جعل أحوال الناس في الدنيا محتمة لحكم منها ما هي الآية (٣٢) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٠، ومنها ابتلاء لهم وامتحان ليظهر ما في دحيلة نفوسهم فيعاملون كلا بما يستحقه فالعنى يُمتحن بوجود المقير معه **«هل يواسيه ولا يسحر منه، وهذا هو العنى الشاكر، وإلا فهو الجاحد لنعمة ربه، والمقير يُمتحن بوجود العنى **«هل يصبر على ما هو فيه ويرضى بقضاء الله، ولا يحسد العنى، ولا يحقد عليه، وبهذا ينال أجر الصابرين و لرسول الذي اختصه الله سبحانه بكرامة الرسالة يُمتحن هل يصبر على حسد الكافرين له ومحاربتهم إياه واحتقارهم كما هنا هي الآية (٧) السابقة والآية (٤١) الآتية والآية (٣١) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٠.******

وهذا الرسول امتحان لأشراف الناس وكبرائهم هل يخضعون للحق أم يركبهم العرور فيعاندون كما حصل من الوليد بن المغيرة، انظر الآية (١١) وما بعدها صفحة ٧٧٦.

المفردات : «لا يرجون لقاءنا» لا يتوقعونه لإنكارهم البعث، فلا يعملون له حسنا، لذلك يجربون على الكفر والمعاصي، والمراد لقاء حسابه وجرائه سبحانه، انظر الآية (٢٧) من سورة النبا صفحة ٧٨٨. «لولا» حرف يدل على طلب ما بعده كنهلاً. «استكبروا هي

• وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْغَمَقُ
أَوْ تَرَىٰ رَسُولًا فَتَقْدُ اسْتَكْبَرُوا أَنْ أَنبِئَهُمْ وَعَتَوْا
كِبِيرًا ﴿١٥﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ
وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿١٦﴾ وَقِيلَ لَكَ مَا عَدِلُوا مِنْ قَدْرٍ
بَلَعَلَّكَ هَآءَا مَسْئُورًا ﴿١٧﴾ اتَّخَذَ الْجَنَّةُ يَوْمَئِذٍ حَدًّا
مُسْتَقَرًّا وَاحْسِنُ مَقِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ تُشَقُّ السَّمَاوَاتُ وَتَكُونُ
وَرَقًّا الْمَلَائِكَةُ تَرِبًا ﴿١٩﴾ الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْمُقَرَّبُ
وَكَانَ يَوْمًا عَلَى السَّكَّارِينَ عَذَابًا ﴿٢٠﴾ وَيَوْمَ يَقُصُّ الْكَلِيمُ
عَلَىٰ يَدَيْهِ بِقَوْلٍ يَلْتَمِزُ أَنفَلَتْ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢١﴾
يَتْلُو تِلْكَ لَبَنًى لَّا يَلْمِزُ أَجْمَدًا فَلَنَّا خَلِيلًا ﴿٢٢﴾ لَقَدْ أُنْزِلَ
عَنِ الْإِزْمَرْ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ قَلْبًا نَسْنِي
خُلُوعًا ﴿٢٣﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الْخُلُوعَ هَذَا

انصهم ﴿١٥﴾ أي اعتبروا انصهم كبيرة جدا لا
يصح ان تحضض لرجل ليس عظيمها في
زعمهم، انظر الآية (٢١) من سورة الزخرف
صفحة ٦٥٠. ﴿عتوا﴾ : أي تجاوزوا الحد في
الظلم والطغيان، انظر الآية (٧٧) من سورة
الأعراف صفحة ٢٠٥. ﴿حجرا محجورا﴾
الحجر بكسر الحاء ويصح فتحها أصله
المنع، ولذا أطلق على العقل مبالغة في الآية
(٥) من سورة العنكبوت صفحة ٨٠٦، لأنه يمنع
صاحبه عما يضره، وهو هنا مصدر لازم
النصب بفعل مقدر، أي تطلب من الله منع ما
نكره، ومحجورا أي ذا حجر، ووصف به
للتأكيد على عبادة العرب كما تقدم في الآية
(١٤) من سورة آل عمران صفحات ٦٤، ٦٥.

والعرب يقول هاتين الكلمتين إذا رأى ما يحبه طالبا من ربه مع الشر عنه، ﴿قدمنا إلى ما
عملوا﴾ أصل القدوم إلى الشيء الحضور إليه، والمراد هنا قصدنا، وهي الكلام تشبيه حال
أعمال الكفار وصياعها بحال من عملوا ما يرحون بصفة فجاء سلطان قاهر فبعثه فلم
يستعيدوا منه ﴿هنا﴾ هو درات العبار الصغيرة جدا التي لا تظهر إلا في شعاع الشمس
الدخل من طاقة في حائط، ﴿مسئورا﴾ متائرا لا يمكن جمعه ﴿مستقرا﴾ هو المكان الذي
يقصون فيه أكثر أوقاتهم في الجنة، ﴿مقيلًا﴾ هو في الأصل مكان القيلولة وهي الراحة
وقت الظهر، والمراد هنا مكان المنع بالأرواح لأن الجنة لا نوم فيها، ﴿تشقق السماء
بالعصا﴾ أي تمتع بسبب نزول السحاب الذي فيه الملائكة، انظر الآية (٢١٠) من سورة
البقرة صفحة ٤١ ﴿يعص الظالم على يديه﴾ عص الميدين والأنامل كناية عن المحيط ﴿يا
ويلتى﴾ .. إلخ الويل الهلاك، وهذا تركيب يقال عند التحمير، والمراد هنا التحمير على
مصاحبة الأشرار، انظر الآية (٦٧) من سورة الزخرف صفحة ٦٥٤. ﴿فلانا﴾ فلان كناية عن

(٥) اصحاب

(١) فجعلاه

(٢) الملائكة

(٣) عتوا

(١) بملائكة

(٦) باليمن

(٨) الكاهن

(٧) الملائكة

(٢) يا ويلت

(٩) باليمن

(١٢) للإنسان

(١١) شيطان

(١٣) يارب

كل اسم لذكر عاقل. وفلاية أنشاء ﴿الذكر﴾ ذكر الله سبحانه والحواف منه. انظر الآية (١٩) من سورة المجادلة صفحة ٧٢٨. ﴿السيطان﴾ المراد المصلون من الجن والإنس. انظر الآية (١٤) من سورة البقرة صفحة ٥. والآية (١١٢) من سورة الأنعام صفحة ١٨١. والآية (٢٩) من سورة فصلت صفحة ٦٣٣. ﴿حدولا﴾ كثير الحدلان لمن أطاعة. انظر الآية (١٢٠) من سورة النساء صفحة ١٢٢. والآية (٤٨) من سورة الأنعام صفحة ٢٢٤. والآية (٢٢) من سورة إبراهيم صفحة ٣٣٣. والآية (١٦) من سورة الحشر صفحة ٧٢٢ ﴿اتحدوا﴾ أي جعلوا

المعنى . بعدما بين سبحانه بعض جرائم الكفار من أول الآية (٣) إلى الآية (٧) انتقل سبحانه إلى بيان جريئة عظمى لهم. لم يحزنهم عليها إلا إنكارهم البعث، وعدم خوفهم من أهواله، تلك هي أنهم لم يكتفوا بما اقترحوه أولاً من أن يرسل الله سبحانه مع الرسول ملكاً يصدق، بل طلبوا أن يرسل الله عليهم جميع الملائكة لتحبرهم بصدق محمد، ثم انتقلوا إلى إقناع من ذلك وهو أنهم لا يصدقون إلا إذا رأوا الرب سبحانه ويحبرهم بصدقه ﷻ، ولهذا عقب على قولهم بقوله ﴿لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً﴾ حيث كذبوا رسولاً صادق الأسير، ثم شرع سبحانه في بيان ما سيلقونه عند مشاهدة الملائكة لدين طلبهم فقال ﴿يوم يرون الملائكة﴾ إلخ أي اذكر لهم أيها النبي ما سيكون يوم يرون الملائكة فإنه لا بشرى يومئذ لهؤلاء المجرمين الأثمي بيانهم في الآية (٣١) الآتية، فإنهم يشاهدون أهوالاً ويقولون حجراً محجوراً، والمعنى أنهم يطلبون رسول الملائكة فإذا رأوهم هرعوا أشد الهلع وقالوا ما كانوا يقولونه عند خوف الخطر وقدما إلى ما عملوا في الدنيا من أعمال الخير المبينة في الآية (٣٩) من سورة المور صفحة ٤٦٤ هجئناه مثل الهاء في لحنارة وعدم النع متفرقا لا يمكن جمعه. هذا مصير هؤلاء المجرمين، أما أصحاب الجنة المشار إليهم في الآية (١٥) المتقدمة، يوم يصيب على الكفار كل آمالهم، فإنهم يكونون حيرا مستقرا وأحسن مقيلا. واذكر لهم أيضا يوم تتحقق السماء بالعمام وتزل الملائكة تنريلا عجبيا غير معهود، الملك أي السلطان والاستيلاء الشامل ظاهرا وباطنا ثابت لصاحب الرحمة الواسعة التي أعلقوا أبوابها عنهم بمطاعة حرائعهم. ونظيره في الآية (٦) من سورة الانفطار صفحة ٧٩٥ في هذا اليوم بعض الظالم على يديه من شدة العيط والحسرة ويقول يايتنى لم أتحد فلانا صديقا لأنه أصلى عن ذكر الله وكتابه بعد إذ حاضى على لسان رسوله وحديثي اليوم لأنه كثير الحدلان لا أمان له، وقال الرسول يارب إن قومي الذين أرسلتني لإيقادهم اتحدوا هذا القرون العظيم الذي فيه صلاحهم مهملًا.. إلخ.

الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ⑤ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَجْوٍ عَدُوًّا مِنَ
الْمُجْرِمِينَ ⑥ وَكَانَ بِرَبِّكَ هَدًى وَنَصِيرًا ⑦ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ⑧ كَذَلِكَ
يُسَبِّتُ بِهِ ⑨ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ⑩ وَلَا يَأْتُونَكَ
بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ⑪ الَّذِينَ
يَحْسُرُونَ عَنْ وُجُوهِهِمْ إِنَّ لَهُمْ أُورْثًا شَرًّا مَكَانًا
وَأَصْلَ سَبِيلًا ⑫ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا
مَعَهُ رَاحَتَهُ هَارُونَ وَيُوشَعَ ⑬ فَقُلْنَا ادْعُ إِلَى الْقَوْمِ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا قَدْ مَرَّ عَلَيْهِمْ نَعِيمًا ⑭ وَقَوْمٌ رُوحٌ
لَمْ يَكُفُّوا أَرْسُلَ الْمُرْسَلِينَ ⑮ وَجَعَلْنَاهُمْ لِقَائِكَ آيَةً
وَأَخَذْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ⑯ وَقَادَا وَتَمُودًا وَاجْتَبَيْنَا
أَرْسُلَ وَقَوْمًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ⑰ وَكَلَّا صَرَصَاتٍ

الممردات :- ﴿عدوا﴾ : العدو يطلق على
الواحد والأكثر، انظر الآية (٥٠) من سورة
الكهف صفحة ٢٨٨

﴿المجرمين﴾ : هم الجاحدون شديدي
الإفساد، انظر صفحات ١٨٢، ٢٦٨، ٤١٢،
٤٨٦، ٧٧٧.

﴿لولا﴾ : بمعنى هلا كما تقدم في
الصفحة السابقة.

﴿نزل﴾ : نزل بمعنى أنزل كخبر بفتح الباء
المشددة بمعنى أخبر

﴿بمثل﴾ : المراد به هنا الكلام الخارج
عن المعقول الذي يجرى مجرى الأمثال،

والمراد به فتراحاتهم لباطلة انظر معنى المثل في صفحة ٤٤٤

﴿آتيناهم موسى﴾ : أي قصصنا في الأول وقدرنا إعطاء الكتاب وهو التوراة، انظر مثل ذلك
في الآية (٢٠) من سورة مريم صفحة ٣٩٩، وإما قلنا ذلك لأن التوراة لم ياحدها موسى إلا
بعد عرق هرعون كما تقدم في آيات (٥٠، ٥٧، ٦٣) من سورة النقرة صفحات ١٠، ١١، ١٣،
وآيات (١٢١، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٥، ١٥٠، ١٥٤) من سورة الأعراف صفحات ٢١٣ إلى ٢١٦.

﴿وإيراء﴾ : أي مساعدا، انظر صفحة ٤٠٨.

﴿بآياتنا﴾ : المراد أدلة وجودنا التي نشرناها في الكون، انظر آيات من (٢٠ إلى ٢٣) من

(١) القرآن	(٢) واحدة	(٤) ورتلناه	(٥) جئتلك	(٦) آتيناهم
(٧) بكتاب	(٨) هارون	(٩) بآياتنا	(١٠) فدمرناهم	(١١) أعرقناهم
(١٢) جعلناهم	(١٣) آية	(١٤) للظالمين	(١٥) تمود	(١٦) أصعاب

سورة الأنبياء صفحة ١٢٢ وآيات من (١٧ إلى ٢٠) من سورة العنكبوت صفحة ٨٠٥.

﴿آية﴾ : عبرة وعظة.

﴿أصحاب الرس﴾ : الرس هي لغة العرب يطلق على الأثر القليل للشمس كأثر الحمى مثلاً بعد البرء منها، وعلى البئر والحفرة في الأرض. واحتار الطبري أن أصحاب الرس هم أصحاب الأحود المذكورون في صفحة ٨٠١. والذي بهما هي مكان العبرة أنهم قوم كذبوا رسولهم فاهلكهم الله تعالى.

المعنى : أهتموا القرآن وما فيه من عقائد وأحلاق وعبادات تهذب النفوس كما هي الآية (١٥) من سورة البقرة صفحة ١٠، (١٥) من سورة المائدة صفحة ٥٢٧، ثم أورد سبحانه أن يسلي رسوله ويزعيه في الافتداء بإخوانه الأنبياء الذين حصل لهم مثل ما حصل له فقال: ﴿وكذلك جعلنا﴾ إلخ.

أي كما جعلنا لك أعداء من المشركين يماربون دعوتك جعلنا لكل نبي صاحب دعوة أعداء من المجرمين، وذلك حسب مستأ في نظام هذا العالم، انظر شرح الآية (٣٩) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨، وأبقي (٧٨، ٧٩) من سورة النساء صفحة ١١١ و آيات من (١ إلى ١٢) من سورة النمل صفحات ٨١٠، ٨١١، ثم طمان سبحانه بنيه فقال ﴿وكفى بذلك﴾ إلخ.

أي وكما لك ربك هادياً لك إلى ما يوصلك لأسمى العايات وبصراً لك عنهم ثم رجع إلى ذكر نوع آخر من ثمنت المشركين فقال:

﴿وقال لنبي كضروا لولا﴾ أي هلا بزل عليه القرآن دفعة واحدة كما أرسلت الوصايا العشر في الألواح على موسى، أما بقية أحكام التوراة فكانت نوحى إلى موسى في أوقات متعاقبة ينظر بممن ذلك هي الآيات (٥٧، ٥٨، ٦٠، ٦٧) من سورة البقرة صفحات ١١، ١٢، ١٣.

ورد سبحانه عليهم ببيان بعض حكم إزاله تدريجاً همال

﴿كذلك﴾ أي أمرنا على هذا الوجه الذي طمئنا فيه عبدا لنقوى بهذا التبريل المفرق هؤلاء، فإن هي إسرائه حسب الوقائع واقتضاء الدواعي وإتمام الحصوم عند بروز كل شبهة ما بظمتك، وييسر عليك حفظه وهم معانيه وصمم أحكامه إلى غير تلك الحكم مما لا يحصى على ذي بصيرة، انظر الآية (١٠٦) من سورة الإسراء صمحة ٢٧٩، ورتلاء ترتيلا بديما أي ورتلاء عليك بلسان جبريل شيئا فشيئا هي أكثر من عشرين عاما على تودة وتمهل ولا يأتوب بكلام شديد البطال من مراغم كاذبة واقتراحات منمئة إلا جنك بالحواب الحق المالح لكل باطلهم، وهذا الجواب بالغ غاية الحسن في البيان، فلا حماء فيه مطلقا حتى لا يبعدوا للجدال معه سهيلا.

ثم هددهم بقوله: ﴿الذين يحشرون﴾ إلخ

أي هؤلاء الكفار هم الذين سيحشرون مسحوبين على وجوههم إلى جهنم كما في الآية (٩٧) من سورة الاسراء صمحتي ٢٧٧ ٢٧٨، هؤلاء شر مكانة عند الله وأشد صلاا عن طريق الحير.

ثم ذكر ما حل بالأمم السابقة عندما كذبوا رسلهم ليكون عبرة لهم لعلهم يترحمون فقال ﴿ولقد أتينا موسى﴾ إلخ أي قدرنا إعطاء موسى التوراة وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا، فقلنا لهما ادعيا إلى قريعتهم وقومه الذين لم يؤمنوا بالأدلة القائمة على وجودنا ووحدنا حيث أهملوا النظر فيها، فهدمنا إليهم وأرشداهم إلى بعض تلك الأدلة، انظر الآيات من (١٩ إلى ٥٢) من سورة طه صمحتي ١٠٩ ١٠ : والآيات من (٢٤ إلى ٢٨) من سورة الشعراء صمحة ١٨١، فكذبوهما فدمرناهم، أي أهلكناهم إهلاكا شديدا.

وكذلك دمرنا قوم نوح لما كذبوه هو ومن قبله كاذبين وشيث فأغرقناهم بالطوفان، وجعلناهم للناس عبرة، وهيانا في الآخرة لكل طالع منهم ومن غيرهم عذابا أليما، ودمرنا عاد وثمود وأصحاب الرس وأممنا وحدوا بين من ذكر كثيرا عددهم عندما كذبوا أنبياءهم وحذرنا كل فريق مما ذكر، ونينا له الأمثال.

الْأَشْجَلُ وَلَا تَبْرَأَ تَبِيرًا ⑤ وَلَقَدْ آتَيْنَا عَلَى الْقُرْآنِ
أَنَّهُ أَنْبِئْتَ بِمَا تَكْفُرُ الْوَهْلُ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنها بَلْ كَانُوا
لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ⑥ وَإِنَّا نَافِئُونَ إِيَّاهُ بِقُدْرَتِنَا إِلَّا جُورًا
أَعْمَلُوا الْبِرَّ يَغْفِرَ اللَّهُ رُسُولا ⑦ إِنْ كَادَ لَيُغْنِيَنَّ عَنْ
بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ صَبَرُوا عَلَيْهِمْ وَنُفِرَ بَعْضُهُمْ مِنْ بَرَدٍ
الْعَذَابِ مَنْ أَسْلَمَ سَبِيلًا ⑧ أَرَأَيْتَ مَنِ الْخَصْبِ إِذْ
هُدِيَ سَبِيلُهُ فَأَمَرَ أَهْلَ بَيْتِهِ أَنْ يَضَعُوا أَيْدِيَهُمْ
أَلَمْ يَتَّبِعُوا لَهُمْ فَعَقَرُوا وَنَحَرُوا فَعَفَا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ
كَانُوا لَعِندَ رَبِّكَ الْكَافِرِينَ ⑨ أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ
لَيْلًا وَنَهَارًا وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يُجِزُونَ ⑩ وَهُوَ

المصدرات . «الأمثال» القصص
المعجبية من قصص من أمثلك قبلهم .

«تبرئنا» : أي اهلكنا، انظر الآية (١٣٩)
من سورة الأعراف صفحة ٢١٢، والآية (٧)
من سورة الإسراء صفحة ٣٦٥ . «القرية» :
هي أكبر قري قوم لوط كما في الآية (٨٢)
من سورة الأعراف صفحة ٢٠٥، والآية (٧٤)
من سورة الأنبياء صفحة ١٢٨ «المسوء» : هو
كل ما يمسه كما في الآية (٩٨) من سورة
التوبة صفحة ٢٥٨، وهذا المظهر صيغ في
آية (٧١) من سورة الحجر صفحة ٢١٢
«أفلم يكونوا يرونها» : استفهام للتوبيخ

«بل» : حرف يدل على الإضراب عما قبله وإثبات ما بعده .

«لا يرجون» : لا يتوقعون كما تقدم في صفحة ٤٧٣ .

«نشورا» : أي يمنا من القصور كما تقدم في آية (٣) من هذه السورة صفحة ٤٧٠

«إن يتخذونك» : إن حرف نفى بمعنى ما .

«هروا» : أي مهروا، به انظر الآية (٦٧) من سورة البقرة صفحة ١٣ ومنه ما في الآيات
من (٢٩) إلى آخر سورة المائدة صفحة ٧٩٨ «إن كاد» : أصلها إنه كاد أو قرب
«أرايت» : معنى التركيب أحبري، انظر تفصيل ذلك التركيب في الآية (١٠) من سورة الأعراف
صفحة ١٦٨ .

«أفانيت» : الاستفهام إنكارى يفيد نفى ما بعده .

(١) الأمثال	(٧) الهنا	(٣) أرايت	(٤) هروا
(٥) كالأنعام	(٦) قبضه	(٧) الليل	

﴿وكيلاً﴾ أي حافظاً يحميه من اتباع هواه، انظر الآية (٤٥) من سورة ق صفحة ٦٩٢ والآية (٢٢) من سورة العنكبوت صفحة ٨٠٥.

﴿أم تحسب﴾ أم بمعنى بل المتقدمة والمراد بل هل تظن ﴿إن هم﴾

﴿إن﴾ حرف مصي بمعنى ﴿ما﴾. ﴿لأنهم﴾ تصدعت في الآيات من (١٤٢ إلى ١٤١) صفحات ١٨٦ ١٨٧. ﴿أصل﴾ لأن الأفعال تنقاد لمصاحبيها وتعرف من يحسن إليها ومن يسيئ، وتتجنب ما يضرها إلى غير ذلك مما تقدم في الآية (١٧٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٢. ﴿عليه دليلاً﴾ المراد ثبوتها لما وجد كما أن المعلوم لا يوجد بدون الدليل

﴿قبضاء﴾ القبض ضد البسط، والمعنى حميماء، ولما عثر عن إحداث الظل بالمدح ناسب أن يعبر عن إرائته بالقبض والمراد معوناء على مهل قليلاً قليلاً حسب سحر الشمس ﴿إليها﴾ جاء به ليعهد البعض على كون مرجع إرادة الظل إليه سبحانه وحده، فلا يستطيع أحد مشاركته فيه.

﴿لباساً﴾ أي أن ظلمته تستر كما يستتر اللباس،

﴿سبات﴾ أصل السبت القطع وهمله كصرب وبصر والمراد قاطعاً للمعل ليعتريح النائم انظر الآيات من (٧١ إلى ٧٢) من سورة القصص صفحة ٥١٧ والآيات من (٩ إلى ١١) من سورة النبا صفحة ٧٨٧.

﴿شورا﴾ المراد به هنا وقت شور والشمور هنا اليفضة بعد النوم

المعنى، وكل فريق مما تقدم بيئاً له ما حصل للأولين إداراً، ولما لم يرجعوا عن الشر اهتكتهم، هلاكاً لا نقا بهم، انظر الآية (٤٠) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٦ ولقد مر فريق من قريش في سفرهم للتجارة إلى الشام على سدوم كبرى قري قوم لوط، التي أعطى الله تعالى عليها الحجارة المحجمة بعد حسفها هل تماموا عنها فلم يكونوا يرونها مع أنها في طريقهم؟ كلا، بل الذي منهم من الاعتبار أنهم كانوا ينكرون البعث فلم يحافوا عذاب الله انظر الآية (٧٦) من سورة الحجر صفحة ٢٤٢.

ثم ذكر بعض جرائمهم فقال: وإذا رأوك أيها النبي لا يتخذونك إلا موضع استهزاء قائلين على سبيل الاحتقار: هل هذا هو الذي بعثه الله رسولا؟ إنه قرب والله من شدة حاجته أن يضلنا أي يصرفنا عن عبادة آلهتنا لولا أن ثبتنا على عبادتها لصرفنا.

ولما تضمن كلامهم أنهم على هدى وأن ما عليه ﷺ ضلال، حماد الله، رد عليهم سبحانه بقوله: ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا﴾ هم أم محمد ﷺ، وهذا تهديد بوقوع تعذيبهم قطعا.

ثم أراد سبحانه أن يخفف عن رسوله ﷺ حزنه وضيقه لعدم إيمان قومه كما في الآية (١٠) من سورة الأنعام صفحة ١٦٢، والآية (٣٣) وما بعدها من نفس السورة صفحة ١٦٧، والآية (١٢٧) من سورة النحل صفحة ٢٦٢، والآية (٦) من سورة الكهف صفحة ٢٨٠.

فقال ﴿أرأيت﴾ إلخ: أي أخبرني أيها النبي هل الرجل الذي جعل شهواته إلها له لا يخضع لغيرها، هل يمكنك هدايته فتكون حافظا له من ذلك! كلا.

ثم بين سبحانه سبب عدم هدايتهم بقوله ﴿أم تحسب﴾ إلخ: أي بل هل تظن أن أكثرهم يسمعون نصائحك سماع قبول أو يعقلون الحجج فينفعهم إقامتها؟ كلا، فما هم إلا كالبهائم في عدم تدبر المصير، بل هم أقل منها لما سبق.

ثم شرع سبحانه في إقامة خمسة أدلة على وحدانيته يشاهدها كل مبصر وتنتهي في الآية (٥٤) الآتية فقال:

ألم تنظر أيها المخاطب إلى صنع ربك كيف بسط الظل ولو شاء لجعله ثابتا بوقف حركة الكواكب التي تحدثه، ثم جعل الشمس سبب وجوده، ثم بعد بسطه قبضه إليه على مهل بإيجاد ضوء الشمس مكانه، ولا يقدر مخلوق على تحريك الشمس حتى تمحو الظل، وهو وحده الذي جعل لكم الليل كاللباس، وكما أن اللباس يحفظ من الحر والبرد ويستر العورات، كذلك الليل يستر الخائف من العدو أو الحيوان المفترس، وتستتر به المرأة التي لا تجد ما يليق بسترها إذا خرجت في الخلاء، إلى غير ذلك، والنوم راحة، وجعل النهار زمن يقظة وسعى في الرزق.

الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا مِّنْ بَيْنِ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ وَأَنزَلَ مِنَ
السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿١٦﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ بَلْدَةً حَيَّةً وَنُقِيعَ
مِمَّا خَلَقْنَا آنَعْمًا وَاتَّبِعُوا كَثِيرًا ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ
بَيْنَهُمْ لِيَذُورُوا فَإِنِ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ وَلَوْ
شِئْنَا لَنَبِّحَنَّ لِأَكْثَرِهِمْ بُدْبُرًا ﴿١٩﴾ فَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ
وَجَنَّبْنَاهُمْ مِنْهُ جَهَادًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ
الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا يَمِلُّحٌ أَمَّا جَمْعُ
بَيْنَهُمَا بِرَحْمَةٍ مِنَّا لِيُبْرِجُوا مِنْهَا حَلَاوًا ۚ وَالَّذِي خَلَقَ مِنْ
الْمَاءِ نَسْرًا لَّحْمَةً نَّسَبًا وَصِهْرًا ۚ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٢١﴾
وَالْعَبْدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَفْعَلُهُمْ وَلَا يَصْرُمُهُمْ ۚ وَكَانَ
الْكَافِرُ مِنْ رَبِّهِ يَكْذِبًا ۖ عَلَيْهِمْ ﴿٢٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا
وَنَذِيرًا ﴿٢٣﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنَّمَا مَن شَاءَ

المفردات :- ﴿بشرا﴾ : أصلها بشرا
بصمطين يورن رسل ثم سكنت الشين تعميما،
ومعناها بشور بفتح أوله كرسول أى كثير
التبشير، فالمراد مبشرات، انظر الآية (١٦)
من سورة الروم صفحتى ٥٢٦، ٥٢٧. ﴿بين﴾
يدى : أى أمام. ﴿رحمته﴾ : المراد بها هنا
المطر لأنه ينبت الررع ويسقى الخلق كما
سيأتى. ﴿طهورا﴾ : شديد الطهارة مطهر
عمره. ﴿نحى به﴾ : إحياء الأرض جعلها
نسبت، انظر الآية (٥) من سورة الحج
صفحتى ٤٢٢، ٤٢٣. والآية (٥٠) من سورة
الروم صفحة ٥٢٧. ﴿بلدة﴾ : أى أرض بلدة
﴿ميتا﴾ : أى لا نبات فيها، وجاء بالصفة

مذكورة لأن البلدة بمعنى البلد. ﴿نعام﴾ : تقدم فى الصفحة السابقة، وحصلها بالذكر لأن
أعجب منافع لانسان منها. ﴿ناسى﴾ : جمع ناسى ككراسى وكرسى. ﴿صرعاه﴾ : أى صرعها
لمطر من أماكن وأوقات محتمة ومقادير متماوية انظر الآية (٤٣) من سورة النور صفحة
٦٥ : ﴿يسير﴾ : يسا يمد أهلها. ﴿حامدهم به﴾ : أى قوام الكمار بحجج القرآن حتى
تسكتهم انظر الآية ٧٣ من سورة التوبة صفحتى ٢٥٢ ٢٥٣. ﴿مرج البحرين﴾ : من قول
العرب مرج فلان دابته إذا تركها تدهب كما تشاء، أى تركهما يتحركان لا يستقران ومرج من
باب قتل انظر الآية (١٩) من سورة الرحمن صفحة ٧٠٩. ﴿فترات﴾ : شديد المدوبة
﴿أحاج﴾ : شديد الملوحه. ﴿برحاحا﴾ : البرج ما يحجز بين شيتين وهنا هو ما يحجز بين
البحرين من الأرض انظر الآية (١٠) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٤. والآية (٦١) من سورة
المل صفحتى ٥٠١، ٥٠٢ والآية (٢٠) من سورة الرحمن صفحة ٧٠٩. ﴿حجرا محجورا﴾ :
تقدم أن الحجر المنع فأريد به هنا المنع مانعة، وهو من عطف الصفة على الموصوف كما

(٤) مريضه
(٨) ما أسألكم

(٢) أنعمنا
(٧) أرسلناك

(٣) نحى
(٦) وحامدهم
(١) الرياح
(٥) الكافرين

فى الآية (٥٣) من سورة البقرة صفحاتى ١٠، ١١، والآية (٤٨) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٥، والآية (١٢) من سورة الأحزاب صفحة ٥٥٠. ﴿الماء﴾ : انظر الآية (٤٥) من سورة النور صفحة ٤٦٥. ﴿نسباً﴾ : أصل النسب القرابة من جهة الذكور، والمراد هنا: جعله ذا نسب أى ولداً ذكراً ينسب إليه. ﴿صهراً﴾ : الصهر القرابة، وأطلقوه على القرابة من جهة الإناث. فالمعنى ذات صهر أى أنثى يصاهر بها. هذا هو المراد هنا كقوله تعالى ﴿خلق الزوجين الذكر والأنثى﴾ الآية (٤٥) من سورة النجم صفحة ٧٠٢، وقد يطلق الصهر على زوج الأنثى من قريبات الرجل كبنته وأخته مثلاً. ﴿ظهيرا﴾ : أى معاوناً للشيطان على معصية ربه، انظر الآية (٨٨) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٦.

المعنى :- والله وحده هو الذى أرسل الرياح مبشرات بين يدى المطر الذى لولاه لما نبت زرع ولما سقى حيوان، وأنزل سبحانه من جهة السماء ماء شديد الطهارة لينبت به الأرض القاحلة ويسقى منه الأنعام وكثيراً من الإنسان الحى فى وقت نزوله، ولقد نقلنا هذا المطر بين الخلق حسب الحكمة ليتدبروا ويعرفوا كمال القدرة ويقوموا بواجب شكر منزله ومع ذلك امتنع أكثرهم عن عمل شئ مطلقاً إلا كفران النعمة فإنهم تمسكوا به. ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نبياً يساعدك فى إنذار أهلها فيخف عنك بعض العبء لكنا قصرنا الأمر عليك إجلالاً لك وتعظيماً لشأنك، فقابل ذلك بالاجتهاد فى الدعوة. ولا تطع الكافرين فيما يريدونه منك مما أشير إليه فى الآية (٢٥) من سورة الأنعام صفحة ١٦٧، والآية (٧٣) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٤، وجاهدكم بالقرآن وما فيه من حجج وعبر وتحذير مما حصل لأمثالهم جهاداً كبيراً حتى يئأسوا من إبطال دعوتك. والله وحده هو الذى أجرى البحرين المالح والحلو، ومن قدرته أنه مع شدة عنوبة أحدهما وملوحة الآخر حجز بينهما، وكان يمكن أن يطفى أحدهما على الآخر. وهو سبحانه الذى خلق من الماء بشراً فجعل منه ذكراً تنسب إليه الأسرة، وأنثى يصاهر بها الغير. وكان ربك أيها النبى قديراً يفعل ما يشاء، ومع كل هذا فهؤلاء الكفار يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم إن عبدوه ولا يضرهم إن تركوه، وكان الكافر بعمله هذا مساعداً للشيطان على عصيان أوامر ربه. ثم وبخ سبحانه المشركين بأن رسوله لم يطلب منهم مالا بل جاء لنفعهم فقال: وما أرسلناك أيها النبى إلا مبشراً من آمن بالجنة، ونذيراً لمن عصى بالنار. وقل لهم ما أسألكم على تبليغ رسالة ربى بالتبشير والإنذار أجراً لكن من شاء أن يسلك ربه طريقاً يوصله إليه فليفعل، انظر الآية (٢٩) من سورة هود صفحة ٢٨٨، والآية (٧٢) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٢.

أَنْ يَنْجُوَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ الْغَى لَا يَمُوتُ وَيَسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَهَكَذَا يَوْمَ يَدْعُوبُ عَلَيْهِ خَيْرًا ۝ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَتَلَّ بِهِ خَيْرًا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۝ سَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَكَرَاهِيَةً ۝ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ النَّهْلَ وَأَنْهَارًا خِطَّةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ سُكُورًا ۝ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا طَائِفَةَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝

المعردات :- «سبح بحمده» : نزه ربك
مع حمده على جبريل نعمه. «سنة أيام» :
انظر تفصيل ذلك في الآيات من (٩ إلى ١٢)
من سورة فصلت صمحتي ٦٣٠، ٦٣١ و ليوم
عبد الله مدة لا يعلم مقدارها على التحديد
إلا هو سبحانه انظر الآية (٥٤) من سورة
الأعراف صفحة ٢٠١. «عاسال به خيرا»
تقول العرب اسأل به وعنه، انظر أول سورة
المعارج صفحة ٧٦٤، والآية (٨) من سورة
التكاثر صفحة ٨٢٠. وسأل به تعيد مال
سأل مهتما به، وعنه تفيد ممتشا عنه.
«بارك» : تقدم أول السورة

«بروحا» جمع برح وهو عبد العرب القصر والحصن كما في صفحة ١١٤، والمراد هنا
منازل الشمس الاثنا عشر الآتي بيانها في صفحة ٨٠٠.

«سراجا» الشمس انظر الآية (٥) من سورة يونس صفحة ٢٦٦.

«حلمة» الحلمة حالة الشيء الذي يحلف صاحبه ويحل محله والمراد دوى حصة أي
يخلف أحدهما صاحبه «هونا» الهون هو الرهق واللين وأريد به الصفة أي مشيا هينا دا
وقدر لا تكبر معه، انظر الآية (٢٧) من سورة الإسراء صفحة ٢٦٩، وايتي (١٨، ١٩) من سورة
لقمان صمحتي ٥١٢، ٥١١ «الجاهلون» السمهاء «قالوا سلاما» هو سلام متاركة
وتعجب لا سلام تحية، انظر الآية (٥٥) من سورة القصص صمحتي ٥١٤، ٥١٥

«عراما» أي لارما، ومنه العريم الذي يلازم عديبه بالمطالبة.

المعنى . قل أيها النبي لمن أرسلت إليهم أنا لا أسألكم أحرا من مال لكر أطلب عمل الصالحات لمن شاء منكم أن يسلك طريقا موصلة لرصدا ربه ثم أمر سبحانه بنيه بأن لا يحشوا ضررهم بل يتوكل على ربه الحي الذي لا يموت. وشرهه عن النقص مثبها عليه ليريده نعماء. وكفى بالله حبيرا بديوب عباده ما ظهر منها وما بطن وفي هذا تهديد وتوبيخ للمشركين حيث اعتمدوا على من ليس فيه حياة ومن يموتون ثم وصف الإله الحق الذي يصح التوكل عليه بأنه هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش. هو الرحمن فاسأل به حبيرا بما يليق به من أهل الكتاب الذين يعلمون أن معبودات المشركين لا تحقق دينا فضلا عن السموات والأرض انظر الآية (٩٤) من سورة يونس صفحة ٢٨١. والآية (٧) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢١. وبظيهر ما هي الآية (٢) من سورة الأنعام صفحة ١٦٥ ومن حرائم المشركين أنهم إذا قيل لهم احصموا للإله الحق تستحلوا رحمته قالوا مستهزئين وما الرحمن الذي تأمرنا بالعصوع له وحده؟ فهل يصح أن يسجد لما تأمرنا بالسعود له وترك لهتنا؟ ورادهم طلب العصوع للرحمن بغير أي تباعدا عن الإيمان. فكانوا مثل فرعون حين قال وما رب العالمين انظر الآية (٢٢) من سورة الشعراء صفحة ٤٨١. ثم بين سماهتهم وحملهم بمقام الرحمن بقوله تبارك للرحمن الذي حمل في السماء بروحا وحمل فيها سراجا وقمرا ميرا. ولا تستطيع لهنكم فعل أقل من ذلك وهو وحده الذي جعل الليل والنهار يحلف أحدهما الآخر بنظام يدع ليتفع الخلق يدركه من وقته لله تعالى ليندكر نعمة ربه أو أراد كثرة شكره أي أو أرادهما. انظر الآيات من (٧١ إلى ٧٢) من سورة القصص صفحة ٥١٧. ثم بعد ما بين سبحانه حال النافرين من عبادته أراد أن يبين أوصاف المخلصين من عباده وأحوالهم الدنيوية والأخروية. وأضافهم لنفسه بوصف الرحمة لأنهم خاص بهم فقال وعباد الرحمن الذين يمشون أي هم الذين يمشون على الأرض مشيا هينا هي سكية ووقار لا تصاحرا واستكبارا. وإذا خاطبهم العمهاء بما لا يصدر إلا منهم يركعون بأدب وعضاء. وهم الذين يقصون كثيرا من الليل هي الصلاة ساجدين قائمين. انظر الآية (١٦) من سورة السجدة صفحة ٥٤٦. والآية (١٧) من سورة الداريات صفحة ٦٩٢ وهم الذين يحشون ربهم فيصرعون إليه أن يبعد عنهم عذاب جهنم لأن عذابها لارم لا ينقطع

إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ
يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ۝ وَالَّذِينَ
لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ
أَثَامًا ۝ يُصْعَقُ لَهُ الْعَذَابُ بِوَمَ الْيَقِينِ وَيُجْزَى لَهُ
مُحَاسَنًا ۝ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا
فَأُولَئِكَ يَنْدَرُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ۝ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ
مَتَابًا ۝ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِالْقِصْرِ
مُرُّوا كِرَامًا ۝ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِعَاقِبَتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا
عَلَيْهَا ضَعْفًا وَمُهِنًا ۝ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ
أَرْوَاحِنَا ذُرِّيَّتًا مُرَّةَ أُمِّهِ وَاجْعَلْ لِمَتَّقِينَ إِنَّكَ

المعردات . «ساءت» قبحت.

«مستقرا» مكان استقرار مؤقت.

«مقاما» مكان إقامة دائمة ويكون

المطاف لإعادة الترقى في التحويم أى أنه لا

يخفف عنهم من عذابها إذا طالبت العدة.

انظر الآية (٢٦) من سورة فاطر صفحة

٥٧٦.

«يقتروا» يصيغوا ويشحوا «قواما»

عدلا وسطا.

«اثاما» : كالبال، والكال ورنا ومعنى

هو جراء الإثم الذى هو الذنب.

«يصاعف» : أى يعذب عذابين:

واحدًا على الكفر وآخر على المعاصى غير الكفر، أو عذابا على الكفر، وآخر على إغرائهم

لغيرهم، انظر شرح الآية (٦٩) من سورة آل عمران صفحة ٧٤، والآية (٢٠) من سورة هود

صفحة ٢٨٧، والآيات (٢٠، ٦٧، ٦٨) من سورة الأحزاب صفحات ٥٥٢، ٥٥٤، ٥٦٠، ٥٦١

(١) أحر

(٢) يصاعف

(٣) القيامة

(٤) من

(٥) صالحا

(٦) حسات

(٧) صالحا

(٨) بآيات

(٩) أرواحا

(١٠) ذرياتنا

﴿يوم القيامة﴾ بعد الرجوع إلى ما قيل في شرح الآية (٩) من سورة الحج صفحة ٤٢٤ نعلم أن المراد أن العبد الذي يعمل تلك الجرائم يحكم عليه يوم القيامة بمصاعمة عذابه وبحلوده فيه، هاندي يحصل يوم القيامة هو صدور الحكم، لا مصاعمة العذاب ولا الحلود، لأن هذا إنما يكون بعد انقضاء يوم القيامة كما سبق.

﴿يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ يجعل مكان أعمالهم السيئة أعمالاً صالحة، فيبدل أن كان من الطالبين صار من الصالحين وهذا غاية السعادة هذا ما رصيه كثير من علماء السلف. ويؤيد أن هذا هو معنى التبديل هنا مقابلة في الآية (٢٨) من سورة إبراهيم صفحة ٣٢٤، وانظر لآية (١١) من سورة النمل صفحة ٤٩٥، وانظر ما قيل في حديث رقم ١ من (صنوعة صحيح البخاري) عند قوله ﷺ هجرته إلى الله ورسوله.

﴿لا يشهدون الزور﴾ : أي لا يحضرون مجال الباطل.

﴿لم يغفروا عليها﴾ . أصل الحرور السقوط على الأرض بدون نظام ولا ترتيب سابق كما في صفحة ٣٤٨. وتستعمله العرب في السجود على الأرض لإعلان الخضوع التام، انظر الآية (١٠٧) من سورة الإسراء صفحة ٣٧١، والآية (٥٨) من سورة مريم صفحات ٤٠١، ٤٠٢.

﴿قرة اعين﴾ قرة العين كناية عن السرور والمرح، انظر الآية (٤٠) من سورة طه صفحات ٤٠٨، ٤٠٩، والآية (٩) من سورة القصص صفحة ٥٠٧.

﴿إماماً﴾ أي قدوة في الخير ليتحقق لنا دخولنا في دعوة إبراهيم عليه السلام، انظر الآية (١٢٤) من سورة البقرة صفحة ٢٤.

المعنى إن جهنم بثمت مكاناً مطلقاً مؤقتاً أو دائماً. ومن صفات عباد الرحمن أنهم إذا أمتقوا لم يبرحوا ولم يشعروا وكان إيمانهم وسطاً بين الإسراف والتقتير، انظر صفحة ٣٦٨، ثم بعدما وصفهم سبحانه بالصفات الكريمة السابقة أراد أن يعرض بما كان عليه أعداؤهم الكفار من الصفات القبيحة فنهاها عنهم ليوبخ الكفار فقال.

﴿والذين لا يدعون﴾ إلخ أى لا يشركون معه غيره، ولا يقتلون النفس التى حرم الله قتلها إلا بسبب من اسباب الحق، كالرنا من المحصن. والكرم بعد الإيمان أو قتل النفس البريئة، ولا يزنون، فكأنه سبحانه يقول

والذين طهرهم الله مما أتم عليه من الشرك والقتل إلخ ومن يفعل شيئا من هذه الذنوب من هؤلاء الكفار فقد صم إلى الكفر جرما آخر فيلقى فى الآخرة جزاء إثمه بمضاعفة العذاب وتشديده عليه، ويعد فيه معتقرا، فجمع بين العبد بين الجسماني والنفساني.

ثم بعد هذا التهديد الشديد أراد سبحانه أن يفتح باب التوبة للمستعد، ويعلق باب الشيطان عليه فقال إلا من تاب مما سبق وأمر بكل ما يحب الإيمان به، وعمل صالحا، فهؤلاء التائبون المؤمنون الصالحون يمعو الله سابق معاصيهم بقبول التوبة، ويوفقهم لأن يعملوا مكانها لأعمال الحسنة وكان الله كثير المعصرة واسع الرحمة وبعد ما بشر قبول التوبة من أمهات المعاصي أراد أن يبين أنها كذلك من جميعها بشرط أن تكون خالصة فقال ومن تاب عن كل معصية بتركها وتبدم عليها وعمل صالحا كثيرا بموعده ما سلف فإبه يرجع إلى الله تعالى رجوعا مرضيا عنه منه سبحانه فيحدر ثوابه.

ومن صفات عباد الرحمن أنهم لا يشهدون الزور أى الباطل وأد مروا باللغو وهو ما ليس فيه هائنة من قول وعمل كما تقدم فى صفحة ٤٨٥ مروا كراما أى معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوع فيه وهم الذين إذا ذكرهم مذكر بايات ربهم التى جاءت فى لقرآن أكبو وأقبلوا عليها سامعين بأذن صاغية ومصرين بعيون بقطعة، ورامها قلوب حية، ولم يقابلوها بالصمم والعمى كما يفعل المشركون.

ففى الكلام تعريف بالكافرين والمعاصيين وعباد الرحمن هم الذين يتجهون إلى الله دائما قائلين يا ربنا هب لنا من أرواحنا ودرياتنا ما سرنا بتوحيثهم لطاعتك. وامحهم لمصائل التى يعلو بها شأن الإنسان، واجعل كل واحد منا قدوة حسنة لغيره، هيجمع كل منا بين ثوابين ثواب لعمل الصالح، وثواب ترعيب الغير فيه.

أُولَئِكَ يُجْرُونَ أَلْمَرَّةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقُونَ فِيهَا شَيْئًا
وَسَلَامًا ۖ غَالِيِينَ فِيهَا حَسَّتْ مُنْقَرًا وَمَقَامًا ۖ
قُلْ مَا يَنْفَعُكُمْ تَذَكُّرِي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ
فَوَيْفَ يَكُونُ لِأَمَّا ۖ

(٢٦) سُوْرَةُ الشُّعْرَاءِ مَكْنِيًا
وَأَنَّا نَهَائِيْنَ وَعَزِيْزِيْنَ وَمَانِيْنَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ۖ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۖ تَعْلَمُ
بَنَاجٍ نَفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۖ إِنْ تَأْمُرْ
عَلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَاءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ۖ
وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُخَبَّرٍ إِلَّا كَانُوا عَمَّ

المضردات : «الفرقة» : تطلق الفرقة
على البناء المرتفع، فالمراد أعلى منازل
الجنة، انظر الآية (٥٨) من سورة المسكيات
صفحة ٥٢٩، والآية (٢٧) من سورة سبأ
صفحة ٥٦٨، والآية (٢٠) من سورة الزمر
صفحتي ٦٠٨، ٦٠٩.

«ويلقون فيها تحية وسلاما» : هذا
عطف تفسير فالسلام تفسير للتحية، انظر
الآية (١٠) من سورة يونس صفحتي ٢٦٦،
٢٦٧، «مستقرا ومقاما» أي يستمتعون فيها
مهما طال الزمن «يعبأ بكم» أي يعتد ويعتى
«دعائكم» : عبادتكم. «لزاما» . أي
لزاما. لا يقطع.

سورة الشعراء

المضردات : «طسم» : تنطق طاسيم ميم. وتقدم المراد منها ومن مثلها أول سورة البقرة.
«تعلمك» : لعل هنا للاستفهام الذي يراد به الإنكار فتفيد النهي عما بعدها. «باحج نفسك»
أي مهلكها من العز، انظر صفحة ٢٨٠.

«آية» : أي معجزة قاهرة لهم على الإيمان.

«أعناقهم لها خاضعين» يطلق العنق عند العرب على المصروف في الإنسان، وعلى
الجماعة من الناس، وعلى الزعماء من القوم الذين يقال لهم رموس، وصدور، والمراد هنا
الجماعات.

(١) سلا	(٢) حالدين	(٣) ما يعبأ
(٤) تنطق هكذا: طاسيم	بسكون الميم ميم. بسكون الميم أيضا	(٥) ياب
(٦) باحج	(٨) آية	(٩) أعناقهم
		(١٠) خاضعين
		(١١) الكتاب

﴿من ذكر﴾ . ﴿من﴾ للبص على العموم في ذكر، والمراد به الطائفة من القرآن.

﴿محدث﴾ : جديد إنزاله، انظر صفحة ٤٢٠.

المعنى : هؤلاء العباد الصالحون يجزيهم الله تعالى أرفع منازل الجنة بسبب صبرهم على مشاق الطاعات ورفض الشهوات، وتلقى عليهم الملائكة تعية هي السلام، انظر آيتي (٢٣، ٢٤) من سورة الرعد صفحة ٢٢٥ خالدين فيها، حسنت مكان استقرار وإقامة.

وبعد ما بيئ سبحانه صفات المتقين الذين حققوا حكمة الله تعالى في خلقهم المشار إليها في الآية (٥٦) من سورة الذاريات صفحة ٦٩٦ أمر رسوله ﷺ أن يقول للكفار:

لا يعتمد بكم ربي لولا عبادتكم، فإنكم إذا لم تعبدوه وحده كنتم كالبهائم التي لا تستحق عناية خاصة ومنزلة رفيعة، وبما أنكم لم تحققوا هذا وكذبتم رسوله فمبوف يكون جزاء تكذيبكم من العذاب لارما لكم حالدا، سال الله تعالى السلامة.

المعنى : تلك الآيات التي ستلقى عليك في هذه السورة هي آيات الكتاب الظاهر إعجازه وصحته، وإذا رجعت إلى ما قيل في شرح الآية (٤٣) من سورة العنكبوت صفحة ٤٧٥ تعلم سبب قوله سبحانه لبيه ﴿لعلك باحع نفسك﴾ إلخ أي لا يصح أن تهلك نفسك أيها النبي لعدم إيمان كبار قومك، ثم علل نهييه له عن بحع نفسه حربا عليهم بقوله ﴿إن نشأ نزل﴾ إلخ

أي إن نشأ إيمانهم قهرا عنهم فإننا لا نعجز، بأن نزل عليهم معجزة من السماء نرفعهم على الإيمان، كما نتقنا الحيل على بني إسرائيل، انظر صفحتي ٢٢٠، ٢٢١ ولو نزلنا هذه الآية لصارت جماعاتهم كلها خاضعين لها رغم أنوعهم، ولكن حكمتنا في نظام هذا العالم اقتضت أن نتركهم محتارين، ثم بيئ سبحانه شدة جمود هؤلاء المشركين على ما هم عليه من الكفر وتكذيب الرسول ليؤكد لرسوله عدم الطمع في إيمانهم بقوله

﴿وما يأتيهم من ذكر﴾ إلخ أي ما يأتيهم طائفة من القرآن من عند ربهم الذي اقتضت رحمته الواسعة نزوله لنفعهم إلا استمروا على إعراضهم عن هذا الخير العظيم، فالكلام بهويل لشناعة حرهم.

معرضين ④ فَقَدْ كَذَّبُوا مَسَائِدَهُمْ أَسْوَأَ مَا كَانُوا بِهِ
بِشْتَرَاءِ دُونِ ⑤ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا
مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ⑥ وَإِذْ ذَكَرْنَا لَأَبْنَىٰ وَمَا كَانَتْ
أَكْثَرُهُمْ مُّقْرَّبِينَ ⑦ وَإِذْ رَبُّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ⑧
وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ آتِ الْقَوْمَ الطَّالِبِينَ ⑨
فَقَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَفَقَهُونَ ⑩ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ
يُكَذِّبُونِ ⑪ وَيَجْعَلُنَّ صَدْرِي وَلَا يَخْلُقُنَّ لِي آيَاتٍ فَارْسِلْ
لِي هَارُونَ ⑫ وَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ مُّخَافٍ أَنْ يَقْتُلُونَهُ ⑬
قَالَ كَلَّا فَإِنِّي أَنَا أَنَا مَعَكُمْ مُّتَمِّمُونَ ⑭ فَأَتَيْنَا
فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ⑮ أَنْ أَرْسِلْ
مَعَنَا نَبِيًّا يُسَرِّدُنَا ⑯ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ كُنْتُ نَبِيًّا وَلِيَدَا وَلَيْتَ
مَعِيَ غَمْرُكَ سِيقَ ⑰ وَفَعَلْتُ فَعَمْتُكَ الْتَمَّ فَعَمْتُكَ

المفردات : : ﴿أو لم يروا﴾ : الهمزة
للإيثار التوبيخي.

﴿كم أنبتنا﴾ : كم تفيد كثرة ما بعدها.
﴿من كل زوج﴾ : ﴿من﴾ هنا تدل على أن ما
بعدها بيان للمراد من ﴿كم﴾ المذكورة قبلها،
والزوج الصنف كما في الآية (٥٢) من سورة
طه صفحة ٤١٠، وله إطلاقات أخرى تجدها
في صفحة ٦٨٧. والمعنى هنا: أنبتنا فيها
عددًا كبيرًا من أصناف النبات والشجر.
﴿كريم﴾ : محمود لكثرة منافعه.

﴿آية﴾ : أي لعظة وعبرة. ﴿ألا﴾ :

حرف يدل على عرض ما بعدها على السامع وحثه عليه كقولك: ألا تلقى علينا درسًا
يدكرنا بالله. ﴿إنا رسول رب العالمين﴾ : الأصل ﴿إنا رسولاً﴾ ونظرًا لاتحاد مطلبهما جعلهما
كأنهما رسول واحد. ﴿لبثت﴾ : مكثت.

المعنى : : ما يأتيهم بعض من القرآن لهدايتهم إلا كانوا عنه معرضين، بل لم يكتفوا
بالإعراض عنه، بل كذبوا به تكديبًا صريحًا، مستهزئين به كما في صفحة ٤٢٠، فدعهم أيها
النبي فسيئاتهم مصداق أخبار القرآن الذي استهزؤا به وقالوا عليه إنه سحر وشعر، وقد وقع
فعلًا ما هددهم به من القتل والأسر في الدنيا، وسيلقون أشد العذاب في الآخرة. وبعد ما
بيّن إعراضهم عن الآيات المعزلة، أراد أن يبين إعراضهم عن النظر في الآيات الكونية فقال:
﴿أو لم يروا﴾ إلخ: أي هل أصروا على ما هم عليه من الكفر ولم ينظروا إلى عجائب صنعنا
في الأرض.

ثم بين ذلك بأنه أبيت فيها عددًا كثيرًا من أفراد كل صنف من أصناف الشجر والنبات مختلف الأشكال والألوان، إلى غير ذلك من كل عظيم النعم. إن في ذلك الإنبات لعظة تدعو إلى الإيمان بأنه صانع حكيم. ومع كل هذا فقد تحجرت قلوبهم فلم يؤمن منهم إلا قليل، فلا تحزن لأن ربك هو العزيز أي الغالب الذي لا يقلب وسيفتقم منهم، وهو الرحيم لمن آمن منهم ومن غيرهم. ثم أراد سبحانه أن يعفف عن رسوله تألمه من عنادهم فذكر له ما وقع لإخوانه الأنبياء قبله، وما حل بمن كذبوه، ليظهر له أن أكثر الناس في كل أمة من حزب الشيطان فقال: ﴿وإذ نادى ربك موسى﴾ إلخ. أي واذكر لقومك وقت نداء ربك لموسى على الطور كما تقدم في صفحة ٤٠٧ إذ قال له توجه إلى القوم الظالمين لأنفسهم ولغيرهم باستعباد بني إسرائيل، ثم بينهم بقوله:

قوم فرعون، أي وفرعون، لأنه رأس البلايا، انظر آيتي (١٦، ١٧) من سورة النازعات صفحات ٧٨٩، ٧٩٠ إنهم قاتلا لهم ألا يتقون ربهم فيمتنعوا عن الظلم ولما كان عند موسى ما يحشاه وهو أربعة أشياء عرصها على ربه سبحانه ليدير له أمرها فقال يارب إنني أخاف أن يكذبوني من أول الأمر فأفعل فيضيق قلبي فينحبس لساني فلا أقدر على البيان والمعالجة، فأرسل بفصلك من يكلف هارون أخى بأن يكون معي، لأنه أفصح مني لسانًا، انظر صفحات ٤٠٨، ٥١١، خصوصًا أن لقوم فرعون على شر دسب في زعمهم وهو قتل رجل منهم خطأ كما في صفحة ٥٠٨، فأحاف أن يقتلوني ظلما.

قال سبحانه: كلا، أي لا تحف، فقد أحبتك إلى طلبك من إرسال أخيك معك، فادعها إلى فرعون مؤيدين بآياتنا الموصحة في صفحة ٤١٠، إنا معكم أنت وأخيك وفرعون وقومه سامعون لكل ما يجرى بينكم من كيدهم، فأتيا فرعون وليقل كل منكما إنا رسول رب العالمين سلحك عن ربك أن ترسل معنا بني إسرائيل، أي تطلقهم لينهبوا معنا إلى الشام، هذها إليه وبلغاه فقال فرعون كيف تحرؤ على ما تقول؟ ألم نريك في منازلنا حال كونك طعلا قريب عهد بالولادة، ومكثت في دارنا من عمرك عدد سنين، كانت ٢٠ سنة، ومكثت في مدين ١٠ سنوات، ومكثت في مصر بعد الرسالة يدعوهم ٢٠ سنة، وعاش بعد غرق فرعون ٥٠ سنة، والله تعالى أعلم. وفعلت فعلتك التي فعلتها، يريد قتل الرجل كما تقدم.

وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ① قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ
الضَّالِّينَ ② فَعَرَرْتُ بِكَ لَمَّا جِئْتُكَ فَوَهَبَ لِي رَقِي
حُكْمًا وَجَعَلَ لِي مِنَ الْمُتَسِّبِينَ ③ وَبِذَلِكَ نِعْمَةٌ تَمَّتْهَا
عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ④ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ
الْعَالَمِينَ ⑤ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا
إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ⑥ قَالَ لَيْسَ حَوْلَهُ شَيْءٌ لَّا تَسْمَعُونَ ⑦
قَالَ رَبُّكَ وَرَبُّ آبَائِكَ الْأُولَى ⑧ قَالَ إِنْ رَسُولُكَ
إِلَّا نَذِيرٌ أَرْسَلَ إِلَيْكَ لَمَجُونٌ ⑨ قَالَ رَبُّ الْمَطْرِيقِ
وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ⑩ قَالَ لَيْسَ
أَتَّخِذُ لَهَا غَيْرِي لَأَجْعَلَكَ مِنَ السَّجُونِ ⑪
قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ⑫ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ
كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ⑬ قَالَتْ فَذَا هِيَ تُغَيَّبُ

الممردات : «الكافرين» : أى الجاحدين
لنعمتنا .

«الضالين» المراد بالصلال هنا الجهل
بالمواقب الموقع هي الخطأ .

«حكما» : أى حكمة أضاع بها كل شيء هي
موصمه .

«وتلك نعمة» : مقدر معها استفهام
إنكارى ، أى وهل تلك نعمة .

«أن عبدت» : «أن» حرف يدل على أن
ما بعده تفسير لما قبله وهو ما اعتبره فرعون
نعمة مع أنه نعمة ، وعبدت أى اتخذتهم عبيداً .

المعنى . قال فرعون فعلت جريمتك يا موسى والحال أنك من الجاحدين لنعمتى
عليك .

قال موسى إنما قتلت هذا القبطى جاهلا أن صبرى للتأديب يذهب حياته ، فلما حمت من
أن تقتلواى كما هي صفحة ٥٠٩ حررت إلى مدين ، فوهب لى رقى حكمة ، وجعلتى من رسله ،
وهل يصح يا فرعون أن تسمى شيئا ما نعمة وهو فى الحقيقة نعمة ، وذلك أن اصطهادك لبني
إسرائيل وبيع رجالهم هو السبب فى خوف أمى على حتى رمتى فى البحر فوصلت إلى بيتك
ولولا تصرفك لما حصل هذا ، انظر صفحة ٥٠٧ ، وهذا القول لا يباى ما هي الآية (٤٤) من
سورة طه صفحة ٤٠٩ ، لأن المراد به هناك أول الأمر بدليل ما هي الآية (١٠٢) من سورة
الإسراء صفحة ٣٧٨ .

ولما رأى فرعون أن موسى لم يحف منه قال

وما رب العالمين الذي تقول إنك رسوله؟ هيبه موسى بآثاره وأعماله البديعة، لأن العقول لا تصل إلى حقيقة ذاته تعالى، فقال

هو رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم من أهل اليقين الذين يعلمون عجائب هذه الأشياء فيقطعون بأنها لا توجد بدون موحد حكيم.

ولما كان فرعون يوهم قومه الذين استحف عقولهم كما هي صفحة ٦٥٢ بأنه ليس هي لكون رب أعلى منه، وأن هذه الأشياء التي ذكرها موسى قديمة متحركة بدتها، قال لمن حوله في صورة المستهزئ ألا تسمعون إلى هذا الباطل من أن هناك إلها عيرى كما هي صفحة ٥١٢.

بعد ذلك سلك موسى طريقاً آخر للمحاجة لا تمكن تلك المكابرة فيه، وهو خلقهم وخلق أبائهم قبلهم فلا يمكن أن يكون هؤلاء قدما ولا موحدين بدون موحد، فراد التلميح في تصليل قومه وهو من الحججة وقال إن هذا الرجل الذي يدعى أنه رسول مجنون أسأله عن حقيقة إلهه فيجيبني بشيء آخر فسلك موسى طريق دليل آخر مشاهد لهم كل يوم وفيه سبب حياتهم فقال

هو رب المشرق والمغرب إلخ أى هو الذي يحرك الشمس بنظام محكم حتى يتمتع بها كل حي فإن كنتم تعقلون وحب أن تعلموا صحة قولى، فلما انقطع عن فرعون باب التدجيل عمد إلى تهديد كما هي عادة كل جبار ظالم فقال.

وعزتي لئن اتبعت يا موسى إلها عيرى لأجعلك ضمن المسحوقين الذين تعرف ما يقاسونه من العذاب وما يصيرون إليه من الموت.

قال موسى هل يفعل ذلك حتى لو جئتك بدليل بين صدقى؟ قال.

فأت بهذا الدليل إن كنت صادقاً، فألقى موسى عصاه فإذا هي ثعبان .. إلخ

مُسِيٍّ ٢٠ وَزَرَعَ يَدَهُ فَنَزَعَ مِنْ يَتَصَاءَ لِلنَّظِيرِينَ ٢١
 قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ٢٢ يُرِيدُ أَنْ
 يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ٢٣ قَالُوا
 أَرَجِهْ وَأَخْلَهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَلَائِكِ حَاشِرِينَ ٢٤ يَا تَوَكُّ
 بِكَ كُلُّ سَحَابٍ عَلِيمٌ ٢٥ بِكَيْفِ السَّحَرَةِ لِيُفْنِتَ يَوْمَ
 مَطْلُومٍ ٢٦ وَيَقُولَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ٢٧ لَمَلْنَا
 نَفْعَ السَّحَرَةِ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ٢٨ فَمَا جَاءَ السَّحَرَةُ
 فَظُفِرَ لِمَرْغُومٍ إِنْ لَكَ لَأَبْرَأُ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ٢٩
 قَالَ نَعَمْ وَإِنِّي إِذَا نِمُّ الْمَقْرَبِينَ ٣٠ قَالَ لَهُمُ مُوسَى
 أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْكُونَ ٣١ فَاَلْقَوْا حَبْلَهُمْ وَخَصِيمَهُمْ وَقَالُوا
 بَعْرَةٌ لِرِغْمٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا نَجَاتُ الْعَالِينَ ٣٢ قَالَ لِي مُوسَى
 عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْكُرُونَ ٣٣ قَالَتِ السَّحَرَةُ

المصردات :- «نزع يده» : أى أخرجها من
 جيبه كما فى الآية (١٢) من سورة النمل
 صفحة ٤٩٥.

«قال للملأ حوله» : إذا جمعنا ما هنا وما
 تقدم فى صفحة ٢١٠ نعلم أن الذى حصل هو
 أن موسى لما أظهر المعجزة قال فرعون
 وبعض ملئه معاطلين بقية الملا إن هذا
 لساحر عليم إلخ، فرد البعض الآخر يطلب
 إمهالة ودعوة السحرة إلخ.

فالقرآن فى حكاية القول الأول تارة يقتصر
 على قول الرئيس وهو فرعون كما هنا، وتارة
 ينسب القول للرئيس ومن ردد قوله معلما
 موافقته كما فى صفحة ٢١٠.

«يخرجكم من أرضكم» : تقدم فى صفحات ٤١٠، ٤١١.

«فماذا تأمرون» : أى تشيرون به، مأخوذ من المؤامرة وهى المشاورة

«أرجه» : أمهله، انظر صفحة ٢١٠.

«حاشرين» : أى رجالا يجمعون السحرة، انظر أيضا صفحة ٢١٠.

«سحار» : عظيم السحر.

«لميقات يوم معلوم» : هو يوم الريبة المتقدم فى صفحة ٤١٠.

«هل أنتم مجتمعون» : «هل» : هنا للحث على العمل، أى اجتمعوا

﴿تلقف﴾ تبتلع بقوة وسرعة

﴿يافكون﴾ : يكذبون به على الناس، انظر صفحة ٢١٠.

﴿فألقى السحرة﴾ أى حروا على الأرض سجدا لله تعالى، انظر صفحة ٤١١.

المعنى . ألقى موسى عصاه على الأرض فإذا هى ثعبان واضح لاشك فى أنه ثعبان،
وادخل يده تحت إبطه ثم أخرجها فإذا هى بيضاء باضاً واضحاً لكل باظر أنه يحالف جميع
نور يده . عند ذلك قال فرعون للزعماء المجتمعين حوله إن هذا الرجل يعنى موسى وعزتى
لساحر عرير العلم بالسحر، يريد أن يستولى على ملككم فيطردكم منه فما هو الشيء الذى
تأمرون وتشيرون به من حبس أو قتل مثلاً؟ وبظهر أن القوم حافوا من فتنة العوم لو قوبل
موسى بالعلظة بدون مقابلة عمله بمثله لأن فى عدم المقابلة بالمثل دليل المعجز، فقالوا

أمهله هو وأحياه وأبعث رجالاً يجمعون من أنحاء المملكة كل متين فى السحر عليم بعونه،
فعمل وجمع السحرة عند حلول زمن مؤقت ومحدد من يوم معلوم هو الصبح من يوم الرتبة
وقيل للناس هموا وأحضروا هذا الاجتماع لعلمنا بشاهد انتصار السحرة فشئت على الدين
الذى هم عليه وهو دين فرعون، فلما جاء السحرة لمكان الاجتماع قالوا هل لنا أجرا إن علمنا
موسى؟ قال فرعون نعم لكم أجر مائة وأجر مائة وهو أنكم إذا انتصرتكم وعزتى
لتكون من المقربين عدى فى الرتبة والجاه، وتكونون من خواصى.

بعد ذلك قال السحرة لموسى إما أن تلقى ما معك أولاً أو تلقى نحن، قال ألقوا ما أنتم
ملقون من أدوات سحركم، انظر صفحة ٤١١، فألقوا حبالهم، وعصيتهم الممبوءة بالرشق كما
فى شرح صفحة ٤١١ وقالوا بحق عزة فرعون وقوته إنا نحن العالمون فألقى موسى عصاه
فماحاهم أنها تبتلع كل ما حددوا به الناس من حبال وعصى، فسقط السحرة على الأرض
ساجدين لله من قوة المعجزة

المعجرات . ﴿من خلافا﴾ أى يدا من جهة ورجلا من أخرى كما تقدم فى صفحة
٤١٢. ﴿لا ضير﴾ لا ضرر علينا ﴿منقلبون﴾ . راجعون كما فى الآية (٢١) من سورة

سَاجِدِينَ ﴿١٨﴾ قُلُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩﴾ رَبِّ مُوسَى
وَهَارُونَ ﴿٢٠﴾ قَالَ أَتَسْتَمْتَعُونَ قَبْلَ أَنْ أَدْنِيَ لَكُم مِّنْ
لَّكِبٍ ذُرِّيَّتِي طَلَبُكَ السَّحَرِ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا تَقْطَعَنَّ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا يَمْسِكْكُمْ أَحَدٌ ﴿٢١﴾
قُلُوا لَا ضَرَرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنا مُقْلِبُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَطْمَعُ
أَنْ يَخْزِيَ لَنَا رَسُولًا حَكِيمًا أَلَمْ تَكُنْ أَوَّلَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٣﴾
• وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَمْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿٢٤﴾
فَلَوْلَا فِرْعَوْنُ فِي الدَّآخِلِ خَشِيرِينَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ مَرْوَلًا
لَّيَشْرَدُ قَلِيلُونَ ﴿٢٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِنَّا بِالْجَمِيعِ
خَالِدُونَ ﴿٢٨﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٩﴾
وَكُنُوزٍ وَمَقَارٍ عَمْرِءٍ ﴿٣٠﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي
إِسْرَءِيلَ ﴿٣١﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُّشْرِقِينَ ﴿٣٢﴾ فَلَمَّا تَرَوُا الْبَحْشَيْنِ

المطمعِين صفحة ٧٩٨. ﴿أسر بعبادي﴾ : من
سرى إذا سار ليلاً كما تقدم في صفحة ٢٦٤
﴿متبعون﴾ : أي سنبفكم فرعون وحنوده
بنفسى عليهم قصامنا. ﴿حاشرين﴾ : أي
حامسين للبعد من كل مكان. ﴿لشردة﴾
هى الطائفة من لئاس نتر لا بحسب نهما
حساب ﴿لجميع حادرون﴾ ﴿جميع﴾ هنا
معناها جمع بفتح فسكون كما هى الآية (١٤)
من سورة القمر صفحة ٧٠٧. أي إنا لجمع
من عادت نحدرو ولا حتراس من أن يصاحا
بمكروه. ﴿فأخرجناهم﴾ أي حركنا فيهم
دواعى الخروج بهذه الأسباب المتقدمة.
﴿مقام كريم﴾ هى المساكى الحسة

والمجالس البهجة. ﴿كذلك﴾ أي لأمر كذلك فانمراد تحقيق ما تقدم. ﴿وأورثناها بني
إسرائيل﴾ أي أعطيناها لهم وهذه الجملة وما قبلها ﴿كذلك﴾ متوسطة بين المعطوف
﴿فاتبعوه﴾ والمعطوف عليه ﴿فأخرجناهم﴾ لأن اتباع فرعون لبني إسرائيل كان عقب
خروجه من عاصمة ملكه لا عقب الميراث. ﴿مشرقين﴾ أي داخلين هى وقت شروق لشمس
كقولهم امسى إذا دخل فى وقت المساء ﴿ترأى الجمعان﴾ أي تقارباً حتى رأى كل منهما
الأخر.

لعمري . فحر السحرة ساجدين لله لعلمهم أن ما أتى به موسى لا يمكن أن يكون سحراً
كما تقدم فى صفحاتى ١١١ : ١٢٢ حال كونهم قائلين امنا رب العالمين لدى هو رب موسى
وهارون لينصوا على أنه ليس فرعون. قال فرعون امسم له قبل أن ادن لكى ما فعلتم ذلك إلا
لأنه رئيسكم فى علم السحر الذى علمكم ذلك. فستعلمون وبأل عمىكم ثم بين ما هدد به
بقوله وعزتى لأقطع أيدىكم وأرجلكم من خلاف. ولأصليكم بعد ذلك فى حدود السجل

(١) ساجدين	(٢) امنا	(٣) العالمين	(٤) هارون	(٥) امسم
(٦) دن	(٧) خلاف	(٨) حطابنا	(٩) حاشرين	(١٠) حادرون
(١١) فأخرجناهم	(١٢) حات	(١٣) أورشاه	(١٤) إسرائيل	(١٥) برى

لتكوينوا عبرة لعيركم. قالوا لا صبر علينا فيما تهددنا به لأننا راجعون إلى ربنا بالموت على كل حال فسيجاريينا بأحسن الثواب، لأننا نطمح أن يفخر لنا خطايانا فيما أكرهتنا عليه من السحر كما هي صفحة ٤١٢ بسبب كوننا أول مَنْ يؤمن به من أهل هذا المشهد. وبعد ذلك مصى موسى يحذرهم ويظهر لهم دلائل صدقه، ومكث على ذلك نحو ٢٠ عاما فلم يرددهم ذلك إلا عمادا، عند ذلك أوحى الله تعالى إلى موسى أن يسرى ليلا بنى إسرائيل نحو المشرق، وأخبره بأن فرعون وجنده سيتبعونهم فلا تحافوا فإني سأهلكهم، فلما خرج موسى بقومه ليلا وعم فرعون أرسل مَنْ يجمع له الجند من أنحاء ملكه، ولما اجتمعوا قال لهم محرضا لهم على اتباع موسى وقومه بأمور ثلاثة الأول أنهم جماعة حقيرة، والثاني أنهم فعلوا ما يعيظنا من مخالفة أمرنا ومحاولة الخروج من ملكنا بدون إذن، والثالث أننا قوم من عادتنا شدة الصدر وليقظة فلا يصح أن يقهر على ما لا نريد، فأخرجنا فرعون وجنوده من جنات كانوا طول وقتهم يتنعمون بها، وعبور تحرى بالماء وأموال كثيرة من الذهب والمصنة كنزوها ولم ينفقوها في مصلحة الناس، ومساكن حسنة ومجالس بهجة، حقيقة ما حصل هو ذلك الذي ذكرناه لك أيها النبي.

وكانت هذه النعم التي نرعناها من بنى إسرائيل في النهاية منحة لبني إسرائيل. ثم رجع سبحانه لتفصيل أصل القصة فقال «فأتبعوهم» أي فأتبع فرعون وجنوده بنى إسرائيل هي وقت شروق الشمس حتى إذا قربوا منهم ورأى بعضهم بعضا قال أصحاب موسى إلى آخر ما سيأتى. وظاهر الكلام يدل على أن بنى إسرائيل رجعوا إلى مصر بعد غرق فرعون، قال بذلك قوم، وأيدوا ما هنا بما في آيتي (١٠٣، ١٠٤) من سورة الإسراء صفحتي ٣٧٨، ٣٧٩، وآيتي (٥، ٦) من سورة القصص صفحة ٥٠٦، وآيتي (٢٦، ٢٨) من سورة الدخان صفحة ٦٥٨، وقال قوم إنهم لم يرجعوا واستدلوا بما في الآية (١٢٧) من سورة الأعراف صفحة ٢١٢ من أنه أعطاهم الأرض التي بارك فيها، والأرض التي وصفت بذلك في القرآن هي الشام كما هي أول سورة الإسراء صفحة ٣٦٤ وآيتي (٧١، ٨١) من سورة الأنبياء صفحتي ٤٢٧، ٤٢٩ وجمع بعضهم بين الآيات بأن فلسطين كانت في عهد فرعون موسى تابعة لمصر، إن التواريخ كلها ظاهرة، في أنهم لم يرجعوا وكذا يقوى عدم الرجوع سياق القصة في الآيات من (١٢٦ إلى ١٧١) من سورة الأعراف، وإن قوله تعالى هنا فأخرجناهم من جنات إلخ بالتكثير ظاهر في أنه سبحانه أعطاهم جنات وعبور إلخ مثلها لا عيبها، إذ لو كان المراد غير ما في مصر لقال سبحانه من الجنات. إلخ بالتعريف، والله أعلم. وهذا هو ما اختاره «مولانا محمد علي الهندي» في تعليقه على ترجمته للقرآن إلى اللغة الإنكليزية.

قَالَ اصْحَبْ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرَكُونَ ﴿١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ
رَبِّي سَيِّدِي ﴿٢﴾ فَلَوْحًا إِنْ مُوسَى أَنْ أُصِيبَ بِعَصَاكَ
الْبَحْرُ فَأَعْلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٣﴾
وَأَزَلَّاهُمْ يَوْمَ الْآخِرِينَ ﴿٤﴾ وَأَلْجَأَ مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ
الْبَحْرَيْنِ ﴿٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقَ الْآخَرِينَ ﴿٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
وَمَا كَانَ أَكْثَرُكُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧﴾ وَإِنْ رَأَيْتَ مُرَارَ الْعَرَبِ
الرَّحِيمِ ﴿٨﴾ وَآتَىٰ عَلَيْهِمْ نَارًا بِرَأْسِهِمْ ﴿٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَيُّهَا
وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُنُّكَ
مِنَ الْعَاكِفِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَلِ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَنْذَرُ ﴿١٢﴾
أَوْ يَنْفَعُونَكَ لَوِ يَصْرونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا
كَذَلِكَ يَقْعُدُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿١٥﴾
أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿١٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِلرَّبِّ

المفردات :- ﴿كلا﴾ : كلمة تدل على النهي
عن قول ما سبقها .

﴿فرق﴾ : أى جرد مما تصرف من ماء
البحر .

﴿الطود﴾ : الجبل .

﴿أزلهما﴾ : أى قريبا إلى وسط الماء .

﴿ثم﴾ : هناك أى وسط البحر .

﴿الآخرين﴾ : فرعون وقومه .

﴿آية﴾ : أى دليل قاطع وعبرة لمن يعتبر .

﴿بظلم﴾ : أى نصير ونواظب . ﴿عاكفين﴾ :

أى ملازمين ومداومين . ﴿عدو لي﴾ : تقدم فى صفحة ٢٨٨ أن العدو يطلق على الواحد
والأكثر .

المعنى :- قال أصحاب موسى لما رأوا جند فرعون إنا لمدركون أى قرب أن يلحقنا عدونا
فیهلكنا قال موسى أرجركم عن قول ذلك . لأن ربى معى بحمطه وعسايته ، وسيهدى إلى
طريق الخلاص .

عند ذلك أوحى الله تعالى إلى موسى بأن يصرب بعصاه البحر ، فصرب فاصق ماؤه حتى
صار كل قطعة منه كالجيل العالى ، وصار ما تحته كأنه سرداب يسير فيه العابر فلا تبل قدمه .
انظر الآية (٧٧) من سورة طه صفحة ٤١٢ .

(١) آية

(٢، ٣) الآخرين

(١) أصحاب

(٧) آلهما

(٦) عاكفين

(٥) إبراهيم

(٩) آيلاكم .

(٨) أقرأيتم

وقربنا إلى هذه العراديي فرعون وقومه فأندهموا في الدحول فيها، وأنجينا موسى وقومه
أجمعين بإخراجهم قبل انطباق الماء على فرعون، ثم بعد نجات قوم موسى أغرقنا فرعون
وجنده بإرجاع الماء كما كان فقطاهم.

إن في هذا الصنع المحكم لعبرة ودليلا لمن له عقل يفكر.

ولكن ما كان أكثر المصريين مؤمنين، إذ لم يؤمن منهم إلا الرجل المذكور في الآية (٢٨)
من سورة غافر صفحة ٦٢١، وإلا امرأة فرعون كما في الآية (١١) من سورة التحريم صفحة
٧٥٢، وإلا السحرة كما تقدم هنا.

وما كان أكثر قوم موسى مطيعين له حق الطاعة لأنهم بعد خروجهم من البحر عبيدا
العجل كما في صفحة ٤١٤، وسألوا رؤية ربهم حيرة كما في صفحة ١١، وعصوا أمر ربهم في
دحول الأرض المقدسة كما في صفحتي ١٤٠، ١٤١، وإن ربك أيها النبي لهو العزيز العالب
الذي لا يغلب فلا يعجزه الانتقام من أعدائه، الرحيم بأوليائه المؤمنين برسله، وفي هذا
تهديد لكفار قريش إذا لم يعتبروا.

واتل أيها النبي على كمار قومك خبر إبراهيم نبي الله حين قال لأبيه وقومه كما في
صفحة ١٧٤ ما هذا الذي تعبدونه من دون الله؟ قالوا نعبد أصناما مصير لأهل تمظيما
مداومين على عبادتها.

قال : هل يسمعونكم حين تتادبونهم أو يسمعونكم برزق أو صيحة إن عيبتموهم، أو يصرونكم
إن أهملتموهم؟ قالوا بل لم يحصل شيء مما تقول، ولكننا وجدنا آباءنا قاصرين عبادتهم عليها
فقلدناهم، فأراد إبراهيم أن يكر عليهم موبخا فقال «أمرأيتكم» إلخ أي هل تأملتكم هل علمتم
حال ما داومتكم على عبادته من هذه الأصنام أنتم وأباؤكم الأقدمون؟ أي كلا لم تتأمروا إذ لو
تأملتكم لقطعتم بأنهم لا يستحقون ذلك، أما أنا فإني أبعصهم لأنهم كأعدائي في كرههم وحب
البعد عنهم، ولن يستطيعوا إصراري بشيء وهذا دليل بطلان ألوهيتهم، انظر نظيره في قوم
نوح وهود في صفحات ٢٧٧، ٢٩١، ٢٩٢، لكن رب العالمين هو وليي وناصري ومؤيدي إلخ.

الْعَالِينَ ۝ الَّذِي حَقَّنِي فَأَهْوَيْتَنِي ۝ وَالَّذِي هُوَ
يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ۝
وَالَّذِي يُخَيِّتُنِي ثُمَّ يُجَبِّنِي ۝ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي
خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ۝ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْهِمْنِي
فِي الصَّالِحِينَ ۝ وَأَجْعَلْ لِي زُلْفًا صِدْقًا فِي الْآخِرِينَ ۝
وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ۝ وَأَغْفِرْ لِي إِنَّهُ
كَانَ مِنَ الْغَافِلِينَ ۝ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝
يَوْمَ لَا يَفْعَلُ مَقْلٌ وَلَا سَوْءٌ ۝ إِلَّا مَنْ أُلْقِيَ بِقَلْبٍ
سَلِيمٍ ۝ وَأَرْلَفْتَ الْحَسَنَةَ لِلْمُسْتَقِيمِ ۝ وَبَرَزْتَ
الْجَحِيمَ لِلْغَاوِينَ ۝ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ۝
مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ يَسْعَوْنَكَرُ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ۝ فَكَبُّوا
بِهَا ثُمَّ وَالْتَفَتُوا ۝ وَحُودٌ لِإِبْلِيسَ ابْتِغَاءً ۝

المفردات :- «أطمع» : المراد أرجو،
وإنما قال ذلك هضمًا لنعمته كأنه لم يعمل
شيئًا صالحًا.

«يوم الدين» : يوم الحساب، انظر سورة
المائدة.

«حكمًا» : حكمة، انظر الآية (٢١) من
هذه السورة صفحة ٤٨١. «لسان صدق»
المراد ذكرًا حسنًا، وهو لا يكون إلا بالتوفيق
للأعمال الصالحة، وهذا هو المقصود
بالدعاء، انظر صفحة ٤٠١.

«قلب سليم» : أي ليس مريضًا بكسر ولا
نفاق ولا رياء.

«أرلفت الجنة» : أي قرئت، وعبر بالماضي لتحقيق وقوع ذلك.

«برزت الجحيم» أي جعلت باررة ظاهرة لهم حتى يروا أهوالها. «لعمري» يطلق
الغاي على مَنْ يضلّه غيره كما هنا وكما في آيتي (١٧٥) من سورة الأعراف صفحة ٢٢١، و
(٤٢) من سورة الحجر صفحة ٢٤١، وعلى مَنْ يصلّ غيره كما في الآية (٩٤) الأتية هنا، وجاء
المعنيين في الآية (٦٣) من سورة القصص صفحة ٥١٦، والآية (٢٢) من سورة الصافات
صفحة ٥٨٩. «ينتصرون» : بأن يدفعوا العذاب عن أنفسهم. «ككبوا» : أي طرحوا على
وجوههم المرة بعد المرة حتى وصلوا قعر جهنم. وعبر بالماضي للتحقق كما سبق.

المعنى . ولكن خالق كل العالم هو وليّ في الدنيا والآخرة، فليس بيني وبينه سوى الموالاة
والمحبة، وهو الذي خلّصني، وهو الذي يهديني لما فيه الخير في الدنيا والآخرة، وهو الذي
يطعمني ببرقه الذي يسوقه لي ويسقيني، ولولاه لما نزل من السماء ماء، وهو وحده الذي ينعم
عليّ بالشقاء إذا مرضت، وهو وحده الذي يميّتي العينة الطبيعية عند حلول أحلي ثم يعيّنني

يوم البعث للحساب والجزاء، وهو الذي أرجوه في حصوع وتواضع أن يعبر ما عسى أن يكون صدر مني من الخطأ يوم الحساب، أي كل هذه الأعمال لا يعلمها غيره تعالى وليس لأصنامكم حظ منها، انظر الآية (١٧) من سورة العنكبوت صمحتي ٥٢٢ ٥٢٢. وبعد أن أثني إبراهيم علي ربه بما ذكر توجه إليه بالدعاء فقال يا رب امنحني حكمة اصنع بها كل شيء في محبة. ووفقني لأكمل الأعمال حتى أكون في زمرة الصالحين. وقد أحياه سبحانه كما في الآية (٧٢) من سورة الأنبياء صمحة ٤٢٧، والآية (٢٧) من سورة العنكبوت صمحة ٥٢٤ ووفقني يا رب للأعمال الصالحة حتى يقبلي بي عيري هيدكروني بالخير وهم صادقون، واحمسي يا رب ممن يتمتعون بسعيم الجنة كما يتمتع الوارث بما يراه من فيض فضلك. ولما كان وعد أناء آزر بانه سيستعفر له كما في الآية (١٧) من سورة مريم صمحتي ٤٠٠، ٤٠١ بر بوعدة وقال واعفر لأبي دنوبه لأنه استمر على الصلابة مدة طويلة بأن توفقه وتهديه للإيمان

ولكنه بعدما علم موته على الكفر تبرأ منه كما في الآية (١١٤) من سورة التوبة صمحتي ٢٦١، ٢٦٢. ولا تحزني يا رب يوم يبعث الحق بأن تدخلني النار كما في الآية (١٩٢) من سورة آل عمران صمحة ٩٥، يوم لا يفع مال ولا نول في دفع العذاب عن العبد. لكن من أتى الله بقلب سليم حال من أمراض القلوب كالكفر والحسد والبغاء والرياء يسمعه عظمه الناتج عن هذا القلب السليم. وهنا انتهى كلام إبراهيم عليه السلام، وشرع سبحانه في بيان ما سيكون في ذلك اليوم الذي طلب فيه إبراهيم العجاة فقال وأرسلت الجنة أي قريت للمتقين حتى يفرحوا بدخولها، انظر الآية (٢١) من سورة ق صمحة ٦٩٠. وأررت الجحيم لكل من صل وعوى ليسارع إليهم المزع والحسرة، وتقول لهم ربانية جهنم توبيحاً أين ما كنتم تخصعون لهم تاركين ربكم وراء ظهوركم هل ينصركم أحد منهم اليوم بمنع العذاب عنكم، أو حتى بمنع العذاب عن بعضه هو؟ انظر الآية (٢٨) من سورة يونس صمحتي ٢٧٠، ٢٧١ والآية (٢٢) من سورة الصافات صمحة ٥٨٨. بعد ذلك تدفع الملائكة هؤلاء العابدين لغير الله على وجوههم في جهنم هم ومن أعواهم من الأسرار والرهبان، انظر الآية (٢١) من سورة التوبة صمحة ٢٤٥. وحمود إبليس من الجن أجمعين

قَالُوا وَمَنْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿١٧﴾ تَأْتِيهِمْ إِذَا كَانُوا عَلَى سَلِيلٍ
 مُبِينٍ ﴿١٨﴾ إِذْ يَقُولُ بَرِّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا
 الْمُجْرِمُونَ ﴿٢٠﴾ قَالَتْ يَنْسِفُ اللَّهُ يُخَالِفُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾
 خَبِيرٌ ﴿٢٢﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فَمَتَّوْنَهُمْ فِيهَا أَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾
 وَإِنْ يَدْعُنَا إِلَى شَيْءٍ نَهْيُكُمْ عَنْهُ وَنَقُولُ أَنْتُمْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ
 كُنَّا نَعْبُدُ إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ فَأْتُوا بِنَبَأٍ بِهِ نَعْمَلُ لَهُمْ عَذَابًا
 مُبِينًا ﴿٢٤﴾ وَإِنْ يَدْعُنَا إِلَى شَيْءٍ نَهْيُكُمْ عَنْهُ وَنَقُولُ أَنْتُمْ
 أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَعْبُدُ إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ فَأْتُوا بِنَبَأٍ بِهِ نَعْمَلُ
 لَهُمْ عَذَابًا مُبِينًا ﴿٢٥﴾ وَإِنْ يَدْعُنَا إِلَى شَيْءٍ نَهْيُكُمْ
 عَنْهُ وَنَقُولُ أَنْتُمْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَعْبُدُ إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ
 فَأْتُوا بِنَبَأٍ بِهِ نَعْمَلُ لَهُمْ عَذَابًا مُبِينًا ﴿٢٦﴾ وَإِنْ
 يَدْعُنَا إِلَى شَيْءٍ نَهْيُكُمْ عَنْهُ وَنَقُولُ أَنْتُمْ أَرَأَيْتُمْ
 إِنْ كُنَّا نَعْبُدُ إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ فَأْتُوا بِنَبَأٍ بِهِ نَعْمَلُ لَهُمْ
 عَذَابًا مُبِينًا ﴿٢٧﴾ وَإِنْ يَدْعُنَا إِلَى شَيْءٍ نَهْيُكُمْ عَنْهُ
 وَنَقُولُ أَنْتُمْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَعْبُدُ إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ فَأْتُوا
 بِنَبَأٍ بِهِ نَعْمَلُ لَهُمْ عَذَابًا مُبِينًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ يَدْعُنَا
 إِلَى شَيْءٍ نَهْيُكُمْ عَنْهُ وَنَقُولُ أَنْتُمْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا
 نَعْبُدُ إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ فَأْتُوا بِنَبَأٍ بِهِ نَعْمَلُ لَهُمْ عَذَابًا
 مُبِينًا ﴿٢٩﴾ وَإِنْ يَدْعُنَا إِلَى شَيْءٍ نَهْيُكُمْ عَنْهُ وَنَقُولُ
 أَنْتُمْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَعْبُدُ إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ فَأْتُوا بِنَبَأٍ
 بِهِ نَعْمَلُ لَهُمْ عَذَابًا مُبِينًا ﴿٣٠﴾ وَإِنْ يَدْعُنَا إِلَى
 شَيْءٍ نَهْيُكُمْ عَنْهُ وَنَقُولُ أَنْتُمْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَعْبُدُ
 إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ فَأْتُوا بِنَبَأٍ بِهِ نَعْمَلُ لَهُمْ عَذَابًا مُبِينًا
 ﴿٣١﴾ وَإِنْ يَدْعُنَا إِلَى شَيْءٍ نَهْيُكُمْ عَنْهُ وَنَقُولُ أَنْتُمْ
 أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَعْبُدُ إِلَهًا غَيْرَ اللَّهِ فَأْتُوا بِنَبَأٍ بِهِ
 نَعْمَلُ لَهُمْ عَذَابًا مُبِينًا ﴿٣٢﴾ وَإِنْ يَدْعُنَا إِلَى شَيْءٍ
 نَهْيُكُمْ عَنْهُ وَنَقُولُ أَنْتُمْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنَّا نَعْبُدُ إِلَهًا
 غَيْرَ اللَّهِ فَأْتُوا بِنَبَأٍ بِهِ نَعْمَلُ لَهُمْ عَذَابًا مُبِينًا ﴿٣٣﴾

المفردات .. «المجرمون» : المراد بهم
 هنا كل مَنْ صد عن الحق وحرص على تركه.
 انظر الآية (١٢٣) من سورة الأنعام صفحة
 ١٨٢، والآية (٢١) من سورة الفرقان صفحة
 ٤٧٤، والآية (٢٢) من سورة سبأ صفحة ٥٦٧.
 «من شافعين» : «من» حرف يفيد تأكيد
 العموم فيما بعدها، وجمع الشافعين وأفراد
 الصديق لأن العادة كثرة الشفعاء وقلة
 الأصدقاء.

«حميم» : المراد به هنا قوة المحبة
 المشفق على مَنْ يحبه المهتم بأمره. «فلو» :
 «لو» مستعملة هنا في التمني بمعنى ليت.

«كرة» : رجعة إلى الدنيا انظر مثل هذا والرد عليه في الآية (٢٨) من سورة الأنعام صفحة
 ١٦٦، والآية (٥٣) من سورة الأعراف صفحات ٢٠٠، ٢٠١ وآيتي (٩٩، ١٠٠) من سورة المؤمنون
 صفحة ٤٥٤ والآية (١٠٧) من سورة المؤمنون أيضا صفحة ٤٥٥، والآية (٢٦) من سورة هاطر
 صفحة ٥٧٦، والآية (٥٨) من سورة الرمرر صفحة ٦١٤

«آية» : عبرة وعظة.

«كذبت قوم نوح» .. إلخ تقدم بيان ذلك في الآية (٣٧) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٤.

«إلا يتقون» - «إلا» حرف يفيد الرغبة في فعل ما بعده.

«إن أجرى» : إن حرف نفى بمعنى ما.

(١) ضلال	(٢) العالمين	(٣) شافعين
(٤) لآية	(٥) أسئلكم	(٦) العالمين.

﴿الأردلون﴾ يريدون بهم أهل الصنائع والمقراء، انظر الآية (٢٧) من سورة هود صفحة ٢٨٨، وانظر نظيره في آيتي (٥٢، ٥٣) من سورة الأنعام صفحة ١٧٠.

المعنى . قال العابدون لعير الله وهم في جهنم يحتصمون مع الأخبار والرهبان الذين جعلوا أنفسهم مكان الإله في التحليل والنحرير، وحنود إبليس الذين رهبوا لهم عبادة الأصنام، انظر شرح الآية (١١٧) من سورة النساء صفحة ١٢٢، والآية (٢٨) من سورة يونس صفحتي ٢٧٠، ٢٧١، والله إما كنا في صلال واصح حين كنا نسويكم رب العالمين في الطاعة والعب والحنشية، انظر الآية (١٦٥) من سورة البقرة صفحتي ٢١، ٢٢، وما أصلبنا إلا المحرمون من السادة والكبراء ورجال الدين الذين تاحروا بسببهم لحلب متاع رائل، وابتأوا الدين قلدناهم فكابوا، على بطل، انظر الآية (٧٤) المتقدمة، والآية (١٧٠) من سورة البقرة صفحة ٢٢ والآية (١٠٤) من سورة المائدة صفحتي ١٥٧، ١٥٨، والآيات (٢٢، ٢٣، ٢٤) من سورة الرحرف صفحة ٦٤٩، فليس لنا اليوم شافع يشفع لنا فيقننا من العذاب، ولا صديق شديد المحبة لنا مشفق علينا، يعطف علينا فيجفف عنا ما نحن فيه، وهذا يدل على الحسرة والحر، فبيت لنا رجعة إلى الدنيا فنؤمن ونعمل صالحا حتى لا نعذب إذا متنا، إن في كل ما ذكر من قصة إبراهيم لمبة لمن له قلب سليم، وما كان أكثر قوم إبراهيم مؤمنين، إذ لو كان أكثرهم مؤمنا لما عجل الله تعالى بهمائهم، وإن ربك أيها النسي هو المرير أي المالب القادر على تمحين الانتقام من كمار قومك، الرحيم بامهالهم، وإصباح مجال التوبة لهم، وإخراج ذرية مؤمنة من أصلابهم. وبعد ما قص سبحانه على النكار قصة إبراهيم وما حصل لحصومه، أراد أن يقص عليهم قصة أبيهم الثاني وهو نوح عليه السلام فقال ﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾ حين قال أحوهم في النسب نوح ألا تتقون الله فتجاهوا عقابه فلا تعبدوا غيره؟ إني لكم رسول من الله أمين في تبليغ ما أمري ربي بتبليغه لكم، فاتقوا الله وأطيعوني فيما أطلبه منكم من توحيدة تعالى، وما أطلب منكم أجرا على هذا التبليغ، فما أطلب أجرا إلا من رب العالمين، فاتقوا الله وأطيعوني وكرر الأمر بالتقوى لأنها عماد كل الأعمال فيجب ملاحظتها في كل شيء، انظر ما حصل بين نوح وقومه في صفحات ٢٠٢، ٢٨٧ إلى ٢٩١، ٧٦٧ إلى ٧٧٠ قالوا كيف يتبعك ولحال أنه لم يتبعك إلا أردلنا الماهقون في دعواهم أتباعك، قال نوح وأي شيء يعلمني بباطل ما عملوا وليس لي أن أبحث عن الباطل، وإنما أمرت أن أحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر، فما حسابهم على الباطل والظاهر إلا على ربي لو تشعرون شعورا صادقا لعنتم ذلك ولكنكم قوم تجهلون

وَمَا أَنَا بِظَالِمِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٢﴾
قُلْ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ يَسُوعُ ابْنُ مَرْيَمَ نَكُوتَ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٣﴾
قَالَ رَبِّ ابْنُ قَوْمٍ كَذِبُونَ ﴿١١٤﴾ فَأَفْتَحَ بَيْنَ وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا
وَتَجَنَّبَنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ
إِلَى أَعْلَى الشَّجَرِ ﴿١١٦﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا بِهِدَأَ الْيَاقِينَ ﴿١١٧﴾
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْلَى الْعَصِيرِينَ الرَّحِيمِ ﴿١١٩﴾ كَذَبَتْ عَادُ
الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢١﴾
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا
وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ ثَمَرٍ إِنِّي أَنُجِّئُ الْكَافِرِينَ ﴿١٢٣﴾
إِنِّي أَنُجِّئُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ بَحْرٍ إِنِّي أَنُجِّئُ الْكَافِرِينَ ﴿١٢٤﴾
وَالْحِذْرُونَ مَصَابِعَ لَعْنَتِكَ يُخَذِّلُونَ ﴿١٢٥﴾ وَإِذَا بَطَلْتُمْ

المعصيات : «بطارد» : الباء لتأكيد نفى
ما بعدها عما قبلها. «إن أنا» : أى ما أنا.
«المرجومين» : المقتولين رميا بالحجارة.
«أففتح بيني وبينهم» أصل الفتح إزالة
الإعلاق والإشكال حسيا أو معنويا. الأول
كفتح الباب والقفل وغيرهما ومنه ما فى
الآية (٦٥) من سورة يوسف صفحات ٢١٢،
٢١٢، والثانى كفتح ابواب العلم والحيرات.
ومنه ما فى الآية (٧٦) من سورة البقرة
صفحة ١٥، والآية (٩٦) من سورة الأعراف
صفحة ٢٠٨، والآية (٢) من سورة فاطر
صفحة ٥٧١، ومنه فتح فلان القضية إذا حكم

فيها وأزال إشكالها. ومن هذا يقال للقاصى المتاح. ويطلق المتاح على المصر على لأعداء لأنه
يريل قوة الحصن ويلحق به الهريمة. ومنه ما فى الآية (٨٩) من سورة النقرة صفحة ١٧،
والآية (٥٢) من سورة المائدة صفحة ١٤٧، ويطلق المتاح على الحكم وهو لمردها وبطيره ما
فى الآية (٨٩) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٧

«الملك» السمية، انظر صفحة ٢٨٩ «المنشعور» الممنوع من كل صف روحى كما
فى صفحة ٢٩٠.

«آية» : لميرة وعظة.

«كدت عاد المرسلين» انظر بيان ذلك فى الآية (٥٩) من سورة هود صفحة ٢٩٢ .

«ألا تتقون» ألا حذر. يهيد الرعية فى فعل ما بعده كما تقدم

(١) يا نوح	(٢) فأنجيهم	(٣) آية
(٤) أسالكم	(٥) العالمين	(٦) آية

﴿أتبينون﴾ : الهمزة لإكثار ما بعدها وعدم الرضا عنه.

﴿ربيع﴾ . مكان مرتفع. ﴿آية﴾ قصر كثير الارتفاع كأنه جبل.

﴿تعبثون﴾ تعملون ما لا فائدة جدية فيه غير التماخر الأجوف. ﴿مصابع﴾ - المراد حصونا.

﴿لعلكم تحلدون﴾ لعل هما تفيد التشبيه أى كأنكم خالدون فى الدنيا.

﴿بطشتم﴾ : البطش الإيذاء العنيف.

المعنى : وما أنا طارد مَنْ آمن بالله واتبعنى، فما أنا إلا نذير من الله تعالى يُحَرِّصُ عَصَاهُ مهما كان عظيماً، أى ومبشر مَنْ أطاعه مهما كان فقيراً، قال قوم نوح له : لئن لم تنته عما تدعو إليه وعن الطعن فى آلهتنا لنرجمك بالحجارة حتى تموت ولما كان قد مكث يدعواهم إلى الحق نحو ألف سنة كما فى صفحة ٥٢٢، فلم يردهم ذلك إلا عناداً كما فى صفحة ٧٦٨، قال نوح بعد ذلك : يارب إن قومى كذبواى فاحكم بينى وبينهم حكماً يفصل بيننا، ونجنى وَمَنْ آمَنَ بِكَ معى، فاستجاب الله سبحانه دعاءه وجاء وَمَنْ معه فى السفينة المملوءة بكل ما يحتاجون إليه، وأغرق بعد نجاتهم الباقين الذين لم يؤمنوا به، إن فى إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين وعرة الله لعبارة لقومك أيها النبى. وما كان أكثر قوم نوح مؤمنين، انظر شرح الآية (١٠٣) المتقدمة فى الصفحة السابقة، وإن ربك لهو العرير أى العالب فى انتقامه، الرحيم بِمَنْ آمَنَ به؛ ثم ذكر قصة هود وقومه للحكمة المتقدمة فقال، كذبت عاد المرسلين هوداً وإخوانه كما تقدم فى قوم نوح، وقد جاء الحديث عنهم فى صفحات ٢٠٢، ٢٩١، ٦٦٩، ٦٩٥، ٧٠٦، ٧٦١ حين قال لهم أحوهم هود ألا تتقون الله فتبتعدوا عما يفصيه، إى لكم رسول من الله أمين فى تبليغ ما طلبه منكم، فاتقوا الله وأطيعواى، وما أسألكم عليه من أجر، ما أجرى إلا على رب العالمين، وقد تقدم بيان كل هذا، فهل يصح منكم أن تبثوا بكل مكان مرتفع قصراً مشيداً بدون حاجة إلى كل ذلك إلا التماخر والتعالى على الناس، وتتخذوا لأنفسكم حصونا قوية كأنكم تظنون الحلود فى هذه الدار المانية، وإذا أردتم البطش بأحد .. إلخ.

بَلَّغْتُمْ جِبَارِينَ ﴿٢٦﴾ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٢٧﴾ وَأَتَقُوا
 إِلَهِي أَمَدًا كَمَا تَطْعُونَ ﴿٢٨﴾ أَمَدًا كَمَا يَأْتَعِدُ وَيَسِيءُ ﴿٢٩﴾
 وَجَنَّتْ وَهُمْ يَوْمَ ﴿٣٠﴾ إِنَّ أَخْلَافَ عَلَيْكَ عَذَابَ يَوْمٍ
 عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ قَالُوا سَوَاءَ عَلَيْنَا أَوْعَظْتَ أَمْ لَمْ تُنْذِرْ مِن
 الْوَعْظِينَ ﴿٣٢﴾ إِنَّ عَذَابَ الْآخِلِيِّ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٣﴾ وَمَا نَحْنُ
 بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
 وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ
 الرَّحِيمُ ﴿٣٦﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ النَّبِيِّينَ ﴿٣٧﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ
 أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿٣٨﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾
 فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٤٠﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ
 إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾ أَتَذْكُرُونَ فِي مَا كُنْتُمْ
 يَلْعَبُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُورَةٍ ﴿٤٣﴾ وَزُرُوعٍ وَنَحْلٍ

المفردات : «جبارين» : أى عتاة لا
 شفقة عندهم. «أمدكم» : أعطاكم ومسخر
 لكم. «إن هذا» : أى ما هذا. «خلق
 الأولين» : عادة الأولين قبلك. «كذبت ثمود
 المرسلين» : تقدم بيان ذلك فى الآية (٥٩)
 من سورة هود صفحة ٢٩٢. «أنتركون»
 الهمة للإلكار المميد للمنى

المعنى . وإذا أردتم إيداء أحدكم كنتم
 قساة القلوب لا رحمة عندهم. فاتقوا الله
 وأطيعونى. ثم كرر طلب التقوى لأنها الركن
 الأهم فى النجاة كما تقدم، فقال: واتقوا الذى
 منعهكم وسخر لكم ما تعلمونه من أنواع النعم.
 ثم بين بعض هذه النعم التى لا يجهلونها
 فقال:

أمدكم بأنعام بيئت فى صفحتى ٦٤، ٦٥. وبين، وحنات، وعيون، إنى أحاف عليكم من
 عذاب يوم عظيم إذا لم تقابلوا هذه النعم بالشكر وطاعة الممعم بها. قالوا وعظمت وعدمه
 سواء لدينا فإيا لن يقبل منك شيئاً، وما هذا الذى جئت به إلا عادة قوم سبقوك، انظر الآلة
 (٢٥) من سورة الأنعام صفحتى ١٦٥، ١٦٦. وما نحن بمعدين فى الدنيا ولا فيما ترعاه من
 الآخرة. فكذبوه فأهلكناهم بريح صرصر عاتية كما فى صفحة ٧٦١، إن فى ذلك لعبرة، وما
 كان أكثرهم مؤمنين، وإن ربك لهو العزيز الرحيم. تقدم فى الصفحة السابقة. ثم ذكر سبحانه
 ما فعلته ثمود مع نبيهم صالح، وقد جاء ذكرهم فى صفحات ٢٠٤، ٢٩٢، ٦٩٥ فقال «كذبت
 ثمود المرسلين» حين قال لهم أخوهم فى النسب صالح ألا تتقون إنى لكم رسول أمين، فاتقوا
 الله وأطيعونى، وما أسألكم عليه من أجر، فما أجرى إلا على رب العالمين. تقدم بيان كل ذلك
 فى صفحة ٤٨٦، فهل تظنون أن الله سيترككم فى النعيم الموحود فى هذا المكان حال
 كونكم آمنين عذابه. ثم بين ما فى المكان من النعيم فقال : «فى جنات وعيون وزروع ونحل»
 إلخ.

(١) بأنعام	(٢) جنات	(٣) الواعظين	(٤) فأهلكناهم	(٥) لآية
(٦) صالح	(٧) أسألكم	(٨) العالمين	(٩) أمين	(١) حبات

طَلَعَهَا قَصِيمٌ ① وَتَحْتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِيدَةً ②
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ③ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِئِينَ ④
الَّذِينَ يَقْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ⑤ قَالُوا إِنَّمَا
أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ⑥ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلَا فَأَمَلْتَ
بِغِيٍّ إِذْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ⑦ قَالَ هَلِيبٌ نَاقَةٌ هَآ
شَرِبَتْ وَلَكِنْ شَرِبَ بِئْرٌ مَقْلُومٌ ⑧ وَلَا تَمْشُوا فِي الْأَرْضِ
مِجَاجَ ذُرِّ عَذَابٍ يَوْمَ يُطِيرُ ⑨ فَعَقَرُوهَا فَانْتَبَحُوا
نَدِيمِينَ ⑩ فَاحْتَمَمُ الْعَذَابُ إِيَّاهُ ذَلِكَ لَأَيُّهُ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ⑪ وَإِنْ رَبُّكَ لَهوَ الْقَرِيرُ الرَّحِيمُ ⑫
كَذَلِكَ قَوْمُ لُوطٍ الْأَوَّلِينَ ⑬ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ
أَلَا تَتَّقُونَ ⑭ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ⑮ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا ⑯ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا

المضدرات . «طلعها» . هو أول ما يطلع
من ثمر العسل كتصل السيف، في جوفه
العبدان التي تعمل البلع.

«قصيم» : لين لطيف، علامة على
حصوية الأرض وجودة الثمر.

«مارهين» : تقول العرب فزه الرجل بفتح
فهم كسهل إذا صار حادقا في الأمر ماهرا فيه.

«المسحرين» الذين وقع عليهم السحر
كثيرا حتى ذهبت عقولهم.

«شرب» : أي نصيب من الماء.

«عقروها» رماها واحد منهم سهم فماتت، وكان ذلك بأمر من رعمائها. انظر
الآية (٢٩) من سورة القمر صفحة ٧٠٦.

المعنى . لا تنتظروا أن يترككم ربكم في ذلك النعيم، ومنه النخل الذي هو أنعم ما في
البحات، وطلعه يتم بصلحه حتى يصير لطيفا، ومما تتممون به أنكم تنقبون في الجبال بيوتا
حال كنونكم ماهرين في البحث فتصير كأنها ميمية باليد، انظر صفحة ٢٠٤، هاتقوا الله
وأطيعوا، ولا تطيعوا، أمر رؤسائكم التسعة المفسدين في الأرض كما هي صفحة ٥٠٠، وليس
لهم فيها إصلاح أبدا، فهم شر صرف.

(١) مارهين

(٢) بيه

(٣) الصادقين

(٤) ناديين

(٥) لآية

(٦) أسالككم

قالوا لصالح ما أنت إلا رجل محبوب العقل، وما أنت إلا بشر مثلبا، فلا يصح أن تكون رسولا لله لأنه لا يرسل إلا ملكا، انظر آيات (٩٥) من سورة الإسراء صفحة ٢٧٧، و (٢٤) من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٧، و (١٤) من سورة فصلت صفحة ٦٣١ فأت بعلامة تدل على صدقك إن كنت صادقا. قال هذه باقة امتحانكم الله بها كما هي الآية ٢٧ من سورة القمر صفحة ٧٠٦ لها نصيب من الماء، وكان الماء عندهم قليلا في آبار، فتركوه لها يوما، ولكم كل الماء يوم آخر، لها شرب ولكم شرب يوم معلوم، ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم لشدة ما فيه من الهلاك فمقرؤها فحدد لهم صالح ثلاثة أيام وبعدها يبرل بهم العذاب كما في صفحة ٢٩٤ فصاروا يادمنون لا توبة، بل لظلمهم احتمال صدق صالح.

وبعد ليوم الثالث أحدثهم رحمة فصاروا كالهشيم المنكسر كما في صفحة ٧٠٦.

في هذا ندى حصل لقوم صالح لدليلا واضحا على هلاك كل من يحالف أمر ربه ويكذب رسله وما كان أكثر قوم صالح مؤمنين. وإن ربك فهو العزيز الرحيم.

تقدم بيان كل ذلك ثم ذكر لهم ما حصل لقوم لوط، وقد فصله القرآن في صفحات ٢٠٥، ٢٩٥، ٣٤٢، ٥٢٤، ٦٩٤، ٧٠٧. فقال ﴿كذبت قوم لوط المرسلين﴾ حين قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعواي. وما أطلب منكم على تبليغ رسالة ربي أجرا ولو قليلا، فما أجرى إلا على رب العالمين وقد تقدم بيان كل ذلك في هذه السورة سابقا.

المصردات . ﴿تدرون﴾ تركبون. ﴿عادون﴾ متعدون الحدود. ﴿القالين﴾ أي لمبغضين الكارهين، انظر الآية (٢) من سورة الصبحي صمحتي ٨١١، ٨١٢. ﴿عجورا﴾ هي امرأته، انظر الآية (١٠) من سورة التحريم صفحة ٧٥٢. ﴿العابرين﴾ أي الهالكين، تقدم معانيها في صفحة ٢٠٦. ﴿مطرا﴾ جاء في صفحة ٢٩٦. ﴿ساء﴾ قبح. ﴿المبدرين﴾ الذين أندروهم ببيهم بالعذاب إذا عصوا ربهم. ﴿أصحاب الأيكة﴾ الأيكة هي الشجر الملتف وتقدم بيانها في صفحة ٢٤٢.

عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٥١﴾ أَتَأْتُونَ الذِّكْرَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٥٢﴾
وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رُسُكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ
قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٥٣﴾ قَالُوا لَيْ لَا تَنْتَهِي بِنُحُوتٍ لَنَكُونَنَّ مِنَ
الْمُخْرَجِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ إِنْ لَيْتَكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٥٥﴾ رَبِّ
نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٥٦﴾ فَجَنَّبْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَتَمِينَ ﴿١٥٧﴾
إِلَّا يَجُودُوا فِي الْعَنِينَ ﴿١٥٨﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَعْرَابَ ﴿١٥٩﴾
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا نَسَاءً مَكْرُوفِينَ ﴿١٦٠﴾ إِنْ فِي
ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٦١﴾ وَإِنْ رَبُّكَ لَخَوَّ
الْعَرَبَ الرُّحِمَ ﴿١٦٢﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٣﴾
إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ ﴿١٦٥﴾ فَاقْرَأُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا أَوْصِيَاءَهُ ﴿١٦٦﴾ وَمَا أَنْفَكْتُمْ
مِنْ شَيْءٍ أَنْزَلَ بِذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٧﴾

المعنى : . قال لوط موبخا قومه : هل يصح
أن تأتوا الذكور من ولد آدم وتتركوا الحلال
الذي خلقه لكم ربيكم من أرواجكم.

ثم انتقل من التوبيخ إلى التصريح بأنهم
تجاوزوا كل حد معقول، فقال : بل أنتم قوم
عادون، فردوا أحبت رد على هذا النصح
الحالين بقولهم : نحن لم تنته يا لوط لتكوني
من الذين تخرجهم من ديارنا وبضيقهم إلى
الصحاري القاحلة، قال عليه السلام : إني
لمملككم هذا من الكارهين ثم اتجه إلى ربه
قائلا يارب نجني وأهلي المؤمنين معي من

شر عملهم، فاجاب الله تعالى دعاءه وبجاه وأهله جميعا إلا امراته فتركها هي الهالكين، نظر
صفحة ٧٥٣، ثم دمر الله كل الماسقين بخسف القرية بهم، وأعقب ذلك بإبرال الحجارة
المحمأة عليهم زيادة في النكال، ففج هذا المطر الذي نزل، لأنه لم يكن مطر ماء يعقبه خير.
إن في هذا الحادث لمبرة ترشد كل ذي عقل للصواب، وما كان أكثر قوم لوط مؤمسين، وإن
ربك لهو العزيز الرحيم، تقدم بيانه، ثم قص سبحانه ما حصل من أصعاب الأيكة مع نبينهم
شعيب عليه السلام فقال «كذب أصحاب الأيكة المرسلين» حين كذبوا نبينهم كما تقدم في
الآية (٣٧) من سورة الصافات صفحة ٤٧٤ حين قال لهم شعيب ألا تتقون؟ إني لكم رسول أمين،
فانقوا الله واطيعوا أوصيائه، وما أسألكم على تبليغ رسالة ربي أحرا، فما أخرى إلا على رب
العالمين.

• أَوْعُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٣١﴾
 وَرَبُّوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٣٢﴾ وَلَا تَبْهَمُوا السَّاسَ
 أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٣٣﴾ وَأَتَّقُوا
 اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّ الْأُولَى ﴿١٣٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ
 الْمُسْحَرِينَ ﴿١٣٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطُوكَ
 لَيْسَ الْكَاتِبِينَ ﴿١٣٦﴾ فَانْظُرْ عَلَيْنَا يَوْمَ الْحَسَنَاءِ إِذْ
 كُتِبَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٧﴾ قَالَ رَبِّ أَعْمَلُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٨﴾
 فَكَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ
 يَوْمَ عِطَمٍ ﴿١٣٩﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِلَّذِينَ كَانُوا أَكْثَرُكُمْ
 مُؤْمِنِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِنْ رَبُّكَ لَهوَ الْعَرِيدُ الرَّحِيمُ ﴿١٤١﴾ وَإِنَّهُ
 لَتَجِيءَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٢﴾ تَرَى فِي الرُّوحِ الْأَمْسَى ﴿١٤٣﴾
 عَلَى قَلْبِكَ لِيَكُونُوا مِنَ الْمُسْتَهْزَأِينَ ﴿١٤٤﴾ وَلِيَكُنَّ عَذَابُ

المفردات :- ﴿المخسرين﴾ : الناقصين
 لحقوق الناس في الكيل والميزان، انظر
 الآية (٢) من سورة المطففين صفحة ٧٩٦.

﴿القسطاس﴾ : الميزان المستقيم
 المعتدل.

﴿اعتوا في الأرض﴾ : تفسدوا فيها.

﴿مفسدين﴾ : المراد متعمدين الإفساد،
 انظر الآية (٨٥) من سورة هود صفحة ٢٩٧.

﴿الجبل﴾ : نطق العرب بكلمات ملاحظين
 فيها معنى الجبل في الثبات والعظم
 والضعامة فقالوا: فلان جبل أي ثابت لا

يتزحزح وفلان جبل على الكرم بصم الجيم وكسر الباء أي لا يتحول عنه، وهلال ذو جبل أي
 ضخم الجسم، وقالوا للجماعة القوية الكثيرة.

﴿جبالاً﴾ بكسرتين وتشديد اللام كما في الآية (٦٢) من سورة يس صفحة ٨٨٤، وقالوا
 لتلك الجماعة أيضا.

﴿جبل﴾ كما هنا.

﴿المسحورين﴾ : تقدم في صفحة ٤٨٩.

﴿كسما﴾ : جمع كسمة بكسر فسكون كقطعة وزنا ومعنى.

(١) الكاديين

(٢) الصادقين

(٣) لآية

(٤) العالمين

﴿لظلة﴾ هي سحابة لجأوا إليها من شدة الحر فأمطرت عليهم بارًا فاحترقوا جميعا.

﴿الروح﴾ : هنا هو جبريل عليه السلام.

المعنى . قال شعيب باصحا قومه أوفوا الكيل إذا كلتم، ولا تكوبوا من الدين ينقصون حقوق الناس، وربوا لهم بالميزان المعتدل الذي لا يجور، ولا تبعسوا الناس أشياءهم، أي لا تنقصوا شيئ من حقوقهم مطلقا، ولا تعسدوا في الأرض حال كونكم شديدي الإفساد، واتقوا الله الذي خلقكم كما خلق من كان قبلكم من الأمم العظيمة التي كانت أشد منكم قوة، ومع ذلك هلكهم لما عصوا فلستم أقوى منهم انظر الآية (٦٩) من سورة التوبة صفحات ٢٥٢، ٢٥٣ والآية (٤٤) من سورة فاطر صفحة ٥٧٨ والآية (١٥) من سورة قصص صفحة ٦٢١، فرددوا عليه بقولهم

ما أنت إلا من المجائين، وما أنت إلا بشر مثانا انظر صفحة ٤١٩، وما بظنك إلا من الكذابين في دعو لك، فأسقط علينا قطعا من السماء عينا الهلاك إن كنت من الصادقين، وهذا من تمام لجهل الذي وقع فيه أيضا كمار مكة كما هي صفحات ٢٢١، ٢٧٧ فقل شعيب ربني أعلم بما تعملون فهو الذي يرسل عليكم العذاب اللاتق بكم في وقته المقدر له فكذبوه فأنهزم عذاب يوم السحابة التي أظلمتهم، وهم فرحون بها من شدة السحر، ولم يدروا أن فيها عذابا أليما كما حصل لقوم عاد. انظر الآية (٢٤) من سورة الأحقاف صفحات ٦٦٩، ٦٧٠، إن هي ذلك لمبرة، وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم تقدم برأيها، وبعد ما قص سبحانه تلك القصص السبع على سبيل الاختصار تسلية لرسوله وتهديدا للمكذبين به، أراد أن يبين حقيقة ذلك القران المشتمل على هذه القصص فقال:

وإنه لتنزيل رب العالمين، يرسل به الروح الأمين جبريل على قلبك، أي أشته فيه إثباتا لا يسي بعده لتكون من عداد رسلنا الذين أرسلناهم ليحذروا أقوامهم عذاب الله إذ عصوه، يرسله بلسان عربي واضح.

شبهو ﴿١٤﴾ وَآتَاهُ لِي دُرُّ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ أَوْ لَرَّيْكَنَ هَمْ
قَائِيَّةٌ أَنْ يَمْلِكَهُمْ عَلَوَاتِي بِمَرَّةٍ بَلَّ ﴿١٦﴾ وَلَوْ زَلَّتْهُ
عَنْ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٧﴾ فَقَرَأَهُمْ طَبِيسٌ مَا كَانُوا بِهِ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٩﴾
لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠﴾ قَبَائِلُهُمْ
بَعَثَ وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ ﴿٢١﴾ فَخَرُّوا أَعْلَى تَحْرُكُونَ ﴿٢٢﴾
أَنبَعَثْنَا بَنَاتٍ لَاحِظَاتٍ ﴿٢٣﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ
سِنِينَ ﴿٢٤﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٥﴾ مَا أَفْقَى
عَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَهْلُكُمْ مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا هُمْ
يُسَلِّوْنَ ﴿٢٧﴾ ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ
الْشَّيَاطِينُ ﴿٢٩﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَظْهِرُونَ ﴿٣٠﴾
إِنَّمَا هِيَ السَّمَاءُ الْمَعْرُوبَةُ ﴿٣١﴾ فَلَا تَدْرِعُ مَعَ الْهَيِّ

المفردات . ﴿مبين﴾ . واضح ﴿ربير﴾ .
جمع ريور، والمراد به هنا كتب السابقيين، فهو
كجمع رسول على رسل، انظر الآية (٤٤) من
سورة النحل صفحة ٢٥١، وآيتي (١٨، ١٩)
من سورة الأعلى صفحة ٨٠٤.

﴿نية﴾ . حجة على صدق رسولنا.

﴿ان يعلمه﴾ المصدر المؤول منها اسم
كان مؤخر وحبرها آية.

﴿الأعجمين﴾ : مفردة أعجم، وهو الذي
في لسانه عجمة تجعل العربي لا يفهم كلامه،
ومن المعلوم أن كل ما عدا العرب يقال لهم

عَجَمٌ بمتعتين وعُجَمٌ بضم فسكون كعرب وعُزْبٌ، وإما إطلاق العجم على دولة المرس فقط،
فهذا اصطلاح خاص شأ من كثرة إطلاق العام على بعض أفرادها، وينسب ﴿لأعجم﴾ لكتاب
واللسان، مثلاً يقال قرآن أعجمي كما هي الآية (٤٤) من سورة فصلت صفحة ٦٢٦، ولسان
أعجمي كما هي الآية (١٠٣) من سورة النحل صفحة ٢٦٠. ولا يقال رجل أعجمي لأن الشيء
لا ينسب إلى نفسه، قال ذلك صاحب مختار الصحاح.

وإما قلنا إن ﴿الأعجمين﴾ : جمع أعجم حلالاً لمن تكلف غير ذلك محكماً إزاء العلماء
في القرآن، لأن القرآن هو الأصل، وهو أوثق الأصول اللغوية التي يرجع إليها غيرها فلا يصح
أن يحكم فيه غيره، انظر شرح ما سبق في الآية (١١١) من سورة هود صفحة ٢٠٠.

﴿سلكناه﴾ . أدخلناه، انظر الآية (١٢) من سورة الحجر صفحة ٢٢٨

﴿هل نحن﴾ : الاستمهام لطلب تأخير العذاب.

﴿منظرون﴾ : مهملون.

﴿أهرايت﴾ أي احبرني، انظر الآية (٤٠) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨ والآية (٦٣) من سورة الكهف صفحة ٣٩٠.

﴿متعاهم سير﴾ أي تركناهم يتمتعون بنعيم الدنيا مدة طويلة

﴿ذكرى﴾ : أي تذكيرا وتنبها.

﴿السمع﴾ أي استماع كلام الملائكة التي تنزل بالنوحى انظر الآية (٩) من سورة الحجر صفحة ٣٣٨.

﴿ممرولون﴾ ممرعون، انظر الآية (١٨) من سورة الحجر صفحة ٣٣٩ وآيات من (٧) إلى (١٠) من سورة الصافات صفحة ٥٨٧. وأيتى (٨ ٩) من سورة الحن صفحة ٧٧١

المعنى . وإن ما في هذا القرآن من العقائد والمصانل وصحة الرسول وأصحابه وعترتي لمي كتب الأنبياء السابقين، انظر الآيات (١٤٦) من سورة البقرة صفحة ٢٨ والآية (٤٦) من سورة النساء صفحة ١٠٨ و (٧١ ٧٢) من سورة آل عمران صفحة ٧٤ و (٤٣) من سورة الرعد صفحة ٣٢٨ و (٢٩) من سورة المتع صفحات ٦٨٢ - ٦٨٤ و (٦) من سورة الصف صفحات ٧٢٨، ٧٢٩ و (١٨، ١٩) من سورة الأعلى صفحة ٨٠٤ و (١٤٠) من سورة البقرة صفحة ٢٧ و (٩٤) من سورة يونس صفحة ٢٨١ وقد أقر بذلك من أسلم منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه

من عمل الكمار من كل هذا ولم يكن علم بني إسرائيل بصحته حجة كافية لهم في لاقتناع، انظر شرح الآية (٥١) من سورة النساء صفحة ١٠٩.

ثم بن سحابه بعض حكم إيراد القرآن بلسان العرب فقال ولو نزلنا هذا القرآن على رسول محمى لا يعرف العربية ما كانوا ليؤمنوا أبدا، ويعتقدون بجهلهم هذا اللسان فالمراد أنهم يكابرون على كل حال كما في الآية (٧) من سورة الأنعام صفحة ١٦٣، انظر شرح

الآية (٢٧) من سورة الرعد صفحتي ٣٣٧، ٣٣٨، والآية (٤) من سورة إبراهيم صفحة ٣٢٩، والآية (٤٤) من سورة فصلت صفحة ٦٣٦.

على هذا الوجه من الدخول أدخلنا القرآن في قلوب المجرمين فاهمين معانيه مقرين بفصاحته مع اعتراف أهل الكتاب بصحته، فهم لا يمكن أن يؤمنوا به حتى يشاهدوا العذاب الأليم الذي يجعلهم يؤمنون مكرهين، وحينئذ لا يفهم إيمانهم كما في الآية (١٥٨) من سورة الأنعام صفحتي ١٩٠، ١٩١، وسيأتيهم هذا العذاب فجأة وهم لا يشعرون، وعند حصول مقدماته سيطلبون الإمهال حتى يرجعوا عما هم فيه كما في الآية (٢٧) من سورة طاهر صفحتي ٥٧٦، ٥٧٧، ثم وبخهم على قولهم ﴿أسقط علينا كسفا من السماء﴾ وقولهم ﴿ماتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين﴾ فقال تعالى:

أفبعذابنا يستعجلون استهزاء وتكديبا؟ فأخبرني أيها السامع هل إن تركناهم يتمتعون بما هم فيه مددا طويلة ما الذي يقنيه عنهم هذا التمتع الذي لا بد من زواله؟

وما أهلكنا قرية من القرى المهلكة الظالمة أهلها إلا وقد أرسلنا لها منذرين من رسلنا يحذرونها عقاب الله تعالى إذا عصت أوامره، انظر الآية (١٥) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٦؛ انذرناهم تذكيرا لهم، ولم يكن من شأننا الظلم أبدا، انظر الآية (١١٧) من سورة هود صفحة ٣٠١.

ولما كان مما طعنوا به على القرآن قولهم إن محمدا تعلمه من الكهان الذين يتلقون عن الشياطين، انظر الآية (٤٢) من سورة العنكبوت صفحة ٧٦٤، رد سبحانه بأطلهم بقوله:

﴿وما تنزلت به الشياطين وما يبغى لهم﴾ أي ما يسهل عليهم هذا العمل العظيم بل لا يستطيعونه أبدا، لأنهم مبعدون عن سماع كلام الملائكة التي تنزل به كما في الآيات المتقدمة.

وإذا علمت كل ما ذكر أيها النبي فلا تدع مع الله إلها آخر إلخ.

إِنَّمَا أَنَا قَسَمٌ مِّنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ
الْأَقْرَبِينَ ﴿١٢٧﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٨﴾ فَإِنَّ نَفْسَكَ قُلْتُ إِنِّي رَأَيْتُهَا
تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَمَوْكَلٌ عَلَى أَنْعَرِيرِ الرَّحِيمِ ﴿١٣٠﴾ الَّذِي
بَرَّيْتُ حِينَ نَفُومٌ ﴿١٣١﴾ وَتَقَلُّكَ فِي الشَّجَرِ ﴿١٣٢﴾
بِأَنَّهُ هُوَ السَّيِّعُ الْغَنِيمُ ﴿١٣٣﴾ مَلَأْتُكَ عَنْ مَنْ تَرَى
الْشَّيْطَانُ ﴿١٣٤﴾ تَرَى عَنْ كُلِّ مَكَانٍ أُبَيِّرُ ﴿١٣٥﴾ يُدْمِنُونَ
أَسْمَعَ وَأَكْثَرَهُمْ كَذِبُونَ ﴿١٣٦﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ
الْفُتُونُ ﴿١٣٧﴾ زَرَزَهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهْمُونَ ﴿١٣٨﴾
وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿١٣٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَاسَرُوا وَغَمَلُوا
أَصْلَحَتْ وَدَّ كَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَنَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا طَلَبُوا
وَسِعَمَ الَّذِينَ طَلَبُوا فِي مَقَبٍ سَفِينُونَ ﴿١٤٠﴾

المعمرات : : «عشيرتك» : أقاربك، انظر
الآية (٢٤) من سورة التوبة صفحتي ٢٤٢،
٢٤٤. «أخفص جناحك» : تواضع، انظر
صفحة ٢٤٤، والآية (٢٤) من سورة الإسراء
صفحة ٢٦٧. «تقلبك في الشجر» :
تقلبك من حال إلى حال في صلاتك مع
المؤمنين جماعة، من وقوف إلى ركوع إلى
سجود إلى جلوس.

«أهلك» : كثير الإهلك وهو الكذب.

«أثيم» : كثير الوقوع في الإثم وهو

الدمع.

«يلقون السمع» : المراد بالسمع هنا الإذن كما في الآية (٧) من سورة البقرة صفحة ٤

وإلقاء السمع كناية عن شدة الإصغاء، انظر الآية (٣٧) من سورة ق صفحة ٦٩١.

«الشعراء» : يطلق العرب الشعر على كل كلام يستولى على شعور السامع، وأعله يكون

تحيلات لا حقيقة لها، سواء أكان نظماً أو شراً، ومراد العرب في طبعهم في النبي ﷺ بأنه

شاعر هو المعنى الثاني، انظر الآية (٣٠) من سورة الطور صفحة ٦٩٨، وإنما قلنا ذلك لأن

العرب ما كانوا يجهلون أن القرآن ليس من أوزان شعرهم المعروفة لهم «العاور» : الصائرون،

انظر الآية (٩١) من هذه السورة صفحة ٤٨٥.

﴿يَهيمون﴾ الهائم هو الذي يسير بدون قصد إلى غرض معين، فهو هي الغالب على غير هدى ﴿انتصروا﴾ المراد بالانتصار هنا رد الهجاء الساطل بهجاء حق.

﴿أى منقلب﴾ ﴿أى﴾ مكررة وقعت صيغة تعيد المبالغة، أو موصوفها كما تقول فلان رجل أئى رجل، أئى رجلاً كامل الرحولة وموصوفها هنا مصدر مقدر مأخوذ من الفعل العامل فيها وهو ﴿ينقلبون﴾ الآتى بعدها.

و ﴿منقلب﴾ مرجع ومصير، انظر الآية (٣٦) من سورة الكهف صفحة ٣٨٦.

﴿ينقلبون﴾ : يصيرون ويرجعون.

والأصل وسيعلم الدين تلموا أى منقلب فطبع سيلافوه.

المعنى : لما فرغ سبحانه من تهديد الكفار أراد أن يؤكد المحافظة على توحده، هوجه الخطاب لرسوله، والمرد له ولأتباعه كل فيما يحصه، فقال ﴿فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعديين﴾ وكان يظن أن الإنسان قد يسمع قرابته لمجرد أنهم أقرباؤه همه سبحانه إلى خطأ ذلك فقال ﴿وانذر عشيرتلك﴾ أى أهلك الأشد قرابة لك، ليعلموا أن نجاتهم هي اتباعك دون مجرد قرابتهم لك، ولذا لما برئت دعاهم ﷺ وقال - يا عباس عم محمد - عمل لنفسك لا أعنى عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد اعملى لنفسك هربى لا أعنى عنك من الله شيئاً، وهكذا ذكرهم جميعاً، واحصى حوائك لاتباعك المؤمنين ليلتزموا حولك، انظر الآية (١٥٩) من سورة آل عمران صفحة ٨٩.

المراد أنذر قومك فإن أظاعوك فاعطف عليهم، وإن عصوك فأعلن براءتك من أعمالهم حتى لا يصيبك ما يعزل بهم، ولا تبال بشيء ما دمت متوكلاً على العزيز الغالب الذي يبصرك عليهم برحمته،

ثم يتنصب بصره بقوله الذي يراك حين تقوم للصلاة في الليل وحدك وصلاتك جماعة مع المؤمنين، منتقلاً من حال إلى حال.

وحصن السجود بالذكر لأنه أعلى أركانها هي العصوص لله، والعبد فيه أقرب إلى ربه، إنه سبحانه هو السميع لأقوال عباده، العليم بسرائرهم، فيحارى كلا بما يستحق.

ولما كان من ضمن ما طعن به المشركون على النبي ﷺ قولهم إنه شاعر وإنه كاهن يتلقى عن الشياطين كما تقدمت لإشارة إليه في الصفحة السابقة وهي الآية (٥) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٠، لما كان كل هذا أنظر سبحانه رعمهم يردده على كونه كاهنا بقوله ﴿هل أسنكه﴾ إلخ

المعنى قل أيها النبي لهم هل أعلمكم بجواب الاستعظام القائل ﴿على من تنزل﴾ (الشياطين) اسمعوا الخوف بها تنزل على كل كذاب فاجر يصمى إليها باهتمام، وهؤلاء لأهالكوا أكثر أقوالهم كاذبة ورسولنا صادق لم يحرب عليه كذب مرة واحدة باعتراهم ورد على كونه شاعرا بقوله ﴿والشعراء يتبعهم الغاوير﴾ ولو كان رسولنا شاعرا لما تبعه إلا الصالحون الذين يحضرون وراء المدح بالباطل أو هجو الخصوم بلا حق، وكان الشعر عند العرب أوسع ميدان للتسابق وأقصى سلاح في معاربة الخصوم، ثم وصف سبحانه أغلب الشعراء بأنهم في واد من الكلام وهم من هوى عن مدح غير المستحق ودم السرى، وتحريض على مظلوم إلى غير ذلك وأنهم يقولون مالا يفعلون، فيمدحون الكرم وهم بخلاء، والصدق وهم كاذبون، والشعاعة وهم جبناء.

ثم ستثنى سبحانه من الشعراء لمدحهم شعراء المؤمنين الصالحين الذين يعلى في شعرهم ذكر الله والحكم والمواعظ، ويتصورون في شعرهم برد هجوم المشركين بمثله.

وقد أبشع المشركون في هجوه ﷺ وهجو أصحابه، فكان حساس بن ثابت يرد عليهم فيحرسهم، وكان ﷺ وسلم يقول قولك يا حساس أشد عليهم من وقع السهام، وكان يقول بن المؤمن يحاهد بسيفه ولسانه.

وبعد ما أبطل سبحانه مرائعهم حتم السورة بالتهديد الشديد لهؤلاء الكافرين فقال وسيعلم الذين ظلموا، أي ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي، المصير الذي سيصيرون إليه في النهاية وهو جهنم، وبئس المصير.

نسأل الله تعالى السلامة وحسن الختام.

سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم

المفردات: ﴿طس﴾: تقرأ: طاء، سين، يسكون الون- وتقدم المراد من مثلها في اول سورة البقرة.

﴿وكتاب مبين﴾. لما لوحظ في «كتاب» صفته «مبين» صبح عطمه على ما قبله، كمطعم الصفة على الموصوف كما تقدم في الآية (١٨) من سورة الانبياء صفحة ٤٢٥، وكتاب صار كالعلم لما انزل على محمد ﷺ فصيح وصف القرآن به.

﴿يؤمنون﴾ يؤمنون إيماناً قويا. انظر الآية (٤) من سورة البقرة صفحة ٣.

﴿ريبا لهم﴾. يصح أن يكون المراد في مثل هذا أما حلياً بينهم وبين الشيطان ولم

يحفظهم منه فجعل لهم القبيح حسناً وبالعكس كما في الآية (٨) من سورة هاطر صفحة ٥٧٢

(١) طاء سين

(٢) آيات

(٣) القرآن

(٤) الصلاة

(٥) لركعة

(٦) بالآخرة

(٨) أعمالهم

(٩) الآخرة

(١٠) القرآن

(١١) آتت

(١٢) مما أنتم

(١٣) أنتم

(٣٧) سورة النمل
وَأَنبَأْنَاهَا ثَلَاثَ وَتِسْعِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طس نيك ءأبث القرآن وكتب مبين ① على
وئرى فمؤبين ② الذين يقيمون الصلاة ويؤتون
الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ③ إن الذين لا يؤمنون
بالآخرة ربنا لهم أعمالهم فهم يسهون ④
أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم
الآخرون ⑤ وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم
عليم ⑥ إذ قال موسى لأبيه يا أباي أنت تبارك
سأفككم بها بغير أوتىكم ينهب قبس لعلكم

وذلك لأنهم لم يؤمنوا برسالتنا، ولم يستميدوا بنا من الشيطان، وقد تقدم ذلك في الآية (١٠٨) من سورة الأنعام صفحة ١٨٠ .

﴿يعمّهون﴾: يتخبطون في الضلال.

﴿الآخسرون﴾: جمع أخسر وهو الأشد خسرانا.

﴿لتلقى﴾: أي تلقن وتمطى.

﴿من لدن﴾: من عند.

﴿أنست﴾: أبصرت انظر صفحة ٤٠٦ .

﴿شهاب﴾: شعلة من نار.

﴿قبس﴾: أي مقبوس ومأخوذ، انظر صفحة ٤٠٦ أيضاً.

المعنى . تلك الآيات التي في هذه السورة هي آيات من القرآن الموضح لكل ما فيه سعادة الخلق حال كونه بالغا نهاية الهداية التي تزيد المؤمنين إيماناً، وهو عظيم التبشير للمؤمنين برحمة من الله ورضوانه.

ثم وصف هؤلاء المؤمنين حقاً بأنهم هم الذين يؤدون الصلاة على أنه وجوهاً، ويؤتون الزكاة، ويوقنون بالآخرة، فيخافون أهوالها ولا يفسدون في الأرض.

أما الذين يذكرون البعث فإنما قضيتها بمجاراتهم على كفرهم بتزيين الشيطان لهم كل قبيح ليزدادوا إثماً فيزدادوا عدايا، فهم طول حياتهم يتخبطون على غير هدى.

وهؤلاء هم الذين لهم في الدنيا المذاب المسىء من الأسر والقتل، وهم في الآخرة أشد خسراناً مما خسروا في الدنيا، انظر الآية (٣٤) من سورة الرعد صفحة ٣٢٧، والآية (١٢٧) من سورة طه صفحة ٤١٨ . وإليك أيها النبي لتلقى هذا القرآن قطعاً من عند حكيم في تدبير خلقه، عليهم بما يصلحهم.

وبعد ذلك أراد سبحانه أن يقص على نبيه والمؤمنين ما يطمئنتهم ويثبت قلوبهم كما في الآية (١٢٠) من سورة هود صفحات ٢٠١، ٢٠٢، ويحذر الكافرين المعاندين من مصير أمثالهم، فذكر له بعض قصص إخوانه الأنبياء مبتدئاً بموسى كليمه، ولم يثن القرآن بسرد حياة نبي من الأنبياء من يوم ولادته إلى موته متلماً عن نبي الله موسى عليه السلام، انظر صفحات ٤٠٨، ٥٠٧.

ولم يذكر قصة مرارا مثل ما ذكر قصته مع فرعون أكبر الطغاة الجبارين الذي لم يرض بأن يكون سلطاناً ولا ملكاً مطلقاً بل أصر على أنه هو الرب الأعلى، انظر صفحة ٧٩٠.

ولما كان ما حصل لموسى مع فرعون وملئه ومع قومه من بنى إسرائيل الذي قاسى الشدائد لإنقاذهم عذابه أشد المتاعب ولم يريحوه يوماً حتى فارق الدنيا، انظر صفحات ١٠ إلى ١٤، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٩، ٢٧٩، لما كان كل هذا ملهاً بالعبر من جهات شتى، وكان فيه أكبر تسلية لكل من أصيب بمعاربة المفسدين وفيه أعظم درس لمن تعدله نفسه بالتمالي على خلق الله، ذكرها سبحانه مرارا بأساليب مختلفة دائرة بين الإجمال والتفصيل لأغراض شتى، يذكر في كل مقام ما يناسبه لتتجدد العبرة عند كل مناسبة.

ولما كان القرآن ليس كتاب تاريخ يورد الحوادث سرداً جاهاً، بل هو كتاب إرشاد وهداية يتفنن في إيقاظ العقول إلى طريق النجاة، فلا تعجب حينئذ إذا رأيت ما صورته صورة تكرر لهذه القصة في مواضع عدة أبرزها ما هنا وما هي صفحات ٢٠٩ إلى ٢٢١، وفي أول سورة طه صفحة ٤٠٦، وفي أول سورة القصص صفحة ٥٠٦، وفي صفحات ٦٢٠ إلى ٦٢٥.

فسبحان العليم الحكيم - قال سبحانه ﴿إذ قال موسى﴾ أي اذكر أيها النبي لقومك ما حصل حين قال موسى لأهله عند رجوعهم إلى مصر من مدين، وكان الجو بارداً والليل مظلماً، خفي عليه .. الطريق:

إني رأيت ناراً سأتىكم منها بخبر عن الطريق، أو أتىكم بشهاب مقتبس أي مأخوذ منها لعلكم تصطلون، والمراد أتى بهما أو بأحدهما على الأقل، انظر شرح هذه الألفاظ بأوسع مما هنا في صفحة ٤٠٦.

تَصْطَلُونَ ﴿١﴾ فَلَمَّا جَاءَهُ نُودِي أَن بُورِكَ مَن فِي الْبَلَدِ
وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ نَسُوحٌ
لَّاهُ وَأَنَّ اللَّهَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ عَمَّاكَ فَلَمَّا
رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى يُجِيبُ يَنْسُوحٌ
لَّا يَخُفُّ إِلَى لَأَيَّامٍ لِّقَى الْمَرْسُوعِ ﴿٤﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ
ثُمَّ يَدَّ خَسًا بَعْدَ سَوْءِ مَقَرٍّ عَصُوًّا رَّجِمَ ﴿٥﴾ وَأَدْرَجَلْ
بَذَلَ فِي حَنَائِكِ تَخْرُجُ بِقَضَاءِ مَن عَصَى سَوْءٌ يَنْسُجُ
عَاقِبَتَهُ إِلَى عَرْشِ عَزَّ وَجَّهٍ ﴿٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٧﴾
فَلَمَّا جَاءَهُمْ عَاقِبَتُ يَوْمِهِمْ فَالَوْ أَنَّهُمْ حَرَمُوا
وَعَهْدُ رَبِّهِمْ وَأَتَمَّتْهُمْ لُحْمُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَنَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ
وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ

المفردات: ﴿تصطلون﴾: تستدقون
بالماء من البرد.

﴿نودي﴾: المراد بالنداء هنا توجيه
الخطاب مطلقاً، سواء أكان معه حرف نداء
أم لا، وقد جاء ذلك كثيراً في القرآن، انظر
بعضه في آيات (٢٢) من سورة الأعراف
صفحتي ١٩٤، ١٩٥، و(٤٤، ٤٦) من نفس
السورة صفحة ١٩٩، و(٢٤) من سورة مريم
صفحة ٢٩٨، ٨٧ من سورة الأنبياء صفحة
٤٢٩، و(٩) من سورة الجمعة صفحة ٧٤٢،
بل قد يكون توجيهه ما ليس كلاماً كفتح
إسراهيل انظر الآية (٤١) من سورة ق

صفحة ٦٩١ .

﴿أن يورك﴾: ﴿أن﴾ حرف تمسير يفيد أن ما بعده مفسر لما قبله، أي خوطب بهذه
الألفاظ.

﴿مَن فِي النَّارِ﴾: المراد مَن فِي مَكَانِ النَّارِ أي بجوارها وهو موسى عليه السلام.

- (١) صبحان
- (٢) لعالمين
- (٣) يا موسى
- (٤) رآها
- (٥) يا موسى
- (٦) آيات
- (٧) فاسقين
- (٨) آياتنا
- (٩) عاقبة
- (١٠) آتينا
- (١١) سليمان

﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾: أى وَمَنْ هو موجود حول مكانها، وهم الملائكة الذين حصرُوا هذه اللحظة المباركة وفى آية أخرى ما يفيد أن البركة عمت البقعة أيضاً، انظر الآية (٣٠) من سورة القصص صفحة ٥١١ . ﴿جاء﴾ حية سريعة الحركة، انظر ما قيل فى صفحة ٢٠٩ .

﴿ولى مدبراً﴾، أى انصرف مسرعاً جاعلاً ظهره إلى المكان الذى كان واقفاً فيه . ﴿ثم يعقب﴾: لم يلتفت إلى عقبه، والمراد لم يرجع

﴿جيبك﴾: هو فتحة الثوب العليا التى يدخل منها الرأس.

﴿فى تسع آيات﴾: براهين، انظرها فى صفحة ٣٧٨ .

﴿مبصرة﴾ أى سبباً فى قوة البصيرة والتأمل والمراد واضحة

﴿جعدوا بها﴾: أى أنكروها كافرين بها.

﴿استيقنتها﴾: أى ثبقتها على أتم وجه.

﴿علوا﴾، أى ترفعوا وتكبرا، انظر الآية (١٩) من سورة الدخان صفحة ٦٥٧

المعنى: أنكم بقطعة من النار لعلكم تستدثثون من البرد، فلما جاء موسى إلى مكان الدار وجهه سبحانه إليه بالحطاب بقوله بارك الله فيك يا موسى وأنت بحوار مكان هذه النار، وبارك فيمَنْ هو موجود حول مكانها، ووسع بعض علماء السلف حتى جعله يعم الأرض التى بارك الله تعالى فيها بكثرة الحيرات ومهبط النبوات انظر الآية (١٣٧) من سورة الأعراف صفحة ٢١٣ ولاشك أن هذه تحية من الله سبحانه وتعالى لموسى أو بشرى بأنه سيكون من عباده المصطفيين الأخيار.

ولما كان قد يسبق إلى الوهم أن الله عز وجل يحويه مكان كالحلق، به سبحانه نبيه موسى إلى تنزيهه عن ذلك فقال ﴿سبحان الله﴾ إلخ، أى وقل يا موسى أبره ربي تنزيهاً كاملاً عن كل ما يشبه الحوادث، لأنه هو رب العالمين، أى خالقهم، ولا يمكن التسوية بين الخالق والمخلوق.

وأكد ذلك بقوله. يا موسى إني أنا الله العزيز القادر على كل شيء، فلا يعجزني ما سأظهره من المعجزات، الحكيم في كل ما أفعل.

ثم شرع سبحانه في تسليح نبيه بالمعجزة فقال وألق عصاك، أي ارمها على الأرض، فأتقاهم موسى فإذا هي ثعبان، فلما رآها تهتز بسرعة كأنها جان ولي معطيها ظهره خوفا من أن تقاله بسوء ولم يرجع إليها، فقال سبحانه: يا موسى لا تحف لأنى لا يخاف هي حصرتى رسلى..

ولما جعل سبحانه نفى الخوف مقترنا بصفة الرسالة، وهذا ربما يجعل موسى يخاف مما حصل منه قبل الرسالة مما هو مبين في صفحة ٥٠٨، دفع سبحانه ذلك بقوله ﴿إلا من ظلم ثم بدل حسنا﴾ إلخ أي لكن من ظلم نفسه بما يستاء منه، ثم جعل مكان هذا السوء أعمالاً حسنة، فإننى أخفر له لأنى كثير المعصرة واسع الرحمة.

ثم أمره بأخذ العصا فأخذها فإذا هي كما كانت كما في صفحة ٤٠٧ ثم بعد ذلك أرشده إلى المعجزة الثانية فقال: ﴿وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ كما تقدم في صفحة ٤٠٧، وهاتان الآيتان في جملة تسع آيات سنظهرها لك في وقتها مرسلات بها إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين. فلما جاءت فرعون وقومه آياتنا حال كونها حجة واضحة على صدق رسولنا قالوا هذا سحر ظاهر، وأنكروا هذه المعجزات بأنسنتهم والحوال أن انصبتهم تيقنت أنها ليست سحراً حال كونهم ظالمين لتلك الآيات حيث أهملوها وأبرئوها إلى مرتبة السحر وظهر ذلك ما هي الآية (٩) من سورة الأعراف صفحة ١٩٢، وحال كونهم مترفعين مستكبرين عن الإيمان بها، انظر الآية (٤٠) من نفس السورة صفحة ١٩٨، فانظر أيها العاقل على أى صفة كانت عاقبة المفسدين الذين هم فرعون وقومه.. وكانت في الدنيا الإغراق في البحر، وفي الآخرة الإحراق بالنار.

ثم شرع سبحانه في قصة سليمان فقال ولقد آتينا داود وسليمان طائفة من علم الحكم والدين، فقابلاً هذه النعمة بالشكر بقولهما: الحمد لله الذى فصلنا بالنبوة والملك على كثير من عباده.

مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ⑪ وَوَرِثَ سُلَيْمُ دَاوُدَ وَقَالَ
يُنَايَا النَّاسُ عِذَا مَلَئْتُ الْأَرْضَ وَالْطَّيْرَ وَابْنِيَّاءَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
إِنْ هَذَا لَمَوْ أَوَّلُ الْفَصْلِ الْخَامِسِ ⑫ وَحِشْرٌ لِسُلَيْمَانَ
بِجُودِهِ مِنَ الْحَيِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُورَعُونَ ⑬
حَتَّى إِذَا تَرَّاءَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ
ادْخُلْوا مَسْكَنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُودُهُ وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ⑭ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ ارْزُقْنِي
أَنْ أَشْكُرَ بِمَنِّكَ الَّذِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدِيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذْهَبَنِي بِرَحْمَتِكَ إِلَى عِبَادِكَ الْغَالِبِينَ ⑮
وَتَقَعَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَنُودَ أَمْ كَانَ مِنْ
الْعَاسِينَ ⑯ لَا أُعَذِّبُهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْهَبُهُ
أَوْ لِيَأْتَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ⑰ فَكَتَبَ غَيْرَ بَعْدٍ فَقَالَ

المفردات: ﴿منطق﴾ أصل المنطق والتنطق هو التكلم، والمراد: ما تبين به أغراضها بلغة خص الله تعالى بمعرفتها نبيه سليمان عليه السلام ويؤيد ذلك كلام الهدد الآتي في الآيات (٢٢ إلى ٢٦) هنا وفي الصفحة التالية، ولا غرابة في ذلك فالمقام مقام خوارق خص الله بها نبيها من أنبيائه، وهو سبحانه قادر لا يعجزه شيء، بل ما هنا أسهل من إنطاق الجوارح يوم القيامة. انظر آيتي (٢٠، ٢١) من سورة فصلت صفحة ٦٣٢.

﴿حشر﴾: أي جمع. ﴿يورعون﴾ أصل

الوزع المنع والكف، والمراد يحبس أولهم حتى يلحق به المتخلف منهم.

﴿وادي النمل﴾: هو مكان بكثرة فيه النمل ولا يعنينا تحديده، بل الذي يهمنا هو موضع

المبرة فيه.

﴿قالت نملة﴾: المراد أرشدت زميلاتها بالطريقة التي أودعها الله تعالى فيها، انظر ما

تقدم هنا في الآية (١٦).

(١) سليمان

(٢) لسليمان

(٣) مساكنكم

(٤) سليمان،

(٥) والدي

(٦) صالحا

(٧) ترصاه

(٨) الصالحين

(٩) لأدبجه

(١٠) سلطان

﴿لَا يَحْطَمَنَّكُمْ﴾ الحطم الكسر، والمراد يهلككم بالدوس. ظاهر النهي أنه موجه لسليمان وهو في الحقيقة موجه للنمل، فالمراد لا تعرض أنفسكم للهلاك، من قبيل قولهم لا يرض عنك الشيطان فتعصب ربك، أي لا تفعل المعاصي التي ترصى الشيطان وتعصب الرب.

﴿تَبَسُّمٌ صَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾ لما كان التبسّم قد يكون عن غير رضا كما يقولون تَبَسُّمُ تَبَسُّمِ العصبان، وتبسّم المستهزئ لما كان ذلك قال ﴿صَاحِكًا﴾ ليفيد أنه تَبَسُّمُ سرورًا.

﴿أَوْرَعَىٰ أَنْ أَشْكُرَ﴾ أي أحبسني على أن أشكر نعمتك لا أتمادى إلى كفرانها بحيث أكون ملأها لشكرها.

﴿تَعْقِدُ﴾ أصل التعقد البعث عما عساه أن يكون قد غاب أو فقد.

﴿أَمْ كَانَ﴾ ﴿أَمْ﴾ حرف يدل على الانصراف عما قبله والاستفقال لما بعده، ويعبر عن معناه بيل.

﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: بحجة واضحة.

﴿هَمَكْتُ﴾ أي بقي غائبًا. ﴿عِزٌّ بِعِيدٍ﴾ أي دما غير طويل..

المعنى - وورث سليمان داود، أي قام مقامه في النبوة والملك، وقال متحدثًا بنعمة ربه يأبى الناس إن ربي سهل لي فهم ما يريد الطير إذا صوت، وكذا عيره من الحيوان كما سيأتي في حديث العملة، وإنما حص الطير بالذكر لأنه كان من حده الذي يحتاج إليه في الأسفار. وإنما قال علمًا بدل علمت لأنه كان ملكًا وبيا محاطب رعيته على عبادة الملوك مراعاة لقواعد السياسة من التمهيد لما يراد من رعيته من طاعة وحسن انقياد لما فيه مصلحته، فلم يكن من قبيل التعاطف والتكبر كما هي ملوك الدنيا.

ثم قال إن الله سبحانه وتعالى اتانا من كل شيء ما يساعدنا على القيام بما يرصيه من عمارة الأرض، وإقامة العدل، وتسخير الحن والريح والطير، وغير ذلك، انظر الآية (٣٥) وما بعدها من سورة ص صفحة ٦٠١، وإن هذا هو الفصل الظاهر.

ولما أراد سليمان السفر من الشام إلى مكان آخر لا يهمننا أمره لأنه لو كان في بيانه هائلة لذكره الله عز وجل، أمر من يجمع له من أنحاء مملكته جنوده من الإنس والجن والطير، ولما ساروا كان يكف عن السهر أولهم حتى يلحق بهم آخرهم لكثرتهم، حتى إذا دخلوا واديا كثير النمل حذرت نملة رميلائها من الخطر إذا لم يمسرعوا إلى دخول منازلهم في باطن الأرض، وكان ذلك بإلهام من الله، كما ألهم النحل جمع القوت من الشجر وغيره، انظر الآية (٦٨) من سورة النحل صفحة ٢٥٤، فإنكم إن لم تدخلوا أهلككم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون، تريد بهذا أنهم لو شعروا بوجود النمل لتعاشوا تحطيمه، وبهذا تكون عارفة شئون سليمان وسائر الأنبياء عليهم السلام من نفورهم من الظلم والإيذاء، ولهذا كان سرور سليمان من معرفتها أن العدل والرافة من شيم المؤمنين وأن الله عز وجل أعم عليه بأن يكون من هؤلاء الرحماء، لذلك سارع بالتوجه إلى ربه شاكرا لأمنه، ونظير ذلك ما قاله الله سبحانه وتعالى في جيش سيدنا محمد ﷺ في الآية (٢٥) من سورة المتع صفحة ٦٨٢ حيث قال ﴿فَتَصِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَغْرَةً بَعِيرٌ عَلَّمَ﴾ إلخ. فَتَبَسُّمُ تَبَسُّمُ الْمَسْرُورِ مِنْ قَوْلِهَا مَتَعَجِبًا مِنْ حَسَنِ تَدْبِيرِهَا لِإِنْقَادِ أَخَوَاتِهَا مِمَّا فِيهِ إِرْشَادٌ لِكُلِّ عَاقِلٍ حَتَّى يَكُونَ الْوَاحِدُ حَيْرًا لِلْمَجْمُوعِ.

وهنا تنبه سليمان لنعمة الله تعالى عليه في إطلاعه على هذه الأسرار وتوقيفه لأن يكون رحيما بالضعفاء فقال يا رب اجعلني لا أشغل نفسي إلا بشكر نعمتك التي أنعمت بها عليّ وعلى والدي من قبل، انظر الآية (١٨) وما بعدها من سورة من صفحة ٥٩٩ وإلا بعمل الصالح الذي ترصاه، وأدخلي برحمتك في عداد الصالحين.

وفي أثناء الطريق تفقد الجند فلم ير الهدهد، فقال: ما الذي منعني من رؤية الهدهد؟ أي هل هو حاضر ولم أراه؟ ثم قطع بأنه غائب فتوعده بقوله، والله لأعذبنه عذابا شديداً كنتم ريشه وحبسه في مكان ضيق أو لأدبعنه إلا إذا جئني ببرهان واضح على عذره في العياب، فمكث الهدهد عائبا مدة غير طويلة، ثم حصر فقال:

أَحْطَبْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجَعَلْتُكَ مِنْ سَلَكِ يَسْمَاءَ جَبِي ②
إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأَوْفَيْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَمَّا
عَرَّشْتُ عَظِيمَ ③ وَجَدْتُهُ وَقَوْمَهُ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَرَبِّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ اتَّخَذَهُمْ صَدَقَهُمْ عَنِ
السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ④ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ
الْحَبَّ فِي السَّحَابِ وَالْأَرْضِ وَيَعْمَلُ مَا تُحْمَرُونَ وَمَا
تُعْمَلُونَ ⑤ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ⑥
قَالَ سَطْرُ أَصْدَقَتْ أُمُّ كُتَيْبٍ مِنَ الْكُنْدِيِّينَ ⑦
أَذْهَبَ يَكْتَنِي هَذَا مَا قَدْ إِيْتِيَهُمْ ثُمَّ نَزَلَ عَنْهُمْ فَأَنْظَرَ
مَاذَا يَرْجِعُونَ ⑧ قَالَتْ بَنَاتِيَا أَمْلُوا إِنِّي أَنزِلُ
إِلَيْكُمْ كِتَابَ كَرِيمٍ ⑨ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِرِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ⑩ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَنْتُمْ مُسْلِمِينَ ⑪

المصدرات : ﴿أحطبت بما لم تحط به﴾
الإحاطة بالشئ، علما هي علمه من جميع
جهاته، انظر الآية (٩١) من سورة الكهف
صفحة ٢٩٢، أي علمت علما تاما بأشياء لم
تعلمها، ولا مانع من أن يعلم التابع ما لم
يعلمه متبوعه، انظر العبد الصالح مع موسى
عليه السلام في صفحة ٢٩٠ . ﴿سبأ﴾
أصل هذا الاسم اسم جد قبيلة، ثم أطلق
على القبيلة نفسها وعلى مساكنها أيضا .
﴿سبأ﴾ : خير مهم . ﴿أمراء﴾ : هي بلقيس .

﴿تملكهم﴾ : أي ملكة عليهم . ﴿عرش﴾
سرير الملك . ﴿ألا يسجدوا﴾ : ﴿ألا﴾ كلمة
مركبة من ﴿أن﴾ الماصية، و﴿لا﴾ النافية .

والأصل ﴿لنلا﴾ والمعنى ربي لهم الشيطان أعمالهم لأجل ألا يسجدوا . إلخ أي ليستعدوا
عن السجود والخصوع لله تعالى، هي وما بعدها حتى ﴿رب العرش العظيم﴾ من كلام
الهدد . ﴿الحبء﴾ كل محبوب في السماء كالمطر، وفي الأرض كالكتور والنبات وغيرها
﴿رب العرش﴾ : انظر الآية (٥٤) من سورة الأعراف صفحة ٢٠١، ويطلب من القارئ والسماع
أن يسجد عند المصراع من تلاوة كلمة ﴿العظيم﴾ . هنا سجدة ﴿يرجعون﴾ المراد ما الذي
يرجع بعضهم إلى بعض فيه من القول عند التشاور ﴿الملا﴾ : رعاء القوم، انظر الآية (١٠٩)
من سورة الأعراف صفحة ٢١٠ . ﴿كريم﴾ : محترم لأنه كان محتوماً بختم صاحبه
﴿الرحمن﴾ هو الذي وسعت رحمته وإحسانه كل شئ في هذه الحياة الدنيا، من مؤمن وكافر .

وكل ذي روح من دابة تدب على وجه الأرض، أو طائر يطير بجناحيه، أو غير ذلك، روى البخاري في كتاب الأدب أن النبي ﷺ قال: «جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً، وأبذل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق حتى ترفع المرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه». «الرحيم» هو الذي يتفصل على المؤمنين برحمة خاصة، انظر شرح الآية (١٥٦) من سورة الأعراف صفحة ٢١٧، معنيها أنه يوفقهم لما يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ليصوروا بالسعادة العائدة. انظر الآية (٤٣) من سورة الأحزاب صفحة ٥٥٦. ومنها التمسك على بعض عباده باختيارهم رسلاً له إلى عباده، انظر شرح آيتي (٧٢، ٧٤) من سورة آل عمران صفحة ٧٤، «ألا تعلو» «ألا» كلمة مركبة من «أن» حرف تمسير، و«لا» الناهية والمعنى أن مصموم خطاب سليمان لا تتعالوا وتكبروا، انظر الآية (١٩) من سورة الدخان صفحة ٦٥٧. «مسلمين» عقاديين خاصين

المعنى - فعصر الهدد بعد قليل وقال إني تعلمت ما لم تعلم يا بني الله. ثم شرع يبين ذلك فقال وحثك من سبأ بحير مهم محقق، ثم شرحه بقوله إني وجدت امرأة ملكة عليهم، وأعطيت من كل شيء يحتاج إليه الملوك، ولها عرش عظيم تجلس عليه عند النظر في شئونها؛ وحدتها وقومها هي صلال حيث عبدوا الشمس دون توحيد الله بالعبادة كما عبد مشركو العرب الأصنام، وسبب ذلك أن الشيطان زين لهم من الكفر والمعاصي همنهم عن طريق الحق فصاروا لا يهتدون إليه أبداً، وإنما معهم الشيطان عن ذلك لئلا يسجدوا أي ليهتدوا عن السجود والعصوع لله الذي يستحق ذلك وحده، لأنه هو وحده الذي يخرج للإنسان وغيره الخير من السماء والأرض الذي لا يعيه غيره، ويعلم ما تحمون أيها عباده وما تعلمون، وهو الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم بالنسبة إلى كل مخلوق في السموات والأرض قال سليمان سبظر هل أنت صادق فيما تقول أم كنت من المعتدين على كذب؟ ثم كتب سليمان إلى بلقيس وقومها كتاباً، وقال للهدد اذهب بكتابي هذا فألقه ثم تنح قريباً منهم واستمع مراعاة الملكة وقومها، فقام بما كلم به، فلما قرأته بنقش جمعت رؤساء الجند وكبار قومها وقالت يأيها الملأ إني ألقى إني كتاب، فمألوها ممن هذا الكتاب وما مصمونه؟ ففأنت إبه من سليمان وإبه معتق باسم الله الرحمن الرحيم، ومصمونه لا تعلو على وأتوني مسلمين خاصين.

قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَوْءُؤُا أَخْبِرِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً
أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدِينَ ﴿٢٦﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَىٰ قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْرِ
شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْطَرِي عَادًا تَأْمُرِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَتْ إِنَّ
الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَافَهَا
أَدْلَةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ
فَنَظِرَةٌ لِّمَ يَرْجِعُ أَمْرُسَلُونَ ﴿٢٩﴾ عَلَّمَا جَاءَ مُلْكُهَا قَالَ
أُفٍّ لِّدُونِ عَالٍ فَمَا أَنْشَبَهُ اللَّهُ حَيْرَتًا ؕ أَتُنْكُمُوهَآ فِى الْيَمِينِ
يَهْدِيكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٠﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلْيَايِسْهُمْ يُجْرِدْ
لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَيْدٍ وَهُمْ لَا يَصِيرُونَ ﴿٣١﴾
قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَرْجِي أَنْ يَأْتِيَنِ
مُسْلِمِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ عِصْرِيتُ مِنَ الْيَمِينِ أَنَا ؕ أَيْدِيكَ بِهِ
قَبِيلٌ أَلْ تَقُومُ مِنْ نَفْيِكَ ؕ وَإِنِّي عَلَىٰ تَقْوَىٰ هَاهُنَا ﴿٣٣﴾

المفردات: «تشهدون»: أى تحضرون،
والمراد بمشهد منكم.

«أولو قوة»: أى أصحاب قوة فى
الأجسام والعدد وآلات الحروب.

«بأس»: شجاعة وصلابة فى الحرب.

«فناظرة»: منتظرة .

«أتمنون بمال»: الهمزة للاستعظام
التوبيخى، أى هل يصح أن تعطونى مالا؟

«بل» حرف يدل على الانتقال من
موضوع إلى موضوع، وهنا انتقل من الكلام
على الإمداد بالمال إلى الحديث عما حملهم
على ذلك.

«ارجع إليهم»: هذا خطاب لوثيع الوغد.

«لا قبل لهم بها»: أصل قبل القدرة على المقابلة والمجازاة بالمثل، والمراد هنا الطاقة
والقدرة.

«أدلة»: بعد دهاب الملك «صاعرون»: أسرى مسترقون. «مسلمين»: خاصعين.

«عصريت» هو من الجن المارد القوى، والعرب تقول للرجل الشديد إذا كان فيه حبث
ودهاء فلان عصريت وقد سحر سبحانه الجن لنبيه سليمان فسط ولم يسخره لأحد بعده،
انظر الآية (١٢) وما بعدها من سورة سبأ صفحة ٥٦٤، والآية (٢٥) وما بعدها من سورة ص
صفحة ٦٠١ .

(١) الملا	(٢) سليمان	(٣) أنانى	(٤) أنكم.
(٥) صاعرون	(٦) الملا	(٧) أنيك.	

﴿مقامك﴾ مجلسك للحكم بين الرعية. وكان يجلس من الصبح إلى نصف النهار.

المعنى- بعدما فرغت بلقيس من بيان ما هي الكتاب قالت يا أيها الملأ أفتونى في الأمر فإني لا أبت في أمر إلا بحضورتكم.

قالوا نحن أصحاب عدد كثير ومعدات عظيمة وأصحاب شجاعة والأمر موكل إليك فانظري ما تأمرين به من القتال أو الصلح فإنا لا نحالف لك أمراً قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية قهراً أفسدوها بتخريب عمارها وإتلاف أموالها، وصيروا أهلها أدلاء بالأسر والتشريد، وكذلك سيفعلون معنا لأن هذا هو دأبهم دائماً وإني سأرسل إلي سليمان وقومه هدية من نفائس الأموال وانتظر ما الحال الذي سيرجع به من برسنتهم بها، فإن قبلها كان ملكاً ويجب أن يحاربه لأن شره لا يدفع إلا بذلك، وإن لم يقبلها كان نبياً، والنبي مصلح لا يخشى منه، فخير لنا أن نطيعه لأنه لا يرضى منا إلا ذلك، فلما جاء الوفد بالهدية إلى سليمان قال موبعاً لهم: لست محتاجاً لما لكم، لأن ما أعطاني الله من النبوة والملك الواسع وتسعير الجن والطير كل هذا خير مما عندكم.

ثم انتقل من إنكار إمدادهم له بالمال إلى بيان ما حملهم على ذلك من قياس حاله عليه السلام على حالهم من حب الدنيا وحصرهم فيها، فالمعنى بل أنتم الذين تملكون بما يهدى إليكم لتفانيكم في حب الدنيا. ثم وجه الخطاب لرئيس الوفد فقال أرجع بالهدية إلى بلقيس وقومها فوالله لنأتينهم بجنود لا طاقة لهم بمقاتلتها، ولخرجتهم من سبأ أدلة وهم محتقرون ولما رجع الوفد بالهدية وعلمت بلقيس أنه ليس ملكاً قررت التوجه إليه مع أشرف قومها ولما علم سليمان بذلك أراد أن يريها بعض ما حصه الله تعالى به من العجائب الدالة على صدق دعوته وليحتبر عقلها فقال: يا أيها الملأ أيكم يأتي بي بعرشها قبل أن يصلوا إلي خاضعين؟ قال مارد من الجن- أنا أتيك به قبل أن تقوم من مجلسك وإني لقوى على حمله أمين، لا أضيع منه شيئاً.

وقد اتفق العلماء على أن الجن بصورته الحقيقية لا يراه إلا الله، فالذي كان يكلم سليمان كان في صورة إنسان

قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ
 أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا
 مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنَّهُ أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ ۚ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا
 يَكْثُرُ لِنَفْسِهِ ۚ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ ﴿١٠﴾
 قَالِ يَبْرُؤُا هَٰذَا عَرْشِي نَظَرْتُ إِلَيْهِ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ
 لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰذَا عَرْشُكَ ۖ قَالَتْ
 كَآفَرُ ۖ هُوَ وَأَوْثِقَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَحَسَنَّا سُلَيْمِينَ ﴿١٢﴾
 وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ ۚ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ
 مُّكْذِبِينَ ﴿١٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۚ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ
 لُحَّةً ۚ وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنَ
 قَوَارِيرَ ۚ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَنَنْتُ نَفْسِي رَاسِلَةً مَّعَ مُلْكِي ۚ
 اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَنْظِمُوا

المعـردات: «الذي عنده علم من الكتاب»: اختار الإمام الرازي إنه سليمان نفسه، وعبر عنه بذلك لبيان منشأ تفوقه في القدرة على غيره. «الكتاب»: هو اللوح المحفوظ المشتمل على ما في الكون من أمرار يمسخر الله بها الملائكة لعمل العجائب كما حصل لقوم لوط، انظر صفحة ٢٤٢. «طرفك»: يطلق الطرف على تحريك جفن العين، والمراد هنا الجفن نفسه، قاله الراغب. «ليبلونني»: أصل البلاء والابتلاء هو الاختبار، والمراد ليصاملي معاملة المختبر. «يكرؤا لها عرشها»: أي غيروا

أوصاع بعض أجزائه حتى يكون مكرأ عندها

أي عريبا غير معرووف. «الصرح»: هو كل بناء مرتفع سواء أكان قصراً كما هنا أم غيره كما هي قوله تعالى عن حديث فرعون ووزيره هامان «هاؤقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلني أطلع إلى إله موسى» الآية (٢٨) من سورة القصص صفحة ٥١٢. وكان لسليمان عليه السلام قصر جمل أرض أبيهائه من الزجاج المموج الذي يحاكى تموجات المياه الصافية. «علمأ رآته»: المراد رأت بعض أجزاء الصرح وهي أرضه. وإطلاق الكل وإرادة الجزء من أجزائه كثير في كلام العرب، يقول أحدهم رأيت محمداً، وهو لم ير إلا وجهه فقط، ويقول أمسكت بعلى وهو لم يمسك إلا يده. «حسبته»: ظننت ما رآته من الزجاج. «لحاة»: أي ماء كثير يعلوه موج. «ممرد»: أي مملس مصقول بطرق خاصة تقول العرب هذه شجرة ممردة أي

ليس عليها ورق، ومنه شاب أمرد أى لم يست في وجهه لحية ﴿قوارير﴾ جمع قارورة وهي القطعة من الزجاج.

المعنى: بعدما قال الجنى أنا آتيك بالعرش قبل أن تقوم من مجلسك، استبطأ سليمان الذي أطلعه الله على بعض أسرار الكون، فقال له: أنا آتيك به قبل أن تعمص عيبك وحاء به فعلاً، فلما رآه ثابتاً أمامه تذكر فضل الله تعالى عليه، فأسرع بالاعتراف به فقال: هـ من فضل ربى بلا حول منى ولا قوة، فعله سبحانه ليظهر للناس هل أنا عبد شكور أعرف قدر نعمه أم أكفر بها فأقصر في شكره عليها، ومن شكر فمائدة شكره تعود عليه بالسعادة والنعيم ومن كفر بترك الشكر فالله ليس في حاجة إليه، لأنه سبحانه عسى عن شكره، كريم بعم بدون مقابل، انظر الآية (٨) من سورة إبراهيم صفحة ٢٢٠ .

ثم أرد سليمان أن يحتبر عقلها ودقة بطرها ويشعرها بقوة فقال: غيروا لها شكل عرشها مع بقاء أحرانه لسنظر أتهدى للصواب فتعرفه أم تكون من البلاء، فلما وصت أطلعوها على العرش وقالوا لها هل عرشك مثل هذا؟ أحابت بما دل على عظمتها فقالت: كأنه هو، ولم تقطع ولم سمع سليمان إحابتها الدقيقة أدرك أنها بدأت تعلم قدرة إله سليمان ووحدانيته وصحة نبوة سليمان بسبب ما تكرر عليها من العجائب الحارحة عن طاقة لبشر كرسالة الهدى وإحصار عرشها بهذه السرعة من مسافات بعيدة

عند ذلك بادر سليمان بشكر الله على نعمته عليه وعلى من آمن به بتوحيقه لهم إلى السبق بالصواب فقال: وأعطانا الله العلم النافع من قبل علمها ولم يتحول عن لإسلام، أما هي فقد منعها عن الحق عبادتها للشمس مدة طويلة دون أن تمرد الله تعالى بالمعصية، وسبب وقوعها في ذلك أنها كانت من قوم راسعين في الكفر ثم أراد سليمان أن يريد لها استعظاماً لأمره وتحقيقاً لنبوته وتثبيتاً لها على ما ظهر لها من الحق فقال: ادخلى هذا القصر، فلما رأت طريقه طينه لجة ماء لصماء غطائه من الزجاج، فكشمت ثوبها عن ساقها خوف اللال عند ذلك قال لها سليمان: إن هذا الذى طينه ماء طريق صرح مصقول مأخوذ من الزجاج عند ذلك تكلمت عندها البراهين على الصواب فقالت: يارب إني ظلمت نفسي بعبادة غيرك، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين. وبعدها بين سبحانه أن من آمن برسوله سليمان نجا شرع في قصة بني آحر وما حصل لقومه من هلاك عندما كبروا به فقال سبحانه: ﴿ولقد أرسلنا إلى آحاهم صالحاً﴾ إلى آحر ما تقدم في صفحة ٤٨٨ .

صَالِحًا أَوْ آعْبُدُوا اللَّهَ هَٰذَا هُمُ الْقَائِلَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿١٥﴾
 قَالِ يَنْفَرُ لَكُمْ تَعَسِبُونَ بِالنِّسَةِ قَبْلَ الْحَسَةِ لَوْلَا
 تَسْتَعِيرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا أَظْهَرَ بَأْسًا بِكَ وَبِمَنْ
 مَعَكَ قَالَ طَعْنُوا ذُرِّيَّتَهُ إِنَّهُ يَأْتِيَنَّكُمْ نَفَسٌ ثَمُونَ ﴿١٧﴾
 وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ شَقَاءٌ رَقِطٌ يَقُولُ فِي الْأَرْضِ وَلَا
 يُصَدِّقُونَ ﴿١٨﴾ قَالُوا تَفَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ
 لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٩﴾
 وَمَكْرُؤًا مَسْكُورًا وَمَكْرُؤًا مَسْكُورًا هُمُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠﴾
 فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْرِمِينَ ﴿٢١﴾ أَنَا وَرَبِّي هُمْ
 أَتَمِّمُونَ ﴿٢٢﴾ قِيلَ لَكُمْ يَوْمَ الْخَاوِيَةِ يَمَّا طَلَسُوا إِنْ فِي ذَٰلِكَ
 لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣﴾ وَاعْبَادُوا الَّذِينَ اسْمُوا وَكَانُوا
 يُشْفُونَ ﴿٢٤﴾ وَوُضِعَ الْكَلَامُ لِقَوْمِهِ إِنَّا أَنَا نَحْنُ الْمُنِجَّةُ وَأَنْتُمْ

المعصيات: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾: المراد
 أرسلناه برسالة هي الأمر بعبادة الله. ﴿هَٰذَا
 هُمُ الْقَائِلَانِ﴾: مؤمنون وكافرون، انظر الآية
 (٧٥) من سورة الأعراف صمعتي ٢٠٤، ٢٠٥
 ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾: جمع ضمير الفريقين باعتبار
 تعدد أفراد كل فريق.

﴿لَوْلَا﴾: المراد بهذا الحرف هنا هو
 طلب حصول الفعل المذكور بعده، انظر
 معانيه في الآية (٤٢) من سورة الأنعام
 صفحة ١٦٨. ﴿أَظْهَرَ بَأْسًا بِكَ﴾ أي تشامنا
 بك، انظر الآية (١٢١) من سورة الأعراف
 صفحة ٢١٢.

﴿طَانَرَكُمُ عَنِ اللَّهِ﴾ أي شؤمكم ياتيكم من عند الله
 على عملكم السيئ، انظر الآية السابقة. ﴿بَلْ﴾ حرف اصراب أي انتقال من كلام إلى آخر.
 ﴿تَعَسِبُونَ﴾ تمنعون شغاف الشر والحير عليكم ﴿المدنية﴾ هي الحجر بكسر هـ سكون.
 انظر الآية (٨٠) من سورة الحجر صفحة ٢٤٢. ﴿تَسْعَةُ رَهْطٍ﴾ الرهط اسم جمع لا مفرد له
 من لفظه، وهو من الثلاثة إلى العشرة. فكانه قال تسعة رجال هم الرهط، وكانوا من أساء
 رعمائهم ﴿تَفَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ أي أمر بعضهم بعضا بأن يقساموا بالله ﴿لنبيته﴾ لنقتله بيانا أي
 نيلا انظر بيانا في صفحات ١٩٢، ٢٠٨، ٢٧٤. ﴿مَا شَهِدْنَا﴾ أي ما حصرنا، ﴿مَهْلِكًا﴾ مكان
 هلاك، ﴿وَمَكْرُؤًا﴾ إلح، دبروا في الحما. ﴿أَنَا دَمَرْنَاهُمْ﴾ أي أهلكناهم. ﴿خَاوِيَةٍ﴾ خربة
 ليس بها أحد. ﴿الآية﴾: لعبرة وعظة.

- | | | |
|--------------|-------------|--------------|
| (١) صالِحًا. | (٢) يا قوم. | (٣) طانركم. |
| (٤) تصادقون. | (٥) عافية. | (٦) دمرناهم. |
| (٧) الآية. | (٨) أسوا. | (٩) الماحضة. |

المعنى: ولقد أرسلنا إلى ثمود آحاهم في النسب صالحا، ففاجأ انقسامهم إلى فريقين كافر ومؤمن، يتخاصم أفراد كل فريق مع أفراد الفريق الآخر فيقول كل الحق معي، قال صالح: يا قوم لم تستمعجلون بالمقوبة التي تسوءكم، فتقولون اثنتا بما تعدنا إن كنت من الصادقين، انظر صفحة ٢٠٥ قبل التوبة الحسنة التي فيها نجاتكم، فهلا تستغفرون الله أي أرجوكم أن ترجعوا إلى ربكم لعلكم ترحمون برفع العذاب قالوا تشاءمنا بك وبمن معك لأنه حصل لنا فحط وشدة في زمكم، قال ما حل بكم علمه عند الله وهو أعلم بأسبابه التي فعلتموها.

ثم انتقل من بيان ما حل بهم إلى بيان الحكمة فيه، فقال، بل أنتم قوم تقتلون بالحير هل تشكرون، وبالشكر هل تصبرون، انظر الآية (٩٤) من سورة الأعراف صفحة ٢٠٨، والآية (٣٥) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٤. ثم أراد سبحانه أن يبين سبب تغلب الشر وأنه فساد لرؤساء كما في الآية (١٢٣) من سورة الأعمام صفحة ١٨٢، والآية (١٦) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٦، والآية (٦٧) من سورة الأحزاب صفحات ٥٦٠، ٥٦١ فقال سبحانه: وكان في المدينة تسعة رجال يفسدون في الأرض وليس لهم إصلاح مطلقاً.

ثم بين بعض إفسادهم بقوله ﴿قالوا﴾ إلخ أي قال بعضهم لبعض تعالوا نقسم بالله ليقتل صالحا ومن آمن معه ليلا، ثم ليقولن لولي دمه والله ما حصرنا مكان هلاك أصحابه فكيف بشهد هلاكه هو، أي لا علم لنا بذلك، وإنا لصادقون في قولنا. ودبروا هذا التدبير الخفي، ودبرنا نحن تدبيراً أحكم منه وهم لا يشعرون، بما قدرناه لهم، انظر الآية (٢) من سورة الرعد صفحة ٣٢٨، فانظر أيها السامع ونأمل حالة عاقبة مكرهم، ثم بينها بقوله ﴿إنا دمرناهم﴾ إلخ أي إنا أهلكناهم هؤلاء التسعة وقومهم الكافرين أجمعين، هذه بيوتهم حرية بسبب طمأنينةهم لأنفسهم ونبييهم، إن في هذا لعبرة وعظة لقوم يعلمون. أي فلو كان قومك أيها النبي عندهم علم صحيح لا تعظوا، وأنجيوا الدين آمنوا بالله وبرسالة صالح، وكانوا يتقون الله فلم يفعلوا ما يفعله، واذكر أيها النبي لقومك أيضاً قصة لوط حين قال لقومه هل يصح أن تعصوا لما حشة إلى آخر ما أشير في صفحة ٤٨٩، ولا تعمل مما تقدم في شرح الآية (٧) من هذه السورة صفحات ٤٩٤، ٤٩٥.

تُبْعِرُونَ ۝ أَيْسَرَ لَنَا تَوَدُّ الْإِبْرَاجَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ
الْإِسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ ۝ قَالُوا كَانَ جَوَابَ
قَوْمِيهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَنْتُمْ جَوَارِدُ الْوُطْءِ مِنْ قَرْنِكُمْ إِيَّاهُمْ
أَنْتُمْ يَتَطَهَّرُونَ ۝ فَأَنْجَبْتُهُ وَأَهْلُهُ إِلَّا أَمْرًا عَمْرٍ
قَلْبُهَا مِنَ الْعَبْرِينَ ۝ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا قَسًا
مَكْرًا الْمُنْذِرِينَ ۝ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى مَبَادِيهِ
الَّذِينَ أَصْلَحُوا ۝ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ أَنْ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَرْسَلَ لَكُمْ مِنَ الْمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا
بِهِ حَدَائِقَ غَايَةِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُجْرُوا جَرَمًا
أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْبُدُونَ ۝ أَنْ يَجْعَلَ
الْأَرْضَ قَرَارًا وَيَجْعَلَ خَلْقَهَا أَنْهَارًا وَيَجْعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا
وَيَجْعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ

المفردات: «تبعرون»: أى يشاهد
بعضكم حال ارتكاب العاصية، وهذا منتهى
الاستهتار بالمضائل الدال على فقدان
الحياة «قرينكم»: هى سدوم «يتطهرون»
أى يبتعدون عن الفجاسة، قالوا ذلك استهزاء
كما تقدم فى صفحة ٢٠٥ . «العابرين»
الهالكين، انظر شرح الآية (٨٤) من سورة
الأعراف صفحة ٢٠٦ . «أمطرنا عليهم»
المراد أنزلنا عليهم حجارة، انظر صمحتى
٢٠٦، ٢٤٣ . «مساء» أى فقيح .
«المنذرين»: الذين أنذروهم أى حذرهم

رسولهم: «الله خير»: بمد همزة
الاستفهام، والأصل الله، أى هل الله خير

إلخ «أما يشركون» أصل أما «أم ما» أى أم الذى يشركونه مع الله .

«هزيت» لم يقل أنت وحده بصمير المتكلم للإشارة إلى بديع الصنع فيما ذكر . نظر
الآية (٩٩) من سورة الأنعام صفحة ١٧٩، والآية (٥٢) من سورة طه صفحة ٤١٠
«حدائق» جمع حديقة وأصلها المستان المحاط بسور، فهو مأخوذ من الإحداق وهو
الإحاطة «يعبدون» من العبدول عن الشيء بمعنى تركه، فالمراد يبتعدون عن الصواب .
«قرار» أى مكان استقرار لكل من عليها «حلالها» جمع حلل بمتحنتين وهو ما توسط
شيئين، فالمراد وسطها .

«بين البحرين» أى العذب والمالح «حاجرا» تقدم فى الآية ٥٢ من سورة المرقا
صفحة ٤٧٦ .

(١) أى	(٢) فالجميع	(٣) قدرتها	(٤) العابرين
(٥) وسلام	(٦) الله	(٧) لم ما	(٨) السموات
(٩) إله	(١٠) حلالها	(١١) أنهارا	(١٢) رؤسى
(١٣) إله			

المعنى: . إنه بلغ من فُجر قوم لوط أنهم يفعلون العاحشة علناً ولا يستحي الواحد منهم أن يراه الآخر، انظر ذلك وبقية حرائثهم في الآية (٢٩) من سورة النكبات صفحة ٥٢٤، ثم بين سبحانه تلك الماحشة مع تكرار الإنكار والتأكيد الدال على أنها بلغت من القبح حداً لا يصدق أحد بلوعه فقال أنكم لتأتون الرجال لأجل مجرد الشهوة كالبهائم التي لا تقصد معها سلا متجاورين النساء المحلوقات لذلك.

ثم نقل سبحانه الكلام إلى بيان مشأ هذا الإجرام المظيع فقال بل أنتم قوم تجهلون العاقبة الوحيمة المعدة لكم وهي نار جهنم. فما كان جوابهم على هذا النصيح الحاصل إلا قولهم اخرجوا أصحاب لوط الدين اتبعوه، أى وهو من باب أولى من قريبتكم، لأنهم راهدون متقشفون، فعاداً كانت النتيجة بعد ذلك؟ قال سبحانه: فأنجيئنا وأهله إلا امرأته قدرنا كوبها من الهالكين، وأسرلنا عليهم حجارة محمأة بعد حسف القرية بهم كما في الآية (٧٤) من سورة الحجر صفحة ٢٤٢، فبئس هذا المطر لمن أنذرهم نبيهم فلم يثبها.

﴿قل الحمد لله﴾ إلخ يلاحظ في الإرشادات الإلهية أنها تتبع العباد لحمدته تعالى على صدق وعده، وعلى قطع دابر المفسدين في الأرض، وعلى إنجاء الصالحين انظر الآية (٤٥) من سورة الأنعام صفحة ١٦٩، والآية (٢٨) من سورة المؤمنون صفحة ٤٤٨، والآية (٢٤) من سورة فاطر صفحة ٥٧٦، والآية (٧٤) من سورة الرمر صفحات ٦١٦، ٦١٧. وقل أيها النبي أنت والمؤمنون سلام على عباد الله الذين اصطفاهم وهم الرسل عليهم السلام كما في الآية (١٨١) من سورة من صفحة ٥٩٧، وبعد ما فرغ سبحانه من قصص الأنبياء وأممهم. وبخ المشركين من العرب بقوله: هل الله خير لهم لأنه هو الذي خلقهم ورزقهم أو ما يشركونه معه من الأصنام التي لا تضر ولا تنفع؟ هل من خلق السموات والأرض وأسرل من السماء مطراً فأنتت به حداثق ذات بهجة ليس في إمكانكم أن تبتوا شجرها؟ هذا الإله صاحب هذه القدرة خير لكم أم الجمادات التي تمبدونها؟ هل هناك إله مع الله يجعل شريكاً له؟ كلا بل هؤلاء المشركون بعملهم هذا يبعدون عن الحق، بل هل من جعل الأرض قراراً، وجعل وسطها أنهار لدوام الانتماع بها إذا لم ينزل المطر، وجعل لها الجبال رواسى لئلا تهتر، انظر الآية (٣١) من سورة الأنبياء صفحة (٤٢٢)، وجعل بين البحرين حاجزاً من الأرض فلا يختلطان. هذا الإله خير أم أصنامكم؟ ثم أكد توبيخهم بقوله: هل هناك إله مع الله حتى تشركوه به؟ كلا بل فعلوا ذلك لأن أكثرهم جهلة لا يفهمون بطلان ما هم عليه من الشرك، وقليل منهم يعلم ويعاند.

لَا يَعْلَمُونَ ۝ أَمْ يُجِيبُ الْمُضْطَرُّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ
السُّوءَ وَيَجْعَلُ خَلْقَهُ الْأَرْضِ أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا
مَا تَذَكَّرُونَ ۝ أَمْ يَهْدِيكُمْ فِي طَلَبِكُمُ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ
وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيحَ نُفْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ
تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ أَمْ يَسْتَوِي الْخَلْقُ قَدْ يُضِلُّ
وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَوَّلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ
هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ
أَنَّهُ يَأْتِيهِمْ قَوْلُ اللَّهِ بَلَاءٌ لَمْ يَحْشُرُوا
لِشَيْءٍ مِمَّا بَلَّاهُمْ بَلَّاهُمْ بَلَّاهُمْ بَلَّاهُمْ
أَوْ ذَا كُنَّا تُرَاكُمُ بَأْوُنَا أَفَأَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ۝ لَقَدْ
وَعَدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أُنْطِيقُ

المصدرات: «المضطر» : المراد به هنا
الذي تلجئه الشدة إلى الضراعة إلى الله.
«خلقاء الأرض» : الأصل خلعاء في الأرض،
أي يحلف بعضكم بعضا قرنا بعد قرن. «بين
يدى رحمته» : أي أمام وقبيل، ورحمته
المراد بها هنا المطر الذي يقيدهم من
القعط والعطش. «لا يعلم من في السموات
والأرض الغيب إلا الله» : أي لا يعلم أحد من
أهل السموات والأرض شيئا من الغيب، لكن
الله وحده هو الذي يعلم، انظر الآية (٥٩)
من سورة الأنعام صفحة ١٧١ .

«أيان» . متى. «بل» : حرف يفيد

الانتقال من بيان حال من أحوال الكفار

إلى بيان حال آخر لهم أشد «ادارك» أصله تدارك، والمرب لما أدغمت التاء في الدال
جاءت بالالف هي أوله ليتمكن النطق به، يقال تداركت الأشياء، أي أدرك بعضها بعضا، أي
تتابع، والمراد تتابعت أسباب علمهم بأن القيامة لا بد منها ولكنهم لم يلتفتوا إليها، انظر الآية
(١١٥) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٦، والآية (٣٦) من سورة القيامة صفحة ٧٨٠ . «منها
عمون» . عمون جمع عم بفتح أوله وكسر آخره متونا بوزن أب، والمراد به أعمى القلب، أي
أنهم عمى، وعماهم ناشئ من كصرهم بها. «إن هدا» : «إن» حرف نفي بمعنى «ما» .
«أساطير» أي أكاديب انظر شرح الآية (٢٥) من سورة الأنعام صفحات ١٦٥، ١٦٦

(١) إله.	(٢) ظلمات.	(٣) الرياح.
(٤) إله.	(٥) تعالى.	(٦) يودا.
(٧) إله.	(٨) برهانكم.	(٩) صديقين.
(١٠) السموات.	(١١) ادارك.	(١٢) الآخرة.
(١٣) إدا.	(١٤) ترايا.	(١٥) أبانوا.
(١٦) إنا.	(١٧) أبانوا.	(١٨) أساطير.

المعنى: وقل أيها النبي لكفار قومك هل من يجيب دعاء المضطر إذا لجأ إليه ويدفع عنه السوء ومن يجعلكم حلفاء من سبقكم من الأمم في الأرض، تتفهمون بخيراتها خير، أم آلهتكم الباطلة؟ ثم أكد جهلهم بقوله: ﴿إِلَهَ مَعِ اللَّهِ﴾ إلخ أي هل هناك إله مع الله يفعل ذلك؟ كلا، ولكم قليلاً جداً ما تذكرون نعمة الله عليكم ولدا أشركتم به في العبادة.

ثم زادهم توبيخاً من ناحية أخرى فقال: ﴿أَمْ يَهْدِيكُمْ﴾ إلخ أي هل من يهديكم بالنجوم في ظلمات البر والبحر كما في الآية (٩٧) من سورة الأنعام صفحة ١٧٨، ومن يرسل الرياح مبشرات لكم قبيل نزول المطر الذي هو رحمة منا لكم خير أم آلهتكم التي لا تقدر على شيء؟ فهل هناك إله مع الله فعل هذا؟ كلا، تنزه سبحانه عن شرككم.

وقل لهم أيها النبي: هل من ينشئ الخلق أول مرة ثم يعيده بعد الموت للحساب والجواب خير أم آلهتكم؟ وإما احتج عليهم بالإعادة مع أنهم يكرونها لأن اعترافهم بأنه هو الذي أنشأهم بلزمه قطعاً أنه يعيدهم لأنه إله حكيم لا يخلق الماس عبثاً كما تقدم، وبدليل ما سيأتي في الآية (٦٦) هنا، ولهذا ألزمهم بذلك في الآية (٧٨) وما بعدها من سورة يس صفحة ٥٨٦، وقل لهم من يرزقكم بكل رزق سماوي من مطر وغيره مما لا يعلمه إلا العلماء المحتصون، وبكل رزق أرضي خير أم آلهتكم؟ فاستدل عليهم.

أولاً بأنه هو الذي يبشرهم بالمطر..

وثانياً بأنه هو الذي ينزله فعلاً كما ينزل غيره، هل هناك مع الله من يفعل ذلك؟ كلا، قل لهم أيها النبي هاتوا برهانكم على أن مع الله إلهاً غيره إن كنتم صادقين فيما تقولون.

ولما تعرض فيما سبق لإعادة الخلق عند قيام الساعة، وكان الكفار يكرونها ويلعنون في طلب معرفة زمانها كما في الآية (٧١) الآتية أمر سبحانه نبيه أن يقول لهم: لا يعلم الغيب الذي من ضمنه وقت قيام الساعة أحد من أهل السموات والأرض، ولكن الذي تعمد يعلم الغيب كله هو الله سبحانه، وما يشعر أحد في أي زمان يبعث.

روى البخارى عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت: مَنْ زعم أن محمداً ﷺ يعلم ما
 هي غد فقد أعظم على الله العربة، أى الكذب، ثم قرأت ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ والله سبحانه يطلع رسله على ما يشاء من الغيب كما في آيتي (٢٦)،
 (٢٧) من سورة الجن صفحتي ٧٧٢، ٧٧٣ .

وبعد ما بينُ سبحانه أن المباد لا يعلمون الغيب، وكان في ذلك تقرير لعجزهم وقصور
 علمهم، انتقل من ذلك إلى بيان أن عند الكافرين عجباً مزيهاً وهو جهلهم بما لا يصح أن
 يجهل بعد تكامل أسباب علمه عندهم وهو قيام الساعة فقال:

﴿بَلْ أَدَارِكُ﴾ أى تكامل لهم أسباب علمهم في شأن الآخرة وأنها آتية قطعاً، ومع ذلك
 أغفلوا هذه الأسباب.

ثم انتقل إلى ما هو أشنع من الإغفال وهو الحيرة فقال بل هم في شك من جميع أمور
 الآخرة لا في وقتها فقط، تصدمهم الأدلة عليها فيهربون منها تارة بإنكارها تقليداً للآباء،
 وأخرى بتسمية بؤسهم بالحلل من هولها إذا وقعت، انظر الآية (٣٦) من سورة الكهف
 صفحة ٢٨٦، والآية (٥٠) من سورة فصلت صفحة ٦٢٧ .

ثم استقل من الحيرة والشك إلى ما هو أفظع وهو عمى البصيرة الذي لا يهتدى صاحبه إلى
 حق مطلقاً، فقال بل هم من أحوالها في عمى شديد .

وبعد ما بينُ سبحانه جهلهم بالآخرة وعماهم عنها أتبع ذلك بما يقولونه في إنكارها فقال:
 وقال الذين كفروا بالله وكتبابه في أسلوب تهكمي: هل نخرج من القبور بعد أن صرنا تراباً
 نحن وآباؤنا؟ ثم كرروا التهكم فقالوا: هل إنا حقاً محرجون؟

ثم ذكروا منشأ رعمهم فقالوا لقد وعدنا نحن على لسان محمد، ووعد آباؤنا بمثله من قبل
 على لسان غيره ممن يدعون أنهم أتباع رسل جاءوا قبل محمد عليه الصلاة والسلام، ولم
 يتحقق شيء من هذه الوعود، ما هذا الوعد إلا أسطورة مما سطره الأولون من الأكاذيب في
 كتبهم فلا حقيقة له.

الْأُولَى ۝ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ
 كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ۝ وَلَا تَحْرَنَ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ
 فِي صَبَرٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ
 لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ۝ وَإِنْ رَيْتَ أَنَّكَ وَقَعْتَ
 عَلَى الْبَرِّ وَتَنْكُرُ أُكْتَرَهُمْ لَا تَشْكُرُونَ ۝ وَإِنْ
 رَيْتَ أَنَّكَ وَقَعْتَ مَا نَكُرُ صُورَهُمْ وَمَا يُغْلِبُونَ ۝
 وَمَا مِنْ حَافِيَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ
 مُبِينٍ ۝ إِنْ هَذَا إِلَّا نَفْثُ الْفَرَسِ عَلَى نَحْيٍ إِسْرَءِيلَ
 أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَحْسِلُونَ ۝ وَإِنَّهُمْ لَخُذَّاءٌ وَرَحْمَةٌ
 لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ إِنْ رَأَيْتَ أَنَّكَ يَقْضَىٰ بَيْنَهُمْ بِحُكْمٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ
 الْعَلِيمُ ۝ هُوَ كُلُّ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ النَّبِيُّ ۝

المفردات: «ضيق»: بفتح أوله هو الضيق بكسر أوله، وهو انقباض الصدر «عسى»: قال الزمخشري: عسى ولعل وسوف في وعود الملوك تفيد القطع بما بعدها، وإنما يقولونها إظهاراً لوقارهم وإشعاراً للسامع بأن الرمر منهم كالتصريح من غيرهم. «ردف لكم»: أصل معنى ردف تبع وقرب، والمراد قرب لاحقاً لكم ولا بد. انظر الآية (٩) من سورة الأنفال صمعتني ٢٢٨، ٢٢٧ «من غائبة»: «من» لتأكيد العموم فيما بعدها، «عائبة» التاء في غائبة كالتاء في حافية في الآية (١٨) من سورة

الحاقة صفحة ٧٦٢، والتاء فيها للمبالغة في معناها كالتاء في الراوية وهو الرجل الذي يكثر من رواية الشعر، وكالعلامة أي كثير العلم.

المعنى: - بعدما بين سبحانه عملتهم عن الآخرة وعما هم عنها الذي جراههم على كل منكر ظاهرين أنه لا حساب ولا عقاب بعد هذه الحياة، أراد سبحانه أن يهددهم على هذا التكذيب مع توافر الأدلة على بطلان ما يزعمون، ويخوفهم بأن يبرل بهم مثل ما يبرل بالمكذبيين قبلهم في الجملة لأنه ليس عذاب استئصال كما حصل للأمم السابقة لأنه سبحانه منعه عن أمة حاتم الرسل، انظر الآية (٢٢) من سورة الأنعام صفحة ٢٢١، فقال قل لهم أيها النبي سيروا في الأرض فانظروا على أي حال كانت نهاية المحرمين أمثالكم الذين كذبوا رسلكم وانكروا اليوم الآخر، ثم صبر سبحانه رسوله ووعد بالنصر فقال ولا تحزن على عدم إيمانهم، ولا تكن في ضيق صدر من مكربهم وكبيدهم لك فإني عاصمك منهم. انظر الآية (١٢٧) وما بعدها من

سورة النمل صمعة ٢٦٢، والآية (٦) من سورة الكهف صمعة ٢٨٠، والآية (٢) من سورة الشعراء صمعة ٤٧٩. ثم بيّن سبحانه أن هؤلاء الكفار بلغ من تبجحهم أنهم يوجهون إليه ﷺ بطريق التهكم السؤال عن هذا العذاب الذي يتوعدهم به فقالوا يقولون متى يحصل هذا العذاب الموعود به إن كنت صادقاً يا محمد أم لا؟ قل لهم عسى أن يحصل لكم قريباً بعض العذاب الذي تستعجلون وقوعه، وقد وقع يوم بدر هذا البعض، ثم تتابع الأسر والقتل حتى معاً الكفر من البلاد نهائياً، وما ينتظرهم في الآخرة أدهى وأمر. ثم أكد سبحانه جهلهم في هذا الاستعجال الذي سيعرهم من التمتع بالحياة الدنيا إلى آخر أعمارهم فقال: ﴿وإن ربك لذو فضل على الناس﴾ بعدم تعجيل أهلكهم على ذنوبهم ليفسح لهم مجال التوبة ولكن أكثرهم لا يعرفون حق هذه النعمة ولهذا لا يشكرونها عليها، انظر الآية (٦١) من سورة النمل صمعة ٣٥٢. ولما طمأن سبحانه نبيه بعدم الخوف من كيدهم أكد ذلك بقوله ﴿وإن ربك ليعليم﴾ إلخ: أي يستوى في علمه ما يحفونه من عداوتك وما يظهرون وسيجازيهم عليه، انظر آيتي (٩، ١٠) من سورة الرعد صمعة ٣٢٢. ثم أكد إحاطة علمه سبحانه بكل شيء فقال ﴿وما من غائبة﴾ إلخ: أي وما من شيء مهما اشتد خفاؤه في السموات والأرض إلا هي كتاب مفصل لكل ما فيه، انظر الآية (٥٩) من سورة الأنعام صمعة ١٧١. وعندما أقام سبحانه الأدلة على وجوده ووحدته وعلى البعث واليوم الآخر، أراد أن يبين صفة رسالة نبيه محمد ﷺ وصدقته فيما جاء به فقال: إن هذا القرآن الذي يقرؤه محمد الأمي الذي لم يقرأ شيئاً من تفاصيل الأديان السابقة يقص على بني إسرائيل حقيقة كثير مما اختلفوا فيه كالمسيح الذي قدسه النصارى واحتقره اليهود وكلهم من بني إسرائيل. وكذا العزيز الذي جعله بعض اليهود ابن الله وأنكر ذلك النصارى، ودعوى اليهود أن النار لن تمسهم إلا مدة قصيرة كما في الآية (٨٠) من سورة البقرة صفحتي ١٦، ١٥ وخالفهم النصارى، إلى غير ذلك. وأن هذا القرآن لشديد الهداية وسبب رحمة للمؤمنين المستغفرين به، وإن ربك أيها النبي يقصى بين جميع المختلفين من المؤمنين والكافرين وبني إسرائيل بعضهم مع بعض بعدله. وهو سبحانه العزيز أي الغالب الذي لا يعجزه شيء، العليم الذي لا يخطئ في حكمه، فتوكل على الله إنك على الحق المبين، أي لا تقال بهم جميعاً.

«دابة» ورد في بعض الأحاديث أنها من علامات الساعة. وقد أكثر قصاص الآثار في وصف هذه الدابة وبالمعنى هي طولها وعرضها. واحتلموا في رمان خروجها ومكانه. وتكلموا في النملة التي تكلم بها الناس ولعاتهم لا تحصر. واحتلموا هل هي حيوان غير إنسان أم إنسان حتى بلغ من سحف بعضهم أن يدعى أنها هي علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه. لكل هذا قال الألوسي. «واختلف فيها اختلافات مضطربة بعارض بعضها بعضاً» فامتنعنا عن نقله حفظاً للوقت من الصياغ عتاً. والعق أن أمور العيب لا يجب التصديق بها إلا إذا ثبتت بدليل قطعي الثبوت والدلالة. قال الراغب الأصمهاشي «قيل الدابة هنا جمع داب يتشديد الباء وأصلها دابية بباء مكسورة وأخرى مفتوحة وأدغمت إحداهما هي الأخرى فصارت دابية بورن حاشية جمع حاش وكذا قافلة جمع قافل وهو الراحع من سمر. والمراد بالدابة هنا جمع من الأشرار الذين هم في الجهل بمنزلة «الدواب» ويساعده «أن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون» الآية (٢٢) من سورة الأنعام صمحتي ٢٢٩، ٢٣٠ والآية (١٦) من سورة الإسراء صمحة ٢٦٦، وما ورد في الحديث الصحيح من قوله ﷺ (إذا كان أمراؤكم شراركم هبطت الأرض خير من ظهرها) وقوله «من الأرض» إشارة إلى أن هؤلاء الأشرار كالحشرات التي توجد بطريق التولد من التراب لا من طريق التوالد والتناسل المعروف. وأن طبعهم سفل ليس فيه من سمو العالم العلوي شيء. ومعنى تكليمهم الناس أنهم يأمرؤهم هيطيمون. أي أنهم أصحاب الكلمة كما هو شأن كبار المحرمين مع غيرهم. انظر الآية (١٢٣) من سورة الأنعام صمحة ١٨٢، والآية (٦٧) من سورة الأحزاب صمحتي ٥٦٠، ٥٦١. وقوله «إن الناس كانوا» إلخ تعليل لاستحقاقهم المذاب. والأصل (لأن الناس إلخ) وورد عن ابن عباس قال تكلمهم من الكلم بفتح فسكون وهو الجرح بفتح الجيم، فالتكليم التجريح الكثير. والمراد بالإيلام للناس حسياً بما يصيبهم في أجسامهم، ومعنوياً بما يصيبهم في أرواقهم ويصح على هذا أن يراد بالدابة كل الحشرات التي يتلى بها الناس عند انقشار معاصيهم كالطاعون وغيره. ومثل ما حصل لقوم فرعون في الآيات (١٢٣ إلى ١٢٥) من سورة الأعراف صمحتي ٢١٢، ٢١٣ لقوله سبحانه «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم» الآية (٣٠) من سورة الشورى صمحة ٦٤٢. وإنما الجأنا إلى مخالفة عادتنا في الاحتصار في هذا الموضوع الرغبة في تنبيه

القارئ إلى خطر الإسرائيليات التي أدخلها اليهود على المسلمين حتى كادت تشوه صفاء الإسلام وسماحته. ﴿بآياتنا﴾. هي الآيات المنزلة في الكتب السماوية، ويصح أن تشمل أيضاً الآيات الكونية المتضمنة معنى أن الله تعالى موجد واحد قادر، وأن رسله صادقون، انظر الآية (١٠٥) من سورة يوسف صفحة ٣١٩، والآية (٥٢) من سورة فصلت صفحة ٦٣٧. ﴿هوجبا﴾ المراد بهم رموس الكفر من كل أمة يقدمون على غيرهم في العذاب، انظر الآية (٩٨) من سورة هود صفحة ٢٩٩، والآية (٦٩) من سورة مريم صفحة ٤٠٢. ﴿يوزعون﴾ بجمع بعضهم إلى بعض ثم يساقون إلى المحشر.

﴿مبصرًا﴾ المراد يبصرون فيه، انظر الآية (١٢) من سورة الإسراء صفحات ٣٦٥، ٣٦٦. ﴿ويوم يمسح في الصور فرج من في السموات﴾ إلخ معطوف على ﴿يوم نعشر﴾ المتقدم في الآية (٨٣). وكذا عطف عليه ﴿وترى الجبال﴾ الآتي بعد هذه، هاليوم واحد، انظر ما قلناه في ﴿إذ﴾ المكررة في أول سورة التكوين صفحة ٧٩٢، وحوادث هذا اليوم كثيرة، أولها النسخة الأولى التي بها يصمق الأحياء، انظر الآية (٦٨) من سورة الرمرر صفحة ٦١٥، وآخرها سوق أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، انظر صفحة ٦١٦، وفي وسطها النسخة المذكورة هنا. وإذا علمنا أن تسيير الجبال يكون قبل النسخة الثانية التي بعدها الفرع يعلم أنه سبحانه لم يرتب ذكر الحوادث في ذلك اليوم حسب وقوعها لئلا يتوهم أنه إندار بشيء واحد، مع أنه إندار ونحوه بأحوال كثيرة، كل واحد منها يكفى للرجز. هالنسخة الثانية هي نسخة البعث، ويعقب هذا البعث المزع والدعر الذي يعترى الحلائق إلا من شاء الله، انظر ما سبق في الآية (١٠٣) من سورة الأنبياء صفحة ٤٣١، وإنما رتب المزع على النسخ ﴿بالماء﴾ في قوله ﴿وفرع﴾ للإشارة إلى قلة الرمان الماصل بينهما لسرعة مشاهدتهم تلك الأحوال، فعلى ذلك تكون نسخة البعث هي نسخة المزع، إلا أن البعث يحصل بعدها مباشرة، والفرع يحصل بعدها عقب البعث.

المعنى.. بعدما بين سبحانه البراهين الدالة على صدق رسوله ﷺ، أراد أن يبين أنه لا أمل في إيمان كفار قومه فقال. إني أيها النبي لا تقدر على إسماع الحق للموتى فكذلك كفار قومك لأنهم كالموتى، وكذا لا تستطيع أن تسمع الصم بدائك لهم لإفقادهم خصوصاً إذا انصروهم، عنك مفرصين، وكذا لا تستطيع أن تهدى العمى وتصرفهم عن ضلالهم إلى الطريق المستقيم

لأنهم لا يمكن أن يروه ماداموا عاقدين للفائد البصير حيث أعرضوا عنه، وما تسمع سماع قبول واستماع إلا كل من يؤمن بآيات ربه، فهم منقادون لأوامره.

وبعدما بيّن سبحانه أدلة الحق واليأس من هداية المعاند، أراد أن يبين مقدمات العذاب الذي قدره على كل حارح وأهوال يوم القيامة فقال: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ﴾: أى إذا قرب وقوع ما أحبر به سبحانه من إهلاك وتمذيب المجرمين أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم لأن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون واذكر لقومك أيها النبي ما سيحصل يوم نحشر من كل أمة زعماء الكفر فيها الذين لم يصدقوا بآياتنا فقلدهم غيرهم فكان عذابهم مضاعفاً، انظر آيتي (٦٧، ٦٨) من سورة الأحزاب صفحات ٥٦٠، ٦٥١، فهم يساقون إلى مكان الحساب والجزاء حتى إذا جاءوا في موقف الحساب قال لهم سبحانه موبعا هل كذبت بآياتي إلخ أى هل أقدمتم على تكذيب آياتي والحال انكم لم تعطوها حقها من البحث الموصول للعلم الصحيح، أى هل يصح أن تقابلوها بالتكذيب من أول وهلة قبل أن تتأملوها.

ثم أكد التبكيت بقوله: أم ماذا كنتم تعملون مع الآيات غير تكذيبكم بها؟ أى لا شيء غير ذلك، ثم بيّن سبحانه ما سيحصل بعد ذلك فقال ﴿وَوَقَعَ﴾ إلخ أى وحصل لهم العذاب لموعود به بسبب ظلمهم وهو تكذيب الآيات فهم بعد ذلك لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون، انظر الآيات (٢٩ إلى ٣٦) من سورة المرسلات، وانظر مع ذلك الآية (٢٤) من سورة النور صفحة ٤٦٠.

ثم شرع سبحانه في بيان بعض ما لو تأملوه لما أنكروا فقال: ﴿الْم يَرَوْنَ﴾ إلخ أى ائتم يعلموا أنا بقدرتنا جعلنا الليل ليستريحوا فيه بالنوم، والنهار يبصرون فيه طرق معاشهم، انظر الآيات (٧١ إلى ٧٢) من سورة القصص صفحة ٥١٧، ومن قدر على النوم الذي هو المونة الصغرى كما في الآية (٤٢) من سورة الزمر صفحة ٦١٢، وعلى الإيقاظ وكان قادراً على أن يترك النائم إلى الأبد، من قدر على ذلك فهو سبحانه قادر على أن يعيتكم ثم يحييكم. إن في ذلك لآيات لقوم مستعدين للإيمان، فاذكر لهم أيها النبي ما سيحصل يوم ينمخ في الصور النسخة الثانية فيبعث من في القبور الأولى، ويشمل الخوف جميع من في السموات ومن في الأرض

إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَةٍ ذَّيْبٌ ۝١٧ وَرَى
 الْجِبَالَ تَحْتِهَا جَامِدَةٌ وَهِيَ تَمْرُ مَرَّ السَّحَابِ صَنَعَ
 اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨
 مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ قَرَعٍ يَوْمَئِذٍ
 ءَامُونَ ۝١٩ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ
 فِي النَّارِ هَلْ يُجْرُونَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٠
 إِنَّمَا بُرِّتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا
 وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُبْرِتُ أَنْ أَكْفُرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٢١
 وَلَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ أَنْ قَسَىٰ أَعْيُنِي فَأَمَّا يَهْتَدِي لِنَفْسِي
 وَمَنْ ضَلَّ فَقَدْ إِنَّمَا أَتَمِسُّ الْمُسْدِرِينَ ۝٢٢ وَقُلِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ أَيُّهُ تَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِمُتَقَلِّبِ
 الْعِلْمِ تَعْمَلُونَ ۝٢٣

المفردات: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾. هم
 المذكورون في الآيات (١٠١، ١٠٢، ١٠٣) من
 سورة الأنبياء صفحة ٤٢١ .

﴿داخرين﴾: خاضعين صاعرين.

﴿وترى الجبال تحسبها جامدة﴾. تقدم
 تفصيل ذلك في الآية (٤٧) من سورة الكهف
 صفحة ٣٨٧ . ﴿صنع الله﴾ مصدر منصوب
 بفعل مقدر مفهوم من السياق، أي صنع الله
 ذلك صنعا .

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾: تقدم بيان ذلك في
 صفحة ١٩١ . ﴿مَنْ فزع يومئذ﴾: الفزع هنا

غير المتقدم فهذا يكون بعد النسخة الثانية المبينة في الآية (٦٨) من سورة الرمر صفحة ٦١٥
 أما: المتقدمة في الصفحة السابقة فهي بعد النسخة الأولى. ﴿كُتِبَتْ وجوههم﴾: أي القُتِبَتْ بعنف
 والمراد جميع أحسامهم وإنما عبر بالوجه لأنه أشرفها

﴿البلدة﴾ هي مكة. ﴿حرمها﴾: أي حرم إهانتها، انظر ما تقدم في صفحة ١٥٦ .

المعنى: وبمع في الصور النسخة الأولى همرع... إلخ، إلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ تعالى عدم همرعهم
 وهم كبار الملائكة، وبعد النسخة الثانية كل المكلفين يأتون المحشر حاضمين، وإذا رأيت
 الجبال في هذا الوقت تظنها واقفة مكانها والحال أنها تمر مر السحاب إذا صرته الريح،
 همرورها في الواقع سريع لكنه لصحافتها يظهر بطيئاً، ولا يقدر على ذلك غير الله تعالى
 الذي صنع كل شيء صنعا متقنا حسب الحكمة ولما كانت النفس تتوق بعدما تقدم إلى معرفه

ما سيكون بعد الحشر قال سبحانه. ﴿إنه خبير بما تعملون﴾ أى سيحارى العباد على كل كبيرة وصغيرة لأنه بكل أفعالهم مظهرها وباطنها عليم.

وتم فصل ذلك بقوله ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ حَيْرٌ مِّمَّا﴾ وهو عشر أمثالها كما فى صفحة ١٩١ وهم من الخوف فى هذا اليوم آمنون كما فى الآية (١٠٢) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢١. وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ يَظْرَحُونَ على وجوههم فى النار، وتقول لهم ربانية جهنم هل تجرون إلا الجراء المناسب لما كنتم تعملونه فى الدنيا مما يغضب الله.

وبعدما بين سبحانه ما سيكون من أهوال يوم القيامة ونجاة المؤمنين منها، أراد أن يحرك فى نفوس كفار مكة المسارعة إلى ما فيه النجاة مع التلطف فى التنبيه فقال ﴿إنما أمرت﴾ إلخ أى قل لهم أيها النبى إنما أمرنى ربى أن أعبد رب هذه البلدة التى حرم الله انتهاكها ولو بقتل حيوان مما يلحق إليها أو قطع شجر من شجرها فصلاً عن الإنسان وأنتم أولى الناس باحترامها بعبادة رب البيت الذى هو سبب تشريفها وسبب إطعامكم من الجوع وأمنكم من الخوف كما فى صفحة ٨٢٢، وله سبحانه كل شيء خلقاً وملكاً وتصرفاً، لا مكة وحدها، فلا يصح لكم أن تشركوا معه مَنْ لا يملك شيئاً. وقل لهم أيضاً أيها النبى أمرنى ربى أن أكون ممن أسلموا وجوههم خالصة له تعالى لا يحضرون لميعة. انظر الآية (١٢٥) من سورة النساء صفحات ١٢٢، ١٢٤، وأن أتلو القرآن لأرداد بقينا بما فيه من الفيوضات الإلهية، وينتفع الناس بما فيه من الإرشاد إلى سبيل النجاة، فمن اهتدى بالقرآن إلى الطريق المستقيم بالعمل بما فيه ثمرة اهتدائه تعود على نفسه، ومن صل بالإعراض عنه هابه لا يضر إلا نفسه، ولن يضررك أيها النبى لأنك لم تكلف إلا بإيادهم كبقية إخوانك الرسل وقد بلغت هأديت الرسالة، وبقي عليهم صلال وبالهم، وقل أيها النبى الحمد لله الذى وفقنى لأداء الأمانة فى تبليغكم وقل لهم إن تمسكتكم بإعراضكم فمسيركم سبحانه آياته الدالة على صدق رسوله فتعرفون أنها حق فى وقت لا يسمعكم فيه ذلك، انظر الآية (١٥٨) من سورة الأنعام صفحات ١٩٠، ١٩١، وما ريك بعافل عما تعملون جميعاً من الحسنات أو السيئات وسيجازى كل بما يستحق. والله أعلم

(سورة القصص)

بسم الله الرحمن الرحيم

المفردات: ﴿طسم﴾ تقدم المراد من مثلها أول سورة البقرة، وتنطق هكذا طـا. سيم بكسر الأول وسكون الثاني. ميم بمكون الأول والآخر.

﴿لمبين﴾ يقال بان الشيء فهو بان وaban فهو مبين. والكل بمعنى واحد هو الوضوح. ويقال أيضا أبنت الشيء أى وضعته. هابان يستعمل لازما بمعنى موضعا ومتعديا بمعنى موضعا لغيره.

﴿بأ موسى﴾: خبره من أول نشأته إلى ما بعد رسالته، ولا تنس ما تقدم فى الآية (٧) من سورة النمل صفحتى ٤٩٤، ٤٩٥.

﴿علاء﴾: أى مستعمل بالقهر والاستبداد.

﴿شيعا﴾: أى طوائف محتلمة بكرم طائفة وبعين أخرى.

﴿طائفة﴾ هم بنو اسرائيل كما تقدم فى الآية (٤٩) من سورة البقرة صفحة ١٠

﴿الوارثين﴾ للملك والسلطان من فرعون، انظر ما تقدم فى الآية (٥٩) من سورة الشعراء

صفحة ٤٨٣.

(١) طـا سيم ميم

(٢) آيات

(٣) الكتاب

(٤) نزلوا

(٥) بأ

(٦) يستحيى

(٧) اثمة

(٨) الوارثين

(٩) عامان

(٢٨) سُوْرَةُ الْقَصَصِ مَكِّيَّةٌ
وَأَنبَأَ نَحْنُ ابْنُ حَزَنَ أَبُو نَسْرٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسـم ١ نـكـ ءـآيـتـ الـكـتـبـ المـبـين ٢ نـتـلـوا
طـلـكـ مـنـ نـبـأـ مـوسـى و فرعون بالحق ليقوم بزمون ٣
إذ فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف
طاعة منهم يذبح أبناءهم ويستخفون نسائهم إنهم كانوا
من المقيدين ٤ ويريد أن نمن على الذين استضعفوا
في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ٥
ونمكنهم في الأرض ويري فرعون وهنش وجودنهم
منهم ما كانوا يحذرون ٦ وأوحى الله إلى موسى أن

﴿نمكن لهم في الأرض﴾ يقال مكن له هي الأرض إذا جعل له فيها مكانا يستقر فيه
و المراد أن تكون لهم السلطة.

﴿هامان﴾: هو وزير فرعون.

﴿أوحينا إلى أم موسى﴾ قال بعضهم الإيحاء هنا كان إما برؤيا منامية معصلة. قطعت
رصى الله عنها بأنها من عند الله. وذلك مثل رؤيا خليل الله إبراهيم عليه السلام وأمر فيها
بذبح ولده هي الآية (١٠٢) من سورة الصافات صمحتي ٥٩٢. ٥٩٢. وإما أن يكون الإيحاء
برأسطة جبريل عليه السلام. جاءها في صورة رجل وأحبرها بما ذكر وقطعت أنه من عند
الله وتلك بطير وهو ما حصل لمريم عليها السلام هي الآية (١٧) وما بعدها من سورة مريم
صمحة ٢٩٧ ويبدو أن يكون الوحي هنا لها بما سيأتي من الوعد برده إليها وجعله رسولا.

﴿أن﴾: حرف تفسير لما تصمته الوحي.

المعنى تلك الآيات التي هي هذه السورة هي بعض آيات الكتاب الموضح للحلال والحرام
وكل ما فيه سعادة البشر، نزل عليك أيها النبي في هذا القرآن على لسان جبريل شيئا من خبر
موسى وفرعون تلاوة مقترنة بالحق، لأجل انتفاع المؤمنين الموحودين ومن سيوحد.

ثم شرع سبحانه في بيان ذلك الحبر فقال (إن فرعون علا) أي تجبر واستعفى على
الناس في أرض مصر، وحمل أهلها طوائف يكرم القبط، ويستضعف بني إسرائيل، فيذبح
كثيرا من أبنائهم الذكور، ويستعفى البيات للخدمة. ومشا هذا الظلم هي التفرقة أنه كان من
لراسخين هي الإفساد. كان يعمل ذلك في الوقت الذي كنا نريد فيه أن يمن أي نتحصل على
هؤلاء الذين استضعفهم في أرض مصر، وجعل منهم أئمة في الدين وهم أنبياء بني إسرائيل
كما في الآية (٢٠) من سورة المائدة صمحة ١٤٠ وجعلهم الوارثين للقوة والدولة من بعد
هؤلاء فرعون ونرى فرعون وهامان وجنودهما ما كانوا يحذرونه من هؤلاء المستضعفين من
صياح ملكهم على أيديهم ثم فصل سبحانه ما أجمله فيما سبق بقوله (وأوحينا) إلخ وذلك أنه
لما اشتد قتل فرعون لمواليه بني إسرائيل وكانت أم موسى في آخر مدة حملها وحافت إذا
هي وصفت ذكرا أن يقتله فرعون، ألهمها سبحانه أو أراها في المنام ما ينبى أن تفعله ليجو
وليدها، وذلك بأن ترضعه أولاً سرا.. إلخ.

أَرْضِعِهِ فَلَمَّا حَضِيَ عَلَيْهِ فَالِقِيهِ فِي الْمَاءِ وَلاَ تَحْزَنْ وَلاَ تَحْزَنْ
تَحْزَنْ إِنَّا رَأَيْنَاهُ إِلَيْكَ وَجَّعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠﴾
فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ
وَهُنَّ وَجُودَهُمَا كَانُوا خَاطِلِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ
فِرْعَوْنَ قُرْتُ عِيَازِي وَلَكَّ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَفْعَلَا
أَوْ يُفْلِحَا وَكَذَلِكَ هُمَ لَبِئْسُ الْقَوْمُ ﴿١٢﴾ وَلَمَّا صَبَحَ فُؤَادُ أَمِّ
مُوسَى فَغَرَّهَا إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْ لَّا أَنْ رُبَّتْ عَنْ
قَلْبِهَا لَنُكَونَ مِنَ الْمُنْبِسِينَ ﴿١٣﴾ وَقَالَتِ لِأَخِيهِ
فَعَسَىٰ أَن يَكُونَنِي بِهٖ عَرَجًا وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾
وَحَرَّمَا عَلَيْهِ الْقَرَامِصَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٥﴾
فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ آتِيهِ كَمَا تَصَرُّعْتُمْ وَلاَ تُحْزَنْ وَتَعْلَمَنَّ أَنَّ

المفردات: ﴿اليم﴾: البحر، انظر الآية (٢٩) من سورة طه صفحة ٤٠٨.

﴿ليكون لهم عدوا﴾. هذه اللام تسمى لام العاقبة أى لتكون عاقبة عملهم أنه يصير لهم عدوا وحزنا، وليست لام العلة الباعثة، لأن الباعث لهم أن يكون قرة عين كما سيأتي وهذا كما تقول أحد فلان كذا ليكون فيه سروره فكان فيه شقاؤه.

﴿حزنا﴾: الحزن بفتح الحاء والجرى بضم فسكون العم والمراد هنا محزنا أى سبب حزن.

﴿امراة فرعون﴾: هى (آسية) المرأة المؤمنة وكانت من نسل ملك مصر أيام نبي الله

يوسف، انظر الآية (١١) من سورة التحريم صفحة ٧٥٢.

﴿قرة عين﴾: المراد مشأ سرور. انظر الآية (٤٠) من سورة طه صفحات ٤٠٨، ٤٠٩.

﴿فؤاد﴾: لا يطلق الفؤاد على القلب إلا فى حالة توفده وشدة تيقظه.

﴿مارعا﴾: حاليا من العقل الذى يضبط تصرفات صاحبه لشدة خوفه، فهو ليس طبيعيا، انظر الآية (٤٣) من سورة إبراهيم صفحة ٣٢٦.

﴿ربطنا على قلبها﴾: المراد ثبتناها، انظر الآية (١٤) من سورة الكهف صفحة ٣٨١.

(١) آل فرعون

(٢) هاملى

(٣) خاطئين

(٤) امرأة

(٥) قرة

(٦) فارعا

(٧) ناصحون

(٨) مرددناه

﴿قصيه﴾ تتبعى أثره.

﴿بصرت به﴾ : أبصرته.

﴿عن جنب﴾ : الجنب هو العائب والمراد عن بعد.

﴿حرمنا عليه المراضع﴾ : منعناه من الرضاع من جميع المراضع.

المعنى أوحينا إلى أم موسى قائلين لها أرضعيه، فإذا شعرت بخوف عليه فاطرحيه بالبحر بعد وضعه في صندوق، ولا تحاهى ولا تحزنى لأن ربك سيرده إليك قريباً، وسيميش حتى يكون من أسباط المرسلين، ففعلت أم موسى ما ألهما الله، فالتقطه آل فرعون ليسروا به فكانت عاقبة التقاطه أنه صار عدواً لهم وسبب حربهم حيث أغرقه الله هو وجوده وضاع ملكه. إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين أى مرتكبى الخطايا، ولذا عاقبهم الله تعالى بتربية عدوهم تحت رعايتهم.

ولما هم بعض رجال فرعون بقتله قالت امرأة فرعون هو قرة عين لى ولك لا تقتلوه، نرجو أن يفسنا لما فيه من إشارات النجاة، أو على الأقل نتخذة ولداً ونحن فى شوق إلى ولد فالتقطوه و انتهى الأمر بمحافظتهم عليه والحال أنهم لا يشعرون أن هلاكهم على يديه.

ولما علمت أم موسى بوقوعه فى يد فرعون صارت كالمجنونة لأنها كادت أى قريت تبدي أى تظهر الحقيقة متحدثة بأمره لولا أن ثبتناها بالصبر لكشف الأمر، وإنما قويناها بالصبر لتكون من الواثقين بوعد الله برده إليها، ولكن قلب الأم ملئ بالرحمة ويريد الاطمئنان دائماً على حركات ولدها، فقالت لأخته تتبعى أثره، وانظري كيف صار حاله، ففعلت وأبصرته عن بعد وهم لا يشعرون أنها أخته وكنا منعاه من كل المراضع من قبل أن تقص أخته أثره، فلما رآته ممتعاً عن الرضاع من المرضعات عرضت مساعدتهم بأسلوب لطيف فقالت هل أدلكم على أهل بيت يرفعونه لأهلكم وهم مخلصون له فى التربية لا يقصرون فى إرضاعه وحسن تربيته؟ ففعلوا ما أرشدتهم إليه وسلموه إلى أمه، وفى ذلك يقول سبحانه فرددياه إلى أمه لنقر عينها بولدها ولا تحزن على فراقه، ولتعلم علم مشاهدة أن وعد الله حق.

وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَمَّا بَلَغَ
اَلْأَسْفَرُ وَأَسْتَوَىٰ أَيْتَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَحْزِي
اَلْمُحْسِنِينَ ﴿١٧﴾ وَدَخَلَ اَلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ مُّخْلِةٍ مِنْ أَهْلِهَا
فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا وَهَذَا مِنْ
عَدُوِّهِ فَاسْتَمْتَعَهُ اَلَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى اَلَّذِي مِنْ
عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَدْ هَذَا مِنْ حِزْبِ
اَلْأَشْكَانِ اَلَّذِي هُوَ يُبْصِلُ يُبِينُ ﴿١٨﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ
نَفْسِي فَاهْبِرْنِي فَامْكُرْ لَهُ إِنَّهُ هُوَ اَلْعَمُورُ اَلرَّحِيمُ ﴿١٩﴾
قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنْصَحْتُ عَلَىٰ ظَنٍّ أَنُكُونَ ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠﴾
فَأَنْصَحْ فِي اَلْمَدِينَةِ خَافًا يَتَرَقَّبُ فَأَذَا اَلَّذِي اسْتَصْرَحُ
بِاَلْأَمْرِ بِتَصْرِيحِهِ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَمَرُؤٌ مُّبِينٌ ﴿٢١﴾
قَالَا إِنَّا أَرَادْنَا أَنْ نَبْطِشَ بِاَلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهٗمَا قَدْ بَطَمَسَ

المصردات. «بلغ أشده» الأشد جمع شدة
بكسر أوله وفتح ثانيه مشددا كأنهم جمع
بعمه. والشدة هنا هي القوة، وبلوغها
استكمال القوة الجسمانية وانتهاء النمو
المعتاد، وقد ناقش المختار كونه جمع شدة
فراجعته فقد نقل أنه مصدر جاء على بناء
الجمع، أو جمع لا واحد له من لفظه.

«استوى»: الاستواء هنا هو اعتدال العقل
وكماله. «حكما»: معناها هنا: الحكمة فهي
ملكة يفهم بها أسرار الدين وهو غير النبوة،
انظر الآية (٨٩) من سورة الأنعام صفحة ١٧٦.

«المدينة» هي عاصمة الدولة في عهد
فرعون موسى ويقال إن اسمها (منف) بفتح

فسكون، ويسمى بها بعضهم (مصر) كما هي الآية (٩٩) من سورة يوسف صفحات ٣١٧، ٣١٨.
«على حين»: (على) هنا بمعنى (هي).

«من شيعته» إسرائيل أي من قومه «من عدوه» أي من أهل مصر وعبر بعضهم عنه
بلفظ قبلي «فوكزه» أي صر به بقبضة يده «من عمل الشيطان»: الذي هيج عصبى لمنع
تعمديه فوق القتل خطأ، «مبين» ظاهر والمراد ظاهر العداوة. انظر ما تقدم في الآية (٢)
من هذه السورة صفحة ٥٠٦. «ظهيرا» معينا، انظر الآية (٨٨) من سورة الإسراء صفحة
٣٧٦. «يترقب» أي ينتظر ما يحصل من فرح أو مكروه. «استصره»: طلب نصره ومعوته.
«يستصرحه»: يطلب النصر بصوت مرتفع. «لعوى» اللام لتأكيد ثبوت العواية، وعوى أي
شديد الضلال. «أن أراد». (أن) تفيد تأكيد ربط شرط (لما) وهو (أراد) بجوابها وهو
(يبطش) والبطش الأحذ بشدة وعنف.

المعنى: ولتعلم أم موسى أن وعد الله تعالى بإرجاعه حق، ولكن أكثر الناس في ذلك الوقت لا يعلمون بأن الله تعالى وعدها، ولا بأن موسى رجع إلى أمه ومكث عندها حتى قطمته ثم أنث به دار فرعون فتربى فيها حتى بلغ أشده في عدة سنين كما في الآية (١٨) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٠، قيل مكث عنده ثلاثين سنة، ولما استوى عقله اتبناه حكمة يزن بها الأمور وعلمنا نافعاً. وكما جاريها موسى على إحسانه بثباته على الإيمان بربه مع أنه تربى في بيت كصر، وعلى صبره على تحمل إساءة فرعون إلى أبياء جنسه، بجرى كل محسن على إحسانه، وهي ليلة دخل موسى المدينة في وقت كان أهلها في عملة عن الحركة الكثيرة بسبب يوم أو غيره، فوجد في بعض طرقها رجلين يتضاربان، أحدهما من قومه، والآخر من أعدائه وكان القبطي أقوى من الإسرائيلي، فطلب الإسرائيلي من موسى أن يميته على عدوه، فصرب موسى القبطي بقبضة يديه وكان قويا كما سيأتي في الآية (٢٦) من هذه السورة صفحة ٥١٠ فقتله، وبعد ذلك دم على ما حصل منه خطأ فقال هذا القتل أثر من آثار عمل الشيطان، لأنه حرك عصبى حتى قسوت في كف أدى الرجل همتا حصاً، وما كنت أريد ذلك، ومن عادة الصالحين أنهم يسببون كل شر إلى الشيطان وكل خير إلى الله تعالى، لأن الشيطان عدو للإنسان مصل له عن الصواب، طاهر المداوة والإصلاح ونالغ موسى في الدم فقال يا رب إني ظلمت نفسي بقتل مصر بدون إذن منك هي قتلها هاغفر لي ولا تؤاخذني به، فعمر الله تعالى له لأنه سبحانه هو المغفور الرحيم بعباده المحصلين حين يلجأون إلى المحرج وهو استغفاره تعالى، وبعد ذلك قال موسى يا رب استعظمك بحق إيمانك عليّ المرة بعد المرة، نظر الآية (٣٧) وما بعدها من سورة طه صفحة ٤٠٨، أرجوك أن تحفظني هل أكون معيها لمجرم أبداً، ولما انتشر خبر قتل القبطي ولم يعرف قاتله أصبح موسى يسير في المدينة حائفاً مما فعل يترقب ماذا سيحصل، وإذا الإسرائيلي الذي طلب مساعدته بالأمس يطلب منه الخلاص من قبطي آخر بصوت مرتفع، فوجه موسى الخطاب أولاً للإسرائيلي بقوله إنك لشديد الغواية والصلال حيث تسببت في قتل رجل واليوم تقاثل الآخر، وبعد هذا التوبيخ للإسرائيلي وعندما علمه موسى من كثرة تعدى القبط على بني إسرائيل أراد أن يصرب القبطي ليتخلص منه صاحبه، عند ذلك فهم القبطي من كلام موسى وتوبخه لصاحبه أن

أَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ مِثْلَ مَا كُنْتَ تَفُتُّ بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَلًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِبُخَارٍ يَقُولُ يَا إِدْرِيسُ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَتَنَزَّلُونَ بِكَ لَيَقُولَنَّكَ مَا تَخْرُجُ إِلَى كُلِّ مَنْ نَالِصِيحِينَ ﴿١١﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْتَقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿١٤﴾ فَسَقَى لَهُمَا مَاءً تَوَلَّى إِلَى الْيَمِينِ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَتَيْتُكَ إِلَى مِنْ عَمْرِو لَقِيْتُكَ ﴿١٥﴾ فَجَاءَهُ إِحْدَاهُمَا فَخَيَّوهُ عَلَى

موسى هو الذى قتل القبطى بالأمس خصوصاً وأنه مد يده ليصره فقال عند ذلك: يا موسى أتريد .. إلخ.

المصردات ﴿إن تريد﴾ (إن) حرف نهي بمعنى (ما).

﴿جاء رجل﴾: هو من آل فرعون الآتى ذكره فى الآية (٢٨) من سورة غافر صفحة ٦٢١.

﴿يسعى﴾ يسرع فى السير.

﴿لملا﴾: كبار الدولة.

﴿ياتمرون بك﴾. يتشاورون فى الأمر بقتلك.

﴿تلقاء﴾: جهة.

﴿مدين﴾: تقدم ببيانها فى صفحة (٢٠٦).

﴿عسى﴾ أرجو.

﴿سواء السبيل﴾: سواء الشئ وسطه كما فى الآية (٥٥) من سورة الصافات صفحة (٥٩٠)، والمراد الطريق البعيد عن العقبات.

﴿ماء مدين﴾ هو البئر التى كانوا يستقون منها.

﴿أمة﴾: جماعة كثيرة.

﴿تذودان﴾ تمنعان غنمهما عن الزحام لأن على الماء من هو أقوى منهما.

(١) أقصى

(٢) يا موسى

(٣) الناصحين

(٤) الظالمين

(٥) أحدهما

﴿ما خطبكما﴾. ما هو شأنكما الذي منعكما من أن تسقيا كعيركما.

﴿يصدن﴾: يصرف.

﴿الرعاء﴾: جمع مفردة راع.

المعنى: قال القبطي: يا موسى ما تريد إلا أن تكون جبارا تتناول على الناس في غير نظر للمواقب، وما تريد أن تكون من المصلحين بين الناس بدفع الأذى والتخاصم بالنسبة إلى أحسن. ولما كان موسى لا يقصد قتل القبطي وعلم أنه عرف أنه هو القاتل، انصرف طائفاً به بذلك يمكن عدم انتشار الخبر، ولكن الخبر دأب حتى وصل فرعون وملاؤه، فاتصقوا على قتل موسى. عند ذلك جاء رجل من أطراف المدينة لموسى مسرعاً وقال يا موسى إن القوم يأترون على قتلك فاخرج من مصر حالا إلى لك من الناصحين، فخرج منها حائفاً يتربص مستغيثاً بالله أن ينجيه من ظلم فرعون وقومه، ولما توجه جهة مدين ولم يكن يعرف طريقها قال أرجو من ربي أن يهديني طريق النجاة. ولما وصل إلى بئر مدين وجد عليه كثيراً من الناس يسقون أنعامهم ومواشيهم، ووجد في مكان أقرب إليه من مكان هؤلاء الناس امرأتين تمانعان غنمهما من مكان الزحام. ولما رأى موسى ضعف هاتين المرأتين وخوفهما من الزحام رق لهما وسألهما ما سبب عدم ترك غنمكما تشرب؟ قالتا إن عادتنا أن لا نسقي غنمنا حتى يصرف الرعاء مواشيهم بعد شربها لمجرتنا عن المراحمة وليس لنا رجال غير أبينا ولكنه رجل مسن أصمعه الكبير، فتقدم إلى البئر وسقى لهما وحده ولم يستمن بأحد وبعد انصراهما توجه إلى ظل شجرة وقال يارب إني محتاج لما تنزله إلي من حير كثير أو قليل، ومراده طلب القوت لشدة جوعه، فاستجاب الله طلبه، فلما رجعت البتان وذكرتا لأبيهما ما حصل قال لإحدهما ادعني وأبلغني أنني أطلب حضوره لأكافئه بما يناسب حاله، فحاجته وهي تمشي محتشمة، ولم يصح حديث في تعيين من هو هذا الرجل الكبير والد المتأتين. ويذكر بعضهم أنه شعيب، واستبعدوا آخرون بأن شعيباً كان قريباً جداً من عهد لوط كما هي الآية (٨٦) من سورة هود صفحة ٢٩٧. ولوط وإبراهيم كانا في عصر واحد كما في الآية (٧١) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٧. وبين إبراهيم وموسى زمن بعيد يريد على ٤٠٠ سنة، فتأمل ذلك.

اسْتَحْيَا وَقَالَ إِنَّ أُنَىٰ بِدَعْوِكَ لِيُجِيرَكَ لَبْرًا مَّسْقِيَةً
لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ
نَجُوتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأَيُّهَا
اسْتَفِجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَفِجَرْتُ الْقَوَى الْأَمِينَ ﴿١٦﴾
قَالَ إِنْ أُرِيدُ أَنْ أَمْسِكَكِ إِحْدَىٰ ابْتَغَىٰ غَتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ
تَأْخُذَنِي فَتَنِي يَجْعَلُ فَإِنْ أَتَمَمْتَ غَتْرًا فَرَنْ مَعِكَ وَمَا
أُرِيدُ أَنْ أَمْسِكَكِ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ
الضَّالِّينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَنِي وَيَمُوتُ أَيْمًا الْأَجَلِينَ
فَصَبَتْ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿١٨﴾
• فَلَمَّا خَسَىٰ مَوْسَىٰ الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ
جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا
لَعَلَّ الْهَاتِكُمْ يَنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَلْوَةٍ مِنْ أَشْيَارٍ لَعَلَّكُمْ

المفردات: - «على استحياء»: أي مع
استحياء، والمراد مستحيية في حشمة.

«القوى»: لعلها علمت ذلك من نزعها
الدلو الكبير من البئر وحده.

«الأمين»: علمته من أمره لها بالمشي
حلمه وترشده إلى الطريق حتى لا يرى منها
شيئاً قد تكشفه الريح.

«تأجرني»: أي تؤجر نفسك لي.

«حجج»: جمع حجة بكسر أوله وهي
السمة.

«أيمما الأجلين»: المراد أي أجل من
الأجلين قضيه في خدمتك.

«عدوان»: أي تعدى على منك بطلب الريادة إن احترت أما الثماني سبيل

«بأهله»: أي زوجته ومن معه من بعض رعاة غنمه، انظر شرح صفحة ٤٠٦

(١) الظالمين.

(٢) إحداهما

(٣) يا أيها

(٤) استأجره

(٥) استأجرتك.

(٦) هاتين

(٧) ثمانى

(٨) الضالين

(٩) عدوان.

(١٠) آنس.

(١١) أستمه.

(١٢) أنيكم

﴿أسر﴾ ابصر، انظر الآية (١٠) من سورة طه صمحتي ٤٠٦، ٤٠٧.

﴿الطور﴾ : هو الجبل المعروف.

﴿بحر﴾ أى استدل به على الطريق، انظر الآية (١٠) المشار إليها قبل ذلك.

﴿أوحدة﴾. هى عود فيه نار بلا لهب كما تقدم فى صمحتي ٤٠٦، ٤٩٤.

المعنى فجاءته إحداهما تمشى فى حشمة ووقار وقالت إن أبى يدعوك ليكافئك على سقيك أعناباً، فلما ذهب موسى وقابل الرجل الكبير وقص عليه ما حصل له ولبنى إسرائيل من فرعون قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين لأنه لا سلطان لفرعون على أرضنا، بعد ذلك قالت إحدى البنيتين يا أبت استأجره لرعى عمناء، ثم عللت رعبتها بأنه قوى لا يغلبه أحد على أعنابنا أمين لا يصيب منها شيئاً قال الرجل لموسى إني أرغب فى تزويجك إحدى ابنتي هاتين اللتين كانتا مع العم على أن يكون صداقها أن تؤجرني نفسك مدة ثمان سنين فإن أتممت عشر سنين عدى فهذا تفصل من عندك، وما أريد أن أشق عليك بإلزامك إتمام العشر أو تكليمك، ما يصعب عليك، ستجدنى إن شاء الله من الصالحين فى حسن المعاملة والوفاء بالعهد.

قال موسى ذلك الذى شارطتنى عليه قائم بينى وبينك لا يخالعه واحد منّا، لا أبا فيما شرطت علىّ، ولا أنت فيما شرطت على نفسك، هاى أجل من الأجلين قضيته فى خدمتك فليس لك أن تظلمنى بطلب غير ما اختار، والله على ما تقول وكيل أى شهيد، فمكث موسى أطول الأجيين على ما روى. وبعد ذلك أخذ زوجته وبعض الأغنام يقتات من لبنها، وبعض دواب يحمل عليها متاعه، وبعض الرعاة يساعده، وأراد أن يرجع لمصر ليرى أمه وأحباء طائفاً أن ما حدث قد نسي، فلما وصل طور سيناء فى ليلة مظلمة ضل فيها عن الطريق وكان البرد شديداً أبصر من جانب الطور ناراً، فقال لأهله أمكنوا مكانكم إني رأيت ناراً سأذهب إليها لعلى أعلم ممن عندها خبر الطريق، أو آتيكم بقطعة من النار لعلكم تستدفئون بها.

المفردات . ﴿تصطلون﴾. تستدفئون. (شاطئ الوادى). جانب الوادى الموصوف بالمقدس فى صمحتي ٤٠٧، ٧٨٩. (الأيمن) بالنسبة لموسى (فى البقعة المباركة) - أى حال كون موسى

تَصْطَلُونَ ﴿١٠٦﴾ فَلَمَّا أَتَتْهَا مُدَىٰ مِنْ شِعْطِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ
فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَسْمُوعَ إِلَىٰ أَنَا اللَّهُ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ وَأَنْ أَلِيَّ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَاجِرُهَا
جَاءَهُ ذَلِكَ مُدِيرًا وَلَمْ يَعْقِبْ يَسْمُوعُ أَقْبَلَ وَلَا تَحُفَّ
لَكَ مِنَ الْآيِينَ ﴿١٠٨﴾ أَسْأَلُكَ بِكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ
يَحْيَاةٌ مِنْ غَيْرِ مَوْتٍ وَأَعْتَمُ إِلَيْكَ جَاثَاكَ مِنَ الرَّهْبِ
فَذُنِّكَ بِرَمْنٍ مِنْ رَبِّكَ إِلَا فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا
قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٠٩﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قُتِلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا
فَلَاخُفْ أَنْ يَمُوتُوا ﴿١١٠﴾ وَأَنْسَ مَنُورٌ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي
لِسَانًا فَأَرْسَلْتُ مِنْ رَدِّي مُصَدِّقِيَّ إِلَىٰ أَخِي أَنَا
يُكَذِّبُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ سَتُنَدِّ عَصَاكَ وَأَخِيكَ وَتَجْعَلُ لَكَ
مُلْكًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ بِأَيْتِنَا أُنْتُمْ وَمِى أَنْتُمْ

موجوداً في المكان المبارك عليه لسماع فيه
كلام ربه واحتيازه رسولاً. (من الشجرة) بدل
من شاطئ الوادي، ويسمى بدل اشتغال
لاشتمال الشاطئ عليها أى من عندها. (أن يا
موسى): (أن) مفسرة للداء وكذا يقال في
(أن الق). (جان) في سرعة الحركة، انظر
شرح الآية (١٠٧) من سورة الأعراف صفحة
٢٠٩.

﴿ولى مدبراً﴾ : أى انصرف من المكان
حال كونه مدبراً بظهره أى جامعاً دبره جهة
المكان، والمراد مسرعاً لا ينظر إلى الحلف .
﴿ولم يعقب﴾ : قال فتادة معناه لم يلتفت،

وقال آخرون لم ينتظر . ومنه التعقيب في المساجد وهو انتظار الصلاة بعد الفراغ من صلاة،
والمراد لم يرجع لشدة خوفه.

﴿اسلك﴾ : ادخل. ﴿جيبك﴾ : فتحة الثوب من أعلى.

﴿جياحك﴾ : المراد به اليد التى خرجت بيضاء لأن اليد للإنسان كالصاح للطائر، ولما كان
من عادة الطير أنه إذا خاف بشر جناحيه وإذا اطمأن صمهما إلى جنبيه، ولما حاف موسى
من خروج يده بيضاء خشية أن تكون أصيبت ببرص مثلاً، لما كان كل هذا، أمره سبحانه أن
يعيدها إلى مكانها من جنبه لتمود إلى حالتها الأولى فيطمئن إلى أنها مجرد معجزة فلا
يضطرب أمام فرعون.

(١) آقاه.	(٢) شاطئ.	(٣) المباركة	(٤) يا موسى.
(٥) العالمين.	(٦) رآها.	(٧) يا موسى.	(٨) الأمنين.
(٩) فدائك.	(١٠) برهلى.	(١١) وملكه.	(١٢) فلسطين.
(١٣) هارون.	(١٤) سلطاناً.	(١٥) بأيتنا	

﴿من الرهب﴾ الرهب الخوف، و ﴿من﴾ بمعنى لام التعليل كقوله سبحانه ﴿مما حظيتهم اغرقوا﴾ الآية (٢٥) من سورة نوح صفحة ٧٦٩، وكقول الفرزدق في مدح زين العابدين ﴿ويفصى من مهابتة﴾ أي لشدة هيئته والمراد لأجل ذهاب الخوف أي لتطمئن. ﴿هذائك﴾ أي فهذا المصا واليد. ﴿ردءا﴾ معيأاً ﴿بصدقتي﴾ أي يوضح ما أقول ويبطل شبهاتهم فيظهر صدقي. ﴿سشد عصدك﴾ العضد هو ما بين العرق إلى الكتف، والعرق تقدم في الآية (٦) من سورة المائدة صفحتي ١٢٦ ، ١٢٧، والجملة كناية عن تقويته. ﴿سلطانا﴾ أي تسلطا وعلية . ﴿بآياتنا﴾ : بمعجزاتنا.

المعنى أنكم بنار لعنكم تستدفئون من البرد . فلما وصل إلى ما ظنه باراً سمع نداء صادراً من شاطئ الوادي الذي على يمينه حال كونه هو في البقعة المباركة المشتملة على الشجرة التي ظهر منها ما يشبه النار، وفسر هذا النداء بقوله يا موسى إني أنا الله رب العالمين والى عصاك، فألقاها فصارت حية تسمى، فلما رآها موسى تهتر مسرعة ولى منصرفاً ولم يرجع من شدة خوفه، فسمع النداء يقول يا موسى أقبل إلى المكان الذي كنت فيه ولا تحف من سوء إليك من الأمير، ومد يدك وحد هذه الحية فإنها ستكون في يدك عصا كما كانت، انظر الآية (٢١) من سورة طه صفحة ٤٠٧. ثم قال له ادخل يدك في جيبك وأخرجها تحرج بيضاء من غير سوء وأصممها ثانياً إلى جنبك لأجل ذهاب خوفك لأنك ستجدها كما كانت، فهاتان حجتان وأصعقتان أت مرسل بهما من ربك إلى فرعون وملته لأنهم قوم استمروا على العنق وهو الخروج عن الحق مدداً طويلة.

قال موسى يارب إن قتلت منهم نفساً وأخاف أن يقتلوني بدلها، وأخي هارون المقيم الآن بمصر هو أضعف مني لساناً فأجعله رسولا معي يكون عوناً لي في توصيح الرسالة وشرح الحجج وإبطال ما سيحاولون به تضليل الناس من الشبهات لأنى أخاف أن يكذبوني وأعجز عن الإفصاح عما أرفع به كذبهم. فأجاب سبحانه طلبه بقوله : ﴿سشد﴾ إلخ أي ستقويك بأحيك هارون ونجمل لكما تسلطا وقوة فلا يصلون إليك بسوء بسبب قوة معجزاتنا التي سنبرهم وتعجزهم وترعجهم، فتكونون أنتم ومن اتبعكم على الإيمان أصعاب الغلبة.

المفردات : «بآياتنا» : تقدم المراد منها في الآية (٥٦) من سورة طه صفحة ٤١٠ .
«مفتري» : أى افتريت على الله أنها معجزة أيدك بها . «عاقبة الدار» : المراد العاقبة المعمودة لدار الدنيا وهى الجنة ، لأن الدنيا دهليز موصل للأخرة ، انظر الآية (٢٢) من سورة الرعد صفحات ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

«من إله» (من) للنص على عموم نفي إله غيره «الطين» : المراد به القوالب التى تصنع من الطين ، وما دامت لم تحرق تسمى لنا بفتح فكسر ، فإذا حُرقت تسمى أجراً بمد الهمزة وضم الجيم . «صرحاً» : هو البناء العالى . «أحدياء وجوده» : أصل معناها قبصا عليهم بأيديها .

«فتبذناهم» : أصل معناها قذفناهم والمراد خلبنا بينهم وبين البحر ، ولم ينقدهم ، والكلام كناية عن إهلاكهم غرقاً ، فكأنه تعالى فيما فعل بهم أحدهم مع كثرتهم فى قبضة يده وطرحهم فى البحر .

«اليوم» : البحر . «أئمة» : أى قادة فى الكفر والعناد فعليهم مثل ديوب من يعمل عملهم إلى يوم القيامة ، انظر بظير ذلك فى الآية (٢٢) من سورة المائدة صفحة ١٤٢ ، ومن هذا قال ﷺ مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَاعْلَمَهُ وَزَرَهَا وَوَزَرَ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

المعنى لما حاف موسى طمأنه سبحانه بأن الغلبة ستكون له هو ومن اتبعه ، فلما جاء موسى إلى فرعون وقومه مؤيداً بالمعجزات الواضحات قالوا ما هذا الذى تدعى أنه معجزة

الْعَالِيُونَ ﴿٥٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا جَدْرٌ مَفْتَرٍ وَمَا نَكْتُمُ بِهِدَايَا الْأَوَّلِينَ ﴿٥٧﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّى أَعْلَمُ بِمَا جَاءَ بِآيَاتِنَا مِنْ عِندِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدِّينِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ إِنَّا إِنَّا أَنَا إِلَهُكَ الْمَلِكُ قُلْ لِمَنْ أَشْكِرُ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَأَشْكُرُ هُوَ جُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِعَبْرِ الْأَحْقَاقِ وَطُورِ الْإِنشَاءِ لَا يُرْجَعُونَ ﴿٦٠﴾ فَأَخَذَهُمْ وَجُودُهُمْ فَبَدَنَهُمْ فِي الْيَمِّ فَأَطْرَكَهُمْ كَأَنَّهُمْ خِثْيَاءٌ أَلْفِيلِينَ ﴿٦١﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى نَارٍ وَبَدَأَ الْفِتْنَةَ لَأَيُّسُرُونَ ﴿٦٢﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ مِنْ عِندِ اللَّهِ لَعْنَةُ

(١) العالين	(٥) عاقبة	(٩) أحدياء	(١٣) وجسماهم
(٢) بآياتنا	(٦) الظالمون	(١٠) فتبذناهم	(١٤) أئمة
(٣) بيئات	(٧) يا هاملين	(١١) عاقبة	(١٥) القيامة
(٤) نباشا	(٨) الكافرين	(١٢) الظالمين	(١٦) واتبعناهم

إلا سحر افتريت كذبا أن ربك الذي تزعمه أيديك به ، وما سمعنا بهذا الذي تدعونا إليه من عبادة إله واحد حاصلا في عهد آبائنا الماضين . قال الرعماء ذلك تصليلا للشعب وتثبيتا لهم على التعبد وهم يعلمون أنهم كاذبون ، لأنهم سمعوا بإله واحد من عهد يوسف وهو قريب منهم ، انظر قول مؤمن من آل فرعون في صمحتي ٦٢١ ، ٦٢٢ خصوصا الآية (٣٤) ، وأبصا فرعون نفسه يعلم الحقيقة ولكنه كان يستحجمهم ، انظر الآية (١٠٢) من سورة الإسراء صفحة ٣٧٨ ، وآيتي (٤٦ ، ٤٧) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٠ ، والآية (١٤) من سورة النمل صفحة ٤٩٥ ، والآية (٥٤) من سورة الرحرف صفحة ٦٥٢ ولما كذبوه عنادًا منك موسى عليه السلام أسلوبا لنا لعله يبعج فقال ربي سبحانه هو الذي يعلم المحق ما والمبطل ، ومن الذي جاء بالحق الذي يوصل إلى طريق الرشاد ، ومن الذي له العاقبة المحمودة في الآخرة ، ولا تكون العاقبة العسنة إلا للمحفين المدول ، لأن الظالم لا يملح أبدًا ، بل لابد أن تكون نهايته الحسرات ولما كان هذا الكلام من موسى يدل على ثقته التامة بما يقول وربما أثر في سامعيه ، أسرع فرعون إلى إبطال أثره فقال يا أيها الملا ما علمت لكم في ربي من الأرماس إلها غيره كما يدعى موسى .

ثم وجه الخطاب لوزير على سبيل التهكم بكلام موسى ليشكك الناس في صدقه فقال يا هامان هين لي أجرا (طوبى أحمر) ثم ابن به صرحا لأصعد عليه وأشهد إله موسى الذي يقول به وإنى لأظن موسى من الكاذبين الذين يدعون ما لا يصح ، وبذلك تمادي هو وجنوده في الاستكبار في أرض مصر بغير استحقاق بل بالباطل ، لأن الاستكبار بالحق هو لله وحده وسبب عنادهم وكبرهم ظنهم أنهم لا يبعثون يوم القيام فلا يحاسبون ولا يعاقبون ثم بين سبحانه ما حل بهم من عذاب الدنيا وما سيكون لهم في الآخرة فقال ﴿فأحذياء﴾ إلخ المراد فأعرقناهم في البحر ، فانظر أيها السامع العاقل كيف كانت عاقبة هؤلاء الظالمين في الدنيا ، ولزيادة عذابهم جعلناهم قدوة يعمل مثل عملهم كل حمار متكبر يريد أن يثبت رئاسته على الطغيان والإرهاب لا على العدل والمحنة ، فعلى فرعون وملئه من عذاب ذنوب من قلدوهم مثل عذابهم ، فهم بعملهم دعوا كل حمار إلى النار ، ويوم القيامة لا يدفع عنهم أحد عذاب الله ، وتسعاهم في هذه الدنيا لعنة من الله والملائكة وكل من عمل عملهم القبيح من الناس أجمعين ، انظر الآية (١٦١) من سورة البقرة صفحة ٣١ .

وَمِمَّنْ الْفَيْسَةُ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ
بَصَافٍ لَّيْسَ وَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٤٣﴾
وَمَا كُنْتَ بِحِجَابِ الْعَرِيِّ إِذْ قَصَبْنَا إِلَيْكَ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا
كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ
عِلْمُ الْعَمْرِ وَمَا كُنْتَ تَلَوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ
حَايَتَنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿١٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِحِجَابِ الطُّورِ
إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَّحِمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنِيرَ قَوْمًا مَّا أَنَّهُمْ مِّنْ
تَلْمِيزٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن يُصِيبَهُمْ
مُصِيبَةٌ يَمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ
إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُفِيعَ إِلَيْنَا مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٧﴾
هَلَلْنَا بِأَعْيُنِهِمُ الْخَطِّ مِن حَيْثُمَا قَالُوا لَوْلَا لَوْثٌ مِّثْلُ

المفردات : «المقبوحين» : يصح أن يكون من قبعه بمتعات بمعنى أبعده، والمراد المبعدين عن الجنة، وأن يكون من قبعت الدمل إذا فتحت قبل نصبه فسال دمه مع الصديد، والمراد المشوهين في الحلقة بسواد الوجوه كما في صفحة ٦١٤، وزرقة العميون والأجسام كما في صفحة ٤١٦. «الكتاب» : التوراة.

«بصائر» : جمع بصيرة وهي نور القلب الذي يدرك به الحقا والصواب والمراد سبب أنوار للقلوب.

«بجانب العري» : أي بجانب الجبل

الواقع

غري موسى وقت تلقيه التوراة مع السبعين رجلا، انظر شرح آيتي (١٤٢، ١٤٣) من سورة الأعراف صفحة ٢١٤.

«قضيها إلى موسى الأمر» أي أوحينا إليه أمرا مقضيا أي مقطوعا به وهو إعطاؤه التوراة، انظر الآية (٦٦) من سورة العنكبوت صفحة ٣٤٢.

«الشاهدين» : المراد الحاضرين في ذلك الزمن، انظر الآية (١٨٥) من سورة البقرة

صفحتي ٢٥، ٣٦.

(١) القبلة

(٢) آيتنا

(٣) الكتاب

(٤) الشاهدين

(٥) آيتنا

(٦) انهم

(٧) آياتك

﴿تطاول عليهم العمر﴾ : امتد بعدهم الزمن وطال.

﴿ثاويًا﴾ مقيما ﴿يتلو عليهم آياتنا﴾ أى تقرا على أهل مدين على وجه التعلم منهم كما يقرأ المتعلم الدرس على معلمه ليتقن حفظه. انظر الآية (٥) من سورة المرقان صفحات ٤٧٠، ٤٧١.

﴿ناديا﴾ المراد نادينا موسى وكلمناه بالرسالة، انظر الآية (٥٢) من سورة مريم صفحة ٤٠١، والآية (١١) من سورة طه صفحة ٤٠٧، والآية (١٠) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٠، والآية (٨) من سورة النمل صفحة ٤٩٥، والآية (١٦) من سورة النازعات صفحة ٧٨٩.

﴿ما آتاهم من نذير﴾ انظر شرح الآية (٢) من سورة المجدة صفحة ٥٤٥.

﴿ولولا أن نصيبهم﴾ : لولا هذه لا تكون إلا قبل جملتين وتسمى امتناعية لأنها تصيد امتناع مصموم الجملة الثانية بسبب وجود مصموم الجملة الأولى. فإذا قلت لولا محمدٌ موجود لعم المساد، يفهم السامع أن امتناع عموم المساد سببه وجود محمد، والجملة الأولى فيما هنا مأخوذة من مصموم الكلام وهي (فرس اعتذار الكفار بالجهل عند حصول العذاب موجود) والجملة الثانية مقدرة لتمامها من السياق وهي ﴿وما أرسلناك أبها النبي لهم﴾ ومثلها تقدم هي آيتي (١٠، ١٤) من سورة النور صفحات ٤٥٨، ٤٥٩، وانظر معاني لولا في شرح الآية (٤٦) من سورة النمل صفحة ٥٠٠، والمراد من الكلام قطع حجتهم، وسد باب اعتذارهم عند نزول العذاب كما هي الآية (١٦٥) من سورة النساء صفحة ١٢١، والآية (١٥) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٦، والآية (١٢٤) من سورة طه صفحة ٤١٩، وحكمة إرسال الرسول وإن كانت تشمل الإرشاد إلى الصواب وتبشير مَنْ يسمع بالسمادة وتحذير مَنْ يحالف بالشقاء كما هي الآية (١٦٥) المشار إليها صفحة ١٢١، والآية (٤٨) من سورة الأبعاد صفحة ١٦٩ لكنه اقتصر هنا على جانب واحد منها لأنه المناسب في خطاب كهار مكة الذين صمموا على الكفر رغم جميع الأدلة ﴿لولا أرسلت﴾ و ﴿لولا أوتى﴾ لولا في هذين الموضعين بمعنى هلا التي تصيد طلب حصول ما بعدها.

المعنى عاقب سبحانه فرعون وقومه باللعنة في الدنيا وفي الآخرة بالحرمان من الجنة وبمسح الخلقة.

وبعد ما فرغ سبحانه من قصة موسى أراد أن يبين الحكمة في إرساله وإعطائه التوراة ليكون ذلك مقدمة لسبب إرسال خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم وإبرال القرآن عليه فقال: ولقد آتينا موسى الكتاب فيه تنوير بصائر الناس وهدايتهم من الضلال وأسباب رحمة لمن اتبعه ليكونوا على حال يرجى منهم فيها التذكر والاعتبار بما حصل لمن عصوا رسلهم، فهو سبحانه يقول جننا لهم بهذا الكتاب المنقذ من الضلال بعد ما أهلكنا الأمم التي سبقت كقوم نوح وهود وصالح لما عصوا رسلهم واختل نظام العالم، فاحتاج الناس إلى تشريع جديد يصلح ما فسد.

وبعد ما بين سبحانه أنه أرسل موسى في وقت الحاجة أتبع ذلك ببيان صدق خاتم الرسل، وأنه جاء في وقت الحاجة إليه أيضا فقال وما كنت أبها النبي العربي بجانب العربي حين أعطينا موسى الألواح، انظر الآية (١٥٠) من سورة الأعراف صفحة ٢١٦، بل ما كنت في ذلك الزمن مطلقا لا قريبا من المكان ولا بعيدا عنه، فتمصليك ما حدث من الفيوب الماصية من زمن بعيد برهان على صدق نبوتك.

ثم بين الداعي لإرساله فقال: ﴿ولكننا أنشأنا قروبا﴾ إلخ أي ولكننا خلقنا بين ربنا وبينهم موسى خلقا كثيرا تطاول عليهم الزمن، فتغيرت الشرائع، وخفيت الحقائق، وقست القلوب، فاقتضت الحكمة إرسالك بشرح صحيح، انظر الآية (٤٤) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٥، والآية (١٦) من سورة الحديد صفحة ٧٢١.

ثم ذكر سبحانه دليلا ثانيا فقال ﴿وما كنت مقبلا أبها النبي في أهل مدين حال كونك تنص عنهم قراءة آياتنا المفصلة لدقائق ما حصل لموسى عندهم، ولكننا نحن الدين اطلعناك عليه بعد إرسالك وإنزال القرآن المعصل لذلك، ولولا ذلك لما علمت هذه الأحبار. ثم شرع سبحانه في دليل ثالث على صدقه ﷺ فقال: ﴿وما كنت بجانب الطور﴾ إلخ : أي وما كنت بجانب الطور هي ليلة مناجاتنا لموسى وإرساله لفرعون حتى نتحدث بتفصيل ما

حدث في تلك الليلة مما بين في الصفحات السابقة. ولكننا نحن الذين أرسلناك بالقرآن المفصل لتلك الأخبار وغيرها من كل ما فيه إصلاح البشر لنحذر قومك من كفار قريش الذين استمحل شرهم وطفى جهلهم حتى قرب أن يقضى على البقية الباقية من شرع أبيهم إبراهيم الذي بلغه لهم نبيهم إسماعيل، وكان فيهم في كل عصر مصلحون وحكماء يرشدونهم إلى هذا الشرع أمثال قس بن ساعدة، انظر خطبه وهي مشهورة، وهذا هو ما يتفق مع قوله تعالى ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ أي نبي أو عالم مبلغ عنه، انظر الآية (٢٤) من سورة طه صمحتي ٥٧٤، ٥٧٥ تذر قومك أيها النبي لعلهم يتذكرون أن لهم شرعاً صحيحاً هيرجمون إليه، انظر شرح الآية (٦٨) من سورة المؤمنون صفحة ٤٥٢، وإذا كان الترتيب الزمى لحوادث موسى وقع على هذا الوجه . أولاً وجوده في أهل مدين، ثانياً مصاداته بالرسالة بعد رجوعه من مدين، ثالثاً : تلقى التوراة بعد خروجه من مصر، فما هو السر في مخالفة ذلك هنا؟ لعل السر أنه لو جاء بها حسب الترتيب الرمزي لتوهم أن مجموعها دليل واحد على صدقه ﷺ، فتمييز الترتيب بصدق أن كل واقعة من هذه الحوادث الثلاث دليل مستقل على صدق الرسول الكريم.

ومما حسن تقدم قصة تلقى التوراة مع أنها جاءت عقب الحديث عنها في قوله ﴿ولقد أتينا موسى الكتاب﴾ إلخ، وما ذكر بعدها كان ترتيبهما حسب زمنهما .

ولما كانت تفاصيل أخبار الماصين لا يمكن أن يعلمها ﷺ إلا بأحدى طرق ثلاث

(١) أن يشاهدها بنفسه، وهذه أبطلت هنا.

(٢) أن يتلقاها من أهل الكتاب، وهذه أبطلها سبحانه مرارا وبصور شتى، انظر آيات (١٥)، (١٦، ١٧) من سورة يونس صمحتي ٢٦٧، ٢٦٨، والآيات (١٠١، ١٠٢، ١٠٣) من سورة النحل صمحتي ٣٥٩، ٣٦٠، وبتى (٤، ٥) من سورة المرقا صمحتي ٤٧٠، ٤٧١، وأيضا لو كان لا علم عنه ﷺ إلا من طريق كتب أهل الكتاب لما عاب عليهم أنهم حروها، انظر الآية (٤٦) من سورة النساء صفحة ١٠٨، والآية (٤١) من سورة المائدة صفحة ١٤٤، وأيضا لما صح أن يجيئ في شرعه بشيء يخالف ما فيها لكنه ﷺ جاء بأحكام كثيرة تحالف ما في التوراة، انظر آياتي

(٩٣ ، ٩٤) من سورة آل عمران صفحة ٧٨ والآية (١٦٠) من سورة النساء صفحة ١٢٠ والآية (١٤٦) من سورة الأنعام صفحة ١٨٨ .

فلم يبق إلا الطريق الثالث وهو إخباره تعالى له في القرآن ، وهو عالم الغيب الذي لا يطلع على غيبه أحدا إلا مَنْ يرتضى من رسله ، انظر آيتي (٢٦ ، ٢٧) من سورة الجن صمحتي ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، الآية (٦) من سورة النمل صفحة ٤٩٤ .

وبعد ما أقام سبحانه البراهين لكفار العرب على صدقه ﷺ أراد أن يبين أن حكمة إرسال الرسل هي سد باب المعادير على الكفار حين يشاهدون العذاب فقال ﴿ولولا أن نصيبهم﴾ إلخ أي ولولا فرض اعتذارهم بقولهم الناتج عن مشاهدة المصائب التي تحل بهم عقابا لهم على ديوبهم يا ربنا هلا أرسلت إلينا رسولا ينبها لما يرضيك وما يفصيك فكنا نتبع ما تقرر له عليه من آياتك ونكون من المؤمنين بوحدايتك؛ أي لولا فرض ذلك محقق لما أرسلناك إليهم أيها النبي هالكلام من قبيل ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ .

وبعد ما حذرهم سبحانه من عدم قول عدوهم شرع في بيان ما حصل منهم عندما جاءهم هذا الرسول الذي كانوا سيعتدرون بعدم وجوده فقال ﴿فلما جاءهم﴾ إلخ أي فلما جاءهم القرآن الحق المرسل من عندنا على رسولنا محمد ﷺ عاندوا وقالوا هلا آتاه الله الكتاب حملة واحدة كما فعل مع موسى، حيث آتاه الوصايا العشر جملة واحدة، انظر الآية (١٤٥) من سورة الأعراف صمحتي ٢١٤ ، ٢١٥ والآية (١٥٠) من نفس السورة صمحة ٢١٦ وقد رد هذا سبحانه في الآية (٣٢) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٤ بوجه آخر غير ما هنا ، انظره .

المعصيات . «سحران» يريدون ما أوتيهم موسى وهو التوراة، وما أوتيهم محمد وهو القرآن . «تظاهرا» أي تعاونا بتصديق كل منهما للآخر، انظر مادة ظاهر في الآية (٨٨) من سورة الإسراء صمحة ٢٧٦ ، والآية (٤) من سورة التحريم صمحة ٧٥٢ .

«وصلنا» : أصل التوصيل ضم قطع الحبل بعضها إلى بعض، والمراد أنزلنا القرآن على دوح متتابعة للحكمة الموجودة في الآية (٣٢) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٤ .

«يدفعون» أي يدفعون.

﴿اللقو﴾ : هو ما يستحق أن يلحق ويترك

من العبث وسحق القول.

المعنى : فلما جاء الرسول قالوا عبادة لا تؤمن به لأنه لم يأت بكتاب جملة واحدة كما جاء موسى بالألواح جملة واحدة. فرد سبحانه عليهم بقوله: ﴿اولم يكفروا﴾ إلخ أى هل آمن هؤلاء بما أوتى موسى من قبل ولم يكفروا به، ويقولوا إن الله لم ينزل على بشر شيئاً، أنظر الآية (٩١) من سورة الأسماء إلى آخر صفحة ١٧٧، وقالوا اليوم بعد مجيء القرآن: توراة موسى وقرآن محمد سحران تملونا فى تصديق كل منهما للأخر، كما فى القرآن فى الآية (٩٢) من سورة الأسماء

مَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ أَوْ نَبِيٍّ بِمَا أَوْفَىٰ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ
قَالُوا بَصِيرِينَ تَنْظُرُهُمْ وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَذِبٍ لَّوْنٌ ۝١٥
فَأَنزَلْنَا بِكِتَابٍ مِنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَنْتَبِهْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝١٦ فَإِنْ لَمْ تَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا
يَكْفُرُونَ أَنفُسَهُمْ وَمَنْ أَصْلُ مَنْ أُتِيَ أَنْتَبِهْ هُوَ يُعَيِّرُ
هُدًى مِنْ اللَّهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ عِندِ اللَّهِ لَآتِيهِ الْقَوْمُ الْفٰطِلِينَ ۝١٧
وَلَقَدْ وَصَّلَ لَهُمْ أَنْفَقًا لَعَنَهُمْ يَنْدَرُونَ ۝١٨
الَّذِينَ أَتَوْهُمْ بِالْكِتَابِ مِنْ قَبْلِهِمْ يَمْزُقُونَ ۝١٩
وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا نَزَّلْنَاهُ عَلَيْهِمْ قَالَ إِنَّهُ لَكَلِمٌ مِنْ دُرِّيَّةٍ
إِنْ كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مَسْلُوبِينَ ۝٢٠ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ
مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَوَدَّعُونَ بِالْحَيَاةِ السَّيِّئَةِ وَمَا
رَزَقْنَاهُمْ يُعْمَلُونَ ۝٢١ وَإِذَا نَزَّلْنَاهُ الْقُرْآنَ فَاصْرُفْ عَنْهُ

صفحة ١٧٧، وقالوا إنا بكل من التوراة والقرآن كاهرون، عند ذلك أمر سبحانه ببيه أن يتحداهم بأن يأتوا بعير منهما فقال قل لهم أيها النبي متحديا، هاتوا أنتم بكتاب من عند الله أكثر هدية منهما هاتى أتبعه إن كنتم صادقين فى قولكم إن التوراة والقرآن سحران . وهذا كلام يراد به الإلزام والتبكيت. فإن لم يجيبوا طلبك بالإتيان بكتاب أحسن وثى يفعلوا كما قال فى آيتى (٢٣، ٢٤) من سورة البقرة صفحة ٦، فاعلم أنه لا حجة عندهم وإنما يسيهرون وراء شهواتهم فى الكبر والمعاد.

وليس فى الوجود أحد أشد ضللا ممن ينبع فى أمور الدين هواء بعيدا عن هدى الله الذى ينقذه من ضلاله، انظر الآيات (١٠٢ إلى ١٠٦) من سورة الكهف صفحات ٢٩٤، ٢٩٥، ومن كان هذا شأنهم لا يهديهم الله تعالى لأنه لا يهدى من ظلم رسله وظلم الحق، انظر ما قيل فى

(١) بظاهرا	(٢) كاهرون	(٣) بكتاب	(٤) صادقين	(٥) هواء
(٦) الظالمين	(٧) أتياهم	(٨) الكتاب	(٩) أما	(١٠) رزقاهم

الآية (٢٩) من سورة الأنعام صفحة ١٦٨.

وبعد ما أقام عليهم الحجة شرع في بيان الحكمة في إنزال القرآن على دفع فقال ﴿ولقد وصلنا﴾ إلخ : أي ولقد أتبعنا بعض القرآن بعضا في الإنزال حسب الوقائع وعلى مقتضى الحكمة ليكون أقرب إلى تذكيرهم وأدوم لتنبيههم.

ثم أكد سبحانه صدق القرآن بأن المخلصين من أهل الكتاب آمنوا به، فكان الأولى تمرّ لا كتاب لهم أن يؤمنوا به، خصوصا أنه بلسانهم بخلاف الكتب السابقة، انظر شرح الآية (١٠) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢١.

وكان ممّن أسلم من أهل الكتاب قوم من نصارى الحبشة كما في الآية (٨٢) من سورة المائدة صفحات ١٥٢ ، ١٥٤ ، وعبد الله بن سلام وأصحابه من اليهود، وكان هؤلاء إذ تلى عليهم القرآن قالوا آمنا بكل ما فيه لأنه الحق من ربنا وإنا كنا من قبل نزوله على دين الإسلام الذي جاء به إبراهيم وكل الأنبياء، وتحققنا في القرآن، انظر الآية (١٢٨) وما بعدها حتى (١٢٢) من سورة البقرة صفحات ٢٥ ، ٢٦ والآية (١٩) من سورة آل عمران صفحة ٦٥

هؤلاء النصارى واليهود الذين آمنوا إيماناً صحيحاً بالتوراة والإنجيل وأدركوا خاتم الأنبياء وآمنوا به يؤتيهم الله تعالى يوم القيامة أجرهم مرتين مرة على إيمانهم السابق، وأخرى على اللاحق جراء صبرهم على أدى الكفار في العصر الماضى والحاضر، ويصح أن يقال في أهل الكتاب الذين آمنوا بكتبهم ونبيهم إيماناً صحيحاً قبل بعثة خاتم الرسل، ثم آمنوا به وبكتابه بعد بعثته، يؤتون أجرهم مرتين بسبب صبرهم على تحمل الشدائد التي لاقوها من كفار كل من المسيحية والإسلام.

أما مقدار الأجر في كل مرة فهو مقدار عظيم لا يعلمه إلا علام الغيوب المطلع على ما في الصدور، فيقدر ثوابهم على قدرة قوة إيمان كل منهم، وشدة إخلاصه بدليل قوله تعالى في آية أخرى ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ الآية (١٠) من سورة الزمر صفحة ٦٠٧. ومن أحلاقهم التي اكتسبوها بالإيمان أنهم يدفعون بالطاعة أثر المعصية وبالعلم الأدى، وهذا من آثار صبرهم، ويسمقون في وجوه الحير مما رزقهم الله تعالى، وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه لاشتغالهم بكل نافع.

وَقَالُوا لَنُؤْتِيَنَّكَ آيَاتِنَا وَلَنُبْرِئَنَّهُ مِنَ الْيَأْسِ ۚ
 وَالْجَاهِلِينَ ۝ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنَّ اللَّهَ
 يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝ وَقَالُوا إِن
 تُبْلِغُ الْمُدَّثِينَ مَعَكَ تَنخَطِفُ مِنَ الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ
 حُرْمٌ ءَامِنٌ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَمُوتُونَ أَوْ يُرْزَقُونَ لَدُنَا
 وَلَئِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَكَرَّاهُوا مِمَّا قُرَيْنَ
 يَظُنُّونَ مَبِيتَهَا فَتِلْكَ مَسْكِنُهُمْ لَوْلَا نَكْرٌ مِنْ رَبِّهِمْ
 إِلَّا قَلِيلًا ۚ وَكَانَ خَرُّ الْقُرَيْنِ ۝ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْمَكَ
 أَنْفَرِي حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا
 وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَيْنِ إِلَّا وَأَهْلُهُمْ ظَالِمُونَ ۝ وَمَا أَوْفَيْنَاهُمْ
 مِنَ نِعْمَتِنَا خَبْرًا وَلَقَدْ وَصَّيْنَا بِهِمْ وَأَوْفَيْنَاهُمْ مَا عَدَّ اللَّهُ لَهُمْ
 وَآيَاتِنَا أَتَتْهُمْ لَعْنًا ۝ أَفَنُؤَدِّيهِ لَهُمْ وَعَدًّا حَتَّى

المفردات : ﴿لا تبتغي﴾ : لا نطلب
 معاشره الجاهلين.

﴿الجاهلين﴾ المراد بهم هنا السفهاء
 الحمقى، انظر الآية (٦٧) من سورة البقرة
 صفحة ١٣.

﴿تنخطف من أرضنا﴾ : أي ينتزعنا منها
 الأقوياء من المشركين بسرعة.

﴿أو لم نمكن لهم حرماً﴾ الهمزة
 للاستعظام التقريرى، ونمكن لهم أي تشتمهم
 جاعلين مكابهم حراماً انتهكه لأنه فيه البيت
 الحرام، انظر الآية (٩٧) من سورة المائدة
 صفحتي ١٥٦ ، ١٥٧ ، فالحرام والحرام
 بمعنى واحد.

﴿أما﴾ أي ذا أمر لا يمس من فيه بسوء . انظر الآية (٦٧) من سورة المائدة صفحة

٥٣٠.

- (١) أمثال
- (٢) أعدائكم
- (٣) سلام
- (٤) الجاهلين
- (٥) أما
- (٦) مفردات
- (٧) مساكنهم
- (٨) الورثين
- (٩) آياتنا
- (١٠) ظالمون
- (١١) فتناع
- (١٢) نعيه
- (١٣) وعدناه

﴿يجبى﴾ : أى يجمع ويهبط إليه .

﴿كم﴾ : كلمة تدل على كثرة ما بعدها .

﴿من قرية﴾ من حرف يدل على أن ما بعده بيان للمراد من ﴿كم﴾ .

﴿بطرت﴾ المراد كمرت بالعمه فلم تقابلها بالشكر، انظر الآية (٤٧) من سورة الأنفال
صفحة ٢٢٤ .

﴿معيشتها﴾ : أى ما به حياتها من معلم ومشرب وملبس، انظر شرح الآية (٢٠) من سورة
العنكبوت صفحة ٢٢٩ .

﴿أما﴾ : أكبرها التى يسكنها القادة الذين يتبعهم جميع من حولهم .

اليعنى : وقال هؤلاء المؤمنون للذين يلعون : لنا أعمالنا لا نحاسب إلا عليها ، سلام عليكم
سلام ترك لا نعية، فأبانا لا نسير فى طريق الجاهلين، انظر الآية (٦٣) من سورة الفرقان
صفحة ٤٧٧، والآية (٧٢) من نفس السورة صفحة ٤٧٨ . ولما كان ﷺ شديد الحرص على
إيمان عمه أبى طالب لأنه كان العمون القوي الذى منع عنه إيذاء كمار قريش،

وكان سبحانه يعلم أن أبى طالب مصمم فى قلبه على عدم ترك دين قريش مع اعتقاده
صدق ابن أخيه، فى هذا قال سبحانه : إنك أيها النبى لا تستطيع أن توفق من تحب إلى
الإيمان ولو بدلت كل مجهود فلا تتعب نفسك، وليس عليك إلا البلاغ كما فى الآية (٢٧٢) من
سورة البقرة صفحة ٥٨، ولكن الله وحده هو الذى يهدى من يشاء هدايته لحسن استعداده،
لأنه أعلم بالمستعد للهداية وغيره .

وكان بعض كمار قريش ممن يمرعون الحق يقولون له ﷺ بحشى إن اتبعنا ما جننت به
وخالفنا من حولنا من قبائل العرب القوية كثقيف وغيرها أن يحاربونا ويطرودونا من ديارنا،
فرد سبحانه عليهم بقوله ﴿أو لم يمكن لهم﴾ إلخ أى هل لم نعطهم ونجعل مكانهم مقدسا
أمننا كل من فيه حتى الحيوان، فى الوقت الذى تتقاتل العرب حولهم من كل جهة وهم آمنون
فى هذا الحرم الذى يحمل إليه ثمرات من كل ما يحتاجون إليه، جعلنا بهم ذلك رزقاً من
عندنا، والمعنى أن الخوف لا يصح عذراً لأننا جعلناكم فى بلد أمين من أقدم المصور فكيف

يكون أمما لكم حال كفركم ولا يكون أمما إذا آمنتم بمن جعل له هذه القداسة؟ انظر آيتي (٢) ، (٤) من سورة قريش صفحة ٨٢٢، ولكن أكثرهم جهلة لا يتبهيون إلى الصواب الذي فيه خيرهم. ثم أراد سبحانه أن يرد على شبهتهم من طريق آخر وهو أن عدم الإيمان لا يحفظ النعم بل يزيلها فقال ﴿وكم أهلكنا﴾ إلخ أي وكثيراً من القرى التي كثر الخير على أهلها حتى بطروا تلك النعم حريتها فأصبحت مساكنهم خاوية لا يسكن فيها أحد من بعدهم إلا قليلاً جداً من العارة الذين ينزلون بها يوماً أو بعض يوم.

ولم يكن لهم من ذريتهم من يرثهم في سكاها بل ورثها الله تعالى وحده، لأن كل شيء ليس له مالك مميّن يقال إنه ميراث الله عز وجل، انظر الآية (١١٢) من سورة النحل صفحة ٣٦١. وما صح في عدل ربك أيها النبي أن يهلك القرى قبل أن يبعث في كبرها رسولا يتلو عليهم الآيات الناطقة بالحق، فإن اتبعوه نجوا وإلا هلكوا ، لأنهم ظلموا أنفسهم، وظلموا رسولهم، وظلموا الحق ، ثم بين فساد ردهم من وجه ثالث وهو أنه لا يصدق أن يكون عدم إيمانهم لمجرد المحافظة على متاع الدنيا، فقال وكل ما أعطيتكم أيها الناس من شيء من الأموال والأولاد فهو متاع الدنيا ورستها فقط وليس له بقاء وعند الله تعالى من نعم الجنة خير وأبقى؛ هل تجهلون هذا فلا تعقلون الخير من غيره؟

وبعد ما بين السماوات في التعميم أراد أن يبين التفاوت بين صاحبيهما فقال تعالى ﴿انهم وعدناه وعداً حسناً﴾ إلخ .

المفردات : ﴿المحضرين﴾ الذين تحضرهم الملائكة للعذاب رغم أنوفهم، والقرآن لم يستعمل هذا اللفظ إلا في ذلك، انظر الآية (١٦) من سورة الروم صفحة ٥٢٢، والآية (٥٧) من سورة الصافات صفحة ٥٩٠.

﴿حق عليهم القول﴾: أي استحقوا العذاب، انظر شرح الآية (٨٢) من سورة النمل صفحة ٥٠٤.

﴿ولو أنهم كانوا يهتدون﴾. جواب لو مفهوم من المقام أي : لما رأوا العذاب ﴿عميت عليهم الأنبياء﴾ المراد حميت عليهم الأنبياء فلم يهتدوا إليها.

فَهُوَ لَنُفِيَهُ كَمَنْ تَمَتَّعَ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُخْصَرِينَ ١٥ وَيَوْمَ يُبَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ
شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ١٦ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ
الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْرَيْنَا نُفِيهِمْ كَمَا غَرَبْنَا
ثُبْرَانَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنَّا نَدْعُهُمْ
شُرَكَاءَ كَرَّمْنَا قُدْرَتَهُمْ فَلَمَّ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ
لَمَّا هَمَّ كَانُوا يَنْتَدُونَ ١٧ وَيَوْمَ يُبَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا
أَنْجَيْتُمُ الْمُتَرَلِّينَ ١٨ فَعَبِثَ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ
فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ١٩ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ
صَالِحًا مَعَهُ فَنُفِيَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُغْلَبِينَ ٢٠ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ
مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى
عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢١ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ

﴿لا يتساءلون﴾: أى لشدة الهول لا يسأل
أحد غيره شيئاً مما يساعده على الخروج من
الخطر، انظر الآية (١٠) من سورة المعارج
صفحة ٧٦٥.

﴿الحجارة﴾: مصدر بمعنى الاحتيار مأخوذ
من تحير كالطيرة انظر الآية (١٨) من سورة
يس صفحة ٥٨٠.

المعنى هل يستوى المؤمن الذى وعده
ربه بالجنة وما فيها فهو واصل لهذا النعيم
قطعا لاستحاله تحلف وعده تعالى، مع من
تمتع برحرف الدنيا المشوب بالآلام الصهد
بالتحسر على انقطاعه، ثم هو يوم القيامة

من المعصاة الذين تجرهم الملائكة للعذاب الذى لاشك فيه؟ إنهما بعد هذا التفاوت الظاهر
لا يستويان، واذكر أيها النبي لقومك ما سيحصل يوم يباديهم ربهم بداء توبيخ فيقول لهم أين
شركائى الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء لى؟ وكان هذا التوبيخ على مسمع من معبوداتهم، ولذا
قال ﴿الذين﴾ إلخ أى قال الشركاء المزعومون من شياطين الإنس والجن وعبوس الكمر الذين

- (١) لافهة
- (٢) متساء.
- (٣) متاع
- (٤) الحياة
- (٥) القيامة.
- (٦) شركائى
- (٧) انصوباهم
- (٨) وآمن.
- (٩) صالحا
- (١٠) سبحان
- (١١) وتعالى

ثبت عليهم مضمون قول الله ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس﴾ كما في الآية (١٢) من سورة السجدة صفحة ٥٤٦، وانظر ما قيل في الآية (٢٨) من سورة يونس صفحات ٢٧٠ ، ٢٧١ . قالوا تمهيدا للجواب : يا ربنا هؤلاء الذين أشركونا معك في العبادة أغويناهم بمجرد الوسوسة التي وافقت أهواءهم، ولم يكن لنا عليهم جبر، انظر الآية (٢٢) من سورة إبراهيم صفحة ٢٢٢، فكانوا في غوايتهم كما غوينا نحن، كل منا باختياره، فنحن اليوم نوجه تبرؤنا إليك منهم ومما اختاروه من الكفر والمعاصي تحت تأثير شهوات أنفسهم، لأنهم في الحقيقة ماكانوا يعبدوننا، وإنما كانوا يعبدون أهواءهم، انظر الآية (٢٢) من سورة الجاثية صفحة ٦٦٢، أي فلا تماقينا على ضلالهم عذاباً زائداً على عقابنا على ضلالنا، ثم يوجه الخطاب للمشركين فيقول لهم تهكما: ادعوا شركاءكم الذين رعيتهم أنهم يشفون لكم ليفيثوكم، انظر الآية (١٨) من سورة يونس صفحة ٢٦٨، فلشدة حيرتهم دعوهم فلم يجيبوا لهم دعاء، لأنهم أعجز من أن ينقذوا أنفسهم فضلاً عن غيرهم، ورأى الجميع من العابدين والمعبودين النار، ولو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين لما راوها، وبعد أن يوجههم على إشراكهم يوجه إليهم نداء توبيخ آخر على موقفهم مع الرسل الذين نهوهم عن الشرك فقال: ويوم يناديهم فيقول ما الذي قلتموه لرسلكم عندما طلبوا منكم توحيدنا؟ فغابت عنهم أخبار ما قالوه من شدة العيرة فلا يستطيع أن يسأل أحدهم الآخر، لأن المقام شديد، يرهب الرسل أنفسهم فضلاً عن العصاة المجرمين، انظر الآية (١٠٩) من سورة المائدة صفحة ١٥٩، هذا ما سيحصل لهؤلاء إذا استمروا، أما من تاب منهم وعمل صالحاً فيرجى له أن يكون من المائزين، ولما كان مما قاله المشركون لو كان هذا القرآن نزل على عظيم من عظماء مكة لأمننا، انظر الآية (٢١) من سورة الرخرف صفحة ٥٥، رد سبحانه عليهم بقوله: وريك أيها النبي هو الذي يخلق ما يشاء كما يشاء، ويختار من خلقه مَنْ يشاء لتبليغ رسالته، ولا يختار إلا طاهر النفس، حسن الاستعداد، لا صاحب المال والجاء كما في الآية (١٢٤) من سورة الأنعام صفحة ١٨٢، فما كان الاختيار لهؤلاء المشركين. تنزيهاً لله تعالى عن أن يمارعه غيره في الاختيار، وثعالياً وترفعاً له عن شركهم . ولما كان قولهم هذا مجرد حمد وتمويه على الحق، هددهم سبحانه بقوله : وريك يعلم ما تخفيه صدورهم من الحقد عليك أيها النبي.

وَمَا يُعَلِّتُونَ ۝ رُوِيَ أَنَّ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ
فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا لَأَنْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ بِآيَاتِكُمْ ضِلَالًا أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۝
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا لَأَنْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ بِآيَاتِكُمْ ضِلَالًا أَفَلَا تَنْصَرُونَ ۝
وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝
وَعَرِّمُوا بِمَالِكُمْ كَقَوْلِ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ۝
وَرَحْمَةً مِنْ كُلِّ أُمَةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعِدْرًا
لَنْ الْحَقُّ فَهُوَ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝ ١٢٠ ۝
فَقُرْءُونْ كَأَن مِنْ قُرْءَانٍ مُؤْتَى فَبَيْنَ عَيْنَيْهِمَا

المصدرات . «أرايتم» المراد أخبروني .
«سرمدا» : دائما أبدا «لتبتغوا» : تطلبوا
بالسعى في الأرض، انظر الآية (١٥) من
سورة المل صفحة ٧٥٥ . «نزعنا» : أحصرنا .
«شهيذا» : هو نبيها، انظر آيتي (٤١ ، ٤٢)
من سورة النساء صفحة ١٠٧ . «ضل» : غاب
«قارون» : قيل كان من أقارب موسى حتى
قال كثير من السلف أنه ابن عمه ولكنه وافق
مثل السامري المذكور في صفحة ٤١٢ ثم
أعلن الكفر أخيرا .

«بني» : تكبر وطلب أن تكون له الكلمة فيهم .

المعنى : الله سبحانه هو الذي يعلم ما

تكن صدور المشركين له ﷻ من العقد وما

يعنونه من الظن فيه يمثل ما في صفحة ٤٢٠ . ولما كان لا يعلم ما هي الصدور إلا الله الإله
توحد الحق، قال سبحانه هو الله لا إله إلا هو، أي لا يصح أن يعبد سواه، له وحده الحمد
في الدارين، لأنه مصدر النعيم فيهما، وله الحكم الناهض في كل شيء، وإليه ترجعون أيها
المشركون أنتم والحلق أجمعون هي جاريكم على أعمالكم حيرا أو شرا . ثم شرع في ذكر بعض
نعمه سبحانه فقال «أرايتم» إلخ أي قل أيها النبي لمشركي قومك أخبروني إن جعل الله كل
أرمانكم ليلا لا نهار هيها إلى يوم القيامة من هو إله المغاير لله الذي يستطيع أن يأتيكم
بنهار تسمعون فيه على رزقكم؟ هل أصيتم بصمم فلا تسمعون هذه العبر سماع فهم وتدبر؟ قل
أيضا أخبروني إن جعل الله كل أرمانكم نهارا لا ليل فيه من هو الإله غير الله الذي يأتيكم بليل

(٢) الليل .

(٦) القيامة

(٩) برهانكم

(٢) أرايتم .

(٥) أرايتم .

(٨) شركائى .

(١١) آيتيه

(١) الآخرة .

(٤) القيامة .

(٧) الليل .

(١٠) قارون

تستريحون فيه من عناء العمل؟ هل أصابكم العمى فلا تبصرون آيات الله التي نصبها في الكون دالة على أنه وحده هو الذي يفعل كل شيء إِبصار تأمل واعتبار بعين البصيرة، انظر الآية (١٠٤) من سورة الأنعام صفحة ١٨٠، والآية (٢٠١) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٥، والآية (٢١) من سورة الداريات صفحة ٦٩٢. ثم بيّن سبحانه حكمته في خلق الليل والنهار فقال ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا، أي تستريحوا في الليل، ولتسعدوا في طلب الرزق في النهار. ولتكونوا مستعدين لشكره على نعمائه ولما كان عماد رسالة الرسل هو الدعوة إلى التوحيد، وأنه لا شيء أجلب لقلب الله من الإشراك به، انظر الآية (٤٨) من سورة النساء صفحة ١٠٨، والآية (٧٢) من سورة المائدة صفحات ١٥١، ١٥٢، ولا شيء أجلب لرضا الله من توحيده، انظر الآية (٧) من سورة الزمر صفحات ٦٠٦، ٦٠٧، لما كان كل هذا أعاد سبحانه تقريع المشركين على شركهم منبهاً للتقريع هنا بأنهم أشركوا عن عمى قلب لا عن برهان فقال : ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم ترعمون﴾ فلما لم يجدوا أحصر سبحانه من كل أمة رسولها الذي أرسل إليها ليشهد لها أو عليها، وقتلها لهؤلاء المشركين هاتوا برهانهم على ما تزعمون، فمجزؤا وعلموا أن الحق أي الحجة البالغة لله تعالى عليهم، وغاب عنهم ما كانوا يفترونه على الله كدبا من أنه له شريكاً. وبعد ما بيّن سبحانه محاربة أهل الضلال للحق ومصيرهم في الآخرة وتحسرهم أراد سبحانه أن يضرب لهم مثلاً بما حصل لأمثالهم في الدنيا قبل الآخرة فقال (إِنْ قَارُونَ) إلخ : ومن المعلوم أن رموس الكفر التي حاربها موسى كانوا فرعون وهامان وقارون، انظر الآية (٢٩) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢٦، وسبب طغيان فرعون وهامان هو الخوف على الملك والرياسة كما تقدم، أما قارون فكان سبب طغيانه الفتنى على حسب الطمع الغالب في الإنسان المحروم من التوفيق، فإنه يقابل النعمة بدل الشكر عليها بالكفر والعصيان، وقليل من العباد من يقابلها بالشكر، انظر الآية (١٣) من سورة سبأ، والآية (٢٤) من نفس السورة صفحات ٥٦٧، ٥٦٨، وبيّن (٦، ٧) من سورة العلق صفحة ٨١٤، وقالوا إن من أسباب عداوة قارون لموسى وهارون حسده لهما على أن يكونا مسؤولين مع أنه أغنى منهما، فلذا لما طلب منه موسى زكاة ماله للمقرء امتنع وطلب أن يكون هو صاحب الكلمة المائدة في بني إسرائيل، في كل هذا قال

مِنَ الْكُفُورِ مَا إِنَّ مَفَاحِرَهُمْ لَتَسْوَى بِالْعَصَةِ أُولَى الْقُوَّةِ
إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٦٨﴾
وَاتَّبِعْ نِعْمَاءَ ذَاتِكَ إِنَّهُ أَلَمَّ الْآيَةَ وَلَا تَحْسَبْ نَفْسَكَ
مِنَ الْغَالِبِينَ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ
الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٩﴾ قَالَ
إِنَّمَا أُوتِيَهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ
أَعْلَنَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْفُرُودِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَأَكْثَرُ
جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ دُورِهِمُ الْمُتَعَمِّدُونَ ﴿٧٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ
قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
يُلَاقِيكَ كَمَا تَلِيقُ الْفُلُوفُ يُفْرُونَ إِنَّهُ لَدُوْحِيٌّ عَظِيمٌ ﴿٧١﴾
وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَذُّ قُرْبُ اللَّهِ عِندَ لَيْسَ أَمْسَ
وَعَمَلٌ صَالِحًا وَلَا يُلَاقِيهَا إِلَّا الْمُتَنَبِّهُونَ ﴿٧٢﴾ لَمَحَسًا بِهِ

سبحانه: ﴿إن قارون كان من قوم موسى﴾ أي
كما أنكم يا كفار فريش من قوم محمد، هبني
على موسى وقومه بالتكبر بسبب أنه أعطى
من الكنوز ما ليس عندهم، ظن أن المظلمة
والاستحقاق بالمال، انظر ما قاله كفار مكة
في نبيهم في الآية (٢١) من سورة الزخرف
صفحة ٦٥٠.

المفردات: ﴿الكنوز﴾ التي كانت مدفونة
خصوصاً في قبور قدماء المصريين.

﴿ما إن﴾: (ما) اسم موصول بمعنى التي
والجملة المصدرة بأن صلتها. ﴿مفاتيحه﴾: جمع
مفتاح يفتح همكون، كمرصد ومراسد، وهو
المعزن، قال ابن عباس: هي حزائنه وأوعيته.

﴿تسوء﴾: أي تصير ثقيلة عليهم من قولهم باء بملأ الحمل إذا ثقله حتى أمال ظهره.
﴿العصبة﴾: الجماعة الكثيرة، انظر الآية (٨) من سورة يوسف صفحة ٢٠٢.
﴿أولى القوة﴾: أصحاب الشدة. ﴿على علم عدي﴾ المراد لأن عدي علماً بمواضع
الكنوز، أي حصلت عليه باستحقاق لا فصل لأحد على شيء. ﴿لا يسأل عن ديوهم﴾ لا يسألون
سؤال استجلاب للرحمة، فلا يبايئهم يسألون سؤال توبيخ وتبكيث، انظر الآية (٩٢) من
سورة الحجر صفحة ٣٤٤، وآيتي (٢٤، ٢٥) من سورة الصافات صفحة ٥٨٨.

- | | |
|-------------|-----------------|
| (١) لتسوء. | (٧) قارون. |
| (٢) أناله. | (٨) أمس. |
| (٣) الآخرة. | (٩) صالحاً. |
| (٤) يسأل. | (١٠) يلقاها. |
| (٥) الحياة. | (١١) المتنبهون. |
| (٦) يلاقي. | |

﴿ويلكم﴾ أصل معنى ويل الدعاء بالهلاك ثم استعمل في معنى الرجس عن شيء، فالمراد لا تقولوا هذا خطأ، ﴿يلقاهما﴾ : المراد يتلقى الصالحات ويعطاها من عنده سبحانه، انظر الآية (١١) من سورة الإنسان صفحة ٧٨٢.

المعنى وآتينا قارون من الكنوز المقادير التي يشق حمل خرائثها على الجماعة القوية، فأظهر التفاخر والفرح بما أوتي به حين قال له قومه المؤمنون من بني إسرائيل لا تفرح ، فرح بطر وشعم بالدنيا، لأن ذلك علامة التفاني فيها وسيان الآخرة، والله تعالى لا يحب من كثر فرحه بها حتى شعلته عن آخرته ، وأطلب من الغنى بسبب هذا المال الذي تفضل الله به عليك الدار الآخرة بأن تصرف منه في وجوه الخير، ولا تنس نصيبك من الدنيا بأن تأخذ ما يكفيك ولا تقتدر على نفسك وعيالك ، أي اسلك الطريق الوسط، انظر آيتي (٢٦ ، ٢٩) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٨، وأحسن شكر ربك بطاعته كما أحسن إليك بحزيل النعم، ولا تطلب بكثرة المال المساد في الأرض لأن الله لا يحب المفسدين، ومن لا يحبه الله يفضي به، ومن عصب عليه فقد هوى، انظر الآية (٨١) من سورة طه صفحة ٤١٣.

قال قارون رداً على هذا النصيح الجميل إنما حصلت على هذا المال على استحقاق، لأن عندي من العام ما استوجب أن أتوق عليكم جميعاً بالجاه والمال، ولم يعترف بأن الله فضلاً عليه يلزمه شكره ، فكان رده سبحانه عليه قوله ﴿أولم يعلم﴾ إلخ أي هل نسي ما جاء في لتورة من إهلاك عصاة الأمم السابقة، ولم يعلم أن الله قد أهلك منهم من هم أشد منه قوة وأكثر جمعا للأموال ، انظر الآية (٦٩) من سورة التوبة صفحات ٢٥٢، ٢٥٣ والآية (٨٢) من سورة عاقر صمحة ٦٢٩، وبعد ما بيّن سبحانه جهل قارون أراد أن يبين ما سيلاقيه هو وأمثاله المحرمين يوم القيامة فقال ﴿ولا يسأل عن دنوبهم المجرمون﴾ أي لا يسأل سبحانه المجرمين يوم القيامة عن دنوبهم سؤال عتاب مقدمة للرحمة، انظر الآية (٨٤) من سورة ليل صمحة ٢٥٧، والآية (٢٤) من سورة فصلت صفحة ٦٢٢.

ثم شرع سبحانه في بيان مظهر من مظاهر اعتزاز قارون بالمال مقدمة لإهلاكه فقال (مخرج) إلخ أي فخرج قارون على قومه ذات يوم في زينة عظيمة من مراكب فاخرة وخدم مریدا بذلك، التعالى عليهم بإظهار العظمة، قال الذين كلُّهم الدنيا. ياليت لنا مثل ما أوتي قارون، به لدو حظ عظيم. وقال الذين أعطاهم الله تعالى العلم الصحيح بما أعده الله لعباده

وَيَذَرِيهِ الْأَرْضَ تَاكِتًا فَكَفَّ اللَّهُ مِنْ قِبَلِهِ يَسُوءُهُمْ مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَصَرِّينَ ﴿٥١﴾ وَأَصْحَ الَّذِينَ
تَحَمَّلُوا مَكَامَهُمْ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَسْأَلُ اللَّهُ يُسْطُ الرِّزْقَ
لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهَا
لَخَسَفَ بِهَا وَيَسْأَلُهُمْ لَا يَبْطِغُ الْكَافِرُونَ ﴿٥٢﴾ يَلِكُ
الْأَرْضَ الْأَمْرَةَ تَحْمِلُهَا الَّذِينَ لَا يَمُرُّونَ عَلَى الْأَرْضِ
وَلَا مَسَاقًا وَالْعَنَقِبَةُ الْمُتَغَيِّبَةُ ﴿٥٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ
فَهُوَ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا
الْأَسْقَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنْ أَلَدَى قَرْصٍ
عَلَيْكَ الْقُرْآنُ لَرَأَيْكَ إِنْ مَعَدَّ قُلُوبُ رَبِّهِ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ
وَالْمَدِينِ وَمَنْ هُوَ سَلِيلٌ لِيَهْوَ ﴿٥٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو
أَنْ يُلَاقَ إِلَهُكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ

المؤمنين في الآخرة : زجراً لكم عن هذا
القول الباطل، فتواب الله في الآخرة خير من
كل هذا المتاع الزائل لمن آمن وعمل صالحاً،
ولا يمن الله بالتوفيق للأعمال الصالحات إلا
على الصابرين على شدائد الدنيا وهنتها .
فحسبنا بقارون الأرض إلخ .

المفردات : ﴿وبداره﴾ : المراد المنطقة
التي كانوا فيها . ﴿من فئة﴾ : أي جماعة
انظر الآية (٢٤٩) من سورة البقرة صفحتي
٥١ ، ٥٢ . ومن لتأكيد عموم نفي ﴿ما﴾ التي
بعدها

﴿ويكان الله﴾ : أصل التركيب.

(ويك أن الله) و (ويك) و (وي) كلمتان تستعملان للدلالة على التعجب أو الندم، والمراد هنا
الثاني ، والمعنى يا أسفا ألم نعلم أن الله يبسط إلخ . ﴿يبسط الرزق﴾ : أي يوسع ﴿ويقدر﴾ :
أي ويصيق ، كما هي الآية (١٦) من سورة المائدة صفحة ٧-٨ . ﴿علوا في الأرض﴾ : أي تعالوا
على الناس بالظهور والاستبداد ﴿فرض عليك﴾ : أي أوجب عليك العمل به، انظر الآية الأولى
من سورة النور صفحتي ٤٥٦ ، ٤٥٧ . ﴿لرادك﴾ : جاء الرد في لغة العرب على معنيين ، الأول
إرجاع الشيء إلى ما كان عليه . والثاني : صرف الشيء من حال إلى حال، ومن جهة إلى

- (١) الكافرون.
- (٢) الآخرة
- (٣) العاقبة
- (٤) القرآن
- (٥) صلال.
- (٦) ترجو
- (٧) الكتاب.

حال، ومن جهة إلى جهة، فمن الأول ما هي الآية (٢٨) من سورة الأنعام صفحة ١٦٦، والآية (٦) من سورة الإسراء صفحة ٢٦٥. ومن الثاني هي الآيات (٥٩) من سورة النساء صفحة ١١٠، و(١٤٧) من سورة الأنعام صفحة ١٨٨، و(١٠٧) من سورة يونس صفحتي ٢٨٢، ٢٨٣. ويقال لمن ولد مسلماً ثم كمر فلان ارتد أي تحول عن دينه ومنه حديث معاذ بن جبل لما بعثه ﷺ إلى اليمن وقال له بخصوص الزكاة (صدقة تؤخذ من أغنيائهم ترد إلى فقرائهم) فرددك هنا تؤخذ على المعنى الأول فمعناها مرجعك إلى ما كنت فيه وعلى المعنى الثاني فيكون معناها صارفك وموصلك كما سيأتي في المعنى. (إلى معاد) المعاد إما من (عاد) بمعنى (رجع) وإما من (عاد) بمعنى (صار)، والكل كثير في كلام العرب. فمن الأول ما هي الآية (٢٨) من سورة الأنعام صفحة ١٦٦، ومن الثاني ما هي الآية (٢٩) من سورة يس صفحة ٥٨٢ وقوله ﷺ لمعاد لما أطال الصلاة فوق المطلوب، فتألم الناس (لا تعد فتانا يا معاد) أي لا تصر منصراً. ومنه قوله ﷺ في دعائه (وأصلح لي أحررتي التي فيها (أو إليها معادي) أي مصيري. فالمعاد إما مكان الرجوع أي المرجع، أو المكان الذي يصير إليه أي المصير والنهاية، فهو اسم مكان كالعمار في الآية (٢١) من سورة النبا صفحة ٧٨٨.

المعنى لما اغتر قارون بكثرة المال حسب الله به ونداره الأرض، فابتلته هو وماله ومن كان على مذهبه، وفي التوراة أنهم كانوا أكثر من ٢٥٠ رجلاً، انظر سفر العدد في صصاح (١٦)، فما كان له قوة غير الله تنصره بمعاد الله عنه، وما كان هو مستطيعاً نصر نفسه بنفسه، وقد حصل ذلك لقارون بعد خروج بني إسرائيل من مصر، وأصبح الذين تبعوا في الزمن القريب جداً أن يكونوا في منزلته هي الدنيا يقولون يا أسما على ما كنا فيه من الخطأ، ألم تعلم أن الله يوسع الرزق لمن يشاء من عباده لحكمة غير رضاء عنه، ويصفيه على من يشاء لا نكرهه له، انظر الآية (١٨٠) من سورة آل عمران صفحة ٩٣، والآية (٤٤) من سورة الأنعام صفحتي ١٦٨، ١٦٩، وإيتي (٥٥، ٥٦) من سورة المؤمنون صفحتي ٤٥٠، ٤٥١، لولا أن مرَّ الله علينا بحفظنا مما كان عليه قارون من الصاق وعيره لحسف الأرض بما معه ثم كرروا الأسف على جهلهم أن الحقيقة أن الكافر بالله تعالى ونعمه عليه لا يملح أبداً، ثم أيد سبحانه قول أهل العلم فيما سبق من أن ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً بقوله (تلك

الدار الأخرة) إلخ أى تلك الدار الرفيعة المسرلة وهى الجنة نجعل نعيمها للذين لا يريدون تكبرا على الحق وعلى الناس، ولا فسادا فى الأرض، لأن العاقبة المحمودة دائما تكون للمتقين.

ثم بيّن ما سيكون يوم القيامة من الجزاء فقال (من جاء بالحسنة فله خير منها) وأقله عشر أمثالها كما فى الآية (١٦٠) من سورة الأعمام صفحة ١٩١، وأكثره لا حد له كما فى الآية (٢٦١) من سورة البقرة صفحة ٥٥، ومن جاء بالسيدة فلا يجزى إلا مثلها، كما فى صفحة ١٩١، وإنما قال بجرى الذين عملوا السيئات وحالف ما فى صفحة ١٩١ للإشعار بقبح السيئة وإنها مشأ إسماتهم، وجمع السيئات للإشارة إلى كثرتها وكثرة أصحابها بالنسبة للطائمتين، انظر الآية (١٠٣) من سورة يوسف صفحة ٢١٨، و(٢، ٣) من سورة العصر صفحتى ٨٢٠، ٨٢١.

وبعد ما بيّن سبحانه لكفار مكة ما حصل لأمثالهم ممن كذبوا رسلهم ما فيه العبرة، وبين عاقبة المتقين أراد سبحانه أن يطمئن رسوله ﷺ بأن النصر هو النهاية له، وأن العاقبة الحسنى ستلاقيه، لأنه قام بما أمر به خير قيام، فقال إن الذى فرض عليك القرآن أى العمل بما فيه همت به خير قيام لا بد أن يرجعك إلى مكة بعد أن يتسبب قومك فى إحراجك منها سيرجعك إليها عريرا منتصرا، ويدلهم ويحزبهم، قال بهذا جماعة من الصحابة والتابعين، أو المعنى، لا بد أن يصرفك ويوصلك إلى مصير عظيم جدا يليق بك، وليس ذلك إلا الجنة التى فيها ما لا عين رأت ولا خطر على قلب بشر، وقال بهذا جماعة أيضا منهم على بن أبى طالب عليه السلام وابن عباس، وأبو سعيد الخدرى رضى الله عنهم أجمعين، ولكل وجهة محتر لنفسك ما يرضيها، والله أعلى وأعلم.

ثم أراد سبحانه أن يؤكد هذا الوعد مع تهديد المشركين بأسلوب لين فقال، (قل ربى) إلخ أى قل أيها النبى لهم ربى هو الذى يعلم بمن جاء بالهدى من عنده وبما يستحقه من الثواب والنصر، ويعلم من هو فى ضلال واضح وما يستحقه من العذاب والإذلال، ثم أكد صدق وعده مرة أخرى لزيادة تلمينه ﷺ ولتثبيس الكفار فقال (وما كنت ترجو) إلخ أى أنه سيردك إلى معاد كما ألقى إليك الكتاب، وما كنت ترجو ذلك ولكن ألقاه إليك رحمة منه لك ولعباده، لأن القرآن كله هدى ورحمة، وإذا فلا تكونن معينا للكافرين.

المضردات: ﴿ظهِرًا﴾: أى معينا كما هي الآية (١٧) المتقدمة صفحة ٥٠٨. ﴿لا يصدبك﴾ أصلها يصدوك فجدعت بون الفعل لوجود الهى وأدخلت عليه بون التوكيد

المعنى: - فلا تكونن أيها الهى معينا للكافرين. وهذا الهى وما بعده يقصد به قطع أطماع المشركين بإظهار أن المنهى عنه وصل إلى درجة من القبح تطلب أن ينهى عنه من لا يتصور وقوعه منه أصلا ولذا قال ابن عباس هي هذا وأمثاله الخطاب هي الظاهر له ^١ والمراد غيره، انظر سورة الكهرون صفحة ٨٢٤، والآية (٤٩) من سورة المائدة صفحة ١٤٧، والآية (٧٣) من سورة الإسراء

صفحة ٢٧٤ والآية (٢٨) من سورة الكهف صفحة ٢٨٤ ولا يصدك هؤلاء الكاهرون عن قراءة آيات الله والعمل بها بعد وقت إبرالها عليك المقتضى أنك رسول، وأدع الناس إلى توحيد ربك في العبادة، ولا تكون من المشركين بسبب معاونتك لهم، ولا تدع مع الله إلها آخر لأنه لا إله إلا هو وكل شيء قابل للوجود هي هذه الدار في وقت من الأوقات فإنه قابل للمصاء إلا دانه سبحانه وتعالى فإنه باق أبدا لا يتغير، له سبحانه الحكم النافذ في كل شيء، وإليه ترجعون جميعا للحساب والجزاء. والله تعالى أعلم.

سورة العنكبوت

المضردات: ﴿لَمْ﴾ تنطق هكذا ألَمْ ميم يسكون الجميع، وتقدم المراد منها أول سورة البقرة ﴿أحسب﴾ أى هل ظن ﴿أن ضركوا﴾ أى يهملوا بلا احتبار بالتكاليف ولا جراء هي الآخرة، انظر الآية (٣٦) من سورة القيامة صفحة ٧٨٠ ﴿أن يقولوا آمنا﴾ أى لمجرد قولهم بأهواهم آمنا ﴿لا يفتنون﴾. أى لا يفتنوا ولا يمنحون بالتكاليف والمشاق.

ظهِرًا لِلْكَافِرِينَ ۝ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَابِئِكَ اللَّهُ
بَعْدَ إِذْ أُرِيتَ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الشُّرَكِيِّ ۝ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءُخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا
هُوَ كُلُّ شَيْءٍ عَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ
تَرْجَعُونَ ۝

(٢٩) سُوْرَةُ الْعَنْكَبُوْتِ
وَأَسْمَاُهَا السَّجْدَةُ وَتِسْعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الَّذِي أَحَبَّ النَّاسُ أَنْ يُشْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا
وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَتَقَدْ فَتْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ
فَلَنَبْلُسَنَّ لَهُمْ الْإِنْسَانَ صَغُورًا وَعَتَرَنَّا لَهُ الْكُذِبَ ۝

أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّيِّعُ الْعَلِيمُ ﴿٢﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَلِنَا مَا يَجْتَدِ بِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَوْفَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا لَبِئْسَ أَجْرَى الْعَاثِرِينَ ﴿٤﴾ وَوَعَدْنَا الْإِنْسَانَ بِوَدَائِهِمْ حَسًّا إِنَّهُمْ لَبُغَاؤُا بِشِرْكِهِمْ لَنَنْصِلُنَّهُمْ فِي الصَّلَاتِ ﴿٥﴾ وَمِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بَلَاغُ الْوَعْدِ فَأَمَّا لَوْلَا فَإِنَّهُمْ لَكَاظِمُونَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٧﴾ وَمِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بَلَاغُ الْوَعْدِ فَأَمَّا لَوْلَا فَإِنَّهُمْ لَكَاظِمُونَ ﴿٨﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَقَوْمِ هَارُونَ ﴿٩﴾ وَفِي الْآيَةِ (١٧) مِنْ سُورَةِ الدَّحَّانِ صَفْحَةَ ٦٥٧.

المعنى: . الف. لآ. ميم. هل ظن الناس أننا نتركهم لمجرد قولهم آمنا والحال أنهم لا يحتسرون بما يظهر حفيقتهم وما اطلوت عليه نفوسهم؟ كلا، بل لابد من امتحانهم بالفسر والبسر والتكاليف، انظر آيتي (١٥٥)، (١٥٦) من سورة البقرة صفحة ٢٠، والآية (١٨٦) من سورة آل عمران صفحة ٩٤، والآية (١٣١) من سورة طه صفحة ٤١٩، والآية (٣٥) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٤، والآية (١١) من سورة الحج صفحة ٤٢٤، والآية (٢٠) من سورة الفرقان صفحة ٤٧٢، وآيتي (١٦، ١٧) من سورة الجن صصحتي ٧٧١، ٧٧٢. ولقد فتنا الذين من قبلهم كقوم هارون في الآية (١٧) من سورة الدخان صفحة ٦٥٧.

وغيرهم في الآية (٢١٤) من سورة البقرة صفحة ٤٢، ومن الآية (٤) إلى الآية (١٠) من سورة البروج صفحة ٨٠١. فالمراد أن هذه هي سنة الله تعالى التي افترضتها حكمته وبهذا الامتحان يعلم سبحانه حال الذين صدقوا في إيمانهم، وحال الكاذبين فيه، هيجارى كلا بما يستحقه.

المصدرات . «أم حسب» المعنى هل ظن، انظر الآية (٢١٤) من سورة البقرة صفحة ٤٢ «يسبقونا» أى يموتونا، والمراد يفلتون من عقابنا «سَاء» قبيح، «ما يحكمون» حكمهم، «يرجو لقاء الله» أى يؤمن بالبعث، انظر صفحة ٤٧٢.

«بوالديه حسنا»، المراد إحصانا تاما حتى كأنه الحصر ذاته، انظر شرح الآية (٢٣) من سورة الإسراء صفحة ٣٦٧. «جاهد» أى قاوم نفسه بالصبر على مشاق الطاعة والكف عن الشهوات وغير ذلك وإنما قلنا ذلك لأن السورة مكية ولم يكن في مكة جهاد.

«أودى في الله»، أى آذاه الظالمون لأجل إيمانه بالله.

(١) يرجو.	(٢) لآ.	(٣) جاهد.	(٤) يجاهد.	(٥) المائين.
(٦) آمنوا.	(٧) الصالحات.	(٨) الإنس.	(٩) بوالديه.	(١٠) جاهداك.
(١١) آمنوا.	(١٢) الصالحات.	(١٣) الصالحين.	(١٤) آمنا.	(١٥) ولن.

﴿مَتَّةَ النَّاسِ﴾ ما يصيبه من أديتهم ﴿أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾ المراد من هذا التركيب أنه سبحانه يعلم قطعا، انظر تفصيل ذلك في الآية (٤٠) من سورة القيامة صفحة ٧٨٠.

المعنى - هل ظن هؤلاء الذين يرتكبون السيئات أن يفلتوا من عقابنا؟ كلا، لن يفلتوا، فبئس حكما حكمهم هذا، ثم أراد سبحانه أن يبين منشأ جراتهم على المعاصي وهو إنكارهم البعث بعد الموت، فقال ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا﴾ إلخ المراد من كان يؤمن بأخرة يلقى فيها ربه ليضيه حسابه كما في الآية (٣٩) من سورة النور صفحة ٤٦٤، فليسارع إلى فعل ما يفضله، لأن أجل الله الذي حدده لهذا اليوم الآخر آت لا شك فيه والله وحده هو السميع لكل قول، العليم بالعقائد والأعمال، فيجاري حسابها في ذلك اليوم. ثم بين سبحانه أن ما يطلبه من المكلفين هو لمصلحة أنفسهم فقال ﴿وَمَنْ جَاهَدَ﴾ إلخ أي من اجتهد في حرب نفسه وشهواتها أو في الحير للمجتمع فثمرة جهاده تعود على نفسه، لأن الله عني عن كل العالمين، فليس سبحانه محتاجا لعمل مخلوق قال الحسن البصري إن الرجل ليجاهد وما ضرب يوما بسيف، ثم يئن حراء، لمطيع فقال، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلخ أي والذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات لنكسر عنهم سيئاتهم التي وقعت منهم، ولنجزئهم أحسن جزاء لأعمالهم، فإذا كان جزاء الحسنه مثلها بنزولهم عشر أمثالها بل وأكثر ثم بين سبحانه أفضل الطاعات بعد توحيدة وهي لإحسان للوالدين فقال ﴿وَوَصِيًّا﴾ إلخ أي ووصيا الإنسان وأمرنا أن يحسن لوالديه إحسانا كثيرا جدا حتى كأنه هو الحسن نفسه، وقلنا له داوم على الإحسان إليهما وعلى طاعتهما إلا في حالة واحدة فلا تطمهما فيها مع بقاء إحسانك لهما فيما عداها وهي حالة ما إذا حرضاك على أن تتبعهما في أن تشرك بربك آلهة ليس عندك علم بالوحيتهما، وبالأولى ما تعلم بطلانها، وإلى الله مرجعكم أيها الخلق جميعا يوم القيامة من آمن منكم ومن كفر، ومن بر والديه ومن عقرهما، وسيعجزكم على ذلك، ثم بين سبحانه منزلة عظمى سيمنحها للطائعين فقال ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وعزتي لأجعلتهم في زمرة الكاملين في الصلاح الذي هو متمنى الأنبياء ومتمنى درجات المؤمنين، انظر الآية (٨٤) من سورة المائدة صفحة ١٥٤ والآية (١٩٦) من سورة الأعراف صفحة ٢٢٥، والآية (١٠١) من سورة يوسف صفحة ٢١٨، والآية (٧٥) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٨، والآية (٨٣) من سورة الشعراء صفحة ٤٨٥، وبعد ما بين سبحانه قسمين من الناس هما المؤمن حسن الاعتقاد والعمل، والكافر المجاهر بالكفر والعناد، ويئس ما أعد لكل منهما، أراد سبحانه أن يبين قسما ثالثا وهم صغاف الإيمان

اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ① وَلَيَحْمِلُنَّ أَثَمَهُنَّ أَهْلُ الْبُيُوتِ ② وَأُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَكُمْ وَلَتَنحْمِلَنَّهُمْ أَثْمَانَهُمْ ③ وَمَنْ يَحْمِلُنَّ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ④ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَ لَا تَعْتَصِمُ ⑤ وَلَيَقْسُضَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَعْتَزُّونَ ⑥ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا بِأَنْ يَقُومَ بِهِ فَمَنَّبَهُ فَأَخَذْنَاهُمُ الْطُوفَانَ وَهُمْ ظَالِمُونَ ⑦ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ الْجَنَّةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ⑧ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ⑨ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَاتَّبِعُوا عِدَّةَ اللَّهِ

والمناهقون فقال ومن الناس فريق يقول آمنا بالله فإذا أصابته شدة من جهة الكفار بسبب إظهاره الإيمان اعتبر ما يصيبه من ابتداء الناس له في مرة عذاب الله تعالى له يوم القيامة بجهنم جزاء كفره، والمراد جزع منه كما يجزع من عذاب الله فيرتد إلى الكفر. ولئن جاءك أيها النبي نصر من ربك كنصر على الأعداء أو غنيمة يقولون إنا كنا معكم في الدين فاشركونا هي ثمرة هذا النصر، انظر آيتي، (٧٢، ٧٣) من سورة النساء صفحة ١١٢، والآية (١٤١) من نفس السورة صفحة ١٢٧، فهل يظن كل واحد منهم أنه هو وحده

الذي يعلم ما هي داخل نفسه وليس الله تعالى بعالم ذلك.

المصدرات . «بأعلم» : الباء لتأكيد سعة العلم لله سبحانه . «ولنحمل خطاياكم» : الأصل اتبعوا سبيها تحمل إلخ ولكنهم جاءوا بلام الأمر الدالة على أنهم يوجبون على أنفسهم تحمل خطايا الغير ليشجعوهم على اتباعهم «من شيء» : من لتأكيد عموم نفي ما بعدها . «أثقالهم» : المراد أورارهم . «لبث» : أي مكث «ألف سنة إلا خمسين عاماً» : قال الرمخشري في تفسيره، فإن قلت هلا قيل (تسمائة وخمسين سنة) قلت، ما أورده الله سبحانه أحكم، لأنه لو قيل كما قلت لجاز أن يتوهم السامع إطلاق هذا العدد على ما يقرب منه، أي ويكون في الحقيقة أقل مما ذكر. ويزول هذا التوهم بمجيئه على الوحة الذي جاء به القرآن فكانه

(١) العالين.	(٢) أموا.	(٣) المناقش.	(٤) أسوا.	(٥) خطاياكم
(٦) بعاملين.	(٧) خطاياهم.	(٨) لكاذبون.	(٩) ليسأل.	(١٠) القيامة
(١١) ظالمون.	(١٢) فأنحيه.	(١٣) أصعب.	(١٤) جعلناها.	(١٥) آية
(١٦) للعالمين.	(١٧) إبراهيم.	(١٨) أوثاناً		

قال، تسعمائة وخمسين سنة كاملة، وافية العدد، كما أن ما جاء في القرآن أكثر تحديداً، وأعذب لفظاً وأَمْلاً هائِدةً، وفيه بكتة أخرى. وهي أن القصة مسوقة كما قال المحرر الرازي لتسليية النبي ﷺ فإنه كان يصيق صدره بسبب عدم دخول الكفار في الإسلام وإصرارهم على الكفر، انظر الآية (٣) من سورة الشعراء صفحة ٤٧٩، فقال له سبحانه إن نوحاً لبث في قومه ألف سنة تقريباً يدعوهم للإيمان ولم يؤمن منهم إلا قليل، ومع ذلك صبر وماضجر فأبت أيها النبي أولى بالصبر لقصر مدة لبثك فيهم. وكثرة عدد من آمن بك وأيضاً فقد كان كفار قوم نوح يغترون بتأخير العذاب عنهم هذه المدة الطويلة ومع ذلك لم ينج منه مع هذا المقدار الطويل من التأخير أحد فيجب أن لا يعثر قومك أيها النبي بتأخير العذاب عنهم مدة قصيرة فإنه سيلحقهم قطعاً إذا استمروا على كفرهم لكل ذلك كانت مفاجأة السامع بذكر أكبر عدد يعرفه العرب وهو الألف، أوقع في النفس، وأوصل إلى العرص، ثم قال الرمحشري فإن قلت فلم جاء التمييز أولاً (بالسنة) وثانياً (بالعام)، ولم يقل ﴿ألف سنة إلا خمسين سنة﴾ مثلاً، قلت لأن تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد جدير بالاحتساب في البلاغة لما في التكرار من البشاعة، إلا إذا جاء ذلك لأجل عرض يقصده المتكلم من تفخيم أو تهويل أو تشويه، أو نحو ذلك مما تجهزه قوايين بلاغة الكلام. وقال في ذلك الألوسي: إن نوحاً بعث على رأس الأربعين سنة كإحويته الأنبياء، وعاش بعد الطوفان خمسين سنة وذكرت مدة دعوته لقومه بهذا الأسلوب في القرآن للدلالة على كمال العدد، وكونه معيها نصاً، لا تجز فيه، لأن (تسعمائة وخمسين) قد يطلق ويراد به ما يقرب منه، ولما في ذكر ﴿ألف﴾ أول الأمر من تحيل طول مدة، فإن المقصود من القصة تصبيره ﷺ وإنما اختلف التمييز لما في التكرار في مثل هذا الكلام من البشاعة، والحكمة في اختيار (السنة) أولاً (والعام) ثانياً، أن السنة كما تطلق على العام تطلق على الشدة والحذب بخلاف العام فناسب اختيار السنة لرمز الدعوة الذي قاسى فيه نوح من الشدائد ما قاسى من قومه، انظر الآية (١٣٠) من سورة الأعراف صفحة ٢١٢، ﴿نية للعالمين﴾ أي عبرة وتذكير لكل من سمع بها، انظر الآية (١٢) من سورة الحاقة صفحة ٧٦٢ ﴿أوثاب﴾ تماثيل يتقرب بها إلى الله تعالى. ﴿تخلقون﴾ أي تحتلقون. ﴿إفكاً﴾ كدبا هو ادعاء أنها تنصع لكم عند الله وتقريكم إليه كما هي الآية (١٨) من سورة يونس صفحة ٢٦٨، والآية (٣) من سورة الزمر صفحات ٦٠٥، ٦٠٦ ﴿ابتعوا﴾ اطلبوا.

المعنى . المحقق أن الله أعلم بما في قلوب المنافقين وغيرهم لا يخفى عليه شيء مما هيها . فكيف يعادعون مَنْ لا تحمي عليه حافية؟

وعرته تعالى إنه يعلم المؤمن الصادق والمنافق الكاذب في ادعاء الإيمان وبعد ما بين سبحانه أن من طرق كمار قريش التي كانوا يسلكونها هي معاملة مَنْ آمن بمحمد القسوة ليرجموه كاهرا، أراد أن يبين طريقا آخر هو طريق اللين والترغيب في عدم اتباع الرسول ﷺ فقال (وقال الذين كفروا) إلخ أي وقال الكافرون من قريش مَنْ آمن منهم اتبعوا طريقا في الدين ونحن نوجب على أنفسنا تحمل نتيجة خطاياكم إن كان لكم خطايا كما يقول محمد، أي لا تحافوا من حساب ولا عقاب فإنه ليس هناك شيء من هذا فردُّ عليهم سبحانه مبطلا زعمهم بقوله وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم يوم القيامة لأنه يوم لا يحمل فيه أحد وزر أحد انظر ما سبق في الآية (١٦٤) من سورة الأنعام صفحة ١٩١، فهم كادبون فيما قالوه، بل إن هؤلاء الطماعة سيحملون أوزار انفسهم ويزادون عليها أوزارا مثل أوزار مَنْ تسببوا في إيصالهم من غير أن ينقص ذلك من أوزار الصالحين شيئا، انظر الآية (٢٥) من سورة النحل صفحة ٢٤٨، ثم يسألون بعد ذلك سؤال ثبكت وتقرع عما كانوا يكذبونه في الدنيا من التفرير وادعاء تحمل ديوب الغير . ثم أراد سبحانه أن يبين مَنْ ابتلوا بفتن الكفار من الأنبياء وكيف كانت لهم العاقبة ليطمئن المؤمنون فقال ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فمكث بينهم يدعوهم إلى عبادة رب واحد ألف سنة إلا خمسين عاما فكذبوه فآخذهم الطوفان وهم ظالمون، فأنجيناهم ومَنْ حملهم معه في السفينة، وجعلنا هذه الحادثة عبرة كل معتبر، انظر الآية (٢٥) وما بعدها من سورة هود صفحة ٢٨٧، وسورة نوح صفحة ٧٦٧ وما بعدها، وكذا أرسلنا إبراهيم حين قال لقومه اعبدوا الله وحده وخابوا عقابه، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون أنكم لا تعبدون إلا تماثيل تتحتونها بأيديكم، وتحتلقون الكذب أنها تشفع لكم . إن هؤلاء الذين تعبدونهم من غير أن تمردوا الله بالعبادة لا يملكون لكم جلب رزق، وإذا كان الأمر كذلك فاطلبوا الرزق عند مَنْ بيده رزق كل شيء..

المفردات : . ﴿بدأ الخلق﴾ - تقول العرب بدأ الله الشيء، وبدأ به، وأبداه كلها بمعنى واحد هو (فعله ابتداء) أي غير مسبوق به، وحاء من أبدأ اسمه تعالى (المبدئ المعيد) وهذا الفعل

الرِّزْقِ وَأَعِدُّوهُ وَأَشْكُرُوا اللَّهَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ
تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا
أَنْبِئُكَ الْمُبِينِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ
الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ
الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ
وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ تَقْلُبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أُنْمِئْتُمْ بِمُجَسِّرِينَ
فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَقَاتِبُ اللَّهُ لِقَائِهِ
أُولَئِكَ يَسْرَأْنَ مِنْ رَّحْمَتِي وَأَرْسَلْتُ لَهُمْ مَقَابُ الْيَمِّ ﴿٢٣﴾
لَمَّا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْطَعُوا عَنَّا طَرِيقَهُ فَانظُرْ
أَلَا إِنَّ اللَّهَ مِّنَ السَّائِرِينَ فِي ذَلِكَ لَا يَشِئُ لِقَوْمٍ يُزْمَنُونَ ﴿٢٤﴾

وهو «ابدا» فعل مهجور في الاستعمال، أما
مضارعه وهو «يبدئ» فهو كثير ولم يرد في
القرآن إلا مصحوبا بـ «يعيد» كما هنا وكما
في الآية (٤٩) من سورة سبأ صفحة ٥٧٠،
والآية (١٢) من سورة البروج صفحة ٨٠١؛
أما «بدا» فهي القرآن كثير، وقد يأتى بدون
«يعيد» كما في الآية (٧) من سورة السجدة
صفحة ٥٤٥، «بنشئ» : أى يبتدئ
ويوجد «النشأة» هي المرة من الإنشاء
والمراد بها الإعادة يوم القيامة، «تقلبون» :
تردون، «بمجزئين» : بمالئين الله بالهرب من
عقابه، «من ولى» : أى صاحب يتولى أموركم
«ولانصير» : أى ناصر يجمع العذاب.

المعنى.. فاطلبوا أيها المشركون الرزق من عبد الله لا عند أوثانكم، واعبدوه وحده، واشكروا
له بعمه عليكم، واستعدوا للقاءه، لأنه هو الذى سترجعون إليه يوم القيامة فيجازيكم خيرا أو
شرا، ثم حذرهم من إهمال أوامر الله حتى لا يحصل لهم ما حصل لأمثالهم فقال «وإن
تكذبوا» إلخ أى تكذبوا رسل الله فيما أخبروكم به هل تصبروا غير أنفسكم، فقد كذب أمم
من قبلكم رسلهم فأهلكهم الله وأتجى رسله لأنه ليس على الرسول هداية أمته بل عليه تبليغ
أوامر الله لهم واضحة، وبعد ما هرع إبراهيم عليه السلام من بيان الأصل المهم وهو توحيد
الله، وأشار إلى الأصل الثانى وهو الرسالة، أراد أن يبين الأصل الثالث وهو بعث الحلائق يوم
القيامة للحساب والجزاء فقال معرضا عن خطابهم احتقارا لهم «أو لم يروا» إلخ : أى هل
انطمست أبصارهم فلم ينظروا كيف يوجد الله الأشياء سواء أكانت نباتات أو أشجار أو

حيوانات، يوجد لها سبحانه من العدم ثم يعيدها إلى العدم ثانياً، وهذا يتكرر أمام أعينهم كل حين، وهو مما يستدل به البصير على كمال قدرته تعالى على كل شيء. ثم انتقل سبحانه إلى دليل أوسع وأبهر على قدرته على البعث فقال: قل سيروا إلخ أى إن لم يكمنكم ما يحيط بكم من صنع الله عز وجل فى إيجاد الأشياء وإعدامها فلتسيروا فى الأرض وتأملوا فى أقطارها وبحارها وجبالها وأجناس ما فيها فتعلموا من ذلك كيف خلق الله جل وعلا هذه الموانم على أطوار مختلفة وطبائع متمايزة، وأحلاق شتى، والأوان متفاوتة، انظر آيتى (٢٧، ٢٨) من سورة طه صفحة ٥٧٥، فتصلوا بذلك إلى أن القادر على كل هذا قادر على إعادتكم يوم القيامة للحساب والجزاء، انظر آيات (٢، ٤، ٥) من سورة الجاثية صفحتى ٦٦٠، ٦٦١، والآية (٢٢) من سورة الأحقاف صفحة ٦٧١، ولا شك أن القادر على خلقهم أول مرة إلخ قادر على إعادتهم لأن ذلك سهل عليه، انظر الآيات (٤) من سورة يونس صفحتى ٢٦٥، ٢٦٦، و (٢٤) من السورة صفحتى ٢٧١، ٢٧٢، و (١٠٤) من سورة الأنبياء صفحة ٤٢١، (٢٧) من سورة الروم صفحة ٥٢٤، ثم حكى سبحانه ما قاله لسيده إبراهيم فقال قل لقومك يا إبراهيم سيروا فى الأرض وتأملوا كيف أوجد الله الخلق ابتداء على أحوال مختلفة وطبائع متمايزة وأحلاق شتى، هذا الإله الذى فعل ذلك هو الذى يشئ النشأة الآخرة بعد النشأة الأولى التى هى الابتداء، فالمرء أن من عرف بالقدره على الإبداء يجب أن يعكف له بالقدره على الإعادة لأن قدرته ثابتة له دائماً على كل شيء يستوى عنده بدء الشيء وإعادته. ثم بين ما سيكون بعد النشأة الآخرة تهديداً وترعيباً فقال يعذب من يشاء تعديبه وهم المكرون للآخرة - ويرحم من يشاء برحمته وهم المؤمنون بها، وإليه ترجعون جميعاً فلا مفر من ملاقاته جرائه، وما أنتم بمعجزين الله عن إدراككم مهما حاولتم الاحتباء فى جوف الأرض أو الصعود إلى السماء إن استطتم، انظر الآية (٢٢) من سورة الرحمن صفحة ٧١٠، وما لكم من دون الله صديق يحرسكم من المصائب، ولا نصير يدفعها عنكم، ثم هددهم بما سيكون إذا استمعروا فقال ﴿والذين كفروا﴾ إلخ أى قل لهم أيضاً يا إبراهيم إن الدين كفروا واستمعروا على كفرهم بآيات الله المنزلة هى كتبه والمسيبة هى الكون الدالة على توحيده وعلى صدق رسله، هؤلاء ستكون عاقبتهم اليأس المحقق من رحمته وهؤلاء المجرمون سيكون لهم عذاب شديد الألم، فلما أخذتهم الحجة عمدوا إلى القوة

وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ
وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن
نَّاصِرِينَ ﴿١٦﴾ قُلْ لَّيْسَ لَهُ تَوَكُّفٌ وَلَوْ أَنِّي مَهَاجِرٌ
لِّمَا رَدِّيَتْ لِي أَمْرٌ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٧﴾ وَوَعَدَ اللَّهُ لِمَنْ
يَقْتُوبَ وَحَقَّابِي تَرْبِيَةِ النَّبِيِّ وَالْكِتَابِ وَتَأْتِيَهُ
أُجْرٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُ فِي الْآخِرَةِ نَسْرٌ أَضْعَافًا
كَثِيرًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّي أَنَا نَارُ النَّبِيِّ النَّبِيِّ نَسْرُكُمْ
يَسَّ مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾ أَفَسَكَ لَنَاؤُونَ الرِّجَالِ
وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي مَدْيَنَ الْأَنْكَرِ قَدْ كَانَ
جَوَابَ قَوْمِهِ هَٰذَا أَن قَالُوا آتِنَا بِحَدِيثِ اللَّهِ
مِمَّا نَسْتَكِينُ ﴿١٩﴾ قَالَ رَبِّ احْزَنْ عَلَى الْقَوْمِ

فقال بعضهم لبعض اقتلوه بسبب مثلنا أو
القوة في النار ليموت حرقاً، فالقوة هي النار،
فأنجاه الله تعالى منها. إن في هذه الحادثة
لعبرة ومواعظ ينتمتع بها المستعدون للإيمان.

المردات: «أوثاناً» - تماثيل كما تقدم في
صفحة ٥٢٢. «مودة بينكم» أي لدوم التواد
بينكم بالمحافظة على عبادتها حتى لا يخالف
أحدكم صاحبه. «مأواكم»: مكانكم الذي
تأوون إليه آخر الأمر. «من ناصرين»:
«من» حرف يفيد تأكيد العموم فيما بعده،
«أمن له لوطة» أي صدقه، انظر الآية (١٧)

من سورة يوسف صفحات ٣٠٤، ٣٠٥. «مهاجر إلى ربى»: أي تارك أرض الظلم في العراق
وداهب إلى حيث أمرني ربى. وهو الشام. «الكتاب»: المراد جنس الكتاب فيشمل التوراة
والربور والإنجيل والقرآن.

«ولوطاً» هو ابن أخى إبراهيم، انظر تفصيل قصته في صفحة ٤٨٩. «أنكم» الهمزة
للاستفهام الإنكارى المصيد للتوبيخ. «تقطعون السبيل» أي تقفون في الطرق وتقتلون المارة
وتأخذون أموالهم، وجاء الإسلام بعقاب أمثالهم في الآية (٣٣) من سورة المائدة صفحات ١٤٢،
١٤٣. «ناديكم» النادى هو مجلس القوم، ولا يقال له ناد إلا في حال اجتماعهم فيه.
«المنكر»: المراد به هنا كل ما تتكره الطباع السليمة كتهزئ المارة، وقد همهم بالطوب وكشف
المورة، وفحش المزاح من كل ما يدل على فقد الحياء.

(١) أوثاناً. (٢) الحياة. (٣) الميامة. (٤) وماواكم. (٥) ناصرين. (٦) فأس
(٧) يسعلى. (٨) الكتاب. (٩) آتية. (١٠) الصالحين. (١١) الماحضة. (١٢) العالين.
(١٣) أنكم. (١٤) الصالحين

المعنى . وقال إبراهيم لقومه لم تعبدوا من دون الله إلا تماثيل لتدوم المودة ببيكم في الدنيا بالمحافظة على عبادتها، أما يوم القيامة فيعكس الحال ويشد ببيكم التحاصم، انظر شرح الآية (٢٨) من سورة يونس صفحتي ٢٧٠ . ٢٧١ . والآية (٨٢) من سورة مريم صفحة ٤٠٤ . ويلمن أهل النار كذلك بعضهم بعضا، انظر الآية (٢٨) من سورة الأعراف صفحة ١٩٨ . والآية (٦٨) من سورة الأحزاب صفحة ٥٦١ ، ومكانكم النار وما لكم من ناصرين يسمعون النار عنكم . وبعد ما قال إبراهيم ذلك أوقدوا له النار ورموه فيها فأنجاه الله تعالى منها كما في الآية (٦٨) وما بعدها من سورة الأنبياء صفحة ٤٢٧ ، والآية (٩٧) وما بعدها من سورة الصافات صفحة ٥٩٢ . ولما رأى لوط ابن أخيه هذه المعجزة آمن بما يقول وصدقته .

وقال إبراهيم إني مهاجر من أرض قومي إلى المكان الذي أمرني ربي بالهجرة إليه وهو الشام، فهاجر هو ولوط، وأقام هو ببلسطين . ولوط بشرق الأردن . إن ربي هو وحده العزيز أي الغالب الذي يمنع عنى كيد الأعداء، الحكيم هيما يصنع ويأمر .

وبعد ذلك تروج بسارة فولدت له على كبر إسحاق، وولد لإسحاق يعقوب، فعاش إبراهيم حتى رأى حفيده . وجعل الله في دينه من إسماعيل وإسحاق النبوة فلم يكن نبي إلا منهم، وأبرل عليهم الكتب المقدسة، وآتى سبحانه بيته إبراهيم أجراً في الدنيا من الصلاة عليه من كل مؤمن، والذكر الحسن إلى يوم القيامة، انظر الآية (٥٠) من سورة مريم صفحة ٤٠١ . ومحبة أهل الملل جميعا، فكل يفتخر بالانتساب له . وكما تخليداً أن اسمه مقترن بركن عظيم من أركان الإسلام وهو الحج إلى البيت الذي بناء هو وابنه إسماعيل كما في الآية (١٢٧) من سورة البقرة صفحة ١٢٥ . وسيكون في الآخرة من عداد البائسين النهاية في الصلاح، انظر شرح الآية (٩) من سورة العنكبوت صفحة ٥٢١ . واذكر أيها النبي لقومك قصة لوط حين قال لقومه إنكم لتعملون الصلة المتناهية في الفحش مبتدعين لها لم يفعلها أحد قبلكم، فعليكم وزر كل من يعملها، ثم بيها مع غيرها في أسلوب التوبيخ فقال أنكم لتأتون الرجال بدلاً من النساء، وتعملون في مجلسكم ما تنكره الطباع، فلم يجدوا له جواباً إلا قولهم متبعين اثنتا

الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلًا مِنْهُمْ بِالْغُرُثِ
قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوكُمُ أَهْلَ الْقَرْيَةِ الَّتِي أَنْتُمْ كَاوُوا
عَلَيْهَا ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ مِنْ مِثْلِهِ
لَنَجِيَهُ وَاهْلِهِ إِلَّا أَمْرًا كَانَتْ مِنَ الْمُنِيرِينَ ﴿٦٢﴾
وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلًا لُوطًا مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا مِنْ دَرَكٍ
وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجِّكَ وَامْرَأَتَكَ إِلَّا أَمْرًا تَكُنْ
كَانَتْ مِنَ الْمُنِيرِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ الْقَرْيَةِ
وَبَرَارِيسَ السَّمَاءِ مِمَّا كَاوُوا يَقْضُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ زَكَّاهُمْ
مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً يَقُومُ يَخْلُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَكِنْ مَدِينٌ أَخْلَاهُمْ
شُعْبًا قَدَالٍ يُنْقَرُونَ أَصْبَرُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ
وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَاخْلَنَتْهُمْ
الْأَرْجُ فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جُنُودًا ﴿٦٧﴾ وَعَلَا وَنَحْمًا

بمذاب الله إن كنت صادقاً فيهما تزعم أن
عملنا يفضي الله وإنك نبي مستجاب الدعاء.
قال لوط يارب انصرنني على هؤلاء المفسدين.
المفردات: «بالبحري»: بأن يولد له
إسحاق ومن بعده يعقوب، انظر الآية (٧١)
من سورة هود صفحة ٢٩٥. «هذه القرية»:
قرية سدوم بشرق الأردن. «الفايرين»: أي
من الباقين في العذاب أو الذاهبين الهالكين.
انظر الآية (٨٢) من سورة الأعراف صفحتي
٢٠٥، ٢٠٦. «ولما أن جاءت»: «أن» حرف
يراد به تأكيد الربط بين شرط «لما» وهو
«جاءت رسلاً» وجوابها وهو «سوء بهم» إلخ.

«سوء بهم» أي وقعت عليه الإساءة والعم بسببهم، انظر الآية (٧٧) من سورة هود صفحة
٢٩٥. «ضاق بهم ذرماً»: المراد بالذرع الطاقة أي قصرت طاقته عن تدبير نجاتهم، انظر
صفحة ٢٩٥ «رجزاً»: الرجز العذاب، انظر تفصيله في الآية (٨٤) من سورة الأعراف
صفحة ٢٠٦. وفي صفحة ٤٩٠ تفصيل ما حصل منهم ولهم. «آية»: عبرة وعظة.

«ولا تعثوا في الأرض مفسدين» أي لا تفسدوا مصممين على الاستمرار في الفساد، انظر
الآية (٨٥) من سورة هود صفحة ٢٩٧.

«الرجفة» الزلزلة الشديدة. «جاثمين» أي باركين على ركبهم ميتين، انظر الآية (٧٨)
من سورة الأعراف صفحة ٢٠٥.

المعنى... لما طلب لوط النصر من ربه استجاب سبحانه دعائه، وبعث ملائكة ينقذونه منهم بإهلاكهم، وأمرهم أن يمروا على إبراهيم أولاً ليبشروه بأنه سيولد له إسحاق، وسيولد لإسحاق يعقوب، ولما جاءت هذه الملائكة لإبراهيم حاملة البشارة قالوا له إنا سهلك قرية سدوم بخسف الأرض بها لأن أهلها استثمروا على تماديهم في الظلم لرسولهم وللناس بالمعاصي وأنواع الفساد، عند ذلك خاف إبراهيم على ابن أخيه لوط فعاول تأجيل العذاب مدة لعلهم يرجعون ويصحب ابن أخيه لوط انظر ما جاء في صفحة ٢٩٥، فأحبر الملائكة بأنه موجود في القرية وهو يرى من جرائمهم، قال الملائكة تطمينا لإبراهيم نحن أعلم بمن فيها، لننجيه ومن آمن من أهله، أما امرأته فإياها ستبقى مع الهالكين، لأنها خانتها بالكفر به وإرشاد الفساق لضيقه، انظر الآية (١٠) من سورة التحريم صفحة ٧٥٢، ولما جاءت الملائكة من عند إبراهيم إلى لوط في صورة شبان حسن خاف عليهم واستولى عليه الغم لصيق قوته عن دفع الشر عنهم، وحصل بينه وبين قومه ما فصله سبحانه في صفحات ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦، ١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٢، ١٥٥٣، ١٥٥٤، ١٥٥٥، ١٥٥٦، ١٥٥٧، ١٥٥٨، ١٥٥٩، ١٥٦٠، ١٥٦١، ١٥٦٢، ١٥٦٣، ١٥٦٤، ١٥٦٥، ١٥٦٦، ١٥٦٧، ١٥٦٨، ١٥٦٩، ١٥٧٠، ١٥٧١، ١٥٧٢، ١٥٧٣، ١٥٧٤، ١٥٧٥، ١٥٧٦، ١٥٧٧، ١٥٧٨، ١٥٧٩، ١٥٨٠، ١٥٨١، ١٥٨٢، ١٥٨٣، ١٥٨٤، ١٥٨٥، ١٥٨٦، ١٥٨٧، ١٥٨٨، ١٥٨٩، ١٥٩٠، ١٥٩١، ١٥٩٢، ١٥٩٣، ١٥٩٤، ١٥٩٥، ١٥٩٦، ١٥٩٧، ١٥٩٨، ١٥٩٩، ١٦٠٠، ١٦٠١، ١٦٠٢، ١٦٠٣، ١٦٠٤، ١٦٠٥، ١٦٠٦، ١٦٠٧، ١٦٠٨، ١٦٠٩، ١٦١٠، ١٦١١، ١٦١٢، ١٦١٣، ١٦١٤، ١٦١٥، ١٦١٦، ١٦١٧، ١٦١٨، ١٦١٩، ١٦٢٠، ١٦٢١، ١٦٢٢، ١٦٢٣، ١٦٢٤، ١٦٢٥، ١٦٢٦، ١٦٢٧، ١٦٢٨، ١٦٢

وَقَدْ تَسَىٰ سَكَمٌ مِّن مَّكَيِّهِمْ ۖ وَرَىٰ لَهُمُ التَّابُوتَ فِي
 مَحْضِهِمْ مِّمَّ مِّنَ السَّبِيلِ ۚ وَكَانُوا مُصْهَرِينَ ﴿٢٤﴾
 وَفَرَّوْا وَفِرْعَوْنُ وَقَهْنَاسُ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا
 فَلَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا مُتَّقِينَ ﴿٢٥﴾ فَكَلَّا
 أَحَدًا بِدِينِهِ ۚ فَيَسَّرَ لَّهُم مِّنْ أَرْضِنَا عَلَيَّ خَلِيبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ
 أَحَدَهُ الشَّيْطَانُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَبَسَ فِي الْأَرْضِ وَمِنْهُمْ مَّنْ
 عُرِفَ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ بِظَالِمِيهِمْ وَكَانُوا أَنْفُسَهُمْ
 يَظْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ
 كَمَثَلِ الْعُكُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَىٰ أَلْيُوتَ بَيْتُ
 الْعُكُوتِ لَوَ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ
 مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٨﴾ وَتِلْكَ
 الْأَمْثَلُ نُصَرِّفُهَا لِلْبَاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٢٩﴾

المصردات: ﴿مستبصرين﴾: أي متمكنين
 من الإبصار، وهو التأمل وتمييز الحق من
 الباطل، ولكنهم أهملوا. ﴿قارون﴾: تقدم في
 صفحة ٥١٧. ﴿فرعون وهامان﴾: تقدم في
 صفحة ٥١٢. ﴿سابقين﴾: المراد معلنين من
 عذابنا. ﴿حاصبا﴾: هي الريح العاصفة فيها
 حجارة صغيرة ﴿أوهن﴾: أضعف.
 ﴿الأمثال﴾: المراد أمثال القرآن كهذا المثل
 وغيره، وهي كثيرة، منها ما هي الآية (١٤)
 من سورة الرعد صفحة ٢٢٢، والآيات (٢٤)
 وما بعدها صفحة ٢٢٢، والآية (٧٣) من سورة
 الحج صفحة ٤٤٤. ﴿نضربها﴾: أي نجعلها

ونقدمها لهم.

المعنى: وأهلكنا عادًا وثمود، وقد تبين لكم يأهل مكة ما حل بهم من مشاهدة مساكنهم
 التي تمررون عليها هي رحلاتكم إلى اليمن والشام، وسبب ما حل بهم من الهلاك أنهم حصنوا
 للشيطان الذي رين لهم المعاصي ومنعهم عن طريق الصواب، مع أن الله خلقهم متمكنين من
 التصبر ولكنهم لم يفعلوا. وأهلك سبعاه قارون وفرعون وهامان، ثم بين سبعاه إهلاكهم
 فقال ولقد جاءهم موسى بالبراهين القاطعة على صدقه فاستكبروا على الله تعالى وعلى
 رسوله فمسدين في الأرض، وما كانوا سابقين عذابا بل أتركهم فأهلكهم. ثم بين كيف
 أهلكهم فقال ﴿فكلا أحدا بدنيه﴾ إلخ: أي فكل فريق من هؤلاء الطاعة عاقبها بدنيه، فهم

- | | | |
|-------------|--------------|---------------|
| (١) مساكنهم | (٢) الشيطان. | (٣) أعمالهم. |
| (٤) قارون | (٥) هامان. | (٦) بالبيئات. |
| (٧) سابقين | (٨) الأمثال. | (٩) العاللون. |

خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ أَتَلُمَا مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ
الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿١٢﴾ وَلَا تَجِدُوا أَحَدًا
مِنَ الْكِتَابِ إِلَّا يَأْتِيَنِي فِي أَخْسَرُ الْأَلْبَانِ فَلْيَأْتِيَهُمْ
وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُرِينَا إِلَهُنَا وَرَبُّنَا إِنَّكَ وَإِلَهُنَا
وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣﴾ وَكَذَلِكَ رُسُلًا
إِلَيْكَ الْكِتَابِ فَأَلْفَيَا فِيهِمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ
بِهِ وَمِنْهُمْ مَنُ هَتَّاءُ مَن يُؤْمِرُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا
الْمُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَلْمِزُونَ مِن شَيْءٍ وَلَا
تُخْطِئُونَ رَيْبًا إِنَّ الْأَرْبَابَ مُخْطِئُونَ ﴿١٥﴾ تِلْكَ هِيَ
نَبِيَّتُ فِي حُدُودِ الَّذِينَ أَوَّلَ أَعْيُنُ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا

من أرسلنا عليه حاصباً كقوم عاد، انظر
صفحة ٧٦١، ومنهم من أخذته الصيحة
كثمود، انظر صفحة ٢٩٤، ومنهم من خسفنا
به الأرض كقارون، انظر صفحات ٥١٨، ٥١٩،
ومنهم من أغرقنا كقوم نوح وفرعون، وما كان
الله ليظلمهم ولكن كانوا هم الذين ظلموا
أنفسهم بإعراضهم عن الحق بعد أن تبينوا
دليله وامنعوا في الكبر والإفساد، وبعد ما
بين سبحانه أنه أهلك من أشرك به وكذب
رسله، أراد أن ينبه كفار مكة إلى خطأ
اتخاذهم معبودات لا تتصهم، وإن ما يوه عليها
من الآمال ضائع، فقال ﴿مثل الذين اتخذوا﴾

إلح أي حال هؤلاء الكفار الذين اتخذوا من دونه تعالى أولياء يقربونهم من الله رلقى كما هي
صفحة ٦٠٦ كحال المنكوبات التي اتخذت لنفسها بيتاً من سبيح في منتهى الضعف لتحمي
نفسها به، ولا بيت أضعف من بيت المنكوبات، لو كان هؤلاء الكفار ممن يعمون بالعمى النافع
لعلموا أن هذه الأصنام ستكون يوم القيامة أضعف من بيت المنكوبات فلا تقبهم عذاب الله
ولذا قال ﴿إن الله يعلم ما يدعون﴾: إلح أي يعلم حقيقة هذا الشيء الذي يعبدونه من دونه،
وأنه لا ينفعهم مثقال ذرة، لأنه أضعف من بيت المنكوبات، والله وحده هو العزيز العال على كل
شيء، الحكيم فيما يشرع وفيما يعامل به عباده، وهذا المثل ونظائره من أمثال القرآن نصريها
للناس ايضاحاً لما أشكل عليهم، وما يتنبه لمفزاها إلا العالمون.

المفردات . ﴿بالحق﴾: انظر شرح صفحات ١٧٤، ٢٦٦. ﴿الفحشاء﴾: الفعل المتأهية هي
المحش كالرنا مثلاً. ﴿المنكر﴾: كل ما تنكره الشرائع والعقول السليمة كالقتل والإفساد هي

(١) الكتاب.	(٢، ٣) الصلاة.	(٤) تجادلوا.	(٥) الكتاب.
(٦) أما	(٧) واحد.	(٨) الكتاب.	(٩) آتيناكم.
(١٢) الكافرون .	(١٣) كتاب.	(١٤) آيات .	(١٥) بيئات
			(١٦) بآياتنا
			(١٧) بآياتنا.

الأرض ﴿ذكر الله﴾ قال ابن عباس معناه ذكر الله تعالى لكم بالشاء عليكم والرحمة أكبر لكم من ذكركم له بالطاعة. ﴿أتيتهم الكتاب﴾ المراد بالكتاب هنا جسس الكتاب فيشمل كل كتب الأنبياء السابقين. ﴿هؤلاء﴾: المراد بهم أهل مكة.

﴿يجعد﴾ الجحود إنكار باللسان لما هو ثابت في القلب. انظر الآية (١٤) من سورة النمل صفحة ٤٩٥. ﴿من كتاب﴾ ﴿من﴾ تعيد بمعنى عموم ما بعدها ﴿كتاب﴾ أي شك. ﴿المبطلون﴾ أي المتوغلين في الباطل.

لمعنى . خلق الله السموات والأرض لحكم ولم يخلقها عبثاً. إن في هذا الخلق لمنطق لبرهانا على وجود صانع حكيم يستحق العبادة وحده، لا يتبته لهذا البرهان إلا سليم لمطردة المعتل قلبه بنور الإيمان انظر الآية (١٩٠) وما بعدها من سورة آل عمران صفحة ٩٥ ثم وجه سبحانه نبيه ﷺ إلى طريق السعادة له ولأمة فقال ﴿اتل ما أوحى إليك﴾ إلخ أي داوم على تلاوة القرآن تقرباً إلى ربك، متأملاً لما فيه من الأسرار، لتعمل نفسك وتحمل أمثلك على العمل بما فيه من الأحكام ومكارم الأخلاق، وأد الصلاة على أتم وجوها، لأنها بما حوت من الوقوف بين يدي الله تعالى وذكره وتسبيحه تحرص على البعد عن المعشاة والمكر فكأنها تقول لصاحبها عار عليك أن تعمل ما ينصب ربك مع وقوفك بين يديه وقتاً بعد آخر، أي فلا تكن متناقضاً مع نفسك، فالصلاة تنهى لسان حالها، والله سبحانه بهي بصريح القول هي الآية (٩٠) من سورة النحل صفحة ٢٥٨. وإذا ذكرتم ربكم بالطاعة فذكره لكم في الملأ الأعلى بالشاء والرحمة أكبر نعماً لكم، انظر الآية (١٥٢) من سورة البقرة صفحة ٢٩. فمن رحمته لكم أنه جعل الحسنه بمشر أمثالها. وإذا أردت المزيد فارجع إلى قوله ﷺ في الحديث القدسي إذا ذكرني عبدي في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، انظر حديث ٧٠٠ في كتابنا «صعوة صحيح البخاري» مع حديث ٦٢٢ من الكتاب نفسه. والله سبحانه يعلم ما تصنعون أيها العباد من خير وشر وسيجاريكم عليه. وبعد ما فرغ سبحانه من تصفيه المشركين وإقامة الحجج عليهم، أتبع ذلك ببيان طريقة إرشاد أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأن يسلك معهم طريق الحجاج بالحسن، لأنهم يقرون بالأنبياء وباليوم الآخر، وعيبهم أنهم يذكرون نبوة حاتم الرسل ﷺ والنصارى يقولون المسيح ابن الله، إلا الذين ظلموا منهم بالعباد ورفض الإرشاد، أي فاستعملوا معهم التسفيه كالمشركين، انظر ما قبل في شرح الآية (١٢٥) من سورة النحل صفحة ٢٦٣ وقولوا هي لمجادلة بالحصني آمننا بما أنزل إلينا وهو القرآن وبما أنزل إليكم على يد إبراهيم وسيله كما هي الآية (١٢٦) من سورة البقرة صفحة ٢٦. وإنها وإلهم واحد، ونحن له وحده خاضعون.

إِلَّا الْعَالَمُونَ ﴿٥٨﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ مِنْ رَبِّهِ
قُلْ إِنَّمَا الْإِنشَاءُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٩﴾ أَوَلَمْ
يَعْلَمُوا أَنَّا أَنْزَلْنَا طَبَقَ الْكِتَابِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ إِذْ فِي ذَلِكَ
رَحْمَةٌ وَذِكْرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٠﴾ قُلْ كُنْ بِاللهِ يَتَّقِي
وَيَسْكُرُ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ
آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِهِ أَتَوَلَّوْا لَهُمْ الْخَبِيرُونَ ﴿٦١﴾
وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَخَافَ لَهِمْ
الْعَذَابُ وَلِيَأْتِيَهُمْ بَشِيرٌ وَمَنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ يَسْتَعِجِلُونَكَ
بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٦٣﴾ يَوْمَ
يَحْمِلُهُمُ الْعَذَابُ مِنْ مَوْقِعِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ
دُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٤﴾ يَنْصَادِي الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ
أَرْضِي وَبِئْسَ عَذَابٌ لِمَنْ كَفَرَ بِالْإِلهِ لَمَّا جَاءَهُ الْمَوْتُ

وكما أنزلنا على الرسل قبلك كتباً أنزلنا
إليك القرآن؛ هالذين آتيناهم الكتب السابقة
يؤمنون بالقرآن وبأنه حق من عند الله، انظر
الآية (١٤٦) من سورة البقرة صفحة ٢٨،
وآيتي (٧٠، ٧١) من سورة آل عمران صفحة
٧٤، ومن هؤلاء المشركين بمكة مَنْ يَؤْمِنُ بِهِ
في دحية نفسه ولكنهم يجحدون عنادا،
وما يجحد إلا المتمكنون من الكفر ثم أكد
ما يزيل كل شبهة فقال ﴿وما كنت تتلو﴾ إلخ
أي وما كنت يا محمد من قبل إرسال القرآن
إليك تقدر على تلاوة كتاب ولا تكتبه، إذ لو
كنت تقدر على ذلك لكان فيه منفذ شبهه
لقصير النظر المتوغل في الباطل، الذي عصى

عن البراهين الأخرى القاطعة بصدقك، انظر الآية (١٦) من سورة يونس صفحة ٢٦٨، ثم
استقل إلى تأكيد أنه من عند الله فقال بل هو آيات واضحات في دلالتها على الحق، وصعها
الله في صدور العلماء، لا يقدر أحد على تحريمها، ولا يكابر في إنكار آياتنا إلا الظالمون.

المفردات . ﴿لولا﴾ كلمة تدل على طلب ما بعدها . ﴿آيات﴾ معجرات حسيات كقصص
موسى مثلا . ﴿أو لم يكفهم﴾ انظر شرحها في الآية (٥٣) من سورة فصلت صفحة ٦٣٧ .
﴿ذكرى﴾ أي تذكيرا . ﴿الباطل﴾ المراد به هنا كل ما عبيد من دون الله ﴿أجل مسمى﴾ موعد
سماء الله وحدد زمنه في علمه، انظر الآية (٢) من سورة الأنعام صفحة ١٦٢ . ﴿يعشاهم﴾ أي
يعطيهم، انظر الآية (١٦) من سورة الزمر صفحة ٦٠٨ .

المعنى . . وما يجحد بصدق القرآن إلا المتوغلون في الظلم بالمكابر بعد وضوح الحجة، ومن
مكابرتهم أنهم مع عجزهم عن أن يأتوا بسورة من هذا القرآن كما هي صفحة ٦ يقولون عنادا

(١) الظالمون.	(٢) آيات.	(٣) الآيات.	(٤) الكتاب.	(٥) آمنوا.
(٦) بالباطل.	(٨) الخاسرون.	(٩) بالكافرين.	(١٠) يعشاهم.	(١١) يا عبادي.
(١٢) آمنوا .	(١٣) واسمة.	(١٤) ضلالي.		

يطلب أن يرسل عليك ربك معجرات حصىة كما أرسل على موسى وهيمسى مثلاً . قل لهم أيها النبى إنما أمر ترول الآيات عند الله . ولو علم هيكم حيرا لأجابكم ولكنه يعلم أنكم متمتون كما هي صفحتي ١٦٢ ، ١٨١ ، وليس من شأى أنا إلا الإبدار الواصب . وقد فعلت . وقد رد سبحانه هذا التعت بأسلوب آخر هي صفحات ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٥١٤ . ثم أبرر سبحانه تعنتهم فقال ﴿أو لم يكهم﴾ إلخ أى هل تركناهم بدون برهان على صدقك ولم يكهم دليلاً يعنى عن سائر الأدله يا أيرلما عليك القرآن يتلى عليهم منك وأنت أمتى ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان كما هي الآية (٥٢) من سورة الشورى صفحة ٦٤٦ . إن هي ذلك الكتاب العظيم لنعمة عظيمة . وتذكرة لقوم همهم الإيمان لا التعت . فإن لم يكتنوا بهذا القرآن الحجة الدائمة فقل لهم يكفينى الله شاهداً نبى وبيكم يعلم الحق والمنطل . لأنه وحده هو العليم بكل ما يجرى فى السموات والأرض ثم مددهم فقال والذين آمنوا بالمعبودات الباطلة وكفروا بالله . هؤلاء هم وحدهم العاسرون لكل حير ولما اندرهم ^{بِئْسَ} بالعذاب إذا لم يؤمنوا كانوا يطلبون (يرال هذا العذاب استهراء كما فى الآية (٢٢) من سورة الأنفال صفحة ٢٢١ يقدون الكفار قبلهم كما هي الآية (١٨٧) من سورة الشعراء صفحة ٤٩١ فقال فى ذلك . ويستعجلونك استهراء بوعذك وإنكارا له . ولولا أجل حده الله لعذاب كل قوم فى الوقت الذى اقتضته حكمته لجاءهم العذاب عاجلاً وعزتى لياتيهم فحاة من حيث لا يقدرونه فى الدنيا كما حصل فى بدر وهى آخر حياتهم عند الموت وما بعده انظر الآية (٩٢) من سورة الأنعام صفحتي ١٧٧ ، ١٧٨ . والآية (٥٠) من سورة الأنفال صفحتي ٢٢٤ ، ٢٢٥ . والآية (٢٧) من سورة محمد صفحة ٦٧٦ . ثم أبرر سبحانه تمام سمهم ليعجب الناس من جهلهم ببيان أن وراءهم عذاب أكبر مما يستعجلونه . انظر الآية (٢١) من سورة السجدة صفحة ٥٤٧ فقال يستعجلونك بالعذاب والحال أن جهنم وعزتى لتحيط بهم قطعاً لشاعة كفرهم فى يوم يقمرهم العذاب من كل جهانهم . ويقول ملك العذاب دوقو جراء ما كنتم تعملون . ولما كان فى مكة بعض المستضعفين من المؤمنين الذين ليس لهم عصبة قوية تدفع عنهم شر كفار قريش . رغيبهم سبحانه فى الهجرة إلى بلد يمكنهم فيها القيام بمساداتهم مع البعد عن ايداء الكفار . فقال ﴿يا عبادى﴾ إلخ أى أن أرضى واسعة .

ثُمَّ إِلَيْهَا تَرْجَعُونَ ﴿١٠٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرًّا فَتَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
 فِيهَا بِمَقَرٍّ أَبَدٍ الْعَالِينَ ﴿١٠٩﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ
 يَتَوَكَّلُونَ ﴿١١٠﴾ وَكَأَنَّ مِنْ دَاخِلِهَا نَاجِلٌ يَرْفَعُهَا اللَّهُ بِدَقِّهَا
 وَإِلَّا كَذَّبُوا لَكُمُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١١﴾ وَلَهُنَّ سَائِغٌ مِنْ خَلْقِ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَضِرٌ أُنْضِجَ الشَّجَرُ وَالْقَصْرِ لِقَوْلِ اللَّهِ
 قَالِمْ يُؤَفِّكُونَ ﴿١١٢﴾ اللَّهُ يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
 وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْئًا وَعَلِيمٌ ﴿١١٣﴾ وَلَهُنَّ سَائِغٌ
 مِنْ زَكَاةٍ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَلَا تَغِيَرُ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا
 لِقَوْلِ اللَّهِ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾
 وَمَا عَلَيْهِ الْخَيْرَةُ الذُّبَابُ إِلَّا تَهْوِي إِلَيْهَا وَإِنَّ الْآدَارَ الْآخِرَةَ
 لَمِنَ الْخَيْرِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١١٥﴾ فَلَمَّا رَكِبُوا إِلَى الْغُلَّكِ

هنا عجزتم عن إحلاص العبادة لى هي أرض
 صعدوا إلى غيرها لتخلصوا لى العبادة فيها،
 انظر الآية (٩٧) وما بعدها من سورة النساء
 صفحتى ١١٧، ١١٨؛ ثم أراد سبحانه ان
 يسهل لهم الهجرة بأن الدنيا ليست دار بقاء
 وأن وراءها دار الجزاء، فقال ﴿كل نفس ذائقة
 الموت﴾ إلخ: أى كل نفس حية لابد أن تذوق
 مرارة الموت، وإذا كان الأمر كذلك فلا يصح
 التشبث بمكان فيه ذلة ومهانة.

المعردات: - ﴿لنؤتيهم﴾: أى فنزلهم، انظر
 الآية (١٢١) من سورة آل عمران صفحة ٨٢.
 ﴿عرها﴾: أمكة عالية كما هي الآية (٢٠) من

سورة الزمر صفحتى ٦٠٨، ٦٠٩. ﴿كأين﴾ كلمة تدل على كثرة ما بعدها.

﴿من دابة﴾ ﴿من﴾ حرف يدل على أن ما بعده بيان للمراد من ﴿كأين﴾ و ﴿دابة﴾ كل ما
 يدب ويتحرك كالملائكة والإنس والجن وكل الحيوانات ﴿لاتحمل رفقها﴾: لاتستطيع حمله
 وادحاره. ﴿أنى﴾ كيف ﴿يؤفكون﴾ أى يصرفون، انظر الآية (٣٠) من سورة التوبة صفحة
 ٢٤٥. ﴿يسطط﴾ أى يوسع انظر الآية (٢٦) من سورة الزمر صفحة ٢٢٥ ﴿يقدر﴾ أى
 يصيق، انظر الآية (١٦) من سورة الحجر صفحة ٨٠٧. ﴿لنهو ولعب﴾ تقدم هي الآية (٢٢) من
 سورة الأنعام صفحتى ١٦٦، ١٦٧. ﴿الحيوان﴾ أى الدائمة التى يعمل حسابها

المعنى: كل حي سيموت، ثم إليها ترجعون فى الآخرة للحساب والجزاء، ثم بين بعض هذا
 الجراء فقال ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنؤتيهم من الجنة عرها﴾ أى علالي تجرى

تحتها الأنهار مقدرين خلودهم فيها. نعم هذه العرف أجر العاملين، الذين صبروا على الشدائد ولم يتوكلوا فيما يعملون ويتركون إلا على ربهم. ولما كان ربما يجول بخاطر المهاجر أنه قد يصعب عليه الحصول على قوته، طمأنهم سبحانه بقوله: ﴿وَكَايْنٍ مِنْ دَابَّةٍ﴾ إلخ أى وكثير من دواب الأرض لاتعرف كيف تحمل ررقها وتصيح ولا شيء عندها، ومع ذلك فالله تكمل برزقها مع صنعها حيث هيا لها ووضع فى غريبتها كيفية حصولها على ررقها، انظر الآية (٦) من سورة هود صفحة ٢٨٤. فكيف لا يبرزكم مع قوتكم واجتهادكم، وهو السميع لكل ما يطلبه لعبده وغيره من أقواله، العليم بما فى القلوب فيعلم المخلص من غيره، ثم أراد سبحانه أن يبين جهل هؤلاء المشركين بأوضح صورة فقال ﴿وَلَنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ إلخ أى ولن سألت أيها النبي كفار مكة وقتلت لهم من هو الذى خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر فلا جواب لهم إلا اعترافهم بأنه هو الله وحده الذى فعل ذلك، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يصرفهم الشيطان عن إفراد الله بالعبادة لمرده بالخلق، ولما قال سبحانه فيما سبق أنه وحده هو الرارق أراد أن يبين أن ررقه يتسع ويضيق حسب مشيئته المتفقة مع حكمته فى خلقه، فقال: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّقَّ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ بسطه له من عباده، ويقدر أى يضيق على من يشاء له التضيق، لأنه عليم بكل شيء، فيعلم متى يكون البسط ولمن، ومتى يكون التضيق ولمن؟ ولن سألت أيها النبي كفار مكة من الذى برل من جهة السماء فأحيا به الأرض بالنبات بعد موتها ليقولن معترفين بأنه هو الله، قل الحمد لله الذى أقام من الأدلة على وحدانيته ما أرغمهم على الاعتراف بما بهدم عقائدهم وأظهر أنك على حق.

ولما كان هذا التناقض واضحا، إذ لايعقل أن يقر شخص بحالق رارق ويعبد غيره، انتقل سبحانه إلى بيان ذلك بأنهم لايعقلون مايقولون، لأن شهوة العناد وطفياں الفساد وحب الدنيا والمحافظة على الرئاسة جعلهم كالبهائم التى لا تعقل. ثم أتبع سبحانه ذلك ببيان أن ما تهالكوا فى المحافظة عليه من حب الدنيا لا قيمة له إذا قيس بمعيم الآخرة، فقال وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب، وأن الدار الآخرة لهى دار الحياة الدائمة، لو كان هؤلاء الكفار يعلمون ذلك لعلوا ما يقضيهم شر الشقاء فيها ولما فصلوا متاع الدنيا الزائل، ثم شرع فى بيان شيء آخر من تناقضهم فقال: ﴿هَإِذَا رَكبُوا فِي الْمَلِكِ﴾ إلخ...

دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِنْ أُنْمِ
يُكْفَرُونَ ﴿٣٨٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ ﴿٣٨٦﴾ لَوْلَا إِذْ دَعَاكُمْ جَعَلْنَا كَرَمًا زَانِجًا وَخُطْفًا لِلنَّاسِ
مِنْ حَرَمِهِمْ أَلْقَيْنَا لِبَاطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعِمُ اللَّهُ بِكَفْرِهِمْ ﴿٣٨٧﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا
جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٨٨﴾ وَالَّذِينَ
جَاهَدُوا إِنَّا سَنُلْقِيَنَّهُمْ شِمَالًا وَإِنْ اللَّهُ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٨٩﴾

(٣٠) سُورَةُ الرَّحْمٰنِ مَكِّيَّةٌ
وَأَسْمَانِيَّةٌ عَشْرُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اَللّٰهُمَّ عَلَيَّ الرُّدْمُ ۝ فِي اَدْنَى الْاَرْضِ وَمَعْمُ

المفردات: ﴿الفلك﴾: السفينة ويطلق على الواحد والجمع، انظره في الآية (٢٧) من سورة هود صفحة ٢٨٩. ﴿الدين﴾: معناه هنا الطاعة، والمراد خلاصتها وهو الدعاء والضراعة إليه سبحانه. ﴿إذا هم﴾: إذا حرف يدل على مفاجأة ما بعده لما قبله.

﴿ليكفروا﴾: اللام للأمر كقولك لئن قام به بالقيام ﴿لنقم يا فلان﴾ والمراد تهديدهم كما في الآية (٦٤) من سورة التوبة صفحة ٢٥١، والآية (٢٩) من سورة الكهف صفحات ٢٨٤، ٢٨٥. ﴿أنا جعلنا حرماً إلخ﴾: المراد شرعنا احترام هذا المكان في عهد إبراهيم عليه السلام وبقي محترماً لذلك، وهذا لا يناقض أن يخرج ملحد أو فاسق على ذلك، فالكلام تشريع لا إخبار منه سبحانه وتعالى. ﴿حرماً﴾: تقدم في صفحة ٥١٥ أن الحرم هنا هو الحرم والمراد مكاناً محرمًا امتنانه.

﴿يتخطف﴾: يخطف الأشرار الأقوياء أموالهم بل وأنفسهم بالقتل، انظر الآية (٥٧) من سورة القصص صفحة ٥١٥. ﴿بالباطل﴾: تقدم في الآية (٥٢) من هذه السورة صفحة ٥٢٨، والأصل أفيؤمنون بالباطل إلخ ولكنه قدم ﴿بالباطل﴾ وكذا ﴿بنعمة﴾ على ما بعدهما للاهتمام ببيان محل التوبيخ. ﴿جاهدوا فينا﴾: انظر معنى الجهاد هنا في الآية (٦) المتقدمة من هذه السورة صفحة ٥٢١.

المعنى: ومن عجيب أمر هؤلاء المشركين أنهم إذا ركبوا في السفينة فوق البحر وخافوا الفرق كما في صفحة ٢٦٩، دعوا الله وحده في صورة من يخلص لله العبادة من المؤمنين فلا يدعون غيره، وينسون آلهتهم، فلما نجاهم سبحانه إلى البر حصل إشراكهم بعد نجاتهم مباشرة، ثم هديهم سبحانه فقال ﴿ليكفروا﴾ إلخ: أي ليتماذوا في الكفر بنعمتنا عليهم

(١) نجاهم. (٢) أنجاهم. (٣) أمناً. (٤) أفيالباطل.

(٥) للكافرين. (٦) جاهدوا. (٧) الف. لأم. مية.

وليتمتعوا بمتاع الدنيا الزائل، فعما قريب يعلمون عاقبة أمرهم عندما يشاهدون العذاب، ثم نبيهم إلى نعمة أخرى يعيشون فيها دائماً وهم غافلون عنها فقال: ﴿أو لم يروا﴾ إلخ: أى هل عمى كفار مكة ولم يروا إنا جعلنا بلدهم مصوناً عن النهب والتعدى، أمنا أهلنا من السبى والقتل، والحال أن الناس من حولهم ينهبون ويقتلون ويسلبون، هل يصح بعد هذا أن يفلتوا ويؤمنوا بالأصنام التى لم تجعل لهم شيئاً من هذا؟ وبهذه النعمة وغيرها التى أنعم بها عليهم ربهم يكفرون فلا يشكرونه عليها بتوحيده بالعبادة، وإذا كان الأمر كما ذكر فلا أحد أشد ظلماً للحق ولنفسه ممن افتترى على الله كذباً وزعم أن له شريكاً يقرب إليه، إلى غير ذلك من جرائمهم المبينة فى صفحات ١٨٦، ١٨٧، ١٤٨، أو كذب بالكتاب والرسول الحق لما جاءه: فما الذى غرهم بذلك؟ أليس فى جهنم مثوى لهؤلاء الكافرين؟ الحق أنها أعدت لهم وسيقيمون فيها خالدين. ثم ذكر مقابل هؤلاء فقال: والذين جاهدوا بالصبر على الشدائد فى سبيل نصره ديننا لنزيدتهم هداية لمسبيل الوصول إلينا، انظر الآية (١٢) وما بعدها من سورة الكهف صفحة ٢٨١، والآية (٧٦) من سورة مريم صفحة ٤٠٤، وذلك لأنهم أحسنوا النيات، والله مع المحسنين بالتصبر والإعانة، والله أعلم.

٢	- سورة يونس
٢٨	- سورة هود
٨٦	- سورة يوسف
١٢٢	- سورة الرعد
١٤٢	- سورة إبراهيم
١٦٠	- سورة الحجر
١٧٥	- سورة النحل
٢١٢	- سورة الإسراء
٢٥٠	- سورة الكهف
٢٨٦	- سورة مريم
٣٠٦	- سورة طه
٣٤٠	- سورة الأنبياء
٣٧٩	- سورة الحج
٤٠٥	- سورة المؤمنون
٤٢٨	- سورة النور
٤٦٦	- سورة الفرقان
٤٨٨	- سورة الشعراء
٥١٨	- سورة النمل
٥٤٨	- سورة القصص
٥٨١	- سورة العنكبوت

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص.ب. : ٢٢٥ الرقم البريدي : ١١٧٩٤ رئيس

WWW.egyptianbook.org.eg

E-mail : info@egyptianbook.org.eg